



إسرائيل ٢٠٢٠

المجلد السادس

إسرائيل و«الشعب اليهودي»

خطّتها التفصيلية لمستقبل الدولة والمجتمع

إسرائيل ٢٠٢٠

المجلد السادس

إسرائيل و «الشعب اليهودي»



مركز دراسات الوحدة العربية

إسرائيل ٢٠٢٠

المجلد السادس

إسرائيل و «الشعب اليهودي»

راجع الترجمة عن العبرية:
د. الياس شوفاني
أ. هاني عبد الله

تقديم: الدكتور سلمان أبو ستة

الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد مركز دراسات الوحدة العربية

إسرائيل ٢٠٢٠: خطتها التفصيلية لمستقبل الدولة والمجتمع/ تقديم سلمان أبو ستة؛
راجع الترجمة عن العبرية الياس شوفاني وهاني عبد الله.
٦ مج (مج ٦، ٤٩٢ ص).
محتويات: مج ٦. إسرائيل و«الشعب اليهودي».
يشتمل على فهرس.
ISBN 9953-450-83-8 (vol. 6)
ISBN 9953-450-32-3 (Set)

١. إسرائيل ـ التخطيط. ٢. اليهود ـ إسرائيل. ٣. دراسات المستقبل ـ إسرائيل. أ. أبو ستة، سلمان (مقدّم). ب. شوفاني، الياس (مراجع). ج. عبد الله، هاني (مراجع).
320.6095694

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون ص.ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ ـ لبنان
تلفون: ٨٦٩١٦٤ ـ ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧
برقياً: «مرعربي» ـ بيروت
فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)

e-mail: info@caus.org.lb
Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى
بيروت، آذار/ مارس ٢٠٠٥

المحتويات

الجزء الأول
خلفيـــة

الجزء الثاني
السيناريـــو

الجزء الثالث
اتجاهـات السياسـة

الجزء الرابع
وثائـق موقـف
(وفقاً لترتيب ظهورها في سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي)

مقدمة(*)

سيناريو الشعب اليهودي يشكل واحداً من السيناريوات الثلاثة التي ترافق مخطط إسرائيل الرئيس لسنوات الألفين. والسيناريوان الآخران هما إسرائيل في مسار الدول المتقدمة وسيناريو السلام.

ويعبر سيناريو الشعب اليهودي عن نظرة متميزة في إطار المخطط الرئيس لم يكن لها تعبير في مخططات من هذا النوع في الماضي.

فرادة إسرائيل بحكم كونها دولة الشعب اليهودي. يعبر السيناريو عن مسألة الشعب اليهودي ومدلولاتها بالنسبة إلى إسرائيل في سنوات الألفين. وهو يدرس إسرائيل على صعيد العلاقات المتبادلة بينها وبين المهجر/الشتات وتأثيرها على استعداداتها للعام ٢٠٢٠. وعملية بناء السيناريو وكذلك السيناريو نفسه يتصديان للمشاكل المعقدة الناجمة سواء عن الارتباط بالمخطط الرئيس أو المجالات المكوّنة له.

وشارك في كتابة أجزاء من سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي عدد من الخبراء والاختصاصيين الضالعين في مجالات مختلفة: البروفيسور غبريئيل شيفر، البروفيسور سيرجيو ديله بيرغولا، البروفيسور دانيئيل العازار، البروفيسور ستيفن كوهين والبروفيسور تشارلز ليبمان، البروفيسور يهودا دون، البروفيسور كرمل تشيزفيك، ليئه كوهين. أما وثيقة «سياسة الشعب اليهودي لدولة إسرائيل» فكانت بقلم البروفيسور يحزقيئيل درور. كما جرت مناقشة من خلال اتصالات سمعية مع أكثر من مائة وخمسين مشاركاً من البلاد والمهجر/الشتات، وأدار هذا النقاش دوف فاينر.

(*) للاطلاع على تحليل شامل لمشروع «إسرائيل ٢٠٢٠» من وجهة نظر عربية يحيل مركز دراسات الوحدة العربية القارئ العربي على المقدمة المسهبة التي أعدها سلمان أبو ستة في المجلد الأول من هذا الكتاب. انظر: سلمان أبو ستة، «مقدمة الطبعة العربية،» في: **إسرائيل ٢٠٢٠: خطتها التفصيلية لمستقبل الدولة والمجتمع**، تقديم سلمان أبو ستة؛ راجع الترجمة عن العبرية الياس شوفاني وهاني عبد الله، ٦ مج (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤)، مج ١: **مبادئ التخطيط البعيد المدى**، ص ١٩ ـ ٧١.

هذا ولقد بنُي السيناريو من أربعة أجزاء مركزية:

الجزء الأول: يعرض الخلفية لبناء سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي، ويتضمن نظرة إلى ماهية السيناريو، ولعملية الدراسة التي قادت إلى بنائه ولتركيبة السيناريو.

ويتكون **الجزء الثاني** من أربعة فصول: **الفصل الأول** يعرض الفلسفات والنظريات المركزية التي تؤثر في الشعب اليهودي في القرن الحادي والعشرين يتضمّن موضوعات مثل الهجرة، المهجر/الشتات (البروفيسور غبريئيل شيفر) واتجاهات القرن الحادي والعشرين. **والفصل الثاني** يحلّل المجالات ذات الصلة بإسرائيل والشعب اليهودي، من خلال مقارنتها بمجالات في المخطط الرئيس لإسرائيل في سنوات الألفين. والنطاق الديمغرافي ـ المجالي للشعب اليهودي (البروفيسور سيرجيو ديله بيرغولا) يوازي النطاق المجالي ـ البيئي في المخطط الرئيس. وتمت المقارنة بين مجال القيم اليهودية في الدولة اليهودية (البروفيسور دانيئيل العازار) والبحث عن علاقات جديدة (البروفيسور ستيفن كوهين والبروفيسور تشارلز ليبمان) وبين المجال الاجتماعي في المخطط، بينما تم فحص مجال القدرات الاقتصادية والأخرى في الشعب اليهودي (البروفيسور يهودا دون والبروفيسور كرمل تشيزفيك) بالمقارنة مع النطاق الاقتصادي في المخطط.

وفي ضوء تحليل التناظر بين مكونات المخطط الرئيس والمكونات المتميزة التي تربط بين أجزاء الشعب اليهودي، فقد تم في **الفصل الثالث** عرض النموذج المتعلق بعلاقات إسرائيل ـ المهجر/الشتات على امتداد محور الزمن. ويشتمل نموذج العلاقات المتبادلة بين إسرائيل والشعب اليهودي على نموذج الماضي ونموذج الحاضر ونماذج مستقبلية. وكل هذه الأمور تقود إلى ضرورة تشخيص الخصائص المتميزة لإسرائيل كجزء من الشعب اليهودي، ودلالتها بالنسبة إلى المحافظة على مركزيتها في تصورات مستقبلية مختلفة.

ويعرض **الجزء الثالث** من الدراسة اتجاهات السياسة بالنسبة إلى العلاقات المتبادلة المستقبلية لإسرائيل والشعب اليهودي. كذلك هناك عرض لسياسة شعب يهودي لدولة إسرائيل (البروفيسور يحزقيئيل درور) والتبادلية في العلاقات المتبادلة بين إسرائيل والشتات، المعروضة في النقاش عبر الاتصالات كمشروع نموذج لتطوير علاقات التأثير المتبادل في زمن حقيقي.

ويعرض **الجزء الرابع** من السيناريو وثائق الموقف الكاملة التي وضعها خبراء في الموضوعات المختلفة. وتظهر الوثائق مرتبةً حسب ظهورها في سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي.

الجزء الأول

خلفيـــــة



ماهيـــة سيناريـــو الشعـــب اليهـــودي
أهميتـــه لمخطـط «إسرائيـــل ٢٠٢٠»

إن مدلول سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي يعني إن إسرائيل لا تفُحص فقط كدولة عادية متطورة، تقع في نقطة تلاقي بين ثلاث قارات في الشرق الأوسط، بل إنها تشكل أيضاً مصدر إيحاء وقيمة للشعب اليهودي بمجمله. ولذا فإن لإسرائيل كدولة للشعب اليهودي دوراً مركزياً في علاقاتها مع المهجر/ الشتات اليهودي في العالم.

إن قيماً لجمع الشتات، وإحياء اللغة العبرية، والتكافل المتبادل وخلق مجتمع مثالي التي ميّزت بداية أيام الدولة تحصل على مدلولات جديدة في عالم تمتزج فيه التعددية والفردية في تشكيلات مختلفة.

إن قدرة إسرائيل في سنوات الألفين على وضع تحديات لنفسها ولمهاجر/ لشتات الشعب اليهودي هي خلاصة السيناريو. وان قدرة مخطط «إسرائيل ٢٠٢٠» على أن يدمج إلى جانب الاتجاهات الطبيعية لدولة كبقية الدول، أيضاً عناصر توحد تطلعات الشعب اليهودي، تبرز تميّز هذا المخطط. والحلم لسنوات الألفين إنما يتركز على إيجاد مجتمع عادل يرعى نماذج من التفوق، وفي معالجة المجال المبني، وفي تطوير قطاعات العمالة والمبادرة المستقبلية، وفي تصميم صيانة حياة اجتماعية متنوعة لكل مواطنيها.

هذا، وينبغي على إسرائيل أن تواصل القيام بدور مركزي في علاقاتها مع المهجر/ الشتات اليهودي، وأن تحول نسيج العلاقات المُتكتف بين الشعب بأجزائه المختلفة إلى مصدر للدراسة ولنشر العِلم في العالم. ومشاركة الشعب اليهودي في بناء مجتمع أكثر مساواة ونوعية في إسرائيل، كما وجد الأمر تعبيراً عنه في مشروع ترميم

الأحياء الفقيرة وفي خطة مشاركة ٢٠٠٠، يمكنها أن تتوسع إلى مخططات بحثية وتطوير مناطق مبادرة وشبكات اتصالات متعددة المجالات.

وان المزج بين إسرائيل كدولة متطورة وبين دورها في أن تتحول إلى مركز جذب للشعب اليهودي بأكمله هو جوهر السيناريو.

وهذا السيناريو يسمح بتحديد طبيعة علاقات إسرائيل والشتات في سنوات الألفين، واقتراح سياسة تعزز هذه الروابط المتبادلة.

مسار الدراسة

يعتبر سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي سيناريو رئيساً، في إطار المخطط الرئيس لدولة إسرائيل لسنوات الألفين. وان نقطة الزمن نحو القرن الحادي والعشرين تخلق حاجة لفحص العلاقات بين إسرائيل والشعب اليهودي بأكمله. وإسرائيل كمجتمع بين الأمم تُمثّل كنقطة مفترق مركزي لمهاجر/ شتات الشعب اليهودي في سياقات قيمية وعملية. وان إدخال موضوع علاقات إسرائيل والمهاجر/ الشتات في فكر التخطيط المستقبلي للدولة يعبر عن نقاط انطلاق مبدئية ومتميزة:

ـ **الشعب اليهودي كجزء من المخطط الرئيس** ـ للمرة الأولى يطرح مخطط رئيس لإسرائيل موضوع الشعب اليهودي، بالمفهوم العميق والواسع لنقاط الالتقاء المطلوبة بين إسرائيل والمهاجر/ الشتات.

ـ **العلاقات المتبادلة المستقبلية** ـ التغيرات المتوقعة في العلاقات بين الدول المتقدمة في العالم، على مشارف القرن الحادي والعشرين، والتحولات في الشرق الأوسط وفي دولة إسرائيل مع التقدم في عملية السلام، تنعكس على علاقات إسرائيل والمهاجر/ الشتات، وتؤدي إلى الحاجة لتفكير عميق بخصوص طبيعة هذه العلاقات.

ـ **نظرة إلى مجموع الشعب اليهودي** ـ هذا السيناريو يأخذ في الحسبان الشعب اليهودي بمجمله في حين تعتبر إسرائيل جزءاً من هذا المجموع. وخلافاً للرؤية الثنائية والتي بموجبها توجد إسرائيل على أحد جانبي المتراس، فيما يوجد مهاجر/ شتات الشعب اليهودي على جانبه الآخر، فإن هذا السيناريو يؤكد على تميز إسرائيل، كجزء من المجموعة الواسعة للشعب اليهودي على احتلال أقطار شتاته.

- **تعدد المجالات** - نظرة إلى تشكيلة مجالات تؤثر على، وتتأثر من العلاقات المتبادلة بين أجزاء الشعب اليهودي، مثل الاقتصاد، والقيم والديمغرافيا.

- **القيم - السيناريو** يتعامل مع مسائل قيمية تتصل بأعماق دينية، فلسفية وإنسانية.

- **المهجر/ الشتات وإسرائيل** - السيناريو يتناول وجهتي نظر مختلفتين تتعلقان بإسرائيل وبالمهجر/ الشتات، في سياق محاولة إيجاد قواسم مشتركة تتعلق بمسائل قيمية جوهرية.

- **مزيج من الخبراء** - إن بلورة الفكر وعملية تخطيط السيناريو قد جرت من طريق مزيج من الخبراء في مجالات مختلفة، في أوساط الشعب اليهودي في البلاد وفي المهجر/ الشتات.

وأدّى كل هذه الأمور إلى بناء مسار دراسة غير روتيني مكّن من التطرق إلى المسائل الرئيسة القائمة والمستقبلية في علاقات إسرائيل - المهجر/ الشتات، والتي لها علاقة بالمخطط.

ومن المهم التنويه بأن موضوع إسرائيل، وبحكم صلته بعدد غير محدود من المجالات، التي يشارك فيها أشخاص من مؤسسات مختلفة (الحكومة، الهيئات التطوعية، الأكاديميون، المؤرخون، الفلاسفة ونحو ذلك) هو موضوع واسع لا يوجد في هذا الإطار ادعاء أو اتجاه للإحاطة به بصورة كاملة.

فهدف الدراسة هو الإشارة إلى النقاط الرئيسة المتصلة بمجمل المجالات التي يعالجها المخطط الرئيس لإسرائيل في سنوات الألفين، والتي سيتم تطويرها لاحقاً.

بناء إطار الدراسة

لقد تأثرت تركيبة السيناريو بأربعة مصادر: لقاءات وورشة عمل ساعدت في بلورة الفكر، نقاش عبر الاتصالات، وثائق موقف مرتبطة بمجالات مختلفة، ومخطط «إسرائيل ٢٠٢٠» بمكوناته المختلفة.

شتات
استراتيجية
موضوعات
نقاش عبر الاتصالات السمعية

مخطط إسرائيل ٢٠٢٠ بدائل :
اقتصاد
اجتماع
مجال
سيناريوات
وثائق سياسية
بديل ملحق

تركيبة السيناريو

بلورة الفكرة
ورشة عمل فكري
لقاءات

وثائق موقف :
- ديمغرافيا
- مهجر / شتات
- قيم
- اقتصاد ـ قدرات
- صهيونية



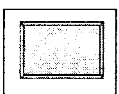
بلورة الفكر

اللقاءات ـ لقد اشتملت عملية بلورة الفكر على لقاءات مع مهنيين من مجالات مختلفة تتعلق بالديانة اليهودية، وبالعلاقات بين الشعب والمهجر/ الشتات، وبالتاريخ، والفلسفة اليهودية، والصهيونية، والثقافة، والأدب، والفن، ورجال

المؤسسات اليهودية. وفي إطار هذه اللقاءات جرى توضيح أفكار تتعلق بماهية سيناريو الشعب اليهودي، وإطار الدراسة، والموضوعات المركزية التي ستبحث في السيناريو.

ورشات التخطيط ـ لقد عقدت أول ورشة تخطيط في إطار لجنة توجيه مخطط «إسرائيل ٢٠٢٠». وقُدّمت في إطارها مقالات أساس بشأن المسائل المركزية، كما جرى عرض إطار الدراسة الشاملة والموضوعات المختارة للتطوير. وفي معرض النقاش أثيرت مسائل مختلفة تتطرق إلى الصهيونية، والهوية اليهودية، وديمغرافيا الشعب اليهودي.

وفي ورشة تخطيط إضافية، جرى تفصيل بنية السيناريو وعُرضَت أوراق العمل الأولية التي تتفحص وجهات نظر مختلفة للعلاقة بين إسرائيل والمهجر/الشتات في القرن المقبل.



نقاش عبر الاتصالات السمعية

لقد كان الهدف من النقاش الجاري بواسطة الاتصالات السمعية إشراك مهنيين وخبراء يهود من مجالات مختلفة في إسرائيل وفي المهجر/الشتات في عملية توضيح المسائل المؤثرة في الرابطة بين الشعب اليهودي في إسرائيل وفي المهجر/الشتات. وذلك من خلال تكريس الاهتمام في الوقت الحاسم لبلورة سيناريو الشعب اليهودي والمضامين المتداخلة فيه.

هذا ويستخدم النقاش السمعي أجهزة الاتصالات السمعية ويعبر عن علاقات متبادلة من نوع جديد. كما يعتمد على إشراك مجموعة متنوعة من الأكاديميين، وممثلي المؤسسات ونحو ذلك في مجال الفكر، واستخدام التكنولوجيا المستقبلية.

إن النقاش القائم على أساس الاتصالات السمعية يجري بطريقة تسمح بالحصول على الإجابات في وقت حاسم، أكان ذلك عن الأسئلة بشأن العلاقات المتبادلة بين المهجر/الشتات وإسرائيل، أو في ما يتعلق بماهية المخطط الرئيس نفسه.

كذلك فإنه يشكل بداية عملية يمكن تطويرها لاحقاً في إطارات مختلفة من أجل التمكين من إيجاد شبكة اتصالات يهودية مكونة من الأكاديميين والخبراء حول مسائل مرتبطة بإسرائيل والشعب اليهودي. ولقد أشرف السيد دوف فاينر على إعداد النقاش المذكور وتنظيمه.

اللقاءات مع المهنيين المختلفين ركزت الموضوعات المركزية التي يتوجب توسيعها وتعميقها. وقد وُضعت أوراق موقف في هذه الموضوعات من جانب خبراء معروفين. واشتملت وثائق الموقف على الموضوعات المبينة أدناه، وشكلت استثمارات أساس لبلورة سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي. كما دُمجت ملخّصات وثائق الموقف في الفصول وفي الموضوعات الملائمة في السيناريو كجزء لا يتجزأ من تركيبة الدراسة وبلورة اتجاهات السياسة. أما الوثائق الكاملة للدراسة فإنها تشكل **الجزء الرابع** من هذه الدراسة.

ـ **استراتيجية وسياسة** ـ البروفيسور يحزقيئيل درور يعرض وثيقة تبحث في سياسة شعب يهودي لدولة إسرائيل.

ـ **المهجر/ الشتات ـ الشعب اليهودي وروابطه مع إسرائيل** ـ البروفيسور غبريئيل شيفر يحلل المهجر/ الشتات العرقي ـ القومي الحديث بعامة، والمهجر/ الشتات اليهودي من خلال التطرق إلى عوامل الخلفية، والعوامل المتداخلة، ونتائج العلاقات بين إسرائيل والمهجر/ الشتات. كذلك هناك تركيز على المعضلات المركزية بما في ذلك مسألة المركزية في مقابل الطرفية في الشعب اليهودي.

ـ **جوانب ديمغرافية ـ نوعية** ـ البروفيسور سيرجيو ديله بيرغولا قام بفحص العمليات الأساس الفاعلة في الشعب اليهودي من جوانب كمية ـ اتجاهات ديمغرافية وتحليل للمعايير الديمغرافية، والجوانب النوعية التي تعبّر عن عوامل اجتماعية ـ اقتصادية، وبدائل ديمغرافية مستقبلية.

ـ **القدرات الاقتصادية** ـ البروفيسور يهودا دون الذي يعرض وجهة نظر إسرائيل، والبروفيسور كرمل تشيزفيك الذي يحلل وجهة نظر يهود الولايات المتحدة. وكلاهما يتطرق إلى موضوعات اقتصادية قائمة في أساس علاقات إسرائيل والمهجر/ الشتات، وللمعايير التي تؤثر فيها، وتحليل التعبيرات في الماضي وفي الحاضر، وتشخيص الاتجاهات المستقبلية.

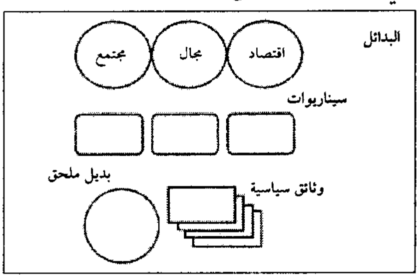
ـ **القيم** ـ البروفيسور دانيئيل العازار، البروفيسور ستيف كوهين والبروفيسور تشارلز ليبمان يركزون على القيم المشتركة للشعب اليهودي ولدولة إسرائيل في الماضي ويومنا الحاضر، ويحللون الاتجاهات نحو المستقبل في المهجر/ الشتات وفي إسرائيل، وفي العلاقات المتبادلة بينهما.

ـ **الصهيونية** ـ ليئه كوهين **تستعرض** معالم بارزة واتجاهات في الصهيونية، في

سياق تحليل بنظرة ذات مفعول رجعي لتاريخ الصهيونية وتغير الاتجاهات لفترة أطول.

ـ **النقاش عبر وسائل الاتصالات السمعية** ـ وثيقة تبين طريقة بناء النقاش، وتشخيص ملامح المشاركين والمسائل المركزية التي أثارها النقاش.

المخطط الرئيس لـ «إسرائيل ٢٠٢٠»



جولات المحادثات مع رؤساء طواقم البدائل: البديل الاقتصادي ـ البروفيسور آرييه شاحار والدكتور دفنه شفارتز، البديل الطبيعي ـ البيئي ـ المهندس المعماري آرييه رحميموف، البديل الاجتماعي ـ البروفيسور نعومي كرمون، ومع رئيس فريق المشروع ـ البروفيسور آدام مازور. وذلك بهدف فحص الموضوعات الرئيسة ذات الصلة بالشعب اليهودي في سياق البدائل المختلفة التي سيكون بالإمكان التطرق إليها بطريقة خاصة في وثائق الموقف وفي السيناريو نفسه.

ولقد اشتملت عملية الدراسة على لقاءات وورشات تخطيط، ولقاءات مع شخصيات رئيسة في مخطط «إسرائيل ٢٠٢٠»، ونقاش عبر الاتصالات السمعية ووثائق موقف. وكل ذلك مرفقاً بعملية دراسة وإعادة تغذية تفسح في المجال لبلورة بنية السيناريو.

مبنى السيناريو

لسيناريو الشعب اليهودي **ثلاثة أجزاء** رئيسة مرتبطة ببعضها البعض، مُطق تعاطي مشتقة من تركيبة بدائل مخطط «إسرائيل ٢٠٢٠»، ونموذج لعلاقات إسرائيل والمهجر/الشتات، والخصائص الخاصة التي تميز إسرائيل كدولة الشعب اليهودي.

ولقد فحصت هذه العناصر الثلاثة أيضاً بالنسبة إلى الفلسفات والنظريات العالمية الشاملة التي تعالج اتجاهات الهجرة العالمية ومجموعات شتات مختلفة في العالم، واتجاهات التغيير في القرن الحادي والعشرين.

ويقود السيناريو إلى بلورة اتجاهات السياسة. ويعبر الرسم البياني اللاحق عن الروابط بين أجزاء السيناريو.

ويبين **الفصل الأول** في السيناريو فلسفات ونظريات عالمية. الشعب اليهودي موجود في منظومة عالمية شاملة تتأثر بعمليات في مجالات مختلفة. وتم تشخيص ثلاثة مجالات كمجالات مركزية وذات صلة بهذا المستوى مخطط «إسرائيل ٢٠٢٠» ولسيناريو الشعب اليهودي. والهجرة ـ هي ظاهرة عالمية عامة قائمة على امتداد التاريخ الذي أوجد الخارطة العالمية الحالية للشعوب والثقافات والحروب. وهذه الظاهرة ترافق الشعب اليهودي على امتداد تاريخه كله، وتوزعه بين الشعوب ونشوء إسرائيل كدولة، هو جزء من تلك الظاهرة. والنظريات التي تبحث موضوع الهجرة تشخص العوامل والمسببات التي تؤثر في الهجرة وفي اتجاهات الهجرة في القرن المقبل، وتفسح في المجال لوجهة نظر واسعة حول احتمالية الهجرة المستقبلية في الشعب اليهودي، وبخاصة عندما يكون أحد الأهداف المركزية لإسرائيل هو تعزيز الهجرة إليها.

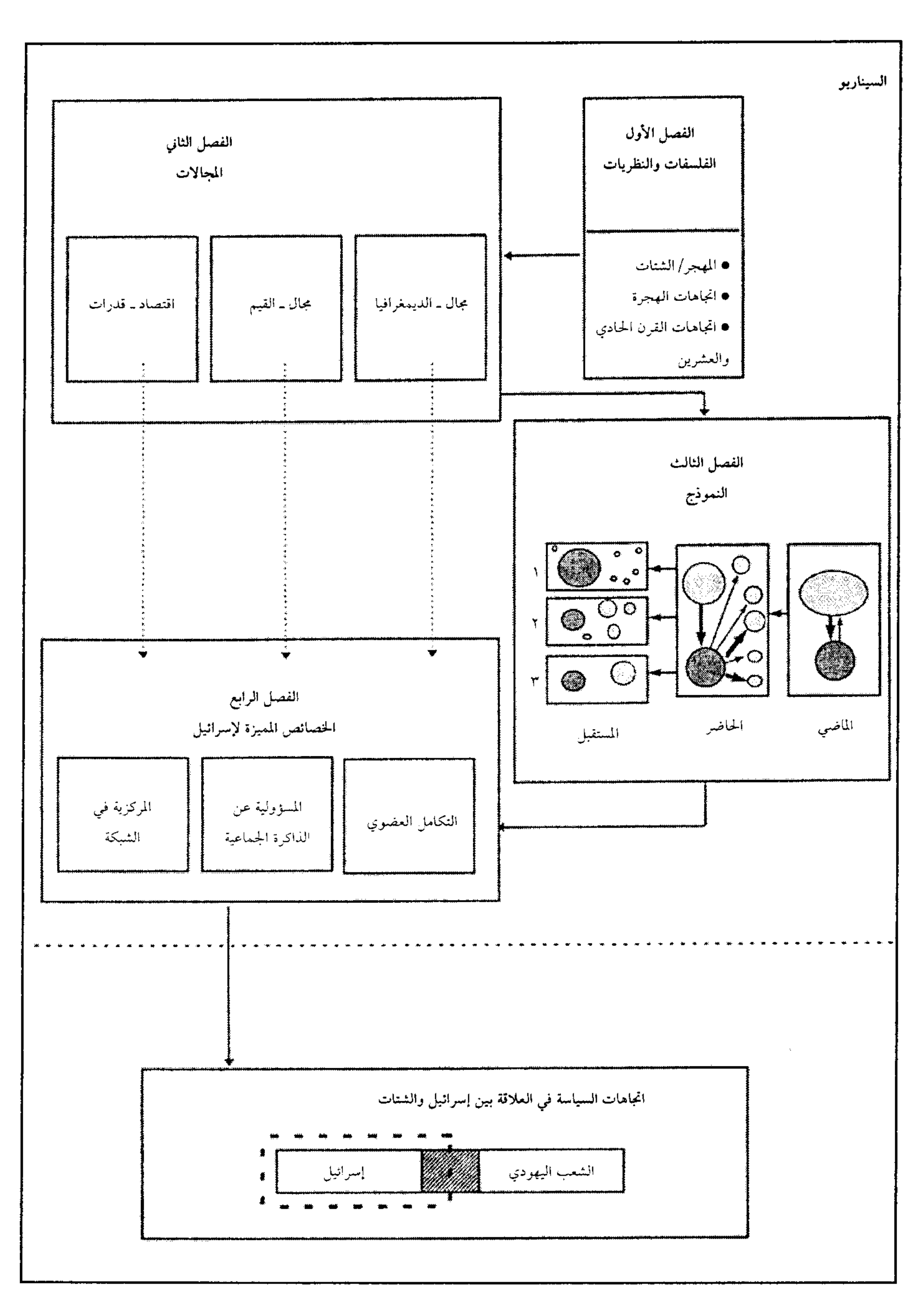
إن ظاهرة المهجر/ الشتات هي ظاهرة عالمية عامة، هي في الواقع نتاج للهجرة. وكانت هجرة الشعوب على مر التاريخ قد أوجدت مهاجر/ شتاتاً من شعوب مختلفة في أرجاء العالم. ويحلل بروفيسور غبريئيل شيفر أسباب نشوء المهاجر/ الشتات وخصائصه، بما في ذلك تشخيص المهجر/ الشتات اليهودي في الإطار العام للمهجر/ الشتات. وهذه المقاربة تفسح في المجال لرؤية معمقة لعمليات واتجاهات وتركز المعضلات الأساس في هذا السياق.

مخطط بياني لتركيبة السيناريو

اتجاهات القرن الحادي والعشرين ـ لقد درس باحثون وفلاسفة كثيرون مسألة الاتجاهات للقرن الحادي والعشرين في المجالات المختلفة. والوقوف على اتجاهات المستقبل يسمح بالمبادرة والتطوير والتقييم على كافة المستويات، بدءاً بمستوى الدولة وانتهاء بمستوى الفرد. وسيركز هذا الفصل على اتجاهات شاملة متوقعة للقرن الحادي والعشرين تبدو ذات تأثير، وذات صلة بالشعب اليهودي وإسرائيل وبالعلاقات المتبادلة المستقبلية بينهما.

والفصل الثاني يتطرق إلى المجالات. وانّ سيناريو الشعب اليهودي في محاولته لخلق اتصال مع البدائل التي طورت في خلال مسار الدراسة المتعلقة بمخطط «إسرائيل ٢٠٢٠» أوجد مفاهيم جديدة لمصطلحات المجال والمجتمع والاقتصاد.

إن الأفكار التي فحصت في البديل المجالي تجد تعبيراً عنها في الانتشار المجالي



للشعب اليهودي وشتاته في العالم. وقد قام البروفيسور سيرجيو ديله بيرغولا بتحليل عمليات الماضي واتجاهات نمو الشعب اليهودي في الأجيال الأخيرة، وبوضع توقعات لاستمرار وجوده وفقاً لمعايير مختلفة اجتماعية ـ اقتصادية.

ومن خلال الأفكار التي فحصت في البديل الاجتماعي جرت عملية مسح للقيم المشتركة لشتات الشعب اليهودي. وعُرضت هذه القيم من جانب البروفيسور دانيئيل العازار الذي شحذ وجهة نظر إسرائيل على صعيد القيم العالمية واليهودية، كما عُرضت في مقالة كتبها البروفيسور ستيف كوهين والبروفيسور تشارلز ليبمان، وتضمنت التركيز على وجهة نظر يهود الولايات المتحدة الذين يمثلون أكبر مهجر/ شتات يهودي خارج إسرائيل.

والأفكار التي فُحصت في البديل الاقتصادي حصلت على تعبير في مصطلح أطلقنا عليه اسم القدرات. والقصد من ذلك هو توسيع الروابط المتبادلة بين إسرائيل والشتات، بحيث تتجاوز المفاهيم الاقتصادية المألوفة، ولتشمل أيضاً القدرات السياسية، وقدرات ترتبط بامتلاك المهن وما إلى ذلك. ولقد جرى هنا أيضاً عرض وجهتي نظر: فوجهة نظر القدرة الاقتصادية الإسرائيلية بالنسبة إلى المهجر/ الشتات فُحصت من جانب البروفيسور يهودا دون. أما وجهة نظر المهجر/ الشتات اليهودي الكبير في الولايات المتحدة فتم تحليلها من جانب البروفيسور كرمل تشيزفيك.

ويعرض **الفصل الثالث** نموذجاً للعلاقات بين إسرائيل والمهجر/ الشتات. والنموذج الخاص بالعلاقات بين أجزاء الشعب اليهودي هو في الواقع مجموعة نماذج مختلفة. نموذج الماضي ونموذج الحاضر وتصورات لنماذج مستقبلية محتملة. وهذا الفصل يشمل تحليلاً للصهيونية في الماضي واتجاهات تغيرها للمستقبل قدمته الباحثة ليئة كوهين.

ويشتمل **الفصل الرابع** على الخصائص المميزة لإسرائيل. وتم في هذا الفصل تشخيص الخصائص المميزة لإسرائيل كدولة الشعب اليهودي، والتي تمكنها من تعزيز مكانتها هذه. والخصائص المميزة لإسرائيل ترتبط أيضاً بالمجالات التي تم تحليلها في الفصل الثالث.

وفي المجال الديمغرافي ـ المجالي تعتبر إسرائيل متميزة بكونها الوحدة العضوية المتكاملة والوحيدة في الشعب اليهودي. وفي مجال القيم تعتبر دولة إسرائيل متميزة بمسؤوليتها عن الذاكرة الجماعية للشعب اليهودي. وفي مجال الاقتصاد والقدرات ينبع تميز دولة إسرائيل من قدرتها على خلق مركزة في الشبكة التي تربط بين مهاجر/ شتات الشعب اليهودي. والمجالات التي عُرفت فيها إسرائيل كذات خصائص مميزة، تشكل عملياً تفوقاتها النسبية. وتعزيز خصائصها المميزة كجزء من سياسة شاملة، والخطط المُحددة التي ستحصل على تعبير في المخطط الرئيس لإسرائيل في سنوات الألفين، **سوف تمكنها** من إحراز أهدافها استعداداً للقرن المقبل، أكان ذلك على

صعيد الشعب اليهودي بشكل خاص، أو لتحقيق أهداف إسرائيل الشاملة في المجالات المختلفة للمخطط الرئيس.

ويبين **الجزء الثالث** من الوثيقة اتجاهات السياسة للشعب اليهودي ولإسرائيل. وتتطرق اتجاهات السياسة إلى الشعب اليهودي كمجموعة متكاملة. وتقوم في داخله وجهتا نظر رئيستان: وجهة نظر إسرائيل ووجهة نظر المهجر/ الشتات، وتركز الوثيقة على اتجاهات السياسة من وجهة نظر إسرائيل والعلاقة مع المهجر/ الشتات من وجهة النظر هذه.

هذا، وبالإمكان ترجمة اتجاهات السياسة هذه إلى مخططات في المجالات المختلفة من جانب دولة إسرائيل ومؤسساتها، كما أنها تسمح بتعزيز علاقات الشعب اليهودي وإسرائيل في القرون المقبلة. وينبغي أن تكون اتجاهات السياسة مستوعبة وموسعة ومقسمة إلى وثائق سياسية محددة لدوائر الحكومة المختلفة المؤتمنة، عملياً ونظرياً، على التقدم في مختلف المجالات في إسرائيل.



الجزء الثاني

السيناريـــو



الفصل الأول

الفلسفـــات والنظريـــات

مدخـــل

الشعب اليهودي هو جزء من المنظومة العالمية الشاملة، ويتأثر سلوكه بعمليات واتجاهات عالمية.

وهناك ثلاثة مجالات تعتبر ذات صلة وذات تأثير مركزي في أنماط السلوك المستقبلية للشعب اليهودي وعلاقاته مع إسرائيل في ما يتعلق بالمخطط الرئيس لإسرائيل لسنوات الألفين ـ ا«إسرائيل ٢٠٢٠»:

الهجرة.

المهجر/ الشتات.

اتجاهات مستقبلية للقرن الحادي والعشرين.

الهجـرة

ظاهرة الهجرة هي ظاهرة مركزية في التاريخ، وتؤثر في الأداء الحالي للمجتمع الحديث. وكان للهجرات الدولية دور هام على نطاق واسع في بلورة ورسم الخارطة الثقافية العالمية. كذلك فظاهرة الهجرة هي العامل الأساس في نشوء المهجر/ الشتات. ولقد نشأ المهجر/ الشتات اليهودي عقب موجات من الهجرة على امتداد آلاف السنين.

ويعالج الفصل الذي يبحث في نظريات الهجرة معايير وعوامل الهجرة وتحليل الهجرة في المنظور التاريخي والمستقبلي. وهذه المعايير ذات تأثير في الشعب اليهودي في السياق العالمي وفي العلاقة بين المهجر/ الشتات وإسرائيل. ويصبح موضوع

الهجرة أكثر أهمية لكون إسرائيل دولة هجرة، كان أحد أهدافها المركزية ـ وسيكون في المستقبل أيضاً ـ اجتذاب الهجرة من أوساط الشعب اليهودي في الشتات.

المهجر/ الشتات

ظاهرة المهجر/ الشتات العامة في العالم تشمل نحو ثلاثمائة مليون إنسان. وتتشكل أماكن الشتات هذه في عملية متواصلة على امتداد التاريخ كله حتى اليوم. والمهجر/ الشتات اليهودي هو واحد منها. وتحليل السمات المميزة وعمليات المهجر/ الشتات بشكل عام، والمهاجر/ المهجر/ الشتات اليهودي بشكل خاص، يفسح في المجال لفحص الشعب اليهودي، شتاته، والرابطة بين إسرائيل والمهجر/ الشتات برؤية شاملة، استعادية ومستقبلية.

ولقد قام البروفيسور غبريئيل شيفر الأستاذ في الجامعة العبرية في القدس بتحليل هذا المجال.

وفي إطار هذا الفصل عُرضت السمات المميزة للشتات العرقي ـ القومي، وفئات المهجر/ الشتات، والشبكات الدولية، وعلاقات المهجر/ الشتات بالأقطار الأم بصفة عامة وبالأخص المهجر/ الشتات اليهودي وعلاقات إسرائيل به.

اتجاهات عالمية للقرن الحادي والعشرين

إن الاتجاهات العالمية المستقبلية ذات تأثير مركزي في كل نقاش حول بلورة ورسم صورة إسرائيل لسنوات الألفين، وتحظى هذه الاتجاهات بأهمية مشددة بالنسبة إلى العالم اليهودي الذي يعيش قسم كبير منه في الأقطار المتطورة بشكل أساس وهو عرضة لتأثيراتها بصورة جوهرية وهو جزء منها.

ويعالج هذا الفصل ثلاثة مجالات: الهجرة والمهجر/ الشتات واتجاهات القرن الحادي والعشرين، من خلال التركيز على صلتها بموضوع الشعب اليهودي ومخطط «إسرائيل ٢٠٢٠».

١-١ الهجرة

ظاهرة الهجرة مطبوعة في أعماق التاريخ وفي الأداء الحالي للمجتمع الحديث. وعلى نطاق واسع لعبت الهجرات الدولية دوراً هاماً في رسم الخارطة الثقافية العالمية، كما أنها في الأساس العميق للغاية لمجتمعات مثل الولايات المتحدة وكندا واستراليا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا.

ومنذ عام ١٨٠٠ وحتى عام ١٩٥٠ اجتاز المحيط (٦٧) مليون إنسان، منهم (٦٠) مليون أوروبي، ودخل ثلثاهما إلى الولايات المتحدة. وعدد الايرلنديين الذين يعيشون خارج ايرلنده يفوق عدد الايرلنديين الذين يعيشون داخلها، حيث هاجر (٧,٧) مليون إلى داخل أوروبا كنتيجة للحرب العالمية الأولى، كما انتقل (٢٥) مليوناً جراء الحرب العالمية الثانية.

واتسم الشعب اليهودي على امتداد تاريخه بالهجرة التي أنشأت المهجر/ الشتات، كما أنشأت دولة إسرائيل في وقت لاحق. وفي هذا الإطار سيجري فحص الصلة الموضوعية لعوامل واتجاهات الهجرة للشعب اليهودي ولدولة إسرائيل وللشتات.

نظريات الهجرة

لقد جرى تطوير نظريات ونماذج الهجرة لفحص ما إذا كان هناك مدلول ونموذج جغرافي للهجرة، وهل هناك قوانين ونظريات تسيطر على حركة المهاجرين، وما هي السمات المميزة للمهاجرين، وما هي أسباب ونتائج حركات الفرد. وتتركز معظم التحليلات والأبحاث على السمات المميزة للمهاجرين، مثل السّن والهجرة، المسافة والهجرة، الثقافة والهجرة، كما يتطرق بعضها إلى زخم الهجرة ومجمل قضاياها[١].

هذا وتم تحديد ملامح الهجرة وفقاً لمعايير مختلفة:

- نطاق الهجرة من الماكرو (SSAM) إلى الميكرو ـ الفرد.

- تحديد ملامح الهجرة بمفاهيم المسافة (قصير/ طويل)، والزمن (مؤقتة/ ثابتة) الحدود التي يجري اجتيازها (نعم/ لا)، المناطق (في الداخل، بين المدن، من المدينة/ إلى الريف).

- العوامل المحفزة للهجرة تشمل أسباباً سياسية (هجرة حرة/ قسرية) أو أخرى (اقتصادية/ غير اقتصادية).

- التركيبة الاجتماعية التي تتعلق بالسمات المميزة للمهاجرين (العائلة/ المكانة/ الثقافة ونحو ذلك).

وكان رفينشتاين (Ravenstein) أول من صاغ قوانين الهجرة التي بمعظمها لا

---

(١) Philip E. Ogden, *Migration and Geographical Change*, Cambridge Topics in Geography. Second Series (Cambridge; New York: Cambridge University Press, 1984).

تزال سارية المفعول حتى اليوم. والقوانين الأحد عشر التي صاغها والتي تدعى قوانين رفينشتاين (١٨٨٠) تتطرق إلى السمات المميزة للهجرة ـ القدرة، والمسافة والاتجاه. والسبب الرئيس في الهجرة هو سبب اقتصادي. ومعظم المهاجرين أشخاص بالغون، والاتجاه الرئيس للهجرة هو إلى مراكز التجارة والصناعة الكبيرة. وفي العام (١٩٦٦) قام لي (Lee) بصقل هذه القوانين وشخّص أربعة عوامل تؤثر في القرار بالهجرة[٢]- عوامل مرتبطة بمكان المصدر، عوامل مرتبطة بمكان المقصد ـ وبين هذين الأمرين فارق، حيث إن تلك الموجودة في بلد الأصل تعتبر معروفة، بينما تلك الموجودة في مكان المقصد ـ فالمعلومات بشأنها غير معروفة وتستند إلى معرفة ومعلومات من مصدر ثانوي، كما أن هناك عوائق متداخلة تقف في وجهها مثل: المسافة، ووسائل المواصلات، وقوانين الهجرة، وحصص (كوتا) المهاجرين، أو «كوتا» مادية، وعوامل شخصية تخفف من تأثيرات العوامل آنفة الذكر. ويمكن تشخيص هذه العوامل بأنها ذات تأثيرات إيجابية، وذات تأثيرات سلبية، وذات تأثيرات محايدة. ووفقاً لذلك يشير(Lee) إلى سلسلة فرضيات علمية تتطرق إلى العوامل المختلفة المتعلقة بزخم الهجرة، وتيارها، والتيار المضاد، والسمات المميزة للمهاجرين.

وهناك وجهة نظر أوسع معروضة في نظرية شاملة للهجرة (Mobility Transition) تم تطويرها من جانب زيلنسكي[٣] (Wilbour Zelinsky)، وبموجبها يوجد نظام ذو نموذج محدد في نمو الهجرة في ما يتعلق بالزمن ـ المجال. وكان هذا النظام في خلال التاريخ الأخير يشمل عنصراً ضرورياً من عملية التحديث. وبموجب النظرية هناك خمسة أطوار تتعلق بمستوى المجتمع على امتداد المحور، وفي هذه الأطوار هناك تباين وفقاً لفئات الهجرة الدولية، في اتجاه الحدود، قروي، مديني، وحضري ودائري.

العوامل المؤثرة في الهجرة

ثلاثة أنواع من العوامل تؤثر في الهجرة: اقتصادية، واجتماعية، وفردية ـ سلوك الفرد.

الهجرة والعامل الاقتصادي

العامل الاقتصادي ذو أهمية مركزية. وإن بقية الحوافز مجتمعة لا يمكن مساواتها مع الرغبة الكامنة لدى معظم الناس في تحسين أوضاعهم على الصعيد المادي.

---

(٢) E. S. Lee, «The Theory of Migration,» *Demography*, vol. 3 (1966), pp. 47-55.

(٣) Ogden, Ibid.

وهناك عدد من المقاربات:

الهجرة كجزء من تطوير النظام الاقتصادي الغربي ـ حيث تعتبر الهجرة جزءاً من تطور الرأسمالية بالنطاق الأوسع لهذا المفهوم، وتشكل أحد أوجه التقسيمات القائمة بين المناطق المتروبولينية والمستعمرات، بين المدينة والقرية، وبين النواة والمناطق النائية. وهناك ترابط بين الأصل والمقصد في الدائرة الاقتصادية، فالمدينة نمت وتوسعت عن طريق استيراد الطاقة البشرية من المناطق النائية، كما أن هناك أقطاراً ومناطق نواة تستخدم مواد خاماً وطاقة بشرية من مناطق غير متطورة أو من المستعمرات.

والهجرة بمفاهيم التكلفة ـ الفائدة هي مقاربة مختلفة تقيس التيارات بالنسبة إلى عوامل مثل الرواتب وفرص العمل وانعدام المساواة المناطقي. وهذه تخلق تيارات هجرة من نوع (pull-push). ويرد المهاجرون المحتملون على الفروقات في مستويات الدخل الحقيقية عن طريق تقليص التكلفات المرتبطة بالهجرة.

وهم يهاجرون من خلال هدف هو زيادة الأرباح الاقتصادية إلى الحد الأقصى، كما أنهم يفعلون ذلك طالما بقيت الأرباح جوهرية بصورة كافية. وأنواع عمالات مختلفة تؤثر بطريقة مختلفة في عدم الاستقرار، وذلك كالمزارعين على سبيل المثال.

الهجرة والعوامل الاجتماعية

هناك عوامل مرتبطة بصفة محددة مع نماذج اجتماعية وتتطرق إلى أسباب وتأثيرات حركة الهجرة. ومن بينها حالات متطرفة من القمع الاجتماعي، إلى جانب عوامل مرتبطة مع طبيعة المجتمع ككل متكامل ومع سمات الأفراد في داخله التي تبلور وترسم تيارات الهجرة. فمتغيرات مثل التعليم والسكن يمكنها أن تؤثر في قدرة العائلة على الهجرة. والتعليم بحد ذاته يؤثر في التقدم الاجتماعي والوظيفي للفرد، وعلى مدى استعداده للتحرك. وهناك مراحل مختلفة في دورة الحياة تؤثر في نموذج السن والجنس الخاص بالمهاجرين. كما أن السمات الاثنية والاثنية، واللغة والدين تؤثر كلها في نموذج استيطان المهاجرين.

كذلك فإن الانتقائية التي تمارس بها هذه السمات المميزة تؤثر في عمر وجنس المهاجرين، ويمكنها أن تكون وبشكل جوهري مصدر خير للسكان المضيفين أو الإثقال عليهم.

الهجرة وتصرف الفرد

توجد أهمية للفرد وللطريقة التي يقرر الهجرة بها. وتتكون المجموعات من أفراد يوجد لكل واحد منهم نظرة معينة، وعلاقة ومقاربة إزاء تجاه العالم المحيط به، يقودانه إلى سلوك معين.

وكما أن مجموعة مماثلة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية تقود أشخاصاً مختلفين إلى سلوك مختلف. والقرار بالانتقال قرار صعب ويرتبط بكسر الإطار العائلي، والروابط الاجتماعية وبأكلاف اقتصادية ومادية. ورأى وولبرت[٤] أن القرار عقلانيّ حتى حدّ معين فقط، ويتأثر بأجواء اقتصادية واجتماعية ومادية.

وجدوى المكان (Place Utility) أي المستوى الذي يكون الفرد فيه راضياً أو غير راضٍ في المكان هو ذو تأثير في القرار بالهجرة. وعلى وجه العموم وبسبب المعرفة بمكان المنشأ، هناك اطمئنان إليه، مقارنة ببلد المقصد الذي توجد شكوك حوله.

إن المعلومات التي يملكها الفرد بشأن العالم الذي يحيط به تكون حاسمة لفهم السلوك. والطريقة التي يجمع فيها الفرد المعلومات تتوقف على حجم ومحتوى «حقل معلوماته». وغالباً ما تكون هناك علاقة طردية مع المسافة، بحيث كلما كانت المسافة أقرب، كان حقل المعلومات أكبر. وترتبط كمية المعلومات بقوة ارتباطات الفرد بمنطقة إقامته الحالية وكذلك بالمنطقة التي يقصدها. وفي فكرة الهجرة المتتابعة ـ فالمعلومات تصل إلى بلد المنشأ من المهاجرين الأوائل، الأمر الذي يجر وراءه حركة هجرة أخرى. وينبغي أن نذكر أن المعلومات التي تصل تكون مغرضة وتقوم في جزء منها على كيفية فهمها من قبل أشخاص معينين.

وبالنسبة إلى موضوع المعلومات ـ فالمسافة شهدت تغييرات جوهرية في الأعوام الأخيرة، والاتجاه الآن نحو تغييرات بعيدة المدى بصورة أكبر في المستقبل. والتدفق الحر للمعلومات الذي سوف يتصاعد في المستقبل سيمكّن من نقل معلومات في زمن حقيقي، ليس كنتاج للمسافة بل كنتاج للتطور.

الهجرة في منظور تاريخي ومستقبلي ـ اتجاهات

الهجرة هي إحدى النتائج المركزية لزيادة السكان وللهوة المتزايدة بين البشر والموارد. وهذه الهوة تتغير بين مناطق مختلفة، والفارق بين المناطق يجذب السكان

---

(٤) Julian Wolpert, «Behavioral Aspects of the Decision to Migrate,» *Papers/Regional Science Association*, vol. 15 (1966), pp. 159-169.

للانتقال من منطقة إلى أخرى. وبول كينيدي في كتابه **نحو القرن الواحد والعشرين**(٥) يحلّل من نظرة تاريخية الاتجاهات المستقبلية.

المنظور التاريخي

إن أول من أدرك مخاطر زيادة السكان إزاء الهوة بين عدد بني البشر وكمية الموارد كان مالثوس في بريطانيا. ففي العام ١٧٩٨، وضع أفكاره على الورق في الدراسة التي أشهرته في أرجاء العالم المقولة الأساس والتي ادعى فيها «إن قوة السكان أكبر بما لا يقاس من قدرة الأرض على توفير معيشة الإنسان». وتنبأ مالثوس أن الزيادة المتوقعة للسكان ستزيد الهوة بين احتياجات السكان للغذاء وستكون النتيجة زيادة في الجوع وفي الفقر، وموت جماعي نتيجة للأوبئة والجوع والأمراض وشرخ في النسيج الاجتماعي. ومع ذلك فإن النبوءة الشهيرة والمتشائمة لمالثوس لم تتحقق، حيث أسهمت ثلاثة تطورات في إنقاذ الشعب البريطاني من توقعات مالثوس المتشائمة:

ـ الهجرة ـ حيث غادرت جماهير كبيرة الجزر البريطانية. وفي تلك الفترة فإن السلطات، سواء في بريطانيا أو في بلدان المقصد، لم تقم بمنع هذه الهجرة.

ـ الثورة الزراعية ـ تحسينات في المحصول الزراعي في بريطانيا.

ـ الثورة الصناعية التي أدت إلى زيادة في إنتاجية الإنتاج والتي سبقت الزيادة في عدد السكان.

هذا، ولقد جرى تعزيز هذه الأمور من طريق التحسين في المواصلات والإمكانية التقنية للهجرة بأمن نسبي، ولنقل الإنتاج الزراعي والموارد من مكان إلى آخر.

ولقد وجدت «قوة السكان» ردّها ليس بالذات في «قدرة الأرض» بحد ذاتها وإنما في «قوة التكنولوجيا» ـ قدرة روح الإنسان على إيجاد طرق جديدة لصنع الأمور، واختراع الآلات الجديدة، وتنظيم الإنتاج بطرق محسنة، ونقل الأفكار من مكان لآخر، وإيجاد مقاربات جديدة للمشاكل القديمة.

وهناك حل آخر لمشكلة فائض السكان تمثل في الغليان الداخلي الذي نجمت عنه عدوانية تجاه الخارج ـ نزاعات عنيفة وحروب شكلت صمام أمان لفائض السكان وللتوترات الاجتماعية والإحباطات السياسية.

---

(٥) بول كينيدي، **نحو القرن الواحد والعشرين** ([د. م.]: مكتبة معاريف، ١٩٩٣).

ومع ذلك لا يمكن القول بأن الدول جميعها تخلصت من زيادة السكان بهذه الطريقة.

وفي القرن العشرين اشتمل العالم النامي على أقطار آسيا الشرقية مثل سنغافورة وتايوان وكوريا الجنوبية التي واجهت مشكلة زيادة السكان عن طريق تخفيض الإنتاجية والتصنيع.

إن الدول التي واجهت في الماضي وفي الحاضر زيادة السكان تميزت بكونها دولاً تجارية مثل فينيسيا وهولندا وبريطانيا واليابان وسنغافورة وتايوان ودول صغيرة نسبياً تقع في موقع جغرافي مريح، وتتميز ببراعة ومهارة سكانها وبالانفتاح على الأزياء والأساليب المستوردة.

اتجاهات مستقبلية

القضايا التي طرحها مالثوس والمرتبطة ببعضها البعض، والمتعلقة بفائض السكان، والضغط على الأرض، والهجرة وعدم الاستقرار الاجتماعي، من جهة، في مقابل قدرة التكنولوجيا على زيادة الإنتاج والتسبب في انهيار الأشغال التقليدية، تنتصب أمامنا اليوم بصورة أشد. وعلى عتبة القرن الحادي والعشرين فإن الاختبار الكبير للمجتمع الإنساني هو كيفية استغلال «قوة التكنولوجيا» للمواجهة التي تفرضها «قوة السكان» ـ أي كيفية إيجاد حلول عالمية شاملة تخلّص الأرباع الثلاثة الفقيرة للإنسانية من الأشراك المالثوسية (Malthus) الآخذة بالتصاعد، والمتمثلة بسوء التغذية، والجوع، وتضاؤل الموارد، وانعدام الهدوء الاجتماعي، والهجرة القسرية، والنزاعات العنيفة. ومن شأن هذه التطورات مستقبلاً تعريض الأمم الغنية للغاية للمخاطر.

وهذه القضايا تزداد حدّة بسبب الفصل الجغرافي بين مراكز ضغط السكان وبين مراكز الموارد التكنولوجية. في بريطانيا القرن الثامن عشر حدث الانفجار السكاني والانفجار التكنولوجي في داخل تلك البلاد نفسها، وتفاعلا بطرق خلقت فوائد. فازدياد عدد السكان عاظم الطلب على الغذاء وشجّع الاستثمارات في الزراعة، كما أن التصنيع زاد من الشراء الوطني وأدى إلى توسيع الطلب على منتجات النسيج. واستجابت قوة التغيير للتحديات التي صرحتها القوة الأخرى. وفي عالمنا اليوم لا وجود لعامل القرب الجغرافي. كما أن الانفجار التكنولوجي يحصل في أقطار متقدمة من الناحية الاقتصادية، حيث نسبة الزيادة السكانية آخذة بالتقلص فيها إلى درجة منخفضة جداً. أما الانفجار الديمغرافي فيحصل في أقطار ذات موارد تكنولوجية

محدودة. كذلك فإن الموارد الزراعية المحلية في الدول النامية آخذة بالتقلص نتيجة ضغط السكان، في حين وجود حاجة لزيادة الإنتاج الزراعي.

في العام ١٩٩٠ بلغ عدد سكان العالم ٥,٣ مليار نسمة. أما متوسط نسبة الزيادة السنوية للسكان في الأعوام ١٩٩٠ ـ ١٩٩٥ فبلغ ١,٧ بالمئة (أوروبا ٠,٢٢ بالمئة سنوياً، مقابل أفريقيا ٣ بالمئة سنوياً) ونسبة الزيادة الرئيسة ـ ٩٥ بالمئة هي في الأقطار النامية التي تتميز بكونها زراعية وذات معدل ولادة مرتفع، إذ ان تبني أساليب طبية غربية يؤدي إلى انخفاض في معدلات الوفيات بعامة، ووفيات الأطفال بخاصة.

واستناداً إلى توقعات مختلفة تتعلق بالسكان في العام ٢١٠٠ سوف يتراوح عدد سكان العالم بين (٧,٦) مليار وبين (١٠-١١) مليار نسمة، أي زيادة ٥٠-١٠٠ بالمئة. كما أن نسبة الزيادة المرتفعة ستخلق هجرة (Push) قسرية من الدول النامية حيث ٩٥ بالمئة من الزيادة السكانية وهجرة جاذبة (Pull) في الأقطار المتطورة، حيث النمو السكاني سلبي أو يقارب الصفر. وستجد تلك الهجرة تعبيراً عنها في ما يلي:

الهجرة الداخلية: الانتقال إلى المدن ـ من (٣٢ بالمئة) أقاموا في المدن عام ١٩٨٥ إلى (٤٠ بالمئة) في العام ٢٠٠٠ والى (٥٧ بالمئة) في العام ٢٠٢٥. كما سينشأ عشرون مدينة كبيرة يزيد عدد سكانها عن (١١) مليون نسمة، منها (١٧) مدينة في الأقطار النامية. وسينشأ تغيير في المفاهيم الاجتماعية والثقافية: من حياة في المدن بصفتها مراكز للثراء والنشاط الإبداعي الثقافي إلى حياة في المدن بصفتها مراكز للفقر.

تصعيد الصراعات والنزاعات الإقليمية ـ كجزء من الرغبة في السيطرة على الموارد.

الهجرة الدولية: تميزت في الماضي بالهجرة من أقطار ذات تكنولوجيا متقدمة إلى أقطار ذات تكنولوجيا متدنية (باستثناء الولايات المتحدة التي سبقت في القرن التاسع عشر أقطاراً أوروبية مثل إيرلندا وإيطاليا وبولندا). وستتسم الهجرة في المستقبل بهجرة من أقطار أقل تطوراً إلى أقطار أكثر تطوراً.

إن تضافر اتجاهات زيادة السكان واتجاهات الهجرة يبدو مكتملاً، إلا أن النظرة السلبية في الأقطار المتطورة نحو المهاجرين الغرباء (من الأقطار النامية) والسلبية (بقوة أقل فعلاً) لغير الغرباء (من الأقطار المتطورة) سوف تضع العراقيل أمام الهجرة، ومع ذلك فإنه لا يوجد إمكان لمنعها رغم الجهود التي ستوظف في ذلك.

هذا ويشير بول كينيدي إلى تصورين محتملين لزيادة السكان:

الأول: هو أن يتحول العالم النامي إلى شرك من الفقر تكون نتيجته هجرة

وحصاراً على الأقطار المتطورة التي سوف تضطر إلى مواجهة مشاكل استيعاب الهجرة.

الثاني: هو أن تزيد الأقطار النامية من إنتاجها ومستوى معيشتها. وسيكون التأثير في العالم المتطور عن طريق تقليص دور الأقطار المتطورة في الناتج الاقتصادي، وفي القدرة العالمية وفي التأثير السياسي. وستكون نتيجتها وضع علامة استفهام بشأن مكانة الصدارة للقيم الغربية ـ مثل قيم الثقافة الاجتماعية الليبرالية، وحقوق الإنسان، والتسامح الديني، والديمقراطية وقوى السوق.

الهجرة والشعب اليهودي ـ الماضي والمستقبل

ظاهرة الهجرة التي ترافق الشعب اليهودي على امتداد تاريخه تميزت بكونها هجرة قسرية (Push) حروب واحتلال من جانب شعوب غريبة، وقمع من جانب الشعوب في الأقطار التي هاجر إليها.

وفي مطلع القرن الحالي أقام غالبية اليهود في أقطار مضيفة. ومنذ بداية هذا القرن تتميز الهجرة أيضاً بكونها هجرة قسرية (Push) تعود في أساسها إلى الاضطهاد وإلى انعدام الرضى عن وضعهم في الأقطار التي أقاموا فيها. وبين الأعوام ١٨٨٠ و١٩٩٤ هاجر نحو (٧,٥) مليون يهودي. ولتركيبة الهجرة ثلاث سمات مميزة ـ مستوى عال من الترحال، وموجات هجرة بوتائر زمنية من خمسة إلى عشرة أعوام، وتكرار موجات هجرة رئيسة في فترات زمنية تمتد على بضع عشرات من السنين، وتعبر عن تغيير استراتيجي في منظومة القوى الجيو ـ سياسية العامة. كذلك تتسم الهجرة برابطة عكسية بين الوضع الاقتصادي والجيو ـ سياسي والثقافي لدولة ما وبين نطاق الهجرة الخارجة منها. كذلك فإن تواتر الهجرة على علاقة عكسية مع مستوى التطوير. واتجاه الهجرة اليهودية الدولية هو من أقطار أقل تطوراً إلى أقطار أكثر تطوراً[٦].

وفي مطلع القرن الحالي كانت الهجرة في تيارين مركزيين ـ الهجرة إلى إسرائيل التي نبعت من دوافع أيديولوجية ـ الحركة الصهيونية، والاستيطان اليهودي، والرغبة في العودة إلى الوطن. والى جانبها قامت حركة هجرة باتجاه أقطار مثل الولايات المتحدة كانت اعتباراتها المركزية هي اعتبارات اقتصادية تتمثل بالرغبة في تحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي. وكانت الولايات المتحدة واحداً من مقاصد الهجرة

---

(٦) سيرجيو ديله بيرغولا، «الشعب اليهودي نحو عام ٢٠٢٠ ـ سيناريوات اجتماعية ـ ديموغرافية،» (سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي، المخطط الرئيسي لإسرائيل لسنوات الألفين. التخنيون وآخرون ١٩٩٥).

المركزية نظراً إلى كونها قطراً مستوعباً للهجرة.

وفي منتصف القرن الحالي وبعد الكارثة اليهودية غادر أعداد هائلة من اليهود الأقطار التي كانوا يقيمون فيها وهاجروا إلى إسرائيل والى أقطار أخرى مثل فرنسا والولايات المتحدة. وتم في بعض هذه الأقطار تحديد حصص للهجرة. وكان هدف الهجرة المركزي هو إسرائيل التي فتحت أبوابها لكل يهودي أياً كان، كما ساعدت في استيعابه. وفي السنوات الأولى للدولة تم استيعاب هجرة من أقطار أوروبا الشرقية، وأقطار آسيا وأفريقيا.

وفي وقت لاحق حدثت موجات هجرة أخرى في مطلع السبعينيات من الاتحاد السوفياتي إلى إسرائيل، وفي مطلع التسعينيات، مع فتح الاتحاد السوفياتي أبوابه وسماحه بخروج اليهود. وموجة الهجرة الحالية من الاتحاد السوفياتي لم تستنفد بعد.

الهجرة المستقبلية

إن نحو (٩٨ بالمئة) من اليهود يعيش اليوم في الأقطار المتطورة أو شبه المتطورة. كما أن تجمعات الشتات المركزية بالنسبة إلى إسرائيل قائمة في الأقطار الغربية المتطورة (الولايات المتحدة، كندا، أوروبا الغربية، جنوب أفريقيا (نحو ٧ مليون)، أمريكا اللاتينية نحو (٤٣٠) ألف يهودي، وشرق أوروبا والاتحاد السوفياتي السابق (نحو مليون) وفي الأقطار الإسلامية نحو (١٧٥) ألفاً).

وتحظى غالبية اليهود في البلدان الغربية بمستوى اجتماعي واقتصادي عالٍ وكذلك الأمر في البلدان المتقدمة علمياً وتكنولوجياً. وتعتبر إسرائيل من بين الأقطار المتطورة، إلا أنها توجد في الجزء الأسفل من السُلّم.

وفي أقطار شرقي أوروبا والاتحاد السوفياتي السابق ـ منذ فتح بوابات هذه الأقطار خرج من الاتحاد السوفياتي عدد كبير من المهاجرين توجّه معظمهم إلى إسرائيل التي كما قلنا تفتح أبوابها لهجرة كل يهودي إليها. وتستمر الهجرة اليهودية إلى إسرائيل بوتيرة مستقرة للغاية تتراوح ما بين (٦٠,٠٠٠ ـ ٧٠,٠٠٠ مهاجر سنوياً).

وبناء عليه يبدو في المستقبل أن العوامل المركزية التي تؤثر في الهجرة، مثل العامل الاقتصادي والاجتماعي، لن تشجع «الهجرة ـ بالمعنى الديني» إلى إسرائيل من الأقطار الرأسمالية، حيث إنه في معظم الحالات فإن الهجرة إلى إسرائيل قد تجعل وضعهم الاقتصادي سيئاً. وتشجع على هجرة من أقطار شرق أوروبا، من خلال بواعث اقتصادية.

وفي هذا السياق ينبغي التنويه إلى أنه في كل ما يتعلق بمعلومات الفرد ـ فإن الرابطة بين المهجر/الشتات وإسرائيل قد حوفظ عليها طوال السنوات بصورة غير مباشرة ومباشرة، بواسطة الشبكات، والمنظمات والتبرعات. وعلى مستوى الجالية، بين العائلات وبين الأفراد، وإلى حد معين فالعالم بوصفه «قرية صغيرة» قد يعمل ضد الهجرة إلى إسرائيل، حيث سيكون بالإمكان توثيق الروابط من خلال السكن من بعد.

١-٢ المهجر/الشتات

المهجر/الشتات العرقي ـ القومي في العالم ـ أحكام عامة

(غبريئيل شيفر)

المهجر/الشتات اليهودي ليس ظاهرة متميزة. ففي كل أنحاء العالم هناك شتات عرقي ـ قومي. وعلاوة على ذلك، وخلافاً للتوقعات القاتمة لأصحاب الآراء المعارضة مثل الليبراليين والماركسيين، وأنصار الانصهار و«النقاء القومي»، فالشتات لم يختف فحسب، بل أن عدد وحجم جماعات المهجر/الشتات آخذ بالتزايد. واستناداً إلى التقديرات الحالية فإن عدد المنتمين إلى المهجر/الشتات الإثنية ـ القومية في العالم يبلغ نحو ثلاثمائة مليون نسمة.

هذا وبالإمكان التمييز بين فئتين رئيستين من المهجر/الشتات العرقي ـ القومي:

ـ جماعات شتاتية « تفتقر إلى الدولة» ـ والمقصود بذلك جماعات شتاتية لم تنجح حتى الآن في إقامة أو بدعم إقامة دولة خاصة بها، مثل الفلسطينيين، والأكراد، والغجر. وعدد هذه الجماعات آخذ بالتضاؤل. ومعظم المهجر/الشتات ينتمي إلى الفئة التالية.

ـ جماعات المهجر/الشتات المرتبطة بدولة قائمة بما يعتبر كوطن ـ حيث إن غالبية جماعات المهجر/الشتات الإثنية ـ القومية مرتبطة بدول قومية، تعتبر من قبلها كوطن أو كبلدٍ أم.

وفي هذه الفئة يمكن التمييز بين ثلاث مجموعات من المهجر/الشتات:

ـ مجموعات المهجر/الشتات التقليدية ـ (مجموعات شتات نشأت في العصر القديم أو في العصور الوسطى المُبكرة). وهذه المجموعة تشمل بين آخرين، المهجر/الشتات اليهودي، والأرمني، والغجري والصيني.

ـ مجموعات المهجر/ الشتات المستقرة (المجموعات التي نشأت في العصر الحديث والتي تملك الآن تنظيماً متطوراً في الأقطار المضيفة). وتشمل هذه المجموعة أيضاً المهجر/ الشتات الهندي والايرلندي والإيطالي واليوناني.

ـ مجموعات المهجر/ الشتات الجديدة أو المجموعات التي هي في طور التكوين ـ الروس والصرب والكروات والفييتناميون والباكستانيون والجزائريون والأتراك والأوكرانيون والفلسطينيون.

وبعض الاتجاهات الكونية يؤثر وسيؤثر أيضاً في المستقبل المنظور في زيادة حجم عدد جماعات المهجر/ الشتات وأعداد المنتمين لها:

ـ استمرار الزيادة في الهجرة الدولية، المرتبطة بالترحال لأسباب اقتصادية وسياسية.

ـ السهولة الكبيرة في التسلل عبر الحدود الدولية وحتى إلغاء هذه الحدود في مناطق مختلفة، كما هو الحال في الاتحاد الأوروبي.

ـ خلق ظروف جيدة لوجود متعدد الثقافات في الدول المضيفة، وبخاصة في الغرب، ولكن أيضاً في مناطق مختلفة في آسيا.

ـ خلق ظروف لائقة لقيام تعددية سياسية في الدول المضيفة، وبخاصة في الغرب، ولكن أيضاً في المناطق الأخرى التي حدثت فيها عمليات «دمقرطة» و«لبرلة» للحياة السياسية.

ـ عدم قدرة الدول المضيفة على وقف نمو جماعات المهجر/ الشتات بسبب صعوبات في إمكان السيطرة (Governability).

ـ التسامح ومنح الشرعية لوجود مجموعات وجاليات إثنية في الدول المضيفة.

ـ العولمة في مجالات الاتصالات والمواصلات والروابط ما فوق الدول.

السمات المميزة لجماعات المهجر/ الشتات ـ أوجه تاريخية ونظرية

النشوء: إن كافة جماعات المهجر/ الشتات نشأت نتيجة لهجرة قسرية أو طوعية. (وفي الحالة اليهودية ـ فلقد «نشأ» الوطن كنتيجة للهجرة من بلاد ما بين النهرين. ولكن، قرب موعد نشوء مفهوم الوطن في أرض إسرائيل، بدأت عملية ترحال طوعية، وفي وقت لاحق عن طريق الإكراه، خلقت بداية المهجر/ الشتات اليهودي. ومن شبه المؤكد أن اليهود أقاموا طائفة شتات أولى في مصر.

تصرفات جماعات المهجر/ الشتات: إن مجموعات المهجر/ الشتات، بما في ذلك المهجر/ الشتات اليهودي، تحافظ على هوية إثنية ـ قومية، وتنمّي التضامن العرقي، وتؤسّس وتطوّر تنظيمات طائفية، وتطور نشاطاً متشعباً في البلد المضيف، وتنشئ وتحافظ على شبكات ما فوق دولية. والأهم من ذلك كله أنها تحافظ على روابط متعددة الأبعاد مع الوطن (أو ما يفهم من قبلها كوطن).

ومما يميز المهجر/ الشتات اليهودي هو الدمج بين زمن ظهوره المسبق من الناحية التاريخية، وقدرته على الاستمرار والبقاء (في ضوء عداء محيطه تاريخياً له من جهة، ورؤيته لذاته كشعب مختار من جهة أخرى)، وحقيقة أنه كان شتاتاً دون دولة، نجح في إقامة دولة له، وفي تقديم المساعدة لها.

السمات المميزة وأنماط عمل المهجر/ الشتات الحديث

إن السمات المميزة وأنماط عمل جماعات المهجر/ الشتات الحديثة متماثلة وتخلق ملمحاً (بروفيل) تحليلياً ينطبق على جميع جماعات المهجر/ الشتات، بما في ذلك المهجر/ الشتات اليهودي.

أوجه هذا الملمح (البروفيل) هي:

ـ توزع على عدد من الدول المضيفة. والإقامة الثابتة في هذه الأقطار المضيفة.

ـ المحافظة على الهوية الإثنية ـ القومية.

ـ الوجود كأقلية في الأقطار المضيفة.

ـ خلق، والحفاظ على، تضامن بين أعضاء المهجر/ الشتات.

ـ خلق وتطوير تنظيمات تطوعية رسمية.

ـ الاشتغال بالنشاط الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي في الأقطار المضيفة.

ـ تطوير شبكات ما فوق الدول.

ـ تبادل الموارد والموارد مع الوطن، والدولة المضيفة، والدول الأخرى وجماعات المهجر/ الشتات الأخرى.

ـ التعاون (الإشكالي) مع الوطن لدفع قضايا الوطن والمهجر/ الشتات على حد سواء إلى أمام.

ـ ظهور عداء اجتماعي إلى جانب القبول وحتى التعاون في الأقطار المضيفة.

ـ خلق أنماط سلطة ثنائية، وكنتيجة لها، تخلق ولاءً مزدوجاً ومقسماً ومبهماً.

ـ وبصفة عامة قيام استراتيجية للجالية/ الجالية لضمان البقاء.

ـ الأداء ـ بالإمكان التمييز بين ثلاث فئات أدائية مركزية: المحافظة الحماية ودفع هوية الجالية/ الجالية ومصالح المهجر/ الشتات إلى أمام، وذلك عن طريق نشاطات في داخل وخارج حدود الدولة المضيفة من أجل الوطن أو جوالٍ/ جواري أخرى لمجموعة الشتات.

ـ العلاقات المباشرة بين جوالٍ/ جوالي الشتات والدول المضيفة تكون غالباً على مستوى الأفراد. أما العلاقات بين جماعات المهجر/ الشتات والحكومات في الدول المضيفة والوطن فغالباً ما تجري على مستوى المنظمات.

ـ تشخيص الجوالي المختلفة ـ كلما كانت الجالية/ الجالية أكثر ثراءً كانت المنظمات التي تقيمها أكثر تنظيماً وتطوراً، وكانت حوافز أعضائها أكبر، وسرعة وصولها إلى مراكز القوة في الدولة المضيفة أكبر، وكلما كرّس أعضاء المهجر/ الشتات وقتاً أكبر للنشاط في إطار هذه المنظمات. ومع ذلك فإن هناك أهمية ليس فقط للثراء وإنما أيضاً للعمل الدؤوب وللتفاني في تحقيق الأهداف.

استراتيجيات مجموعات المهجر/ الشتات

مجموعات المهجر/ الشتات التي تفتقر إلى الدولة

الاستراتيجية الرئيسة تكون موجهة نحو ما يجري في الوطن ـ وبصفة خاصة المساعدة على إقامة دولة ذات سيادة. ويؤثر تبني هذه الاستراتيجية أيضاً في الاستراتيجيات المنتهجة في الأقطار المضيفة، وذلك لأنه يسود أحياناً توتر بين المهجر/ الشتات والدولة المضيفة على هذه الخلفية.

مجموعات المهجر/ الشتات التي ترتبط بدولة

الاستراتيجية الرئيسة تكون مرتبطة بترتيب العلاقات مع الدولة المضيفة وليس مع القطر الأم أو الوطن. وفي هذا السياق فإن جماعات المهجر/ الشتات تتولى معالجة القضايا التي تواجهها وفقاً للوضع السياسي والاجتماعي في القطر المضيف الذي يؤثر في الموضوعات الجلية والخفيّة القائمة على جدول الأعمال في القطر المضيف.

وهناك نموذجان رئيسان للاستراتيجيات المتعارضة الأساس:

استراتيجية طائفية (الجماعية)	استراتيجية الاندماج التام
شائعة اليوم في جماعات المهجر/ الشتات الإثنية ـ القومية	ليست شائعة اليوم
السمات المميزة الرئيسة:	**السمات المميزة الرئيسة:**
● إقامة منظمات تطوعية تحرص على الحفاظ ودفع مصالح المهجر/ الشتات إلى أمام.	● الرد على استعداد المحيط البيئي لقبول «الغريب» والمختلف.
● إنشاء شبكات رئيسة فوق دولية.	● إحراز مزايا اقتصادية واجتماعية وسياسية في الحفاظ على الهوية.
● الاستراتيجية التي تثير معارضة أقل في الدول المضيفة.	● عملية اندماج كنتيجة للرغبة الحرة للأفراد أو الجماعات، بالتزامن مع وجود عداء شديد من جانب المحيط المجاور من جهة، وانفتاح كبير من جهة أخرى.
● النجاعة في إحراز مصالح أيديولوجية وعملية.	● اتجاه لدى أبناء الجيل الثالث والرابع لإحياء الهوية الإثنية.
● إمكان الدول المضيفة في المراقبة والإشراف على أعمال أعضاء المهجر/ الشتات.	
● جعل تصرف الزعامة أكثر اعتدالاً، وذلك رغم تقليص حرية العمل.	
● معاظمة الاستعداد لأخذ المخاطرة المدروسة.	
● الفارق بين البالغين والشباب الثوريين من المسؤولين.	
● الامتناع عن استراتيجيات راديكالية.	

إنشاء شبكات فوق دولية

في ما يلي بعض الأسباب لإنشاء شبكات فوق دولية رسمية وغير رسمية: رغبة أساس في الحفاظ على ارتباط بالوطن ومع جوالٍ/ جوالٍ أخرى من الأصل نفسه، تقيم بصورة دائمة في أقطار مضيفة أخرى، تفضيل البلد الأم الحفاظ على العلاقة مع جهة منظمة وليس مع جماعات غير منظمة من أفراد المهجر/ الشتات، وأخيراً ثورة الاتصالات والمواصلات التي تخلق بنية تحتية تكنولوجية تسمح بنشوء شبكات كهذه. ومن المهم التنويه بأنه كما أن الدول المضيفة غير قادرة على وقف قيام وتطور المهجر/ الشتات، وبالتالي فإنها غير قادرة على منع قيام هذه الشبكات. ولذا فإن قيامها قد يثير صراعات بين الحكومات المضيفة والمهجر/ الشتات.

إن الشبكات ما فوق الدول تخدم عدداً من الاحتياجات:

ـ نقل المعلومات في الموضوعات الثقافية والاقتصادية والسياسية والعلمية والتكنولوجية.

ـ نقل المعلومات الاستخبارية الحساسة والسرية.

ـ دفع القيم والأهداف الأيديولوجية إلى أمام.

ـ استخدام تلك الشبكات لأغراض الدفاع عن منظمات في الشتات عن طريق دعم من الوطن ومن الجوالي/ الجوالي الأخرى في المهجر/ الشتات.

ـ تحويل موارد اقتصادية ومالية إلى الوطن مثل التبرعات والاستثمارات والأموال «السوداء». ومع أن حجم تحويل الأموال كبير، إلا أنه من الصعب جداً مراقبة هذه الأموال. وجزء من هذه الأموال ينقل بصورة شخصية من طريق أفراد في المهجر/ الشتات، كما أن جزءاً من هذه الأموال ينقل عن طريق منظمات المهجر/ الشتات. وفي بعض الحالات تصل المبالغ المالية المحولة من جماعات المهجر/ الشتات إلى الوطن إلى نحو ٣٠-٧٠ بالمئة من المداخيل من صادرات الدول المضيفة. وجزء من الأموال التي تجمعها جماعات المهجر/ الشتات يستخدم لتمويل التجسس والإرهاب الدولي.

علاقات المهجر/ الشتات ـ الوطن

بصفة عامة فإن مصدر التوترات التي تحصل بين المهجر/ الشتات وبين الدول المضيفة قائم في جماعات المهجر/ الشتات. ومصدر التوترات التي تحصل بين جماعات المهجر/ الشتات وبين الوطن الذي تنتمي إليه قائم على وجه العموم في الوطن. وغالباً ما تنبع التوترات من الصنف الثاني من إدراك الزعماء في الوطن بأنه يتوجب على جماعات المهجر/ الشتات إبراز ولائها، والمحافظة على روابط ثابتة وتقديم خدمات للوطن في الدول المضيفة، وبالأساس تكريس جهودها لحماية الوطن.

وفي نظر الزعماء في الوطن فإن مصلحة جماعات المهجر/ الشتات لا تقف على رأس جداول الأولوية القومية، حيث يسبق هذه المصالح مصالح الأمن والسياسة والثقافة في الوطن. وفي حالة ما إذا تطلب الأمر دفاع الوطن عن المهجر/ الشتات فإن هذا الأمر يجري بالوسائل الدبلوماسية والسياسية من أجل منع التوترات مع الدول المضيفة.

وبصفة عامة، فإن وضع جماعات المهجر/ الشتات في الدول الصديقة للوطن يتميز بتعايش سلمي معقول، بينما في الدول غير الصديقة قد تثور تناقضات في المصالح وتوترات، قد تصل إلى درجة طرد مجموعات المهجر/ الشتات من دول مضيفة توجد في حالة حرب مع الوطن.

علاقات إسرائيل ـ المهجر/ الشتات

نظرة تاريخية

من الناحية التاريخية يوجد خلاف في الرأي بشأن نطاق الإسهام العملي للشتات في إنشاء إسرائيل والمحافظة على أمنها ورفاهيتها. وفي حين ادعى معظم زعماء إسرائيل وما يزالون يدعون بأن المستوطنين في أرض إسرائيل هم الذين أنشأوا عملياً دولة إسرائيل، فإنه وفق منظور جماعات المهجر/ الشتات فإن جوالي/ جوالي المهجر/ الشتات هي التي أنشأت الدولة. وانعدام الاتفاق التاريخي القائم حتى اليوم حول مسألة إنشاء الدولة ينعكس أيضاً على علاقات إسرائيل والمهجر/ الشتات: ففي حين تعتبر إسرائيل نفسها المركز القومي الهام للغاية، أو حتى الوحيد، والعامل المهيمن في الشعب، وكصاحبة «حق» للتدخل في شؤون جماعات المهجر/ الشتات، فإن جماعات المهجر/ الشتات تريد التأثير في سياسة إسرائيل، وذلك على الأقل في كل ما يرتبط بها وبالدول التي تستضيفها من جهة، كما أنها ليست معنية بتدخل إسرائيل في شؤونها من جهة أخرى.

وبنظرة إلى الوراء فإنه دون حركة صهيونية منظمة جيداً ساعدت بالمال وبالدعم وبالتأثير السياسي، من خلال تعاون مع الاستيطان اليهودي، فلقد كان من الصعب إقامة دولة إسرائيل. وهذا العامل، وكذلك مناعة الاستيطان اليهودي وقدرته على قيادة الصراعات السياسية الخارجية والداخلية والدبلوماسية والعسكرية، كانا العاملين الحاسمين في إقامة الدولة.

ومع ذلك هناك مسألتان رئيستان على جدول الأعمال القومي منذ إقامة الدولة: الأولى مكانة المهجر/ الشتات في سياسة إسرائيل، والثانية المساهمة المرغوبة للشتات في الحفاظ على الوجود الجاري لإسرائيل.

وقد تعاطى زعماء الدولة بطرق مختلفة مع هذه المسائل: بدءاً من معارضة المنفى من جانب بن غوريون، مروراً بالاعتراف بالتساوي في المكانة وحيوية التعاون مع المهجر/ الشتات، وهو الأمر الذي نادى به موشيه شاريت، وعبر تجاهل مشاكل المهجر/ الشتات مثلما كان موقف اسحق رابين، وانتهاءً بدفع ضريبة كلامية عن الارتباط المتبادل بين المهجر/ الشتات وإسرائيل، مثلما نسمع من زعماء إسرائيليين كثيرين.

إن نظرة الجمهور في إسرائيل إلى المهجر/ الشتات تتراوح ما بين دفع ضريبة كلامية وحتى الحرص العميق والصادق على مصير جماعات المهجر/ الشتات التي

تعيش في ضائقة، ومن تخصيص مرتبة متدنية على جدول الأعمال الشخصي والقومي، ومن موقف سلبي تجاه تنظيمات مثل الوكالة اليهودية والهستدروت الصهيونية، واستعداد لاستثمار ضئيل نسبياً في استيعاب الهجرة، وحتى الاستعداد الحقيقي للتعاون مع المهجر/ الشتات.

كذلك نظرة الحكومات الإسرائيلية إلى المهجر/ الشتات تتراوح أيضاً ما بين دفع ضريبة كلامية لاحتياجات الشتات، وحتى الحرص الصادق على مصير جماعات المهجر/ الشتات التي تعيش في ضائقة. ومن عزو أهمية ضئيلة نسبياً إلى سلوك مهين من قبل رؤساء الحكومة إلى تعبير الحد الأدنى في نشاط وزارة الخارجية، إلى سياسة تجاه الدول المضيفة لا تقيم اعتباراً للشتات، والتي يدعمها الرأي العام بشأن ضرورة استقلال إسرائيل في هذا الشأن.

الوضع القائم والتوقعات

الوضع القائم والتوقعات تنبع من النهج السائد في إسرائيل والقائل إن المهجر/ الشتات هو «منفى» وأن الدولة هي العامل المركزي في أوساط الشعب اليهودي، وأن الوجود القومي الكامل ممكن فقط في إطار دولة مستقلة. ولقد تردمت هذه المقاربة إلى شعور بالتفوق الإسرائيلي. ومن جهة ثانية فإن جماعات المهجر/ الشتات تطالب بالمساواة في المكانة، أي، إلى بنية متعددة المراكز للشعب اليهودي.

وجهة نظر المهجر/ الشتات اليهودي

الوضع القائم ـ إن الإحساس لدى جماعات المهجر/ الشتات هو أنه منذ قيام الدولة اليهودية فإن إسرائيل تحرص أولاً وقبل كل شيء على مصالحها الذاتية. وهناك إحساس قوي بأن إسرائيل تتوقع من أعضاء المهجر/ الشتات اليهودية الإسهام بالأموال والوقت والجهود السياسية من أجل إسرائيل، ومن جهة أخرى فإن إسرائيل ليست متنبهة بصورة كافية ولا تتطرق كما ينبغي إلى الاحتياجات السياسية للمهجر/ الشتات. ولذا فإن المهجر/ الشتات اليهودي تتوقع من إسرائيل وضع احتياجات المهجر/ الشتات في مكانة أعلى على جدول أولوياتها، وان تعترف إسرائيل صراحة بأنها ستستخدم معظم الأموال التي تتبرع بها جماعات المهجر/ الشتات في احتياجات المهجر/ الشتات الذاتية، وبأن تظهر إسرائيل مرونة في علاقتها مع الدول المعادية التي ما يزال اليهود يتواجدون فيها، وبأن تتصرف إسرائيل بتسامح وتفهم تجاه الأقليات في إسرائيل، وبصفة خاصة تجاه الأقلية العربية.

وجهة النظر الإسرائيلية

الوضع القائم ـ هناك غموض كبير في موضوع النظرة إلى المهجر/ الشتات اليهودي. فمن جهة يظهر الإسرائيليون استهزاء وسخرية تجاه يهود المهجر/ الشتات وتجاه النظرة المادية المطبوعة زعماً في حياة المهجر/ الشتات، وبصفة خاصة تجاه «جمع الصدقات»، أي: النشاط الكبير حول جمع الأموال، وإزاء المفهوم القائل بأن تجنيد الأموال يجيء لإسكات الإحساس بالذنب لدى أفراد المهجر/ الشتات، وتجاه عقلية «التذبذب» التي تتميز بها المهجر/ الشتات. ومن جهة أخرى تشعر إسرائيل بأنها تملك الحق بالتدخل في شؤون المهجر/ الشتات، وبخاصة في الموضوعات المرتبطة بجمع الأموال. وتوقعات إسرائيل هي الرغبة في الحفاظ على الجالية اليهودية في الولايات المتحدة كلوبي دائم من أجل إسرائيل، والمحافظة على مدخولاتها من صناديق الجباية والسندات، وبصفة خاصة في ضوء الانخفاض في حجم التبرعات لصناديق الجباية بشكل عام، وزيادة الجزء المتبقي في الولايات المتحدة من (٣٥ بالمئة) إلى (٧٠ بالمئة).

أدى وجود توقعات مختلفة لإسرائيل وللشتات بشأن العلاقات في ما بينهما إلى توتر دائم حول عدد من الموضوعات: مركزية إسرائيل في حياة الشعب، وتخصيص أموال الجبايات واستخدامها، والتشريع في إسرائيل، وخاصة في موضوعات الأحوال الشخصية، والنظرة إزاء حل النزاع العربي ـ الإسرائيلي.

نقاط الخلاف الرئيسة بين إسرائيل والمهجر/ الشتات

ـ مسألة الولاء المزدوج ـ السؤال الذي يطرح دائماً على جدول الأعمال القومي هو حول الجهة التي يتوجب على يهود المهجر/ الشتات تقديم ولائهم لها ـ وهل هي دولة إسرائيل أم الدولة المضيفة؟ ويطرح هذا السؤال بالأساس بالنسبة إلى الموضوعات التي هي محل خلاف مثل: العلاقات بين إسرائيل وبين الدول التي توجد لإسرائيل علاقات إشكالية معها. والمطالبة باحترام التعددية الاثنية في الدول المضيفة في مقابل معاملة الأقليات في إسرائيل.

ـ **«الاستقلالية في التبعية»** ـ مشكلة «الاستقلالية في التبعية» متعلقة بمسألة التبعية المتبادلة، خاصة على الصعيد الاقتصادي والسياسي وفي المقابل الرغبة لإيجاد قدرة على اتخاذ قرارات بشكل مستقل.

ـ **العلاقات مع الأطراف الرابعة/ الخامسة** ـ بين الحين والآخر تثور خلافات في الرأي أيضاً بخصوص أسئلة بشأن علاقات إسرائيل ودول أجنبية (الطرف «الرابع» أو

«الخامس» في علاقات إسرائيل ـ المهجر/ الشتات ـ الدولة المضيفة ـ ولاعبون آخرون). وأخذ احتياجات الجوالي اليهودية هناك بعين الاعتبار، مثل مساعدة الأنظمة المتطرفة دون اعتبار للحساسيات الأخلاقية للجوالي اليهودية في المهجر/ الشتات.

ـ **حل النزاع العربي ـ الاسرائيلي** ـ يتركز الآن الخلاف الأساس بين إسرائيل والمهجر/ الشتات اليهودي في الموقف تجاه القضية الفلسطينية. ولقد انقسمت المهجر/ الشتات اليهودي بين أغلبية تدفع لتسوية وبين أقلية تطالب بضم المناطق وبإظهار القبضة القوية تجاه الفلسطينيين.

وحتى لو كان من الصعب أن نعير وزناً دقيقاً لكل واحد من هذه العوامل، فليس ثمة شك في أن النتيجة المتراكمة لنقاط الخلاف هذه هي، بين أمور أخرى، انخفاض في التبرعات المقدمة لإسرائيل، رأي عام نقدي تجاه المجتمع والحكومات الإسرائيلية، وانخفاض في عدد السواح اليهود في إسرائيل، ولا مبالاة تجاه موضوعات وحملات تجنيد الدعم من أجل إسرائيل، ونقاش وجدال حاد في المهجر/ الشتات حول قضايا وجوانب مختلفة في علاقات الوطن والمهجر/ الشتات.

وكما قلنا فإن إحدى نتائج نقاط الخلاف المختلفة بين إسرائيل والمهجر/ الشتات هي تأكيد المقاربات المختلفة تجاه مسألة الانتقاد الموجه لإسرائيل. وبشكل أساس توجد الآن أربع مقاربات:

ـ عدم توجيه الانتقاد أبداً، أي أنه من الأفضل إمتناع من ليس مواطناً إسرائيلياً عن توجيه الانتقاد العلني.

ـ توجيه الانتقاد الحذر والمعتدل بصورة غير علنية. والمبدأ هنا هو عدم «نشر الغسيل الوسخ» على رؤوس الأشهاد.

ـ الحق في توجيه انتقاد علني لإسرائيل، وهذا نظراً لأن إسرائيل دولة ديمقراطية، ولان الانتقاد البناء هو روح الديمقراطية، وكذلك نظراً لأنه في الظروف الحالية من غير الممكن إخفاء النقائص والمشاكل. والنتيجة التي يخلص إليها معظم المنتقدين هي أن هناك حاجة لفهم النطاق الحقيقي للمشاكل وأهميتها، والتي تتطلب تحسين نوعية اتخاذ القرارات في إسرائيل وكذلك تعزيز حقوق الفرد والمواطن.

ـ يتوجب على المهجر/ الشتات توجيه انتقاد شديد من أجل إنقاذ إسرائيل من نوازع الشر ومن انعدام الفطنة الذاتية.

المركزية في مقابل الهامشية في الأمة اليهودية

إن السؤال حول ما إذا كان يتوجب على إسرائيل المضيّ في تقرير سياستها وفقاً لرؤيتها الذاتية لنفسها والتي تقوم بموجبها بدور المركز القومي الرئيس، ينتصب في أساس المعضلات التالية في علاقات إسرائيل والمهجر/ الشتات اليهودي:

المعضلة الأولى: تتطرق إلى التطور المستقبلي للشعب الإسرائيلي. وهناك ادعاء يتردد في أوساط المهجر/ الشتات اليهودي يقول إنه نظراً إلى أن إسرائيل ما تزال تعاني من مشاكل وجودية صعبة في المجال الأمني، والسياسي والاقتصادي، فمن المشكوك فيه أن يكون مستقبل الشعب اليهودي مضموناً حينما تشكل إسرائيل المركز المهيمن. وهناك من يضيف إلى ذلك أيضاً مسألة الهوية اليهودية والمحافظة عليها في إسرائيل. وبموجب هذه المقاربة فإن مصدر التهديد لاستمرارية الهوية اليهودية يكمن في الهوة بين العلمانيين والمتدينين، والصعوبات في المواجهة مع القضية الفلسطينية، ووجود نظام أكاديمي وثقافي ذي مستوى متوسط لا يسهم بصورة جوهرية في الثقافة القومية. هذا في الوقت الذي طرأ فيه داخل المهجر/ الشتات تجدد ثقافي وخاصة في الولايات المتحدة وفي فرنسا.

وفي هذا السياق فإن الادعاء هو أن هناك عملياً ثلاثة مراكز ثقافية يهودية في فرنسا وفي الولايات المتحدة وفي إسرائيل. ومن الصعب الافتراض أن الجوالي اليهودية في فرنسا وفي الولايات المتحدة ستكون مستعدة للاعتراف بالمركزية وبالتفوق الثقافي اليهودي في إسرائيل.

المعضلة الثانية: مرتبطة بالعدالة الدولية وللاستقامة التاريخية بالنسبة إلى حل القضية الفلسطينية، أي: للمطلب اليهودي بالاعتراف في حق في تقرير المصير لليهود من جهة، وحرمان الفلسطينيين من هذا الحق من جهة أخرى. وبعد إحراز الاتفاقات المرحلية مع الفلسطينيين تضاءلت خطورة هذه المعضلة.

المعضلة الثالثة: مرتبطة بمطالبة المهجر/ الشتات بوجود توازن في سياسة إسرائيل تجاه الدول المضيفة، بحيث تأخذ إسرائيل في اعتبارها مصالح المهجر/ الشتات اليهودي عندما تأتي لتقرير سياستها الخارجية تجاه هذه الدول.

المعضلة الرابعة: مرتبطة بالبحث عن حل لإشكاليات «الاستقلالية في التبعية»، أي كيف يمكن لإسرائيل المحافظة على سياسة مستقلة في ضوء التبعية التي ما زالت قائمة للولايات المتحدة وللجالية اليهودية.

المعضلة الخامسة: مرتبطة بالحقيقة القائلة أن المهجر/ الشتات الإسرائيلي الحقيقي

هو الإسرائيليون الذين غادروا إسرائيل وأقاموا بصورة دائمة في دول مضيفة توجد فيها جوالٍ يهودية. وفي معظم هذه الدول توجد قطيعة بين جماعات الإسرائيليين هناك وبين الجالية اليهودية المحلية، أو أن هذه الجوالي اليهودية هناك لا ترحب بالإسرائيليين الذين يهاجرون إلى هناك. وتثور المعضلة نظراً إلى أن إسرائيل غيّرت سياستها في هذا المجال وهي معنية بتقريب الإسرائيليين إليها.

خلاصــة

المهجر/ الشتات اليهودي الموجود خارج إسرائيل يعدّ نحو ثمانية ملايين شخص (وهو حجم يعادل نحو (١,٥ بالمئة) من إجمالي المهجر/ الشتات الموجود اليوم في العالم). والسمات الأساس المميزة لهذا الشتات مماثلة السمات الأساس المميزة لولاء المهجر/ الشتات الأخرى: لقد نشأ هذا المهجر/ الشتات في أعقاب هجرات طوعية وقسرية من أرض المنشأ، كما توجد نواة صلبة فيه تحافظ على الهوية الإثنية ـ القومية ـ الدينية، وجزء من هذه النواة الصلبة يحافظ على مستوى عال من التضامن مع الجالية ومع الوطن، كما يحافظ قسم من أفراد الجالية على مستويات عالية نسبياً من التضامن مع الشعب كله ومع الجوالي المحلية؛ ويوجد في المهجر/ الشتات مستوى عال من التنظيم الطائفي، وتحافظ الجالية على روابط وسيطة وغير وسيطة مع إسرائيل، كما أن قسماً من منظمات المهجر/ الشتات يوجه جّل عمله نحو إسرائيل. وقد أنشأت جماعات المهجر/ الشتات شبكات فوق دولية متشعبة. ورغم أن المهجر/ الشتات اليهودي ليس كبيراً إلا أن تاريخه جوهري وذلك بسبب الاستمرارية التي أظهرها، وبسبب أنماط عمله المعقدة وعلاقاته مع الوطن.

وإلى حين إقامة إسرائيل، ومثلما هو الأمر بالنسبة إلى جماعات شتات أخرى لا تمتلك دولة، فقد انتهجت مجموعات ومنظمات معينة في المهجر/ الشتات اليهودي استراتيجية قوامها الحفاظ على البقاء والعزم على إقامة دولة. ومرة أخرى كما هو الأمر في جماعات شتات إثنية ـ قومية أخرى، فبعد قيام الدولة، بدأ المهجر/ الشتات اليهودي ينتهج استراتيجية طائفية.

كذلك تتصرف إسرائيل أيضاً على هذا الصعيد مثل أقطار «وطن» أخرى. فعلى غرارها، فإسرائيل توجهها جهود للحفاظ على مكانتها المتفوقة في العلاقات مع المهجر/ الشتات، وهذه بدورها توجّه من جانب مصالح سياسية ونفسية، ومن جانب الرغبة في إحراز الدعم الأقصى لمصالحها، ولدفع سياستها بطريقة مصلحية.

ويظهر التحليل أنه لا ينبغي النظر إلى دعم المهجر/ الشتات لإسرائيل على أنه أمر

«مفهوم من تلقاء ذاته». فمن المحتمل رفض المطالبة بالدعم عندما يكون بعض أو كل الشروط التالية قائماً:

ـ عندما تظهر خلافات حول المركزية والهامشية، وبخاصة عندما يرى المهجر/الشتات أنه يحتل مكاناً مركزياً في حياة الشعب.

ـ في الحالات التي تنتهج إسرائيل فيها سياسة تخلق معضلات خطيرة بالنسبة إلى سلطة الوطن وإلى ولاء المهجر/الشتات.

ـ عندما تنتهج إسرائيل سياسات تبدو في نظر قسم من المهجر/الشتات بأنها غير متوازنة بالنسبة إلى الدولة المضيفة، وغير عادلة بالنسبة إلى جماعات المهجر/الشتات الأخرى.

ـ عندما تتدخل إسرائيل في أحيان متواصلة وبحجم وعمق كبيرين في الشؤون الداخلية لجماعات المهجر/الشتات، وخاصة عندما تهدد بتحديد أو بإعادة ترتيب أهداف وأواليات المهجر/الشتات.

إن نقاط الخلاف والمعضلات قائمة في أساس العلاقات الحالية بين إسرائيل والمهجر/الشتات ومن أجل تمكين إسرائيل والمهجر/الشتات من ضمان استمرار الوجود القومي والعلاقات والروابط بين المهجر/الشتات والقطر الأم، فإنه يتوجب على إسرائيل صياغة وتنفيذ سياسات ذات أهداف محددة جيداً واعتبارات متوازنة بالنسبة إلى اللاعبين المختلفين المرتبطين بمنظومة العلاقات هذه: الجوالي المختلفة في المهجر/الشتات، والدول المضيفة، وإسرائيل، و«لاعبون يحتلون المكانة الرابعة والخامسة».

إن الآليات البيروقراطية أو الإدارية الرسمية القائمة لن يكون بمقدورها مواجهة هذه التحديات، ولذا فإنه يتوجب إنشاء أجهزة خاصة تكون مرتبطة بالتيار المركزي لاتخاذ القرارات من أجل منع توترات قاسية في الشبكات الحساسة التي تربط إسرائيل والمهجر/الشتات اليهودي. ومن المهم جداً أن تجمع هذه الأجهزة معلومات كثيرة وموثوقة عن وضع المهجر/الشتات، وأن تحلل المعلومات عن التطورات في المهجر/الشتات، وأن تنتهج سياسة الانفتاح والاستقامة.

ومن المشكوك فيه كثيراً أن يكون بمقدور السياسة التي تؤكد على مركزية إسرائيل ان تُستخدم كأساس ملائم للتجديد في هذه العلاقات. والمفهوم الذي ينبغي أن يكون موضوعاً في أساس هذه العلاقات هو المركزية المتعددة.

وعلى الرغم من كل الصعوبات والمشاكل والمعضلات التي تم استعراضها

سابقاً، يبدو أنه على غرار جماعات شتات إثنية ـ قومية أخرى فإن المهجر/ الشتات اليهودي لن يباد. ففيه قدر كبير من الحيوية والثبات اللذين سيضمنان الاستمرارية التي وضعوا إلى جانبها علامة استفهام.

١-٣ اتجاهات القرن الحادي والعشرين

الاتجاهات العالمية للقرن الحادي والعشرين هي ذات تأثير في الشرق الأوسط بصفة عامة وفي إسرائيل بصفة خاصة. ويضاف إلى ذلك العمليات والاتجاهات المتميزة في منطقة الشرق الأوسط نفسها، الواقعة في نقطة اتصال بين الغرب ـ الأقطار المتطورة ـ وبين الشرق ـ الأقطار النامية ـ والموجودة اليوم في نقطة زمنية متميزة[٧].

اتجاهات عالمية مستقبلية

هناك اتجاهان فوق مركزيان:

١ ـ تطور منظومات فوق ـ قومية تتحرك بقوة اقتصادية توازن القوة السياسية، وتعود في أساسها العميق إلى مفاهيم ديمقراطية. ويخلق الاقتصاد العالمي فرصاً أكثر لتوزيع الثراء بين الدول والأفراد. وفي المقابل تنشأ كتل اقتصادية رائدة: أمريكا الشمالية، والاتحاد الأوروبي، والشرق الأقصى ومنطقة الباسيفيكي. وسينخفض وزن الدول ومؤسساتها، وترتفع قيمة الفرد وحقوقه ومبادراته. كما أن المصالح الاقتصادية تخلق روابط والتزامات جديدة تؤدي إلى تعزيز الديمقراطية.

٢ ـ يحصل تحول تاريخي جوهره الانتقال من القوة والطاقة المتمثلتين مجازاً بالفيزياء، إلى المعلومات والاتصالات المتمثلتين مجازاً بالبيولوجيا.

الشرق الأوسط في الإطار العالمي

تشهد منطقة الشرق الأوسط اليوم عمليات تحول جوهرية. فعمليات السلام والفرصة لحل النزاع العربي الإسرائيلي ركزت الاهتمام العالمي على تطوير المنطقة بهدف المساعدة في عمليات السلام ومن خلال رؤية للقدرات والموارد الكامنة فيها. ويوجد اليوم نضج في الشرق الأوسط للاندماج في السياسة والاقتصاد العالميين. ويوجد تعبير عن ذلك في اتفاقية السلام مع الأردن، واتفاقية أوسلو، ومحادثات

---

(٧) سميدار فوغل وعنات غونين، **تغير الحدود والتطوير الإقليمي ـ رؤية استشرافية** ([د. م.]: الوكالة اليهودية لأرض إسرائيل، دائرة التطوير والاستيطان، وحدة التخطيط الاستراتيجي، ١٩٩٤).

السلام والمباحثات المتعددة الجنسيات التي تشارك فيها دول المنطقة، والجارية جنباً إلى جنب مع بناء الإطار للسلام المستقبلي، ولبناء تعاون دولي إقليمي، لتطوير بنى تحتية ومشاريع خاصة في مجالات المياه والمواصلات والبيئة والسياحة وغيرها.

هذا وسوف يكون بمقدور المباحثات الجديدة في الشرق الأوسط ان تؤدي إلى عمليات تغيير في المنطقة، تسهل اندماجها في اتجاهات المنظومة العالمية الآخذة بالتكون:

- التشديد على حقوق الإنسان وحرية المبادرة الفردية كقيم مركزية.

- ديمقراطية تعددية، تعزيز هوية المجموعات الاثنية والمجموعات التي تمثل مصالح مختلفة.

- ملائمة معدل نمو السكان مع قدرة الحمل الاقتصادي.

- تطوير الرأسمال البشري من أجل الصمود في المنافسة وفي المعايير الدولية.

- توجيه الموارد الشاغرة من مجالات أمنية إلى قنوات جديدة.

إن الاتجاهات العالمية البارزة ذات تأثير في الشعب اليهودي، وفي إسرائيل وفي علاقات إسرائيل بالمهجر/الشتات في سنوات الألفين. وأبرز تلك الاتجاهات يتعلق بأربعة مجالات وبالعلاقات بينها:

- الفرد باعتباره المدماك المركزي.

- الاتجاهات الاقتصادية المستقبلية.

- الحرص على نوعية العالم المستقبلية.

- تكنولوجيات الغد.

الفرد كمدماك مركزي

إن تطور المنظومات فوق القومية - الكونية - التي تحركها القوى الاقتصادية، والتي تستند إلى تكنولوجيات جديدة تتمثل في نقل المعلومات والاتصالات، من شأنه أن يرتفع بالفرد إلى مكان مركزي للغاية في المنظومة العالمية، باعتباره العامل الرئيس الذي سيحدث تغييرات.

وهذه ستقود الفرد للتفكير في ذاته ومكانه في المجتمع، ونوعية حياته ولتوفير احتياجاته الذاتية، في سياق استنفاد قدراته الذاتية. وان الفرد هو الذي سينتج

وسيطور التكنولوجيات، كما سيستهلك منتجات أكثر تنوعاً تكون ملائمة ومحاكة حسب قياسه، وهو الذي سينتج أعمالاً فنية، كما سيقوم بتطوير الأشغال الجديدة.

هذا وسيقود انخفاض عدد الحروب في العالم الفرد إلى التفكير في ماهية المجتمع، ومعنى أن يكون الفرد إنساناً ومكانة هذا الفرد، وتوجيه نشاطه إلى موضوعات عالمية شاملة مثل نوعية البيئة والموضوعات الاجتماعية مثل القضاء على الفقر ومنع الحرب النووية.

التركيز على الخصوصية الثقافية والطائفية

إن النقل السريع للمعلومات سيؤدي إلى أنماط حياة ستصبح متماثلة أكثر فأكثر في أنحاء القرية العالمية، كما سيخلق رد فعل مضاداً للتجانس يأخذ تعبيره على شكل تطلع نحو التركيز على خصوصية الثقافة واللغة والدين والفنون والآداب.

وفي المقابل فإن إنشاء روابط حرة ـ جماعات تقوم في أساسها على المصالح المشتركة والأدوات المتساوية، والنوعيات المتماثلة سيشكل قوالب حياة متميزة ستتم رعايتها وتنميتها في القرن المقبل.

اتجاهات اقتصادية مستقبلية

إن استمرار الثورة التكنولوجية في مطلع القرن الحادي والعشرين سيأخذ تعبيره في تسلل الكمبيوتر وأجهزة الاتصالات الإلكترونية إلى جميع مجالات الإنتاج والاستهلاك، وسيكون مدلول ذلك ـ الزيادة الدراماتيكية في نجاعة الإنتاج في معظم قطاعات الصناعة والخدمات. وستكون زيادة النجاعة في الإنتاج أسرع من الزيادة في الاستهلاك، وستؤدي إلى إعادة تشكيل في تركيبة الاستخدام والعمالة في المجتمع الغربي الصناعي (بروفيسور ي. دون). وسيتجلى ذلك في ما يلي:

ـ انخفاض آخر في نسبة المشتغلين بالزراعة.

ـ انخفاض في نسبة المستخدمين في الصناعة وفي أنشطة «ذوي الياقات الزرقاء» حتى ٥-٦ بالمئة، وبروز مشكلة بطالة للعمال الصناعيين لا تجد توازناً لها في زيادة الطلب على منتجات وخدمات الاستجمام، وانخفاض أيضاً في نسبة المستخدمين في الخدمات المختلفة الذين سيستبدلون من طريق تكنولوجيات الاتصالات والحاسوب.

ـ القطاعات التي يتوقع فيها زيادة على الطلب هي التكنولوجيات المتقدمة والمهن الطبية وشبه الطبية، وخدمات الشؤون الاجتماعية، والخدمات المالية، والمهن المتعلقة

بثقافة الاستجمام وكذلك بمجالات الثقافة الأخرى، وبالفنون وقطاعات التعليم.

وكل هذه التغيرات سيكون في جو مهني من المنافسة الشديدة على المستويات القومية والدولية، حيث يكون المقياس الوحيد للنجاح هو النجاعة والقدرة على المنافسة والتفكير العقلاني المركز في إحراز أقصى الأرباح للمؤسسة التجارية.

إن المعلومات وسرعة نقلها ستؤكد طمس الفوارق بين الشعوب والأمم، والتماثل في أنماط الحياة، وفي الأذواق وفي أنماط الاستهلاك وفي أنماط استهلاك المنتجات الثقافية. وستتسع حرية حركة رأس المال، وقوة العمل في حدود جمركية واسعة، كما ستنشأ هيئات اقتصادية فوق قومية جديدة.

الحرص على نوعية العالم المستقبلي

تخفيض المشاكل في العالم في موضوعات الحرب والأمن وخلق كتل فوق قومية سيخلي مكانه لزيادة الإدراك والوعي لمشاكل كونية مشتركة ولبناء أدوات لمواجهتها.

ويعد تدمير البيئة الطبيعية الأمر المركزي فيها. وسيتعاظم الإدراك أن المجتمع الصناعي في شكله الحالي قد وصل إلى نهاية حدوده، والحركة العالمية الشاملة لحماية البيئة تعتبر الرد الذي يهدف إلى ضمان بقاء الكرة الأرضية. ومن شأن دخول دول عظمى جديدة إلى دائرة الصناعة زيادة خطورة الظاهرة وإضفاء مفعول مضاعف للحركات الخضراء. والانتقال السريع للمعلومات بواسطة الاتصالات الحديثة سيتيح للعالم متابعة الكوارث البيئية في وقت حدوثها.

هذا ويتعاظم التوافق على أنه يتوجب على الجميع التعاون في موضوع المحافظة على الموارد وعلى البيئة في العالم. وعلى غرار المنافسة حول نقل سباق التسلح فستجري منافسة بين الدول التي ستقود العالم في المحافظة على موارد العالم ونوعياتها. وهذا التيار المركزي سوف يدعم التقدم التكنولوجي والاقتصادي، في سياق الحفاظ على قيود بيئية شديدة، وسيكون من شأن الفطنة والخيال والتكنولوجيا تغيير أنماط الإنتاج، وستستخدم كميات أصغر من الموارد، وتقذف نسبة أقل من الملوثات، وستحوّل النفايات إلى موارد قابلة للاستخدام من جديد.

إن الانفجار السكاني والأزمة الايكولوجية يحتّمان تغييرات ثورية في أسلوب تنظيم المنظومة الاقتصادية اليوم، كما سيؤديان إلى تطوير تكنولوجيات بديلة، ومن بينها التكنولوجيا البيولوجية التي ستعاظم استخدام المواد البيولوجية أو التكنولوجيا «الخضراء».

تكنولوجيات الغد: «العلم قوة» وفقاً لفرنسيس بيكون

في المنظومة الكونية المستقبلية سيعتبر عنصر العلم العنصر المركزي الذي سيمكن من مراكمة القوة والقدرة. وإمكان نقل وتلقي المعلومات بسرعة ـ في «زمن حقيقي» هو الذي سيتيح بناء القوة والقدرة في مجالات الحياة كافة، وهو الذي سيملي من سيستجيب في الوقت ومن سيتطور.

وفي المنظومة العالمية الجديدة التي ستقوم على المعرفة والاتصالات وموصلات الاتصالات، سوف تفقد الحدود الطبيعية مدلولها. وسوف يكون بالإمكان القفز فوق المسافات الطبيعية، كما أن مفهوم الزمن سيغير من مدلوله.

إن المعلومات وتكنولوجيات الاتصالات ستغير كل منظومات الحياة كما ستحل محل المنظومات القائمة والمتمثلة بقوة رأس المال.

ونظراً لكون المعلومات ديمقراطية، ولكون أنظمة الاتصالات سهلة الوصول بالنسبة إلى الجميع، فإن تغيير الأنظمة سيأخذ تعبيره في القدرة الأعلى في التغيير الذي سيحدث في المنظومات الاقتصادية التي ستقود المستقبل.

وسوف تجري ملاءَمة الإنتاج الصناعي لمطالب الزبون وإنتاج منتجات مصنوعة حسب الطلب، في نظام تكتل فيه المنتج والمستهلك، فإن المستهلك يسهم في المعلومات عن السوق، أما التخطيط وعمليات الإنتاج فيتوجهان وفقاً لمطالبه.

وسوف تحل المعلومات الإلكترونية محل المال، ويحول رأس المال إلى سيولة نقدية.

كذلك سيخلف التسلسل التنظيمي النابع من تنظيم المعلومات البيروقراطية، أنظمة حرة لتدفق المعلومات ـ شبكات. وسوف يحتل الفرد المكان المركزي حيث إن معظم المنتجات سوف يعتمد على التقدم العلمي. كما أن دمج المعلومات والإبداعية والخيال مع العمل في التوقيت الصحيح سوف يقود إلى تقرير موقع الفرد.

وسوف يرافق التغيير الذي سيطرأ على الأنظمة الاقتصادية أيضاً تغيير في الأنظمة الاجتماعية والمجالية.

إن المعطيات والمعلومات والمعرفة هي أمور لا نهاية لها، ولذا ستكون هناك حاجة إلى سبل مباشرة وغير مباشرة إلى بحر المعلومات، كما ستكون هناك حاجة إلى مفترقات أو موصلات للمعلومات تسمح بالوصول السريع إليها.

الفصل الثاني

المجـــــالات

٢-١ المجال والديمغرافيا (سيرجيو ديله بيرغولا)

يتوقف مستقبل المجتمع الإسرائيلي، إلى حد كبير، على التطورات الديمغرافية التي سوف تحدث فيه. وفي هذه التحولات، بما في ذلك حركات الهجرة ووتيرة زيادة السكان، تبرز تعبيرات كتلك العمليات التي تكون جذورها في الموقع الذي تحدث فيه، أو العمليات التي تكون بدايتها في الخارج في إطار يهود المهجر/ الشتات. الرؤية الشاملة للتصورات المتوقعة في إسرائيل في نطاق التوقعات السكانية ينبغي أن تكون قائمة على رؤية شاملة للاتجاهات الاجتماعية ـ الديمغرافية للشعب اليهودي في أنحاء العالم.

إن دراستنا هذه ترسم بخطوط عامة التحولات الكمية والجغرافية التي حدثت منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية. وهذه التقييمات تتطلب تطوير مفاهيم جديدة تتعلق بتعريف وقياس قائم على التجربة للسكان اليهود. وقد تم لاحقاً بحث عدد من العمليات الداخلية والخارجية التي تؤثر في الآونة الأخيرة في حجم وتركيبة السكان اليهود في البلاد وفي أقطار أخرى.

وقراءة اتجاه العمليات المركزية في السنوات الأخيرة تشكل أساساً لتطوير نظام تقديرات بشأن الاستمرار المتوقع في تلك الاتجاهات. وكنتيجة لاختيار مجالات تطور معقولة، وخاصة بالنسبة إلى شيوع الهجرة الدولية ومستويات الإنتاجية، فقد نشأت سيناريوهات مختلفة للحجم وللتقسيم بين إسرائيل والمهجر/ الشتات، ولتركيبة الأعمار المتوقعة للسكان اليهود في عام (٢٠٢٠).

ويفترض في هذه السيناريوهات أن تستخدم أساساً للفكر الاستراتيجي بشأن

الانعكاسات غير الديمغرافية للعمليات الديمغرافية في الشعب اليهودي، بما في ذلك وزن المجتمع الإسرائيلي من المجموع الكلي، وطبيعة العلاقات بين إسرائيل والمهجر/ الشتات.

مسارات أساس في أوساط يهود المهجر/ الشتات

في عشرات السنين الأخيرة طرأت تحولات متوازية إلى حد كبير على الديمغرافية والتطورات الاجتماعية ليهود المهجر/ الشتات، مع الأخذ في عين الاعتبار الاختلاف في البيئة العامة لكل جالية. وهذا الأمر يمكن من عرض الاتجاهات الرئيسة بصورة عامة.

١ ـ **هجرة دولية شائعة**، تعبر بصورة رئيسة عن القوى الدافعة في أقطار المنشأ، مثل انعدام الاستقرار الاقتصادي والأمني، وبصفة خاصة المخاوف على استقرار مكانة السكان اليهود. وتشكل الهجرة اليهودية إلى إسرائيل عنصر الغالبية من أصل الهجرة الدولية لليهود في معظم السنوات الخمسين الأخيرة (عدا غالبية سنوات الثمانينيات).

٢ ـ **تسوية التوزيع الجغرافي ليهود المهجر/ الشتات**، وفقاً لنظام قوى الجذب والطرد في الأقطار المختلفة. والنتيجة هنا هي تركز الغالبية الحاسمة ليهود العالم في الخمس الأعلى للدول الأكثر تطوراً (بما في ذلك دولة إسرائيل).

٣ ـ **التماثل الاجتماعي ـ الاقتصادي بين اليهود**، مع الحفاظ على فروقات بارزة مقارنة بمجموع السكان، بما في ذلك:

ـ التمدن المطلق وتركيز غالبية السكان اليهود في مناطق متروبولينية كبيرة.

ـ الحصول على الدراسة الأكاديمية من قبل الغالبية الحاسمة للجيل الشاب.

ـ الانتقال إلى مهن ذات خلفية ثقافية عالية، بما في ذلك التركيز على المهن الحرة والإدارية، مع ازدياد نسبة الاجراء على حساب المستقلين.

ـ الانتماء الثقافي إلى طبقات اجتماعية مناسبة، بما في ذلك، التضامن السياسي، أكثر من ذي قبل، مع استقرار المجتمع في الدول الغربية.

٤ ـ **التكامل في العمليات العائلية:**

ـ تأخير الزواج وزيادة معدلات العزوبة.

ـ زيادة في نسبة الطلاق.

ـ قلة في الإخصاب (إنجاب الأطفال).

ـ نسبة متزايدة من الزواج المختلط.

ـ نسبة منخفضة من أطفال الزواج المختلط الموصوفين كيهود.

ـ زيادة بارزة في نسبة الشيوخ في تركيبة الأعمار.

٥ ـ تنوع أنماط التضامن اليهودي التي تأخذ على التناوب طابع:

ـ التضامن الديني.

ـ التضامن الإثني ـ الطائفي.

ـ التضامن مع ما تبقى من الثقافة.

ـ التضامن اليهودي شبه المعدوم، أو الممزوج مع تضامن غير يهودي فعّال.

٦ ـ التعقيد المتزايد في تحديد السكان اليهود، والذي يظهر في الهوات المتزايدة بين مفهومين:

ـ السكان اليهود الذين يشكلون النواة، وهذا يشمل كل من هو على استعداد لأن يحدّد نفسه كيهودي، ولا يحمل هوية أخرى مناقضة.

ـ الحلقة الأوسع للسكان اليهود، وهذا يشمل أيضاً اليهود السابقين والأشخاص الآخرين من أصل يهودي وغير يهودي في العائلات المختلطة.

هذا، وقد أدى إجمال جميع هذه العمليات إلى تقليص عدد اليهود في المهجر/الشتات من (١٠,٤٣٥,٠٠٠) في العام ١٩٤٥ إلى (٨,٦٢٨,٠٠٠) في العام ١٩٩٣.

مسارات أساس في أوساط يهود إسرائيل

النواحي الديمغرافية والاجتماعية لدى اليهود في دولة إسرائيل تتميز بالمحافظة على أنماط ثابتة مع زيادة ديمغرافية سريعة وتحولات قوية في النسيج الاجتماعي ـ الاقتصادي. والأوجه الرئيسة هي:

ـ استمرار الهجرة اليهودية إلى إسرائيل بشكل جوهري واستيعاب غالبيتها الحاسمة في داخل التركيبة الاجتماعية القائمة.

ـ التحسن في المكانة الاقتصادية العامة للدولة مقارنة بالدول الأخرى وبمستوى المعيشة المتوسط للسكان، الأمر الذي يعزز قوة اجتذاب مهاجرين يهود محتملين كما يعزز لدى السكان الموجودين قوة التمسك بوجودهم.

ـ استمرار النمو الديمغرافي الداخلي مع المحافظة على معدلات إنتاجية عالية للغاية بمقياس دولة متطورة.

ـ المحافظة على تركيبة أعمار متوازنة وشابة للغاية.

ـ المحافظة على أنماط ثابتة من التضامن اليهودي في أوساط غالبية السكان، خلافاً للتآكل البارز في أوساط يهود المهجر/ الشتات.

وللإجمال نقول إن السكان اليهود في إسرائيل زادوا من (٥٦٥,٠٠٠) في العام ١٩٤٥ إلى (٤,٣٣٥,٠٠٠) في العام ١٩٩٣.

فرضيات توقعات السكان

لقد جرى إعداد توقعات حول أعداد السكان للفترة ما بين ١٩٩٣ وبين ٢٠٢٠ لمعرفة العدد الإجمالي لليهود في دولة إسرائيل، والعدد الإجمالي ليهود المهجر/ الشتات، ولإجمال العنصرين اللذين يشكلان الشعب اليهودي، وذلك وفقاً للفرضيات التالية:

ـ استمرار التحسن في الصحة العامة وفي متوسط العمر المتوقع دون فرق بين إسرائيل والمهجر/ الشتات.

ـ استمرار الهوة بين مستويات الإنجاب في إسرائيل والمهجر/ الشتات، في النطاق بين استمرار المستويات الحالية (٢,٦ أطفال في إسرائيل و١,٦ في المهجر/ الشتات) وبين تقليص تدريجي إلى ٢,١ و١، ١ على التوالي.

ـ استمرار ميزان هجرة إيجابي إلى إسرائيل إزاء المهجر/ الشتات في النطاق بين مستوى متوسط يعادل (٤٠,٠٠٠) مهاجر صاف سنوياً من بينهم (٣٢,٠٠٠) يهودي، وبين ميزان هجرة يبلغ الصفر.

ولقد تمت التوقعات حسب مفهوم السكان اليهود الذين يشكلون النواة (انظر آنفاً). والنتائج المتوقعة حسب مفهوم الحلقة الأوسع للسكان اليهود يفترض أن تكون أعلى بكثير.

نتائج التوقعات

إن نتائج التوقعات تشير إلى استمرار الزيادة في السكان اليهود في دولة إسرائيل والى استمرار التقلص في عدد يهود المهجر/ الشتات، وذلك وفقاً لمجموع السيناريوهات المختلفة:

ـ عدد اليهود في إسرائيل في العام ٢٠٢٠ قد يتراوح بين (٥,٦٣٤,٠٠٠) و(٦,٨٦٣,٠٠٠).

ـ عدد يهود المهجر/الشتات قد يتراوح بين (٦,٣٤٠,٠٠٠) و(٧,٨٨٧,٠٠٠).

ـ العدد الكلي للسكان اليهود في العالم قد يتراوح بين (١٢,٨٥٤,٠٠٠) و(١٣,٨٢١,٠٠٠).

ـ نسبة اليهود في إسرائيل من أصل المجموع الكلي العالمي قد تتراوح بين (٤١،٧ بالمئة) و(٥٢,٠ بالمئة).

ـ نسبة الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم من (٠-١٤) من إجمالي السكان قد تتراوح بين (٢٣,٠ بالمئة) و(٢٥,١ بالمئة) في إسرائيل وبين (٩,٢ بالمئة) و(١٣,٩ بالمئة) في المهجر/الشتات.

ـ نسبة الأشخاص ذوي الأعمار من (٦٥) فما فوق من إجمالي السكان قد تتراوح بين (١٣,١ بالمئة) و(١٣,٦ بالمئة) في إسرائيل، وبين (٢٤,١ بالمئة) و(٢٧,٨ بالمئة) في المهجر/الشتات.

ـ نسبة الأشخاص ذوي الأعمار من (٠-١٤) الذين يعيشون في إسرائيل من مجموع أبناء الجيل نفسه في إجمالي السكان اليهود في العالم قد تتراوح بين (٥٧,٢ بالمئة) و(٧٢,٥ بالمئة)، والنسبة المقابلة في أوساط ذوي الأعمار من (٦٥) فما فوق قد تتراوح ما بين (٢٨,٧ بالمئة) و(٣٣,٩ بالمئة).

انعكاسات التوقعات

إن نتائج التوقعات مشروطة بالطبع بتحقق الفرضيات التي بنيت عليها. والخط الموجه الرئيسي يستند إلى استقرار في الميزان الاستراتيجي العالمي وإلى استمرار عملية السلام في الشرق الأوسط. إلا أن هذا الأمر ليس مضموناً في ضوء عصر انعدام اليقين الذي يعيشه الآن النظام العالمي ـ الدولي والإقليمي ـ الإسرائيلي معاً. ومن بين الانعكاسات الرئيسة للتوقعات ننوه بالأوجه التالية:

ـ يبرز انقلاب جوهري في النسبة بين حجم السكان اليهود في إسرائيل وفي المهجر/الشتات. وتتطلع إسرائيل إلى مكانة مركز ثقل ديمغرافي للشعب اليهودي لم يكن له مثيل في خلال الأعوام الألفين الأخيرة.

ـ على المدى الأبعد يظهر أيضاً تغيير بارز في طبيعة العلاقات المتبادلة، بما في

ذلك في جميع تلك المنظومات المرتبطة بتركيبة الأعمار، وبمفهوم أوسع في كل ما يتعلق بالإدراك بالانتماء المشترك إلى فريق واحد: الشعب اليهودي.

ـ للتحولات الديمغرافية طابع بطيء نسبياً يتأثر كثيراً بالزخم النابع عن تركيبة الأعمار القائمة، وتأثيره المتبادل في حركات السكان. وهكذا فإن مجال الانحرافات في مقابل السيناريوهات التي عرضت ليس كبيراً، باستثناء إمكان حدوث تبدلات كوارثية في المنظومة الدولية.

ـ وإزاء الفرصة المعقولة لاستمرار النمو الديمغرافي هناك مصلحة لدولة إسرائيل بتطوير بنية منهجية لسياسة اجتماعية ـ ديمغرافية. ويمكن بواسطتها القيام إلى حد ما بمراقبة وتوجيه المسارات القائمة، والسعي إلى تقليص الهوات والتشوهات الناجمة كنتيجة عنها.

ـ وإزاء الاتجاهات القائمة والمتوقعة، فإن لدولة إسرائيل مصلحة وجودية في تطوير مركزيتها في وعي يهود العالم. وتنبع من هنا الحاجة إلى دمج بُعد ثقافي ـ اجتماعي يهودي في كل سيناريو للمجتمع الإسرائيلي نحو العام ٢٠٢٠.

٢-٢ القيم

قيم يهودية في الدولة اليهودية (دانيئيل إلعازار)

ليس مفاجئاً القول إن دولة إسرائيل التي أقيمت عملياً من جانب الحركة الصهيونية من أجل إنقاذ وإعادة بناء الشعب اليهودي، تستند إلى بنى من القيم اليهودية.

إن تعريف إسرائيل كدولة يهودية خاضع اليوم لتفسيرات مختلفة، كما أن الجدل بين هذه التفسيرات سوف يتواصل في الجيل المقبل أيضاً. إلا أن السؤال بحد ذاته يبقى هاماً، والجواب الذي سيُتلقى في نهاية الأمر سوف يترك بصماته على مكانة وتأثير القيم اليهودية في دولة إسرائيل.

القيم اليهودية مجذرة في فكرة العهد وتستمد منها إيحاءها. وتنطوي فكرة العهد على قيمة أساس وجوهرية: وهي الفكرة القائلة ان أبناء البشر يقيمون المؤسسات/المنظمات والعلاقات المبنية على المساواة الأساس وعلى حرية الاختيار. والحال هكذا فالعلاقات التحالفية والمؤسسات النابعة عنها تتعارض تماماً مع التركيبات التراتبية التي بموجبها خصص لكل إنسان مكان خاص به في الهرم السياسي ـ الاجتماعي، وهو موجود في مكانة عالية أو متدنية في هذا السلم. فالطبقة الدنيا مسيطر عليها من

جانب الطبقة العليا أو بواسطة نخبة طبيعية أياً كانت تصل إلى مواقع القوة، وتمسك بقيادة السلطة دون منازع.

فإذا ما فحصنا هذه الأمور بشكل متعمق نرى أن العهد قد يكون القيمة اليهودية العليا.

الشعب اليهودي مطبوع بكل جوارح نفسه لسمات عهدية مميزة، سواءاً كان الأمر يتعلق بيهود علمانيين أو بيهود متدينين. وفكرة العهد مجذرة في الثقافة اليهودية على امتداد الآف السنين. وحقيقة أن دولة إسرائيل قد أُسِّست وفقاً لنماذج تراتبية أوروبية في حين أن شعب إسرائيل ينمو من تقاليد ثقافية مختلفة قد أدت إلى عيوب وتشوهات كثيرة في المجتمع الإسرائيلي، وذلك نظراً إلى أن الفرد ذا التوقعات الاجتماعية العهدية ينبغي أن يوجد وأن يعمل في داخل منظومة ذات بُنى مؤسساتية تراتبية، ولذا فإنه يطور طرقاً للالتفاف حول الإجراءات الرسمية.

مع ذلك فهم اليهود أن الحياة ليست فقط سلسلة عهود، ولكنها تشمل أيضاً بعداً عضوياً. كذلك فإن التضامن النابع من روابط الدم / العائلة يعد عاملاً مركزياً في المجتمع الإنساني وبصفة خاصة في أوساط الشعب اليهودي. وكان الشعور بالتضامن والتكافل المتبادل في أوساط الشعب اليهودي قد حظي بشهرة عظيمة وتحول إلى أسطورة وهناك من يرى فيه نظاماً من العلاقات القبلية التي تستمر في الوجود حتى في الواقع السائد اليوم. والقيم اليهودية تعترف بأهمية هذا التضامن في أوساط جميع الشعوب كشعوب منفردة وبصورة جماعية كتضامن إنساني. وبالفعل فإن الوضع المثالي من وجهة نظر القيم اليهودية يتمثل بمجتمع منظم على أساس الدمج الملائم بين قرابة الدم وبين القبول. ولذا تعرض التوراة الإنسانية على أنها تقوم على أمرين أساسيين: الأول هو الأصل المشترك من آدم وحواء والثاني هو الرابطة المشتركة من خلال عهد الله مع نوح بعد الطوفان الذي حدد قواعد سلوك الجنس البشري.

وهناك مفهوم قيمي يهودي شامل آخر استخدم كحجر أساس للشعب اليهودي ولدولته وهو «الأخوة» بمدلول و«أحب لأخيك ما تحبه لنفسك». وكان مفهوم «الأخوة» قد ظهر للمرة الأولى في التوراة. وبعد ذلك في أدب الحكماء، وهو يعالج التضامن المطلوب داخل الجالية ذات القاعدة الإقليمية. وهذا إطار واسع أو تقلص «عهد التكافل»، وهو القيمة التي تقرر أن «شعب إسرائيل يكفل بعضه البعض»، نتيجة لروابط الدم بين أبناء هذا الشعب. وهناك تفسيرات كثيرة ومتنوعة لماهية الأخوة بدءاً من التضامن بين اليهود وبين أنفسهم وانتهاء بالتضامن بين اليهود وغير اليهود، بحيث إن الأخيرين هم بمثابة «أخوة». ومع أن مصادر حكماء اليهود تقيد حدود المفهوم

للعلاقات بين اليهود فقط، إلا أن أسفار التوراة تبقي الموضوع مفتوحاً. التضامن الطائفي الذي هو الامتداد المنطقي للأخوة يعتبر سمة مميزة تطلع المستوطنون اليهود في أرض إسرائيل إلى تنميته في فترة ما قبل قيام الدولة وأيضاً ما بعد قيامها. وهذه القيمة ما تزال تشكل العلامة الفارقة الأساس لطائفة جيدة من وجهة النظر اليهودية.

وهناك قيمة أساس ثالثة هي «العدل والقانون»، أي العدل الأساس الذي صهر داخل عالمنا والمُرسى في القانون الأساس الذي تقوم عليه العلاقات الإنسانية. والعدل والقانون هما المفهوم الموازي اليهودي ـ التوراتي للقانون الطبيعي في الفلسفة اليونانية والغربية، باستثناء الحقيقة القائلة إنه وفقاً لجذوره اليهودية فإنه يقوم على خلق الكون بيد الله والعهود الواردة في أسفار التوراة. وقد شكلت هذه القيمة عاملاً محفزاً مركزياً في الحياة اليهودية، وخاصة في أوجهها السياسية والاجتماعية.

وعندما نبحث القيم اليهودية في دولة إسرائيل، فإنه من الممكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات:

١ ـ قيم يهودية إنسانية، أي القيم النابعة من التقاليد اليهودية والتي تعالج الموضوعات العالمية أو القابلة لتطبيق عالمي.

٢ ـ قيم صهيونية ترتبط بخاصة بالمشروع الصهيوني وبإنشاء حياة يهودية في أرض إسرائيل وبإنشاء دولة يهودية.

٣ ـ قيم مرتبطة بالطابع اليهودي للدولة اليهودية وللأوجه اليهودية المتميزة في إسرائيل.

وتحمل مجموعة القيم الأولى طابعاً عهدياً واضحاً وتشمل سمات مميزة عضوية بقدر طفيف. أما المجموعتان الأخريان فهما مجذرتان بصورة مكثفة في المزيج اليهودي المتميز لرابطة الدم والعهد، والذي نما منه الطابع الخاص للشعب اليهودي. وليس ثمة شك في أنهما سيواصلان الوجود كما أن تعريفهما سوف يتوسع بحيث يشمل جميع مواطني إسرائيل.

إسرائيل ويهود أمريكا في القرن الحادي والعشرين: البحث عن علاقات جديدة (ستيفن كوهين وتشارلز ليبمان)

للأسف الشديد نقول إن اليهود في إسرائيل وفي الولايات المتحدة أقل تكافلاً وتضامناً اليوم مما كان عليه الأمر في الماضي. وكان يهود المهجر/ الشتات المندمجون في مجتمع الوفرة قد درجوا على الاحتفاظ برابطة ثنائية الأبعاد في مقاربتهم تجاه إسرائيل.

وأخذ أحد هذين البعدين تعبيره في تجنيد نفوذ الدول لصالحها، في حين كان البعد الثاني هو تجنيد الأموال. ومثل هذا النموذج من العلاقات يطلق عليه من قبلنا اسم «النموذج المجندّ».

ويبدو أننا اليوم في ذروة تآكل في «النموذج المجندّ» وليس من المعقول أن يتم كبح هذا التآكل وأن يتراجع في المستقبل القريب. وإسرائيل لم تعد بحاجة مثلما كانت في الماضي للمساعدة السياسية والمالية من جانب يهود المهجر/ الشتات، كما أن اليهود الأمريكيين لم يعودوا يشعرون بالحاجة إلى عرض مثل هذه المساعدة على إسرائيل.

وبالنسبة إلى يهود أمريكا فإن المقتضى الجوهري للغاية في هذا الاتجاه قد نبع من المراوحة في المكان في جمع التبرعات لتمويل أنشطة الجوالي اليهودية في بلادها. ولم يقتصر الأمر على تقلص الصناديق المخصصة للاحتياجات المحلية مع مرور السنين، بل إن نصيب إسرائيل في التبرعات لأغراض المساعدة والرفاه آخذ بالتقلص. كما أنه لا تبدو في الأفق أي إشارة تدل على ارتفاع في الهبات الدولارية لإسرائيل في المستقبل القريب.

ويمكننا أن نلاحظ أكثر فأكثر الفرق بين مجالات الحياة الخاصة والعامة في أوساط الجاليات اليهودية الأمريكية. وتنتمي إلى المجال العام المنظمات اليهودية والنشاط السياسي وتجنيد الأموال. أما في المجال الخاص فنجد في وعي الهوية اليهودية العائلة والطقوس الدينية المألوفة، والكنس اليهودية والنظرة إلى الدين والتعليم. وفي خلال الأعوام الأخيرة هبط وزن المجال العام في حين ان المجال الخاص حافظ على مكانته. ويمكن القول إن الروابط بين يهود الولايات المتحدة وإسرائيل كانت مربوطة بالحصان غير الصحيح أي (المجال العام). وعلاوة على ذلك فلقد بدأ زعماء إسرائيل بالإعلان على مسامع يهود أمريكا بصوت واضح ومرتفع قائلين: «إننا لسنا بحاجة لكم».

هناك إسرائيليون لا توجد لديهم أي صعوبة في رفض قيام روابط مع يهود أمريكا ويهود المهجر/ الشتات الآخرين. ونفي الحاجة إلى قبول الدعم من يهود المهجر/ الشتات ورفض هذا الدعم من قبل الإسرائيليين إنما يشكل تعبيراً عن عامل هام في غروب «النموذج المجنّد». ومن أجل أن تقوم إسرائيل بدور جوهري في وعي أجزاء بارزة من يهود أمريكا، فإن الحاجة تتطلب نماذج إضافية من العلاقة بين الطرفين ومحددات جديدة للحاجة إلى مثل هذه العلاقة.

هذا وتتسم الجاليات اليهودية الأمريكية بأربعة خطوط واضحة: العالمية، ونظرة أخلاقية إلى العالم، ورؤية الأمور في نظر الفرد ومرآة شخصية، وأهمية العنصر

الإرادي في نشاط الفرد (التطوع). وتأخذ العالمية تعبيرها في الإدراك بأنه يتوجب أن يكون اليهود شركاء في الجهود لتحسين وضع بني البشر عموماً وليس فقط وضع اليهود. والمقاربة الأخلاقية تجاه شؤون العالم تقول «إن الإنسان المتدين يعرف ليس فقط بالانصياع إلى طقوس العبادة وإنما بالسلوك الأخلاقي الحسن» والتركيز على الفرد وعلى المرآة الشخصية يعكس الميل لقياس التقاليد ولإعادة بلورتها في ضوء مدلولها ونجاعتها بالنسبة إلى الفرد، ورفض الالتزامات الجماعية المرتبطة بتلك التقاليد. وتتطرق الروح التطوعية إلى الطابع الإرادي للهوية اليهودية وللطريقة التي يجري بها التعبير عنها. وهذه القيم وتأثيرها في صياغة الهوية اليهودية الأمريكية تسعى بصفة عامة إلى تقويض «النموذج المجندّ».

إننا نرفض صورة الجاليات اليهودية الأمريكية كما تبدو في نظر الكثيرين من زعماء يهود الولايات المتحدة ومن أصحاب النفوذ في إسرائيل. وتعرض تلك الصورة سكاناً يهوداً أمريكيين متجانسين يعاني التزامهم اليهودي من تآكل دائم. أما نحن فنؤمن بأن يهود أمريكا يعانون من عملية تجزؤ متصاعد. وان الاقتراحات لتعزيز الروابط بين يهود إسرائيل ويهود أمريكا ينبغي أن تقوم على خطوط سياسية مركزة على أهداف محددة، وأن لا توجه بصورة شاملة إلى الجمهور اليهودي في أمريكا كما لو كان كلاً لا يتجزأ.

نحو ثلث يهود أمريكا يرون إسرائيل اليوم بصورة واضحة على أنها لا تعني شيئاً بالنسبة إليهم، وبالنسبة إلى يهود آخرين في الولايات المتحدة فإن إسرائيل لا تشكل تقريباً أكثر من مجرد مركز جذب سياحي.

إن النماذج التي تعزز الروابط المرادة هي «النموذج المجندّ» ونموذج «مصدر الدلالة الذاتية». ومع أن «النموذج المجندّ» في تراجع إلا انه يميز المقاربة التي يستمر بموجبها التطرق إلى إسرائيل من جانب يهود أمريكيين من ذوي المشاركة الكبيرة للغاية في شؤونها. وحسب نظر هؤلاء فإن إسرائيل تبدو كدولة محتاجة بحيث يتوجب على يهود أمريكا التجند للدفاع عنها. وهذا النموذج لا يطالب اليهود الأمريكيين بالتطرق إلى إسرائيل أو إلى الإسرائيليين بعمق عاطفي بمفاهيم الدين والتعليم والثقافة أو المجتمع.

إن نموذج «مصدر الدلالة الذاتية» يرى أمام ناظريه طائفة من اليهود الأمريكيين الذين يقيمون روابط شخصية وثيقة مع إسرائيل ومع الإسرائيليين. وكلا النموذجين ـ الأول يعمل في المجال العام والثاني في مجال الفرد ـ لا يتعارضان أبداً مع بعضهما البعض. وان تطوير مجال الفرد الذي ينشط فيه تضامن صهيوني أو ودّي تجاه إسرائيل

لن يأتي على حساب المجال العام، الذي لم تعد فيه حياة للنموذج المجنّد.

إن نحو ١٥ بالمئة من يهود الولايات المتحدة يلائم هذين النموذجين. وربما كان ثلثان من ضمن هذه المجموعة ـ عشرة بالمئة تقريباً من جميع يهود الولايات المتحدة ـ مشاركين اليوم بصورة عميقة أو كانوا مشاركين هكذا في تجنيد الأموال أو في نشاط سياسي من أجل إسرائيل، إلا ان الثلث فقط من تلك المجموعة ـ خمسة بالمئة تقريباً من إجمالي يهود الولايات المتحدة يمكن ان يعتبروا كأصحاب رابطة شخصية عميقة مع إسرائيل بالمفهوم الذي وصفناه آنفاً.

إن السياسة المثمرة للغاية في إثراء الرابطة بين اليهود الأمريكيين ودولة إسرائيل تتمثل في زيادة عدد اليهود الأمريكيين الذين يستمدون من خلال الروابط التي يقيمونها مع إسرائيل ومع إسرائيليين بعامة مدلولاً عظيم القوة وطويل لأجل لا يجوز الوقوف في وجهه. وان مثل هذه السياسة ستضع لنفسها هدفاً هو توسيع المدلول الذي تحمله إسرائيل معها من أجل المنتمين اليوم إلى «النموذج المجند» وبذل جهد، والجهد لرفع الأشخاص الذين يعتبرون «سائحين» فقط إلى مستوى المشاركة الأكثر شخصية والأكثر جدية في السياق الإسرائيلي.

إن الشعب اليهودي في أنحاء العالم موجود اليوم في صراع بين «المهودين» و«المطبعين». و«المهودون» سواء أكانوا في الولايات المتحدة أم في إسرائيل بحاجة بصورة متبادلة إلى مساعدة في بلورة أنماط من الديانة اليهودية ذات قدرة على الحياة (يهودية أرثوذكسية عصري أو محافظة/ تقليدية أو إصلاحية أو حتى الفئات اليهودية العلمانية) وتتسم بالوضوح الثابت إضافة إلى الجاذبية.

هذا وينبغي إدارة المعركة من أجل يهودية عصرية ضد «دعاة التطبيع» في إسرائيل الذين يريدون إيصال دولة إسرائيل إلى «الشفاء» من الديانة اليهودية بالمفهوم الديني، وضد «دعاة التطبيع» في الولايات المتحدة الذين يريدون تحويل الديانة اليهودية إلى إدراك شخصي غير مبالٍ ـ بواسطة فصلها عن عناصرها الإثنية وتقاليدها الطقوسية، وان الصراع المشترك حسبما هو موصوف هنا سيوفر الإطار المفهومي لتنوع الأنشطة المشتركة ومنظومات العلاقات اللازمة التي يمكنها أن تربط يهود المهجر/ الشتات ويهود إسرائيل معاً.

إن بلورة علاقات ثقافية جوهرية وثابتة بين إسرائيل وبين يهود أمريكا هو هدف ذو أولوية قومية بالنسبة إلى دولة إسرائيل في القرن الحادي والعشرين، وعنصر حيوي للعمل الفعال من أجل الحركة الصهيونية في أيامنا.

٢-٣ القدرة والاقتصاد

يهود المهجر/ الشتات ودولة إسرائيل ديناميكية العلاقات الاقتصادية، أفكار نحو سنوات الألفين (يهودا دون)

في النظام المعقد لعلاقات إسرائيل مع المهجر/ الشتات اليهودي في أقطار العالم، لا تحتل العلاقات الاقتصادية مركز الاهتمام. وربما كانت الأسئلة والتخبطات التي تعود في مصدرها إلى «الروح» أكثر أهمية من تلك التي تعود في مصدرها إلى «المادة». وإن قضايا مثل الهوية اليهودية والتربية اليهودية والتضامن اليهودي وتنمية محبة إسرائيل أكثر أهمية في الحوار القائم بين دولة إسرائيل ويهود المهجر/ الشتات من المسائل الاقتصادية. ورغم ذلك فإنه يوجد أيضاً للمجالات المتعلقة بالروح انعكاسات اقتصادية.

وتعالج هذه الدراسة بعض الأوجه الاقتصادية المتعلقة بعلاقات إسرائيل والمهجر/ الشتات، وهذه هي دراسة تقوم في أساسها على التجربة وتتولى فحص معطيات رقمية وانعكاساتها. وكذلك فإن غالبية النتائج الواردة في هذه الدراسة هي تصورات ما تزال بحاجة إلى فحص ومتابعة منهجيين. وهذه التصورات تشير فقط إلى اتجاهات طريق للمستقبل المنظور في نصف اليوبيل الذي يوصلنا إلى داخل القرن الحادي والعشرين.

وهناك ثلاثة عوامل أساس تؤثر في اتجاهات التطور الاجتماعية ـ الاقتصادية في علاقات إسرائيل ويهود المهجر/ الشتات في سنوات الجيل المقبل:

١ ـ التحولات التكنولوجية في العالم وانعكاساتها على سوق العمل وعلى نمط حياة البشر، يهوداً أم غير يهود على حد سواء، في إسرائيل وفي كل مكان آخر.

٢ ـ ردود الفعل المتوقعة للإنسان اليهودي على هذه التطورات، في اختبار الاندماج الاجتماعي ـ الاقتصادي المتوجب من التحولات، وانعكاسات ردود الفعل هذه على علاقات الفرد اليهودي مع طائفته ومع الشعب اليهودي بمجمله.

٣ ـ ردود الفعل المتوقعة لدولة إسرائيل وبضمنها الاقتصاد الإسرائيلي والمجتمع الإسرائيلي، على التحولات التكنولوجية الكونية، وتأثير ردود فعل إسرائيل في علاقاتها مع يهود المهجر/ الشتات.

وفي هذه الدراسة سوف نسلط الأضواء على العملية كلها باعتبارها مكونة من منظومة عوامل خارجية وداخلية. والعوامل الخارجية هي عالمية تهبط على الإنسان اليهودي في إسرائيل وفي العالم دون أن يكون له أي تأثير فيها. أما العوامل الداخلية

فهي ردود فعل البشر على العمليات الخارجية، ولردود الفعل هذه تأثير في علاقات الإنسان اليهودي مع الإطارات الإثنية ـ الطائفية التي يرتبط بها.

وبالطبع فإن الإطارات الطائفية منعدمة التأثير في العوامل الخارجية، إلا أن ردود فعل الفرد اليهودي على هذه العوامل متأثرة من الخطوات المتخذة من قبل الجالية. كذلك فإن الخطوات التي تتخذها مؤسسات دولة إسرائيل تجاه المهجر/ الشتات اليهودي، مع أنها تتأثر أيضاً بالعوامل الخارجية الكونية، فإنها تبقى نتيجة لسياسة إرادية تجري وفقاً لأفضليات سياسية وأيديولوجية من جانب الزعامة.

المراحل الحالية للثورة التكنولوجية سوف تستمر في بداية القرن الحادي والعشرين، وستكون تعبيراتها الرئيسة هي التسلل المتعاظم للحاسوب وأجهزة الاتصالات الالكترونية إلى مجالات الإنتاج كافة. وكنتيجة لذلك فإن نجاعة الإنتاج ستزيد بشكل أسرع من وتيرة الزيادة في استهلاك إنتاج هذه القطاعات وسوف تتطلب هذه العملية إعادة تقييم للمرافق الاقتصادية في الغرب يكون تعبيره الهبوط الحاد في نسبة العاملين في القطاعات التي يحل فيها الحاسوب محل عمل الإنسان، والارتفاع في نسبة المستخدمين في الخدمات لرفاه الإنسان. وان جو العمل الذي ستحدث فيه هذه العمليات سيكون المنافسة الشديدة، على المستوى القومي، وفي الساحات الدولية على حد سواء. وسوف يكون المقياس شبه المطلق للنجاح هو النجاعة وقدرة المنافسة، وستكون الأداة الذهنية التي تضمن النجاعة القصوى هي التفكير العقلاني الذي يتركز على فرضية الأرباح للعمل على المدى الطويل. وسوف تؤدي التحسينات في وسائل الاتصال إلى طمس متزايد للفروقات بين الشعوب والأمم في العالم المتطور. كما سوف يتزايد التشابه في أنماط الحياة وفي الأذواق لدى شعوب العالم المتطور.

كذلك فإن العامل (المستخدم) المهني ورأس المال سوف يتمتعان بالريادة القصوى في العالم المتطور، وهذه العمليات التي تجعل أقطار العالم المتطور مماثلة لبعضها البعض في أنماطها والتي تخلق ما يشبه «القرية الكونية» (Global Village) سوف تؤدي إلى ارتفاع حاد في مستوى المعيشة في الغرب الغني.

إن لهذه التحولات تأثيراً حاسماً في يهود المهجر/ الشتات، وفي نظرتهم إلى هويتهم اليهودية وفي علاقاتهم مع دولة إسرائيل. وننوه هنا إلى أنه خلافاً لتقسيم سكان العالم بين أقطار متطورة وفقيرة، فإن ما يزيد عن تسعين بالمئة من (٨,٧) مليون يهودي في المهجر/ الشتات يعيشون اليوم في أقطار متطورة، وهم معرضون لتأثير العمليات التي وصفت أعلاه.

وفي أيامنا هذه توجد أربعة تجمعات جغرافية ـ اقتصادية يهودية في المهجر/ الشتات وهي:

١ ـ العالم الرأسمالي المتطور (٨١,٨ بالمئة) من إجمالي يهود المهجر/ الشتات.

٢ ـ أمريكا اللاتينية (٥,٠ بالمئة) من إجمالي يهود المهجر/ الشتات.

٣ ـ شرق أوروبا والاتحاد السوفياتي سابقاً (١١,٢ بالمئة) من إجمالي يهود المهجر/ الشتات.

٤ ـ الأقطار الإسلامية (٢,٠ بالمئة) من إجمالي يهود المهجر/ الشتات.

٥ ـ المجموع ١٠٠ بالمئة.

١ ـ يهود العالم الرأسمالي المتطور، أي يهود الولايات المتحدة وكندا وأوروبا الغربية وأوقيانيا (أستراليا) وجنوب أفريقيا كانوا أول من تعرضوا لهذه العمليات التي حولت المجتمع الغربي إلى مجتمع أكثر تجانساً وعالمية (كوزموبوليتياني) من بقية أجزاء العالم. والقضم التدريجي في التقاليد القومية ـ التاريخية بهدف تخفيض الحواجز بين الشعوب والدول، يساعد اليهود على القيام بدور العامل المحفّز في جلب بشائر المشترك بين الدول. وهذا الدور يمس بالطبع بقوة التضامن اليهودي في داخل الجوالي اليهودية.

وهذه القوة في الأقطار الغربية تتوقف بصفة عامة على حجم الجوالي وعلى طول فترة مكوثها في مناطق إقامتها. وهناك معامل سلبي متوقع بين مستوى الالتزام بالموضوعات اليهودية وبين طول الفترة الزمنية التي تقيم فيها الجالية في مكان إقامتها. وبالطبع فإن هناك معاملاً إيجابياً متوقعاً بين هذا الالتزام وبين حجم الجوالي. ومعظم اليهود في الغرب معرضين لعمليات اندماج حثيثة.

كذلك يتواصل الانخفاض الديمغرافي بسبب قلة الإنجاب وبسبب كبر السن.

إلا أنه وعلى الرغم من ذلك فإن الجاليات اليهودية في الغرب تشكل الساحة الرئيسة للجهود التنظيمية ـ التعليمية لتشجيع التضامن اليهودي، وفي العام ٢٠٢٠ سيكون عدد اليهود في الغرب (٦-٦,٥) مليون نسمة، أي انه يتوقع انخفاض بنسبة سنوية تتراوح ما بين (٠,٥ بالمئة) إلى (٠,٨ بالمئة). والتركيبة المهنية لهؤلاء اليهود ستكون مماثلة للسكان عموماً، وهذا دليل (وفقاً لكوزنتس) على عمليات الاندماج. وفي ضوء ذلك كله فإن المهمة المركزية لجميع المشتغلين اليوم بموضوع يهود الغرب ينبغي أن تكون تنمية ورعاية التضامن اليهودي، وبخاصة في أوساط الجيل الشاب.

٢ ـ الفارق الأساس بين يهود الغرب وبين يهود أمريكا اللاتينية هو أن (٤٣٠,٠٠٠) يهودي هناك، مثل أمريكا اللاتينية نفسها، متخلفون مرحلة واحدة عن يهود الغرب.

ومن ناحية مكانتهم تجاه غالبية السكان فقد بقوا حتى اليوم «أقلية». ومعظم علامات الاندماج، مثل التكامل في التعليم، ونسب الزيجات المختلطة ونسبة الزيادة الطبيعية «متخلفة» أيضاً عن الغرب. وأيضاً من ناحية قوة الروابط بين الفرد اليهودي وبين المؤسسات اليهودية فإن غالبية يهود أمريكا اللاتينية يحتلون مستويات أعلى مما هو الأمر في الغرب. ولكن، فمع تقدم الحداثة في هذه الأقطار، ستتعزز الاتجاهات الغربية في قضايا علاقات اليهود بمؤسسات جواليهم وبديانتهم اليهودية أيضاً.

٣ ـ هناك ظاهرة اجتماعية ـ اقتصادية مثيرة تتمثل بالجماعات اليهودية في الأقطار التي عاشت جيلين أو ثلاثة أجيال تحت أنظمة شيوعية. وسنميز هنا بين ثلاث مجموعات من هذه الجوالي اليهودية:

ـ يهود عصبة الأمم الأوروبية الذين بلغ عددهم في العام ١٩٩١ نحو (٨٧٠,٠٠٠) نسمة. وكان معظمهم قد انفصل عن الشعب اليهودي قبل نحو ثمانين سنة. وبالنسبة إليهم فإن العودة إلى الديانة اليهودية هي وضع أسس جديدة، وقدرة صمودها في اختبارات المستقبل ليست واضحة، لا لمبعوثي الديانة اليهودية هناك ولا لزعمائهم الجدد. والأرجح الافتراض أن هذا الجمهور سيشكل مصدراً لهجرة يهودية مستقبلية إلى إسرائيل.

ـ في الأقاليم الشرقية لجماعة الأمم الأوروبية تعيش جوالٍ يهودية إسبانية في أصلها، يبلغ تعدادها نحو (١٢٠,٠٠٠) نسمة، نجح معظمها في المحافظة على الكثير من تقاليد أجدادهم.

ولقد اتضح مع زوال الحكم الشيوعي أن هذه الدول بعيدة جداً من مستوى الغرب ليس فقط من ناحية التكنولوجيا الصناعية، وإنما أيضاً من ناحية العمليات الاجتماعية.

وتعكس الجوالي اليهودية في هذه الأقطار هذا الواقع الاقتصادي والاجتماعي، كما أن العلاقات المتبادلة بين اليهود وبين السكان مماثلة لتلك الموجودة في أقطار إسلامية اخرى. وكذلك الأمر بخصوص نسب الزيجات المختلطة، وبخصوص خطر الانكماش الديمغرافي.

ويشكل هذا الجمهور مصدراً هاماً للهجرة اليهودية إلى إسرائيل. ويتضح بأن

فرص نجاح النشاط اليهودي في الأقطار الجنوبية الشرقية لجماعة الأمم الأوروبية أكبر منها في الأقاليم الأخرى.

ـ الجوالي اليهودية في وسط وشرق أوروبا بما في ذلك بلدان البلقان تشكل اليوم بقية صغيرة فقط تعد نحو (٩٦,٠٠٠) نسمة من أصل خمسة ملايين قبل الكارثة اليهودية. ويعيش نحو ثلثين منهم في هنغاريا ومعظمهم في بودابست. ومعظم هؤلاء اليهود، باستثناء يهود اليونان، انقطعوا بعد العام ١٩٤٥ عن المنظمات اليهودية العالمية، وعادوا إليها فقط في السنوات الأخيرة. كما أن غالبيتهم الكبيرة هم من بقايا الكارثة الذين لم يهاجروا إلى إسرائيل أو إلى الغرب بعد الحرب، وإنما قرروا إعادة بناء حياتهم في أقطار منشأهم. ولقد ترك هؤلاء القليل جداً من الحفدة، ومعظم هؤلاء من أبناء الجيل الثاني سعوا جاهدين للاندماج في بيئتهم من طريق الزيجات المختلطة.

٤ ـ هناك نحو ستة وستين ألف يهودي يعيشون اليوم في آسيا وأفريقيا وسنقسم هؤلاء إلى ثلاث مجموعات:

ـ أولئك الذين يعيشون في الأقطار الإسلامية.

ـ الجوالي القديمة في الأقطار النامية غير الإسلامية (الهند وأثيوبيا).

ـ يهود قدموا قريباً إلى الشرق الأقصى أو إلى أفريقيا السوداء.

ـ إن الفروقات بين هذه المجموعات الثلاث جوهرية، وبخاصة في مجال وضعها ومكانتها الاقتصادية والسياسية.

أ ـ يهود الأقطار الإسلامية يشكلون نحو (٨١ بالمئة) من إجمالي يهود آسيا وأفريقيا. ويبلغ عددهم اليوم نحو (٥٤,٠٠٠) أما عددهم عشية الحرب فكان (٧٢٣,٠٠٠). وهذه الحقيقة جوهرية إزاء نسبة التكاثر الطبيعي العالية حتى هذا اليوم لدى هذه الجوالي.

إن سبب الانخفاض الحاد في عدد اليهود هناك يكمن في الهجرة الهائلة ففي أعقاب إقامة دولة إسرائيل، والنزاع المستمر نتيجة ذلك بين الشعب اليهودي والإسلام. والسبب الآخر في تقليص عدد الجوالي اليهودية، وبخاصة في شمال إفريقيا، في العراق وسوريا تمثل في عملية التحرر من الاستعمار وتأثيرها في مكانة الأقليات (بما في ذلك اليهود). واليوم تعيش مجموعات يهودية بأعداد بارزة فقط في المغرب (٨,٠٠٠)، تركيا (١٩,٦٠٠)، وإيران (١٨,٠٠٠). وخطر الاندماج في هذه الأقطار هامشي، حيث إن هؤلاء اليهود معرضون للذوبان فقط عند هجرتهم إلى الغرب.

وفي خلال الأجيال تطورت طائفتان قديمتان في الأقطار غير الإسلامية. الأولى في الهند (اليوم نحو ٤٥٠٠ نسمة) والثانية في أثيوبيا (عددها غير معروف). وتقلص كلاهما جداً منذ الستينيات في أعقاب هجرة معظم أبناء هاتين الطائفتين إلى إسرائيل.

وهناك أيضاً نحو (٦٠٠٠) يهودي موزعين على أقطار مختلفة في أرجاء آسيا وأفريقيا، وصل معظمهم إلى هذه الأقطار بعد الحرب العالمية الثانية بحثاً عن فرص الثراء المغرية. ويشكل معظمهم أقليات في داخل بقية الأقليات الأوروبية ويعيشون في إطارات أشبه ما تكون بجيوب كولونيالية.

هذا، وقد وجد في الأجيال الأخيرة معامل سلبي بين مستوى الرفاه الشخصي والبيئي للإنسان اليهودي وبين مستوى التزامه بوجوده اليهودي. وهناك مشكلة خطيرة هي الرابطة بين هذا المعامل وبين شبكة العلاقات المتوقعة بين دولة إسرائيل والمهجر/ الشتات.

التحولات ودولة إسرائيل

العمليات التي وصفت آنفاً سوف تؤثر في الجيل المقبل لناحية تخفيض قوة التضامن اليهودي لدى يهود المهجر/ الشتات. وتنطبق هذه الأمور بشكل خاص على أولئك الذين يعيشون في الغرب الغني والذين يشكلون نحو (٨٠ بالمئة) من يهود المهجر/ الشتات. وهذا التخفيض متوقع بصورة رئيسة بسبب انخفاض الأهمية التي تعزى من قبل الجيل الشاب للموضوعات الفردية - الإثنية التي تربط الإنسان اليهودي بديانته اليهودية، إضافة إلى كونه شريكاً فعالاً وكاملاً في حياة المجتمع والاقتصاد في بيئته. ومن الجهة الأخرى فإن أهمية هذه الروابط ستتقلص في المستقبل بالنسبة إلى سكان دولة إسرائيل أيضاً.

ومن بين أسباب هذه التوقعات تعاظم الاتجاهات العالمية في الاقتصاد. وسوف تتعاظم كثيراً أهمية الاعتبارات العقلانية في مجال الأشغال بحيث لا يتبقى مجال كبير لعوامل تفضيل ذات طابع فردي ديني أو عرقي. كذلك فإن تعاظم قوة الشركات المتعددة الجنسيات يؤثر سلباً في وزن العامل القومي أو الديني في العلاقات التجارية، وفي الاتجاه نفسه يسير أيضاً تعاظم قوة المرافق الاقتصادية الإسرائيلية، وهو تعاظم ليس له أي صلة بحقيقة كون دولة إسرائيل هي دولة اليهود. والحاجة للحصول على أفضلية من جانب قطاع الأعمال اليهودي في الخارج قلت كثيراً في أعقاب تقوّي الاقتصاد الإسرائيلي. ومع اقتراب بداية القرن الحادي والعشرين سوف يتضاءل وزن يهود المهجر/ الشتات في الاقتصاد الإسرائيلي مثلما سيتقلص وزن

إسرائيل في اعتبارات اليهود المتعلقة بالأشغال. وفي المستقبل سيتضاءل عدد المبادرات المتعلقة بالأشغال من جانب يهود المهجر/ الشتات، والتي سيكون جلّ دوافعها تقديم المساعدة الاقتصادية لإسرائيل.

وكان وجود الحاجة المتبادلة بين المهجر/ الشتات وبين دولة إسرائيل مصدر قوة رئيساً في تعاظم دولة إسرائيل وفي استمرار الوجود الجماعي للشعب اليهودي. ولقد وجد البعد الاقتصادي للحاجة المتبادلة تعبيره في مجال المساعدة الاقتصادية التي تدفقت بصفة عامة من يهود المهجر/ الشتات إلى دولة إسرائيل، وفي الحالات التي تكون فيها جماعات المهجر/ الشتات اليهودي ضئيلة العدد أو في ضائقة اقتصادية، فإن المساعدة تكون من إسرائيل إلى المهجر/ الشتات ولقد كانت هذه المساعدة المتبادلة قناة مركزية لتعبيرات التضامن اليهودي العام. واليوم أيضاً فإن صناديق الجباية تشكل قناة هامة لمساعدة القطاعات الضعيفة في المجتمع اليهودي. ومن هذه الناحية لا فرق بين صناديق الجباية لإسرائيل وبين مشاريع (أليانس)، (هاياس) أو (جوينت) حيث إن جميعها يقدم المساعدة الاقتصادية من التجمعات اليهودية الغنية إلى الضعيفة، وبذلك تخلق قنوات للتضامن اليهودي العام، تفوق فائدتها العامة مجموع الفوائد التي تعود على الجهات التي تعطي والجهات التي تأخذ أيضاً. ويتعلق الأمر هنا بما يشبه «المنتوج العام اليهودي الشامل».

ولذا فإن اعتبار المساعدة الاقتصادية المقدمة من المهجر/ الشتات إلى أهداف في إسرائيل، حتى ولو كان إسهامها كنسب مئوية من الناتج القومي قد تقلص كثيراً، عديمة القيمة الحقيقية، يدل على انعدام فهم بشان ماهية ظاهرة المساعدة المتبادلة كمنتوج يهودي جماهيري. ومن ناحية أخرى فإنها تدل على تنكر مقصود لقيم التضامن اليهودي. والآراء التي تسمع في إسرائيل والتي تتنصّل من يهود المهجر/ الشتات هي تعبير فظ عن تقزيم مدلول إسرائيل كدولة يهودية.

روابط ذات طابع اقتصادي ـ فحص قائم على التجربة

هذه الدراسة تفحص بتفصيل ملحوظ تطور إسهامات يهود المهجر/ الشتات لإسرائيل في الأعوام ١٩٥٥ ـ ١٩٩٤ مع التمييز بين الإسهامات للجباية العامة وبين الإسهامات لصالح المؤسسات التي لا تبتغي الربح. ويبلغ مجموع التبرعات التي قدمت في هذه الأعوام نحو (١٧,٢٠٠) مليون دولار تمثل نحو (٦,٢ بالمئة) من جميع المداخيل العملات الصعبة التي وصلت إلى الدولة. ومن الواضح تلقائياً أن قيمة هذه المبالغ مختلفة بالمصطلحات الفعلية، حيث إن قوة الشراء للدولار الأمريكي الواحد في العام ١٩٥٥ تعادل قوة شراء (٥,٣) دولار أمريكي في العام ١٩٩٤.

والاستنتاجات من الأرقام في هذه الدراسة كانت كما يلي:

١ ـ لقد كان هناك تأرجح كبير في التبرعات من عام لآخر.

٢ ـ التأرجحات عكست وضع الأمن الجاري في الدولة.

٣ ـ وزن التبرعات في الإجمال الكلي للمداخيل بالعملات الصعبة للدولة بعد العام ١٩٦٧ آخذ بالتقلص.

٤ ـ وزن التبرعات للمؤسسات غير الربحية في الأعوام الأخيرة آخذ بالازدياد.

إن الارتفاع في وزن التبرعات للمؤسسات غير الربحية الذي يعني انخفاضاً في وزن التبرعات للجبايات العامة الخاصة بالمؤسسات الوطنية كان منذ الثمانينيات ثابتاً، ومنذ التسعينيات حاداً للغاية. وهذا التطور يشكل دليلاً إضافياً على ان عدد يهود المهجر/الشتات المعنيين بالتبرع مباشرة لدولة إسرائيل آخذ بالتقلص. والتعبير المالي لولاء الكثيرين من بين هؤلاء للقضية اليهودية ولأرض إسرائيل يتجسّد في توسيع مساعدتهم لمؤسسات التعليم والثقافة والفنون في إسرائيل وليس بالذات للدولة نفسها.

وفي الظروف التي وصفت آنفاً وباستثناء «فرع» المساعدة المقدمة للمؤسسات غير الربحية وللدولة، قليلة هي تلك الفروع التي يوجد فيها للروابط الاقتصادية بين إسرائيل والمهجر/الشتات فرصة كبيرة للنجاح. ومن بين هذه الفروع يمكننا أن نعد الخدمات التي ببيعها إلى يهود الخارج بقيت لإسرائيل مزايا ثابتة.

١ ـ خدمات بيوت المسنين.

٢ ـ خدمات الدراسة الجامعية.

٣ ـ خدمات مؤسسات التعليم التوراتية.

إن الفرع الاقتصادي التقليدي الذي ينتج منذ سنوات كثيرة بضائع للتصدير إلى السوق اليهودية هو فرع الغذاء الذي يصدر منتوجات «اثنية» إسرائيلية مثل أغذية (المحلّلة) (Kosher) أو الأغذية الشرق أوسطية. وهناك أيضاً فرع المنتجات التقليدية التذكارية «من البلاد المقدسة» الذي يعمل منذ سنوات عديدة بأحجام غير مثيرة.

وهذه الفروع مستغلة إلى درجة تقارب طاقتها القصوى كما أن شريحة أسواقها آخذة بالتقلص.

وهناك أيضاً مجالان آخران نشأت بينهما في الماضي روابط ذات مدلول اقتصادي

بين دولة إسرائيل وبين يهود المهجر/ الشتات وهما:

١ ـ زيارات السواح اليهود إلى دولة إسرائيل.

٢ ـ هجرة اليهود إلى إسرائيل.

وتنقسم السياحة الوافدة إلى إسرائيل إلى مجموعتين مختلفتين عن بعضهما البعض:

١ ـ السواح الوافدون بسبب تميز البلاد من الناحية التاريخية ـ الدينية وبسبب تميزها كقطر يضم خمسة ملايين يهودي.

٢ ـ السواح الذين يبحثون في إسرائيل عن المناظر البانورامية وعن الشمس والبحر وربما آثار البلاد التاريخية.

والفارق بين نوعي الطلب المذكورين هو أنه بالنسبة إلى المجموعة الأولى، وهي يهودية في معظمها، لا يوجد لزيارة إسرائيل بديل سياحي في مكان آخر، بينما في المجموعة الثانية التي تبحث عن المناظر الطبيعية وعن الشمس والبحر والمتعة فإن إسرائيل تعتبر قطراً آخر متطوراً وتغمره الشمس، ومثل هذا السائح يتوقع أن يجد في إسرائيل الأمور الجذابة التي يبحث عنها بمستوى أفضل و/ أو بأسعار أفضل بدلاً من البحث عنها في مكان آخر. واتجاه تطور السياحة الوافدة في الأعوام الأخيرة يعكس بصدق التحولات في علاقات دولة إسرائيل مع المهجر/ الشتات اليهودي، وتدل المعطيات على هبوط نسبي في السياحة اليهودية في مقابل زيادة سريعة جداً في السياحة العالمية.

إلا أن السياحة اليهودية ليست فقط مصدراً للعملات الأجنبية، حيث إن للسياحة اليهودية، مثلما هو الأمر في صناديق الجباية، وجهاً يمثل منتوجاً يهودياً جماهيرياً عاماً. كما أن قيمة زيارة اليهود في إسرائيل أكبر من قيمة الدولارات التي يجلبها السواح اليهود وأكبر من قيمة المتعة السياحية لهؤلاء الزوار. ولذا فإن هناك مكاناً لتشجيع السياحة اليهودية يفوق الجهود الرامية لإنماء السياحة كقطاع اقتصادي.

وهناك أدوات لتشجيع السياحة اليهودية، إلا أن استخدامها مرتبط بأكلاف وليس مالية فقط، يتوقف جدوى دفعها على الحكم الشخصي بشأن الفائدة النابعة من قيم مثل التضامن اليهودي الشامل. وهذا الحكم هو متغير سياسي ذو شحنات أيديولوجية بأيدي المتحكمين بموارد الجمهور. ومرة أخرى نقول بأن تخصيص موارد لمشاريع لتعزيز السياحة اليهودية إلى إسرائيل (للشبيبة اليهودية ونحو ذلك) سيكون محصلة مدى الأهمية التي يعزوها أصحاب القرار السياسي للطابع اليهودي للدولة.

إن الهجرة اليهودية إلى إسرائيل باعتبارها استيراداً لموارد اقتصادية، تنقسم في التسعينيات إلى ثلاث مجموعات:

١ ـ **هجرة الضائقة**، التي معظمها من أقطار تعتبر فيها حريات الإنسان اليهودي و/أو مستوى معيشته أسوأ (أكثر انخفاضاً) من إسرائيل، ولذا فإن المهاجر اليهودي يأتي إلى إسرائيل من أجل تحسين ظروف حياته.

٢ ـ **الهجرة الأيديولوجية**، وقد وفد معظمها من أقطار الرفاه في الغرب. والمهاجر الأيديولوجي يسعى إلى ان يحقق في الهجرة رغبات روحية و/أو دينية، ومستعد لأن يضحي لأجل هذه الرغبات أيضاً بجزء من مستوى معيشته في القطر الذي وفد منه.

٣ ـ **هجرة متقاعدين** وهي أيضاً تفد من أقطار رفاه، إلا أنه يوجد في بواعث المهاجرين خليط من تحقيق رغبات ومصالح اقتصادية، حيث إن قوة الشراء في الراتب التقاعدي الغربي أو في توفيرات الشيخوخة في الغرب أعلى بكثير في إسرائيل مما هي عليه في الأقطار التي وفد منها المهاجرون.

ولهذا التقسيم مدلول من ناحية الموارد الاقتصادية للمهاجرين، وتسهم هجرة الضائقة في المرافق الاقتصادية الإسرائيلية وبالذات في مجال الطاقة البشرية ذات المستويات المختلطة من المهارة الفنية والتكنولوجية.

ومع انتهاء موجات الهجرة الجماعية من عصبة الأمم الرئيسة فإن الجزء الأساسي من الهجرة من هناك، يفد من المناطق الأقل تطوراً من ناحية مخزونات رأس المال البشري. وفي المقابل فإن الهجرة الأيديولوجية غنية برأس المال البشري المهني والأكاديمي. ويضع أفراد هذه الهجرة تحت تصرف المرافق الاقتصادية هنا مؤهلاتهم التي حصلوا عليها في أقطار منشأهم، ويوجد في هذه الهجرة ظاهرة الاستفادة من فرار الأدمغة من أقطار الغرب إلى إسرائيل. وفي المقابل فإن الإسهام الاقتصادي الرئيسي للمهاجر المتقاعد يتمثل برأس المال الذي ينقله معه أو الذي يأتي في أعقاب وصوله، وربما تمثل ذلك أيضاً بالسياحة المتزايدة لإسرائيل من جانب أفراد عائلته.

وفرق آخر بين هجرة الضائقة وبين الهجرة من أقطار الرفاه، يتمثل في طلب القدوم إلى إسرائيل كقطر يمكن العيش فيه. ويتوقف طلب المجموعة الأولى بالقدوم إلى إسرائيل على الضائقة في أقطار المنشأ، وعلى الفرص المقدمة للمهاجر في الأقطار الأخرى. وكلاهما عاملٌ خارجي. ومطالب المهاجرين من كلتي المجموعتين الأخريين هي نتاج لمتغيرات إرادية لديهم. أما قراراتهم فإنها تتوقف إلى حد كبير على

سياسة السلطات المتعلقة بالهجرة والاستيعاب.

إن الاستنتاجات العملية المستخلصة من الدراسة المقدمة خلاصتها هي أنه في الظروف التي نشأت في العالم الغربي الذي يعيش فيه اليوم الغالبية الساحقة من اليهود، تتأثر علاقات إسرائيل مع يهود المهجر/ الشتات إلى حد كبير وحاسم بالخطوات التي يتخذها قادة الدولة.

وهذه الخطوات نفسها هي نتاج تفضيلات ومعتقدات. والسؤال الحاسم هو ما هو الخيار المفضل بالنسبة إلى صورة واتجاهات دولة إسرائيل في القرن الحادي والعشرين.

هل ستكون إسرائيل أولاً وقبل كل شيء دولة يهودية تبغي إقامة علاقات مع يهود العالم، أو أنها ستكون دولة تسعى للاندماج في المجال الشرق أوسطي، أو أنها تفضل ان تكون دولة أوروبية غربية تتواجد في الشرق الأوسط، ولكل واحد من هذه الخيارات مزايا كما ان لكل واحد منها ثمن. ولكل سياسة تنبع من ذلك سيناريو مختلف بالنسبة إلى يهود العالم.

إسرائيل ويهود أمريكا في العام ٢٠٢٠ (كرمل تشيزفيك)

في العام ٢٠٢٠ سوف تشكل إسرائيل والولايات المتحدة الجزء الحاسم من يهود العالم، باعتبارهما المركزين الرئيسيين للتواجد اليهودي المعاصر. ولذا فإن كل واحدة ستؤثر حتماً في رفيقتها، في المجال العلماني والديني على حد سواء. والطابع الذي سيميز هاتين الطائفتين هو المستوى العالي من الثقافة العلمانية وقوة العمل التي تميل إلى العمالة المهنية والتقنية والإدارية ذات الأجر الجيد. وهذه التجمعات ستكون أعلى في الولايات المتحدة نظراً إلى أن اليهود هناك يعتبرون أقلية في قوة العمل مقارنة بإسرائيل. وفي جميع الأحوال سيكون الأمر سمة مركزية مميزة في حياة اليهود الاقتصادية في الدولتين.

وبقدر ما ستطور بنية العمالة في إسرائيل في اتجاه بنية العمالة لدى يهود الولايات المتحدة، فإن الحوافز الاقتصادية في إسرائيل في العام ٢٠٢٠ سوف تتبنى بصورة أكبر تلك العادات الدينية لدى يهود الولايات المتحدة الذين يستبدلون بصورة ناجعة الكم بالكيف، من ناحية الوقت المستثمر في المحافظة على الفرائض الدينية. وستكون الأعراف الدينية في الولايات المتحدة المرتبطة بمستويات منخفضة من المعرفة والعلاقة بالدين أقل بروزاً مما هي عليه اليوم، ويعود ذلك من ناحية إلى أن هذه الأعراف لا «تتحدث» إلى الإسرائيليين، ومن ناحية أخرى إلى نسبة الاندماج

العالية في الولايات المتحدة. وفي المقابل فإن الأعراف اليهودية في إسرائيل المرتبطة بالأوضاع المتطرفة المتمثلة بالمعرفة الدينية والمحافظة على الفرائض الدينية، سواء الأعلى أم الأكثر انخفاضاً، سوف تستمر في أن تشكل جزءاً هاماً من الثقافة اليهودية في إسرائيل. ولذا سيؤدي التطور في هذين الاقتصادين العلمانيين إلى تعزيز الخط المركزي في الشبكة الدينية في كلتا الدولتين، إلا أن وزن الأطراف المتطرفة (العلمانيون والأرثوذكسيون) في الجاليات اليهودية في الولايات المتحدة سوف يكون أقل مما هو عليه في الجالية اليهودية في إسرائيل.

في العام ٢٠٢٠ سوف يتوجه يهود الولايات المتحدة بشكل ثابت إلى إسرائيل من أجل زيادة استثماراتهم في رأس المال الديني. والسياحة والدراسة في إسرائيل اللتان تشكلات الآن جزءاً هاماً من التعليم اليهودي في الولايات المتحدة، ستعززان الهوية اليهودية وستؤثران إيجابياً في نوعية التجربة اليهودية. وستواصل الكنس اليهودية والمدارس ومجموعات الشبيبة من الولايات المتحدة (استخلاص الفائدة من نقل رأس المال الديني من إسرائيل إلى الولايات المتحدة). والمعلمون والمبعوثون القادمون من إسرائيل، من بصفة شخصية، ومن بواسطة القنوات الرسمية بين الطائفتين، سوف يسهمون في تعميق هذه الظاهرة، كذلك فإن الإسرائيليين سوف يزورون الولايات المتحدة بشكل منتظم، لأغراض التعليم العلماني، وللتطور التجاري أو المهني وكذلك لأغراض السياحة. وستؤدي هذه العلاقات المتبادلة إلى تعزيز الروابط الشخصية بين الطائفتين، والى تزايد أعداد العائلات التي يوجد لها ممثلون في الدولتين.

هذا وسوف تصبح أنماط الاستهلاك العلمانية والدينية ليهود إسرائيل والولايات المتحدة أكثر تشابهاً في العام ٢٠٢٠ ممّا هي عليه اليوم، ومع ذلك فإن أوجهاً مختلفة في الثقافة اليهودية ستظل مختلفة. وكقاعدة فإن قوة الحياة القومية لليهود في إسرائيل ستكون أكبر مما هي عليه في الولايات المتحدة، في حين ستكون الجاليات اليهودية في الولايات المتحدة أكثر انفتاحاً على التغييرات في البيئة الخارجية. وستكون الجالية اليهودية في إسرائيل أكثر تعرضاً للشرذمة الدينية مما هو عليه الأمر في الجالية اليهودية في الولايات المتحدة، ولكن في المقابل فإن يهود الولايات المتحدة سيكونوا أكثر تعرضاً لخطر الاندماج.

ويبقى السؤال: هل من شأن هذه الفروقات الربط أو الفصل بين هاتين الطائفتين الكبيرتين من يهود العالم؟ ويبدو أن الجواب عن ذلك سيتوقف بصورة رئيسة على التطورات خلال السنوات الخمس والعشرين المقبلة. والتجارب

الشخصية في إسرائيل أو مع إسرائيليين في الولايات المتحدة يمكنها أن تحلّ مكان التبرعات المالية، وذلك كقناة ناجعة ليهود الولايات المتحدة للتعبير عن مشاركتهم في القومية اليهودية. وعلى ما يبدو فإن الروابط بين الطائفتين ستتعزز نظراً إلى أن الأمريكيين سيتوجهون إلى إسرائيل للحصول على جزء محترم من التعليم اليهودي. ومن جهة أخرى فإن بيئة دينية متطرفة في إسرائيل قد تخرب قيمة هذا الاستثمار، إذا ما ظهرت إسرائيل كمن يرفض شرعية خبرات يهود الولايات المتحدة وتجاربهم. وفي المجال العلماني فإن نجاح إسرائيل في السياسة الداخلية والخارجية يمكنه أن يعزز التقدير الذاتي للمهجر/الشتات، وأن يساهم في قوة صوتها في أوساط الجمهور، وتركيز دعمها لإسرائيل في الساحة الدولية.

الفصل الثالث

النمـــوذج

مقدمـة

في أساس العلاقات بين إسرائيل والمهجر/الشتات على امتداد التاريخ، هناك وجهتا نظر تتطرقان إلى الطرفين إسرائيل والمهجر/الشتات:

ـ وجهة نظر إسرائيل ـ رؤية إسرائيل لذاتها ورؤيتها للعلاقة مع المهجر/الشتات.

ـ وجهة نظر المهجر/الشتات ـ رؤية جماعات المهجر/الشتات لذاتها ورؤيتها للعلاقة مع إسرائيل.

ـ ومفهوم المهجر/الشتات يتطرق أيضاً إلى وجهات نظر مختلفة لجماعات شتات مختلفة.

وتتأثر وجهات النظر هذه بمجموعة متكاملة من العناصر ومن بينها: إسرائيل ودول العالم، الظروف البيئية لجماعات المهجر/الشتات المختلفة في الأقطار المضيفة لها، وأعمال الأقطار المضيفة تجاه إسرائيل وتجاه الأقلية اليهودية الموجودة فيها، وكذلك قضايا قيمية. والعالم كله موجود في وضع أخذ وعطاء متبادل بين الأمم، تتم فيه عملية رشف من ثقافات مختلفة، مع الحفاظ على خصوصية كل واحدة منها.

وثمة عنصر آخر هو العمل الذي تقوم به إسرائيل، وفي مقدمة ذلك موضوع الصهيونية ـ تقيم الصهيونية في العصر الحديث هي التي أدت إلى إقامة دولة إسرائيل، والنظر إلى الصهيونية من وجهات نظر مختلفة هو نقطة مركزية في تصميم العلاقات بين إسرائيل والمهجر/الشتات.

وكان مجمل هذه العناصر قد تغيّر في مجرى التاريخ وخلق نماذج مختلفة من علاقات إسرائيل والمهجر/ الشتات، يمكن تشخيصها وفقاً لثلاثة منطلقات:

منطلق	
إسرائيل كمركز وضع إسرائيل في مركز التقاليد اليهودية واعتبار جماعات المهجر/ الشتات كداعمة لقيام إسرائيل ورفاهها.	إسرائيل
إسرائيل في مقابل المهاجر/ الشتات إن وضع إسرائيل في مقابل جماعات المهجر/ الشتات يعبر عن اعتراف بالكيانات الذاتية لإسرائيل والجماعات المهجر/ الشتات، ونشوء علاقات متبادلة ومختلفة في ما بينهما.	إسرائيل
الشعب اليهودي كمجموعة متكاملة التطرق إلى الشعب اليهودي كمجموعة متكاملة من المهجر/ الشتات تنسج بينهما علاقات تبادلية معقدة.	

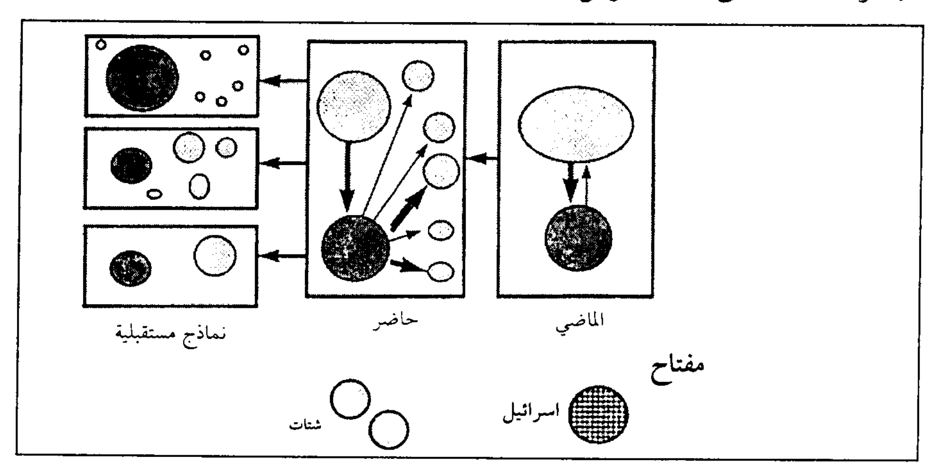
يشتمل هذا الفصل على قسمين:

القسم الأول يعرض العلاقات بين إسرائيل والمهجر/ الشتات كنماذج. وتم تشخيص النماذج استناداً إلى دراسة المجالات المختلفة وفهمها وتأثيرها في بناء العلاقات المستقبلية بين إسرائيل والمهجر/ الشتات، وتوجد هناك **ثلاث مراحل** تطور على محور الزمن: **الماضي والحاضر والمستقبل**، وتعمل هذه على صياغة النماذج. **المرحلتان الأوليان** الماضي والحاضر، تمكنان من رؤية ما حدث وانقضى، أما **المرحلة الثالثة** فتتطرق إلى المستقبل، وتعرض تصورات مختلفة محتملة لعلاقات متبادلة جديدة بين إسرائيل والمهجر/ الشتات.

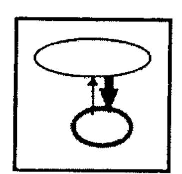
وهذه المرحلة من التطور مركزية للمخطط الرئيسي لإسرائيل لسنوات الألفين، حيث إنها تسمح بإجراء استعداد تخطيطي، كما أن بمقدورها التأثير في العلاقات المستقبلية على مستوى الماكرو، وأن تشتق من داخلها مجالات تدخل على مستوى الميكرو.

١٥١٤ - ٦

ويوضح الرسم البياني نماذج تغير العلاقات المتبادلة بين إسرائيل وجماعات المهجر/ الشتات على امتداد الزمن.



والقسم الثاني لهذا الفصل يشير إلى معالم بارزة في الصهيونية. وتشخيص الاتجاهات في الصهيونية يقتضي تطرقاً عميقاً في إطار السيناريو نظراً إلى أن له تأثيراً حاسماً في النماذج المختلفة لعلاقات إسرائيل بالمهجر/ الشتات على امتداد محور الزمن وبالذات تجاه المستقبل. ولقد تم تحليل موضوع الصهيونية من جانب ليئه كوهين.



٣-١ نموذج الماضي

في أساس نموذج الماضي تقف الصهيونية كأيديولوجيا وكحركة كانت هذه الأيديولوجيا بمثابة محفز لها، وهي محاولة لضمان استمرار وجود الشعب اليهودي بفعل عوامل موجودة في الحاضر وليس فقط عن طريق التقاليد التاريخية، وتشكل ظاهرة حداثة. وعوامل كينونة الصهيونية هي الأرض واللغة والسلطة السياسية، حينما تكون الصلة بالتاريخ متشابكة بهذه العوامل الثلاثة بشكل أو بآخر. وكانت الصهيونية قد أخرجت من داخل التقاليد اليهودية الغنية عناصر معينة وعلى رأسها أساس الكيان الجماعي، مضيفة إليه أساس المكانة على الأرض ـ صهيون أو أرض إسرائيل، واللغة العبرية التي أصبحت لغة المصادر والتقاليد والصلاة[١].

(١) ليئه كوهين، «الصهيونية ـ علامات طريق وتوجهات،» (سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي. المخطط الرئيسي لإسرائيل لسنوات الألفين. التخنيون وآخرون)، (١٩٩٦).

هذا ويوجد في أساس الصهيونية ثلاثة أمور مركزية هي:

ـ اليهودية ككيان قومي - وهو كيان ذو خصوصية اجتماعية وثقافية وروحية تبلور في عملية تاريخية. وبناء على ذلك أخرجت الصهيونية الهوية اليهودية من نطاق التعريف الديني المطلق، وجعلت الدين أساساً ثقافياً وروحياً، وليس كمعتقد تتقرر القومية بموجبه.

ـ استيطان أرض إسرائيل ـ وهذا الأمر يشكل المبدأ الرئيس الثاني للصهيونية، التي افترضت أن التكتل القومي للشعب اليهودي المبعثر والمجزئ سوف يتحقق في عملية تدريجية متواصلة، وربما غير نهائية لاستيطان أرض إسرائيل.

ـ التعليم القومي ـ إعطاء أهمية للتعليم القومي باعتباره مصدراً للثقافة اليهودية للفرد، وسداً يحول دون اندماج الكثيرين.

وكان يحزقيئيل درور قد أطلق على نموذج الماضي الذي يصف العلاقات بين إسرائيل والمهجر/ الشتات لقب النموذج الصهيوني الكلاسيكي. وبموجب هذا النموذج فإن العلاقات بين الشعب اليهودي في شتاته وبين دولة إسرائيل علاقات خاصة وليست مماثلة للعلاقات بين مجموعات المهجر/ الشتات الأخرى وبين الدول الأم التي تنتمي إليها هذه المجموعات (مثل المهجر/ الشتات الصيني والصين الشعبية). وفي أساس هذه العلاقات تنتصب «مركزية أرض إسرائيل في الديانة اليهودية التي تستند إليها الصهيونية في صورتها العلمانية أيضاً. ومن ناحية دولة إسرائيل فإن الشعب اليهودي يشكل أساساً وإطاراً ومورداً وجودياً، أما من ناحية الصهيونية فيشكل الشعب اليهودي الغاية. وعلى دولة إسرائيل أن تقوم بتجميع المهجر/ الشتات اليهودي بداخلها، وأن تشكل في الوقت نفسه مركزاً للشعب اليهودي، والمساعدة في الحفاظ على وجوده في المنفى طالما بقي مبعثراً بين الشعوب»[٢].

إن المنطلق للنموذج الصهيوني الكلاسيكي هو أنه لا توجد فرص كثيرة لبقاء الشعب اليهودي في المنفى في ظروف يعتبر فيها الاندماج واللاسامية أمراً حتمياً. وإسرائيل مركزية للعالم اليهودي كله كقطر يتطلع الشعب اليهودي للعيش فيه، كما أن سياسة الشعب اليهودي كله ينبغي أن تكون موجهة نحو توفير احتياجاتها. ومصالح إسرائيل تتصدر نظام أواليات الشعب اليهودي كله.

---

(٢) يحزقيئيل درور، **مذكرة إلى رئيس الحكومة ـ أ ـ وضع الأمة اكدمون** (القدس: دار النشر التابعة لمنظمة طلبة الجامعة العبرية، ١٩٩٢).

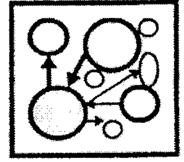
قبول مركزية إسرائيل في العالم اليهودي ككيان وبؤرة لتنمية وفهم العلاقات كانعكاس لهذا القبول، من وجهة نظر إسرائيل ومن وجهة نظر الشتات.

«إن إسرائيل توفر ليهود المهجر/الشتات ملجأ آمناً ومساعدة أمنية وقت الخطر، كما تشكل مركزاً روحياً بالنسبة إليهم، وتقيم قاعدة للهوية الذاتية هي حيوية لوجود وشد أزر الشعب اليهودي في المنفى طالما بقي هناك. وفي المقابل، وكأمر قيمي لا يجوز الاعتراض عليه، يتوجب على يهود المهجر/الشتات تزويد إسرائيل بدعم سياسي دون تحفظ، وبالكثير من المال، وبتيار من المهاجرين المثاليين، والى جانبه هجرة جماعية، وعمق خلفي لمواجهة أي مصيبة مهما كانت. وفي كل هذه الأمور لا يجوز ليهود المهجر/الشتات ادعاء المشاركة في قرارات إسرائيل. كذلك يقضي النموذج أنه على الرغم من ارتباط إسرائيل، وعلى الرغم من تفوقها من النواحي كافة على يهود المهجر/الشتات ـ تماماً كما أن الحياة اليهودية في أرض إسرائيل متفوقة من جميع النواحي، مقارنة بحياة اليهود في كل مكان آخر على وجه الكرة الأرضية ـ وهذا مفهوم راسخ بشكل عميق في التقاليد وفي الديانة اليهودية»[٣].



ولذا فإن نموذج الماضي يمثل علاقات واضحة بين دولة إسرائيل والمهجر/الشتات، وتشغل فيها إسرائيل دور المركز الذي توجه إليه، كأفضلية أولى، كل موارد الشعب اليهودي.

ومن المهم التنويه بأن هذا هو نموذج بياني ويمثل المقاربة العامة. وبالطبع فقد قامت علاقات في مجالات مختلفة خارجة عن هذه القاعدة.



٣-٢ نموذج الحاضر

يتسم نموذج الحاضر بانعدام المطابقة بين الواقع على الأرض وبين فهم العلاقات من وجهة نظر إسرائيل ومن وجهة نظر المهجر/الشتات على حد سواء. وفي الواقع فإن السمة الرئيسة لهذا النموذج هي مفاهيم مختلفة للعلاقات بين إسرائيل والمهجر/الشتات.

(٣) المصدر نفسه.

وفي هذا النموذج يوجد عملياً مجموعتان جوهريتان من المهجر/ الشتات ـ إسرائيل ككيان راسخ وقوي، وشتات يهود الولايات المتحدة باعتبارهم المجموعة الجوهرية الثانية. أما بقية مجموعات الشتات فهي مجموعات أصغر. ومع ذلك فإن الارتباط الأساس لغالبية المهجر/ الشتات هو بإسرائيل.

في أساس هذا النموذج هناك إضعاف للقبول بمركزية إسرائيل كمكان ينبغي العيش فيه أو كمكان يتوجب على الشعب اليهودي كله التطلع للعيش فيه، كما توجد في هذا النموذج مفاهيم مختلفة للعلاقات كانعكاس لضعف هذا القبول.

هذا، وإن دلالات كثرة الآراء والمفاهيم تجد تعبيرها في التطرق إلى موضوعات قيمية واقتصادية وأخرى، كما ظهرت من تحليل المجالات الديمغرافية ومجالات القيم والاقتصاد ومفهوم العلاقات المشتق منها.

إن إسرائيل ـ بصورة رسمية ـ متمسكة بالنموذج الصهيوني الكلاسيكي الذي يمثل مركزيتها، بما في ذلك التطلع إلى أن يعيش جميع اليهود فيها، وإن توجه إليها جهود المساعدة المالية والسياسية للشعب اليهودي.

والجدير بالذكر أنه بصورة غير رسمية أخذت تتصاعد في إسرائيل أيضاً في السنوات الأخيرة شكوك بشأن مدى مفعول النموذج الصهيوني الكلاسيكي والعلاقات المشتقة منه بين إسرائيل والمهجر/ الشتات. وهذه، أي الشكوك، تجد تعبيرها في الاقتراحات المختلفة التي طرحت لبناء نوع جديد من العلاقات، طُرح بعضها من جانب رسميين اقترحوا نماذج جديدة، وذلك مثل اقتراح يوسي بيلين المسمى «بيت إسرائيل» أو اقتراح ابراهام بورغ المسمى «شعب العالم» لتطوير بنية تحتية دراسية. كذلك فإن حوارات مختلفة تجري بين المؤسسات، كما تجري كتابة مقالات وتحليلات على المستوى الأكاديمي.

وإلى جانب هذه الآراء، هناك من يقول إن إسرائيل قوية بما فيه الكفاية، وأنها لا تحتاج إلى أموال ودعم الشعب اليهودي.

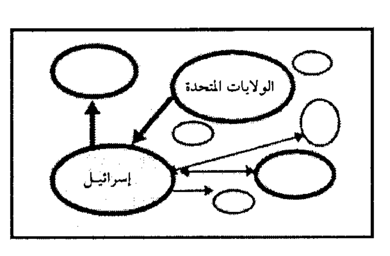
إن المهجر/ الشتات الكبرى ونعني بها يهود الولايات المتحدة، تضع حقها في الوجود، ككيان مستقل يتوفر فيها وجود يهودي جوهري على رأس سلم الأواليات، وتؤمن بالحاجة إلى توظيف موارد مالية وأخرى في تعزيز وجودها داخل الولايات المتحدة. وذلك على حساب تحويل الأموال إلى إسرائيل وعلى حساب دعم إسرائيل، طالما أن هذا الدعم لا يصطدم بمصالح المهجر/ الشتات في الولايات المتحدة، أو

بقيم هذا المهجر/ الشتات المركزية. وبالإضافة إلى ذلك توجد الرغبة للمشاركة في القرارات التي تصدر في إسرائيل.

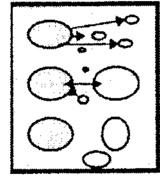
ومع ذلك فإن إسرائيل ما تزال تعتبر كجبهة داخلية لوقت الضيق.

هذا ويتسم نموذج الحاضر بانعدام الوضوح وبانعدام الاتفاق بالنسبة إلى مجمل العلاقات بين إسرائيل والمهجر/ الشتات. وفي الواقع فإننا نجد أنفسنا على مفترق طرق توجد فيه اتجاهات مختلفة، يمكنها أن تتطور إلى منظومات علاقات جديدة بين مجموعات المهاجر/ الشتات ونفسها، وبينها وبين إسرائيل.

ومن وجهة نظر إسرائيل فإن نموذج الحاضر يحافظ على مركزيتها اليهودية والروحانية (الدينية والعلمانية). وتعتبر إسرائيل نفسها مسؤولة عن جمع شتات الشعب اليهودي داخل تخومها، وعن حشد الموارد من أجل يهود المهجر/ الشتات وقت الخطر. كذلك هناك أهمية لوضع تحديات شخصية للهجرة اليهودية، ولتحقيق الصهيونية والعمل من أجل المجتمع الإسرائيلي. وهذه الأمور كلها يفترض فيها أن توجد أساساً لشحذ الهوية الذاتية اللازمة لوجود الشعب اليهودي كله.



وفي المقابل فإن المهاجر/ الشتات توظف الموارد في خلق بنية تحتية للوجود اليهودي الجوهري الخاص بها في أقطار إقامتها. وتوجيه الأموال لأنشطة الجالية واحتياجاتها في الخارج يتقدم على الدعم المالي لإسرائيل. وينظر إلى إسرائيل كملجأ وكجبهة داخلية لوقت الضيق، كما تتزايد الأصوات المطالبة بمشاركة يهودية متزايدة في اتخاذ القرارات بشأن صياغة صورة إسرائيل وخطوط سياستها.



٣-٣ نموذج المستقبل

نموذج المستقبل معروض على شكل تصورات محتملة لقيام منظومات علاقات مختلفة بين إسرائيل والمهجر/ الشتات. ونظراً إلى أن نموذج الحاضر يعكس عملياً انعدام الوضوح بشأن الموقع المطلق لإسرائيل في العالم اليهودي، فإنه يقود إلى تصورات مستقبلية تتلاءم مع الوقائع الجديدة.

وهناك عدد من التصورات النظرية يعبّر عن أوضاع متطرفة محتملة في المستقبل:

التصور:

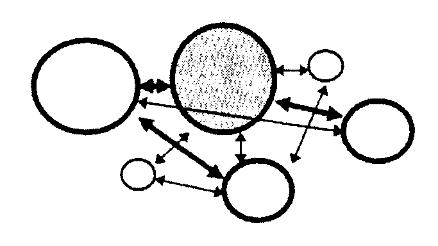
إسرائيل ـ المركز الجوهري الوحيد للعالم اليهودي

في أعقاب الاندماج ونسب إنجاب منخفضة في المهجر/ الشتات فإن إسرائيل ستصبح مجموعة الشتات المركزية والجوهرية من الناحية العددية ومن الناحية الروحية ـ الدينية والثقافية على حد سواء. ووفقاً لهذا التصور فإن بقية مجموعات المهجر/ الشتات سوف تصبح صغيرة كما أن دلالتها ستتضاءل.

إسرائيل والولايات المتحدة ـ مركزان في العالم اليهودي

إن حقيقة كون إسرائيل كياناً ذا سيادة يحتفظ بنمط حياة يهودي، وحقيقة كون الجالية اليهودية في الولايات المتحدة قد نجحت في تطوير تيارات جديدة في الديانة اليهودية. خلقت تعددية تلائم نفسها مع الواقع المتغير، قد حول مجموعتي المهجر/ الشتات في إسرائيل والولايات المتحدة إلى المركزين الجوهريين المستقبليين للشعب اليهودي. أما بقية مجموعات المهجر/ الشتات فهي مجموعات صغيرة وذات دلالة منخفضة.

وجود عدد من مهاجر/ الشتات



الاتجاهات المتعاظمة في العالم بخصوص منح الحقوق للأقليات يمكنها أن تؤثر في مجموعات المهجر/ الشتات اليهودية في الأقطار المضيفة المختلفة. ووفقاً لهذا التصور يوجد عدد من مجموعات المهجر/ الشتات ذات دلالة أكبرها إسرائيل والولايات المتحدة.

وكما قلنا فإن التصورات المستقبلية تمثّل أوضاعاً متطرفة يوجد بينها عدد كبير من الأوضاع المرحلية. ومدى تحقيق هذا التصور أو ذاك يتأثر بمنظومة معقدة من المتغيرات الخارجية والداخلية. والمتغيرات الخارجية هي تلك المرتبطة بالمنظومة العالمية الكونية وليست مرتبطة بإسرائيل وبمهاجر/ الشتات. والمتغيرات الداخلية فهي تلك المرتبطة بموافقات وأعمال من جانب مهاجر/ الشتات ومن جانب إسرائيل على حد سواء.

والصورة المرتسمة تحتم على كل واحدة من مجموعات المهجر/ الشتات تخصيص تفكير بشأن موقعها المستقبلي وتركيز البحث في القضايا التي سوف ترسم صورتها في القرن المقبل.

ويتوجب على إسرائيل كمركز للشتات أن تحدد دلالة كونها دولة الشعب اليهودي وإقرار السياسة المشتقة من ذلك بالنسبة إلى نفسها وإلى مهاجر/ الشتات على حد سواء.

ويتبين من التحليل أنه لكي تحافظ إسرائيل على مركزيتها في أي تصور مستقبلي محتمل، فإن إسرائيل مطالبة بالتشديد على مزاياها النسبية في العالم اليهودي.

وتستند مركزية إسرائيل إلى خصائص تميزها إزاء المهجر/ الشتات. وتتطرق خصائصها الخاصة إلى ثلاثة مجالات هي:

١ ـ إن إسرائيل دولة ذات سيادة ـ تكامل عضوي دلالته كيان قومي وعضوية كاملة بين شعوب العالم، وقدرة تأثير في الساحة الدولية.

٢ ـ إسرائيل هي مركزية بلا منازع للذاكرة الجماعية للشعب اليهودي.

٣ ـ تشكل إسرائيل مفترق طرق مركزي يربط بين مجموعات المهجر/ الشتات الشعب اليهودي في بطيف واسع من المجالات.

إن تعزيز الروابط المتبادلة بين إسرائيل والشعب اليهودي وانتهاج سياسة شعب يهودي لدولة إسرائيل تستند إلى خصائص إسرائيل المتميزة، مع ملاءمتها مع الوقائع المتغيرة، من شأنه تمكينها من الحفاظ على مركزيتها في أي تصور محتمل في المستقبل.

٣-٤ الصهيونية (ليئه كوهين)

الصهيونية كحركة وكأيديولوجيا كانت عن سابق معرفة ظاهرة حداثة، وذلك لأنها لم تكتف بصهيون كهدف للعودة بالمفهوم الرسولي المسيائي ــ نسبة إلى المسيح المخلص أو الديني. وقد اقتبست الصهيونية من داخل التقاليد اليهودية عناصر مثل أساس الكيان الجماعي للشعب اليهودي، وأساس المكانة الإقليمية لهذا الكيان وكذلك اللغة العبرية، أي: إن الصهيونية أكدت أن الديانة اليهودية هي كيان قومي ذو خصوصية اجتماعية وثقافية وروحية تبلور في عملية تاريخية، وبذلك انتزعت

الهوية اليهودية من مجال التحديد الديني المطلق. كذلك افترضت الصهيونية أن تكتل الشعب اليهودي المبعثر والمتجزئ سوف يتحقق في عملية تدريجية طويلة تتمثل في استيطان أرض إسرائيل، كما أنها عزت أهمية عليا للتربية القومية، كموصلة للثقافة اليهودية إلى الفرد، أو كسّد يقف أمام اندماج الكثيرين على حد سواء.

هذا ولقد تغذت الصهيونية من خيبة الأمل من فكرة الانعتاق، وتطلع اليهود لإيجاد مكان لهم في الواقع الاجتماعي الذي كان سائداً في أوروبا. إلا أن العملية التاريخية أدت إلى نقل مركز ثقل الحياة اليهودية من أوروبا إلى الولايات المتحدة، حيث تحقق هناك انعتاق اليهود بصورة فاقت كل التوقعات. وتحقق الانعتاق في صيرورة يهود الغرب يتم كعملية موازية لإنشاء ورسوخ دولة إسرائيل، وهنا تكمن المشكلة الجوهرية للغاية للوجود اليهودي في هذا الوقت.

الحرية السياسية والاقتصادية، التسامح، التعددية والوعي الاجتماعي، هي أمور تهدد بتحقيق مسألة الزوال التدريجي للشعب اليهودي بطرق سلمية. وهذا هو التناقض الكبير للشتات اليهودي في العصر الحديث. فاستمرارية وجود هذا المهجر/ الشتات كمجموعة إثنية متميزة محل شك، في الوقت الذي يعيش فيه هذا الشتات في ظروف مُثلى أكثر من أي وقت مضى.

إن غالبية الشعب اليهودي في البلاد وفي المهجر/ الشتات هي علمانية، وهكذا على ما يبدو، ما سيكون عليه الأمر في المستقبل أيضاً. وكعلمانيين فمن الواضح أن الهوية اليهودية للأجيال المقبلة لم تعد مفهومة من تلقاء ذا ها. وكان اوريئيل طال (١٩٨١) قد حدد مفهوم الهوية الذاتية كمسألة تفسير الكيان، ولكنها ليست الكيان نفسه. والهوية ليست أمراً يكمن فقط في الإنسان، إنما هي تحديد ذاتيته إزاء أمر آخر يتجاوزه وهو التراث. والهوية اليهودية، وفقاً لذلك هي الهوية تجاه التقاليد.

إن أزمة المجتمع الحديث لا تنبع من فقدان الإيمان وإنما من فقدان التواصل، وهي نتيجة مشاعر الاغتراب اليهودي عن التقاليد، وهذا الاغتراب من جانب اليهودي العصري (غير الأورثوذكسي ـ أي غير المتزمت)، وبخاصة عندما يقوم في المجتمع الإسرائيلي، يوجد فيه نوع من التناقض، لأنه ربما يكون المجتمع الإسرائيلي غارقاً في منفى روحي، ناهيك عن المجتمعات اليهودية في المهجر/ الشتات. وهذا الاغتراب يتعارض مع الآمال والنيات، بل مع الأعمال التي كانت تقوم بها الحركة القومية ـ الصهيونية منذ بدايتها كحركة بعث.

إن المؤرخ يوسف غورني يرى في الصهيونية فلسفة الوجود اليهودي في المهجر/ الشتات. ويتضح منها أن الأفكار الرئيسة للصهيونية يمكن، بل ينبغي ان تشكل

عنصراً مركزياً في وعي الوجود والبقاء على المدى البعيد ليهود المهجر/ الشتات. والصيرورة اليهودية العالمية تتسم، على مشارف سنوات الألفين، باتجاهات مستمرة وعميقة تتمثل بالتجزؤ الثقافي. وإزاء هذه الاتجاهات فإن الحفاظ على هوية يهودية فريدة يحتاج إلى أيديولوجية التمرد على الواقع الوجودي. ومن كل التيارات والحركات التي ناضلت في الماضي والتي تواصل النضال في الحاضر من أجل الفرادة اليهودية، فإن الصهيونية هي الفكرة الشاملة للغاية التي تجمع بين التقاليد والحداثة، والدين والثقافة، والقومية والإنسانية، والعاطفة والفطنة، والأسطورة السياسية والتاريخ الاجتماعي. وعلى غرار نجاح الحركة الصهيونية في الماضي، كذلك أيضاً في الحاضر، فإنه يتوجب عليها أن تنجح في أن تجمع بداخلها جميع التيارات المختلفة والمتعارضة على أساس قاسم قوي مشترك وتراث ثقافي مشترك، ولذا فإنه يتوجب عليها ان تضع في مركز الوعي اليهودي العالمي الشعور العرقي ليهود المهجر/ الشتات وأن تحوله إلى وعي قومي شامل.

إن الرغبة في المحافظة على وحدة الأمة المبعثرة، والتي تفتقر إلى إطار إقليمي وثقافي، تقتضي الاعتراف بدولة إسرائيل كمركز يربط بين أجزائها. وليس بمقدور أي مهجر (مجموعة شتات) ملء مكان إسرائيل في هذا الدور التاريخي. ولذا فإنه يتوجب على الدولة الحفاظ على القيم اليهودية، وحفظ التقاليد التاريخية، وتعزيز وحدة الشعب ومكانة اليهود في أوساط الشعوب.

ولذا فإن دور الحركة الصهيونية في علاقات إسرائيل والمهجر/ الشتات هو تطوير الإدراك والوعي بالوزن النوعي لدولة إسرائيل بالنسبة إلى الوجود اليومي لليهود في المهجر/ الشتات ولدورهم داخل الجالية. ومناقبية نشاط الحركة الصهيونية داخل الجالية ستُرسى من خلال ترجمة المضامين الثقافية اليهودية والإسرائيلية إلى قيم وجودية يومية.

الفصل الرابع

سمـــات إسرائيـل الخاصـة

مقدمـة

في إسرائيل كدولة للشعب اليهودي توجد عدة خصائص تميزها عن بقية المهاجر/ المهجر/ الشتات اليهودية وتوحد الشعب اليهودي حولها. وإسرائيل قائمة ككيان عضوي مستقل وهي تحفظ الذاكرة الجماعية وتراث الشعب اليهودي، وتوجد فيها خصائص تحدد مكانتها كمفترق للشبكات اليهودية في العالم.

ـ **التكامل العضوي** ـ إن إسرائيل هي دولة ذات سيادة. وتعمل فيها سلطات رسمية، وهي عضو كامل بين أمم العالم، وهي تمتلك القدرة اللوجستية للقيام بعمليات إنقاذ اليهود أينما كانوا، كما تملك قدرة العمل في الساحة الدولية كدولة.

ـ **الذاكرة الجماعية** ـ الحفاظ على التراث اليهودي من طريق إدخال قيم يهودية في التعليم الرسمي، ورعاية مواقع الأحداث التاريخية، من فترة التوراة وحتى تجدد الشعب في بلده.

ـ **المركزية في الشبكة** ـ إسرائيل هي مفترق شبكات مختلفة تربط بين المهاجر/ المهجر/ الشتات اليهودي. شبكات مؤسسات أكاديمية وأبحاث تشجع على الأبحاث الطليعية في موضوع إصلاح الصحراء، والحياة التعاونية كما هو الأمر في الكيبوتس وغير ذلك. شبكات قيمية تركز على التضامن بين الجوالي اليهودية المختلفة الموجودة في البلاد، وبين أقطار المنشأ التي جاءت منها. وشبكات البر والإحسان التي تربط بين الجوالي والمؤسسات والمشاريع.

٤-١ التكامل العضوي

تتميز حياة اليهود في المهاجر/ الشتات بفترات مد وجزر. وفي القرون الأخيرة كان هناك تعاقب دوري في الحملات وأعمال الشغب ضد الجاليات اليهودية في أماكن

مختلفة في العالم (سيرجيو ديله بيرغولا). وكان بنيامين زئيف هرتزل في كتابه **دولة اليهود** قد اقترح للمرة الأولى دولة وليس حركة، كحلٍ لاحتياجات الشعب وتطلعاته القومية، وكردٍ على الأقطار المضيفة التي ليست معنية بالسكان «المرتبطين» بها.

ولقد أكدت وثيقة الاستقلال على «الحق الطبيعي للشعب اليهودي في أن يكون مثل كل الشعوب، يقيم نفسه بنفسه في دولته ذات السيادة.

وتجد سيادة إسرائيل تعبيرها في مجالات ثلاثة تحولها معاً إلى كيان عضوي كامل: الإدارة والأرض والعضوية بين الأمم. بالإمكان اختيار هذه المجالات في وضع طبيعي، لإسرائيل كدولة ديمقراطية، في مقابل التركيز على يهوديتها والقيم الخاصة التي تميزها.

ويتطرق مجال الإدارة والحكم إلى التشريع والى سياسة إسرائيل السيادية، والى قدرتها وحاجتها إلى تجنيد نفسها لعمليات إنقاذ مختلفة في العالم.

ويتعلق مجال الأرض بمسألة الانتشار الطبيعي للدولة، وبالقدرة على ضمان الحماية لسكانها وطبيعة المجتمع الذي ينشأ فيها.

أما مجال عضويتها كأمة بين الأمم فإنه يتعلق بالحق في أن نكون ممثلين في الدول الأخرى، وأن نكون عضواً في المؤسسات الدولية، وإحدى علامات كون إسرائيل أمة كجميع الأمم يجد تعبيراً عنه في كلمتين مثل، الكلمة واللغة.

المجالات الثلاثة التي تشكل الكيان المستقل لإسرائيل تعرض بخطوط عريضة كما يلي:

المجال	الموضوع	الوضع	
		الأسس الطبيعية	قيم إسرائيل الخاصة
الإدارة والحكم	تشريع	المساواة في الحقوق لجميع مواطني الدولة.	قانون العودة، قانون الأحوال الشخصية.
	السياسة	رسم صورتها الدولية كدولة متطورة وديمقراطية.	رسم صورتها الروحية والدينية كدولة يهودية.
	الإنقاذ	النضال إلى جانب الأمم المحبة للسلام والعدل في العالم.	مد يد المساعدة المادية والروحية للمهجر/ الشتات الإسرائيلي أياً كان.
البلاد	الأرض	التطوير الداعم والوطيد والمحافظة على الطبيعة والبيئة.	تحديد الانتشار الجغرافي للاستيطان اليهودي في إسرائيل.

يتبـع

تابــع

	الدفاع	جيش الدفاع الإسرائيلي، باعتباره جيش الشعب، المحبّ للسلام والمدافع والمربيّ (إكساب اللغة) والمستوطن (الشبيبة الطلائعية المحاربة).	وطن للشعب اليهودي في أرض إسرائيل.
	المجتمع	مجتمع عادل ذو مُثل عالمية ومنارة للأغيار.	تكافل متبادل بين إسرائيل والمهجر/الشتات وقطر مستوعب للهجرة اليهودية، التي يعتبر مزج جوالي الشتات أحد أسسها الرئيسة.
أمة بين الأمم	التمثيل	أمة متساوية الحقوق داخل عائلة الشعوب. سفارات في معظم أقطار العالم، عضوية في الأمم المتحدة، والتوقيع على الاتفاقيات الدولية.	دمقرطة المؤسسات اليهودية والصهيونية في العالم.
	الرموز	الرموز التي تدعو إلى الصلح والسلام، أوراق الزيتون والشمعدان. تطوير النماذج التي ترمز للإنسانية (إعادة إعمار الأحياء الفقيرة) والتقدم (إعمار الصحراء).	الرموز كعامل يوحد الشعب اليهودي. علم يحمل نجمة داود وخطوط مستوحاة من رداء اليهودي المتدين، وإحياء لغة سفر الأسفار (التوراة).

ويتضح من الخطوط العريضة التي اشتمل عليها هذا الجدول وجود تكامل بين وضعي الأسس الطبيعية وشحذ القيم المميزة لإسرائيل.

إن الصورة الروحية والدينية والسياسية لإسرائيل تتطرق إلى قيم قومية، وإنسانية عامة. فالقانون يضمن مساواة تامة في الحقوق الاجتماعية والسياسية لجميع المواطنين دون فرق في الدين والعرق والجنس، وفي الوقت نفسه فإن هذه البلاد مفتوحة أمام الهجرة اليهودية وجمع الشتات. ولأجل ذلك تم في العام ١٩٥٠ سن قانون العودة وبموجبه «يحق لكل يهودي الهجرة إلى إسرائيل»، كذلك تم الاعتراف بمكانة الشعب اليهودي في مجال استيعاب المهاجرين اليهود، وفي تطوير هذه البلاد واستيطانها في قانون الأحوال الشخصية.

هذا وتم تثبيت موقع إسرائيل كدولة متطورة وديمقراطية من خلال الحفاظ على

صورتها اليهودية، وضمان الحرية الدينية وحرية الضمير، واللغة، والتعليم والثقافة لكل مواطني الدولة، هو من ركائز السياسة التي توجّه إسرائيل.

إن إنقاذ الروح يجد تعبيراً عنه في وثيقة الاستقلال: «في الحرب العالمية الثانية قام الاستيطان العبري في البلاد بدوره الكامل في نضال الأمم المحبة للحرية والسلام ضد قوى البغي النازية، وبدماء جنوده وبجهوده الحربية حصل لنفسه على الحق في أن يعد مع الشعوب التي أسست منظمة الأمم المتحدة. وهكذا فإنقاذ الجاليات اليهودية هو جزء من شبكة أوسع للتجنّد من أجل مجموعات السكان التي تعاني من الضائقة.

وإن أرض إسرائيل، والإقليم الذي تمثله، والأرض وثرواتها[1] ينبغي أن تبنى على مبادئ التطوير الدائم والوطيد، والحساسية للحفاظ على الطبيعة والمعالم الطبيعية وتنمية البيئة وجودتها لأجيال بعيدة مقبلة.

إن الدفاع عن استقلال الكيان الإسرائيلي في الشرق الأوسط يرافقه مد اليد للسلام وحسن الجوار. كما أن ترسيخ وطن للشعب اليهودي يتم من خلال الرغبة في إنشاء دولة متطورة، وجلب التقدم إلى الشرق الأوسط كله.

إن صورة المجتمع في البلاد لا تقل أهمية عن الصورة المادية للدولة. وان الدمج بين المجتمع العادل ذي المثل العالمية، وبين التضامن بين إسرائيل والشعب اليهودي هو عظيم القيمة. وإن تعبير «الشعب المختار» يعبر عن القدرة على ردم هوة التوتر القائم بين الحياة الطبيعية والتميز اليهودي[2].

وإن التسامح بين الأديان والقوميات التي تعيش في إسرائيل، والتسليم بوجود تيارات مختلفة في الديانة اليهودية يتحول ليصبح أداة اختبار لتطوير حياة متجانسة في هذه البلاد ولتعزيز الروابط الحقيقية بين إسرائيل والمهجر/ الشتات اليهودي.

إن كوننا أمة متساوية الحقوق بين عائلات الشعوب ينبع من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في التاسع والعشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر العام ١٩٤٧. فقد طالبت الجمعية العامة من سكان هذه البلاد اتخاذ كل الخطوات اللازمة لتنفيذ القرار. وإقامة مؤسسات الدولة تشمل تمثيل إسرائيل في دول العالم، والتوقيع على الاتفاقات والمواثيق الدولية والعضوية في المنظمات الدولية.

---

(١) دانيئيل العازار، «قيم يهودية في الدولة اليهودية،» (سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي، المخطط الرئيس لإسرائيل لسنوات الألفين. التخنيون وآخرون)، (١٩٩٦).

(٢) المصدر نفسه.

وعلى غرار التمثيل في البلاد الذي ينفذ عبر إجراءات ديمقراطية، فإنه من المهم إيجاد عمليات تمكن جميع اليهود في المهجر/الشتات من المشاركة في اتخاذ القرارات، بالنسبة إلى علاقاتهم مع الجالية اليهودية في قطر المنشأ وعلاقاتهم مع إسرائيل.

إن الرموز تخلق فرقة وتباين بين الشعوب والدول، وهي عامل موحد لمواطني الدولة ومحبيّ مصلحتها. ورموز دولة إسرائيل عامل وصل بين القيم العامة وبين الأمور اليهودية الجوهرية. وإن الشمعدان الذي يعود في أصوله إلى تقاليد قديمة يرمز إلى نشر ضوء المعرفة في العالم. أما أوراق الزيتون فتمثل الرغبة في السلام. أما العلم القومي فإنه يعيد إلى الأذهان ألوان الثوب الذي يرتديه اليهودي أثناء صلاته، كما يرمز إلى مملكة داود.

وتعتبر اللغة العبرية هي لغة التوراة، وإن أحياءها وتجديدها من قبل اليعيزر بن يهودا يعدّ ظاهرة متميزة في العالم المتطور. وهناك شعوب كثيرة تتعامل مع لغات قديمة يقتصر استخدامها الرئيسي فقط على المعاهد الدراسية والأكاديمية.

٤-٢ المسؤولية والمركزية للذاكرة الجماعية

إسرائيل ـ مهد تشكل الديانة والثقافة اليهودية

إن إسرائيل هي المهد والمكان الذي شهد تشكل وتجدد الديانة والثقافة اليهودية. ولذا فإن المسؤولية المركزية للذاكرة الجماعية تتجسد فيها؟ والتعبير عن ذلك هو في تنوع المجالات المرتبطة بالقيم، أنماط الحياة، أماكن الأحداث، القيم المشتركة، الروحانيات، وهي أمور ترتبط بإسرائيل بصورة منفردة ومجتمعة.

الربط الكامل لكل المجالات القيمية يخلق المركزية الوحيدة من نوعها التي تربط إسرائيل والشعب اليهودي

هذا الربط لا يجري في أي من المهاجر/المهجر/الشتات اليهودية ـ بما في ذلك المهاجر/الشتات التي عاش فيها يهود لسنوات عديدة.

ومن المهم التنويه بان النظرة إلى الدين والتقاليد والقيم المشتركة هو أمر مركزي في رؤية العلاقات المتبادلة بين إسرائيل والمهاجر/الشتات، وفي الواقع فإنه موجود في أساس وفي مركز العلاقات المتبادلة المستقبلية. وان جزءاً كبيراً من التباين في النظرة، ومن تعقيد العلاقات هو نتاج تغير القيم. والنظرات المختلفة للديانة والتقاليد تطورت بصورة مختلفة في المهاجر/الشتات وفي إسرائيل، كنتيجة للحاجة إلى الملاءمة

مع وقائع الحياة المختلفة. وهذه تجد تعبيرات عنها في التيارات التي تطورت في العصر الحديث في إسرائيل، وبالذات العلمانية مقابل التيار الديني المتزمت. في المقابل ففي المهاجر/ الشتات توجد إلى جانب العلمانية والتزمت الديني، تيارات أخرى مثل الإصلاحيين والمحافظين الذين يشكلون الأكثرية في مهاجر/ شتات مركزية مثل الولايات المتحدة.

إن تكتل الشعب في الماضي البعيد والقريب كان في الأساس حول أحداث و«أخطار وجودية». وكلما تعززت مكانة دولة إسرائيل، وبخاصة مع تقدم عملية السلام، احتلت القيم مكانة أكثر مركزية في علاقات إسرائيل والمهاجر/ الشتات.

إن المجالات الأربعة التي تشكل الذاكرة الجماعية للشعب اليهودي معروضة وفقاً لموضوعات هي كما يلي:

المجال	الموضوع
الديانة والتقاليد	فرائض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المحافظة على حرمة يوم السبت، فرائض الزواج، المحافظة على الأعياد اليهودية والتقاليد اليهودية كجزء من الحياة اليومية.
	تربية ـ تعليم الديانة والتقاليد كجزء من نظام التعليم.
	مؤسسات دينية مركزية في كافة التيارات.
أماكن وقوع الأحداث معالم طبيعية، أماكن وأطلال، مواقع أثرية	حروب الماضي البعيد حروب العصر الحديث ـ يوم الغفران (حرب أكتوبر) والأيام الستة.
	مواجهة الاحتلال – شعوب غريبة ـ مثل الصليبيين والعثمانيين وما شابه ذلك.
	الاستيطان الجديد ـ إنقاذ الأرض، تعمير الصحراء وإعادة إعمار الأحياء السكنية.
قيم	قيم عالمية: ● الديمقراطية. ● بيئة دائمة ووطيدة. ● تعددية ـ تسامح. المساواة في الفرص ـ مجتمع عادل.
	قيم يهودية: ● جوالٍ. ● الذاتية (الماهية). ● الصهيونية.

يتبع

تابــع

روحانيات متاحف، مؤتمرات، جامعات، مؤسسات أبحاث	فلسفة وفكر.
	أدب، شعر.
	فنون ـ من الفن اليهودي القديم إلى الفن الإسرائيلي المعاصر.

الديانة والتقاليد

إن كتاب التوراة يشكل الأساس للديانة اليهودية. ونجد في التوراة جميع الفرائض التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، كما تشتمل على قواعد السلوك والأعراف بين الإنسان وخالقه، وبين الإنسان والإنسان، وهي القواعد التي تشكل العمود الأساسي للديانة وقيمها. وفي أعقاب ذلك تشعبت الكتب التفسيرية والإيضاحية مثل **التلمود والمشناه** وكتب الفقه اليهودي وغيرها، وهذه كلها تبلورت في أرض إسرائيل ومن خلال الصلة بها.

وكانت الديانة والتقاليد اليهودية قد حصلت على تعبير على امتداد السنين في أنماط الحياة في إسرائيل، وعندما قامت الدولة أعطت تجسيداً لذلك هو ـ دولة إسرائيل كدولة يهودية. (اقتباس من وثيقة الاستقلال).

إن دولة إسرائيل هي المكان الوحيد في العالم الذي يوجد فيه تعبير رسمي شامل للديانة اليهودية ـ أحكام الزواج، قوانين الأحوال الشخصية وقوانين الدفن، والمحافظة على حرمة يوم السبت على المستوى الرسمي، والأعياد هي أيام العطلة الرسمية للدولة، وقد أضيف إليها أيام ذات أهمية قومية معاصرة.

وتشكل دراسة التوراة دراسات أساساً تعتبر إلزامية في جهاز التعليم بكل مكوناته. وكل طفل ابتداء من الروضة وعلى طول امتداد دراسته في المدرسة يواظب على دراسة التوراة، والديانة اليهودية والتقاليد، كما أن امتحان الدراسة الثانوية (البغروت) في موضوع التوراة هو مادة إلزامية في شهادة البغروت. كذلك يوجد عدد من المسارات التعليمية التي تسمح بالتعليم العلماني، والتعليم الديني وحتى التعليم المتزمت (الحردي)، على جميع المستويات ولكل فئات الأعمار. ويوجد في الجهاز التعليمي مساران مركزيان: الأول رسمي والثاني رسمي ـ ديني، وذلك بالإضافة إلى التعليم الخاص ـ الحردي، وهذا الأمر ينطبق أيضاً على مؤسسات التعليم العالي.

ويوجد في إسرائيل مؤسسات دينية مركزية ـ على المستوى الرسمي، تتمثل بمؤسسة الحاخامية العليا، والتي ينظم في إطارها بشكل رسمي موضوعات تتعلق بأحكام الحياة الدينية. كما توجد مؤسسات على المستوى غير الرسمي تتمثل بمجالس حكماء التوراة، ومراكز خاصة بالتيارات المختلفة في الديانة اليهودية.

مواقع حدوث الأحداث

في إسرائيل توجد مواقع شهدت أحداثاً تتعلق بالصيرورة التاريخية المركزية التي مر بها الشعب اليهودي. وتشتمل هذه على معالم البلاد الطبيعية، والمواقع والآثار التاريخية، التي تعبر عن تاريخ الشعب على امتداد أجياله في المجالات والأوجه كافة. وهذه تشكل بالنسبة إلى كل يهودي أياً كان موقعه، مركزاً للارتياد، وتجربة تذكارية وتضامنية ترتبط بتاريخ شعب إسرائيل، منذ بدايته وحتى اليوم. وهناك جزء مركزي في هذا الإطار تحتله مواقع التراث والأحداث، بما في ذلك محاولات الاستيطان والمحافظة على إسرائيل كمركز الإقامة التاريخي لليهود. والحروب التي تعود إلى فجر التاريخ، ومواجهة الشعوب المحتلة، والاستيطان الجديد، والمواقع التي شهدت أحداث ومعارك الماضي، والتي أقيمت فيها النقاط الاستيطانية، والتي تعززت فيها الصورة الروحية للشعب، تستخدم كمرآة تعكس الأحداث التي ترافق إسرائيل والشتات حتى أيامنا هذه.

إن الحروب والانتصارات والقدرة على التغلب على محاولات الاحتلال، والأعمال البطولية، شكلت على الدوام مركزاً لتبلور الشعب وتكتله، في إسرائيل وفي المهاجر/الشتات، كجزء من النضال الوجودي للشعب اليهودي وللديانة اليهودية. كذلك فإن إقامة دولة إسرائيل، وحروب إسرائيل في العصر الحديث، حرب الاستقلال، وحرب الأيام الستة، وحرب يوم الغفران (حرب أكتوبر)، كل هذه تشكل مصدر تضامن لليهود أينما كانوا.

إن مواجهة السلطة الأجنبية الغربية، في الفترات التي كانت فيها أرض إسرائيل تحت الاحتلال، بدءاً من المنفى في بابل، والحكم اليوناني، والروماني، والبيزنطي، والصليبي، والمملوكي، والعثماني، والانتداب البريطاني، وحتى بعث دولة إسرائيل، تجد تعبيراً لها في المواقع الأثرية القديمة، التي تدل على استمرارية الوجود اليهودي في ظل الأنظمة الأجنبية، وتشكل جزءاً مركزياً في تراث الشعب وقدرته على البقاء.

وتوجد في البلاد مؤسسات دينية رسمية لدولة إسرائيل ـ وتشكل مؤسسة الحاخامية العليا سلطة لتقرير أحكام الشريعة اليهودية على المستوى القومي،

وبالإضافة إليها يوجد في إسرائيل تجمع جوهري لمؤسسات غير رسمية، تقرر الأحكام التشريعية في الحاضر، مثل مجالس حكماء التوراة التي يجلس فيها حاخامون يقفون على رأس التيارات المختلفة.

القيم المشتركة

تشتمل القيم المشتركة على مجموعة متنوعة من القيم الموجودة في أساس تكوين الشعب اليهودي ودولة إسرائيل، ويرتبط بعضها بقيم عالمية تشكل أساس المجتمعات الحديثة في أقطار أخرى أيضاً. وتم تبني هذه القيم من جانب إسرائيل عند قيامها وهي تعبر عن رؤية موقعها في إطار شعوب العالم. وقسم من هذه القيم مستمد من قيم يهودية مغروسة في الدين وفي التقاليد اليهودية، كما أن قسماً آخر منها مشترك مع ديانات أخرى، كما أن بعضها ذو وجهة إسرائيلية ـ يهودية تركز على الجوالية والذاتية (الماهية) والصهيونية. وهذه كلها تخلق معاً نظام قيم يميز دولة إسرائيل تجاه الأقطار الأخرى.

والمقصود بالقيم العالمية تلك القيم مثل السلطة الديمقراطية التي تعد قيمة مركزية في دولة إسرائيل، والمحيط الوطيد هو قيمة تأخذ شيئاً فشيئاً مكاناً هاماً، من خلال رؤية الحفاظ على الأمر القائم لصالح المستقبل. والتعددية الإثنية والتسامح، والمساواة في الفرص والمجتمع العادل والعضوية الكاملة بين الشعوب «المتحضرة» هي القيم الأساس في بلدان الغرب التي تطمح إسرائيل إلى التشبه بها، ويمكن القول إن غالبية الشعب اليهودي تشارك فيها، كون القسم الأكبر منه يعيش في أقطار «غربية» تشكل هذه القيم قواعد الحكم فيها بدرجات مختلفة. كما أن الأقلية اليهودية التي تعيش في أقطار ليست «غربية» تتطلع إلى هذه القيم.

والقيم اليهودية هي القيم نفسها المرتبطة بصورة متميزة بالديانة اليهودية، وتجد تعبيراً عنها المهاجر/ الشتات أو في دولة إسرائيل على حد سواء. وجزء من هذه القيم مشترك دون منازع لكل اليهود أياً كانوا، في حين يحصل جزء آخر على مدلولات مختلفة في إسرائيل وفي المهاجر/ الشتات. ويمكن القول إن التباين الرئيس في المدلولات يأخذ تعبيره في القيم ذات الصلة بالصهيونية وبالفرائض المرتبطة بأرض إسرائيل.

وفي إطار القيم اليهودية هناك مجموعات من القيم في موضوعات الجوالية والذاتية (الماهية) والصهيونية.

وتمثل الجوالية مجموعة قيم من ضمنها التضامن الاجتماعي والتكافل المتبادل ـ جميع الإسرائيليين كفلاء لبعضهم البعض ـ وبقاء الجماعة، والبر والإحسان.

أما الذاتية (الماهية) فتعني استنفاد قدرة الفرد والبراعة الشخصية، تقدير الثقافة، والفردية إلى جانب العائلية كقيم ذات أهمية في الديانة اليهودية، والهوية اليهودية للفرد، وتواصل الديانة اليهودية واستمرار عملية التأميم، كل جيل من ناحية وجهة نظره.

والصهيونية تشمل القيم الصهيونية: البعث المجدد للحياة اليهودية في أرض إسرائيل وإقامة دولة إسرائيل كدولة يهودية ـ إقامة الوطن، وإقامة الدولة اليهودية في أرض إسرائيل كدولة الشعب اليهودي، وترسيخها من الناحية الإقليمية والأمنية، ومنح الأمن لاستمرار وجود الشعب اليهودي، والنوعية القيمية العالية للحياة في دولة اليهود، في سياق إبداع ثقافي واجتماعي. قيمة الاستيطان كقيمة ذات أهيمة[٣].

الروحانية

القيم الروحية تأخذ تعبيرها في الإبداع الثقافي الروحي في مجالات مثل الفلسفة والفكر، الأدب والشعر والفن. وهذه تعبرّ عن الثقافة اليهودية على امتداد السنين. وكل هذه الأمور تأخذ تعبيرها في إسرائيل بصور مختلفة، من بينها، المتاحف المخصصة للثقافة اليهودية مثل متحف إسرائيل، متحف المهجر/ الشتات وغيرها من المتاحف التي تعبر عن الإنتاج اليهودي على امتداد السنين. وتشكل إسرائيل مركزاً لمؤتمرات مهنية دولية في موضوعات مرتبطة بالثقافة اليهودية، وفي جميع الجامعات في البلاد توجد كليات لدراسات التاريخ اليهودي والديانة اليهودية، وهناك مؤسسات أبحاث كثيرة تعالج موضوعات مرتبطة بالديانة اليهودية. وهناك أيضاً مكتبات أكاديمية وقومية تختزن تاريخ اليهودية. وكانت قد جرت جهود طوال السنوات الماضية، هدفها تركيز الكنوز الثقافية الروحية المرتبطة بإسرائيل وبالمهجر/ الشتات في هذه البلاد. وفي إسرائيل اليوم يتشكل الفن الإسرائيلي المعاصر في مؤسسات مثل بتسلئيل، هبيما، بيت هسيفير، واستوديوهات الإنتاج على اختلافها وما إلى ذلك.

٤-٣ المركزية في الشبكة

يتميز العالم الحديث بمنظومات معقدة على هيئة شبكة، تحتل تدريجياً مكان المنظومات الطولية (Linear) والتراثية. وتسمح هذه الشبكات لكل نقطة طرفية بالاتصال مع نقاط طرفية أخرى. والأساس لنشوء الشبكات يمكن أن يتغير وفقاً

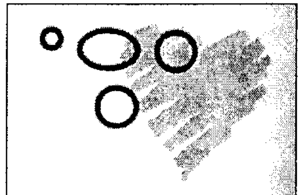
(٣) يحزقيئيل درور، «سياسة شعب يهودي لدولة إسرائيل،» (سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي. المخطط الرئيس لإسرائيل لسنوات الألفين. التخنيون وآخرون)، (١٩٩٦).

للموضوع، ووفقاً للمكان، ووفقاً لفئات السكان المختلفة التي تستخدم هذه الشبكات.

وتشكل إسرائيل مفترقاً مركزياً يربط بين شبكات اتصالات، شبكات بشرية، قيمية وأخرى، ويعيش في إسرائيل يهود من جميع المهاجر/الشتات، كما توجد فيها معرفة اللغات المختلفة التي تستخدم في تلك الأقطار، والعادات المسيطرة فيها.

هذا وتقع إسرائيل بين ثقافات الغرب والشرق. وهي تجمع بين المؤسسات الأكاديمية والأبحاث ذات المستوى الدولي وبين الحياة الثقافية المحلية. وهذا الدمج يزيد من مجال الإمكانات لمرور شبكات مختلفة من خلالها معززة الواحدة الأخرى.

وبالإمكان تشخيص ثلاثة مفترقات رئيسة توجد إسرائيل في مركزها وهي: قلب المهاجر/الشتات، نقطة التقاء الإبداعية والبراعة، ونقطة التقاء القارات.



قلب الشتات

إسرائيل هي قطر لجمع المهاجر/المهجر/الشتات اليهودي، وبالإمكان أن نرى فيها انعكاساً لحياة الجوالي اليهودية المختلفة في العالم. والمهاجر/الشتات في أمريكا الشمالية، وشرق أوروبا ووسطها، والأقطار الإسلامية، والهند وأثيوبيا وغيرها، ممثلة هنا طريق اللغة والعادات والتقاليد التي كانت متبعة في قطر المنشأ. وأن هذه الروابط المباشرة تعزز التكتل بين أجزاء الشعب اليهودي، وتشحذ قيم التضامن والتكافل المتبادل.

كذلك هناك عدة شبكات تعزز مركزية إسرائيل وهي:

الجذور: وهي الارتباط الجيلي مع المهاجر/الشتات المختلفة، في سياق تنقله من قطر منشأ إلى قطر آخر. وتترسخ هذه الشبكة من طريق المشاريع التي تبادر إليها المدارس في إسرائيل في البحث عن الجذور والهوية، ومن طريق برامج إثراء للمراكز الجواليية اليهودية، وللطلبة البالغين. ومتحف المهاجر/الشتات في تل أبيب ومتاحف مماثلة في أماكن أخرى في العالم تمنح دعماً مهنياً لدراسة الجذور وللربط بين أجزاء الشعب في إسرائيل وفي أماكن الانتشار.

أعمال البرّ والاحسان: الرابطة بين يهود المهاجر/الشتات وبين المؤسسات والمشروعات المختلفة في إسرائيل. وقيمة العطاء تعزز مكانة المعطي والمتلقي على حد

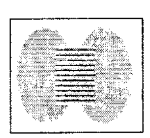
سواء. وتعمل جمعيات أصدقاء الجامعات والمستشفيات والمتاحف والمؤسسات الأخرى على أساس روابط يومية. وتتحول الروابط حول مسألة مشتركة إلى علاقات شخصية أحياناً. وبهذا الشكل تنشأ شبكات اتصالات بين شخصية إضافة إلى شبكات الاتصالات حول مضامين محددة.

ويعتبر مشروع إعادة إعمار الأحياء السكنية الفقيرة الذي يعود إلى نهاية السبعينات نموذجاً لمشروع قومي خلق رابطة مباشرة شخصية ومضامينية بين المهاجر/ المهجر/ الشتات اليهودية وبين الأحياء الفقيرة في إسرائيل.

كما أن مشروع شراكة ٢٠٠٠ الذي يعود إلى التسعينيات يقدم فرصاً للجوالي في مهاجر الشتات للانخراط في تطوير الجليل، النقب ومنطقة القدس، وهذا المشروع سيثري الجوالي على جانبي المحيط بروابط غير رسمية، كما سيعزز الارتباط بأقاليم البلاد المختلفة والأشخاص القاطنين فيها.

القيم: النقاش المتواصل بين إسرائيل ومهاجر/ الشتات بالنسبة إلى قيم مثل التعددية، التسامح، الإثنية ونحو ذلك، سيتحول ليصبح أحد النقاشات المركزية لسنوات الألفين. وهذا النقاش سيستغل وسائل الاتصالات الحديثة وسيتحول إلى نقاش متعدد المشاركين.

هذا وإن مستوى الانفتاح القائم لدى الجوالي اليهودية في أماكن مختلفة في العالم يتلاءم مع مدى تمسك هذه الجواري بمعتقداتها بوجه عام، ومع طبيعة القطر المضيف[٤]. وستبقى قضايا الاندماج، ومن هو اليهودي، وكيفية ضمان التواصل اليهودي، الوقوف على رأس جدول الأعمال عبر وسائل الاتصال، في المهاجر/ الشتات وبين إسرائيل وتلك المهاجر/ الشتات.



التقاء الإبداعية والبراعة

توجد إسرائيل في نقطة وصل بين ثقافات العالم الحديث والعالم القديم. ويتطرق مصطلح العالم الحديث إلى تطوير مجالات جديدة في العالم الأكاديمي، ومؤسسات الأبحاث، المشروعات الاقتصادية، ونماذج البراعة. أما مصطلح العالم القديم فيتطرق إلى الخصائص المحلية القائمة في منطقتنا، والتي تشتمل على التقاليد القديمة،

(٤) غبريئيل شيفر، «علاقات إسرائيل والمهاجر/الشتات في المنظور المقارن،» (سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي. المخطط الرئيسي لإسرائيل **لسنوات الألفين**. التخنيون وآخرون)، (١٩٩٥).

والمعرفة الصحيحة حول الشرق الأوسط، ومزيج المهاجر/الشتات الذي صهرته إسرائيل في داخله.

هذا وتتمثل شبكات التقاء الإبداعية والبراعة بما يلي:

العالم الأكاديمي: الروابط المتبادلة بين الباحثين وبين أساليب التعليم والمشاريع التطبيقية. ويمكن بناء شبكات رئيسة في إسرائيل تستغل الخبرة العلمية المتراكمة في مجالات مثل إعمار الصحراء، الموارد البديلة، التطوير الجوالي (إدارات أحياء سكنية، خدمات رفاه) وغيرها.

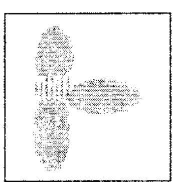
وستتيح الشبكات الرئيسة الأكاديمية، وشبكات الأبحاث، توجيه الروابط إلى مستويات محددة والى تخصصات محددة.

التطوير الاقتصادي: في هذا المجال توجد فروع اقتصادية هامة وبارزة مثل الصناعات التكنولوجية العالية، والسياحة المتطورة وغيرها. كذلك يشمل مجال الاقتصاد، منظومات تنظيمية تقوم بتشجيع الأشغال الصغيرة، تطوير منتجات جديدة، وبنى إدارية متقدمة لتفعيل مشاريع المبادرات المعرفية.

الإثنية: استغلال الخبرة العلمية القائمة حول الثقافات الإثنية في المنطقة بهدف الربط بين الثقافات، ولخلق أساس لتبادل الخبرة العلمية، ولتوسيع شبكات الأشغال، ولزيادة التفاهم بين الشعوب.

البراعة: توجد أهمية لتطوير نماذج للبراعة، تربط بين الشبكات الأكاديمية وشبكات البحث العلمي، والشبكات الاقتصادية، والإثنية المحلية. وخصوصية إسرائيل تتمثل في قدرتها على خلق نقطة التقاء تجمع الشبكات الثلاث: الأكاديمية والاقتصادية والإثنية.

وصل القارات



القارات الثلاث أوروبا، آسيا وأفريقيا تتواصل في ما بينها عبر الشرق الأوسط. وتواصل القارات هو أيضاً تواصل بين العالم المتطور وبين العالم الثاني والثالث.

وتمثل أوروبا العالم المتطور، في حين تمثل آسيا العالم الثاني وتمثل أفريقيا العالم الثالث. وبمقدور إسرائيل كمفترق شبكات أكاديمية واتصالات وكمكان التقاء بين الثقافات العمل كعنصر موصل بين هذه العوالم الثلاثة.

ويمكن لنماذج البراعة التي توفّر لقاء بين شبكات العالم الكاديمي والاقتصادي والعرقي أن تتوسع وأن تتلاءم مع الاحتياجات القائمة والمستقبلية في آسيا وأفريقيا.

ويمكن خلق تعاون مع الشعب اليهودي لتوسيع شبكات العالم المتطور إلى العالمين الثاني والثالث، بحيث تعمل إسرائيل كموجّه مركزي في الشبكة (أ. ب. يهوشع).

خلاصة

إن خاصية إسرائيل المميزة والمتمثلة بمركزيتها في الشبكة، والمتسمة بين أمور أخرى بتمثيل رفيع المستوى لوكلاء الشبكة فيها، وجوالٍ مختلفة مرتبطة بممثليها في البلاد، وفي واحدة منها ترتبط أيضاً بالمهجر/الشتات الذي أتت منه، هذه الخاصية تتعزز من طريق الخصائص المميزة الأخرى لإسرائيل، والمسؤولية عن «الذاكرة الجماعية» للشعب اليهودي وكونها دولة يوجد فيها تكامل عضوي وبنية تحتية لمنظومات داعمة.

وكل هذه الأمور تجعل من إسرائيل مفترقاً مركزياً، اليوم وفي المستقبل في العالم اليهودي، والتي يمكن لها قيادة الأمور إلى موافقة شاملة.

الجزء الثالث

اتجاهات السياسة

مدخـــل

الجزء الثالث يبحث في الاتجاهات السياسية، وهو أمين على بنية الدراسة كلها والتي بموجبها توجد وجهتا نظر: وجهة نظر إسرائيل في علاقاتها المستقبلية مع الشعب اليهودي، ووجهة نظر المهاجر/ الشتات بشأن طبيعة علاقاته المتبادلة مع إسرائيل في سنوات الألفين.

ويتكون هذا الجزء من الدراسة من فصول ثلاثة:

العلاقات التبادلية المستقبلية بين إسرائيل والشعب اليهودي: إيجاد الخطوط الهيكلية لإسرائيل كدولة الشعب اليهودي، من خلال استغلال خصائصها الخاصة: كونها دولة ذات سيادة بين أمم العالم، ومسؤوليتها عن الحفاظ على الذاكرة الجماعية للتراث اليهودي، ومركزيتها كمفترق طرق يربط بين شبكات مختلفة مثل جمع المهاجر/ الشتات، مشاريع نموذجية تشجع على الإبداع والبراعة، وعلاقات بين العالم المتطور والعالم الثالث.

سياسة شعب يهودي لدولة إسرائيل : وثيقة سياسة أعدها البروفيسور يحزقيئيل درور، وتشتمل على «قيمتين رئيستين»، الأولى هي الوجود الجوهري للشعب اليهودي كوحدة متكاملة، والثانية هي استمرار وضع عملية جمع المهاجر/ الشتات في مركز العمل الصهيوني. وتؤكد الوثيقة على الناحية الحيوية في وضع سياسة شعب يهودي لدولة إسرائيل، ولوجودها ولازدهارها، بالإضافة إلى حيوية في وضع سياسة للشعب اليهودي في المهاجر/ الشتات. وفي الواقع فإن البروفيسور درور يقترح قيام دولة إسرائيل بالعمل على تعزيز طابعها كدولة يهودية صهيونية.

التبادلية في العلاقات المتبادلة بين إسرائيل والشتات: النقاش الذي جرى بواسطة وسائل الإعلام المسموعة، في إطار سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي، يعرض نموذجاً لحوار مساير للوقت حول قضايا تربط بين إسرائيل والمهاجر/ الشتات على أساس التبادلية. ويعطي نموذج النقاش تعبيراً عن استخدام تكنولوجيات الاتصالات (Online) التي سوف تتوسع مستقبلياً في القرن الحادي والعشرين،

للسماح بمشاركة أشخاص من ذوي الاختصاص في موضوعات محددة في مجال عملهم أو كيهود يوجد لهم اهتمام في المشاركة، في سياق توسيع دائرة الحوار إلى ما وراء مؤسسات الجوالي. وهذا النموذج يمكن أن يوسّع النقاشات حول قضايا مهنية وليس بالذات في ما يتعلق بالشعب اليهودي، وإنما في مجالات أخرى.

الروابط المتبادلة المستقبلية بين إسرائيل والشعب اليهودي

إن إسرائيل كدولة ذات سيادة، وكعضو بين أمم العالم، ستفحص علاقاتها المستقبلية مع الشعب اليهودي، من طريق استغلال الفرص التي ستنتج أمامها[١]. وفي الوقت نفسه ومع تضاؤل التهديد الوجودي على دولة إسرائيل، تتطور عمليات بحث عن المدلول في جوالٍ كثيرة، كما تتزايد حاجة الأفراد للمشاركة في ما يجري داخل جواليهم.

هذا وينبغي القيام بجهد موجّه لتشخيص القيم اليهودية المركزية في الفئات الثلاث التي عددها البروفيسور دانيئيل العازار وهي: القيم اليهودية الشيوعية، والقيم الصهيونية، والقيم التي تشدد على يهودية دولة اليهود.

ومن شأن معاظمة الجهود لتطوير هذه التعبيرات الآنية لهذه القيم، في إطار إحساس بهوية يهودية، ستقوي التراث المشترك لشعب إسرائيل ككل، ولكل واحد من مهاجر شتاته ككيان متميز.

ويتوجب تحديد هوية ـ صهيونية ـ إسرائيلية في البلاد، من طريق غرس تربية يهودية ـ صهيونية، وبناء شراكة جوهرية بين يهود إسرائيل وبين يهود المهاجر/الشتات، وتجنيد أفكار جديدة وتكنولوجيات مستقبلية لخلق مشروعات طليعية تشكل نماذج للتضامن، ولتشجيع الإبداع والبراعة.

إن المخطط الرئيس لإسرائيل في سنوات الألفين الذي يشكل سيناريو الشعب اليهودي جزءاً منه، يشكل نموذجاً للتحديث في تخطيط وتطوير وخلق الفرص لقيام حوار متواصل مع الشعب اليهودي حول صورة إسرائيل المستقبلية. وهذا في سياق مواجهة مع التطوير المطلوب في ضوء زيادة السكان ضمن قيود مساحة إسرائيل الضيقة، وحول استغلال مزايا إسرائيل، كمركز لشبكة تكنولوجية وعلمية، وبؤرة لطاقة بشرية نوعية.

---

(١) أبراهام بورغ، «رابطة شعب، مسودة مخطط تمهيدي لسياسة المؤسسات القومية للشعب اليهودي الوكالة اليهودية والهستدروت الصهيونية،» (١٩٩٥).

تحديد الهوية الإسرائيلية ـ اليهودية

الهوية الإسرائيلية ترتشف من قيم عالمية تؤكد على احترام الإنسان وحريته وتسمح للتعددية باستنفاد مزاياها. ولقد تحولت الأفكار اليهودية إلى ركائز للديمقراطية الغربية[٢]، ومن بينها فكرة «العهد» التي دفعت الحرية والمساواة في أوساط البشرية إلى أمام، وفكرة «التقليص»، وبموجبها تخلي الآلهة مكاناً في فضاء العالم للجنس البشري وتمنح الإنسان صلاحية الحق في السيطرة على أبناء جنسه. وهناك أفكار أخرى مرتبطة بـ (الأخوة) بين الإنسان ورفيقه، وقيمة (العدل والقانون) التي مصدرها التوراة تركت بصماتها على القيم العالمية في العالم.

وتستقي الهوية الإسرائيلية أيضاً من القيم اليهودية التقليدية والمتجددة. وللمهاجرين اليهود الذين قدموا من أقطار مختلفة إسهام هام في ذلك. وجلب هؤلاء معهم إلى البلاد الكثير من العادات والتيارات الفكرية اليهودية، القديمة والجديدة. والسؤال الأهم بالنسبة إلى إسرائيل كدولة يهودية يتعلق بالتعددية. فالحفاظ على التقاليد اليهودية، إلى جانب منح الحرية القصوى للفرد في مجال الاختيار الحر يمكنها صياغة نموذج يلقى القبول من جانب غالبية الشعب في إسرائيل وتقريبه إلى الجوالي اليهودية في المهاجر/ الشتات.

وبناء عليه، فإن سكب مضامين ومدلولات إسرائيلية ـ يهودية في البرامج الدراسية سوف يشحذ الهوية الإسرائيلية ويعمق جذورها اليهودية، ويمكنها من التواصل مع مجموعة واسعة من التيارات والأفكار في الديانة اليهودية. وسيحوّل نظام التعليم العام التعددية إلى رافعة المتعمق الثقافي، ومركزاً لتطوير خيارات لوجود ثقافي يهودي ـ إسرائيلي متحرر من الارتباط بسلطة الشريعة اليهودية، ويحافظ على صلة مع تاريخ إسرائيل من جوانب متنوعة.

هذا إضافة إلى التعرف على تاريخ شعب إسرائيل وثقافته اللذين يعتبران أساساً حيوياً في بناء الهوية والعالم الروحي والقيمي للشاب الإسرائيلي. وذلك من طريق إعداد برامج دراسية من أجل الشبيبة على كافة المستويات والمسارات التعليمية[٣].

---

(٢) دانيئيل العازار، «قيم يهودية في الدولة اليهودية،» (سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي، المخطط الرئيس لإسرائيل لسنوات الألفين. التخنيون وآخرون)، (١٩٩٦).

(٣) تقرير لجنة شنهار، **«شعب وعالم» الثقافة اليهودية في عالم متغيّر، توصيات اللجنة لفحص الدراسات اليهودية في التعليم الرسمي** (القدس: وزارة المعارف، ١٩٩٤).

بناء شراكة جوهرية

في العالم الآخذ بالتشكل، والذي سيتعاظم فيه النشاط في ما بين الأشخاص، والذي سوف تستغل فيه شبكات بين الأفراد والشركات والمؤسسات، سيكون بالإمكان بناء أساس واسع من الحوار بين إسرائيل ومهاجر/الشتات[٤]. وان الرغبة المتزايدة لدى جوالي المنفى لخلق هوية يهودية جديدة في أماكن أقامتها، تخلق واقعاً جديداً، ينبغي استغلاله لبناء شراكة جوهرية بين مهاجر الشتات وبين إسرائيل.

إن النموذج المستقبلي لعلاقات إسرائيل مع يهود مهاجر/الشتات، وبصفة خاصة يهود الولايات المتحدة [٥] ينبغي أن يأخذ في الاعتبار التجزؤ الكبير والأطياف المتنوعة القائمة في الجوالي، وان يقترح خطوط سياسة متميزة لمجموعات منشودة محددة. ويقتضي الانتقال إلى النموذج المستقبلي استثماراً وتعمقاً في قضايا ثقافية وقيمية تعطي الجواب للاحتياجات المتغيرة للجوالي اليهودية في إسرائيل وفي العالم.

وتوسيع الشبكات بين الشخصية في علاقات إسرائيل ـ المهاجر/الشتات سيتلقّى مزيداً من القوة بحكم أنه في سنوات الألفين ستكون هناك سمات مميزة مماثلة للأفراد في الجوالي اليهودية في البلاد وفي العالم، في مجالات اختيار المهنة، وموضوعات البحث وغير ذلك [٦]، وفي الأعوام المقبلة سيتعاظم التشديد على الاستثمار في النوع بدلاً من الكم. والتعبير عن ذلك سيكون في «استهلاك» ثقافة وتقاليد يهودية تستند إلى تبادل الخبرة، والزيارات، والذكريات، وإثراء العلاقات الشخصية.

مشروعات طليعية

الإنسان أياً كان يتطلع إلى خلق ذخائر وإبقائها للأجيال التي ستعقبه. والشعب اليهودي ككل يتسّم بخاصية التطلع إلى أن يكون شعباً مختاراً سمته البراعة والتجدد. وخصوصية إسرائيل في سنوات الألفين ستكون في قدرتها على خلق مزيج بين التطلع إلى أن تكون كباقي الأمم وبين إحياء وإعمار الثقافة اليهودية الحديثة.

---

(٤) أوري غوردون، **الأحوال والأشواق** (القدس: مؤسسة بياليك، ١٩٩٥).

(٥) ستيفن كوهين وتشارلز ليبمان، «إسرائيل ويهود أمريكا في القرن الحادي والعشرين: البحث وراء علاقات جديدة،» (سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي. الخطط الرئيسية لإسرائيل لسنوات الألفين. التخنيون وآخرون)، (١٩٩٦).

(٦) كرمل تشيزفيك، «إسرائيل ويهود أمريكا في العام ٢٠٢٠. سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي،» (المخطط الرئيس لإسرائيل لسنوات الألفين. التخنيون وآخرون)، (١٩٩٦).

وبإمكان إسرائيل التحول إلى مختبر للمشروعات الطليعية للشعب اليهودي في مجالات مختلفة، وسنعرض في ما يلي أفكاراً يمكن توسيعها ومجالات يمكن الإضافة إليها وتطويرها.

الجوالية

لقد تحولت المؤسسات الجوالية والاجتماعية التي أقيمت في البلاد في مجالات متنوعة إلى نماذج للدراسة والتقليد. فالتعاونيات في الكيبوتس، وإدارات الأحياء الشعبية في المدن المختلفة تخلق أساساً للبحث عن أنماط جديدة سوف تسهم في صياغة صورة «جوالي المستقبل» وتحدد أنماط الحياة المرغوبة فيها.

التعليم والتربية

إنشاء قرى تعليمية لأبناء الشبيبة اليهودية من أنحاء العالم، يندمج هؤلاء في أطر التعليم الثانوي في بلدانهم[٧].

استنفاد قدرات المؤسسات التعليمية بالمستوى فوق الثانوي، بحيث تقوم هذه المؤسسات بتسويق رزم من الدرجات الأكاديمية في مهن متنوعة، يوجد فيها مخزون من القدرة التعليمية[٨].

إنشاء جامعة يهودية شاملة مقامة على شكل شبكة بحيث تشكل إسرائيل أحد مراكزها الرئيسة على غرار جامعة الأمم المتحدة[٩].

الرفاه

إقامة جيش سلام للشعب اليهودي يعمل من أجل اليهود في أوساط الجوالي التي تعاني من الضائقة، ويقوم بنشاطات ترميم والمحافظة على المواقع اليهودية في العالم، ويخدم في مؤسسات المحتاجين مثل بيوت المسنين والمستشفيات، وتقدم المساعدة الإنسانية للسكان غير اليهود[١٠].

---

(٧) غوردون، **الأحوال والأشواق.**

(٨) يهودا دون، «يهود المهاجر/الشتات ـ دولة إسرائيل ـ ديناميكية العلاقات الاقتصادية، أفكار نحو سنوات الألفين،» (سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي. المخطط الرئيسي لإسرائيل لسنوات الألفين. التخنيون وآخرون)، (١٩٩٦).

(٩) يحزقيئيل درور، «سياسة شعب يهودي لدولة إسرائيل،» (سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي. المخطط الرئيس لإسرائيل لسنوات الألفين. التخنيون وآخرون)، (١٩٩٦).

(١٠) بورغ، «رابطة شعب، مسودة مخطط تمهيدي لسياسة المؤسسات القومية للشعب اليهودي الوكالة اليهودية والهستدروت الصهيونية».

العلم والتكنولوجيا

تطوير بنية تحتية علمية إسرائيلية ـ يهودية تستند إلى التكنولوجيات المستقبلية، بما في ذلك (Multi Media) والوسائل ذات التأثير المتبادل[١١].

تطوير مدن علمية تتركز فيها مجموعات من الخبراء في التكنولوجيات المختلفة، ومن المستثمرين في مجالات الصناعات المتطورة، وبمقدور المدن العلمية أن تتحول إلى نقطة جذب لأفضل الأدمغة العلمية في العالم اليهودي بفضل الطاقة الاستخدامية التي ستعرضها وبفضل التركيبة الاجتماعية ونوعية الحياة فيها[١٢].

السياحة

تسويق إسرائيل كبلد لسياحة الاستجمام مع مزاياها الروحية الدينية، ينتج منتوجاً فريداً للسائح اليهودي[١٣].

تقديم قسيمة زيارة للبلاد لأبناء السابعة عشرة من العمر في المهاجر/الشتات، وهذه القسائم بمثابة هدية غير قابلة للتحويل أو التحقيق في عمر لاحق، وغايتها كشف إسرائيل أمام جيل المستقبل للشعب اليهودي[١٤].

الثقافة

إنشاء مؤسسات ثقافية دينية وسياسية، بما في ذلك «قرية الشعب اليهودي» ومتحف يهودي شامل، وذلك بهدف شحذ مفهوم إسرائيل كدولة للشعب اليهودي[١٥].

المخطط الرئيس لإسرائيل في سنوات الألفين كنموذج للتحديث

يعبر المخطط الرئيسي لإسرائيل في سنوات الألفين عن إدراك الحاجة إلى التخطيط المستقبلي كبديل للخطوات العشوائية، كما يتيح استنفاد مزايا إسرائيل النسبية استعداداً للقرن الحادي والعشرين.

---

(١١) انظر: المصدر نفسه، ودرور، المصدر نفسه.

(١٢) بورغ، المصدر نفسه.

(١٣) دون، «يهود المهاجر/الشتات ـ دولة إسرائيل ـ ديناميكية العلاقات الاقتصادية، أفكار نحو سنوات الألفين».

(١٤) Yossi Beilin, «Dialogue with the President: Israel-Diaspora Relations, Proposal for a New Framework,» (1994).

(١٥) درور، «سياسة شعب يهودي لدولة إسرائيل».

والفكرة المركزية لهذا المخطط التي تعبر عن رسائلها الرئيسة هي أن مساحة إسرائيل الضيقة من جهة والزيادة السريعة في عدد سكانها من جهة أخرى، تقود إلى الحاجة لنطق أوسع من التطوير والبناء والبنى التحتية. ونطق البناء هذه تسمح بتجديد مخزون المساكن في إسرائيل. وذلك من خلال الحاجة إلى الإبداع والتطور في مواجهة قيود مساحة الأرض والنسب بين المساحات المبنية والخالية، وفي سياق خلق نوعية حياة في تحديث المخزون. وبالإمكان اعتبار العمل الخلّاق الذي سوف يحدث في المستقبل حقاً ليس من نصيب الأقطار المتطورة.

أن لإسرائيل تقليداً طويلاً من القدرة على تحويل القيودِ إلى نوع من التحدي، مثل تعمير الصحراء، والتغلب على ظاهرة التصحّر، وإحراز الإنجازات في الحقل الأمني، وخلق نماذج سكنية مثل الكيبوتس والموشاف وأنماط الحياة الجماعية. والحاجة والإمكان لتجديد احتياطي البناء ضمن القيود المتوقعة في إسرائيل تشكل طاقة كامنة للتحديث كقيمة ـ خلق مخزون جديد يكون أيضاً حديثاً ويتوافق مع القرن الحادي والعشرين، في سياق تطوير النماذج السكنية الملائمة لإسرائيل، وللروح اليهودية، ومرافقته بزيادة تكنولوجية وبزيادة كمية ـ نوعية للطاقة البشرية في إسرائيل، وهي أمور تشكل شروطاً ضرورية للتطوير. وكل هذه الأمور قد تمكن إسرائيل من أن تقفز درجة، وأن تنتقل من موقعها في هامش الدول المتقدمة إلى موقع مركزي بينها.

إن موقع إسرائيل كمفترق طرق مركزي في الشعب اليهودي وخصائصها المتميزة ـ كونها متكاملة عضوياً، ومسؤوليتها عن الذاكرة الجماعية لإسرائيل وللشعب اليهودي كله، وموقعها المركزي في شبكة المهاجر/الشتات، كلها أمور تسمح بخلق حوار مستمر مع الشعب اليهودي الذي سيصوغ مضامين للمخطط الرئيس لإسرائيل لسنوات الألفين.

وهذه المضامين سترتبط تراث الشعب بأرضه لتحديث البناء في البلاد، كما ستخلق قيماً جديدة تربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، كما ستعزز مكانة إسرائيل المركزية في الشبكات العلمية والتكنولوجية، كما ستشكل أساساً لجذب الطاقة البشرية النوعية.

هذا ويعتبر المخطط الرئيس لإسرائيل في سنوات الألفين نموذجاً للتحديث في التخطيط والتطوير، يتيح حواراً متواصلاً للشعب اليهودي حول رسم صورة إسرائيل المستقبلية، وموقعها كمفترق مركزي للشعب اليهودي. وذلك من خلال موضعة إسرائيل في مقدمة الدول في القرن الحادي والعشرين.

١٥٤٧ - ٦

سياسة شعب يهودي لدولة إسرائيل ـ (يحزقيئيل درور)

القيمة العليا والفرضية الأساس

«القيمة العليا»[١٦] الكائنة في أساس وثيقة السياسة هذه هي وجود جوهري متعاظم، ازدهار ورخاء الشعب اليهودي واليهودية. وتضاف إلى ذلك قيم عليا أخرى مثل «عودة صهيون» كأمر في صلب الصهيونية، والقيم الديمقراطية كأساس للحكم في دولة إسرائيل. إلا أن وثيقة السياسة هذه إنما تركز على المدلولات، الخاصة لمشروع «إسرائيل ٢٠٢٠» (باختصار «إسرائيل ٢٠٢٠») المتعلقة بالقيمة العليا لوجود ورخاء الأمة والثقافة اليهودية[١٧] كأساس قيمي مركزي، مهمل عملياً، للسياسة والعمل. ومع ذلك فإننا سنأخذ في الحسبان قيماً رئيسة في سياقات ملائمة.

والفرضية الأساس التي تستخدم أيضاً كأساس لمذكرة السياسة هذه هي أن تحقيق القيمة العليا لاستمرار وجود ومعاظمة ازدهار الشعب اليهودي واليهودية مشروط أولاً وقبل كل شيء بمجرد الطابع اليهودي ـ الصهيوني لدولة إسرائيل الآمنة. وهناك أهمية كبيرة لعوامل إضافية، وبصفة خاصة جهود جوالي الشتات نفسها، إلا أنه على المدى البعيد فإن قدرة وجود وازدهار الشعب اليهودي كقومية ـ وثقافة، في إسرائيل وفي المنفى على حد سواء، مشروطة بالأساس بطابع دولة إسرائيل كدولة يهودية ـ صهيونية تعاظم مدلول وجود يهودي في البلاد وفي المهاجر/ الشتات أيضاً، في سياق الدمج بين تراث الماضي وبين التجدد[١٨].

إن التركيز على ماهية دولة إسرائيل كمقررة لمستقبل الشعب اليهودي، في مقابل

---

(١٦) تعبير «القيمة العليا» مقتبس من الفيلسوف تشارلز تيلور: القيم العليا هي قيم ليس فقط أهم بما لا يقاس من القيم الأخرى، وإنما هي تقدم وجهة النظر التي ينبغي منها دراسة وتقرير القيم الأخرى. انظر: Charles Taylor, *Sources of the Self: The Making of the Modern Identity* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1989), p. 63.

(١٧) الشعب اليهودي ليس «قومية» بالمفاهيم المألوفة لهذا التعبير، وبسبب طابعهم التاريخي فإن اليهود كمجموعة هم أمة ثقافة، أي شعب تكمن هويته وصفته تجاه الداخل والخارج، في ثقافته الخاصة، سواء اعتبرنا الدين أساس الثقافة اليهودية، أو اعتبرناه عنصراً هاماً ولكن غير مهيمن بالضرورة. انظر مثلاً: S. N. Eisenstadt, *Jewish Civilization: The Jewish Historical Experience in a Comparative Perspective*, SUNY Series in Israeli Studies (Albany, NY: State University of New York Press, 1992).

ولذا لا ينبغي الفصل بين وجود «الشعب اليهودي» وازدهاره وبين وجود «الديانة اليهودية» وازدهارها، حيث أن كليهما يتطابق مع وجود وازدهار «القومية ـ الثقافة» اليهودية.

(١٨) خلافاً للقيمة العليا التي يعود تبريرها إلى حد كبير إلى مجرد الإيمان بها، فإن الأمر يتعلق هنا بفرضية مبنية على وقائع يتوجب فحصها من ناحية سلوكية. انظر بحثاً مفصلاً حول ذلك في: يحزقيئيل درور، **تجديد الصهيونية** (القدس: المكتبة الصهيونية، ١٩٩٦).

أعمال من نوع إنماء التعليم اليهودي في المهاجر/ الشتات يحتاج إلى تفسير. وانه لأمر سهل في إسرائيل الاشتغال بالتربية اليهودية والعبرية في أوساط المهاجر/ المهجر/ الشتات اليهودي في سياق إرسال المعلمين وتأهيل المدراء وإعداد الوسائل التعليمية ونحو ذلك. وفي المقابل فإنه من الصعب خوض مواجهة مع تجدد قيم اليهودية بصورة تضمن استمرار وجود وازدهار القومية ـ الثقافة اليهودية. في حين أن الحاجة لصياغة إسرائيل نفسها بالصورة التي تسهم في وجود الشعب اليهودي واليهودية، من طريق ضمان الطابع اليهودي ـ الصهيوني لدولة إسرائيل وتنمية ورعاية نتاج إبداعي يهودي جديد ـ قديم فيها [١٩] ـ لا تحظى تقريباً بالبحث وبالتأكيد لا تحظى بالعمل. هذا لأن الأمر يتعلق بموضوع يتطلب الكثير ومرتبط بتخبطات صعبة وخلافات حادة في الرأي. وإن آراء من نوع «ما بعد الصهيونية» والتي هي ليست سوى آراء مضادة للصهيونية أو في أحسن الأحوال غير صهيونية، تعاظم أيضاً الميل لإبقاء هذه المسائل للبحث النظري بين هواة هذا الموضوع، بدلاً من جعلها في مركز الجدل السياسي وفي مركز عمل دولة إسرائيل والشعب اليهودي.

ليس هنا المكان لإجراء تقييم مفصل للتربية اليهودية في المهاجر/ الشتات كوسيلة أساس لوقف غروبها. وللتلميح إلى إشكالية هذه الأداة يكفي أن نذكر انعدام الرغبة من جانب الآباء والأطفال في التربية اليهودية، الذي ينبغي أن نضيف إليه الخشية من انعدام معامل إيجابي، وكذلك إمكان معامل سلبي بين كثرة التوجه إلى الدراسات اليهودية وبين الرغبة في مواصلة أن تكون يهودياً. ولذا فإن هناك مكاناً لتصور قوي بأنه حتى لو وظفت في التربية اليهودية بأطرها ومضامينها الحالية موارد هائلة فإن هذا الأمر لن يؤدي إلى نتائج بعيدة المدى. وهذا هو الحكم طالما فقدت مضامين قيمية ـ روحية ـ ثقافية قديمة ـ جديدة من شأنها تعزيز رغبة الانتماء إلى الشعب اليهودي والمساهمة في استمرار وجوده وازدهاره. وهي مضامين ينبغي وضعها عندما يتم تطويرها في مركز تربية يهودية ذات الماهية والمدلول الجديد.

هذا، وليس في ذلك ما يقلل الحاجة لمواصلة جهود التربية اليهودية في المهاجر/ الشتات والحاجة إلى خطوات مرافقة طالما لا توجد مضامين جديدة. إلى ذلك فإنه يخيل لنا أنه لا مفر من استنتاج بعيد المدى: فلا توظيف موارد مالية ولا خطوات

(١٩) المصطلح «جديد ـ قديم» يشير إلى الحاجة في استمرارية أسس الثقافة اليهودية مع الحاجة إلى التجدد الكبير، كشرطين لمواصلة الهوية اليهودية جنباً إلى جانب ملاءمته لعالم جديد بصورة تسمح بوجود وازدهار الشعب اليهودي والديانة اليهودية في المستقبل وإيجاد الدمج الصحيح بين هذين الأمرين في سياق التعددية هو المهمة المركزية لإبداع قيمي ـ ثقافي ـ روحي.

تنظيمية على غرار إنشاء المدارس اليهودية ومعاظمة أنشطة الجالية ونحو ذلك، هو الذي سيضمن استمرار وجود وازدهار الشعب اليهودي واليهودية، طالما هناك غياب لـ «مضمون» قيمي ـ ثقافي يهودي جديد ـ قديم. وحسب تقديري، ففي هذه المرحلة، هناك نقص في مضمون قيمي ـ ثقافي يهودي جديد ـ قديم كما هو مطلوب، على الرغم من علامات البحث وبراعم الإبداع الموجودة حالياً في مهاجر/ شتات الولايات المتحدة أكثر مما هو في إسرائيل[٢٠].

إن المستوى الذي يرتبط به مستقبل وازدهار الشعب اليهودي واليهودية (بقدر ما يتوقف هذا الأمر علينا وليس على العوامل الخارجية مثل مقدار الاتجاهات اللاسامية وتغييرات بعيدة المدى في مدلول الدين في أقطار الغرب) هو ماهية الهوية الذاتية اليهودية كقومية وكثقافة. وهذه الماهية ينبغي أن تضمن الرغبة في أن تكون يهودياً وأن تعيش كيهودي، والرغبة في العمل لمواصلة وجود الشعب اليهودي واليهودية على مستوى الفرد والعائلة والجالية والشعب. ولأجل ذلك فإنه من الحيوي إعطاء مدلول جديد ومع ذلك مواصل للثقافة ـ التقاليد للإحساس «أنا يهودي». وهو مدلول يجيب عن أسئلة وجودية لليهودي الحديث واليهودية الحديثة في سياق خصوصية قيمية ـ ثقافية مرتبطة ببعث الدولة اليهودية من جديد.

إن التمسك بالدين على غرار التيار الأرثوذكسي أو الحريدي (الأصولي) يمكنه أن يسد حاجة أقلية في الشعب، إلا أنه ليس فيه ما يشكل أساساً كافياً لوجود وازدهار الشعب والثقافة في المستقبل. كذلك فإن ذاكرة الكارثة ليست أساساً قوياً لذلك. إضافة وبدلاً من ذلك فإنه من الحيوي تجديد قيمي ـ ثقافي ـ روحي بمدلول الديانة اليهودية والانتماء للشعب اليهودي. وقد خصص في ذلك دور خطير لدولة إسرائيل سواء أكان سلبياً أو إيجابياً.

وعلى طريق السلب فإن ضمور الطابع اليهودي لدولة إسرائيل وتطورها إلى ما يشبه دولة «سويّة» وشرق أوسطية أيضاً، بهذا المعنى أو ذاك[٢١] يضمن غروب شمس الشعب اليهودي و«موت» الثقافة اليهودية. وفي المقابل وبالطريق الإيجابي فإن تعزيز الماهية اليهودية لدولة إسرائيل في سياق نتاج قيمي ـ روحي جديد ـ قديم يشكل شبه

---

(٢٠) لمدخل جيد لهذا الموضوع، انظر: اليعزر شديد، **تاريخ الفكر اليهودي في القرن العشرين** (تل أبيب: دار دابير للنشر، ١٩٩٠).

(٢١) حول فراغ مفهوم «السوي» من المضمون الحقيقي عندما يتعلق الأمر بشعوب وثقافات وأقطار متنوعة في عصر التحول، انظر: يحزقيئيل درور، ««مساوئ الدولة السوية»: رفض «لعمل الاغيار» بصيغة جديدة كشرط لتجديد الصهيونية،» كيفونيم، الكراس رقم ٨ (٤٥) (حزيران/يونيو ١٩٩٥)، ص ٧ ـ ١٩.

ضمانة لاستمرار وجود الشعب اليهودي وازدهاره كقومية وكثقافة.

وهناك حاجة في إسرائيل للعمل على تقدم ثقافة ـ مجتمع يهودي ملائم للوجود كدولة. وهذا على ثلاثة مستويات مرتبطٍ بعضها ببعض: نتاج متمسك بالنص، نتاج رمزي وفني وخلق أنماط سلوك ومجتمع ذات مدلول قيمي ـ روحي يهودي.

وهذا وذاك متصلان ببعضهما البعض: أشكال حياتية يوجد فيها مدلول قيمي ـ ثقافي ـ روحي تشجع نتاجات تتمسك بالنص ونتاجات رمزية وفنية تعبر عن هذا المدلول وتدفعها إلى أمام، كذلك فإن النتاج المتمسك بالنص والنتاج الرمزي والفني يعاظمان بعضهما البعض، كما أن بمقدورهما الإسهام في بلورة أشكال حياة تعبر عن التجديد القيمي ـ الثقافي في السلوك الاجتماعي. ولذا فإن هناك ضرورة لانتهاج سياسة شعب يهودي لدولة إسرائيل من أجل تشجيع أشكال حياة ذات مدلول قيمي ـ ثقافي ـ روحي يهودي، ولتشجيع نتاجات متمسكة بالنص ورمزية ـ فنية ذات مدلول يهودي. وهذا ما تفرضه أيضاً خطة «إسرائيل ٢٠٢٠» بكل مجالاتها.

إن كل ما قيل عن الحاجة إلى تحديث قيمي ـ روحي ـ ثقافي كشرط لاستمرار وجود وازدهار الشعب اليهودي واليهودية يسري أيضاً وبشكل خاص على اليهود الذين يعيشون في أرض إسرائيل وعلى ثقافتهم، ولكن بصورة مختلفة جداً عن سريانها على يهود الشتات. وفي هذا السياق من الهام التأكيد: إن الافتراض أن مجرد الحياة في البلاد يضمن على المدى الطويل وجوداً «يهودياً» هو افتراض لا أساس له من ناحية تاريخية، اجتماعية ووقائعية على حد سواء. ويمكن وكيف لا نتخيل «اندماجاً» مصحوباً بتآكل للتواصل الثقافي اليهودي في إسرائيل ذاتها. ومثل هذا التطور سيشكل ضمانة لغروب شمس الشعب اليهودي في المهاجر/ الشتات. وأكثر من ذلك، فعلى مدى جيلين أو ثلاثة أجيال على الأكثر فإن هذا التطور سيشكل خطراً على استمرار الوجود المادي لدولة إسرائيل. وبالتأكيد فإن مثل هذا التطور هو بمثابة نهاية للمدلول المستمر والمتطور والحي للثقافة اليهودية.

ولذا فإن سياسة شعب يهودي لدولة إسرائيل هي حيوية أيضاً لغاية وجود وازدهار الشعب اليهودي في دولة اليهود، بالإضافة إلى حيويتها للشعب اليهودي في المهاجر/ الشتات ولوجود وازدهار الثقافة اليهودية. وأود أن أبرز أهمية مفهوم «سياسة شعب يهودي» في مقابل التفكير المألوف في إسرائيل بمفاهيم «سياسة المهاجر/ الشتات». وإطار التفكير المقترح لـ «سياسة شعب يهودي» ليطرح بكل حدتها الحاجة إلى رؤية ومقاربة شاملة لاستمرار وجود ورعاية ازدهار الشعب اليهودي والديانة اليهودية في أرض إسرائيل وفي المهاجر/ الشتات وفي كليهما معاً.

إن الرؤية المقترحة تقود إلى استنتاج عملي عظيم الأهمية: وهي يتوجب على دولة إسرائيل العمل على تعزيز طابعها كدولة يهودية ـ صهيونية بصورة تسهم في وجود وازدهار الشعب اليهودي واليهودية، أكان ذلك في البلاد أو في المهاجر/الشتات. وإن هذا المبدأ ينبغي إضافة توجيهات أخرى ترتبط بكون إسرائيل الدولة الديمقراطية لجميع مواطنيها من جهة، وبالمهام التي ينبغي على إسرائيل أن تأخذها على نفسها بالنسبة إلى المهاجر/للشتات من جهة أخرى. إلا أن هذه أمور ثانوية إزاء الحاجة إلى تنمية سمات مميزة لدولة إسرائيل مرتبطة بطابعها اليهودي ـ الصهيوني ومعززة له. ومن هنا، فإنه يتوجب دراسة كل موضوع ومجال مشمول بمخطط «إسرائيل ٢٠٢٠» في ضوء السياسة الكبرى المقترحة.

وبالنسبة إلى التخطيط المادي، بالمعنى الأوسع لهذا المصطلح فإن السياسة الكبرى المقترحة تؤدي إلى مبدأين، الأول بطريق السلب والثاني بطريق الإيجاب. والمبدأ السلبي هو أنه ليس هناك في مصطلحات «السوّية» ما يستخدم كخط موجه لدولة إسرائيل، ولو حتى في مجالات التخطيط المادي. وبدلاً من الجري وراء ما يعتقد أنه «سوي» وبخاصة في أقطار الغرب، فإنه يتوجب على إسرائيل تطوير نماذج حياة في المجال تناسب قيمها العليا الخاصة بها، كما تتلاءم مع ظروفها الخاصة. وليس في ذلك بالطبع ما يمس بالحاجة إلى التعلم من الآخرين، وبالتأكيد فإنه ليس من شأن ذلك التقليل من أهمية القيم العالمية التي يشارك فيها الشعب اليهودي ودولة إسرائيل، إلا أنه ينبغي تجنب المحاكاة الزائدة، كما ينبغي أن نضع في مواجهة المهرولين وراء التقليعات على اختلاف ألوانها الصيحة المنددة بـ «مساوئ الدولة السوّية».

المبدأ السلبي المندد بمساوئ الدولة السويّة يتطلب التركيز كوزن مضاد على الميل في إسرائيل وفي الشعب اليهودي لفقدان الخصوصية الحيوية ـ القيمية والوجودية. ولكن ما هو أكثر أهمية هو المبدأ الإيجابي المتطلع إلى تطوير ومعاظمة ماهية وطابع إسرائيل كمجتمع وكثقافة وكدولة يهودية ـ صهيونية، مع الحاجة إلى الإبداعية والأصالة الكبيرة. وبالفعل فإن هناك حاجة للعودة والتأكيد على أن التطلع إلى الحفاظ على الخصوصية التاريخية للشعب اليهودي وللثقافة اليهودية في الظروف المتغيرة بسرعة يتطلب تحديثاً راديكالياً من شأنه تعزيز الوجود والازدهار في العالم المتبدل، بما في ذلك التقلبات في كل ظروف وجود الشعب اليهودي واليهودية.

وينبغي على سياسة شعب يهودي لدولة إسرائيل أن تشمل مجمل أبعاد واقع وسياسة دولة إسرائيل، بالإضافة إلى مدلولها كملزمة لإعادة التفكير بالسياسة المتعلقة بالشعب اليهودي في المهاجر/ الشتات وبالشعب اليهودي ككيان ثقافي ـ قومي عالمي.

ومذكرة السياسة هذه مرتبطة بمخطط «إسرائيل ٢٠٢٠». ولذا فقد تضمنت هذه المذكرة تفصيلاً فقط لعدد من الموضوعات والأفكار التي توضح انعكاسات «سياسة شعب يهودي» بالنسبة إلى المجالات التي هي في صلب المشروع[٢٢] ـ مع تركيز على السياسة المجالية لإسرائيل، وهو ما يطلق عليه بتعبير ضيق أكثر مما ينبغي «التخطيط المادي». ومع ذلك ونظراً لأن مشروع «إسرائيل ٢٠٢٠» يدعو إلى مقاربة واسعة ونظراً لأن البعد المجالي يمس كل مجالات الحياة لشعب يعيش في دولته، ستتم معالجة الموضوع في سياق رؤية مرنة تتجاوز «التخطيط المادي» بالمعنى العادي لهذا المصطلح. .

استنفاد المزايا الضمنية لمساحة دولة صغيرة

إن حجم مهمة استمرار وجود وازدهار الشعب اليهودي في إسرائيل وفي المهاجر/الشتات وفي كليهما معاً يقتضي استغلالاً أقصى للموارد الموجودة كافة، وفي سياق مخطط «إسرائيل ٢٠٢٠» فإن الأمر يقتضي التغلب على مساوئ مساحة الدولة الصغيرة والاستنفاد الأقصى للمزايا الضمنية لمساحة الدولة الصغيرة. والصمود الناجح في هذا التحدي هو شرط لازم لتطوير وازدهار إسرائيل، بما في ذلك في كل ما يتعلق بطابعها اليهودي ـ الصهيوني.

هذا، وليست هناك حاجة للتوسع في الحديث عن النقائص الكامنة في المساحة الصغيرة للدولة، من ناحية مجالات الوجود، والأمن الاستراتيجي، ونوعية البيئة والنطق الصناعية وإمكانات الاستجمام ونحو ذلك. ويمكن التغلب على هذه النقائص مثلاً من طريق أنماط بناء موفِّرة في الأرض، ولكنها مع ذلك توفر مستوى سكن وبيئة جيد جداً؛ نظرية حرب حديثة غير مشروطة بالسيطرة على ساحات كبيرة؛ رؤية شاملة ودقيقة لموضوعات نوعية البيئة؛ تطوير صناعات بالغة التعقيد؛ والفصل بين المناطق السكنية وبين المناطق الاستجمامية ونحو ذلك. إلا أن هناك حدوداً لذلك ـ حسبما هو مجسّد من طريق الاتجاه للدمج بين دول من نوع الاتحاد الأوروبي، والهادف إلى حد كبير للتغلب على قيود دولة منفردة، بما في ذلك مساحتها الضيقة مع كل ما يرتبط بذلك.

وهذا هو الحكم أيضاً بالنسبة إلى دول كبيرة نسبياً، مثل ألمانيا وفرنسا، الصغيرة

---

(٢٢) بحث شامل مقدم في سلسلة كتب المؤلف. انظر: يحزقيئيل درور: **وضع الأمة**، مذكرة إلى رئيس الحكومة (القدس: اكدمون، ١٩٩٢)؛ **لبناء دولة**، مذكرة إلى رئيس الحكومة (القدس: اكدمون، ١٩٨٩)؛ **تجديد الصهيونية**، و**سياسة دولة لإسرائيل** (قيد الإعداد).

أكثر مما ينبغي من أجل الازدهار في العالم الحديث. وكم بالحري حدة مشكلة الدول الصغيرة الملزمة بنوعية بيئة خرق العادة للتغلب على قيودها المجالية. وبالفعل فإن هناك دولاً صغيرة مزدهرة مثل سويسرا وسنغافورة، إلا أن هذه الدول تتميز بنوعية فريدة، ومع ذلك فإن نجاحها لا يعتبر بمثابة ذخر ثابت القيمة وجودة مضمون إلى الأبد[٢٣].

إن الطريق لتقليص مساوئ صغر الحجم من خلال الانضمام إلى شبكة متعددة الدول مغلق في وجه إسرائيل، سواء أكان ذلك من منظور الرؤية السياسية الواقعية أو الرؤية القيمية. وحتى من خلاف نظرة متفائلة إلى عملية السلام فإنه من المشكوك فيه كثيراً أن يتمكن الشرق الأوسط في المستقبل المنظور من الوصول إلى الاستقرار اللازم للدمج الحقيقي بين الدول. والأهم من ذلك أيضاً أن طابع إسرائيل ورسالتها كدولة يهودية ـ صهيونية (بالإضافة إلى كونها الدولة الديمقراطية لجميع مواطنيها) يضع حداً للاندماج في الشرق الأوسط حتى في حال وعندما يكون الأمر ممكناً من ناحية الواقعية السياسية. ويمكن لإسرائيل ويتحتم عليها التطلع إلى تعاون وثيق مع الشرق الأوسط والمساهمة في تطوره. ولكن محظور عليها أن تعرّض خصوصية اليهودية ـ الصهيونية للخطر من طريق «الاندماج» ـ الزائد ـ حتى من خلال الافتراض النظري بأن الأمر سيكون قابلاً للتنفيذ في المستقبل المنظور وربما مجدٍ أيضاً من جوانب مختلفة.

ومن هنا تأتي أهمية التغلب على مساوئ المساحة الصغيرة من طريق تقدم إسرائيل السريع نحو «العولمة» بمعنى الاندماج في الاقتصاد العالمي بمجمله والتعاون مع أطراف اقتصادية موزعة في العالم كله. بواسطة التكنولوجيات الحديثة لوسائل الاتصالات المسموعة والمواصلات وفي سياق الاعتماد على الطابع العالمي المتعاظم لمجالات اقتصادية كثيرة. وإسرائيل تتقدم بسرعة في هذا الاتجاه. ولكن هناك حاجة لمعاظمة هذا الاتجاه وذلك أيضاً من خلال تعاون يهودي شامل، بما في ذلك انعكاسات لمجالات «إسرائيل ٢٠٢٠» من نوع تخصيص مساحات لوسائل الجسر التي تقلص المسافات، مثل المطارات وربما أيضاً منشآت الإطلاق للأقمار الصناعية.

---

(٢٣) نموذج تاريخي للدولة الصغيرة التي نجحت جداً والتي بعد ذلك زالت، والتي يمكن الاستفادة منها الشيء الكثير هي الجمهورية الهولندية (The Dutch Republic). انظر بشكل خاص: Jonathan Israel, *The Dutch Republic: Its Rise, Greatness and Fall, 1477-1806*, Oxford History of Early Modern Europe (Oxford: Clarendon Press, 1995), and Karl Davids and Jan Lucassen, eds., *A Miracle Mirrored: The Dutch Republic in European Perspective* (Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 1995).

هناك ملخص قصير للدروس التاريخية والمقارنة: انظر: يحزقيئيل درور، «المساحة الصغيرة كعامل في ازدهار وغروب شمس الأمم،» (مونيتين، تحت الطبع).

وهناك طرق أخرى للتعويض عن مساحة إسرائيل الصغيرة، وذلك على سبيل المثال وحسبما ألمح إليه آنفاً من طريق نقل نشاطات معينة إلى الأقمار الصناعية كبعد إضافي «للمجال». ولكن لا يكفي التعويض عن صغر المساحة بل ينبغي تحويل صغر حجم المجال إلى ميزة بالاستعانة بالإبداعية والتحديث، وبالفعل فإن هذا الأمر قابل للتنفيذ وذلك على سبيل المثال بمساعدة ما يلي:

ـ التقدم السريع نحو مجتمع مربوط بشبكة اتصالات مسموعة في سياق استغلال صغر حجم الدولة، وتطبيق ذلك بشكل كبير ومتزايد على مجالات الاقتصاد، التعليم، الأمن، الدراسات، العمالة، الثقافة وساعات الفراغ ونحو ذلك.

ـ التقليص الكبير في مدلول «البعد الطبيعي ـ المادي» سواء أكان ذلك من الناحية الاقتصادية أو من الناحية الاجتماعية الطبقية، وذلك أيضاً بمساعدة شبكات اتصال مسموعة على النحو المذكور، وكذلك بمساعدة نظام المواصلات السريع الذي يشمل التجمعات السكانية الرئيسة في الدولة.

ـ تطوير مزايا « الخطوط الداخلية» (مصطلح مقتبس من نظرية الحرب) وذلك على سبيل المثال في كل ما يتعلق بتوزيع الإنتاج ودمجه بين المشاريع الممتدة على كل أراضي الدولة.

ـ تقليص الازدواجية في المنشآت المتطابقة، في سياق تحسين نوعيتها وتخصصها، في مجالات التعليم العالي، والمجالات الطبية على سبيل المثال.

إن خطوات إبداعية نشطة لتحويل صغر الحجم المجالي إلى ميزة، كما هو مجسّد أعلاه، إضافة إلى قدرات وموارد إسرائيل الإنسانية الكثيرة، تتضافر سوياً لتصبح قوة تطوير محتملة هائلة. وبذلك ينشأ مجال اختيار واسع لرسم المستقبل بواسطة اتجاهات سياسة مناسبة، بما في ذلك، في مواضيع مشروع «إسرائيل ٢٠٢٠» التي سنتناولها.

اتجاهات أساس للسياسة

لأغراض التقدم في سياسة شعب يهودي في مجالات مخطط «إسرائيل ٢٠٢٠» سأركز البحث في سبعة اتجاهات رئيسة هي:

١ ـ وحدة الشعب اليهودي.

٢ ـ جذب الهجرة اليهودية والاندماج معها.

٣ ـ مركز تربوي، وثقافي ـ روحي وسياسي للشعب اليهودي (وأيضاً ذو مدلول إنساني عام).

٤ ـ مشاريع مشتركة للشعب اليهودي.

٥ ـ مجتمع مثالي.

٦ ـ الحفاظ على الطابع اليهودي لأراضي دولة إسرائيل (من خلال الاستجابة لاحتياجات جميع مواطني الدولة).

٧ ـ التحقيق الذاتي للصهيونية بصيغة جديدة.

وحدة الشعب اليهودي

لقد كان الشعب اليهودي تعددياً طوال تاريخه، ومنذ فترة التنوير تزايدت كثيراً التعددية في الشعب اليهودي إلى درجة الانقسامات الحادة. ومن المتوقع أن يتعزز هذا الاتجاه أيضاً في المستقبل المنظور. ومن الناحية المبدئية يوجد للتعددية مزايا كثيرة، إضافة إلى كونها حقيقة لا مفر منها، وذلك على سبيل المثال في تعزيز الإبداعية وتحسين التكيف مع الظروف المتنوعة والمتغيرة بسرعة. ومع ذلك فإن التعددية الزائدة والشروخ غير المرفقة بوحدة شاملة، يكمن فيها خطر على استمرار وجود الشعب اليهودي. ومن هنا تأتي الحاجة إلى سياسة تهدف للحفاظ ولتعزيز وحدة الشعب اليهودي، في سياق التعددية من جهة، وتقليص الشروخ من جهة أخرى.

ويوجد لذلك انعكاسات كثيرة على السياسة اللازمة لدولة إسرائيل في موضوعات ليست من شأننا هنا، مثل في كل ما يتعلق بمسألة «من هو اليهودي» وقواعد التهويد، ومكانة التيارات المختلفة في الديانة اليهودية في إسرائيل، وبنية النظام التعليمي ونحو ذلك. وفي مخطط «إسرائيل ٢٠٢٠» تنتصب بين أمور أخرى قضيتان هامتان من ناحية وحدة الشعب اليهودي. سياسة المساكن والسكن، والمدلول الرمزي للمباني والمواقع.

إن الفصل المجالي بين المجتمعات اليهودية الفرعية على اختلاف أنواعها سهل على المدى القصير، لأنه يقلص الاحتكاك مثلاً في كل ما يتعلق بالمحافظة على حرمة يوم السبت، كما أنه يستجيب بصفة عامة لرغبة ذوي الشأن الذين يفضلون أن يعيشوا في أحياء سكنية مع أمثالهم. ولذا فإنه يمكن فهم قوة الاتجاه إلى إيجاد مسافة مادية بين أصحاب أنماط الحياة المختلفة. ولكن برؤية وحدة الشعب اليهودي على المدى الطويل، فإن الفصل الإقليمي الذي من شأنه معاظمة الفرقة يشكل بدوره خطراً شديداً. ولذا فإن الحاجة تستدعي العمل في سبيل تقليص هذا الفصل.

أما مع المجموعات الشاذة عن القاعدة والمتمثلة بالفئات البعيدة بشكل متطرف عن الصهيونية وعن الثقافة الحديثة، وبصفة خاصة فئة الأصوليين (الحريديم) فإنه يتوجب العمل على خلط أماكن السكن بين الفئات المختلفة في الشعب اليهودي: المتدينون وغير المتدينين، القدامى والمهاجرون الجدد، المهاجرون المنتمون إلى جوالٍ مختلفة، ذوو المكانة الاقتصادية والمهنية المتنوعة وغير ذلك. ولا ينبغي السير في سبيل التطرف الذي يوجد فيه تناقض مع حرية الفرد. والمقاربة الموصى بها هي المقاربة المختلطة مع منح إمكان لتركيزٍ جزئي لأصحاب الآراء والسمات الاجتماعية المتماثلة في حال رغبوا في ذلك، ولكن في سياق الدمج بين أصحاب آراء وسمات اجتماعية مختلفة في أطر سكنية مشتركة. وعلى سبيل المثال فإن بمقدور المتدينين وغير المتدينين أن يختاروا السكن في منازل منفردة، مع أنه لا ينبغي تشجيع ذلك. ولكن ينبغي العمل لمنع نشوء أحياء كاملة تضم أصحاب رأي واحد منغلقين على أصحاب الرأي الآخر. هذا ناهيك عن أن المطلوب هو تشجيع نشوء تجمعات سكنية يهودية تسودها التعددية.

وفي كل ما يتعلق بالآراء في الأمور الدينية فإننا نوصي بانتهاج سياسة تسمح بالتجانس على مستوى الميكرو، بقدر ما يكون ذوو الشأن راغبين في ذلك، ومع ذلك تدفع نحو الدمج الكبير. في المقابل، وبكل ما يتعلق بالأقدمية في البلد، بلد المنشأ وما شابه، فالمطلوب هو سياسة حاسمة تؤدي إلى الحياة المشتركة. ومن هنا على سبيل المثال فإن فكرة من نوع إقامة «مراكز سكنية للمهاجرين الجدد» كانت فكرة خاطئة من أساسها. وينبغي أن نضيف ونوضح بأنه ليس من شأن ذلك المس بالمحافظة على التقاليد الطائفية المتنوعة وإثرائها أيضاً، بواسطة مناسبات ثقافية وبواسطة هيئات مكرسة للثقافات المتميزة لمجموعات المهاجرين على سبيل المثال. إلا أن فريضة «وحدة الشعب» تقتضي تخطيطاً طبيعياً ـ مادياً هدفه تقليص «البعد الاجتماعي» بين الفئات المختلفة للشعب اليهودي في إسرائيل.

هذا ويختلف الوضع بالنسبة إلى مواطني إسرائيل العرب والمسيحيين. وبالتأكيد فإن كل من يرغب يحق له السكن في أي مدينة يشاء من خلال منع التمييز. ومع ذلك فإنه يحق للاقليات المحافظة على خصوصيتها الثقافية، وذلك أيضاً بواسطة التركيز المكاني في حال رغبت في ذلك.

إن للمبادئ المقترحة انعكاسات واضحة بالنسبة إلى مخطط «إسرائيل ٢٠٢٠»: حيث إن سياسة التخطيط الطبيعي ـ المادي، والسياسة السكنية ينبغي أن تحث على الحياة المشتركة أو على الأقل المتداخلة للفئات اليهودية المتنوعة، علماً بالشذوذ الجزئي

عن هذه القاعدة المتمثل «بالحريديم» (الأصوليين) الراغبين في فصل مادي عن الآخرين.

والرموز المشتركة تعد ركناً هاماً آخر في وحدة الشعب اليهودي (وعلينا أن نتذكر أن دولة إسرائيل بعامة تشكل رمزاً مركزياً لوحدة الشعب ـ وهذا دور ينبغي تعزيزه من طريق تعزيز وتقوية طابعها اليهودي ـ الصهيوني). وتطوير رموز تضامنية هو إلى حد كبير شأن للنتاج المتمسك بالنص الغني والرمزي الذي لا يدخل في مجالات مخطط «إسرائيل ٢٠٢٠». ومع ذلك فإن هناك أيضاً أبعاداً «مجالية» للجهود الإبداعية لرموز وحدة الشعب اليهودي. وهكذا على سبيل المثال فإنه يتوجب دراسة إنشاء «مجمع (قرية) للشعب اليهودي» تتركز فيه مؤسسات يهودية عامة، إلى جانب توزيع جزء منها بين مناطق مختلفة، كذلك هناك حاجة للمحافظة على احتياطي من الأراضي لاحتياجات كهذه.

كذلك فإن للمواقع الأثرية أيضاً أهمية رمزية موحدة للشعب اليهودي، وهذا هو الحكم بالنسبة إلى الأماكن والمباني ذات المدلول التاريخي والتقليدي يهودياً وصهيونياً: ولذا، فإن تشجيع البحث الأثري المرتبط بتاريخ الشعب اليهودي والصهيونية والمحافظة الدقيقة على أماكن ومبانٍ ذات أهمية كامنة كرموز لوحدة الشعب اليهودي ورعاية تلك الأماكن وإنماءها بصفتها هذه ـ يوصى به كمكون من مخطط «إسرائيل ٢٠٢٠»، إضافة إلى تنمية ورعاية أساطير مناسبة. والأمر مرتبط ببذل جهود خاصة للحفاظ على مواقع ذات مدلول أثري يهودي وإجراء دراسات حولها ـ إضافة إلى تنميتها والاستخدام التربوي والرمزي لها.

وهناك مسألة أكثر صعوبة وهي إلى أي مدى يمكن تطوير أسلوب معماري يوجد فيه مدلول يهودي، وبصفة خاصة في المباني العامة. وهذا الأمر مهم بشكل خاص بالنسبة إلى مباني الإدارة المركزية في القدس، مثل مكتب رئيس الحكومة الجديد الموجود قيد التخطيط. ولذا فنحن نوصي بتضمين «مدلول رمزي للشعب اليهودي» ضمن معايير القرار الرئيسية عندما يتم اختيار مخطط بناء لهيئات إدارة وعامة مركزية، وذلك في سياق تشجيع الإبداع الفني المعماري في اتجاه «أسلوب ذي مدلول رمزي يهودي»، مثلاً من طريق تشجيع البحث التاريخي والمنافسات في هذا الشأن.

جذب الهجرة اليهودية والتكامل معها

في كل ما يتعلق بجذب الهجرة اليهودية والتكامل معها (ينبغي تفضيل مصطلح التكامل على مصطلح الاستيعاب حيث إن الأول يبرز الحاجة إلى تغيير المجتمع الإسرائيلي لكي تتكامل مع هجرة يهودية كبيرة)، أكان ذلك كقيمة عليا بحد ذاتها، أو

كأمر مرتبط بدفع مركزية إسرائيل وطابعها الصهيوني ـ اليهودي إلى أمام هناك أهمية قصوى لتطوير نموذج حياة في المجال يسمح بزيادة عدد السكان اليهود في دولة إسرائيل بشكل ملحوظ، في سياق نوعية سكن ونوعية حياة عالية ومتزايدة. ومن الناحية القيمية إذا كان هناك تناقض بين جذب الهجرة وبين نوعية البيئة على سبيل المثال، فينبغي إعطاء أفضلية مطلقة للهجرة، مع الرفض الحازم لأي ادعاء مضاد. ولكن ما هو مطلوب في حقيقة الأمر هو تضافر بين الزيادة الملحوظة في عدد السكان اليهود في دولة إسرائيل وبين نوعية السكن والحياة العالية. أي: أن التخطيط الطبيعي ـ المادي ينبغي أن يوفر نماذج يوجد فيها كثافة سكانية عالية ومتزايدة، وأيضاً إطار حياتي في المجال فيه نوعية سكن وحياة جيدة جداً ومتحسنة باستمرار. وهكذا فالبناء العمودي والمحافظة على مناطق الطبيعة في مقابل مناطق السكن والأنشطة المرفقية، وأشكال جديدة لـ «نوعية حياة طبيعية ـ مادية» في أحياء ذات أبنية متعددة الطبقات ومكتظة بالسكان (في سنغافورة على سبيل المثال) ـ هي نماذج للاتجاهات التي نوصي بالسير نحوها.

وبكلمات أخرى، فإنه يتوجب على التخطيط الطبيعي ـ المادي أن يطور نماذج حياة في المجال تلغي مصطلح «قدرة الاستيعاب الطبيعية لدولة إسرائيل» (وحتى كاعتبار أيضاً في عملية السلام)، وهذا الأمر يحتاج بين أمور أخرى إلى خوض مواجهة مع الآراء المألوفة والمصالح المكتسبة. وعلى سبيل المثال فإن كل موضوع (الأراضي الزراعية) يحتاج إلى مراجعة بعيدة المدى حتى ولو كانت مؤلمة.

وبعيداً عن إزالة التعارض بين كثافة سكانية وبين نوعية الحياة، هناك حاجة لأن ندفع إلى أمام سمات لدولة إسرائيل التي من شأنها اجتذاب المهاجرين اليهود الذين يملكون الخيار (وأيضاً لتقليص الهجرة المعاكسة ولإعادة اليهود الذين هاجروا من إسرائيل هم وأطفالهم). وهذا هو المقصود جزئياً من تطوير إسرائيل إلى مجتمع مثالي حسبما سيجري بحثه لاحقاً. وفي السياق الحالي أضيف الحاجة إلى تنمية «إسرائيل جميلة» وإلى نوعية بيئية ممتازة كبعد ثانوي ولكن لا بأس به لجذب المهاجرين الجدد وتقليص الهجرة المعاكسة. وهذا كما قلنا في سياق زيادة السكان، الأمر الذي يتطلب مفهوماً طويل الأجل يتجاوز الأفق الزمني لمخطط «إسرائيل ٢٠٢٠».

إن التكامل مع المهاجرين اليهود يقتضي تقليل المسافة الاجتماعية عنهم، الأمر الذي يرتبط بتقليص البعد الطبيعي ـ المادي بين المواطنين القدماء وبين المهاجرين الجدد كما أشرنا أعلاه. وهناك نموذج آخر لطرق جذب الهجرة اليهودية والتكامل معها، وهو الاستعداد لإبداء المرونة في قواعد منح تراخيص البناء وذلك للاستجابة

لطلبات المهاجرين المحتملين أو الفعليين، بشرط أن لا يمس ذلك بمبدأ تخطيطي هام. وبعيداً من هذه النماذج تنتصب القاعدة القائلة إن اعتبارات اجتذاب الهجرة اليهودية والتكامل معها، إلى جانب تقليص الهجرة المعاكسة وإعادة الأشخاص الذين هاجروا إلى الخارج، ينبغي أن تشكل أداة اختبار مركزية في كل موضوعات مخطط «إسرائيل ٢٠٢٠» وما وراءها.

مركز تربوي، ثقافي ـ روحي وسياسي للشعب اليهودي (وأيضاً ذو مدلول إنساني عام)

التطلع إلى دفع إسرائيل إلى أمام كمركز تربوي، ثقافي ـ روحي وسياسي للشعب اليهودي، بما في ذلك تعميق البعد الثقافي ـ الروحي اليهودي في السكان اليهود لدولة إسرائيل نفسها، يقف في مركز المفهوم المقترح والمتمثل بسياسة شعب يهودي لدولة إسرائيل. ويرتكز هذا الأمر في أساسه على تشجيع الإبداع، عمل تربوي من نوع جديد، وعمل سياسي وكذلك إعادة بناء تنظيم الشعب اليهودي. وفي كل هذه الأمور خصص دور جانبي نسبياً للتخطيط الطبيعي ـ المادي وللموضوعات المرافقة له.

ومع ذلك هناك حاجة لعدد من النشاطات في نطاق مخطط «إسرائيل ٢٠٢٠» يقصد بها التقدم في الغاية قيد البحث: يجب تخصيص مواقع ملائمة لمؤسسات ثقافية، تربوية، دينية وسياسة يهودية ـ إسرائيلية ويهودية عامة، وتوفير الحوافز لإقامتها في إسرائيل. وينبغي على مدينة القدس أن تشكل مركزاً لهذه الجهود، في سياق إنشاء «تجمع (قرية) للشعب اليهودي» حسبما ورد آنفاً. ولكن جزءاً من الهيئات التربوية والثقافية والسياسية اليهودية ينبغي أن يتوزع على مراكز مختلفة في إسرائيل، بهدف دمجها كجزء لا يتجزأ في الحياة في إسرائيل.

إن وجود وازدهار الشعب اليهودي والثقافة اليهودية تقتضي أيضاً التمسك بمفهوم أداء مهمة ورسالة إنسانية شاملة، أي بمثابة «إصلاح للعالم» كما هو مطبوع في التقاليد اليهودية، وكمناسب وملائم لتطلعات خيرة الشبيبة اليهودية، وكما هو مطلوب من الناحية الإنسانية. وتطوير قيم والقيام بمهام ثقافية ـ روحية ذات مدلولات إنسانية عادلة يشكل إذا جزءاً هاماً في سياسة شعب يهودي، بالإضافة إلى تبريراته كقيمة بحد ذاتها، وكذلك كذخر سياسي واقعي. ولذا فإنه يتوجب، بين أمور أخرى، تضمين مفهوم «إسرائيل ٢٠٢٠» بوضعه هيئات وأنشطة إنسانية عاملة في دولة إسرائيل، وبصفة خاصة في القدس ولكن ليس فيها فقط. ويتعلق الأمر بعملية ستطول في حين أن التقدم نحو السلام سيفتح بوابة لمبادرات أخرى في الاتجاه

المقترح. ونحن نوصي بالاحتفاظ باحتياطي من الأرض لهذا الغرض، وإعداد البنية التحتية الطبيعية ـ المادية، وتقديم حوافز لتشجيع إقامة هيئات ذات مدلول إنساني شامل في إسرائيل، بمبادرة إسرائيلية، وبمبادرة يهودية عامة، وبمبادرة أطراف أخرى دولية.

وكل هذا في سياق الاعتماد على الاستغلال الكامل للطاقة الكامنة في التكنولوجيات الحديثة، مثل إنشاء «شبكة» اتصالات مسموعة يهودية متعددة الأبعاد ومركزها في إسرائيل، وتعزيز العمليات التربوية والتعليمية اليهودية المتعلقة بوسائل الاتصال المتعددة ذات التأثير المتبادل. ومرة أخرى فإن الانعكاسات في مجالات «مشروع ٢٠٢٠» محدودة، ولكنها هامة في كل ما يتعلق بالموقع والبنية التحتية، وكذلك بتغيير وتقليص مدلول «المسافة/ البعد المادي».

مشروعات مشتركة للشعب اليهودي

في إطار التخطيط الفعال الذي ينبغي أن يرافق ويكمل مشروع «إسرائيل ٢٠٢٠» هناك مكان واسع لرعاية مشروعات مشتركة مع يهود المهاجر/ الشتات وفق نموذج «إعمار الأحياء الشعبية»، ولكن في موضوعات أخرى، وبمعيار آخر وبصورة أخرى. وهذه المشاريع يمكن أن تكون مشاريع في قطاع الأعمال، محلية أو قومية. ومن هنا التوصية بتشجيع ترجمة مكونات «إسرائيل ٢٠٢٠» الملائمة لذلك إلى مشاريع محددة، لغرض تنفيذها من طريق شراكة إسرائيلية ـ يهودية وكذلك يهودية عامة أيضاً.

إن إمكانات إنشاء مشاريع مشتركة للشعب اليهودي تشمل على سبيل المثال إنشاء جامعة يهودية عامة، ومتحف يهودي عام، ومعاهد أبحاث وسياسة يهودية عامة ونحو ذلك. وبالإضافة إلى مدلول مثل هذه المشاريع كإسهام في وحدة الشعب، وكمحفزات للإنتاج الروحي ـ الثقافي، وكعامل دافع لإسرائيل كمركز روحي ـ ثقافي، فإن عملية إنشائها كمشروع يهودي عام تسهم في تعزيز التعاون داخل الشعب بعامة وبين مهاجر/ الشتات وبين إسرائيل بخاصة.

وليس من الضروري وكذلك ليس من المرغوب فيه أن يقام كلياً كل مشروع يهودي عام في إسرائيل. وعلى سبيل المثال فإن الجامعة اليهودية العامة يمكنها أن تكون مبنية على شكل «عنقود» يكون أحد مراكزه في إسرائيل، ولكن تكون له مراكز هامة في تجمعات المهاجر/ الشتات الرئيسية (على غرار بناء جامعة الأمم المتحدة على سبيل المثال). وبالفعل فإن بناء جسور بهذه الصورة يضيف إلى وحدة الشعب وينبغي تنمية ذلك ورعايته عن طريق طرح مبادرات وتوفير قاعدة طبيعية ـ مادية ملائمة في إسرائيل.

وهناك إمكان آخر هو المبادرة إلى إقامة مشاريع كبيرة في إسرائيل، طبيعية ـ مادية في جزء منها، تكون مشتركة للشعب اليهودي. وإن عدم وضع التكامل مع جماهير المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفياتي السابق، مع ما يتطلبه ذلك في بناء وحدات سكنية كثيرة، كمشروع للشعب اليهودي كله، يجسّد التقصير النابع من انعدام التفكير المبادر. كذلك فإن مشروعاً قومياً لربط الدولة بشبكة اتصالات مسموعة، في سياق ربطها بشبكة اتصالات مسموعة يهودية عامة، من شأنه إظهار إمكانات إنشاء مشاريع كبيرة للشعب اليهودي ينبغي دراستها جزئياً في إطار «إسرائيل ٢٠٢٠».

مجتمع مثالي

إن مبدأ سياسة دفع إسرائيل لكي تصبح مجتمعاً مثالياً هو مبدأ شامل، تعددي وكثير الأطراف. وهو يطابق في قسم منه فقط موضوعات سياسة شعب يهودي. ومع ذلك فإن مساحات التطابق هي مساحات هامة: فكلما ستصبح إسرائيل «مجتمعاً مثالياً» فإنها ستجتذب مزيداً من المهاجرين الجدد وتقلص عدد النازحين عنها، وتعزز مكانة إسرائيل داخل الشعب اليهودي، وتسهم في وجود وازدهار الشعب اليهودي من طريق إعطاء مضمون قيمي آخر للثقافة اليهودية المطبقة عملياً في إسرائيل. وكل هذا، شرط أن يبتعد المجتمع المثالي الإسرائيلي عن «وضع الدولة السويّة» الزائد، وأن يكون قائماً على الثقافة اليهودية في سياق التجديد.

إن المضامين الجوهرية للمجتمع المثالي الإسرائيلي اليهودي ـ الصهيوني (إلى جانب تشجيع تطور الأقليات إلى مجتمعات مثالية وفق قيمها هي ـ هو موضوع هام يتطلب بحثاً منفرداً) هي شأن لتطورٍ يتطلب زمناً طويلاً يتجاوز بكثير «إسرائيل ٢٠٢٠». ومع ذلك فإنه بالإمكان الإشارة إلى طرق عدة يمكن بها تنمية الديناميكية اللازمة لغرض دفع إسرائيل لتصبح مجتمعاً مثالياً، في سياق تحقيق الفكرة ذاتها في نطق «مشروع ٢٠٢٠».

وتعتبر «العدالة الاجتماعية» مكوناً هاماً في «المجتمع المثالي» المُرسى جيداً في الثقافة اليهودية. ويشمل ذلك القضاء على جيوب التخلف وتقليص الهوات والمسافات الاجتماعية. وتعتبر هذه أهداف مركزية لسياسة اقتصادية ـ اجتماعية. ولكن توجد لها أيضاً انعكاسات كثيرة في مجالات التخطيط الطبيعي ـ المادي بما في ذلك إعمار و/ أو بعثرة تجمعات الفقر والتخلف، وسياسة مواصلات ودمج اقتصادي ـ اجتماعي، من شأنها تقليص «المسافة الاجتماعية» بين المركز والأطراف النائية.

ومع ذلك، يتوجب السماح بأنماط حياة متنوعة، أي انه ينبغي على التخطيط

الطبيعي ـ المادي أن يكون موجهاً لتنويع أنماط الحياة في مواقع مختلفة، في سياق تقليص الهوات والبعد الاجتماعي (وهذا هو الحكم، من خلال الملاءمة، بالنسبة إلى جميع مواطني دولة إسرائيل، حول الحاجة إلى إلغاء الهوات بين اليهود وغير اليهود، خلافاً للخصوصيات المختلفة بين اليهود وغير اليهود).

وهناك بعد آخر للمجتمع المثالي مرتبط بالمجال يتمثل بـ «نوعية البيئة» بالمعنى الشامل لهذا الموضوع. وهنا تنتصب الحاجة التي سبق ذكرها، لضمان نوعية بيئة ممتازة إلى جانب كثافة سكانية كبيرة جداً. وتضاف إلى ذلك احتياجات أوقات الفراغ، في سياق منح حرية اختيار كبيرة، وإضافة إلى ذلك تحفيز أنماط استجمام قيمية. وتشجيع التطور نحو «مجتمع متعلم» و«مجتمع ثقافة عالية» هو طريق هامة لذلك تستجيب أيضاً لاحتياجات مرافق اقتصادية تستند إلى العلم والمعرفة. وفي رؤية «إسرائيل ٢٠٢٠» يترجم هذا الأمر مرة أخرى من أجل تخصيص أراض. ولكن هناك مكاناً أيضاً لخطوات أكثر تركيزاً وأصالة، من نوع دمج مناطق صناعية مع المنشآت الدراسية والثقافية وأوقات الفراغ.

وهناك قضية آخذة بالتأزم في إسرائيل، كما هو الأمر في دول كثيرة أخرى، وهي قضية مهملة عملياً، تتعلق بمعالجة شؤون كبار السن. وفي هذا النطاق تقف قضايا هامة للسياسة المجالية، من نوع تشجيع بناء وحدات سكنية تمكن الشبان من معالجة شؤون آبائهم القاطنين بما يشبه «شقة سكنية فرعية ملاصقة»، وهذه هي نماذج بديلة لبيوت العجزة وربما للمجمعات السكنية الخاصة بكبار السن، في سياق موضعتها في موقع قريب في مراكز النشاطات الاجتماعية والثقافية والتجارية وغير ذلك.

كذلك فإن مسألة توفير منشآت متنوعة للفئات السكانية «المثيرة للمشاكل» من نوع السجناء، والأشخاص الذين كانوا من مدمني المخدرات والمحتاجين للمأوى ونحو ذلك ـ رغم الفارق الكبير بينهم ـ من شأنها خلق مشاكل تقع ضمن نطق مشروع «إسرائيل ٢٠٢٠» ومرتبطة بمفهوم «المجتمع المثالي». هكذا على سبيل المثال توجد حاجة لدراسة نماذج جديدة للمنشآت الخاصة بمراكز الاعتقال والسجن، كما توجد حاجة لجعل المنشآت الخاصة بمعالجة المدمنين، وملاجئ العجزة، قريبة من المراكز الثقافية والاجتماعية والأنشطة الاقتصادية، على الرغم من معارضة السكن وخلافه.

كذلك تقف أيضاً الحاجة لتمكين إجراء «تجارب اجتماعية» متنوعة للبحث عن إجابات لمشاكل الإنسان والمجتمع الحديثة المرتبطة بالثقافة اليهودية. ووضع بنى تحتية في هدف مجموعات وجماعات تريد أن تجرب نمط جديد من الحياة مع مراعاة المعايير

التي ينبغي تقريرها، يعتبر خطوة جيدة في الطريق إلى «المجتمع المثالي». والنماذج الجديدة من المراكز السكانية الجوالبية التي تدمج التكنولوجيا العالية مع نمط حياة يهودي تقليدي و/أو مع قيم المساعدة المتبادلة والتعاون، تجسد إمكانات في هذا الاتجاه يجب تشجيعها بسبل مختلفة، بما في ذلك إيجاد بنى تحتية مجالية.

وفي إطار هذه الرؤية ينبغي جعل وجود وتوطيد الحركات الكيبوتسية في سياق عملية تغيير وتحديث دائمة، أحد الأهداف القومية. ويتعلق الأمر بواحد من التجارب الاجتماعية ـ الثقافية الهامة في تاريخ الإنسانية، القائم على الدمج بين القيم اليهودية والقيم الإنسانية، والمرتبط ارتباطاً وثيقاً بالصهيونية وببناء إسرائيل. ويتوجب على مخطط «إسرائيل ٢٠٢٠» أن يتضمن خطوات من شأنها مساعدة الحركات الكيبوتسية على الخروج من أزماتها وتجديد الإبداع الاجتماعي ـ القيمي.

هذه الملاحظات القصيرة أبعد من أن تحيط بموضوع «المجتمع المثالي» اليهودي ـ الصهيوني في إسرائيل، علماً أن هذا المصطلح غير محدد ومفتوح، ويشمل احتمالات تتجاوز قدرة التفكير المسبق، وكذلك الخيال الحالي. هكذا، على سبيل المثال، فإن مصطلح «المجتمع المثالي» يقتضي منع البطالة على نطاق كبير حول احتمال المبادرة إلى أعمال بنية تحتية يتوجب دراستها مسبقاً في إطار «إسرائيل ٢٠٢٠». ولكن يوجد في التوصيات ما من شأنه إيضاح مجرد فكرة دفع إسرائيل لتصبح مجتمعاً مثالياً ذا مدلول يهودي ـ صهيوني وكذلك إنساني عام، كمكون هام لسياسة شعب يهودي ـ مع انعكاسات جوهرية أيضاً إلى نطاق مشروع «إسرائيل ٢٠٢٠».

المحافظة على الطابع اليهودي لأراضي دولة إسرائيل (في سياق الاستجابة لاحتياجات جميع مواطني الدولة)

إن تطور وازدهار إسرائيل كدولة يهودية ـ صهيونية يقتضي كذلك تعزيز الطابع اليهودي لأراضي دولة إسرائيل، إلى جانب الاستجابة لاحتياجات جميع مواطني الدولة، كما تقضي بذلك القيم الديمقراطية. واتجاه السياسة هذا مقترح كبديل لفكرة توزيع السكان وكوريث لقيم «استيطان البلاد» في سياق تضمينها بالصورة الملائمة الظروف الجديدة.

هذا، وينبغي أن نضمن للأقليات من مواطني إسرائيل مساحات الأرض اللازمة لهم لكي يكون لهم مستوى معيشة مماثل لليهود من مواطني إسرائيل. وذلك في إطار سياسة شاملة للبناء العمودي ونحو ذلك. ومع مراعاة هذا الأمر فإنه يتوجب ضمان الطابع اليهودي لأراضي دولة إسرائيل، سواء أكان ذلك من طريق سياسة البناء والإسكان، أو بواسطة طرق أخرى.

صيغة جديدة للتحقيق الذاتي للصهيونية

ينبغي إضافة مبدأ هام إلى اتجاهات السياسة المقترحة يركز على الفرد اليهودي ويمنح مبادراته ورغباته دوراً رئيساً في دفع الطابع اليهودي ـ الصهيوني لدولة إسرائيل إلى أمام كذلك يتوجب على مخطط «إسرائيل ٢٠٢٠» فتح إمكانات للتحقيق الذاتي الصهيوني وفق صيغة جديدة، بدلاً من مفاهيم «الطلائعية» التقليدية من جهة، وكبديل للجري وراء القيم الغربية من نوع التركيز على الفرد في سياق فردية متطرفة من جهة أخرى. والاقتراحات الخاصة بتمكين وتشجيع تجارب مع أشكال حياة ومجتمع جديدة توضح هذا الاتجاه في السياسة، والذي يجب أن يضاف إليه تشجيع المبادرات والانخراط الشخصي المتزايد، في مجالات مثل اجتذاب الهجرة اليهودية والتكامل معها، والإبداع الروحي ـ الثقافي، كما هي تعبيراته في مجالات مشروع «إسرائيل ٢٠٢٠» من نوع «إبنِ طائفتك» بدلاً من «إبنِ بيتك»، بالإضافة إلى أبعاد يهودية ـ صهيونية.

ساعة الحسم

مشروع «إسرائيل ٢٠٢٠» هو الخطوة المهنية البعيدة المدى للغاية التي تمت حتى الآن في دولة إسرائيل لرسم مبادئ السياسة في ضوء تفكير تخطيطي واسع وطويل المدى. وكل محاولة كهذه تواجه الكثير من انعدام اليقين. ولذا بالذات هناك أهمية للأساس القيمي لرؤية تخطيطية طويلة المدى باعتباره بوصلة ثابتة نسبياً تسمح بملاءمة السياسة والعمل مع الظروف المتغيرة جزئياً بسرعة وكذلك على شكل قفزات.

ومنذ انهيار الاتحاد السوفياتي تمر إسرائيل في ذروة طفرة مواتبة في عاملين أساسيين وحاسمين لمستقبلها: كمية ونوعية اليهود الذين يعيشون في إسرائيل، والوضع الجغرافي ـ الاستراتيجي لدولة إسرائيل في الشرق الأوسط وفي العالم. فالهجرة الكبيرة والمتنوعة النوعيات غيّرت وستبقى تغير راديكالياً السكان اليهود في دولة إسرائيل، بينما تغير عملية السلام، مع كل انعدام اليقين المرتبط بها، بصورة راديكالية وضع دولة إسرائيل الجغرافي ـ الاستراتيجي.

ومن شأن فترة تحول كهذه أن تضاعف من انعدام الوضوح في المستقبل وتصعّب تحديد اتجاه فيه. ومع ذلك فإن فترة التحول السريعة تفتح إمكانات متعاظمة للتأثير في المستقبل، بفضل مرونة المعطيات الأساس. وبالفعل فإن إسرائيل تقف أمام شبكة مفارق طرق تطرح معضلات صعبة أحسن في عرضها خليفة كونفوشيوس هسن تتسو، وذلك في التشبيه الناجح لإنسان يقف أمام مفترق طرق وهو يبكي قائلاً «إن أي خطأ ارتكبه بنصف قدم سوف يبعدني خمسايه فرسخاً عن الهدف».

إن إحدى المعضلات الصعبة التي تقف أمام إسرائيل، وبالذات بسبب إنجازاتها الهائلة في مجال الهجرة اليهودية والتقدم في عملية السلام هي: كيف يمكن الحفاظ على وتعزيز طابعها اليهودي وتحقيق غاياتها اليهودية ـ الصهيونية في الظروف الجديدة، وسيكون الأمر من قبيل سخرية التاريخ المريرة إذا ما تسببت النجاحات الهائلة لدولة إسرائيل برؤية بعيدة المدى إلى غروب شمس الصهيونية والى زعزعة وجود دولة إسرائيل والى انطفاء شعلة الشعب اليهودي والثقافة اليهودية ـ إلا إن ذلك ليس تصوراً غير معقول أبداً. ومن هنا تأتي الأهمية الزائدة لسياسة شعب يهودي لدولة إسرائيل، وأنا لست واثقاً من نوعية التوصيات المفصلة والمعروضة في هذه الوثيقة، إلا أنه ليس لدي شك في حيوية سياسة شعب يهودي لدولة إسرائيل، وذلك أيضاً كأساس وكهدف مركزي لمشروع «إسرائيل ٢٠٢٠».

التكافل في الروابط المتبادلة بين إسرائيل والمهجر/ الشتات

البحث الجاري بواسطة الاتصالات المسموعة ـ مشروع نموذجي

النقاش الذي جرى بواسطة أجهزة الاتصالات المسموعة في إطار سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي يعرض نموذجاً للحوار بصيغة مستحدثة في مسائل مختلفة تتعلق بالشعب اليهودي ودولة إسرائيل على أساس التبادلية.

وهدف النقاش الجاري من خلال وسائل الاتصال المسموعة هو عرض الإمكانات الكامنة في هذه التكنولوجيات من طريق إشراك مهنيين وخبراء يهود في مجالات مختلفة في إسرائيل وفي المهاجر/ الشتات في البحث في القضايا المؤثرة في الرابطة بين الشعب اليهودي في إسرائيل وفي المهاجر/ الشتات. وذلك من خلال إعطاء اهتمام في زمن حقيقي لبلورة سيناريو الشعب اليهودي والمضامين المرتبطة به.

ويستخدم هذا البحث الاتصالات المسموعة والإلكترونية ويعبر عن قدرة تكنولوجيات الاتصال الحديثة على تشكيل برنامج لعلاقات متبادلة من نوع جديد بين الأجزاء المختلفة للشعب اليهودي استعداداً للقرن المقبل، في سياق إشراك المفكرين والباحثين من المجالات كافة في الموضوعات التي كانت في الماضي مقصورة فقط على المشتغلين في الموضوع اليهودي.

إن استخدام تكنولوجيات الاتصالات سوف يتوسع في القرن الحادي والعشرين من خلال توسيع دائرة المستخدمين لهذه التكنولوجيات، وتوسيع دائرة الموضوعات، وخلق الإمكان للتبادلية بين إسرائيل والمهاجر/ الشتات.

وقام بإدارة البحث في هذا الموضوع السيد دوف فاينر، وجرت المراحل الأولى وحتى الثالثة من هذا البحث والنقاش، في الفترة بين كانون الثاني/ يناير وحزيران/ يونيو ١٩٩٤.

هذا ولقد جرى في إطار عملية إنشاء الاتصالات المسموعة مع خبراء يهود في العالم تحديد أربع مراحل:

المرحلة الأولى: إنشاء تجمع من الخبراء يمثل المهاجر/ الشتات.

المرحلة الثانية: بناء عملية المشاركة.

البحث في المسائل العامة المتصلة بالشعب اليهودي وبالعلاقة بين إسرائيل والشتات ـ جولة أولى.

عرض بدائل المخطط الرئيسي لإسرائيل ومناقشة السمات المميزة الخاصة بإسرائيل استعداداً لسنوات الألفين، والتي ستميزها كدولة الشعب اليهودي ـ جولة ثانية.

إنشاء تجمع خبراء يمثل الشعب اليهودي

تمت دعوة الخبراء عن طريق النشر في مناقشات بواسطة الاتصالات المسموعة الجارية في شبكة الإنترنت وفي أطر مناقشات يهودية ومناقشات عامة تتناول التخطيط للمدى الطويل.

وتم تحديد هذا النقاش في الكمبيوتر الخاص بجامعة بن غوريون تحت اسم:
IL 2000 - Strategic Planning: Israel Diaspora Relation in the Context of the Israel 2020 Planning Program.

وجُندّ لهذا الغرض نحو مائة خبير يهودي من أنحاء العالم، (٢٦) منهم من إسرائيل و(٧٧) من المهاجر/ الشتات.

ويعبر توزع المشاركين من المهاجر/ الشتات عن حجم كل منها: (٥٠ بالمئة) من الولايات المتحدة، (١٣ بالمئة) من أوروبا، (١٨ بالمئة) من أمريكا الجنوبية، (٨ بالمئة) من روسيا و(٣ بالمئة) من جنوب أفريقيا.

هذا، وإن تنوع المشاركين في هذا البحث يظهر في الخلفية المهنية، وفي تجارب الحياة، وفي المقاربات المختلفة ليهوديتهم، كما أنه يتيح إمكاناً للحصول على توظيف أدوات في المسائل العامة وأيضاً في مجالات التخصص المحددة،

وبصفة خاصة العلماء والباحثون في مجالات الهندسة والعلوم الطبيعية الذين حتى هذا اليوم لم يكونوا يميلون للمشاركة في بحث من هذا النوع.

بناء عملية المشاركة

لقد تلقى المشاركون في هذا البحث توجهات مفصلة حول الترتيبات التقنية لإجراء المناقشة، كما تم إدراجهم في قائمة النشر، ووجهوا إلى مصادر المعلومات القائمة في الشبكة اليهودية، والتي قد تساعدهم في بلورة موقفهم، كما حصلوا على شروحات حول عملية الحصول على المواد المتراكمة في أرشيف البحث ذاته. ووضعت تحت تصرفهم مقالات أساس بواسطة الأرشيف، ومن ضمنها ملخص التقرير الأول حول عمل الفريق التخطيطي لمشروع ٢٠٢٠، وكذلك المقالات التي عرضت في إطار ورشة التخطيط التي أقيمت في شهر حزيران/ يونيو ١٩٩٣. وفي خلال المناقشة زوّد المشاركون بملخص إجمالي عن الموضوعات الرئيسة التي تم توضيحها في أثناء المناقشة.

البحث في المسائل العامة ـ الشعب اليهودي، إسرائيل والمهاجر/ الشتات

الأسئلة التي طرحت على المشاركين كانت كما يلي:

١ ـ ما هو نمط العلاقات الحالية بين إسرائيل والمهاجر/ الشتات؟ ما هي التوقعات المتبادلة؟ وما هي الأدوار المتبادلة التي تقوم بها إسرائيل والمهاجر/ الشتات كل إزاء الآخر؟

٢ ـ ما هي التغييرات الجوهرية للغاية الجارية اليوم في إسرائيل وفي المهاجر/ الشتات التي قد تؤثر في العلاقات المتبادلة (عمليات ديمغرافية، اجتماعية، تاريخية).

٣ ـ ما هي السيناريوات المحتملة لنوعية العلاقات التي قد تتطور كنتيجة لأنماط التغيير الحالية؟ وما هو طابع العلاقات المرغوب بين إسرائيل والمهاجر/ الشتات في السنوات العشرين المقبلة؟

٤ ـ المشتغلون بالتخطيط المستقبلي لإسرائيل يرون في العلاقات بين إسرائيل والمهاجر/ الشتات اعتباراً ذا أهمية كبيرة. كيف يمكن لإسرائيل العمل على تحقيق واحد من السيناريوهات المرغوبة؟ وإلى أي حد يمكن لعملية بناء هذه السيناريوات أن تؤثر في التخطيط المستقبلي لإسرائيل؟ وكيف ينبغي أن تؤثر هذه في غايات ونظام أواليات إسرائيل؟ وفي تخطيطها الاقتصادي؟ وفي جهودها في مجال البحث والتطوير؟ وفي سياسة الاستثمارات؟ وما هي المجالات الأخرى التي يمكن لهذه الاعتبارات أن تؤثر فيها؟

موضوعات مركزية في النقاش:

- الدور المتغير لتقديم المساعدة لإسرائيل من قبل يهود المهاجر/الشتات.

- قدرة يهود المهاجر/الشتات على تطوير حياة يهودية ذات مدلول ودور إسرائيل في ذلك.

- الطابع اليهودي للدولة والمجتمع في إسرائيل.

توافقات أساس - في أساس هذا البحث - يوجد توافق أساس بشأن توقع عملية تقوية إسرائيل في مقابل انكماش المهاجر/الشتات.

دور الدعم لإسرائيل - في هذا الموضوع سمعت تعابير متنوعة ومتناقضة جوهرها التناقض بين أولئك الذين يدعون بأنه مع تعزيز مكانة إسرائيل يجب توجيه الموارد إلى الجوالي المحلية، وبين أولئك الذين يرون ضرورة مواصلة دعم إسرائيل.

يهودية المهاجر/الشتات وأدوار إسرائيل - في النقاش الذي تم حول هذا الموضوع ظهرت مواقف متنوعة بخصوص قدرة جوالي المهاجر/الشتات على إدارة حياة يهودية بفترة طويلة من الزمن، توثيق الرابطة بين الجيل الشاب وبين إسرائيل في مقابل التركيز الزائد ليهود المهاجر/الشتات على إسرائيل، وأنماط مختلفة من العلاقات التي تشتمل على التبادلية في العلاقات، واختيار إسرائيل النابع من خيارات جذابة وإيجابية، وتغيير العلاقة تجاه الإسرائيليين الذين يعيشون خارج إسرائيل، ودور إسرائيل في التربية، وتطوير قيادة في المهاجر/الشتات.

الطابع اليهودي لإسرائيل - ثلاثة وجهات نظر:

- التمييز وعدم الارتباط بين الإسرائيلية واليهودية.

- النظر إلى إسرائيل وفق مفاهيم ومعايير يهود أمريكا.

- إسرائيل كدولة ذات طابع يهودي أقل مما ينبغي أو أكثر مما ينبغي.

البحث في السمات المميزة لإسرائيل استعداداً لسنوات الألفين

في إطار البحث عرض أمام المشاركين ملخص للبدائل التي تبلورت في إطار الدراسة المخصصة للمخطط الرئيسي لإسرائيل لسنوات الألفين - بديل الأعمال كالمعتاد، البديل الاقتصادي، البديل الاجتماعي والبديل الطبيعي - البيئي، وقد تحدد المحور المركزي للبحث حول السمات المميزة لإسرائيل كدولة الشعب اليهودي، وحول ما ينبغي أن تكون عليه خصائص إسرائيل في سنوات الألفين، بحيث يتم

ضمان استمراريتها كدولة الشعب اليهودي. وتم تشخيص هذه الأمور على أنها المسائل المركزية في سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي في ما يتعلق بالمخطط الرئيس لسنوات الألفين.

وكخلفية للبحث تم التركيز على الخصائص الثلاث التي شخّصت كمميزة لإسرائيل ـ باعتبارها كياناً شرعياً، دولة بين الأمم، تضمن الوجود الطبيعي للشعب اليهودي، دولة إسرائيل كمحافظة على الذاكرة الجماعية للشعب اليهودي، ودولة إسرائيل كنقطة الالتقاء بين المهاجر/ الشتات في العالم ـ مركز الشبكة.

والموضوعات المركزية التي طرحت على بساط البحث كانت الدور المتغير لتقديم المساعدة لإسرائيل من جانب يهود المهاجر/ الشتات، وقدرتهم على تطوير حياة يهودية وذات مدلول، ودور إسرائيل في ذلك، والطابع اليهودي لدولة إسرائيل والمجتمع فيها.

هذا ولقد أعطى البحث تعبيراً عن التخبطات المتعلقة بقدرة إسرائيل على التطور كمجتمع منفتح أمام التيارات اليهودية السائدة في أوساط يهود الولايات المتحدة، وتوسيع البحث إلى ماهية الحياة اليهودية في المهاجر/ الشتات، والطابع اليهودي لدولة إسرائيل بأوجهه القومية والثقافية وليس الدينية فقط. وطرحت في البحث مواقف متنوعة بشان مواجهة الشعب اليهودي للحياة الحديثة بدءاً من التيارات الإصلاحية والمحافظة التي تعرض حياة يهودية حول الكنس اليهودية مع تركيز أخلاقي قوي، وتيارات النشاط الاجتماعي- السياسي التي تحصل على تعبير في حركات ليبرالية و/ أو يسارية ومجموعة متنوعة من المقاربات القومية الصهيونية. وتم التعبير عن المقاربات التي تتوقع لإسرائيل مزيداً من الطابع اليهودي بمصطلحات مقتبسة من الصيرورة الأمريكية، في سياق التأكيد على التربية اليهودية مع خطوط محافظة، إلى جانب مواقف تعبّر عن التمسك بالمعتقدات التقليدية الأمريكية وتوقعات لمستوى من المحافظة العالية على الفرائض الدينية في إسرائيل. كذلك، طرحت مواقف بديلة تؤكد على الجوانب القومية والثقافية لليهودية التي يمكن أن تجد تعبيرها الكامل في إسرائيل.

مصدران إضافيان

فاينر، د. «علاقات إسرائيل والمهاجر/ الشتات. والتخطيط الاستراتيجي لإسرائيل لسنوات الألفين: نقاش منقول بواسطة الاتصالات المسموعة.» (سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي. المخطط الرئيس لإسرائيل لسنوات الألفين. التخنيون وآخرون). (١٩٩٦).

Merra, K. «The Emergence of Migration Cycles?,» *International Regional Science Review,* vol. 11, no. 3 (1988), pp. 269-275.

الجـــزء الرابـــع

وثائـــــق موقـــــف

(وفقاً لترتيب ظهورها في سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي)



المهجر/الشتات
علاقات إسرائيل والمهجر/الشتات بمنظور مقارن

غبريئيل شيفر

١- المهجر/ الشتات العرقي ـ القومي الحديث

١-١ بقاء (Survival) ونمو جوالي مهاجر/ الشتات الإثنية ـ القومية

خلافاً لكل توقعات الباحثين والمراقبين الماركسيين، والليبراليين، وأنصار مقاربة «بوتقة الصهر» وأولئك الذين آمنوا بقوة الدول العصرية وبقدرتها على «معالجة» شأن المهاجر/ الشتات الإثنية ـ القومية، والتسبب في ذوبانها، إلا أن هذه المجموعات الإثنية لم تختف. ولم يقتصر الأمر على عدم اختفاء المجموعات الناشطة، إنما زاد عددها وحجمها في العقود الأخيرة. والمصاعب البحثية تقترن بجمع وبلورة معلومات دقيقة عن الظاهرة. ولكن التقديرات تفيد أن العدد الكلي للمنتشرين في مهاجر/ الشتات الإثنية ـ القومية، التي ينطبق عليها الوصف الذي سيأتي لاحقاً، يبلغ نحو ثلاثمائة مليون شخص. ولأسباب مختلفة، سيتم تحليلها لاحقاً، فإن هذا العدد آخذ بالتزايد. وعلى سبيل المثال فإن إحدى المجموعات التي «انضمت» مؤخراً إلى هذه الفئة، مكونة من أكثر من عشرين مليون روسي يقيمون بصورة ثابتة في الجمهوريات التي كانت سابقاً ضمن الاتحاد السوفياتي وفي دول أخرى، مثل فرنسا والولايات المتحدة والآن يعتبر ويحدّد هؤلاء أنفسهم كـ مهاجر/ شتات بالشتات، وعلى غرار هذه المجموعات تنشأ الآن مجموعات من مهاجر/ شتات فيتنامية وفيليبينية ومغربية ونحو ذلك.

أي أنه خلافاً للرأي السائد في أوساط يهود وإسرائيليين كثيرين فإن المهجر/ الشتات اليهودي ليس ظاهرة متميزة. وفي نهاية القرن العشرين يوجد في العالم عشرات من مجموعات مهاجر/ الشتات الإثنية ـ القومية. وهذه المجموعات تحافظ على

وجودها وتنتظم وتحافظ على رابطة مع البلد الأم، تماماً مثل المهاجر/المهجر/الشتات اليهودية.

إن ظاهرة مهاجر/الشتات الإثني ـ القومي مثيرة للاهتمام من النواحي النظرية والعملية: فمن جهة تعتبر مجموعات المهاجر/الشتات جزءاً من الظاهرة الإثنية العامة، ويسري عليها معظم منطق مركزية ووضع وتطور هذا المشهد في العالم في فترة ما بعد انتهاء الحرب الباردة، ومن جهة أخرى فإن مجموعات مهاجر/الشتات هي «الحالة المتطرفة» للإثنية. هذا لأنها «تتعرض للضغط» من جانب جهات وقوى موجهة ضدها من اتجاهات مختلفة: من طريق أعضاء مهاجر/الشتات نفسها، والمجتمعات والدول المضيفة، والمجتمعات والحكومات في الدول الأم، والمنظمات الإقليمية والدولية، والمجموعات الإثنية الأخرى في الأقطار المضيفة.

١-٢ الأسباب العميقة لبقاء مهاجر الشتات القديمة ولظهور ونمو الجديد منها

هناك أسباب عدة عميقة تقف وراء ظاهرة بقاء ونشوء وزيادة عدد وحجم مهاجر الشتات. ولكن ينبغي أن نذكر أن الأسباب التي ستلي لاحقاً لم ترتب حسب مدى تأثيرها في مهاجر الشتات. حيث إنه من الصعب جداً قياس مدى تأثيرها النسبي الذي يختلف من حالة لأخرى:

ـ كل واحدة من موجات الهجرة الأخيرة التي لا تبدو نهايتها ظاهرة للعين، تؤدي إلى استيطان دائم للمهاجرين في الأقطار المضيفة التي استوطنوا فيها للمرة الأولى، أو في الأقطار التي هاجروا إليها هجرة مرة ثانية أو ثالثة. وعلى سبيل المثال الأتراك في ألمانيا وفي السويد، والكوريون في الولايات المتحدة ونحو ذلك. ولكن مع الاستيطان الدائم في الأقطار المضيفة فإن الهوية الإثنية ـ القومية والروابط المتشعبة مع القطر الأم تبقى محافظاً عليها، كما أن مجموعات كبيرة من المهاجرين تأخذ بتنظيم نفسها.

ـ إن كل مجموعة من المهاجرين «تفقد» أعضاء يفضلون الذوبان في مجتمع الأغلبية في القطر المضيف. ولكن تبقى دائماً «نواة صلبة» تفضل الحفاظ على هويتها والانتظام كجالية في الشتات أو الانضمام إليها، إذا ما كان مثل هذه الجالية قائماً في القطر المضيف. وعلى سبيل المثال فهذا هو وضع الأمور بالنسبة إلى المهاجر/الشتات البولندي والايرلندي في الولايات المتحدة. وتدل الدراسات التي أجريت حول الوضع الحالي في هذا المجال على أن أعضاء هذه المجموعات يفضلون الآن المحافظة

على «المواطنية المزدوجة». وهناك البعض الذي يكلف نفسه حتى الحصول على جنسية القطر المضيف، لأن هذه الجنسية المزدوجة قد تمس بهويتهم الإثنية ـ القومية وبروابطهم مع الوطن الأم. وعلى سبيل المثال فهذا هو الوضع السائد في أوساط المهاجرين من آسيا وجزء من الجمهوريات السوفياتية السابقة.

ـ مثلما أن الدول المضيفة لا تستطيع منع هجرة المجموعات الإثنية القومية ودخولها إلى أراضيها (مثلاً فشل دول منتظمة مثل الولايات المتحدة، كندا، فرنسا وألمانيا في منع دخول المهاجرين)، كذلك فإنها لا تنجح في منع الاستيطان الدائم للمهاجرين وإنشاء مهاجر/الشتات في داخل أراضيها. وعلاوة على ذلك، فإنه حتى عندما تقوم دولة مضيفة بطرد مجموعة شتات من أراضيها، فإنها تجد صعوبة في منع عودة جزء من هذه المجموعة، على سبيل المثال محاولة دولة مصلحية مثل الكويت التخلص من المهجر/الشتات الفلسطيني. فالمحاولة أخفقت، وفي الآونة الأخيرة عادت مجموعة المهجر/الشتات هذه إلى الكويت بعد طردها منها. ومن النماذج الأخرى محاولة ألمانيا التخلص من الأتراك، ومحاولة سويسرا التخلص من اليوغوسلاف ونحو ذلك.

ـ في العقود الأخيرة تسود ظروف أكثر إيجابية من الناحية الشرعية للتعددية ولتعدد الثقافات. وهي تساعد على نشوء وبقاء ونشاط المجموعات الإثنية بصفة عامة، ومجموعات المهاجر/الشتات الإثنية ـ القومية بشكل خاص. وهذا الاتجاه يتعزز من طريق الميول نحو عالمية وعولمة معايير السلوك، وبضمنها التسامح والاعتراف بالحكم الذاتي لمجموعات النية مختلفة. وهذه الميول تتعزز من طريق الثورة في المواصلات وفي الاتصالات الكونية. وهذه الثورة تضمن وجود المجموعات من طريق منع معين للتحرش بها. والعلاقة بين الظاهرتين واضحة: ففي أعقاب ثورة المواصلات والاتصالات بات من الصعب اليوم إخفاء مطاردة واضطهاد مثل هذه المجموعات. ومن غير الممكن على الدوام مساعدة المجموعات التي تواجه صعوبات في أقطار مضيفة. ولكن المعلومات حول تدهور أوضاعها تستقبل في الوطن الأم بشكل فوري تقريباً. وهكذا على سبيل المثال فإنه سيكون من الصعب إخفاء الوضع المتردي للروس في الجمهوريات المستقلة المختلفة، التي كانت في السابق تشكل الاتحاد السوفياتي.

ـ إن عمليات الدمقرطة والاتجاه نحو الليبرالية تخلق من جهة ظروفاً جيدة لنشوء مجموعات إثنية بصفة عامة ومهاجر/شتات بصفة خاصة، ومن جهة أخرى فهي تخلق ظروفاً تشجع على الذوبان أو إعادة تثقيف المجموعات الإثنية المختلفة، وذلك مثل

وضع الأتراك في السويد. فمن جهة، وبفضل الاتجاه المتزايد نحو الليبرالية يتمتع هؤلاء بحقوق ومنافع كثيرة، مثل إمكان التدريس باللغة التركية، الأمر الذي يعزز من الإحساس بالهوية الإثنية. ومن جهة أخرى فإن الليبرالية تمكن من إعادة تثقيف أكبر وحتى الذوبان على المدى الطويل.

ـ والسبب الأهم لاستمرار وجود المهاجر/الشتات، وحتى تجدد نمو هذه الظاهرة يكمن في رغبة أعضاء المجموعات الإثنية ـ القومية بالمحافظة.على هويتهم، وذلك من خلال إدراك وإحساس بأنها ليست متدنية من أي ناحية كانت، بالمقارنة مع مجتمع الغالبية في الأقطار المضيفة. والفرضية السائدة اليوم هي أنه حتى ولو كانت ظروف أخرى سائدة في الأقطار المضيفة ـ مثل الديمقراطية والاتجاه نحو الليبرالية ـ تقرض من عدد أعضاء المجموعة، فإن رغبة هؤلاء بالمحافظة على هويتهم الإثنية تضمن «استمرار وجود» مجموعات الشتات، هذه الكلمة الأساس في قاموس غالبية مجموعات الشتات الإثنية ـ القومية، والرغبة في المحافظة على الهوية الإثنية تشجع أيضاً ظهور «نوى صلبة» في مهاجر/شتات مختلفة كانت في حالة سبات حتى الآن.

١-٣ السمات المميزة لمهاجر/الشتات الإثنية ـ القومية

على الرغم من الفوارق في وقت التشكل، في الخلفية التاريخية وفي ظروف الوجود، إلا أن هناك شبهاً كبيراً جداً بين السمات المميزة الرئيسة لجميع مهاجر/الشتات الإثنية. ولذا فإن هذه السمات المميزة تشكل المكونات الرئيسة في تعريف كل المهاجر الإثنية ـ القومية. ومن ضمنها المهاجر/المهجر/الشتات اليهودية، الموجودة في نهاية القرن العشرين، والتي سوف تبقى موجودة في المستقبل المنظور:

ـ تتشكل مهاجر/الشتات الإثنية ـ القومية كنتيجة لهجرة طوعية أو كراهية من الوطن الأم أو من أقطار مضيفة. وهذا يعني أن المجموعات الإثنية ـ الموجودة في عدد من الدول المجاورة والتي قُسمت بطريقة «مصطنعة» من طريق ترتيبات استعمارية ـ لا تعتبر مهاجر/شتات إلا إذا كان جزء منها يقيم في أقطار مضيفة أخرى كنتيجة للهجرة. وكنموذج على ذلك فإن قبيلة يوروبا الكبيرة في أفريقيا لا تعتبر مهاجر لأنها قُسمت بين الدول المختلفة في إطار ترتيبات استعمارية. وفي المقابل فإن الروس سيعتبرون مهاجر/شتات. هذا لأنهم يعيشون ليس فقط في الجمهوريات المحاذية لروسيا والتي كانت جزءاً من الاتحاد السوفياتي، وإنما أيضاً في فرنسا وألمانيا وغيرها. ويسري على الأكراد تعريف مماثل.

ووفقاً للرأي السائد ـ وبخاصة وجهة النظر الصهيونية واليهودية حول المهجر/الشتات اليهودي ـ هناك أهمية إذا كانت الهجرة طوعية أو إكراهية. وبمعنى آخر إذا كانت نتيجة لقوى «جاذبة» أم «صادّة». وبالمقابل فإن وجهة النظر الحالية تقول إن هذه العوامل ليست هامة جداً لتطور المهاجر/الشتات في القطر المضيف. وفي الواقع فإن القرارات الفردية والجماعية لأعضاء المهاجر في الشتات حول استمرار الحفاظ على الهوية الإثنية ـ القومية، وعلى وجود المجموعة، وانتظامها وأساليب عملها، تتخذ فقط بعد الهجرة وبعد القرار بالاستيطان بصورة دائمة في القطر المضيف. وبعض القرارات يتخذ بناء على اعتبارات عقلانية، في حين يتخذ بعضها الآخر من خلال رغبة قوية في الاستمرار في التضامن مع الوطن الأم، أو بفعل قوة الاستمرار.

ـ تقيم مهاجر الشتات تقيم في دولة مضيفة واحدة أو اكثر، وهي تشكل أقلية في هذه الدول. هذا يعني أن الأمريكيين من أصل إنجليزي ليسوا مشمولين ضمن فئة مهاجر الشتات الإثنية ـ القومية. ويوجد لحقيقة كونها تشكل أقلية في الأقطار المضيفة أهمية كبيرة من الناحية الشرعية لاستمرار وجودها وانتظامها في القطر المضيف. وهذه الحقيقة هامة من الناحية النظرية. هذا لأنه في مجالات معينة مثل الاستراتيجية الرئيسة التي تتبناها مهاجر الشتات، فإنها تتصرف مثل الأقليات الإثنية الأخرى.

ـ كما قلنا فإن أعضاء مجموعة إثنية ـ قومية يقررون الاستيطان بصورة دائمة في قطر مضيف فقط بعد هجرتهم إلى هناك، وإلى حد معين وفقاً للظروف الثقافية والسياسية والاقتصادية السائدة في ذلك المكان. وبعد اتخاذ القرار يقرر أعضاء المجموعة ما إذا كانوا يريدون المحافظة على هوية إثنية ـ قومية، وما إذا كانوا يريدون تنظيم أنفسهم وكيفية القيام بذلك، وكما قلنا فإن الميل الحالي لغالبية المهاجرين هو الإقامة بصورة دائمة في الأقطار المضيفة والمحافظة على هويتهم الإثنية.

ـ إن قرار المحافظة على هوية إثنية ـ قومية يرتبط باعتبارات شخصية وأدائية لأعضاء المجموعة. ولكن هذا القرار يتخذ بناء على عوامل موضوعية وأساس (روابط بيولوجية، علامات مشتركة، إحساس مشترك بالأصل، تاريخ مشترك ونحو ذلك) وسلوكية (لباس، غذاء، أعياد ونحو ذلك)، تسهم في الإحساس بالتضامن لدى أعضاء المجموعة.

ـ إن قرار أعضاء المجموعة بالمحافظة على الهوية الإثنية ـ القومية يجر وراءه بصفة عامة قراراً بالمحافظة على رابطة عاطفية وعملية مع المجتمع وأحياناً مع الحكومة في الوطن الأم. والقرار بالمحافظة على الروابط ـ بعيداً من الرغبة بالحفاظ على روابط شخصية مع أفراد العائلة والأصدقاء في الوطن ـ هو أمر حيوي لنشوء المهاجر/

١٥٧٧ - ٦

الشتات، وبالطبع فإن المحافظة على روابط مع الوطن تشكل عاملاً حيوياً، وهذا العامل يميز بين مهاجر الشتات وأقليات إثنية أخرى لم تنشأ من طريق هجرة طوعية أو كراهية.

ـ إن القرار بالمحافظة على هوية إثنية ـ قومية يشكل أساساً للتضامن في داخل المجموعة وبينها وبين الوطن. ويعتبر التضامن حيوياً لانتظام المهجر/ الشتات وللمحافظة على الروابط مع الوطن.

ـ إن مهاجر الشتات الإثنية ـ القومية لا تحافظ على بقائها إذا لم تتنظم. هذا يعني أن مجموعات كهذه لا يمكنها أن توجد على أساس الولاء الشخصي للوطن الأم، وانتظامها كجالية هو مكوّن حيوي لاستمرار وجودها في الأقطار المضيفة وللمحافظة على روابط مع الأقطار الأم، وعملية انتظام مهاجر/ الشتات هي عملية معقدة، بسبب توزعها في العالم وفي الأقطار المضيفة. وغالبية المنظمات الحالية لمهاجر الشتات تحمل طابع «الشبكات». وهذه الشبكات مكونة من شبكات في الدولة المضيفة ومن شبكات ما فوق الدول، وبصفة مبدئية فإن الشبكات في القطر المضيف تكون مخصصة لضمان بقاء وجود الجالية من الناحية مادية، ثقافية، سياسية واقتصادية، وبواسطة الشبكات ما فوق الدول تتم المحافظة على الروابط مع الوطن ومع جوالٍ أخرى في المهجر/ الشتات ومع مهاجر أخرى أو منظمات ما فوق الدول أخرى.

ـ الشبكات ما فوق الدول تعبر عن رغبة النوى الصلبة في المهاجر الشتات في المحافظة على روابط دائمة ووطيدة مع الوطن وجوالٍ أخرى في المهجر. وهي تستخدم كوسيلة لنقل الموارد بين المهجر/ الشتات وبين الوطن الأم. ويشكل وجود الشبكات عاملاً رئيساً في النزاعات بين المجتمع والحكومة المضيفة وبين المهجر/ الشتات، هذا بالإضافة إلى عوامل متأصلة كما كراهية الغرباء قائمة الموجودة في مجموعات أغلبية كثيرة. وبمعنى آخر فإن هذه الصراعات تنشأ في ضوء أنماط السلطة والولاء المزدوجة والمجزأة في صفوف المهاجر/ الشتات. والآن فإن هذه الأنماط تتعزز في ضوء الازدياد في استعداد دول مضيفة كثيرة للسماح بجنسية مزدوجة لسكانها، بما في ذلك لمهاجر الشتات الإثنية ـ القومية. وهذا هو الحال في الولايات المتحدة، ألمانيا، الدول الاسكندنافية وغيرها.

هذه هي أيضاً السمات المميزة للمهجر/ المهجر/ الشتات اليهودي. وسيتم تفصيل هذا التشخيص.

١٥٧٨ - ٦

١-٤ فئات مهاجر الشتات الإثنية ـ القومية القائمة الآن

تقسم مهاجر الشتات إلى فئتين: «مهاجر الشتات التي تفتقر إلى دولة» ومهاجر الشتات المرتبطة بوطن أم. والفوارق بين هاتين الفئتين تكمن بصورة أساس في الاستراتيجية التي تتبناها الجوالي المختلفة في الفئتين، في مجال النشاط ما فوق الدول والشبكات ما فوق الدول، والتي بواسطتها تقوم مهاجر الشتات المختلفة بتنفيذ النشاطات ما فوق الدول. وفي مجال العلاقات مع «الوطن».

ـ «مهاجر الشتات التي تفتقر إلى دولة»: معظم مهاجر الشتات مرتبط بـ «وطن» موجود في داخل دولة تخضع لسيطرة مجموعة إثنية أخرى، كما أن بعضها الآخر مرتبط بقارة كاملة. وللمجموعة الأولى ينتمي المهجر/الشتات الفلسطيني، السيخي، التاميلي. أما المجموعة الثانية فتنتمي إليها مجموعات معينة من الجالية الأفريقية ـ الأمريكية والغجر.

وبؤرة كينونة هذه المهاجر/الشتات هي الرغبة في إقامة دولة على الأرض التي تعتبرها وطناً لها. وعدد مهاجر الشتات هذه آخذ بالتناقض. هذا لأن بعضها، مثل مهاجر المهجر/الشتات اليهودية والأرمنية، قد حقق حقه في تقرير المصير وأقام دولة. في حين أن بعضها الآخر يوشك على تحقيق ذلك مثل: مهجر الشتات الفلسطينية.

هذا وتميل مهاجر الشتات هذه إلى تبني استراتيجية معتدلة، جوالية على سبيل المثال، بالنسبة إلى بلدها المضيف. ولكن بالنسبة إلى وطنها فإن معظمها يتبنى أو يدعم استراتيجية أكثر راديكالية، مثلاً، انفصالية أو انسلاخية توحيدية. وفي جميع الأحوال فإن دعم الاستراتيجية الراديكالية يخلق في أوساط مهاجر الشتات هذه، أو في أوساط بعض أفرادها وضعاً مثل انفصام الشخصية. هذا لأن النضال من أجل الاستقلال يحتم عليها الانتظام بصورة خاصة حتى في الأقطار المضيفة، وبناء شبكات ما فوق الدول.

وبواسطة هذه الشبكات سيكون بمقدورها نقل موارد وموارد سياسية ودبلوماسية، ومالية وطاقة بشرية لازمة للنضال من أجل الاستقلال في «الوطن». وهكذا ينشأ وضع يقوم فيه قسم من المهجر/الشتات بإدارة استراتيجية جوالية معتدلة. في حين يؤيد قسم آخر النضال من أجل تحقيق حق تقرير المصير، الذي يتحول أحياناً إلى صراع عنيف وحتى إرهابي للحصول على الاستقلال. ومثل هذا الوضع ميز مهاجر الشتات الأرمنية واليهودية قبل أن تتمكن سوياً مع الجزء الآخر الذي بقي في الوطن، من تحقيق حق تقرير المصير. إلا انه وكما قلنا فإن غالبية مهاجر الشتات مرتبطة بدول تسيطر فيها القومية التي تنتمي إليها هذه المهاجر.

١٥٧٩ - ٦

ـ مهاجر الشتات المرتبطة بدولة: إن بؤرة كينونتها هي الرغبة في المحافظة على هويتها في القطر المضيف، وإمكان إقامة علاقات مع الوطن الأم.

واليوم، ليس فقط مهاجر الشتات المفتقرة إلى دولة، إنما أيضاً مهاجر الشتات المرتبطة بدول لا تتبنى استراتيجية الذوبان أو الاندماج في المجتمعات التي تعيش فيها. وكما قلنا فالأسباب الرئيسة في تبني مثل هذه الاستراتيجيات هي: الإصرار على الحقوق، انعدام الاستهانة بالقيمة الثقافية لأعضاء مهاجر الشتات هذه، والشرعية المتزايدة لوجود إثني منفرد.

وفي القطر المضيف تتبنى غالبية مهاجر الشتات هذه استراتيجية جماعية ـ تعاونية. فمن ناحية تضمن هذه الاستراتيجية التعايش مع الحكومة والمجتمع المضيفين. ومن ناحية أخرى وفي عدد أكبر من الدول، فإنها تمكن من الحفاظ بسهولة نسبية على روابط مع الوطن الأم، وحتى العمل لصالح هذا الوطن، دون أن تبرز مسألة الولاء المزدوج.

وفي هذه الفئة بالإمكان التمييز بين ثلاث مجموعات:

أ ـ مجموعات الشتات التقليدية

إنها جوالٍ نشأ قسم منها في العصر القديم أو في العصور الوسطى. ونجحت هذه الجوالِ في المحافظة على كل السمات المميزة للمهجر/ الشتات في خلال مئات أو آلاف سنوات وجودها. وينتمي إلى هذه المجموعة، على سبيل المثال، اليهود والصينيون والأرمن. واليهود، حقاً، هم النموذج الأكثر وضوحاً للمهاجر الإثنية ـ القومية التقليدية. ولكن لكل مهاجر الشتات الأخرى سمات مميزة مماثلة كثيرة.

وفي خلال التاريخ الطويل لمهاجر الشتات اندثر جزء من أفرادها في عمليات إبادة أو اندماج طوعي أو إكراهي. ومن الأمثلة على ذلك اليهود في ألمانيا والأرمن في تركيا ونحو ذلك. واندثر جزء آخر نتيجة اندماج وذوبان طوعي نجم عن أسباب مثل اعتبارات الفائدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. كذلك فقد تخلى جزء آخر عن أصوله بسبب الشعور بالتدني الثقافي بالنسبة إلى المجموعة المهيمنة في القطر المضيف. كما تخلى بعض آخر بسبب الذكريات المريرة من الوطن التي أوصلته إلى وضع من انعدام الرغبة بالمحافظة على الهوية الإثنية ـ القومية وعلى الرابطة مع الوطن.

إلا أنه مع اقتراب نهاية القرن العشرين فإن الميل للذوبان والاندماج في المجتمعات الجديدة بحد ذاتها آخذ بالضعف. إن هناك تمييزاً إضافياً بين اللامبالاة و«الانزلاق» إلى خارج الجالية، وبين تبني استراتيجية واضحة للاندماج والذوبان.

وغالباً ما يتم تبني مثل هذه الاستراتيجية من جانب أفراد أو مجموعات عندما يظهر القطر المضيف عداء شديداً تجاه الغرباء، وبصفة خاصة تجاه مهاجر الشتات الاثنية.

إن أسباب ضعف الميل للذوبان الطوعي في المجتمعات الجديدة كثيرة. والسببان الرئيسان هما:

أولاً: خيبة الأمل الكبيرة من تجربة «بوتقة الصهر» وفق الصيغة الأمريكية، الفرنسية والسوفياتية. إذ يتضح أنه لم يتم في أي من هذه الحالات حل مشاكل هذه المجموعات في الأقطار المضيفة. ومن جهة أخرى فإن الانتماء الإثني الآن أصبح أمراً رائجاً. **ثانياً**: في غالبية الدول بدأت تقل الضغوط البيئية التي تؤدي إلى الاندماج في المجتمعات الجديدة وحتى إلى قبول ثقافة الأغلبية (إعادة تثقيف). فقد تضاءلت الضغوط في هذا المجال بصورة جوهرية بفعل **أربعة أسباب** رئيسة: **الأول** هو الاعتراف المتزايد بالتعدد الثقافي (Multiculturalism) وبالتعددية الإثنية. **والثاني** هو المخاوف المتزايدة من أن يؤدي التعرض للمهاجر/ الشتات الإثنية إلى قيام ضغوط دولية. **والثالث** هو إدراك متزايد أن مهاجر الشتات التي تدير استراتيجية معتدلة ليست خطيرة، بل يمكنها أن تعمل كجسر بين الدولة المضيفة وبين دول ومجتمعات غريبة. وهذا الأمر يمكن أن يجلب منافع اقتصادية أو سياسية للدولة المضيفة. **ورابعاً** اعتراف المهاجر ذاتها بحقيقة وجود مزايا للمحافظة على هويتها الإثنية ـ الإثنية تنبع من الثمن ـ البدل الذي قد تحصل عليه من المجتمع ومن الحكومة المضيفة عن خدمات يمكنها أن تمنحها لها، مثل إيجاد روابط بينها وبين القطر الأم، وإلى حد معين فإن هذا هو وضع المهجر/ الشتات اليابانية في الولايات المتحدة وفي عدد من دول أمريكا اللاتينية.

من جهة ثانية فإن معظم مهاجر الشتات هذه، وكذلك «مهاجر الشتات الجديدة» التي سيرد ذكرها لاحقاً، تتبنى استراتيجية «جماعية ـ تعاونية». وهذه الاستراتيجية مريحة لغالبية أفراد مهاجر الشتات، حيث إنها معتدلة ولا تفرض مطالب أكثر مما ينبغي على الأفراد، كما أنها لا تثير الكثير من خلافات الرأي، وبالأساس فإنها تمكن من التعايش مع المجتمع المضيف. ولكنها مريحة جداً أيضاً للمجتمع المضيف، لأنها تضمن أن يأخذ أفراد المهجر/ الشتات على أنفسهم قواعد اللعبة والقوانين الأساس للمجتمع المضيف ولا يمسوا بهذا المجتمع.

ومن وجهة نظر الدول المضيفة فإن نشوء منظمات جوالية ممأسسة، يشارك فيها أفراد كثيرون من داخل المهجر/ الشتات يسهل عملية الرقابة الرسمية وغير الرسمية على جوالي المهجر/ الشتات، فمن جهة فإن هذه الرقابة تتم في الإطار السياسي العادي، وفي حالات معينة من جانب الأجهزة الأمنية للدولة المضيفة. ومن جهة

أخرى فإن الرقابة تتم بفعل حقيقة من المؤسسات التي يقيمها المهجر/ الشتات تتحول إلى ذخر لا يريد أفراد المهجر/ الشتات خسارته، وكذلك بفعل حقيقة أن أفراد مهاجر الشتات يشكلون ما يشبه «الرهائن» في أيدي المجتمع والحكومة المضيفة.

وفي الآونة الأخيرة، ومن وجهة نظر المجتمع والحكومة المضيفة، فإن مؤسسات الجالية تعد وسيلة اتصالات ناجعة تنشأ بواسطتها علاقة مع أفراد المهجر/ الشتات. وهذه الوسيلة جاهزة ومصونة بالنسبة إليهم دون حاجة إلى استثمار خاص. وعلاوة على ذلك، فإن منظمات المهجر/ الشتات قد تجري اتصالات مع مجموعات في المهجر/ الشتات لا يسهل الوصول إليها من جانب المجتمع أو الحكومة المضيفة.

إن إنشاء شبكات داخل الدول هو شرط حيوي للبقاء، وأساس لإنشاء ما فوق الدول دولية ضرورية لضمان الرابطة بين المهجر/ الشتات وبين البلد الأم. وفي نظر مهاجر الشتات فإن إنشاء الشبكات في داخل الدول يؤدي إلى إحراز أهداف عدة. وهذه الأهداف تشتق من أربعة احتياجات رئيسة للمهجر/ الشتات: **أولاً**: إن إقامة شبكات جوالية هو نتيجة «طبيعة» لرعاية التضامن بين أفراد المهجر/ الشتات والمحافظ عليه. **ثانياً**: إن إقامة هذه الشبكات تنبع على وجه العموم من الرغبة والحاجة في مساعدة المهاجرين القادمين ملأى بالمخاوف إلى قطر مضيف ذي ثقافة مختلفة. **ثالثاً**: بعد إقامة المهجر/ الشتات فإن إقامة الشبكات هو أمر حيوي لضمان بقاء الجالية، ولحمايتها من العدوان والحرمان، ولزيادة مدى تأثيرها في القطر المضيف وخارجه. **رابعاً**: إن مثل هذا الانتظام يسهل على أفراد المهجر/ الشتات عملية دفع مصالحهم الشخصية والجماعية إلى أمام. وهذه المصالح مرتبطة ليس فقط بالقطر الأم، وإنما أيضاً بالمكانة الاقتصادية والسياسية للمهجر/ الشتات في القطر المضيف، وعلى سبيل المثال فليس فقط داخل الجالية اليهودية والأمريكية إنما أيضاً داخل جوالٍ إثنية - قومية أخرى، من المألوف أن عملاً يتم في إطار المهجر/ الشتات يعد وسيلة للتقدم لنشاط سياسي في المظومة السياسية العامة للدولة المضيفة.

مهام وأداء مؤسسات الجوالي: كما قلنا فإن لمؤسسات الجوالي **ثلاث مهمات**: **الأولى** هي ضمان بقاء (Survival) الجالية، أي ضمان «الاستمرارية» (Continuity) التي تعتبر اليوم الشغل الشاغل لزعماء الجوالي اليهودية. والجالية تضمن البقاء من طريق تقديم خدمات ثقافية واجتماعية ودينية وتربوية وصحية ومساعدات مالية وخدمات رفاه لأفرادها. و**المهمة الثانية** للمؤسسات الجوالية هي تقديم الحماية لأفراد المهجر/ الشتات. ولهذه المهمة وجهان: تقديم الحماية ضد الاعتداء المادي الجسدي. وهذا الاعتداء يأتي على وجه العموم من جانب مجموعات إثنية أخرى أو أطراف

متطرفة معادية في المجتمع المضيف. ومن جهة أخرى حماية الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وإذا كان يوجد في القطر المضيف سلطة قانون، وبصفة خاصة إذا ما وجد دستور رسمي ومحاكم دستورية، فإن الحماية تحرز بواسطة الجهاز القضائي. وفي حالات أخرى تحرز الحماية من خلال التوجه إلى المنظومة السياسية. هذا في وقت تمارس فيه المهجر/ الشتات ضغوطاً عليها ويحاول إقناعها أو تقديم وعود بمنحها رشاوي أو بتقديم خدمات أخرى لها. و**المهمة الثالثة** هي دفع (Promotion) مصالح المهجر الشتات. وهذه المهمة تشمل، بين أمور أخرى، تأهيل زعامة شابة (تأهيل الزعامة يتصور جدول أواليات كل المهاجر/ الشتات)، وتسوية الخلافات التي تثور بين المهجر/ الشتات وبين مجموعات إثنية أخرى، وتأليف قلوب المؤيدين للمهجر/ الشتات والمعارضين له.

وكلما كان المهجر/ الشتات أكثر قدماً تغلّب على المشاكل التي هددت وجوده. وكلما كان أفراد النواة الصلبة فيه أكثر وعدد الأفراد الهامشيين في داخله أقل، كان أكثر انتظاماً. وكلما كانت الموارد التي يملكها أكبر، بما في ذلك الموارد المالية التي توجد تحت تصرفه، زادت حوافز أفراد الجالية للتقدم في شؤونها. ووفق هذه الروح فإنهم يخصصون وقتاً وموارد أكثر لشؤون الجالية. كما أنهم سيوظفون إمكانات أكبر في تطوير منظمات الجالية، وبالتالي سيكون وصولهم أيسر إلى المؤسسات الاجتماعية والسياسية في الدولة المضيفة. وهذه العوامل تعزز الاتجاه للمحافظة على المؤسسات التابعة للجالية وللتمسك بالاستراتيجية الجوالية. ونظراً إلى أن الاستراتيجية الجماعية التعاونية معتدلة وغير مهددة، فإن المجتمع المضيف والحكومة المضيفة سيشجعانها دون ضجيج.

ومع ذلك ينبغي التأكيد بأن الموارد الكبيرة ليست هي فقط اللازمة لتعزيز الجالية، إنما أيضاً التفاني واستثمار العمل في بنائها. وفي هذا السياق يتوجب التأكيد أيضاً بأن العمل في القطر المضيف هو عنصر هام في تطور مهاجر الشتات وليس بالذات الموارد التي جلبت من القطر الأم. أي أن هذا الوجه يعزز أيضاً الادعاء الأساس للوثيقة وبموجبه فإن القرارات المركزية إنما تتخذ من جانب المهجر/ الشتات في القطر المضيف وليس من جانب القطر الأم.

ب ـ مجموعات الشتات القوية

يدرج ضمن هذه المجموعة المهاجر التي نشأت بصفة خاصة في القرن التاسع عشر وفي النصف الأول من القرن العشرين. وعلى الرغم من أن كل مهجر/ شتات فقد أفرادا منه منذ تأسيسه، إلا أن «ذاته الصلبة» بقيت قائمة. وهذه المجموعات

امتنعت عن الاندماج والذوبان. ونجحت في تنظيم نفسها وفي المحافظة على منظماتها وحتى تطويرها. كذلك فقد نجحت أيضاً وبمدى مختلف في المحافظة على رابطة مع الوطن. سواء كان هذا الوطن دولة مستقلة، أو إقليماً في داخل دولة تسيطر عليها أقلية أخرى. وفي هذه المجموعة توجد مهاجر قوية مثل اليونانية واليابانية والبولندية والايرلندية. كذلك فإن جزءاً من المهجر الشتات الإيطالي مشمول ضمن هذه المجموعة، وبصفة خاصة تلك الجماعة المقيمة في أمريكا اللاتينية.

وهناك ظاهرة مثيرة للاهتمام ومميزة لعدد من مهاجر الشتات من هذه الفئة هي بمثابة «صحوة» غير متوقعة، وهذه «الصحوة» تحصل في مهاجر «في حالة سبات» من ناحية تنظيمها وعلاقتها مع القطر الأم، عقب تطور دراماتيكي في القطر الأم. وعلى سبيل المثال، هذا هو وضع الأمور في مهاجر الشتات البولندية والهنغارية والأستونية واللاتفية والأوكرانية. فكل مهاجر الشتات هذه التي كانت «في حالة سبات» حتى نهاية الثمانينيات من القرن الحالي، ثم بدأت تصحو عشية انهيار الإمبراطورية السوفياتية وبعد ذلك.

وأيد معظم هذه المهاجر النضال الذي خاضته أوطانها ضد الدولة الإمبريالية العظمى الاتحاد السوفياتي، للحصول على الاستقلال نظرياً وعملياً. كذلك فإن بعضها أيد وما يزال يؤيد أعمال العنف والإرهاب في الأقطار الأم وفي الدول المضيفة. وينطبق هذا الأمر بالذات على جزء من المهجر الايرلندي في الولايات المتحدة. ومعظم مهاجر الشتات هذه تنتهج استراتيجية معتدلة في الأقطار المضيفة، على غرار الاستراتيجية الجماعية ـ التعاونية. وهي أيضاً منظمة وتعمل على غرار مهاجر الشتات التقليدية. والمنظمات الجماعية - التعاونية التي أقامتها تلك المهاجر تقوم بالمهام الثلاث التي ذكرت في النقاش حول مهاجر الشتات التقليدية.

وتنتصب أمام مهاجر الشتات هذه مشاكل أخرى، مماثلة لمشاكل مهاجر الشتات التقليدية. وبين أمور أخرى، تنتصب أمامها مشكلة «الاستمرارية» ومشكلة الزعامة الشابة. كذلك تنتصب أمامها مشكلة التغييرات الديمغرافية التي تزيد من شيخوخة مهاجر الشتات. وكنتيجة لذلك فإنها تتخبط بمشكلة تخصيص الموارد لاحتياجاتها في القطر المضيف ولاحتياجات الوطن الأم وجوالٍ أخرى من القومية نفسها.

ج ـ مهاجر شتات قيد الإنشاء

نتيجة لموجات الهجرة التي حصلت بعد الحرب العالمية الثانية، ومن ضمنها موجات الهجرة الأخيرة في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، أخذت تنشأ مهاجر شتات جديدة، ولهذه المجموعة تنتمي كذلك الجوالي الكبيرة للمسلمين في فرنسا،

والكوريون الجنوبيون والفيليبينيون في الولايات المتحدة، ومهاجر الشتات الروسية في الجمهوريات السوفياتية السابقة وفي دول أوروبا الغربية. ومن المهم التنويه هنا بأن جزءاً من هذه المجموعات الإثنية ـ القومية يطلق على نفسه لقب «الشتات» ويعمل بصيغة مهاجر الشتات الأخرى نفسها.

هذا ويظهر أفراد هذه الجوالي ميلاً بارزاً الآن للحفاظ على جنسية مزدوجة. أي أنهم ليسوا على استعداد للتخلي الفوري عن الرابطة مع الوطن، وهذا الميل يرتبط بحقيقة قائلة إنه بعد الهجرة والقرار بالاستقرار في قطر مضيف، ينهمك أفراد هذه الجماعات يعملون بمسألة هويتهم في القطر المضيف، وبمسائل التضامن، والانتظام، وإنشاء الشبكات ما فوق الدول، والحفاظ على الرابطة مع الأقطار الأم. وإلى حد كبير فإن اعتباراتهم لم تعد تتأثر بموقف المجتمع في القطر الأم، أو بموقف الحكومة المضيفة والمجتمع المضيف.

وتبدي أوساط يمينية وعنصرية في دول غربية مختلفة نظرة عدائية، وأحياناً عنيفة تجاه مهاجر الشتات. وفي المقابل فإن إحدى الخطوات الأولى التي تنتهجها مهاجر الشتات هي إنشاء تنظيمات دفاع محلية هدفها حماية أفرادها. وفي حالات معينة فإن خطوات إضافية تتخذ في عقب هذه الخطوة، وتؤدي إلى انتظام أكثر شمولاً.

وكجزء من تحديد هويتها بعد قرارها بالاستقرار في القطر المضيف تتخبط مهاجر الشتات هذه في مسائل صعبة بالنسبة إلى أنماط علاقتها مع الأقطار الأم التي تنتمي إليها، وبالنسبة إلى تحديد قنوات الاتصال مع الحكومات المضيفة من جهة، ومع الحكومة في وطنها الأم من جهة اخرى.

١-٥ الشبكات ما فوق الدول

كما قلنا فإن أحد الأوجه المركزية التي تميز بين مهاجر الشتات الإثنية ـ القومية وبين بقية الأقليات والمجموعات الإثنية يتمثل في الرابطة مع القطر الأم ومع الجوالي الأخرى من مهاجر الشتات الإثنية ـ القومية نفسها. وهذه الروابط متعددة الأبعاد وتعمل على ثلاثة مستويات: على المستوى الشخصي (بين أفراد وعائلات في المهجر/ الشتات وبين الوطن الأم)، وعلى مستوى مجموعات اجتماعية وعلى مستوى تنظيمات ممأسسة. ومن أجل إقامة هذه الروابط هناك حاجة إلى قنوات ارتباط واتصالات متطورة. وهذه الظاهرة ليست جديدة، فقنوات الارتباط والاتصال كانت قائمة على امتداد تاريخ مهاجر الشتات. وفي الآونة الأخيرة بدأت تظهر على شكل شبكات متشعبة ما فوق دول، تشمل مكونات مختلفة من القومية نفسها. ولقد أدت الثورة في

المواصلات وفي الاتصالات الإلكترونية إلى تعزيز هذا الميل والى إمكان إنشاء هذه الشبكات. وبفضل التحسينات في مجالات الاتصالات والإلكترونيات فقد أصبح من السهل إنشاؤها وصيانتها وتطويرها. وإلى حين السنوات الأخيرة الماضية قام مثل هذه الروابط بواسطة البريد والهاتف. أما الآن ومع تطور شبكات الاتصالات الإلكترونية، فقد حصل استخدام واسع جداً لأجهزة الفاكس والبريد الإلكتروني من أجل نقل المعلومات بين مهاجر الشتات والوطن الأم والجوالي الأخرى من المهجر/ الشتات نفسه وحتى بين مهاجر/ شتات مختلفة.

وكما أن جميع الدول تقريباً تجد صعوبة في أن تكبح بفاعلية الهجرة إلى أراضيها (انظر على سبيل المثال الوضع في الولايات المتحدة واليابان) وفي منع نشوء مهاجر شتات داخل أراضيها (انظر على سبيل المثال الوضع في ألمانيا). كذلك فإنه من غير الممكن كبح إنشاء هذه الشبكات ما فوق الدول. وهذا بخاصة عندما تدار بصورة سرية، وعندما تستخدم أدوات الاتصالات الإلكترونية. وفي حال وضع الدولة المضيفة قيوداً على إقامتها وتطورها، فإنها تقام بصورة سرية أكثر، وتصبح أكثر تعقيداً وتعمل من خلال قنوات غير مألوفة. وكنموذج على ذلك الشبكات السرية التي ربطت بين إسرائيل وبين الجوالي اليهودية في الاتحاد السوفياتي وفي جنوب أفريقيا والأرجنتين.

هذا وتقوم مهاجر الشتات والوطن الأم وجوالي الشتات الأخرى بنقل موارد من أنواع مختلفة بواسطة هذه الشبكات. وجزء من هذه الموارد شرعي، في حين أن جزءاً آخر قد يلحق أضراراً جوهرية بالمجتمع المضيف وبالحكومة المضيفة في الوطن الأم. وبين أمور أخرى فإن معلومات تتعلق بمواضيع ثقافية، اجتماعية، اقتصادية، علمية وتكنولوجية يتم نقله عبر هذه الشبكات. ومثل هذه المعلومات يخلق منظومات أمنية ـ قومية في مجالات معينة. هكذا على سبيل المثال فإنه بالإمكان الحديث عن «علوم يهودية»، وعن «اقتصاد صيني» وخلافه. كذلك فإن معلومات استخبارية حساسة حول وضع المهجر/ الشتات وحول القطر المضيف والوطن الأم يتم نقلها عبر الشبكات. ويتم نقل موارد مالية من المهجر/ الشتات إلى الوطن الأم وبالعكس (وفي الآونة الأخيرة، وفي ضوء مشاكل وجودية تتعلق بمهاجر شتات كثيرة، والحاجة إلى ضمان «الاستمرارية» تتضاءل عمليات النقل أحادية الجانب من مهاجر الشتات التقليدية والقوية إلى أقطارها الأم. فهذه المهاجر أخذت توظف الكثير للحفاظ على ذاتها. في المقابل فإن مهاجر الشتات الآخذة بالنشوء ما تزال تنقل موارد مالية كبيرة إلى العائلات التي بقيت في الوطن). وتقوم هذه المهاجر وكذلك الأقطار الأم بتوجيه الانتقاد إلى بعضها البعض بواسطة الشبكات (وعلى سبيل المثال فإن الانتقاد الشديد

الذي شن ضد النظام الشيوعي في الصين بعد عملية القتل التي وقعت في ميدان تيان آنمين نقل بواسطة الفاكس). ولكن من جهة اخرى، تتبلور بواسطة هذه الشبكات مساعدة سياسية ودبلوماسية للوطن الأم أو للمهجر، في حال تعرضهما لأوضاع قاسية.

١-٦ علاقات مهاجر الشتات وأقطارها الأم

هناك تشبيه مألوف وبخاصة في إسرائيل يقول بأن علاقات غالبية مهاجر الشتات مع الوطن الأم تجري بصورة سلسة. وأن التوترات بين مهاجر الشتات وبين الوطن الأم ليست جوهرية. ويستند هذا التشبيه إلى الفرضيات التالية (هي ليست دقيقة في حالات كثيرة): الوطن يشكل المركز القومي وأما المهجر/ الشتات فيلائم احتياجاته ورغباته لخدمة المركز القومي، والمهاجر/ الشتات على استعداد دائم لمساعدة الوطن الأم، والوطن الأم سيهب لمساعدة المهجر/ الشتات إذا ما واجه أوضاعاً صعبة في الأقطار المضيفة، وبخاصة في أوقات خطر حقيقي يهدد وجوده المهجر/ الشتات المادي والثقافي. والنماذج على التزام الوطن الأم تجاه المهجر الشتات التي يكثر ذكرها هي: عمليات إنقاذ يهود العراق واليمن بعد قيام دولة إسرائيل، وإنقاذ يهود أثيوبيا وروسيا في سنوات الثمانينيات والتسعينيات، وجهود اليونان لإتاحة عودة اليونانيين إلى بلادهم من روسيا بصورة منظمة، واستعداد حكومة ألمانيا الغربية لمساعدة المهجر/ الشتات الألماني في الاتحاد السوفياتي. وهذا التشبيه راسخ وقوي بصورة جزئية فقط. إذ يوجد فعلاً أوطان أم تقوم بمساعدة المهاجر/ الشتات المنتمية إليها. مع ذلك فإن الفحص الدقيق لعلاقات «اليشوف» (المستوطنين) اليهود في «أرض إسرائيل» وفي دولة إسرائيل مع مهاجر المهجر/ الشتات اليهودية، وكذلك العلاقات بين دول أخرى وبين المهاجر التابعة لها في أوقات الأزمات (مثلاً تنكر الهند للمهجر/ الشتات الهندي في أفريقيا الشرقية في السبعينيات، عندما طُرد الهنود وخاصة من أوغندا) يظهر بأن الوضع مختلف نظرياً وعملياً. وبالطبع فإن الوطن الأم لا يرغب في رؤية مهجرها/ شتاتها يباد أو يواجه ضائقة شديدة وبالعكس. ولكن لا يعني ذلك أن مهجراً/ شتاتاً أو الوطن الأم سيهبان إلى مساعدة المهجر/ الشتات أو الوطن بصورة فورية أو في جميع الأحوال.

إن نظم الأواليات القومية لغالبية الأوطان الأم واضحة للغاية: أولاً الحرص على الأمن المادي والسياسي والاقتصادي لمواطنيها، وثانياً ضمان مكانتها في المنظومة الدولية والإقليمية، وثالثاً ضمان تطوير بلادها.

أما مهاجر الشتات فتحتل المكان الرابع أو الخامس في نظام الأواليات القومي.

وهذا هو الوضع أيضاً عندما تسود علاقات جيدة بين المهجر/ الشتات والوطن، وكذلك عندما يقوم المهجر/ الشتات بمد يد العون للوطن. (وفي علاقات «اليشوف» اليهودي في أرض إسرائيل مع المهجر/ الشتات، فإن إعطاء أفضلية لاحتياجات الوطن على احتياجات المهجر/ الشتات عُرف بإسم أسرلة المركز). وبموجب هذا المفهوم فإنه عندما توضع احتياجات الوطن واحتياجات المهجر/ الشتات في الميزان، فإن احتياجات الوطن تتقدم على احتياجات المهجر/ الشتات. وعلاوة على ذلك فإنه عندما يقع المهجر/ الشتات في أزمة، فإن الوطن يدرس جيداً مسالة تدخله لمصلحة المهجر. وتتم هذه الاعتبارات أولاً وقبل كل شيء في ضوء مصالح الوطن الأم، ومكانته الدولية والإقليمية، وعلاقته مع القطر المضيف وقدرته على التدخل في الأقطار المضيفة. أما حجم المعاناة التي تتسبب للمهجر/ الشتات فهي الاعتبار الأخير. وفي جميع الأحوال فإن رد فعل الوطن الأم لن يكون فورياً أو عفوية، وإنما متزناً، وإلى حد كبير مستهتراً.

وفي حال كانت العلاقات بين الوطن الأم وبين القطر المضيف جيدة، فإنه يتم الحفاظ على تعايش في مثلث العلاقات ـ المهجر/ الشتات والوطن الأم والقطر المضيف. أما إذا كانت العلاقات سيئة فستنشأ بالطبع توترات إضافية بين هذه الأطراف الثلاثة. وأحياناً قد تنشأ أيضاً توترات مع عوامل رابعة أو خامسة تنضم إلى هذا المثلث. وهذه التوترات قد تؤدي إلى نتائج خطيرة، وبشكل خاص تجاه المهجر/ الشتات. وفي حالات متطرفة فإن مثل هذه العلاقات المتداعية قد تتسبب حتى في تهجير المهجر/ الشتات، كما حصل في حالات تهجير الفلسطينيين من الكويت، وتهجير المصريين من العراق وتهجير اليمنيين من السعودية في أثناء حرب الخليج.

وكثيراً ما تحصل التوترات بين المهجر/ الشتات وبين الأقطار الأم على خلفية سياسة القطر الأم. فلأسباب تتعلق بالمشاعر، أو سياسية واقتصادية مفهومة، تميل المهاجر/ الشتات إلى الامتناع عن تأزيم العلاقات مع الوطن. ولذا ففي أحيان نادرة فقط تتسبب المهاجر/ الشتات ـ التي تشكل علاقاتها مع القطر الأم أحد الشروط الهامة لاستمرار وجودها كجوالي منتظمة ـ في هذه التوترات.

وفي هذا السياق ينبغي أن نضيف أن روابط كثيرة بين المهجر الشتات وبين الوطن الأم تتم بطريق غير مباشر. أي أن هذه الروابط تقوم بفضل منظمات تقيمها المهاجر/ الشتات وترعاها. وبخاصة، في حال المهاجر القديمة جداً، لّما تكون العلاقات العائلية مع القطر الأم واهية، فإن جزءاً قليلاً من العلاقات بين المهجر/ الشتات والوطن الأم يكون مباشراً وليس بواسطة المنظمات الكثيرة التي يقيمها

المهجر/ الشتات ويحافظ عليها. وأحد الاستنتاجات الهامة التي تظهر من هذا التحليل هي أنه لا ينبغي الإسراع والإعلان عن حل المنظمات والمؤسسات المناط بها مهمة الحفاظ على الروابط بين المهجر/ الشتات والوطن الأم وتطويرها.

والأسباب الرئيسة في انعدام التكافؤ في العلاقات بين المهجر/ الشتات والأقطار الأم، من ناحية مصدر التوترات بين مهاجر الشتات وبين الأقطار الأم التابعة لها، ترتبط بفهم الزعماء في الأقطار الأم لمكانة المهجر/ الشتات. فزعماء الأقطار الأم يتوقعون من أفراد المهاجر/ الشتات التابعين لهذه الأقطار إظهار قدر كبير من الولاء للوطن، وإقامة علاقات ثابتة مع الوطن الأم (عن طريق الزيارات الدورية، وإرسال أبنائهم في زيارات دورية، والمشاركة في النشاطات الثقافية التي ينظمها الزوار من القطر الأم في القطر المضيف، وان يكونوا على اطلاع بما يجري في الوطن ونحو ذلك)، وبالأساس أن يهبّ المهجر/ الشتات إلى مد يد العون للوطن الأم في أوقات الأزمات، وأن يوفر له خدمات مختلفة.

كذلك فإن الوطن الأم يتوقع قيام مهاجر الشتات التابعة له بتقديم الدعم بوسائل سياسية مثل السعي والضغط على الحكومة في القطر المضيف، وضمان وسائط إعلام ورأي عام متعاطف مع الوطن الأم من طريق التأثير في نخب استراتيجية، وأن يمنحوا المساعدة المالية، وأحياناً تكون المهاجر مطالبة أيضاً بتوفير الوسائل القتالية والطاقة البشرية. هذا وأيضاً: يتوقع زعماء الوطن الأم ألا يوجّه أفراد المهاجر انتقادات علنية لهم. وفي حال عدم وفاء المهاجر/ الشتات بهذه التوقعات فإن التوتر سينشأ بين الوطن الأم وبينها. وسيحاول الوطن الأم استدرار عطف المهجر/ الشتات لكي يستجيب لهذه التوقعات والمطالب. وفي حال عدم وفاء المهجر/ الشتات بالتوقعات والمطالب فإن نزاعاً قد ينشأ بين الطرفين.

ويبدو في الآونة الأخيرة أن غالبية مهاجر الشتات تصّر على رأيها وتعرف كيف «ترتب أمرها» مع الأقطار الأم التي تنتمي إليها، ولقد نجحت في الآونة الأخيرة في إدارة حياة مستقلة ذاتياً في الأقطار المضيفة. وهي تمنع التدخل الكبير الزائد عن الحد من جانب الأوطان الأم، واستدرار العطف من جانب زعماء أقطار الأم. فقد أدركوا أن بمقدورهم توجيه الانتقاد إلى الوطن الأم. وأسباب هذه العملية هي: أولاً، وبخاصة في الغرب، تحظى المهاجر باعتراف أكبر في الأقطار المضيفة. وهذا الاعتراف يثير في أوساط زعماء الأقطار الأم الإحساس أن مهاجر الشتات قد تبدي إصراراً وتصميماً ليس فقط في علاقاتها مع المجتمع المضيف والحكومة المضيفة وإنما أيضاً في علاقاتها مع الوطن الأم. وثانياً أن الأقطار الأم تشعر بأمان مادي أكبر،

ومعرضة لعدد قليل من الحروب. ولذا فإن مطالبها من مهاجر الشتات بتقديم المساعدة قليلة. وللسبب نفسه فإن إمكان قيام المهجر/ الشتات بإظهار المعارضة من جهة، والحاجة إلى استدرار عطف المهجر/ الشتات من طريق ممثلي أو زعماء الأوطان الأم من جهة أخرى هي إمكانات ضئيلة.

هذا وأيضاً: فالآن تحظى المهاجر باعتراف أكبر. ولذا، فإنها لا تخشى أن توجه انتقاداتها إلى زعماء الوطن الأم، عندما لا تستسيغ سياستهم. وفي الماضي كان هناك اتفاق خفي بين مهاجر الشتات وبين الأقطار الأم (وأحياناً كما هو الحال في الاتفاق بين بن غوريون وبين بلاوشتاين، يكون الاتفاق رسمياً) حيث إن الغسيل الوسخ للعلاقات بين المهجر/ الشتات والوطن الأم يتم بشكل سري فقط. أما اليوم فإن مهاجر الشتات لم تعد تخشى توجيه الانتقاد العلني إلى حكومات القطر الأم التي تتبعها. وأحياناً فإنها تقوم بذلك من خلال أدوات الاتصالات الإلكترونية مثل التلفزيون والفاكس والبريد الإلكتروني.

وعلاوة على ذلك، وفي حالات معينة مثل الوضع في كوبا والصين الشعبية فإن مهاجر الشتات لا تخشى الارتباط مع القوى المعارضة للنظام في القطر الأم، وهي تقوم بهذه الخطوة بهدف إحداث ثورة أو انقلابات تؤدي إلى تغيير النظام الحاكم. وأحيانا يقوم القطر المضيف بتقديم الدعم لهذا النشاط. وينطبق هذا الأمر، مثلاً، على جهود المهجر/ الشتات الكوبي في إحداث ثورة تلقى الدعم من جانب حكومة الولايات المتحدة، وكانت الولايات المتحدة قد أيدت سراً وعلناً نشاطات مهاجر الشتات من الاتحاد السوفياتي التي كان هدفها زعزعة النظام السوفياتي.

وللإجمال نقول إن عمليات تغيير جوهرية في علاقات مهاجر الشتات وأقطارها الأم تتم الآن. والرابطة بين أجزاء مختلفة من تلك الأمة ليست مجالاً للشك. ولكن حصل تغيير في مفهوم المركزية، والولاء، والالتزام، ونحو ذلك.

٢- المهجر/ الشتات اليهودي

ملاحظات تمهيدية

كما قلنا فإنه نظراً إلى عمره وانتشاره وروابطه مع الوطن وانتظامه فإن المهجر/ الشتات اليهودي ينتمي إلى مجموعة مهاجر الشتات التقليدية. وحتى العام ١٩٤٨ كان المهجر/ الشتات اليهودي مشمولاً بفئة مهاجر الشتات التي تفتقر إلى دولة. إلا انه منذ قيام دولة إسرائيل أصبح المهجر/ الشتات اليهودي مشمولاً مع فئة مهاجر الشتات المرتبطة بدول تسيطر فيها مجموعة إثنية ـ قومية مماثلة (وتشمل هذه المجموعة المهجر/

الشتات الصيني والهندي والأرمني). وينطبق على المهجر/ الشتات اليهودي تعريف مهاجر الشتات الإثنية ـ القومية، الذي أشير إليه في بداية المقالة:

ـ كبقية مهاجر الشتات المشمولة في هذه الفئة وفي هذه المجموعة، فالمهجر المهجر/ الشتات اليهودي هو مجموعة إثنية ـ قومية. والأسس الأصلية لهذه المجموعة (مصدر تاريخي مشترك، بروابط بيولوجية، وربما أيضاً أصل جيني مشترك، لغة تاريخية مشتركة، إدراك تاريخي مشترك، قدر لا بأس به من التضامن القومي، ارتباط قوي بالوطن، أنماط سلوك متشابهة، استراتيجية أساس مشتركة، وأنماط انتظام مشتركة) قوية جداً.

ـ في بدايتها نشأت مهاجر المهجر/ الشتات اليهودي من موجات هجرة طوعية واكراهية من أرض إسرائيل. ومرة أخرى ومثلما هو الأمر في مهاجر الشتات الأخرى فقد شهد المهجر/ الشتات اليهودي عمليات انتشار أخرى نتيجة لموجات هجرة أخرى. وقد أضيفت مؤخراً مجموعة جديدة إلى المهجر/ الشتات اليهودي. ومن نواح معينة فإن هذه المجموعة هي المهجر/ الشتات الإسرائيلي «الحقيقي». ويقصد هنا الإسرائيليون الذين هاجروا إلى خارج إسرائيل، والذين غادر معظمهم إسرائيل طواعية.

ـ ولا حاجة للقول إن «ارض إسرائيل» كانت أساساً حيوياً في خلق الهوية الإثنية ـ القومية للشعب اليهودي. وفي خلال التاريخ بقيت الرابطة الروحية والعاطفية تجاه أرض إسرائيل محفورة في الذاكرة الجماعية للشعب اليهودي وفي الذاكرة الفردية لليهود، وكانت هذه الرابطة أساساً هاماً للتضامن داخل هذه المجموعة، كما أن هذه الرابطة استخدمت في وقت لاحق كأساس لنشاط مشترك.

ـ مثل كل مهاجر الشتات الأخرى المقيمة في الأقطار المضيفة، كذلك فإن المهجر/ الشتات اليهودي هو أقلية. وفقط في إسرائيل يشكل اليهود أغلبية مطلقة. ومن جهة أخرى فإن غالبية الشعب اليهودي تقيم في المهجر/ الشتات وليس في الوطن الأم. وهذه الحقيقة الديمغرافية تجعل من الصعب نشوء مركز يهودي. وفي خلال زمن ما كان يخيل كما لو أن إسرائيل هي المركز القومي. أما الآن فيوجد على الأقل ثلاثة وربما أربعة مراكز هامة للشعب اليهودي ـ إسرائيل والولايات المتحدة وفرنسا وروسيا.

ـ مثلما هو الأمر بالنسبة إلى جميع مهاجر الشتات الأخرى المشمولة في هذه الفئة وهذه المجموعة، فالمهجر المهجر/ الشتات اليهودي تقيم بصورة دائمة في أقطار مضيفة كان قد هاجر إليها. وقامت حكومات مضيفة كما في إسبانيا وألمانيا وروسيا

باضطهاد اليهود ونفيهم. وفي نظر اليهود تعتبر هذه الحكومات ملعونة. لكن عودة اليهود إلى هذه الأقطار تدل على الميل إلى مواصلة الإبقاء على جوالٍ يهودية في الأقطار المعروفة لليهود.

ـ على الرغم من الأهمية الموضوعية والعاطفية المعروفة في إسرائيل للهجرات اليهودية المختلفة. فمرة أخرى، وكما هو الأمر في حالات مهاجر الشتات أخرى، فقد «عاد» جزء صغير فقط من المهجر/ الشتات إلى الوطن. فغالبية أبناء الشعب اليهودي، وبخاصة نواته الصلبة لم يعودوا إلى الوطن الأم. وحتى عندما اضطرت جوالٍ يهودية للهجرة مرة أخرى من أقطارها المضيفة، لم يختر جميع أفراد الجالية العودة إلى الوطن الأم. وأولئك الذين لم يعودوا هاجروا إلى أقطار مضيفة أخرى، وبخاصة إلى أقطار مضيفة ذات نظام حكم وثقافة مماثلين لنظام الحكم وللثقافة في القطر الذين اضطروا أو طلبوا الهجرة منه. هذا وأيضاً: لقد فضل اليهود الهجرة إلى أقطار مضيفة في جوالٍ يهودية قوية (انظر على سبيل المثال الأهداف التي اختار يهود الأرجنتين وجنوب أفريقيا وسوريا وروسيا الهجرة إليها في الأعوام الأخيرة). وفي الأقطار المضيفة التي هاجر اليهود إليها نجد أن اليهود يميلون إلى الاندماج والى التحول إلى أفراد في الجوالي القائمة. ولكن أحياناً، كما هو الحال بالنسبة إلى يهود شرق أوروبا في ألمانيا وبريطانيا ما قبل الحرب العالمية الثانية، وكذلك الإسرائيليين في الولايات المتحدة، نراهم يضطرون إلى إنشاء جوالٍ منفردة.

ـ في الأقطار المضيفة حافظ اليهود على هويتهم الإثنية ـ القومية. وهناك أنوية صلبة للشعب اليهود في الأقطار المضيفة ما تزال تحافظ على هويتها الإثنية ـ القومية. وفي الماضي كان التعبير الديني عن هذه الهوية عاملاً هاماً في ضمان الاستمرارية. ولكن منذ الحرب العالمية الثانية أصبح للمكونات الإثنية ـ القومية أهمية أكبر. والآن، أصبحت هذه المكونات، وليس الدينية بالذات، تشكل أساساً لاستمرار وجود الجوالي اليهودية.

ـ وكان المهجر/ المهجر/ الشتات اليهودي بين أوائل المهاجر التي أسست ـ على أساس الهوية الإثنية ـ القومية. التضامن القائم في «القوى الصلبة» في المهجر/ الشتات والعلاقة مع البلد الأم ـ منظمات جوالية كثيرة ومتطورة. وقامت داخل الجوالي اليهودية كل أشكال الانتظام المميزة لمجموعات مماثلة: منظمات جامعة (مثل مؤتمر الرؤساء في الجالية اليهودية الأمريكية)، منظمات جبهوية (مثل هداسا، وإلى حد معين منظمة ايباك في الجالية اليهودية الأمريكية)، منظمات اتحادية (مثل الاتحادات اليهودية في الولايات المتحدة)، منظمات شمولية (مثل الهستدروت (المنظمة)

الصهيونية التي قامت في الماضي بالمهام الثلاث الرئيسة التي يفترض في منظمات من نوعها أن تقوم بها: دفاع، والحفاظ على البقاء، وتقدم مصالح المهجر/الشتات)، ومنظمات متخصصة (مثل الجباية اليهودية الموحدة)، ومنظمات على أساس إقليمي، ومنظمات على أساس محلي، ومنظمات هدفها ضمان مصالح المجموعات المختلفة في الجوالي المحلية (مثل نقابات المهاجرين في جوالٍ يهودية محلية).

ـ الذوبان في المجتمعات، واللامبالاة والزواج المختلط هي ظواهر منتشرة في الجوالي اليهودية. وفي ضوء ذلك، وكما هو الأمر في مهاجر الشتات الأخرى، يثور السؤال الثاقب حول «الاستمرارية»، ويتسبب في تغييرات بعيدة المدى في احتياجات الجالية، ولذا أيضاً في أنماط تخصيص الموارد لاحتياجات المهجر/الشتات والبلد الأم. وهذا يفسّر التغيير في نطاق التبرعات المحولة إلى إسرائيل في مقابل الأموال التي تخصصها الجوالي لاحتياجاتها.

ـ في معظم الدول الغربية التي استطاعت فيها جوالٍ يهودية محلية العمل بحرية نسبية ـ فيما عدا الفترة الممتدة ما بين الحرب العالمية الثانية وإقامة دولة إسرائيل، والتي تبنّى فيها العديد من الجوالي اليهودية أيضاً استراتيجية الانفصال من أجل إقامة دولة يهودية في أرض إسرائيل ـ تبنت الجوالي اليهودية استراتيجية جماعية (Communal). ووجدت هذه الاستراتيجية تعبيراً عنها ليس فقط في الاعتدال في أنماط السلوك الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، إنما أيضاً في طابع المنظمات التي إقامتها. وكما قلنا ففي مقابل الاندماج المطلق من جهة، والتطلع للعودة إلى أرض الوطن من جهة أخرى. تعتبر الاستراتيجية الجماعية معتدلة. هذا لأنها لا تشكل تهديداً جوهرياً للقطر المضيف. وتبني الاستراتيجية الجماعية هو بمثابة إعلان من جانب المهجر/الشتات عن قبول قواعد اللعبة المتبعة في القطر المضيف. وهذه الاستراتيجية تقلص الاحتكاك واحتمال حصوله بين المهجر/الشتات وبين المجتمع والحكومة المضيفين.

ـ ويُبدي المهجر/الشتات اليهودي ومنظماته اهتماماً كبيراً ويلعب دوراً نشطاً في كل المجالات في الدولة المضيفة. الثقافية والاجتماعية والسياسية الداخلية والدولية والاقتصادية. ويدل مدى الاهتمام والمشاركة في كل المجالات على مدى إلتحام المهجر/الشتات بالقطر المضيف، وعلى مدى الحفاظ على الهوية القومية، وعلى قدرة الدعم الكامنة للبلد الأم. وكلما كانت المشاركة في كل المجالات أكبر، كانت ديمومة الجالية في القطر المضيف أكثر رسوخاً. وكلما كانت الديمومة راسخة أكثر، كانت القدرة على تقديم الدعم لإسرائيل أكبر.

ـ لقد طورت مهاجر المهجر/ الشتات اليهودية شبكات علاقات وروابط ما فوق الدول في مجالات كثيرة وعلى نطاق واسع. وهذه الشبكات تشمل بالطبع شبكات تحويل الأموال التي كان أهمها الجباية اليهودية الموحدة وكيرن هيسود (الصندوق التأسيسي). وبالإضافة إلى هاتين المنظمتين القويتين، فإن منظمات كثيرة ومختلفة تقوم بجمع الأموال وتحويلها إلى إسرائيل، مثل الصندوق الجديد لإسرائيل، ومؤسسات جباية كثيرة لأغراض الأبحاث والتعليم، والأحزاب ومنظمات كثيرة أخرى، وإضافة إلى شبكات تحويل الأموال إلى إسرائيل هناك شبكات مثل «الجوينت» التي تقدم الدعم للجوالي اليهودية التي تعاني من الضائقة.

وهذه الشبكات مرتبطة ببعضها البعض بطرق مختلفة، وهي تربط بين الجوالي المختلفة وبين البلد الأم، وبين جوالي يهودية في أقطار مضيفة مختلفة، وهكذا على سبيل المثال يكثرون الحديث عن روابط إسرائيل والمهجر الشتات في الاتحاد السوفياتي. وتكن الرابطة بين المهجر/ الشتات اليهودي الأمريكي وبين المهجر/ الشتات اليهودي الروسي لا تقل أهمية عن الرابطة بين إسرائيل وبين المهجر/ الشتات نفسه. وكانت هناك فترات فاقت فيها أهمية الرابطة بين يهود الولايات المتحدة ويهود الاتحاد السوفياتي، أهمية الرابطة بين إسرائيل والمهجر/ الشتات اليهودي هناك.

ـ كما هو حال مهاجر/ الشتات الأخرى فإنه يتم بواسطة الشبكات ما فوق الدول تحويل موارد كثيرة من إسرائيل إلى المهجر/ الشتات، مثلاً معلومات عن الأعمال والإنجازات التي يمكن أن تشكل مصدر فخر للمهجر/ الشتات، ومساعدة ثقافية في مواد الدارسة، التعليم والمعلمين بهدف ضمان بقاء الجالية، ومعلومات استخبارية عن الشؤون السياسية والمخاطر الحقيقية والمتوقعة، ومساعدات لأغراض الإنقاذ، عندما تكون الجوالي اليهودية في حالة ضيق، ومساعدات سياسية ودبلوماسية للجوالي الموجودة في حالة خطر من جهة، ومطالبة بإبداء التضامن وإقامة علاقة مع إسرائيل، ومطالبة بالاعتراف بمركزية إسرائيل بالنسبة إلى القومية كلها، ومطالبة بالهجرة اليهودية ـ التي هي في الواقع مطالبة للدعم بالطاقة البشرية ـ والمطالبة بتقديم المعونة المالية ومطالبة بتقديم المساعدة السياسية، من جهة أخرى.

وهذه الشبكات ليست أحادية الاتجاه. وفي تلك الشبكات أو في الشبكات الموازية والمكملة، يقوم المهجر/ الشتات بتحويل الموارد على أنواعها التي تطالب إسرائيل بها والتي لدى المهجر/ الشتات استعداد لتوفيرها. وفي هذه الشبكات يتم أيضاً نقل انتقادات لإسرائيل ومطالبة المهجر/ الشتات بتقديم المساعدات.

ـ الروابط المتشعبة بين إسرائيل والمهجر/ الشتات وبين الجوالي اليهودية في أقطار مضيفة مختلفة، وهي الروابط النابعة من نوعية مهاجر/ الشتات ذاتها، تطرح مشكلة الصلاحية والمسؤولية الموزّعة والمزدوجة. ومثلما يمكن الاستخلاص من اتفاق بن غوريون ـ بلاوشتاين من جهة، وقضية بولارد من جهة أخرى. فالمشكلة ليست أكاديمية بل عملية، وأحياناً تكون مصدراً لتوترات كثيرة ليس فقط بين المهجر/ الشتات وإسرائيل، وإنما أيضاً بين القطر المضيف وإسرائيل. وهناك أقطار مضيفة كثيرة تبدي علاقة عدائية تجاه الغرباء بعامة، وتجاه مجموعات مهاجرين ومهاجر شتات إثنية ـ قومية بخاصة. والصور والأعمال المرتبطة أو الناجمة عن ذلك الولاء المزدوج، مثل قضية بولارد تضخم العداء. وهذا العداء يزيد من حدة صراعات قائمة، كما يوقظ مشاعر العداء التي في حالة سبات.

ـ ومع ذلك فقد تعلم المهجر/ الشتات اليهودي أيضاً كيف يحول دون تدخل إسرائيل غير مرغوب فيه. ومعظم الجوالي اليهودية قادرة على الإصرار على موقفها في كل مرة يثور فيه جدل بينها وبين إسرائيل بشأن تخصيص موارد أو إظهار الدعم.

ـ ولذا فإن مهاجر/ الشتات تظهر استقلالاً من أجل منع التدخل الزائد من جانب إسرائيل. وهي ترفض أي محاولة من جانب إسرائيل لتوجيه ضغوطات هدفها التأثير في طرق سلوكها.

ـ وعلاوة على ذلك فإن أشخاصاً ومنظمات كثيرة يسمحون لأنفسهم الآن بتوجيه انتقادات ضد سياسة الحكومة الإسرائيلية، وفي فترة حكومة الليكود قامت منظمات معتدلة بتوجيه الانتقاد لحكومة الليكود، والآن تقوم المنظمات اليمينية بتوجيه انتقادات ضد حكومة المعراخ (حزب العمل).

وعلى الرغم من التشابه الكبير بين المهجر/ الشتات اليهودي وبين مهاجر/ الشتات الإثنية ـ القومية الأخرى، إلا أن لمهاجر/ الشتات اليهودية عدداً من الأوجه المتميزة:

ـ الدور الحيوي للمهجر/ الشتات اليهودي في إقامة دولة الأمة. وكما هو معروف هناك من يذهب بعيداً بالقول إن مهاجر/ الشتات هي التي أقامت إسرائيل عملياً. وهم يضيفون أنه لولا المساعدة المستمرة من جانب المهجر/ الشتات اليهودي فمن المحتمل أن إسرائيل ما كانت لتقوم. وعلى أي حال فإن المدلول الرئيسي لهذا الوجه المتميز هو في المطالبة بالاعتراف بوجود مراكز كثيرة في أوساط الشعب اليهودي وبالاستقلال الذاتي للمهجر/ الشتات في علاقاته مع إسرائيل.

ـ حجم الهجرة اليهودية إلى أرض إسرائيل. ويوجد لهذا الوجه المتميز مدلولان رئيسان. من ناحية البنية الطائفية لإسرائيل. ومن ناحية أخرى وكما دلّت على ذلك الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي، فإنه طالما كان هناك مهجر/ شتات منظم يتوجب على إسرائيل أن تكون مستعدة لاستيعاب يهود، ولكن، كذلك ينبغي استمرار وجود مراكز يهودية تجتذب نازحين من إسرائيل، ، ومهاجرين يهود من مهاجر شتات توجد في حالة خطر.

ـ العلاقة النسبية العددية بين اليهود الموجودين في المهجر/ الشتات والموجودين في إسرائيل. ويوجد لهذا الوجه مدلولان رئيسان: أولاً أن المهجر/ الشتات اليهودي سيبقى موجوداً ولن يختفي. وثانياً إن مطلب المهجر/ الشتات بالاعتراف باستمرار وجوده ومكانته في أوساط الشعب اليهودي سوف يتزايد.

٣- وضع خمسة من مهاجر الشتات اليهودية

في بداية هذا الفصل ينبغي فقط أن نعود إلى التشخيص الواضح وهو أن جميع الجوالي اليهودية، وبخاصة الجوالي اليهودية في العالم الغربي، متأثرة من عمليات العولمة، «اللبرلة» (الاتجاهات الليبرالية) و«الدمقرطة» (الاتجاهات الديمقراطية) والانفتاح الكبير على مشاكل واحتياجات لمجموعات إثنية، والثورة في وسائل المواصلات والاتصال والاتصالات الإلكترونية، وانتهاء الحرب الباردة ونحو ذلك. هكذا على سبيل المثال فإن خروج أجزاء من المهجر/ الشتات اليهودي في الاتحاد السوفياتي سابقاً، في سوريا، في اليمن، وفي أثيوبيا، من الأقطار المضيفة لهم، والهجرة للمرة الثانية والثالثة ليهود جنوب أفريقيا والأرجنتين، وعودة اليهود إلى ألمانيا وأسبانيا، والتعاطي اللامبالي مع نزوح جزء من مهاجري الاتحاد السوفياتي ومن الإسرائيليين ـ كل هذه هي أمور مرتبطة بهذه العمليات.

رداً على ذلك، فالمواقف المتباينة التي تظهرها مجتمعات مضيفة تجاه يهود المهجر/ الشتات (من ناحية مزيد من التسامح، ومن ناحية أخرى تعابير عداء جديدة) ترتبط بعمليات إضفاء شرعية أكبر على وجود المجموعات الإثنية بشكل عام، وعلى مهاجر/ الشتات الإثنية ـ القومية بشكل خاص.

وهذا وأكثر: هناك فرضية أخرى أساس تتعلق بالنقاش حول مهاجر/ الشتات المختلفة وهي أن الأسس الإثنية ـ القومية الأصلية وليس بالذات الأساس الديني، هي التي ستحافظ على استمرارية مهاجر الشتات هذه، وليس لأن الكثير من اليهود في المهجر/ الشتات ينظرون بهذه الطريقة إلى أنفسهم وجواليهم.

٣-١ الجالية اليهودية الأمريكية

٣-١-١ عوامل أساس

(١) تأثير عمليات عالمية وأمريكية عامة في الجالية اليهودية الأمريكية

يخيل إلينا أنه لا حاجة للإسهاب في تفسير الأسباب التي تجعل الجالية اليهودية الأمريكية أكثر من أي جالية يهودية أخرى في الغرب تأثراً بعمليات التغيير الشاملة التي يشهدها العالم والولايات المتحدة. وباختصار فإن السبب الرئيس لهذا الوضع هو أن الولايات المتحدة هي «الآمر الناهي» الأكثر أهمية في ما يتصل بمعظم التطورات في النطق الايديولوجي، والاجتماعي، والسياسي والاقتصادي في أرجاء العالم كله، وفي الغرب بشكل خاص. وهكذا على سبيل المثال فإن الولايات المتحدة هي طليعة المقاربة الليبرالية إزاء مجموعات إثنية محلية، مثل الهنود الحمر، ومهاجر/الشتات الإثنية ـ القومية. وهذه المقاربة الليبرالية تتعاطى في الولايات المتحدة بفضل قبول عالمي أكثر للمفهوم التعددي والمتعدد الثقافات. وكان لهذه المقاربة الليبرالية العامة، وللمقاربة الأكثر تعاطفاً مع التعددية وتعدد الثقافات، وللتقاليد الأمريكية العريقة بشأن حيوية العمل الذاتي للجوالي المختلفة التي تشكل المجتمع الأمريكي تأثيرات تاريخية على إمكان المحافظة على الهوية الإثنية ـ القومية للجالية اليهودية هناك، وعلى قدرة أفراد هذه الجالية على إبراز هويتهم كيهود، وعلى قدرتهم على الانتظام في أمريكا من أجل الدفاع عن أنفسهم وعن الجالية كلها، ولضمان حقوقهم وحقوق الجالية، وكذلك لمد يد المساعدة إلى مهاجر شتات يهودية أخرى.

وعلاوة على ذلك، وبقدر ما يمكن قياس هذه الأمور، كذلك فإن مستوى العداء الذي يظهره المجتمع الأمريكي تجاه الجالية اليهودية قد تضاءل، وذلك على الرغم من أنه ما تزال هناك مظاهر غير كثيرة من اللاسامية. (في هذا السياق ينبغي التنويه بأن التقديرات بشأن مظاهر اللاسامية التي تنشر من جانب رابطة منع التشهير تبدو مبالغاً فيها).

ونبع تأثير آخر في مكانة الجالية اليهودية من حقيقة أن الولايات المتحدة كانت أيضاً طليعية في مجال منح الإمكان للجنسية المزدوجة، وأظهرت تسامحاً كثيراً للغاية تجاه مظاهر «معقولة» من الولاء المزدوج. كذلك في مجالات مختلفة للتطورات في المجال المنفعي، التي كان لها تأثير في وجود مهاجر شتات بعامة، وعلى وجود المهجر/الشتات اليهودي بخاصة وعلى حرية عمله. كانت الولايات المتحدة طليعية أيضاً. هكذا على سبيل المثال فإن الثورة الإلكترونية واعتماد نظام شبكات البريد الإلكتروني، التي تأثرت بها جميع مهاجر/الشتات بما في ذلك المهجر/الشتات

اليهودي، بدأت عملياً في الولايات المتحدة، وهي تتطور هناك الآن بوتيرة أسرع مما هي عليه في جميع الدول الأخرى.

من جهة أخرى فالانفتاح الزائد، الليبرالية النسبية التي تميز المجتمع الأمريكي، والتعددية وتعدد الثقافات، المألوفة من جانب مجموعات كبيرة في المجتمع الأمريكي ـ شجعت وتشجع إمكانات كثيرة للابتعاد عن الجالية اليهودية. وتشمل تشكيلة الإمكانات في هذا المجال ما يلي: الذوبان، إعادة تثقيف كاملة، واندماج كامل ـ سواءاً كان ذلك من طريق الزواج المختلط، أو من طريق عائلات يعّرف الزوجان نفسيهما فيها كيهود ـ ولا مبالاة بارزة تجاه الجالية اليهودية وتجاه الديانة اليهودية.

وبصورة أكثر تحديداً فإن الليبرالية التي تتميز بها المنظومات الاجتماعية والسياسية في الولايات المتحدة، والتشديد على «المساعدة الذاتية» أثرت وما تزال تؤثر في قدرة الجالية اليهودية الأمريكية للمحافظة على هويتها، وتنظيم نفسها وتجنيد موارد وتطوير مستوى وصول رائع إلى جميع أجهزة الحكم والإدارة في الولايات المتحدة. ولقد أثرت هذه الإنجازات على المكانة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لليهود كأفراد وكجالية. وفيما عدا مظاهر معدودة وقليلة جداً بالنسبة إلى اللاسامية، فإن غالبية يهود الولايات المتحدة يشعرون بأنهم مواطنون متساوون في الحقوق في الولايات المتحدة، وأنهم لا يتعرضون لتمييز يتجاوز نتائج العلاقات المتضعضعة بين جميع المجموعات الإثنية الأخرى وبين المجموعات الاجتماعية المهيمنة.

وكذلك سهلت هذه العمليات أيضاً على قدرة اليهود في استيعاب يهود آخرين ممن هاجروا إلى الولايات المتحدة. حقاً إن نظرة «المهاجرين القدامى من اليهود» إلى المهاجرين الجدد كانت دائماً مثيرة للمشاكل وترتبط بأنماط استيعاب مثيرة للمشاكل، وبمخاوف من احتمال المس بمكانة الجالية الراسخة في القطر المضيف. ولكن بعامة يمكن القول إن هذه الجالية نجحت في أن تخفف بشكل جوهري معاناة المهاجرين اليهود الجدد في فترة إقامتهم الأولى هناك. وكانت الموجة الأخيرة من المهاجرين اليهود التي كانت جزءاً من موجة الهجرة الشاملة والكبيرة الأخيرة، والتي تحملت الجالية اليهودية الأمريكية بالأساس عبء استيعابها، هي هجرة يهود الاتحاد السوفياتي السابق. وطالما كان المهجر/الشتات اليهودي مفتقراً إلى دولة فإن عملية «استيعاب» مثل هؤلاء اليهود لم تكن مثيرة للمشاكل من ناحية علاقات الجالية اليهودية الأمريكية مع «اليشوف» (المستوطنين) اليهود في أرض إسرائيل ومع الحركة الصهيونية. ولكن بعد قيام دولة إسرائيل، وفي ضوء مطالبة إسرائيل ليهود الولايات المتحدة وجوالٍ أخرى راسخة وغنية بتوجيه موارد كثيرة قدر الإمكان لترسيخ أقدام الدولة اليهودية،

برزت توترات بين إسرائيل والمهجر/الشتات اليهودي الأمريكي من منطق التطورات ومن الميول العامة المميزة للعلاقات بين الجوالي والدول المضيفة والدول الأم في أنحاء العالم كافة.

التوقعات بشأن اتجاهات التطور في المستقبل في هذا النطاق هي: أن الجالية اليهودية بتياراتها المختلفة، وربما باستثناء بعض المجموعات الصغيرة من المتشددين والمتزمتين دينياً، سوف تتأثر أكثر من التيارات الجديدة المختلفة التي تظهر في العالم وفي الولايات المتحدة، وهذه الأمور ستؤثر في بعض سمات انتظام الجالية، وفي بعض نشاطاتها في الولايات المتحدة، وفي علاقاتها مع إسرائيل ومع جوالٍ يهودية في أقطار أخرى.

(٢) وحدة صف اجتماعية وأيديولوجية وسياسية

أحد الشروط الأساس اللازمة للحفاظ على الهوية الجماعية، وللانتظام الشامل، وللعمل الناجع للمهجر/الشتات في القطر المضيف ولإمكان تجنّده لمعالجة قضاياه الذاتية، وقضايا جوالي أخرى من القومية وأنها، ولمعالجة الأزمات التي تواجهها، يتمثل في وحدة الصف الاجتماعية والأيديولوجية والسياسية. وهذه الأمور تنطبق بالطبع أيضاً على الجالية اليهودية الأمريكية.

إن الإشكالية المرتبطة بالحفاظ على وحدة الصف الاجتماعية والسياسية للجالية اليهودية الأمريكية هي إشكالية كبيرة. وهذا بخاصة في ضوء انتشارها الجغرافي الكبير (ومع ذلك فعامل الانتشار الجغرافي فقد بعض أهميته كنتيجة لتطوير وسائل المواصلات، الاتصال ووسائط الإعلام الجديدة)، في ضوء أنماط البنية الاجتماعية والأيديولوجية والتعددية التقليدية للجالية، وفي ضوء الأفكار التعددية والمتعددة الثقافات الجديدة الآخذة في الانتشار من جهة، وفي ضوء الرغبة في المحافظة على الجالية من جهة أخرى.

ولا جديد في وجود شروخ ملحوظة في هذه الجالية اليهودية. وكما قلنا، فحتى قبل ظهور الميول الجديدة نحو التعددية وتعدد الثقافات في المجتمع الأمريكي، فقد تميزت الجالية اليهودية الأمريكية أكثر من جوالٍ يهودية أخرى في المهجر/الشتات بوجود شروخ في عدد من المستويات ولعدد من الأوجه:

أولاً، كانت الجالية اليهودية مجزأة على الدوام من ناحية بلد المنشأ لأبناء الجالية وزعمائها. وكان مدلول هذه التشخيصات الاعتراف بالتباينات في تقاليد ثقافية، اجتماعية وسياسية لمجموعات مختلفة في داخل الجالية. وينبغي التنويه في هذا السياق

بأن التقسيم التاريخي التقليدي كان تقسيم اليهود إلى يهود شرقيين (سفاراديم) ويهود غربيين (أشكنازيم). وفي وقت لاحق جرى التمييز بين يهود من ألمانيا، وبين يهود من مواليد شرقي أوروبا، وبين يهود من مواليد الولايات المتحدة، وبين يهود من مواليد إسرائيل أو إسرائيليين سابقين، ورغم التغييرات التي حصلت في نسيج هذه الجالية، إلا أن هذا التقسيم ما يزال محافظاً عليه إلى حد معين، ويؤثر في وحدة صف الجالية وقدرتها التجنيدية.

ثانياً، كانت وما تزال هناك درجات مختلفة من «الهوية اليهودية» في أوساط هذا التجمع: وفي أحد طرفي المجموعة (ولا يتعلق الأمر هنا بيهود اندمجوا في المجتمعات الأخرى) يوجد أولئك الذين يظهرون لا مبالاة كبيرة جداً بخصوص مسألة الانتماء للجالية، وهم في أحسن الأحوال ينظرون إلى أنفسهم كيهود عرقيين. وليس بعيداً من هؤلاء يوجد «اليهود الهامشيون»، وهم يهود يشاركون في حياة الجالية بصورة متقطعة. وأكثر قرباً إلى وسط المجموعة يوجد يهود يعيشون في عائلات، قسم منها يهودي والقسم الآخر غير يهودي. ولكنهم يقيمون علاقات منظمة أكثر مع الجالية. وبالقرب من القطب اليهودي هناك اليهود القوميون. أما في القطب الآخر فيوجد اليهود المتدينون و«الحريديم» (الأصوليون).

ثالثاً، إن أفراد الجالية الذين يعتبرون أنفسهم يهوداً متدينين، ينتمون إلى أربعة تيارات دينية مختلفة، ولكن من هذه الناحية ينبغي أن نميز ليس فقط بين الحركات الدينية الأربع الرئيسة ـ الإصلاحيون، المتمسكون بالنص (أرثوذكس)، المحافظون، الإعماريون، وإنما أيضاً بين العلمانيين والتقليديين من جهة، والمتدينين من جهة أخرى. وعلى الرغم من المقاربات الليبرالية للإصلاحيين والمحافظين والإعماريين، فإنه ينبغي أن نذكر بأن هذه هي حركات دينية، الأمر الذي يؤثر في مواقفها الاجتماعية والأيديولوجية والسياسية. في النقاشات العامة في الولايات المتحدة (مثلما هو الأمر في قضية التربية بشكل عام، والتربية اليهودية بشكل خاص، أو في قضية الإجهاض) وفي النقاشات المرتبطة بإسرائيل (مثل الجدل حول مسألة «من هو اليهودي؟» أو حول مسالة «فصل الدين عن الدولة») وبمهاجر/الشتات الأخرى (مثلما هو الأمر بالنسبة إلى مسألة المكانة اليهودية لبعض أولئك الذين يعلنون عن أنفسهم كيهود في روسيا وفي الجمهوريات السوفياتية السابقة وكذلك في أثيوبيا).

رابعاً، هناك شرخ أيديولوجي وعاطفي بين الليبراليين والمحافظين، يجد تعبيراً عنه أيضاً في الانتماء وفي أنماط التصويت لصالح الحزبين الديمقراطي والجمهوري. ونظراً إلى أن مصدر هذا الشرخ هو في النطاق الأيديولوجي، لذا فإنه يقطع الخطوط

الفاصلة بين الشروخات الأخرى، وعلى سبيل المثال فإن اليهود الأمريكيين العلمانيين والمتدينين على حد سواء يمكنهم الانتماء إلى المجموعة المحافظة أو الليبرالية، أي الاقتراع لصالح الحزب الديمقراطي أو الجمهوري.

خامساً، على الرغم من الصورة السائدة والقول المألوف إن إسرائيل تحولت إلى المركز اليهودي الأكثر أهمية أيضاً في نظر يهود الولايات المتحدة، فقد كان هناك وما يزال يوجد شرخ آخر مرتبط بالصهيونية وبإسرائيل. وبتبسيط أكثر يمكن القول إن هذا الشرخ هو بين الصهيونيين وانصار إسرائيل من جهة، وبين أولئك الذين يظهرون اللامبالاة إزاء هذين الكيانين أو هاتين الهويتين من جهة أخرى. ومن المهم التنويه هنا بأن عدد المنتمين للفئة الأخيرة في الجالية اليهودية الأمريكية آخذ بالتزايد. وبالطبع فإنه سيكون لهذه الحقيقة مدلول بعيد المدى على العلاقة بين المهجر/ الشتات وإسرائيل.

سادساً، لقد ظهرت في الآونة الأخيرة توترات أيضاً بين الجوالي القديمة والجوالي الجديدة في الولايات المتحدة، تعود في الأساس إلى التغييرات الديمغرافية التي طرأت على هذه الجالية اليهودية، والمرتبطة بأنماط الهجرة الداخلية في الولايات المتحدة، وكما هو معروف فإن الاتجاه الرئيس لهذه الهجرة هو من شمال شرقي الولايات المتحدة إلى الجنوب والجنوب الغربي من هذه الدولة العملاقة.

ومن أجل التغلّب على هذه الشروخات ولضمان قدر من التضامن يتيح استمرار الوجود الإثني ـ القومي والنشاط الموحد للجالية، فقد حاولت الجالية اليهودية أيضاً على غرار مهاجر شتات أخرى، العمل في عدد من الاتجاهات: بناء منظومة رئيسة من الرموز الإثنية ـ القومية الدينية للمحافظة على وحدة صف المهجر/ الشتات، ونشر دراسات أدبية تؤكد على الأصل المشترك لجميع أفراد الجالية وعلى المسؤولية الجماعية، وإنشاء منظومات تربية يهودية تركز على الأمور المشتركة، وإنشاء منظمات عليا ومؤسسات جبهوية وحتى استخدام إسرائيل وفكرة مركزيتها من أجل ضمان وتعزيز وحدة صف الجالية. وفي الماضي ضمن مثل هذه الخطوات قيام مجموعات بارزة من أفراد هذه الجالية باتخاذ مواقف مشتركة بالنسبة إلى مواضيع مختلفة، وبخاصة في أوقات الأزمات. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه الأعمال لم تنجح في ردم الهوات بين هذه الشروخ، حيث ما تزال جميعها قائمة في داخل الجالية وتؤثر في سلوكها.

التوقعات بشأن اتجاهات التطور الرئيسية في هذا النطاق: الشروخات الداخلية في الجالية لن تزول بل ستتزايد. أما الشروخات المرتبطة بالصهيونية وبإسرائيل، وبوجود جوالٍ يهودية في أقطار مضيفة أخرى فسوف تتقلص. وهكذا فوجود هذه

الشروخات، إلى جانب ميول قوية في اتجاه التطور اليهودي الذاتي، ستسهم في الصعوبات القائمة في مجال الحفاظ على وحدة صف الجالية. والأساس الأكثر أهمية الذي سيضمن قدراً معيناً من وحدة صف أفراد الجالية هو التفهم والإحساس بأنهم ينتمون إلى مجموعة أمنية ـ قومية واحدة. أي أن هناك شكوكاً كبيرة في ما إذا كان الادعاء بأن المعتقد الديني والتربية اليهودية التقليدية كفيلَيْن بضمان استمرار وحدة صف الجالية من شأنه الصمود أمام اختبار التطور المستقبلي.

(٣) الانتماء الأيديولوجي والسياسي الذي قد يؤثر في الهوية وفي العلاقة مع إسرائيل

بسبب أسلوب الانتخابات في الولايات المتحدة القائم على حزبين كبيرين، حيث المسافات الأيديولوجية والعملية بينهما غير كبيرة في مجالات سياسية كثيرة، من ضمنها أيضاً ما يتعلق بإسرائيل، وبعملية السلام في الشرق الأوسط، وبحقوق الإنسان والهجرة الطوعية لليهود الذين يعيشون في ضائقة في البلدان المضيفة لهم، هناك علاقة وثيقة بين الميول الأيديولوجية لليهود في اتجاه الليبرالية أو اتجاه المحافظة، وبين تأييد الحزبين الديمقراطي أو الجمهوري.

وكما هو معروف، فعلى خلفية ميول أيديولوجية تقليدية، وعلى خلفية اعتبارات سياسية عملية، كنتيجة لتأثير بيت الأبوين، وتأثير مستوى التربية والتعليم، وتأثيرات الأوساط التي أراد اليهود الانضمام إليها والتشبه بها، فإن غالبية اليهود في أمريكا صوتوا لصالح الديمقراطيين الذين عُرفوا بميولهم الأيديولوجية الليبرالية. ومع ذلك فإنه من المهم التأكيد بأنه كانت هناك دائماً مجموعات صغيرة من اليهود العلمانيين والمتدينين الذين أيدوا الحزب الجمهوري. وقد حدث «انقلاب» مؤقت في هذا النطاق في الثمانينيات، وبخاصة في فترة ريغان الرئاسية، مع تعاظم الميل المحافظ بالصيغة الريغانية في الولايات المتحدة بعامة. وكانت النتيجة التي لا مفر منها تقريباً هي تدفق الكثير من اليهود في تلك الفترة باتجاه الحزب الجمهوري، الأمر الذي وجد تعبيره أيضاً في اقتراع يهودي ملحوظ لمصلحة الجمهوريين. وكان هناك مراقبون حاولوا تفسير هذا الانقلاب في السياسة المناصرة لإسرائيل لمرشح الرئاسة وللإدارة التي شكلها. ولكن أصبح واضحاً في ما بعد بأن الميل نحو الجمهوريين كان سابقاً للانتخابات. فقد حصل ذلك على الرغم من المواقف الأولية غير الواضحة التي اتخذها ريغان تجاه إسرائيل، وبالأساس فقد عكس الميل العام لدى سكان الولايات المتحدة باتجاه القطب المحافظ.

وفي فترة ما بعد ريغان، وعندما حدث انقلاب آخر في الرأي العام الأمريكي

وكان هناك شعور بخيبة الأمل من الاتجاه المحافظ وفق الصيغة الريغانية، برزت بوضوح عملية عودة إلى النمط التقليدي لتأييد اليهود للسياسيين الليبراليين وللموضوعات السياسية الليبرالية. وقد انعكست هذه «التوبة» في أنماط التصويت لمصلحة الرئيس بوش، وبعد ذلك لمصلحة بيل كلينتون. ومرة أخرى فقد عكس هذا الانقلاب الميول العامة في المجتمع الأمريكي، وبشكل هامشي فقط عكست العودة إلى أنماط الدعم والتصويت لمصلحة الديمقراطيين نظرة الإدارة الأمريكية إلى إسرائيل. وفي السنوات الأخيرة يبدو أنه حتى إن كان الميل في اتجاه المحافظة قد تعاظم قليلاً داخل الجالية اليهودية، فإن غالبية أفراد هذه الجالية بصفة عامة يؤيدون السياسة الليبرالية، كما يؤيدون حتى «السياسة الجديدة» الأمريكية.

وكما قلنا فإن الميول الأيديولوجية وأنماط التصويت هذه مرتبطة فقط بصورة جزئية بمواقف الجالية تجاه إسرائيل. وهي مرتبطة فقط بصورة جزئية بمواقف الجالية تجاه إسرائيل. وهي مرتبطة أكثر بالتطورات في داخل الجالية نفسها. ومع ذلك ينبغي الإشارة إلى أن هذه الميول تؤثر في فتور نظرة هذه الجالية إلى إسرائيل. كذلك يجدر التنويه بأنه في الظروف المتطورة الآن في العالم وفي الولايات المتحدة، فإن هذا التأييد الأيديولوجي والانتخابي للحزب الديمقراطي الذي يمثل السياسة الجديدة يعزز فقط الميل العالمي للمهجر/ الشتات وروحه الليبرالية.

ومن ناحية العلاقة مع إسرائيل فإلى حين فترة إدارتي ريغان وبوش، كانت القاعدة المألوفة هي أنه بسبب عوامل تاريخية وعملية (تصويت يهودي أوسع، ومشاركة يهودية أكبر ودعم مالي أكبر لمرشحين ديمقراطيين) كانت الإدارات الديمقراطية تدعم إسرائيل برغبة اكبر. وكما قلنا فمنذ الثمانينيات تغيرت الأمور في هذا النطاق ـ فقد أظهرت إدارات جمهورية أيضاً أنها على استعداد لتبني موقف واضح مؤيد لإسرائيل ينبع جزئياً من أمل الفوز بأصوات اليهود والحصول على الدعم المالي لأثرياء اليهود والمنظمات اليهودية.

ولكن هناك وجهين مركزيين يقرران مواقف الإدارات الديمقراطية والجمهورية في هذا النطاق ـ الوضع على الصعيد الدولي والإقليمي، وبصفة خاصة على صعيد «الحرب الباردة» (ليس بالذات مع روسيا)، وشكل المساعدة التي يمكن للولايات المتحدة أن تحصل عليها من إسرائيل، وكذلك مواقف الحكومة الإسرائيلية إزاء عملية السلام، أي أن التقديرات هنا هي أن قدرة الجالية اليهودية على التأثير في موقف الإدارة الأمريكية في العلاقة مع إسرائيل ستتضاءل، وكذلك أيضاً اهتمام هذه الجالية بهذه الموضوعات وحاجة إسرائيل لمثل هذه المساعدة.

وهناك عدد ضئيل فقط من أفراد الجالية اليهودية في أمريكا يحدد هويته علناً كمؤيد للأحزاب العاملة في إسرائيل. وفي الولايات المتحدة نفسها انهارت غالبية الأحزاب الصهيونية. إلى ذلك فإن للأحزاب الإسرائيلية المختلفة، وفي الآونة الأخيرة أيضاً للزعماء الإسرائيليين المختلفين، مؤيدين في الولايات المتحدة، يعبرون عن آرائهم السياسية، وينشطون في جمع الأموال من أجلهم، ومستعدون لاستخدام نفوذهم في المجالات السياسية والاقتصادية من أجل دفع مصالح تلك الأحزاب والزعماء في الولايات المتحدة. ومن الأمور المعروفة أن جزءاً بارزاً من حملات الانتخابات الجارية في إسرائيل، وبخاصة حملات الانتخابات الشخصية لزعماء سياسيين إسرائيليين يتم تمويله من قبل متبرعين يهود أمريكيين.

ومن ناحية الدعم الأيديولوجي والعملي من جانب اليهود الأمريكيين للأحزاب الإسرائيلية، فبسبب الهيمنة المتواصلة لحزب العمل في إسرائيل، وبسبب قوة شخصية بعض زعماء هذا الحزب، من أمثال بن غوريون وغولدا مئير ودايان وايبان، فقد حظي هذا الحزب حتى العام ١٩٧٧ بدعم معظم أفراد الجالية اليهودية. وبعد العام ١٩٧٧ برزت بشكل جيد ظاهرة الزيادة في عدد المؤيدين لليكود ولأحزاب اليمين الإسرائيلية. كذلك فإن عودة حزب العمل إلى قيادة الائتلاف الحاكم في إسرائيل في العام ١٩٩٢ لم تغير صورة الوضع هذه. فالآن أيضاً يحظى الليكود وكثير من زعمائه بتأييد بارز داخل الجالية اليهودية في الولايات المتحدة. وهذا يعني أنه اتضح «فجأة» بأن لليمين الإسرائيلي قاعدة داخل هذه الجالية التي عرفت في الماضي باتجاهاتها الليبرالية وبمواقفها المعتدلة في كل ما يتعلق بالشؤون الأمنية وبشؤون السياسية الخارجية الإسرائيلية. وهؤلاء المؤيدون يجمعون لليكود وللأحزاب اليمينية وللزعماء اليمينيين الآخرين المساعدات المالية والدعم السياسي، بما في ذلك المساعي في البيت الأبيض وفي الكونغرس الأمريكي. ولهذا الشرخ الجديد أيضاً تأثيره في علاقات الجالية مع إسرائيل وعلى دعم سياسة حكوماتها.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: نظراً إلى المستوى الثقافي العالي، وبسبب الميول الكوزموبوليتانية، وبسبب اعتبارات الربح والخسارة الاجتماعية والسياسية داخل الولايات المتحدة، ستواصل أغلبية الجالية اليهودية الأمريكية إبراز ميول تجاه الأيديولوجية الليبرالية، والاقتراع لمصلحة الحزب الديمقراطي. وسوف تواصل هذه الميول التأثير في بنية الشروخ داخل الجالية، وفي الميول نحو الذوبان في المجتمع الأمريكي أو المحافظة على الهوية اليهودية (وهذه الميول ستعاظم بالطبع الميول للاندماج والذوبان). وفي المستقبل أيضاً لن يكون لهذه الميول تأثير كبير بالنسبة إلى التزام الجالية كلها تجاه إسرائيل.

(٤) البنية التنظيمية والمؤسسية للجالية اليهودية

منذ فجر أيام المهجر/ الشتات اليهودي الأمريكي، اتسم هذا المهجر/ الشتات بكثرة المنظمات التي أقامها وحافظ عليها، ولقد غطت هذه المنظمات المجالات الهامة كافة لضمان مكانة الأفراد والجالية كلها في الولايات المتحدة. ومن المهم التنويه بأن هذه المنظمات منتشرة الآن على شكل شبكات، متجانسة أحياناً، ومتكاملة أحياناً من الناحية الوظيفية. ومعظم المنظمات التي أقامتها الجالية وحافظت عليها مربوط بهذه الشبكات. أي أن هناك عدداً قليلاً من المنظمات المستقلة والمنفردة، وإلى ذلك فإن شبكة المنظمات الأمريكية الداخلية موصولة بواسطة قنوات كثيرة مع شبكات ما فوق الدول أقامتها هذه الجالية وتقوم بتفعيلها.

وكانت المنظمات الأولى التي أقامتها الجالية اليهودية هي منظمات لدفن الموتى ومنظمات للمساعدة المتبادلة، منظمات للمساعدة في استيعاب المهاجرين اليهود الجدد، ومنظمات عملت على توفير الخدمات الطبية، والتأمين والمساعدة في النطاق الاقتصادي. وفقط بعد نمو الجالية اليهودية وظهور منظمات المساعدة المتبادلة هذه، ظهرت أيضاً الكُنُس اليهودية وظهرت معها النشاطات الاجتماعية والثقافية والتربوية المرافقة لها، وكذلك النقابات ومنظمات النشاطات السياسية على اختلاف أنواعها. وخلافاً للتصور المألوف فإنه بالإمكان أن نعزو مثل هذا المستوى العالي من الانتظام بصورة جزئية فقط إلى التقاليد اليهودية الطويلة في أوروبا التي خبرها المهاجرون اليهود قبل أن يستوطنوا في أمريكا اللاتينية وفي الولايات المتحدة، أي أن أسباب هذا الانتظام كانت وما تزال مرتبطة بمنطق وجود المهجر/ الشتات وباحتياجات الجالية اليهودية في الولايات المتحدة.

ولقد ساهم مستوى الانتظام العالي هذا في ضمان وجود الجالية، كما ساعد في الحفاظ على الهوية اليهودية، ودعم أنواع النشاطات كافة التي اختارت الجالية تنفيذها. ومثلما هو الأمر في مهاجر الشتات الأخرى فإن القرارات بشأن إنشاء المنظمات وطابعها اتخذت، بشكل عام، في الولايات المتحدة، ولم تكن استمراراً جامداً للمنظمات في الأقطار المضيفة، التي هاجر منها اليهود إلى أمريكا. ومن هذه الناحية فإن هذه المنظمات كانت فعلاً «منظمات أمريكية» تصعب محاكاتها. ولقد نبعت طبيعة وبنية هذه المنظمات من المساحة الكبيرة للولايات المتحدة، ومن الانتشار الجغرافي للجالية اليهودية هناك، ومن الحاجة ومن التقاليد المتعلقة بالمساعدة الذاتية، ومن الرغبة في ضمان إمكان المحافظة على علاقات شخصية وعائلية وجوالية في المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية مع جوالٍ يهودية في دول مضيفة أخرى،

وبعد ذلك أيضاً مع «اليشوف» اليهودي (المستوطنون في فلسطين) وبخاصة مع دولة إسرائيل.

باستثناء جوالٍ صغيرة جداً تفتقر إلى الموارد البشرية والمصادر المالية، وباستثناء جوالٍ تمر في مراحل نشوء كنتيجة للتغييرات الديمغرافية الجارية في هذا المهجر/ الشتات، تتميز جميع الجوالي، بما في ذلك التي قامت وتعمل فيها اتحادات قوية، بكثرة المنظمات العاملة في المجالات الثلاثة الموجهة لضمان حياة يهودية آمنة ومريحة ـ منظمات «دفاع» مادي وسياسي، منظمات مهمتها ضمان «الوجود» الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي للجالية، ومنظمات أخذت على عاتقها «دفع» الشؤون الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية للجالية. وعندما تكون الجوالي أكبر وذات موارد أكبر، مثل الجالية اليهودية في نيويورك الكبرى، وفي بوسطن، وفي مدن كبيرة أخرى في الولايات المتحدة، أو عندما تكون الجوالي صغيرة نسبياً من ناحية عدد الأعضاء ولكن غنية بالموارد البشرية والمالية، مثل هريسبورغ في ولاية بنسلفانيا، فإنها تقيم عدداً كبيراً من المنظمات المتخصصة في تنفيذ كل واحدة من هذه المهام. وعندما تكون الجوالي أصغر ومعدومة الموارد فإنها تقيم وتحافظ على منظمات عامة تقوم بجميع هذه المهام.

وفي هذا السياق من المهم التنويه بأنه في ضوء مثل هذا المستوى العالي من التنظيم الذي يميز معظم الجوالي في المهجر/ الشتات اليهودي الأمريكي، وفي ضوء ميل الكثير من اليهود الأمريكيين للتركيز أولاً وقبل كل شيء على دفع شؤونهم الخاصة والعائلية، وفي ضوء التقاليد الأمريكية الطويلة والغنية في تطوير خبرة نظرية وعملية في مجال إقامة منظمات رسمية والحفاظ عليها، فقد تطور ميل واضح في معظم الجوالي اليهودية في هذا المهجر/ الشتات للاعتماد على «المحترفين» لكي يديروا هذه المنظمات ويحرصوا على الأداء الملائم لها. وكنتيجة لعملية طويلة أصبح «المحترفون» وليس الزعماء «الأصليون» هم أصحاب القرار في معظم هذه المنظمات. وفي السنوات الأخيرة الماضية اتضح لزعماء الجوالي المختلفة وللأعضاء العاديين في هذه المنظمات أن هؤلاء المحترفين يقررون أهداف المنظمات ويوجهون نشاطها وفقاً لاعتباراتهم الشخصية والمؤسسية، وظاهرياً بناءً على معايير مهنية موضوعية لم تعكس في أغلب الأحيان ولا تعكس الميول الأيديولوجية والعملية لأفراد الجوالي ولزعمائها. ومنذ بضع سنوات يحاول أعضاء المنظمات والزعماء الأصليون استعادة سيطرتهم على المنظمات المختلفة وإخضاعها لاعتبارات جوالية شاملة، وليس لاعتبارات المحترفين الفردية.

هذا، وإن جزءاً من هذا الميل لإعادة السيطرة إلى أيدي الأعضاء والزعماء

المنتخبين من قبلهم (وهو ما يطلق عليه عملية دمقرطة المنظمات) مرتبط بالتوجه نحو تعزيز الاستقلال الذاتي للجالية في العلاقة مع إسرائيل. وذلك نظراً لأن المحترفين في منظمات كثيرة، وبخاصة في المنظمات التي نشطت في جمع الأموال، ربطوا مصيرهم الشخصي والمهني، وبعد فوات الأوان مصير المنظمات التي كانوا مؤتمنين عليها، بإسرائيل. والآن وبعد أن بدت إسرائيل قوية وواثقة من طريقها، وعندما صارت الزعامة السياسية الإسرائيلية تميل إلى التقليل من الاعتماد على الجالية اليهودية، أخذ الزعماء الأصليون يحاولون استعادة السيطرة على هذه المنظمات وتقليص دور المحترفين في هذا النطاق. وهذه العملية ليست سريعة وبسيطة أو سهلة، إلا أن غالبية الجوالي توجد الآن في ذروة استعادة السيطرة وإرجاعها إلى أفراد الجالية والى الزعامة المنتخبة.

وفي سياق هذه التغييرات ترتفع أيضاً أهمية تأهيل جيل شاب من الزعماء يستطيع ملء الصفوف الآخذة بالتقلص التي كان يشغلها الزعماء كبار السن. ولكن هذه العملية تصطدم أيضاً بصعوبات بسبب المقاربة اللامبالية أو المتباعدة التي يظهرها شبان مثقفون وليبراليون كثيرون تجاه كل نشاط في إطار الجالية.

وفي الأعوام الأخيرة، وبسبب كثرة احتياجات الجالية وكثرة المهام الملقاة على عاتق المنظمات، وبسبب التكلفة العالية لقيام منظمات متخصصة منفردة، وبسبب صعوبات في إيجاد زعماء ومحترفين بالمستوى وبالعدد الكافي لإدارة المنظمات المنفردة، وفي حالات معينة بسبب خلو هذه المنظمات من المضمون، بسبب هذا كله احتلت الإطارات الاتحادية والمنظمات الشاملة مكان جزء من هذه المنظمات المتخصصة. وبرز هذا الأمر جداً في نطاق جمع الأموال. وفي هذا النطاق حصلت عمليات واضحة تتمثل في توحيد أطر ومنظمات لجمع الأموال من جانب الفدراليات. كذلك أصبحت هذه الفدراليات مسؤولة أيضاً عن توزيع التبرعات على احتياجات الجالية الداخلية والخارجية. وكان لهذه العملية التنظيمية تأثير في شكل تخصص الأموال التخصيص لاحتياجات إسرائيل ولاحتياجات مهاجر/ الشتات. ومن الواضح أن الفدراليات ستحرص بالدرجة الأولى على احتياجاتها المتزايدة.

هذا، ولم تقتصر عملية نقل المهام إلى المنظمات الاتحادية على نطاق جمع الأموال فقط، إذ إن العملية المركزة حصلت أيضاً بالنسبة إلى مهام أخرى لمنظمات كانت منفردة قبل ذلك. وكان لهذه العملية التي بدت كما لو أنها ستضمن نجاعة أكبر وستستجيب للمشاكل الشديدة المتعلقة بقيادة الأمور، وبالرغبة في «إنقاذ» المنظمات من أيدي المحترفين، ثمن باهظ بمفاهيم الوصول إلى جميع أفراد الجالية، وبمفاهيم

ضمان مستوى نشاط ملائم، وبمفاهيم علاقات إسرائيل وجوالٍ يهودية في أقطار مضيفة أخرى ونحو ذلك. وحسبما هو متوقع وبسبب التعددية في الجالية اليهودية فقد ظهرت بعد زمن قصير نسبياً منظمات بديلة جديدة، مخصصة للاستجابة لمتطلبات واحتياجات مجموعات مختلفة في الجالية. ومرة أخرى بسبب حيوية ومركزية جمع الأموال في حياة الجالية، فقد برزت عملية ظهور المنظمات البديلة بشكل جيد في هذا النطاق الحساس. وهكذا على سبيل المثال، فقد أنشئت في هذا النطاق صناديق جديدة، مثل الصندوق الإسرائيلي الجديد، كما أستؤنف نشاط جبايات وصناديق قديمة فقدت رونقها، مثل الجبايات المنفردة للجامعات وللمؤسسات التعليمية والثقافية الأخرى. وعلى الرغم من عمليات التجزئة الجديدة هذه، فإن الفدراليات ما تزال تقوم بدور هام للغاية في حياة الجالية، وتوفر خدمات متنوعة جداً لأعضائها. وفي الواقع فقد أصبحت الفدراليات منظمات عليا تركز و«تأوي» تحت سقفها مهاماً كانت تقوم بها في السابق منظمات متخصصة مستقلة.

وبسبب عوامل جغرافية وتاريخية مختلفة كان مستوى النشاط الإقليمي محدوداً بالمقارنة بمستوى النشاط التنظيمي القومي والمحلي. وفي الواقع كان هناك على الدوام جوالٍ، وبخاصة منظمات قومية، ركزت كثيراً على النشاط على المستوى الإقليمي أو على مستوى الولاية (كنماذج بارزة للنشاط على هذا المستوى نذكر النشاطات الإقليمية لمنظمات هداسا، الجباية اليهودية الموحدة والبوندز). وفي الآونة الأخيرة وفي ضوء الصعوبات المنتصبة أمام الجالية وتزايد الاحتياجات التي استعرضت آنفاً، ومن خلال منطق ضمان النجاعة التنظيمية، فقد بذلت جهود أكبر للعمل على هذا المستوى. وأحد النماذج على هذا النهج الإقليمي ذي الإشكالية الكبيرة من نواح معينة، محاولة «ايباك» خلق مستوى نشاط كهذا، ومن المألوف الاعتقاد أن مثل هذا الاتجاه في إعادة التنظيم هو اتجاه إيجابي. ولكن يبدو لمراقبين مختلفين أن تنفيذ هذا التغيير ينبغي أن يكون أكثر واقعية ومن خلال قراءة أفضل لما يجري داخل الجالية.

إن المنظمات الكبيرة مثل اللجنة اليهودية الأمريكية، والكونغرس اليهودي الأمريكي، والرابطة المناهضة للتشهير الديني، والجباية اليهودية الموحدة، والبوندز، والجوينت، وبالطبع مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الكبيرة، هي منظمات تعمل على المستوى القومي. وفي الماضي كان لبعض هذه المنظمات أساس صلب داخل الجالية اليهودية، وتمثل ذلك، بين أمور أخرى، بوجود جمهور من النشطاء والمؤيدين المخلصين. وفي العقود الأخيرة الماضية أصبح بعض هذه المنظمات يجد صعوبة في تفسير أهداف نشاطه المتميز. هكذا على سبيل المثال، فإنه من الصعب تفسير سبب الحاجة إلى اللجنة اليهودية الأمريكية إلى جانب الكونغرس اليهودي الأمريكي. فالمهام

التي تقوم بها هاتان المنظمتان متماثلة جداً. ويبدو أن المبرر الرئيس لوجودهما المنفرد هو الروتين، والمنطق التنظيمي الضيق، واحتياجات المحترفين العاملين فيهما، ونزوات أصحاب المال الداعمين لهما، والذين يضمنون عملياً وجودهما. ولقد فقد بعض هذه المنظمات الصلة بالجوالي، وهي تعاني من نقص شديد في النشيطين. كما أن بعضها الآخر يحافظ على وجوده كنتيجة لولاء جيل آخذ بالتقلص، يحافظ على عهد الصبا لهذه المنظمات. وهذه منظمات درجت العادة على اعتبار زعمائها جنرالات دون جيوش، وصلوا إلى السيطرة على هذه المنظمات وعلى ميزانيات كبيرة للغاية بطريقة غير ديمقراطية.

وهناك منظمة واحدة ـ لم تعان حتى الآن من هذه الأمراض المألوفة لدى المنظمات العاملة على المستوى القومي - هي منظمة «هداسا». وفي الواقع فإن «هداسا» هي المنظمة الوحيدة التي ما تزال قادرة على تجنيد عدد كبير من الأعضاء لأغراض الاحتجاج أو للقيام بحملة سياسية هادفة. والتوقعات هي أن يختفي جزء لا بأس به من هذه المنظمات في المستقبل. ويحاول المحترفون والزعماء المشاركون في هذه المنظمات إبعاد يوم الحساب المتوقع الذي يضع نهاية لمنظماتهم. ولكن في ضوء العمليات الديمغرافية والفكرية التي تشهدها الجالية، ليس ثمة شك في أن بعضها سوف يختفي، إن لم يكن في المستقبل القريب جداً، ففي المستقبل المنظور.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: عندما نحاول تقييم مركزية وأهمية المنظمات المختلفة على المستويات المختلفة، مساهمتها في الحفاظ على وجود الجالية وعلاقاتها مع إسرائيل ومع مهاجر/ الشتات الأخرى، ومتوسط أعمارها، يمكن القول إن المنظمات القريبة من «مستوى الجذور» تتحول لتصبح مركزية في حياة الجالية. وبسبب قربها من الأعضاء الذين يشكلون أيضاً زبائنها، فإن هذه المنظمات تعكس احتياجات ورغبات الجالية. ولذا فالمنظمات التي تظهر قدرة على ضرب جذور جديدة في الجالية المتغيرة، وقدرة أكبر على ملاءمة الذات مع الظروف الاجتماعية الجديدة، مع احتياجات ورغبات أعضاء الجالية، والتي ستكون أكثر ديمقراطية وأقل مهنية، هذه المنظمات سيكون بمقدورها مواصلة البقاء.

إن مستقبل المنظمات التي تعمل على المستوى الإقليمي ما يزال غير واضح. وفي حال تبني هذه المنظمات لطرق عمل ديمقراطية ـ تطبق من جانب زعماء أصليين وليس من جانب محترفين تحركهم اعتبارات ذاتية أو غير ذات صلة باحتياجات أعضاء الجالية ـ وفي حال نجاحها في تجنيد الموارد اللازمة لتقديم الخدمات إلى أعضاء الجالية، سيكون بمقدورها أيضاً الاستمرار في الوجود.

والمنظمات القطرية هي المنظمات التي تواجه مستوى عالياً من الخطورة. والسببان الرئيسان اللذان يمنعان زوال هذه المنظمات هما أنها تمول من جانب مجموعات صغيرة من المتبرعين من أصحاب المصالح الاقتصادية والسياسية، وكذلك لأنها تتوسط بين الجالية وبين الإدارة الفدرالية الأمريكية، وإسرائيل ومهاجر الشتات اليهودية الأخرى. لكن الدعم المباشر لجوالٍ يهودية في أمريكا لمشروع إعادة إعمار الأحياء الفقيرة في إسرائيل اظهر إمكان قيام روابط مباشرة كهذه بين جوالٍ محلية في أمريكا وبين جوالٍ في إسرائيل. والنتيجة المتوقعة هي أن بعض المنظمات العاملة على المستوى القطري سوف يزول مثلما اختفت الحركة الصهيونية، وجزء من الأحزاب الصهيونية التي كانت مرتبطة بالأحزاب الإسرائيلية. والمنظمات التي سوف تواصل البقاء ستكون تلك التي ستقوم على ارتباط مباشر مع أعضاء الجوالي في أمريكا، وعلى زعامة حقيقية، وعلى روابط مباشرة مع إسرائيل، ومع جوالٍ يهودية في أقطار مضيفة أخرى.

(٥) الشبكات ما فوق الدول التي تشارك فيها الجالية اليهودية الأمريكية

تشكل إسرائيل والجالية اليهودية الأمريكية المركزين الهامين للشبكات ما فوق الدول المتشعبة في مجالات السياسة، الدبلوماسية، الأموال، المساعدة المقدمة لإسرائيل ولجوالٍ يهودية أخرى (مثل أثيوبيا، روسيا، وجمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق)، العلوم والتكنولوجيا. وهذه الشبكات الدولية هي من علامات الزمن، وبصفة خاصة عندما تستعين، ومعظمها يفعل ذلك، بوسائل الاتصالات والإعلام الحديثة. وإلى حد كبير فإن مستقبل الشعب اليهودي كوحدة إثنية ـ قومية واحدة مرتبط باستمرار تطور هذه الشبكات وربطها الناجع مع الشبكات الداخلية في كل دولة.

بسبب حجم وقدرة الجالية اليهودية الأمريكية، وبسبب الحرية الكبيرة التي تتمتع بها هذه الجالية، والتي تمكنها من إنشاء واستخدام مثل هذه الشبكات ما فوق الدول، التي تربطها مع الشعب اليهودي كله، وبخاصة مع الجوالي اليهودية المنعزلة التي لا يمكن لإسرائيل الوصول إليها، وبسبب استخدام هذه الجالية الكبير نسبياً للتكنولوجيا الحديثة فإنها تستخدم كمفترق اثني ـ قومي يهودي حيوي. ولا يقتصر الأمر على أن هذه الجالية تساعد إسرائيل والجوالي اليهودية الأخرى من الناحية المالية والسياسية والدبلوماسية، بل أيضاً من الناحية العلمية والتكنولوجية. وهناك دلائل كثيرة تشير إلى هذا التعاون الذي من غير الممكن التقليل من شأنه، مثل الأبحاث المشتركة لباحثين يهود من دول مختلفة، وترتيب سنوات تفرغ دراسية لباحثين يهود في جامعات أمريكية، وترتيب إصدارات مشتركة وما إلى ذلك. وهذا يعني أن الجالية

اليهودية تستخدم كمركز، لما يمكن تسميته بأنه «علوم وتكنولوجيا يهودية». (هذه الظاهرة ليست فريدة بل أنها قائمة أيضاً بين علماء من أصول صينية وهندية وباكستانية).

هذا ومن الصعب تخيل استمرار وجود الشعب اليهودي كمجموعة إثنية ـ قومية، تحافظ على روابط وثيقة دون نشاط الجالية اليهودية الأمريكية بواسطة هذه الشبكات. والمهام القومية التي يقوم بها الكونغرس اليهودي الأمريكي والعالمي، الجوينت، بني بريت، الحركة الإصلاحية وحركة «حباد» في أوساط الشعب اليهودي ومن أجل ضمان وجوده، تشير إلى أهمية الشبكات ما فوق الدول التي تحتفظ بها الجالية اليهودية، ومن خلالها إلى تأثيرها في مجريات تطور الشعب اليهودي بعامة، وليس في إسرائيل فقط. والسؤال المركزي في هذا النطاق هو أي الشبكات ما فوق الدول التي سوف تزدهر وأي منها سوف يندثر.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: نظراً إلى أن إسرائيل نفسها تتمتع بقدرة كبيرة وبتقليص جوهري للمخاطر الأمنية والعزلة التي كانت تعاني منها في الماضي، ولذا فإنها بحاجة أقل لمساعدة الجالية اليهودية الأمريكية، فإن هذه الجالية ستتوجه إلى تطوير الشبكات ما فوق الدول مع مهاجر الشتات اليهودي الأخرى، وبواسطة هذه الشبكات ستعمل على توجيه فائض مواردها لضمان وجود هذه الجوالي. وإذا ما حصل تغيير جوهري في موقف إسرائيل في هذا المجال، فمن المحتمل قيام تعاون أكثر نجاعة من السابق بينها وبين الجالية اليهودية الأمريكية. ولكن يخيل لنا أن إسرائيل أيضاً سوف توجه أنظارها إلى احتياجاتها الداخلية، وتبدي قلقاً أقل تجاه احتياجات الجوالي اليهودية في العالم.

(٦) تقييم شامل لقدرة الجالية اليهودية الأمريكية:

ليس ثمة شك في أنه من ناحية عدد الأعضاء الناشطين في هذه الجالية فإن هناك انخفاضاً واضحاً في عقب ضياغ ديمغرافي، ذوبان، زواج مختلط، ولكن بالأساس بسبب اللامبالاة. ولانتشار هذه اللامبالاة، يوجد مدلول مركزي بالنسبة إلى القدرة على تجنيد الجالية.

ومن المهم التنويه بأنه رغم هذه الخسائر فإن النواة الصلبة لهذه الجالية ما تزال كبيرة نسبياً، وهذا الأمر سيضمن استمرار وجودها.

ومن ناحية إمكان الوصول إلى النخب الاستراتيجية، والى الإدارة الأمريكية بأجهزتها كافة، والى شرائح اجتماعية واسعة، باستثناء بعض المجموعات الإثنية

الأخرى كالأفارقة الأمريكيين، فإن الجالية اليهودية توجد في وضع جيد ربما لم يكن هناك مثله في السابق. ومن ناحية الوضع الاقتصادي لأعضاء الجالية، فإننا نقول مرة أخرى بأن وضع الجالية اليوم أفضل مما كان عليه في السابق. وعملياً ليست هناك أشغال اليوم غير مفتوحة أمام أعضاء الجالية، كما أن مستوى دخل معظم أفرادها عالٍ جداً. والأمر نفسه بالنسبة إلى المستوى الثقافي لأعضاء الجالية. فمعظم أعضاء الجالية وبخاصة الشبان يتمتعون بثقافة أكاديمية، هي شرط هام، ولكن غير ضروري، للتقدم في المجال الاقتصادي. والجالية اليهودية منظمة جيداً. ولكن كما قلنا فإن تغييرات بعيدة المدى تحصل في هذا النطاق وينبغي أن تحصل وبخاصة بشأن «الدمقرطة» ونقل السيطرة على هذه المنظمات إلى أيدي الزعماء الأصليين. وهذه الميزة النسبية في المجال التنظيمي تسقط من الحسبان في ضوء الحاجة للاستجابة إلى احتياجات الجوالي الجديدة والقديمة، التي شهدت تغييرات ديمغرافية جوهرية.

٣-١-٢ عوامل متدخلة

(٧) الهوية وإبراز اليهودية

يتبين من الأقوال الصادرة عن أفراد الجالية اليهودية الأمريكية أن الأعوام الأخيرة الماضية شهدت تغييراً في إدراك مصدر هوية الجالية. والتغيير المركزي هو الانتقال من إدراك لهوية تقوم على أسس قومية أو دينية إلى إدراك يؤكد على الأسس الإثنية ـ القومية. وهذه العملية التي تشهدها الجالية اليهودية مشابهة للعملية التي شهدتها مهاجر/ الشتات الأخرى، التي حصل فيها مثل هذا التغيير. ولا يتضح من هذا التشخيص أن المشاعر الدينية أو الإحساس بالهوية القائم على الرابطة مع إسرائيل قد اختفت. إلا أنه وبصورة جوهرية فإن المقاربة التي ترى باليهودية مجموعة إثنية آخذة بالتعاظم.

هذا التركيز الجديد على الطابع الإثني للديانة اليهودية يخلق أيضاً تركيزاً مختلفاً على الهوية والتجانس في الحلقات الاجتماعية حول «مستوى الجذور» (Grassroots) لأفراد الجالية ـ أي «النواة الصلبة»، والعائلات المختلطة، و«اليهود الهامشيون» والمندمجون في المجتمع. ومن الواضح أن قوة الهوية اليهودية ومدى التجانس مع الجالية ومع الشعب كله أقوى في أوساط النواة الصلبة للجالية وأضعف في أوساط اليهود الهامشيين.

ومثلما قيل مرات عدة في هذه الوثيقة، فإن المشكلة المركزية من ناحية الهوية وإبراز اليهودية التي يوجد لها تأثير هام في القدرة التجنيدية للجالية، هي ليست إلى حد كبير تلك الخسارة الديمغرافية للأفراد في الجالية، وإنما اللامبالاة المتزايدة في

أوساطها. ومن المهم التنويه بأن اللامبالاة ليست موجهة فقط نحو شؤون أفراد الجالية في إسرائيل، وإنما أيضاً في اهتماماتهم بمصير الجالية اليهودية في الولايات المتحدة وفي مهاجر الشتات اليهودي الأخرى. ولذا فإن الأمر الذي يقلق زعماء الجالية اليهودية هو أن المجموعات «المصابة» بمثل هذه اللامبالاة آخذة بالاتساع، ولأنها مجموعات من أشخاص شبان نسبياً، من ذوي المستوى الثقافي العالي، ومن ذوي مستويات الدخل المرتفع. وباختصار فهذه هي المجموعات القوية والأكثر نشاطاً في الجالية. وهذه العملية تؤثر بصورة سلبية، كما ستؤثر أيضاً وبالطريقة ذاتها في قدرة الجالية على العمل. والعامل الوحيد الذي يمكنه معادلة هذه العملية، هو ميل مجموعات الشبان الذين هم في بداية العشرينيات من أعمارهم إلى إبراز تماثلهم مع الجالية والعمل في إطارها. وهذه عملية ليست مضموناً تواصلها. ولكن في ضوء الاهتمام الكبير بالإثنية والشرعية المتزايدة للوجود الإثني ـ القومي، فإنه يمكن لهذه العملية أن تتعزز. ومن المهم التنويه هنا أيضاً ان رسوخاً مستقبلياً لهذه العملية لا يتوقف فقط على ما ستفعله الجالية، وإنما على ما سيقرره الشبان أنفسهم.

إن مسألة الهوية وإبراز اليهودية لدى «الزعامة الأصيلة» لهذه الجالية هي مسألة أكثر وضوحاً وبساطة. وبطبيعة الحال تقريباً فالزعماء أكثر إدراكاً لمسائل الهوية وإبراز اليهودية، واتخذ معظمهم قرارات واضحة في هذا النطاق ـ فهم يبرزون هويتهم القومية. وبصفة عامة، فقد تقررت منذ زمن ما أيضاً أنماط الهوية وإبراز اليهودية لهذه الزعامة ـ فأفراد هذه المجموعة لا يخجلون أو يخشون من إبراز يهوديتهم. بالعكس، يخيّل إلينا أن بعضهم فخور بهذه الهوية. ومن ناحية بؤر الهوية فالزعامة تعكس التيارات الأيديولوجية والاجتماعية والسياسية داخل الجالية كلها. أي أن هوية الزعماء الدينيين وإبرازهم ليهوديتهم ستخلوان من الطابع الديني، كما أن الزعماء الصهيونيين سيركزون على العناصر القومية ونحو ذلك. ولهذه التشخيصات مدلولات كثيرة بالنسبة إلى التأكيد الذي سيضعه الزعماء على العمل من أجل إسرائيل، كما تدرك صورتها الاجتماعية والسياسية الحالية، أو على العمل من أجل الحفاظ على الهوية اليهودية الدينية.

ومن المهم التنويه بأن هناك فارقاً واضحاً في هذا النطاق بين الزعماء و«المحترفين». ففي حين يقدم معظم الزعماء أنفسهم كمن أن الموضوع الأكثر أهمية بالنسبة إليهم هو مصير الجالية اليهودية في الولايات المتحدة، فإن غالبية المحترفين العاملين في المنظمات الكبيرة يُعتبرون ويقدمون أنفسهم على أنهم مؤيدون بارزون لإسرائيل. ولذا فإنه من هذه الناحية أيضاً نشأت هوات بارزة بينهم وبين الزعماء، الذين يؤكدون أكثر على الأسس الإثنية في الوجود اليهودي. ومعنى ذلك هو أن هناك

فرصة كبيرة لأن يؤكد هؤلاء الزعماء أيضاً على الاحتياجات المحلية للمهجر/الشتات، وأن يعيروا أهمية قليلة إلى العلاقات مع إسرائيل أو مع جوالٍ يهودية أخرى.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: بسبب الميول الليبرالية في الولايات المتحدة سيتواصل الميل إلى الاندماج والابتعاد عن الديانة اليهودية. ومع ذلك، فعلى الرغم من أن عدد الأشخاص والأفراد في الجالية الذين سيبرزون هويتهم اليهودية سيتناقص، إلا أن «النواة الصلبة» في هذه الجالية ستواصل إبراز هويتها اليهودية. وهذا الأمر سيكون جلياً ويملك قوة أكبر مقارنة بالماضي. ولكن طالما بقيت الإثنية ذات قدرة، مثلما هي عليه الآن، فإن طابع التجانس سيكون أيضاً يهودياً إثنياً، وسيكون لهذا الميل تأثير في تخفيض قوة الرابطة بين يهود أمريكا وإسرائيل، القائمة على مفهوم قومي وديني قومي.

(٨) السلطة والولاء المزدوج

في الماضي كانت مسألة السلطة والولاء المزدوج لدى أفراد المهجر/الشتات اليهودي مسألة مركزية في نظر زعماء وأفراد الجالية اليهودية. ولقد بدت هذه القضية حيوية للغاية إلى درجة أن بن غوريون وبلاوشتاين وجدا أن الحاجة تدعو إلى إيضاح الموضوع والتأكيد بشكل واضح على ضرورة أن يكون هناك فصل بين ولاء اليهود للولايات المتحدة وبين ولائهم لإسرائيل. وكان بن غوريون قد اعترف بأن ولاء اليهود كان، أولاً وقبل كل شيء، تجاه الولايات المتحدة، ووعد بأن لا تتدخل إسرائيل في شؤون الجالية الداخلية، وبأن لا تتسبب في أن يصبحوا في وضع يتوجب عليهم فيه الاختيار بصورة قاطعة بين هذين الولاءين.

ولم يمنع هذا الاتفاق إسرائيل وممثليها في الولايات المتحدة من محاولة معاظمة تأثيرها عن قصد داخل الجالية اليهودية، أي محاولة زيادة سلطة إسرائيل على هذه الجالية، وعقب ذلك زيادة ولاء اليهود للوطن الأم. وكما قلنا، فإن المطالبة أيضاً بالاعتراف بإسرائيل كمركز للشعب اليهودي كانت مرتبطة بهذا المحتوى العام في علاقات إسرائيل مع هذه الجالية. وبشكل عام، وبسبب التعاطف الكبير نحو إسرائيل في الولايات المتحدة، لم يضطر اليهود للاختيار بين هذين الولاءين. وفقط في حالات جدل شديد بين الإدارة الأمريكية كما في فترة رئاسة ايزنهاور، عندما أرادت الإدارة الأمريكية بعد حرب العام ١٩٥٦ فرض حظر على تحويل أموال الجباية إلى إسرائيل، أو في قضية تجميد الضمانات المالية عندما واصلت إسرائيل السماح ببناء المستوطنات في فترة رئاسة جورج بوش، أو في قضية رامي دوتان، أو في الحالات التي استخدمت فيها إسرائيل بشكل غير مألوف «خدمات» اليهود (كما في قضية

بولارد)، كانت هذه المشكلة تطرح على جدول الأعمال وتزعج زعماء الجالية. وقد سعى زعماء الجالية دائماً للتأكيد على أن ولاءهم الأول هو للقطر المضيف لهم، أي تجاه الولايات المتحدة.

ومع تزايد الشرعية للمواطنة المزدوجة وللحفاظ على علاقات مع أقطار المنشأ، ومع انخفاض تدخل مجموعات كبيرة في الجالية اليهودية بما يجري في إسرائيل، ومع تضاؤل الحاجة إلى وساطة الجالية اليهودية بخصوص علاقات حكومة إسرائيل والإدارة الأمريكية، انخفضت خطورة هذه المشكلة في نظر جميع الأطراف. وفي هذا الوضع الجديد فإن يهود الولايات المتحدة ليسوا مطالبين بالحسم بصورة قاطعة بين هذين الولاءين، أي أنه في حين كانت هناك في الماضي مشكلة «الولاء الموزع»، فإن المشكلة اليوم هي «الولاء المزدوج» وربما حتى «الولاء المكمل»، وهما أكثر سهولة على أفراد الجالية.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: من المرجح ألا تتخبط الجالية اليهودية في هذه المسألة بشكل مركز في المستقبل القريب أيضاً. هذا لأن الجالية اليهودية وإسرائيل ستخفضان التوقعات والمطالب المتبادلة في هذا النطاق. وستكون القرارات بشأن سلم الأواليات في هذا النطاق. في أيدي الأفراد بالأساس وليس في أيدي زعماء الجالية.

٣-١-٣ النتائج

(٩) الاستراتيجية الرئيسة للجالية وتأثيرها في علاقاتها مع جهات مختلفة

كما مهاجر شتات أخرى في الولايات المتحدة، كذلك أيضاً الجالية اليهودية هناك اختارت بعد قيام دولة إسرائيل الاستراتيجية الجماعية. وكما قلنا، فهذه هي استراتيجية معتدلة بالنسبة إلى يتعلق المهجر/الشتات والمجتمع مع حكومة القطر المضيف، وهي استراتيجية تؤكد على التوجه نحو الداخل في علاقات المهجر/ الشتات وإسرائيل. وهذه استراتيجية متوسطة، تنتهج من جانب مهجر/شتات تقيم بصورة ثابتة في القطر المضيف، ويريد ضمان استمرار وجوده والحفاظ على علاقات مع الوطن الأم.

إن الدافع الكبير لتعزيز العلاقة بين أرض إسرائيل والجالية اليهودية وكذلك لتجنّد مئات الآلاف من اليهود الأمريكيين لمساعدة «اليشوف» اليهودي في أرض إسرائيل وجوالٍ يهودية أخرى، جاء عندما أيدت هذه الجالية إقامة دولة إسرائيل في ضوء نتائج الكارثة اليهودية. وفي تلك الفترة تم تحريك الجالية اليهودية من طريق

مزيج من مشاعر الذنب بسبب تقاعسها في أيام الحرب العالمية الثانية، ومن طريق تدفق المشاعر القومية بعد الحرب. وقد أدت هذه الصحوة الكبيرة إلى إطلاق موارد كبيرة حافظت على مستوى تجنيد عال على امتداد زمن طويل.

ولكن اتضح بعد مرور زمن ما أنه كان من الصعب الحفاظ على مستوى عال ودائم من مثل هذه التعبئة، وكان هناك حاجة إلى أحداث دراماتيكية، كالحروب في الشرق الأوسط، وتأزم أحوال جوالٍ يهودية أخرى، مثل تدهور حال الجالية اليهودية في أثيوبيا وفي روسيا، من أجل إعادة رفع مستوى التعبئة ومستوى الموارد التي حولت إلى إسرائيل والى جوالٍ يهودية أخرى. ومع الابتعاد عن فترة الحرب العالمية الثانية وإقامة إسرائيل، أصبح من الصعب على هذه الجالية المحافظة على مستويات التعبئة السابقة بواسطة الاستراتيجية الجماعية. ويبدو أن النتيجة هي أنه صار من الصعب الآن على الجالية معالجة قضاياها الداخلية، وهي تضطر لتخصيص موارد أكبر لحل هذه القضايا، ونظراً لأن موارد الجالية محدودة، فقد جاء هذا الاستثمار في حل القضايا الداخلية على حساب الموارد المحوّلة إلى إسرائيل ولجوالٍ يهودية أخرى.

وباستثناء فترات قصيرة من التوتر، فقد خلقت الاستراتيجية الجماعية جواً مريحاً لقيام علاقات جيدة مع مؤسسات الإدارة الأمريكية على المستوى القومي (أي مع الكونغرس، والبيت الأبيض، والحزبين الرئيسيين). وبعد قيام الدولة، وعندما كان مستوى التعبئة ما يزال عالياً، استطاعت هذه الجالية التأثير في قرارات الإدارة الأمريكية، وبخاصة بالنسبة إلى المساعدات السياسية والاقتصادية والعسكرية إلى إسرائيل. وكلما ابتعدنا عن تلك الفترة، لوحظ انخفاض في هذه الحاجة، الإرادة والقدرة هذه. وهذا الميل نحو الوهن في هذا النطاق يتعزز كما قلنا من طريق منظومة علاقات مباشرة وناجعة بين الحكومة الإسرائيلية والإدارة الأمريكية.

إن العلاقات اللائقة بين الحكومة الإسرائيلية والإدارة الأمريكية، وقدراً كبيراً من «التطبيع» في هذه العلاقات، يسمح بإيلاء اهتمام أكبر لعلاقات الجالية اليهودية مع مجموعات إثنية أخرى في الولايات المتحدة. وبالفعل فإن تغيير مثل هذا التركيز ملموس جيداً في نشاط الجالية. وكان الاهتمام في هذا النطاق قد كُرّس في أساسه إلى علاقات الجالية اليهودية مع الأفارقة الأمريكيين، وفي المقابل، فإن منظمات يهودية في أمريكا تقيم علاقات مع زعماء مهاجر الشتات ومجموعات إثنية أخرى، مثل اليونانيين والبولنديين وغيرهم. وهذه العلاقات تجري على المستوى القومي وعلى المستوى المحلي. وتدل هذه العلاقات ليس فقط على توترات بين هذه المجموعات الإثنية، وإنما أيضاً على أن هذه الجوالي تتخبط في مشاكل متشابهة.

إن الاستراتيجية الجماعية تسمح أيضاً بتجنيد شرعي للموارد من أنواع مختلفة، بما في ذلك الوصول السهل إلى الإدارة الأمريكية، الموجهة لمساعدة جوالٍ يهودية في أقطار أخرى، وبخاصة في الأقطار التي تعاني من ضائقة. ومع ذلك، فالتحسن النسبي أيضاً في مكانة هذه الجوالي في الأقطار المضيفة سوف يحرر موارد ويقود إلى توجيهها إلى احتياجات الجالية الداخلية، الأمر الذي سيقوي الجالية، وسيضمن الحفاظ على نواتها الصلبة.

التوقعات بشأن التطور المستقبلي في هذا النطاق: لا ينبغي توقع تغيير حاسم في هذا النطاق. والأرجح الافتراض أن الجالية ستتمسك أكثر بالاستراتيجية الجماعية المريحة، وبخاصة في ضوء الأجواء المريحة في الولايات المتحدة بالنسبة إلى مجموعات إثنية من جهة، والرغبة في ضمان استمرارية الجالية من جهة أخرى.

(١٠) العلاقات والروابط مع إسرائيل

تقيم الجالية اليهودية الأمريكية نوعين من العلاقات مع إسرائيل:

علاقات دون وسطاء ـ وهذه هي العلاقات المباشرة بين أعضاء الجالية اليهودية، والجارية دون وساطة مؤسسات الجالية أو وساطة إسرائيل. أي أن هذه هي العلاقات المباشرة بين عامة الشعب في الجالية اليهودية الأمريكية وفي إسرائيل ـ وهي علاقات بين أبناء العائلات، وعلاقات بين الأصدقاء، وزيارات سياحية، وتبرعات مباشرة لصناديق وأهداف خاصة، والاستضافة في الولايات المتحدة ليس من طريق المؤسسات والمنظمات ونحو ذلك. وبسبب العوامل الديمغرافية والعمليات الأيديولوجية التي أُستعرضت آنفاً، طرأ في الأعوام الأخيرة الماضية استقرار وحتى هبوط بسيط في هذا النطاق. وعلى سبيل المثال ففي نطاق السياحة اليهودية طرأ استقرار وحتى هبوط طفيف. والارتفاع الجوهري للغاية في هذا النطاق كان في توجيه موارد إلى مشروعات خاصة، بواسطة تبرعات هادفة، من طريق صناديق تقليدية أو من طريق صناديق ومنظمات بديلة. ومن النماذج المعروفة في هذا النطاق الارتفاع في «التبرعات الهادفة» والنجاح الرائع للصندوق الجديد لإسرائيل.

علاقات مع وساطة ـ والمقصود بذلك العلاقات بين المنظمات اليهودية و«إسرائيل الممأسسة» بما في ذلك الحكومة على اختلاف دوائرها، والمنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية، ومنظمات جمع التبرعات، والحركات السياسية، والمؤسسات التربوية ونحو ذلك. وبسبب التغيير في توجّه الحكومة الإسرائيلية، وبسبب التغييرات الجارية في المنظمات اليهودية الكبيرة التي ورد ذكرها آنفاً، فقد حصل تراجع كبير في هذا النطاق. ومع ذلك، فإن هذا الانخفاض ليس متساوياً في جميع

القطاعات: وعلى سبيل المثال فالوضع في نطق العلاقات بين فدراليات يهودية مختلفة وسلطات محلية في إسرائيل، وفي نطاق علاقات جوالٍ يهودية مع مؤسسات تربية وتأهيل في إسرائيل، هو أفضل مما هو عليه في مجال نطاق الوكالة اليهودية والجالية.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: ستتواصل العلاقات المباشرة بالمستوى نفسه. وفي ضوء جميع اتجاهات التطور في الجالية اليهودية وفي إسرائيل التي استعرضت هنا، لا ينبغي توقع ارتفاع جوهري في مستوى العلاقات هذا، وخاصة نظراً إلى أن العلاقات العائلية بين إسرائيليين وبين أفراد الجالية تضعف تدريجياً.

والمجموعة الوحيدة التي ستواصل، بل ربما تعزز علاقاتها مع إسرائيل، هي مجموعة الإسرائيليين الموجودين في الولايات المتحدة. ومن جهة أخرى من المتوقع مع تعميق عملية السلام في الشرق الأوسط، ومع التطبيع في مكانة إسرائيل، ومع الإصلاحات في المؤسسات المناط بها الإشراف على علاقات إسرائيل والمهجر/ الشتات، مثل الوكالة اليهودية والمنظمات اليهودية الكبيرة في الولايات المتحدة، سيطرأ تراجع في مستوى العلاقات المأسسة بين إسرائيل والمهجر/ الشتات.

٣-١-٤ المعضلات الرئيسة التي تواجهها الجالية

تعاظم الذوبان والاندماج؟

في ضوء التقديرات المتشائمة بشأن المستقبل الديمغرافي للشعب اليهودي بعامة والجالية اليهودية الأمريكية بخاصة، فإن الجالية اليهودية الأمريكية منشغلة منذ زمن ما بإعادة تقييم لهذه المسألة. وبالطبع فإن قرارات أفراد الجالية سوف تتخذ وفق اعتبارات ذاتية تتأثر بالعمليات الجارية في الولايات المتحدة نفسها. ومع ذلك واستناداً إلى معلومات نظرية وتحليلية تنبع من دراسة المجموعات الإثنية الأخرى، بما في ذلك مهاجر/ شتات إثنية ـ قومية، يمكن التأكيد على أنه من الصعب جداً كبح عمليات الاندماج والذوبان. ولذا يبدو أنه في المستقبل غير البعيد سوف تقرر الجالية تخفيض الموارد المستثمرة في الصراع ضد هذه الميول الحتمية، واستثمار موارد أكبر في معالجة مسألة اللامبالاة التي يظهرها أفراد في الجالية، قرروا المحافظة على هويتهم، ولكن قرروا أيضاً تخفيض مستويات مشاركتهم في حياة الجالية.

المركز والمحيط في الشعب اليهودي:

من وجهة نظر الجالية اليهودية الأمريكية فإن إحدى المسائل التي لم تبق مفتوحة فحسب إنما اشتدت خطورتها أيضاً في الفترة الأخيرة، هي مسألة المركز، وبدقة أكثر مسألة المراكز في الشعب اليهودي. وحتى لو بدا في الماضي أن الجالية اليهودية

الأمريكية قبلت بمركزية إسرائيل في الشعب اليهودي، وتوقعت بأن تساعد إقامة إسرائيل في حل الكثير من قضايا الشعب بأسره إلا أن هذه الجالية لم تقبل أبداً فكرة الهيمنة الإسرائيلية المطلقة، وتدخل إسرائيل في شؤون الجالية الداخلية. ولقد ظهر هذا الموقف جيداً في اتفاق بن غوريون ـ بلاوشتاين الذي سبق ذكره آنفاً.

وفي الآونة الأخيرة صدر اعتراض آخر على فكرة مركزية إسرائيل. وهذا الاعتراض مبني على العمليات المتراكمة التي وصفت حتى الآن، وكذلك على الإدراك المتزايد أن إسرائيل أخذت تتحول إلى دولة «طبيعية» ذات خاصة وإنجازات متوسطة للغاية. أي انه يبدو ليهود الولايات المتحدة أن إسرائيل تجد صعوبة في تحقيق التوقعات بأن تتحول إلى «منارة للأغيار» أو أن تتحول إلى مركز جذب للشعب اليهودي. وهناك أعداد متزايدة من اليهود تؤمن بأن إسرائيل المشغولة في حل مشاكلها الذاتية، لن تتمكن من المساهمة بصورة جوهرية في حل مشاكل المهجر/ الشتات اليهودي. وفي جميع الأحوال وقد بلغ هذا الجدل الآن ذروته. وبالطبع فإن إسرائيل لن يسرها التخلي عن مكانتها الخاصة في الشعب وعن مكانتها المركزية. ويمكن القول إن المنظمات اليهودية الكبيرة، وبخاصة المحترفون المستخدمون من جانبها سيدعمون هذا المطلب، الأمر الذي سيعاظم معضلة يهود الولايات المتحدة.

استراتيجية المهجر/ الشتات المركزية

العمليات والميول المتراكمة سوف تثير أيضاً الجدل بشأن جدوى المحافظة على الاستراتيجية الجماعية وبشأن الحاجة لتبني استراتيجية أكثر راديكالية، كتلك الموجهة لتحديد بشكل أفضل حدود الجالية اليهودية، أو لإحراز إدارة ذاتية رسمية أكبر في إدارة حياة الجالية. ومن جهة أخرى سيوجد أيضاً يهود يزعمون بأنه لا ينبغي ولا يمكن منع عمليات تقلص وانكماش الجالية، ولذا فإنه يتوجب على الجالية التخلي عن ذخائرها وتراثها، وأن تندمج بشكل كامل في المجتمع الأمريكي.

٣-٢ الجالية اليهودية في فرنسا

٣-٢-١ عوامل أساس

ملاحظة تمهيد عامة: بعد إسرائيل والجالية اليهودية في الولايات المتحدة، فإن الجالية اليهودية في فرنسا تعد الأكثر أهمية وحيوية بين الجوالي اليهودية الموجودة الآن في المهجر/ الشتات (من الناحية العددية فهذه الجالية هي الرابعة من حيث الحجم بعد التجمعات اليهودية في الولايات المتحدة وفي إسرائيل وفي الاتحاد السوفياتي السابق). وعملياً، تشكل هذه الجالية **الآن** المركز **الثالث في الشعب اليهودي**.

وفي خلال العقود الثلاثة الأخيرة شهدت هذه الجالية تغييراً جوهرياً. هذا لأنه حتى الخمسينيات، كانت هذه الجالية، التي كان معظم أفرادها من أبناء الجالية الاشكنارية، وأبيد العديد من أفرادها في الكارثة، في حالة سبات من ناحية ثقافية وسياسية. وكانت الجالية غارقة في شؤونها التقليدية الفسح في المجال لليهود لأقصى ما يمكنه من الاندماج في المجتمع الفرنسي، في سياق ضمان حرية العبادة الدينية والحقوق السياسية. ونظراً إلى ذلك فإن الجالية لم تحتل حتى ذلك الوقت مكانة مركزية في حياة الشعب اليهودي. وابتداء من الخمسينيات طرأت زيادة دراماتيكية على عدد أفراد الجالية وفي ديناميكيتها. وكان السبب الرئيس لهذه اليقظة الدراماتيكية والمفاجئة مرتبطاً بهجرة يهود شمال أفريقيا إلى فرنسا وباستيطانهم الدائم في هذه الدولة. وبنشوء فرع الجالية السفارادية هناك، وبالنجاح الاقتصادي والاجتماعي لأفراد هذه الجالية في فرنسا، وبالازدهار الثقافي والاجتماعي والسياسي الذي جاء عقب هذه العمليات السريعة.

والآن أيضاً ومع اقتراب نهاية القرن العشرين، فإن تطور هذه الجالية يتحدد من طريق هذا التغيير الحاسم في تركيبة الجالية، والذي بدأ في الخمسينيات والستينيات، والذي حمل في طياته قوة كبيرة إلى درجة إخراج جالية مستقرة من سبات نسبي، ومساعدتها في التغلب على الكارثة وعلى النتائج الهدّامة الأخرى للحرب العالمية الثانية.

والسؤال المركزي المفتوح في هذا السياق هو: لكم من الوقت ستكفي هذه القوة التي انطلقت قبل نحو ثلاثين سنة؟ والى متى تستطيع هذه الطاقة المحافظة على موقع الجالية كالمركز الهام الثالث في الشعب اليهودي؟

(١) تأثير العمليات العالمية والمحلية

كما هو الأمر في جوالٍ أخرى في الغرب، كذلك أيضاً فإن الجالية اليهودية في فرنسا تتأثر بعمليات العولمة والليبرالية والثورة في الاتصالات ونحو ذلك، التي تشهدها الدول والمجموعات الإثنية الأخرى في «العالم الأول». ومثلما هو الأمر بالنسبة إلى الجالية اليهودية الأمريكية، فإن هذه هي أيضاً طائفة حديثة. وهي تحتاج إلى نماذج تنظيمية حديثة والى وسائل الارتباط والاتصالات الحديثة، وتقوم باستخدامها. ومع ذلك فإنه يوجد داخل هذه الجالية «جزر» كبيرة من المحافظة وليس فقط بالذات في أوساط اليهود الشرقيين (السفاراديين) من شمال أفريقيا. وبمعنى آخر فإنه خلافاً للصور القائمة بشأن حداثة اليهود الغربيين (الاشكنازيين) فإنه يوجد أيضاً في أوساط الجالية الاشكنازية جزر بارزة من المحافظة.

وعلاوة على ذلك، فإنه ليس فقط أن معظم هذه الجالية حديث، بل ان عدداً

من المثقفين البارزين فيها، وبعضهم من اليهود السفاراديين، ساهموا في ظهور وتطور التيار الفلسفي، الجمالي، والسياسي الـ ـ ما بعد حداثي، الذي أثر في الفلسفة والعلوم الاجتماعية في أوروبا وفي الولايات المتحدة، وكذلك في اتجاهات التفكير التي حددت وضع الجالية اليهودية في فرنسا وتطورها في العقدين الأخيرين. ويوجد هنا مكان للتذكير بأن التيار الـ ـ ما بعد الحداثة يؤكد شرعية التباين و«الآخر» اللذين يعتبران من أسس اليقظة الإثنية الحالية.

واستناداً إلى موقعها الجغرافي ـ الاستراتيجي، واستناداً إلى الخطوط الهيكلية الرئيسية لتطورها في العقود الأخيرة، كان لهذه الجالية ظاهرياً فرصة كبيرة لتطوير ميل لخلق علاقات وثيقة مع مهاجر شتات يهودية أخرى ومع إسرائيل. ولكن مدى ثقافة اليهود الفرنسيين، وتمسكهم بالثقافة الفرنسية المهيمنة في مكان إقامتهم أوجدا بعداً معيناً بينهم وبين المركزين الكبيرين الآخرين: الجالية اليهودية الأمريكية من جهة، وإسرائيل من جهة أخرى، وعلى الرغم من تغييرات معينة في هذا النطاق أدت إلى نشوء روابط أكثر جرأة مع إسرائيل وجوالٍ يهودية أخرى، إلا أن هذه الجالية لم تكسر طوق العزلة الطوعية النسبية هذا. ولا يتعلق الأمر هنا بقطيعة مطلقة بين الجالية اليهودية في فرنسا وبين إسرائيل وجوالٍ يهودية أخرى، بل بالعكس، حيث إن الروابط قائمة، كما أن الروابط مع إسرائيل هي روابط جيدة، ولكن الأمر يتعلق بميل للمحافظة على مكانة خاصة وعزلة نسبية.

إن عمليات التحديث والتثقيف التي مرت بها هذه الجالية في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات، والانفتاح الإضافي للمجتمع المضيف تجاه اليهود (ولكن ليس نحو المجموعات الإثنية الأخرى) أثرت في مشاركة وانخراط أكبر لليهود في المجتمع وفي الثقافة وفي السياسة الفرنسية، وعلى تعاظم عمليات الذوبان والاندثار، التي لم تستثنِ أيضاً هذه الجالية. ولكن من جهة أخرى فإن يقظة وإدراك النخب الثقافية والسياسية في الجالية اليهودية للتيارات الفلسفية والسياسية الحديثة والـ - ما بعد الحداثة قد أثرت في الاتجاه المعاكس، أي في اتجاه صحوة الهوية اليهودية، والجهود «لتحديث» هذه الهوية والاستعداد لإبراز الهوية اليهودية، وبخاصة في أوساط مجموعات اليهود الشبان. وهذه التيارات المتعارضة تخلق وضعاً حيث الخسارة الصافية لأفراد الجالية قليلة نسبياً بالمقارنة بجوالٍ يهودية أخرى، توجد في دول تظهر مقاربة ليبرالية تجاه المجموعات الإثنية بشكل عام وتجاه اليهود بشكل خاص، ومن الواضح أنه حدثت في صفوف اليهود الشبان في هذه الجالية صحوة إثنية ـ قومية وإثنية ـ دينية رائعة. وهذه الصحوة لم تقّل حتى الآن حيث إن تأثيرها ما يزال بارزاً في بنية الجالية وأعمالها.

وبالإضافة إلى تأثير العمليات العالمية التي لم يستثن بعضها كما قلنا هذه الجالية، فإن يهود فرنسا مكشوفون لتأثير كبير من جانب مصدرين هامين آخرين، لا يتأثر بهما يهود الولايات المتحدة ولا حتى يهود بريطانيا:

والمصدر الأول الذي يؤثر في يهود فرنسا هو تطور الاتحاد الأوروبي بشكل عام، والميول لخلق ماهيات اجتماعية جديدة بشكل خاص. وفي هذا السياق فإن هدف الاتحاد الأوروبي هو العمل على المدى الطويل لخلق «الشخصية الأوروبية» هو أمر هام بشكل خاص. فالانكشاف لهذه الأفكار والاستعداد الكامن لتبنّيها كبير بين أفراد المجموعات التي تظهر في جميع الأحوال ميولاً كوزموبوليتيانية. ويبدو أن مجموعات كبيرة وقوية من الأفراد في الجالية اليهودية في فرنسا مشمولة في هذه الفئة من المجموعات ذات القدرة على تبني مثل هذه الآراء، وان ميلاً كهذا لتبنّي أفكار «الأوربة»، السائدة في عدد من العواصم في أوروبا، وبصفة خاصة في باريس، يقلل من الولاء الكامن للمحافظة الصلبة على الجالية اليهودية وعلى الروابط مع إسرائيل.

إن الثقافة الفرنسية العلمانية، ولكن الانعزالية بعض الشيء، والوضع الاجتماعي والسياسي في فرنسا الذي يحتوي على ميول مناقضة لمزيد من الليبرالية من جهة، وللمظاهر الفظة للمشاعر اللاسامية والميول المعارضة للغرباء من جهة أخرى، تشكل مصادر تأثير لا تقل قوة عن التيارات العالمية والأوروبية العامة. ويوجد لهذا الوضع المشبع بالتناقضات مدلولات على مستويات مختلفة: فمن الناحية الثقافية يرى يهود فرنسا أنفسهم كمنخرطين جيداً في فرنسا، وانّ كون إسرائيل متأثرة بالثقافة الأمريكية يخلق كما قلنا ابتعاداً معيناً بين هذا المهجر/الشتات من جهة، وبين إسرائيل ومهاجر/الشتات في الدول الانغلوسكسونية من جهة أخرى. ومع ذلك، فإن حقيقة وجود نهضة الآن في فرنسا لمجموعات إثنية مختلفة (مثل الباسك، والكورسيكيون، والبريتونيون، ومهاجر/الشتات الشمال ـ أفريقي المختلفة، أي الجزائريون والمغاربة) تجعل اليهود يتمسكون بحقهم وبرغبتهم في المحافظة على الهوية اليهودية وعلى مؤسسات الجالية الضرورية من أجل ضمان هذه الهوية. وهذا الميل أيضاً ما يزال يسهم في اليقظة اليهودية بين الشبان. ومرة أخرى فالسؤال هنا هو: إلى متى ستستمر هذه الميول؟

والاستنتاج المطلوب هو أن الجالية اليهودية في فرنسا مكشوفة أكثر من جوالٍ يهودية أخرى لتأثيرات متقاطعة لعوامل قوية تعمل على المستويات العالمية، الإقليمية ـ الأوروبية، وعلى مستوى المجتمع الفرنسي المضيف.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: إن تأثيرات العوامل المؤثرة في المستويات الثلاثة التي ذكرت آنفاً سوف تستمر، بل ستتعزز. وحتى إذا ما نجحت هذه الجالية أيضاً، ولأسباب تتعلق بالتطورات الداخلية في فرنسا (أي: بسبب مظاهر اللاسامية والرفض) في منع استمرار خسارة أفرادها، فإن النتيجة سوف تكون استمرار الميل لتعزيز الوجود المستقل ذاتياً لهذا المركز اليهودي الهام، وليس لانخراط أكبر في منظومات الشعب اليهودي، وهذا يعني أن الجالية لن تكون متداخلة إلى حد كبير في الشبكات اليهودية ما فوق الدول، وستواصل المحافظة على بعد معين عن إسرائيل وعن مهاجر الشتات في الدول الانغلوسكسونية.

(٢) وحدة صف اجتماعية وسياسية

مثلما هو الأمر في جوالٍ يهودية أخرى فإن هذه الجالية تتأثر بقوة بعمليات الذوبان والاندماج والزواج المختلط. والنتيجة التي لا مفر منها هي وجود دوائر هوية مختلفة ودوائر انتماء اجتماعي تقرر مستوى وحدة صف الجالية. وكما هو الأمر في جوالٍ أخرى مماثلة يلحظ في الجالية اليهودية الفرنسية أربع دوائر كهذه: «نواة مركزية وصلبة» كبيرة للغاية من ناحية دورها داخل مجموع أفراد الجالية، أو أولئك المشخصين كيهود. ومجموعات أفراد تنتمي إلى الجالية وتظهر مستويات نشاط منخفضة، و«يهود الإطار» الذين يشاركون بصورة متقطعة فقط في حياة الجالية، ونحو نصف جميع أولئك الذين يعتبرون «كيهود فرنسا» المنعزلين والمنسلخين، أو أولئك الذين تعتبر علاقاتهم مع الجالية ضعيفة ونادرة جداً. وهذا يعني أنه على هذا المستوى من الوجود الإثني اليهودي لا يوجد شرخ عميق بل وضع من التباين في قوة الانتماء.

وأيضاً على المستوى التالي للوجود الجماعي لا يوجد شرخ عميق جداً. وعلى غرار أعضاء في جوالٍ يهودية أخرى في الغرب، فإن معظم أعضاء الجالية اليهودية في فرنسا هم من العلمانيين. ومع ذلك ومرة أخرى وكما هو الوضع في عدد من الجوالي الأخرى في الغرب فقد حصل ارتفاع في عدد اليهود المتدينين والمتزمتين (الحرديم) من جهة، ولكن أيضاً في عدد اليهود الذين يعتبرون أنفسهم منتمين لتيارات مثل الاتحاد العالمي لليهودية التقدمية من جهة أخرى. وبالطبع فإنه توجد بين المجموعات المختلفة توترات بالنسبة إلى الأيديولوجيا للأهداف طرق العمل في الجالية ولمصادر تمويل النشاطات (أي، بالنسبة إلى الجزء النسبي من إجمالي الموارد الموجودة تحت تصرف الجالية). ولكن في هذه الحالة فإن التوترات بين هذه التيارات لا تمنع الحوار ولا تمنع قدراً معيناً من التعاون في موضوعات مختلفة، **ترتبط بعلاقات الجالية**

مع المجتمع المضيف. وهكذا على سبيل المثال فإن التعاون الذي جمع بين جميع هذه التيارات أمر ممكن بعد حدوث عمليات تخريبية أو بعد انفجار مظاهر عداء للسامية.

إن الهوة الاجتماعية التي تقلصت قليلاً هي تلك الهوة القائمة بين اليهود الاشكناز واليهود السفاراديين. والنسبة العددية بين هاتين المجموعتين هي وجود نحو الثلث من الاشكناز ونحو الثلثين من السفاراديين. وكانت هذه الهوة كبيرة جداً في الفترة التي هاجر فيها اليهود من شمال أفريقيا إلى فرنسا. وان المجموعة الغربية (الاشكنازية) القديمة التي كانت منخرطة في المجتمع الفرنسي، وانشغلت بعمليات الترميم الذاتي بعد الحرب العالمية الثانية وسيطرت على مؤسسات الجالية، خشيت من تسلل اليهود الشرقيين (السفاراديين)، وأظهرت ميولاً بارزة نحو الانغلاق. وكان مصدر الانغلاق هذا يعود إلى خشية اليهود الاشكنازيين على مكانتهم في فرنسا بشكل عام، وعلى سيطرتهم على مؤسسات الجالية بشكل خاص. ومع الانخراط الناجح جداً ليهود شمال أفريقيا في فرنسا، في المجالات الثقافية والعلمية والاقتصادية والسياسية، بدأت أيضاً عملية خفض واضحة للأسوار والجدران التي كانت تفصل بينهما.

وكان الانخراط الأسرع للسفاراديين على المستوى التنظيمي. وحصل انخراط بطيء ولكنه ملموس على المستويات الاجتماعية والثقافية أيضاً. ومع ذلك فإن هذه الهوة ما تزال قائمة، إلا أن مظاهر الفصل بين الجاليتين هي مظاهر معتدلة.

وعلى الرغم من خطوط الاختلاف هذه، ليس ثمة شك الآن، ومرة أخرى بسبب وزن ومدى انخراط وتأثير اليهود السفاراديين في أن الجالية اليهودية في فرنسا أصبحت متكتلة للغاية، وقادرة على العمل (على الرغم من وجود تقاليد مجذرة من الفردية، من ناحية الانتماء إلى الجالية، ومن ناحية وجود مجموعة كبيرة من اليهود الهامشيين، ووجود أطر منفصلة لمجموعات فرعية مختلفة وبالأساس السفاراايين والاشكناز) على مستوى فرض من وحدة الصف الاجتماعية والسياسية.

التوقعات المستقبلية للتطور في هذا النطاق: من الصعب الافتراض أن تغييراً جوهرياً سيحدث في المستقبل القريب في هذا النطاق. وهذا لأن الشروخ القائمة الآن لن تتعمق أكثر، كما سوف يستمر مستوى وحدة الصف الاجتماعية والسياسية الحالية للجالية. وهذا يعني أنه سوف يكون بمقدور الجالية في المستقبل أيضاً تجنيد نفسها وبخاصة إزاء أي أضرار خطيرة قد تلحق بأفرادها. وباستثناء حالات شاذة تلحق فيها أضرار جسيمة بالجالية ذاتها، بإسرائيل وربما أيضاً بجوالٍ يهودية أخرى تواجه أوضاعاً خطيرة، فعلى وجه العموم سوف تبقى هناك صعوبة في تجنيد يهود فرنسا للقيام بعمل سياسي أو لجمع الأموال على نطاق واسع.

(٣) الانتماء السياسي

الحزب الاشتراكي بزعامة ميتران حظي في الماضي بدعم غير قليل من جانب يهود فرنسا، وبخاصة من جانب اليهود السفاراديين فيها. وفي المقابل فإن الفئات القوية والغنية من اليهود الغربيين (الاشكناز) أيدت وما تزال تؤيد أحزاب الوسط والأحزاب اليمينية المعتدلة، الأمر الذي لا يلحق بحد ذاته الضرر ولم يلحق ضرراً بالمصلحة اليهودية أو الإسرائيلية. أي أنه باستثناء الأحزاب اليمينية المتطرفة، فإن اليهود يؤيدون الأحزاب الكبيرة في فرنسا كما أن علاقاتهم قوية مع زعماء هذه الأحزاب.

وفي الماضي غير البعيد كان من المألوف اعتبار أن اليهود الذين أيدوا ميتران وحزبه فعلوا ذلك من خلال «اعتبارات إسرائيلية». أي أن بعضهم اقترع لمصلحة ميتران والاشتراكيين وعمل لأجلهم بسبب العلاقة التقليدية الأكثر تعاطفاً من جانب الاشتراكيين تجاه إسرائيل، كما أن بعضهم اقترع لمصلحة الاشتراكيين لحمل هؤلاء على دعم إسرائيل. ومن شبه المؤكد أنه بسبب التغييرات التي حصلت في الأعوام الأخيرة في مكانة إسرائيل في المنظومة الدولية، ومن ضمن ذلك التغيير في الدعم المعلن تجاه إسرائيل، حتى من جانب أحزاب الوسط واليمين المعتدلة، فقد انخفض وزن «الاعتبار الإسرائيلي» في قرارات يهود فرنسا بشأن تصويتهم في الانتخابات العامة. ويجدر الافتراض أن اليهود في الانتخابات المقبلة سوف «يوزعون» أصواتهم بطريقة أكثر طبيعية بين الأحزاب المختلفة. وبطبيعة الحال ففي الانتخابات الوطنية لا يوجد للصوت اليهودي وزن مماثل لذاك الذي كان له في الماضي في الولايات المتحدة. ومن الواضح أن هذه الأمور ليست خافية عن أنظار زعماء الأحزاب المختلفة في فرنسا. ولذا فإن مواقفهم تجاه اليهود وإسرائيل تنبع من اعتبارات أخرى، إضافة إلى اعتبارات «الصوت اليهودي».

وأكثر مما هو الأمر في الولايات المتحدة ومثلما هو الأمر في الأرجنتين، فإن للأحزاب الإسرائيلية وجوداً معيناً بين جزء من يهود فرنسا، الذي ما يزال يؤيد الحركة الصهيونية، وينتمي من الناحية العاطفية على الأقل للأحزاب اليهودية المحلية المتفرعة عن الأحزاب الإسرائيلية. ولكن هنا أيضاً، فإن مكانة فروع الأحزاب الإسرائيلية هذه في فرنسا في مجمل السياسة اليهودية هي ضئيلة نسبياً. ولذلك، فعند البحث في العلاقات السياسية بين يهود فرنسا وإسرائيل، ينبغي علينا النظر في مسألة الدعم أو المعارضة لسياسة حكومات إسرائيل، أكثر من النظر في العضوية في الأحزاب المرتبطة بالأحزاب الإسرائيلية. ويتركز الدعم أو الانتقاد لحكومات إسرائيل

بالأساس على الموضوعات السياسية وليس على الموضوعات الاجتماعية أو على الخلافات بين العلمانيين والمتدينين في إسرائيل. ويحظى اليمين الإسرائيلي بدعم لا بأس به بين يهود فرنسا. ولكن يبدو أن أولئك المعنيين بإسرائيل يأتون من أوساط اليسار، وهؤلاء يؤيدون السياسة الإسرائيلية لحكومات «المعراخ» العمالية. وأي سياسة معتدلة لحكومة إسرائيل في النزاع العربي- الإسرائيلي ودعم هذه السياسة هي أمور مريحة ليهود فرنسا. هذا لأنها تتماشى مع ما هو مألوف كمصالح فرنسية، كما تجد تعبيراً عنها في السياسة التقليدية للحكومات الفرنسية منذ العام ١٩٦٧.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: إذا حصل مزيد من التطبيع في مكانة إسرائيل في الشرق الأوسط، فالأرجح الافتراض أن «الاعتبار الإسرائيلي» كعامل مؤثّر في تصويت يهود فرنسا، سيتضاءل أكثر بالمقارنة بالوضع الحالي. وهكذا فإن الانتماء السياسي وتصويت هؤلاء اليهود سوف يكون على أساس اعتبارات فرنسية داخلية، وبالنسبة إلى قلة من اليهود سيكون على أساس اعتبارات تتعلق بمكانة ورفاه الجالية اليهودية. ومن المتوقع حدوث هبوط آخر في مكانة فروع الأحزاب الإسرائيلية في فرنسا، بحيث يصبح الدعم أو الانتقاد الموجه للحكومة الإسرائيلية وفقاً لقبول أو رفض السياسة الإسرائيلية بحد ذاتها، وليس استناداً لاعتبارات الرابطة بين إسرائيل وهذه الجالية.

(٤) البنية المؤسسية

مرة أخرى وكما هو الأمر في مهاجر/ الشتات اليهودية الأخرى تبنت الجالية اليهودية في فرنسا لنفسها استراتيجية جماعية (Communal) بارزة ذات عناصر نقابية. وتهدف هذه الاستراتيجية إلى خدمة غالبية أولئك الذي يعرفون أنفسهم بأنهم يهود وهذا على الرغم من أن جزءاً صغيراً من يهود فرنسا يقيم علاقة مع المؤسسات أو يشارك في النشاطات اليهودية المختلفة.

وبسبب الطابع الأحادي لمنظومة الإدارة الفرنسية، وبسبب مدى المركزية الكبير المميز أجهزة السلطة هناك، وبسبب التركيز الكبير لليهود في باريس وفي عدد من المدن الكبيرة الأخرى، فإن طبيعة تنظيم الجالية اليهودية في فرنسا هي طبيعة مركزية، بالمقارنة، مثلاً، مع الجالية اليهودية في الولايات المتحدة، التي تتميز كما قلنا ببنية فدرالية. ومع ذلك، فلقد أقيمت في فرنسا أيضاً شبكة واسعة ومتشعبة من المنظمات التي تحرص على تقديم الخدمات المطلوبة من جانب أفراد الجالية. وبصفة عامة، فإن المنظمات اليهودية في فرنسا هي منظمات متخصصة بمهام ضئيلة، وليست مؤسسات شاملة تعالج مجموعة واسعة ومتنوعة من الموضوعات. ومرة أخرى، وخلافاً للوضع

في مؤسسات الجالية اليهودية في الولايات المتحدة، فإن السيطرة شبه المطلقة على هذه المنظمات موجودة بأيدي زعماء وناشطين وليس في أيدي محترفين كبار، عددهم هنا قليل نسبياً.

إن المنظمات المركزية الثلاث ليهود فرنسا الموجهة لضمان الحياة الجماعية ـ النقابية (Corporative) هي:

أولاً مجلس الجالية التي يعالج الشؤون الدينية والتربوية ـ الدينية للجالية اليهودية. ومجلس الجالية الذي عالج في السابق شؤوناً كثيرة تتعلق بأفراد الجالية والذي يعتبر ذا مكانة شبه رسمية في المنظومة السياسية الفرنسية، يجمع في داخله منظمات إقليمية ومحلية. وفي ضوء عمليات العَلْمنة من جهة، وعمليات التوجه نحو التزمت الديني (الأصولية) من جانب الجماعات الدينية اليهودية، من جهة أخرى، تقلصت مهام مجلس الجالية. والمؤسسات المركزية الأخرى التي أقيمت من جانب الجالية انتزعت جزءاً بارزاً من مهمة التمثيل ومن المهام التي عالجها مجلس الجالية في الماضي. كذلك فإن مكانة مجلس الجالية المعروف بتضامنه مع التيار اليهودي الأرثوذكسي (التمسك بالنص) قد تضاءلت أكثر بسبب إقامة مؤسسات يهودية منافسة.

والمنظمة الهامة **الثانية** التي أقيمت من جانب هذا الجالية هي الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد. ومهام هذا الصندوق هي تخطيط وملاءمة الأنشطة الاجتماعية والثقافية والتربوية لدى الجالية. ويتلقى الصندوق الاجتماعي التمويل اللازم من الجباية الموحدة ليهود فرنسا. وهو يخصص الأموال لتمويل احتياجات الجالية من جهة وتحويل الأموال إلى إسرائيل من جهة أخرى. ولهذه المنظمة فروع إقليمية تقوم بواسطتها بالعمل في أرجاء الدولة.

والمنظمة الهامة **الثالثة** هي منظمة «كريف» ـ أي هي المجلس التمثيلي ليهود فرنسا، وهذه منظمة تشبه من ناحية مهامها مؤتمر الرؤساء في الولايات المتحدة. ومنذ إقامتها بعد الحرب العالمية الثانية تحولت هذه المنظمة إلى ممثلة ومتحدثة شبه رسمية باسم يهود فرنسا تجاه مؤسسات السلطة في الدولة المضيفة، وتجاه مؤسسات الاتحاد الأوروبي. وهذه المنظمة إلى جانب الفرع الفرنسي للمؤتمر اليهودي العالمي، تمثل الجالية اليهودية الفرنسية، وذلك أيضاً في المنتديات اليهودية خارج فرنسا.

ونظراً إلى أن الروابط المؤسسية بين إسرائيل وبين هذا المهجر/الشتات (وهي الروابط التي أطلق عليها هنا «روابط متوسطة») تتم بواسطة المنظمات العامة للجالية، التي تتعاطف بشكل عام مع إسرائيل وتؤيدها، فقدت المنظمات الصهيونية والأحزاب الصهيونية في فرنسا بعضاً من قوتها، التي لم تكن أبداً كبيرة للغاية. ومع

ذلك فإن مجموعات كبيرة للغاية من أفراد الجالية، وبخاصة الزعماء القدامى، تظهر الولاء للأحزاب الإسرائيلية الكبيرة، وتحافظ على العلاقات معها. وهذه الروابط قائمة بصفة خاصة مع حزب العمل من جهة، ومع حزب الليكود من جهة أخرى. كذلك فإن الأحزاب الدينية في إسرائيل تقيم علاقات مع مجموعات في هذه الجالية، وتحصل على دعم معين منها. وهذه العلاقات مهمة بشكل خاص بالنسبة إلى الحركة الصهيونية وإلى زعامة الوكالة اليهودية.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: من الصعب الافتراض بأنه ستطرأ في المستقبل القريب تغييرات بعيدة المدى في هذا النطاق. وبسبب تقلص عدد الأفراد الناشطين في الجالية اليهودية بشكل عام، وفي الأحزاب الصهيونية بشكل خاص وبسبب التغييرات الديمغرافية (مثل الانسحابات الأخرى من الجالية) وبسبب الصعوبات في جمع الأموال، مثلما هو الأمر في جوالٍ يهودية اخرى، كذلك ففي هذه الجالية أيضاً سيطرأ انكماش تنظيمي ومؤسسي، كما ستجري محاولة لتوحيد المهام وإناطتها بأيدي المنظمات القطرية المركزية. ولكن هنا وخلافاً للولايات المتحدة، فإن نقل المهام هذا سيتم في اتجاه المؤسسات المركزية في باريس، وليس إلى أيدي المؤسسات في الجوالي المحلية المختلفة.

ومن ناحية الروابط الوسيطة مع إسرائيل فمن المفهوم أن تركيزاً أكبر للمهام سيسهل قيام روابط بين المؤسسات المركزية للجالية اليهودية الفرنسية وحكومة إسرائيل، إلا أن الحاجة والإمكان العملي لاستغلال هذه الروابط من جانب إسرائيل سيكونان مقلصين، ربما باستثناء إمكان مساعدة إسرائيل في كل ما يتعلق بالاتحاد الأوروبي.

(٥) دور الجالية في الشبكات اليهودية ما فوق الدول

الانغلاق النسبي للجالية اليهودية الفرنسية، النابع من التمسك بالثقافة الفرنسية والإدراك الذاتي بأهمية هذا المركز منع انخراطاً أكبر لهذه الجالية في الشبكات اليهودية ما فوق الدول. ومع ذلك فإن الجالية اليهودية تملك علاقات مع جهات مختلفة في العالم اليهودي. والعلاقات التي تقيمها هذا الجالية على هذا الصعيد هي بصورة رئيسة في اتجاهين: **الأول** هو العلاقة مع إسرائيل، والاتجاه **الثاني** هو العلاقة مع بقايا الجوالي اليهودية في شمال أفريقيا. والعلاقات مع إسرائيل هي علاقات مباشرة (وبخاصة بين الجالية وبين اليهود الذين هاجروا من فرنسا إلى إسرائيل)، وعلاقات وسيطة تجري بواسطة المنظمات. وبسبب القيود النسبية المفروضة من جانب الأنظمة هناك فإن العلاقات بين يهود فرنسا وبقايا الجوالي اليهودية في شمال أفريقيا تتم بواسطة مؤسسات الجالية الفرنسية.

ومع ذلك وكما قلنا فإن موقع هذه الجالية اليهودية لم يغب عن عدد من شبكات العلاقات والأنشطة اليهودية على المستوى ما فوق الدول: وهكذا وعلى سبيل المثال، عشية انهيار الاتحاد السوفياتي، أصبحت الجالية اليهودية في فرنسا أكثر مشاركة في الجهود الهادفة لضمان حقوق يهود الاتحاد السوفياتي وفي الجهود الرامية لتمكين هذه الجالية من الهجرة من هناك. فقد استغل عدد من زعماء الجالية علاقاتهم مع الرئيس ميتران، ومع الحزب الاشتراكي، ومع مؤسسات الاتحاد الأوروبي بهدف مساعدة يهود الاتحاد السوفياتي.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: بسبب المكانة المركزية ليهود فرنسا في الشعب اليهودي، وبسبب الازدهار الثقافي اليهودي، وبسبب التطورات في أوروبا، وبسبب تطور الشبكات الإلكترونية ما فوق الدول، وبسبب عمل حثيث أكثر للكونغرس اليهودي العالمي، فمن المحتمل أن تعاظم الجالية اليهودية الفرنسية من مشاركتها في الشبكات اليهودية ما فوق الدول. وحتى من الصعب توقع تعزز العلاقات الوسيطة مع إسرائيل. ولذا فإن التطور الرئيس في هذا المجال سيحدث في اتجاه تعميق الروابط بين الجالية اليهودية في فرنسا وبين الجوالي اليهودية في العالم الانغلوسكسوني، وأوروبا وفي شمال أفريقيا.

(٦) تقييم شامل بشأن قوة الجالية

على الرغم من الخسائر المستمرة في عدد أفراد الجالية وعلى الرغم من عمليات الذوبان والاندماج والانقطاع، فإن هذه الجالية ما تزال تحافظ على مستوى عال للغاية من وحدة الصف وعقب ذلك، على العمل في موضوعات حيوية للجالية.

وكجسم جماعي فإن هذه الجالية ليست غنية جداً وتواجه مشاكل مالية صعبة، ولكن بالأساس بسبب التبرعات الكبيرة من جانب اليهود الأثرياء، فإن هذه الجالية تنجح في تمويل نشاطاتها الضرورية. والمركزة التنظيمية والمؤسسية في هذه الجالية التي من شبه المؤكد ستتعاظم بسبب الصعوبات المالية التي تتخبط فيها الجالية، والزيادة في احتياجاتها في ضوء التغييرات الديمغرافية التي تشهدها هذه الجالية وكذلك جوالٍ أخرى كثيرة، هذه المركزة، تسهل إلى حد معين على الجالية النهوض بالأعباء التي تأخذها على عاتقها.

والعامل الوحيد المهم الذي يمنح هذه الجالية خصوصيتها في الشعب اليهودي، هو النهضة والازدهار الثقافي العميق اللذان كان لهما تأثير في تغيير واضح في اتجاهين: الزيادة في عدد اليهود المتدينين وارتفاع الوعي اليهودي والهوية اليهودية

لدى العديد من الشبان اليهود. وهاتان العمليتان تضمنان أيضاً قدراً من الاستمرارية وكبح الميل نحو الانكماش الزائد لدى الجالية.

٣-٢-٢ عوامل متدخلة

(٧) الهوية وإبراز اليهودية

حتى الحرب العالمية الثانية مال اليهود الغربيون(الاشكنازيون) الذين شكلوا قلب الجالية اليهودية القديمة في فرنسا، إلى التطلع نحو امتلاك ثقافة جديدة، ومن ثم إلى التكامل الكامل. وبعد ذلك إلى الاندماج وحتى للذوبان في المجتمع المضيف. أي أن هدف العديد من أفراد هذه الجالية كان الذوبان. ولأسباب مفهومة بعد الحرب العالمية الثانية تغير الميل في أوساط هذه المجموعة. وعاد أفراد الطبقات القوية في الجالية إلى العمل داخلها. بل إنهم دعموا بشكل محدود (حتى لا يتهموا بالولاء المزدوج) نضال الحركة الصهيونية لإحراز السيادة في أرض إسرائيل، وفي إسرائيل بعد إقامتها. أما الوضع في أوساط اليهود الشرقيين (السفارادين) في هذه الجالية فكان مختلفاً، فهؤلاء حافظوا جيداً على هويتهم اليهودية، ولم يخشوا من إبراز هويتهم اليهودية.

ومن ناحية إمكان المحافظة على الهوية اليهودية وإبرازها، فقد كان الوضع في كل الدول المضيفة تقريباً مع نهاية القرن العشرين أفضل مما كان عليه بالمقارنة بفترات سابقة. ففي فرنسا أيضاً دفعت المطالبة بالاعتراف بإثنية مجموعات مختلفة (مثل الكورسيكيين والبريتونيين) اليهود هناك إلى التمسك بهويتهم وإلى إبرازها. وذلك على الرغم من مظاهر اللاسامية وانفجارات لا سامية فظة كانت تصبح عنيفة أيضاً أحياناً من جانب مجموعات قومية ومجموعات فاشية. وهذه الانفجارات التي حدثت في الثمانينيات وخفت في بداية التسعينيات، أدت إلى تعزيز الميل إلى إبراز الهوية اليهودية وبخاصة في أوساط الشبان اليهود. والوجه الآخر لتلك العملة نفسها هو كما قلنا تسهيل إمكان للزواج المختلط والذوبان والاندماج.

ورغم أنه كانت هناك زيادة معينة في إبراز الهوية اليهودية على أساس ديني، وهو أمر يمكن للمجتمعات المضيفة أن تهضمه بسهولة بعامة، إلا أن الزيادة الأكثر جوهرية في إبراز الهوية اليهودية كانت بالذات على أساس اثني. وهنا يتضح تأثير إضفاء شرعية أكبر للمحافظة على الهوية الإثنية في المجتمع الفرنسي بشكل عام، وللإبراز العلني للهوية بشكل أكبر لمن ينتمون إلى مجموعات إثنية. وقسم من هؤلاء الذين لا يخشون إبراز يهوديتهم، عزز أيضاً علاقاته مع إسرائيل، دون أن يقبل مركزية الدولة اليهودية في الشعب اليهودي. وهذا يعني أنه طرأ أيضاً تزايد في إبراز اليهود ليهوديتهم على أساس إثني - قومي.

وفي أوساط الأفراد البالغين أكثر في الجالية فقد كان للزعماء القول الفصل في هذا الاتجاه. أما في أوساط مجموعات الأفراد الشبان في الجالية اليهودية فإبراز الهوية كان عفوياً وشخصياً بصورة أكبر. وجزء من إبراز الهوية هذا كان بدافع من مثقفين متأثرين بما بعد الحداثة، والتي تركز على شرعية «الآخر» في هذا النطاق أيضاً. وبشكل عام فإنه يبدو أن دور الزعامة في قيادة الجالية من هذه الناحية ليس كبيراً كما هو الأمر في جوالٍ يهودية أخرى.

على أساس التحليل الآنف الذكر، فالتقدير هو أن التوتر الرئيس في هذه الجالية هو بين أولئك الذين يتبنون استراتيجية التخلي عن اليهودية وبين أولئك الراغبين بالمحافظة على الهوية، وبالتالي أيضاً على الجالية ومؤسساتها.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: طالما استمر الازدهار المتجدد للإثنية في أوروبا، فإن ميل النواة الصلبة في هذه الجالية للحفاظ على الهوية لن يتناقص. وفي المقابل أيضاً فإن تخلي يهود لا مبالين ويهود هامشيين وأفراد العائلات المختلطة عن الديانة اليهودية سوف يستمر.

(٨) السلطة والولاء المزدوج

بسبب الحساسية التاريخية الكبيرة في فرنسا للجانب القومي ولهيمنة الشعور القومي الفرنسي، فإن قضية ولاء يهود فرنسا وأقليات إثنية أخرى تطرح كثيراً على جدول أعمال المجتمع المضيف والحكومة المضيفة. وكما نذكر فقد تبنت أوساط واسعة بروتوكولات حكماء صهيون، وكما هو معلوم فإن النقاش حول مسألة ولاء الجالية اليهودية قد بلغ ذروته في قضية درايفوس. وحتى بعد إقامة إسرائيل، كانت مسألة الولاء المزدوج تثور من حين لآخر، مثلما حدث في قضية زوارق شيربورغ. وعلاوة على ذلك، ففي فرنسا، كما هو الأمر في عدد من الدول الأوروبية الأخرى، كان هذا الموضوع مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً مع مظاهر اللاسامية الفظة. وكانت إحدى نتائج هذه القضايا هي الحذر الذي أظهرته المجموعة الأشكنازية القديمة لناحية عدم إبراز يهوديتها، وذلك لسحب البساط من الادعاءات التي تتحدث عن الولاء المزدوج. ولم تكن مشكلة الولاء المزدوج عن إزعاج يهود فرنسا الذين ما يزالون حذرين جداً في هذه المسألة. وبصفة عامة فإن الشبان اليهود يخشون أقل من التضامن العلني مع إسرائيل أو مع الشعب اليهودي.

ويبدو في هذا السياق أنه ينبغي أن نعزو الضعف التقليدي النسبي للحركة الصهيونية في فرنسا ليس فقط لميول قوية للاندماج في المجتمع المضيف، وليس فقط للتماثل الكبير مع الثقافة الفرنسية، وليس فقط لانعدام الاهتمام بما يجري في أرض

إسرائيل وفي إسرائيل وإنما أيضاً للمخاوف من تهمة الولاء المزدوج.

لكن التحرر من الخشية من أن يتهموا بالولاء المزدوج، والتأكيد الجديد على الهوية اليهودية التي تقوم جزئياً على مفهوم اثني - قومي وليس على مفهوم اثني - ديني، حصلا ووصلا إلى النضج في المرحلة التي صار ينظر فيها إلى إسرائيل كمن تمتلك قدرة كبيرة (وهي عملية بدأت بعد حرب العام ١٩٦٧)، وليست بحاجة إلى مساعدة تعرض للخطر مكانة هذا المهجر/الشتات. وبالفعل فإن المظاهر المعادية لليهودية في الآونة الأخيرة لا تقوم على تهم متعلقة بالولاء المزدوج ليهود فرنسا، وإنما على ادعاءات أخرى مثل حرمان فرنسيين من مراكز اقتصادية ونحو ذلك. ومع أن هذا الأمر ليس المحرك المركزي للمشاركة الضئيلة والنسبية ليهود فرنسا في الشبكات اليهودية ما فوق الدول، ولكن هذه الحقيقة أيضاً تقلّل من احتمال اتهامهم كمن يظهرون ولاء مزدوجاً.

وباستثناء عدد من الحالات كان يمكن للتورط الإسرائيلي فيها خلق صورة من الولاء المزدوج، ووضع اليهود أمام معضلة، مثل قضية توريد السلاح الفرنسي لإسرائيل عشية حرب ١٩٦٧، وقضية تهريب زوارق شيربورغ، وقضايا متعلقة بعمليات تخريب لمعدات فرنسية زود بها العراق، فإن إسرائيل امتنعت عن استدرار عطف هذه الجالية لدعمها في صراعاتها، أو للاستعانة بخدماتها بالطريقة نفسها وبالحجم نفسه اللذين قامت إسرائيل فيهما باستدرار عطف الجالية اليهودية في أمريكا أو بطلب خدمات هذه الجالية.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: إذا ما أخذنا بالحسبان العوامل المختلفة المؤثرة على هذا النطاق فإنه بالإمكان الإشارة إلى أن التعاظم الخطير جداً لظاهرة اللاسامية فقط، والحاجة إلى المساعدة الإسرائيلية أو اليهودية، هي الأمور التي ستجعل يهود فرنسا يظهرون ولاء أكبر مما هم يظهرونه الآن تجاه إسرائيل.

٣-٢-٣ النتائج

(٩) الاستراتيجية الرئيسة التي يتبناها المهجر/الشتات اليهودي الفرنسي

في هذه الحالة فإن الاستراتيجية الرئيسية التي تنتهجها النواة الصلبة ليهود فرنسا هي استراتيجية جماعية (Communal) ذات لون نقابي (Corporative). أي أنه كما كان عليه الأمر في الماضي، ومثلما هو الحال الآن أيضاً، فإن التركيز هو على الحفاظ على وحدة صف كبيرة قدر الإمكان للجالية، تفسح في المجال للحفاظ على عدد الأفراد في الجالية وربما حتى على تطويرها، على أمل كبح عمليات التقلص في عدد أفراد

الجالية، وفي حجم مشاركتهم في حياتها. وأيضاً في حالة هذه الجالية فإن هذه الاستراتيجية تلائم جيداً الظروف السائدة في المجتمع المضيف في فرنسا، كما تلائم تقاليد المهجر/ الشتات. أي أن هذه استراتيجية لا تثير معارضة أكبر مما ينبغي في قطر مضيف، مثل فرنسا، كان قد أظهر في الماضي حساسية كبيرة لمسائل ولاء هذا المهجر/ الشتات.

وعلاوة على ذلك فإن هذه الاستراتيجية تلائم جيداً المهجر/ الشتات اليهودي الفرنسي، الذي يود البقاء كعامل متكامل مع الثقافة ومع المجتمع المضيف، ولا يريد أن يتماثل بصورة كاملة مع إسرائيل. ولكن يريد أيضاً المحافظة على هوية ذاتية وعلى علاقات معينة مع الدولة اليهودية، التي لا تبدو في نظر اليهود في فرنسا على أنها المركز الوحيد للشعب اليهودي، والتي أدارت حتى الآن، في نظر كثير منهم، سياسة إشكالية بشأن النزاع العربي ـ الإسرائيلي، أو على الأقل سياسة لم تتلاءم وسياسة الحكومات الفرنسية منذ حرب العام ١٩٦٧.

وفي هذه الحالة فإن الاستراتيجية الجماعية تتعزز كما قلنا على أسس نقابية (Corporative)، أي أنها تتعزز من طريق حقيقة أن الجالية اليهودية الفرنسية أقامت لها منظمات مألوفة كمؤسسات تمثل بصورة شبه رسمية المهجر/ الشتات أمام السلطات الفرنسية ـ ونعني بذلك مؤسسة (كريف) ومؤسسة مجلس الجالية.

إن مدلول انتهاج هذه الاستراتيجية المعقدة هو- خلافاً لما هو قائم في المجموعات المؤيدة لإسرائيل، وبخاصة تلك الموجودة بين الشبان من أفراد الجالية ـ ان الجالية المأسسة ستحافظ على علاقات لائقة مع دولة إسرائيل، ولكنها لن تظهر قربى خاصة إليها. كما أنها لن تسمح بتدخل إسرائيلي زائد في شؤونها، ولن تسمح باستدرار عطفها من جانب رجال دولة أو مبعوثين إسرائيليين.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: بقدر ما يمكن توقعه في مجال التطور المستقبلي في هذا النطاق، فلا يبدو أن النواة الصلبة ستظهر ميلاً لإحداث تغيير جوهري في الاستراتيجية الرئيسة التي تبنتها منذ وقت بعيد والتي أدت إلى نتائج مُرضية ـ من وجه نظر الجالية ـ لناحية إيجاد توازن معقول بين الولاء لفرنسا وللشعب اليهودي.

(١٠) العلاقات والروابط مع إسرائيل

الروابط المباشرة: بسبب ما تبديه هذه الجالية من اهتمام بإسرائيل منذ العام ١٩٦٧، وبسبب القرب الجغرافي النسبي لفرنسا من إسرائيل، ونطاق الروابط على

المستوى الشخصي، وبخاصة الروابط مع أفراد العائلة الذين يعيشون في إسرائيل (وهنا ينبغي ان نذكر بصفة خاصة الروابط بين اليهود الشرقيين (السفارادين) في فرنسا الذين يعودون في أصولهم إلى شمالي أفريقيا، وبين اليهود الشرقيين في إسرائيل)، الزيارات إلى إسرائيل بهدف السياحة وزيارة الأقارب، واستضافة زوار من إسرائيل والتحويلات المالية أحادية الجانب على نطاق محدود للغاية، كل ذلك هو أساس ثابت إلى حد كبير في علاقات هذا المهجر/ الشتات والأفراد بإسرائيل. كلها ورغم أنه من الصعب قياس هذه العلاقات بدقة، إلا أنه يبدو أنها علاقات ثابتة.

الروابط الوسيطة: مع تزايد مشروعية الحفاظ على الهوية الإثنية وعلى الروابط بين مهاجر الشتات الإثنية ـ القومية وبين الدولة الأم، ومع تحسن العلاقات بين الحكومة الفرنسية والحكومة الإسرائيلية الذي حصل بعد استئناف عملية السلام في عقب مؤتمر مدريد، بدأت تلحظ أيضاً حرارة وتقارب في علاقات الجالية والحكومة الإسرائيلية. وهكذا أصبح زعماء الجالية على استعداد الآن لإبراز قربهم من حكومة إسرائيل بشكل علني. ومع ذلك، فإن زعماء الجالية يمتنعون الآن أيضاً من الاقتراب أكثر من اللازم قد يخلق انطباعاً بوجود ولاء مزدوج وخاصة في ضوء تزايد التوتر بين مجموعات في اليمين الفرنسي وبين مهاجر الشتات الإثنية ـ القومية من شمالي أفريقيا. ولأسباب واضحة فإن زعماء الجالية يظهرون حذراً معيناً في هذا النطاق، وهم حريصون على القدر الصحيح من حرارة العلاقات مع إسرائيل.

لذلك يلاحظ استقرار على مستوى العلاقات بين منظمات الجالية الفرنسية والمنظمات في إسرائيل (إدارة الوكالة اليهودية، كيرن هيستود ـ الصندوق الأساس ـ وخلافه). وهذا الأمر يبرز بشكل خاص في مجال تخصيص أموال الجباية الموحدة- الصندوق الأساس لإسرائيل: وفي هذه الحالة أيضاً تتم المحافظة على وضع يُوجه فيه معظم التبرعات لتمويل احتياجات الجالية نفسها، وذلك في ضوء الحرص على «استمرارية» هذه الجالية، وفي ضوء الصعوبات الكبيرة على صعيد جمع الأموال للاحتياجات القومية المختلفة.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: ليس من المتوقع حدوث تغيير جوهري على مستويي العلاقات مع إسرائيل.

٤-٢-٣ المعضلات الرئيسة التي تواجه الجالية

ضمان استمرار الجالية: مثلما هو الأمر في جميع مهاجر الشتات اليهودية الأخرى فإن المشكلة المركزية التي تواجه الجالية اليهودية في فرنسا هي الاستمرارية. وهنا أيضاً فالجالية تتصدى للميول المتناقضة المتمثلة في شرعية وجود مهجر/ شتات

إثني ـ قومي من جهة، وإمكان التخلي عن المجموعة من جهة أخرى. ونظراً لأنه ما يزال هناك إحساس في هذه الجالية بالزخم الكبير الذي بدأ بعد هجرة يهود شمال أفريقيا إلى هناك، بعد اليقظة الكبيرة التي حصلت داخل الجالية بعامة، أي في جزئها الاشكنازي أيضاً عقب الهجرة من شمال أفريقيا، وبعد الاعتراف بالمكانة الجديدة للجالية في فرنسا نفسها وفي العالم اليهودي فإنه سوف تبقى هنا أيضاً نواة صلبة كبيرة للغاية، تضمن استمرارية الجالية في الأعوام المقبلة. وهنا أيضاً وكما هو الوضع في الولايات المتحدة، فالقاعدة الرئيسة للهوية ستكون الأساس الإثني والديني (وليس بالذات الأساس الاثني-القومي). ومع ذلك، فإنه ليس ثمة شك في أن الخشية من «زوال» الجالية ستحرك زعماءها لاتخاذ خطوات لضمان الاستمرارية.

المركز والمحيط في الشعب اليهودي: كما قلنا فإن النواة الصلبة في الجالية ستحاول ضمان استمرار وجودها كمركز يهودي هام، يتمتع باستقلال ذاتي في أوساط الشعب اليهودي، وقادر على أن يحدد المقدار الدقيق للارتباط بمراكز يهودية أخرى، وبخاصة مع إسرائيل. ولكن يبدو منذ الآن أن زعماء هذه الجالية يحاولون تحسين علاقاتهم مع جوالٍ يهودية أخرى، وبخاصة مع الجالية اليهودية في الولايات المتحدة. والهدف هنا هو عدم التخلي عن مركزية الجالية، وإنما الاستعانة بتجربة جوالٍ أخرى لضمان استمرارية الجالية.

٣-٣ الجالية اليهودية في بريطانيا

ملاحظة تمهيدية: على الرغم من كبر حجم الجالية اليهودية في بريطانيا من ناحية عدد أفرادها، وعلى الرغم من ظروف اجتماعية وسياسية مريحة نسبياً استخدمت كخلفية لتطورها، وربما بالذات بسبب الحقيقة الأخيرة، باستثناء فترات قصيرة (مثلما هو الأمر في نهاية الثلاثينيات ومنتصف الأربعينيات)، فإن هذه الجالية لم تقم أبداً بدور مركزي في حياة الشعب اليهودي. وأحد أسباب الهامشية النسبية لهذه الجالية يعود إلى أنه لم يحصل أبداً داخلها غليان ثقافي كذلك الغليان الذي حصل داخل مهاجر الشتات في شرقي أوروبا وفي أرض ـ إسرائيل قبل الحرب العالمية الثانية، وفي الولايات المتحدة وفرنسا بعد هذه الحرب. وبهذه الروح فإن مراقبين كثيرين يميلون إلى تكرار الإشارة إلى «الفقر الثقافي» السائد في هذه الجالية. كذلك، لم يحصل أبداً في هذه الجالية غليان سياسي جوهري. وفي الفترات الحرجة وعندما كانت الجوالي اليهودية في أنحاء العالم وكذلك الجالية اليهودية في أرض إسرائيل تعيش في ضائقة، فإن الجالية اليهودية في بريطانيا لم تنجح في التجند والمشاركة بشكل جوهري، في الجهود التي بذلت من جانب مجموعات أخرى في الشعب

اليهودي لتقديم المساعدة لهذه التجمعات. وعلاوة على ذلك، ففي فترات معينة قامت هذه الجالية بوضع عراقيل على طريق تقديم المساعدة لليهود الذين يعيشون في ضائقة. هكذا على سبيل المثال ففي فترات الهجرة الكبيرة (كما في نهاية القرن التاسع عشر وبعد الحرب العالمية الثانية) حاولت هذه الجالية منع استيعاب مجموعات كبيرة من مثل هؤلاء المهاجرين في بريطانيا.

وبعد الحرب العالمية الثانية وكذلك أيضاً بعد إقامة إسرائيل، بقيت هذه الجالية منغلقة على نفسها، ومتحفظة وسلبية إلى حد كبير. وتتطلع هذه الجالية بصورة رئيسة إلى الحفاظ على «بروفيل» (ملامح) منخفض، يضمن إنجازات أفرادها في بريطانيا. وباختصار فإن هذه الجالية لم تظهر طاقة كبيرة في حل مشاكل يهودية وفي الغليان الثقافي، مثلما أظهرت في المحاولات للحفاظ على مكانتها في بريطانيا ذاتها.

٣-٣-١ عوامل أساس

(١) تأثير عمليات عالمية وبريطانية عامة:

نظرا إلى أن هذه الجالية تطورت في نظام اجتماعي وسياسي مريح نسبياً ونظراً إلى أنها عزلت نفسها، ونظرا لأنها بقيت غارقة في شؤونها الداخلية وبالأساس نظراً إلى أنها انشغلت في ضمان مكانتها في بريطانيا، لذا فإنها لا تتأثر بالقدر ذاته الذي تتأثر فيه الجوالي اليهودية في الولايات المتحدة وفرنسا وروسيا، من العمليات العامة التي تحصل الآن في العالم كله وذات الصلة بمهاجر شتات إثنية - قومية.

وفي هذا السياق المتعلق بالغليان الإثني الكبير تنبغي الإشارة إلى أن هذه الجالية قد ارتدعت عن رؤية نفسها كمجموعة اثنية. والتحسب الذي يولد مثل هذا التحفظ هو من تكوين صورة تحدث تماثلاً بين هذه الجالية وبين مجموعات إثنية أخرى في بريطانيا، مثل الباكستانيين والهنود والمجموعات الأخرى التي تعتبر «متخلفة» ومكانة أفرادها في بريطانيا تثير إشكاليات كثيرة.

هذا وأيضاً: فخلافاً للجالية اليهودية في فرنسا فإن الجالية اليهودية في بريطانيا تتأثر بصورة هامشية فقط من انضمام بريطانيا إلى الاتحاد الأوروبي. ويبدو أن هذه الجالية تحاول الحفاظ على بروفيل (ملامح) منخفضة بهدف المحافظة على «إنجازاتها».

وباختصار، فالاستنتاج المطلوب هو، إذا ما حصلت تغييرات جوهرية على مكانة ووضع هذه الجالية ـ فإن مصدرها سيكون داخلياً وليس خارجياً. ومن هنا يستخلص استنتاج آخر: أن قدرة استدرار عطف هذه الجالية من جانب قوى خارجية (مثل إسرائيل أو منظمات يهودية عالمية) هي قدرة قليلة.

وبصورة إجمالية فلأنه يبدو أن الهدف الأكثر أهمية لأفراد هذه الجالية اليهودية هو الوصول إلى درجة اندماج كبيرة مع المجتمع البريطاني، فإنها حاولت وما تزال تحاول محاكاة المزاج العام في بريطانيا، ومحاكاة طرق العمل البريطانية، والميول السياسية ـ المركزية في المجتمع وفي النظام السياسي البريطاني. وهناك حاجة للإشارة إلى أن الجالية تفعل ذلك بقدر لا بأس به من النجاح: الأمر الذي يؤثر في «اللامبالاة» الثقافية الاجتماعية والسياسية لهذه الجالية.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: من الصعب توقع ظهور عوامل جوهرية تقود إلى تغييرات بعيدة المدى في هذا النطاق من حياة الجالية اليهودية في بريطانيا. ولهذا السبب، فإنه من شبه المؤكد أن تواصل هذه الجالية البقاء منغلقة في داخل ذاتها، أن تحاول عزل نفسها عن عمليات عالمية وأوروبية، وأن يواصل أفرادها التطلع إلى إحراز مستويات أعلى من الاندماج في المجتمع البريطاني. وكما قلنا فإذا ما حصل أي تغييرات في الموقف في هذا النطاق، فإن هذه التغييرات ستأتي فقط من داخل الجالية نفسها.

(٢) وحدة الصف الاجتماعية والسياسية والانتماء السياسي:

بالمقارنة مع الجالية اليهودية في فرنسا أو في الولايات المتحدة فإن الجالية اليهودية في بريطانيا هي جالية متجانسة من ناحية «أصل» أفرادها ومن الناحية الاجتماعية والسياسية: ففي هذه الجالية لا توجد هوة حقيقية بين يهود اشكنازيين وسفاراديين، كما لا يوجد شرخ بين أفراد «جدد» وأفراد قدامى في الجالية (والحقيقة البسيطة هي أن هذه الجالية لم تستوعب أعضاء جدداً منذ نهاية الحرب العالمية الثانية). وكذلك من ناحية المكانة الاجتماعية ـ الاقتصادية لهذا المهجر/ الشتات، فهذه هي جالية متجانسة جداً: غالبية أفراد الجالية ينتمون إلى الشريحة ـ المتوسطة ـ الدنيا وحتى العليا. ومستوى ثقافة أبناء الجالية يبعث على الرضى على الرغم من أنه بالمقارنة مع جوالٍ يهودية في الولايات المتحدة وفي فرنسا فإن نسبة أصحاب التعليم العاليَ فيها منخفضة. كذلك فإن الهوات بين المتزمتين (الحريديم) (الذين تزايد عددهم في هذه الجالية أيضاً) والمتدينين (وحسبما هو متوقع فقد ظهر في هذه الجالية معظم التيارات الرئيسة في الديانة اليهودية) والعلمانيين ليست كبيرة مثلما هو الحال في جوالٍ أخرى. أي أنه من هذه الناحية أيضاً فإن الجالية تعرض «جواً مكيفاً ومريحاً». وكما هو حال جوالٍ يهودية في دول مضيفة أخرى كذلك في بريطانيا أيضاً، فإن هذه الجالية هي في أساسها جالية حضرية، حيث إن الغالبية الكبيرة من أفرادها تقيم في مراكز تقليدية كبيرة، وبخاصة في العاصمة لندن. وهناك عامل آخر أسهم في استقرار هذه

١٦٣٧ - ٦

الجالية: فعملياً ليس هناك هجرة داخلية لليهود تتسبب في تفريغ أو نشوء جوالٍ يهودية محلية جديدة. ومن هذه الناحية أيضاً لا توجد شروخ عميقة ومصالح متناقضة بين جوالٍ محلية مختلفة.

وفقط في النطاق السياسي الداخلي، يختلف الوضع قليلاً. ففي النصف الأول للقرن العشرين ولأسباب تتعلق بالوضع الاجتماعي- الاقتصادي (وكانت هذه هي الفترة التي سبقت الازدهار الاقتصادي لأفراد الجالية وانتقالهم الهائل إلى حلقات الشريحة المتوسطة) أيدت غالبية الجالية اليهودية حزب العمال. وقد اظهر حزب العمال اهتماماً أكبر بأفراد الجالية. وبالمقارنة مع حزب المحافظين والحزب الليبرالي آنذاك، فقد مكن حزب العمال الكثيرين من المهاجرين اليهود الجدد من الاندماج بصورة أفضل في النظام السياسي (ولكن تنبغي الإشارة هنا إلى أن يهوداً من أفراد الشريحة المتوسطة اندمجوا في حزب المحافظين وفي الحزب الليبرالي ابتداءً من نهاية القرن التاسع عشر). ولقد أدى التغيير التدريجي في الوضع الاقتصادي، والحراك الاجتماعي نحو الأعلى إلى إحداث تغيير في الميول السياسية لدى أفراد آخرين في الجالية اليهودية البريطانية. وبشكل تدريجي تخلى الكثيرون منهم عن حزب العمال، وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية.

كذلك فإن التخلي عن حزب العمال جاء أيضاً كرد فعل على سياسة العداء والقيود التي أنتهجتها حكومة العمال بزعامة أتلي وبيفن تجاه «اليشوف» (المستوطنون) اليهود في أرض إسرائيل وتجاه الحركة الصهيونية. وتعاظم التخلي عن حزب العمال أكثر ابتداء من الستينيات. وفي تلك الفترة توجه يهود من أبناء الشريحة المتوسطة الدنيا إلى حزب المحافظين الذي فتح أبوابه أمامهم. ولكن بسبب اللاسامية الخفية التي بقيت في بعض قطاعات هذا الحزب فقد وجد يهود آخرون وخاصة من الأوساط المثقفة طريقهم إلى الحزب الليبرالي الذي جدد وجهه. وكانت النتيجة أنه في المجال السياسي الداخلي فإن مدى تجانس أفراد الجالية كان أقل مما هو عليه في مجالات أخرى. ومع ذلك، ووفقاً للتقاليد البريطانية فقد حوفظ على قدر كبير من الجنتلمانية في العلاقات بين مؤيدي الأحزاب المختلفة، وبالنسبة إلى إمكان العمل المنسق في شؤون يهودية.

لذا، فإنه ليس ثمة شك في أن الميل الجلي والغيور للمحافظة على الخصوصية المميّزة الآن لأفراد الجالية اليهودية الذين تأثروا من هذه الناحية بمعايير السلوك البريطانية العامة هو العامل الرئيس للتعددية الفردية، أو بلغة أوضح إلى تفكك الجالية. وهذا الميل يؤدي هنا أيضاً إلى قدر زائد من اللامبالاة إزاء الانتماء إلى لجالية، وبالطبع أيضاً إزاء العمل في إطار الجالية. ويزعم عدد من المراقبين أن هذه الميول

الفردية، والحرص الغيور على الفردية وتفضيل مصالح خاصة على المصالح والأطر الجوالية، تخلق وضعاً في شكوك إن كان يمكن إخفاء سمة الجالية على المجموعة اليهودية في بريطانيا.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: من غير المتوقع حدوث يقظة كبيرة من ناحية الاهتمام بحياة الجالية. وفي المقابل فإن اللامبالاة والتعددية الفردية سوف تزداد أكثر فأكثر. وبسبب استمرار الميول للحراك الاجتماعي - الاقتصادي نحو الأعلى، فمن المتوقع أن تنضم أعداد أكبر من اليهود إلى الحزبين المحافظ والليبرالي، متخلية عن حزب العمال، إلا إذا تمت إصلاحات بعيدة المدى في هذا الحزب. ومع ذلك فإنه من الصعب توقع أن يكون لذلك تأثير كبير في دفع الشؤون اليهودية أو الإسرائيلية إلى أمام.

(٣) البنية الممأسسة للجالية

وفقاً للميل الأساس لأفراد الجالية للحفاظ على قدر كبير من الخصوصية، وللابتعاد عن العمل في إطار جماعي وللحفاظ على التعددية، فقد كانت الاستراتيجية العامة للجالية استراتيجية نقابية. أي تطوير مؤسسات رسمية تمثل الجالية، في النطاقين الرئيسين اللذين كانت الجالية معنية بهما أكثر من كل شيء: أولاً، ضمان الحقوق السياسية والدينية. ولهذا الغرض فقد تم إنشاء «مجلس المندوبين» (Board of Deputies) للعمل في مجال ضمان الحقوق السياسية والدينية، واللجنة اليهودية المتحدة (United Hebrew Congregations) للعمل في مجال حرية العمل الديني. وكما هو الأمر في جوالٍ أخرى في دول مضيفة أخرى فقد أقامت هذه الجالية أيضاً مؤسسة مركزية للتخطيط ولتفعيل المؤسسات الاجتماعية هي مؤسسة «Jewish Welfare Board» وكانت المهمة الرئيسة لهذه المؤسسة ضمان الموارد اللازمة لعمل مؤسسات ومنظمات الجالية.

وخلال فترات طويلة قامت هذه الهيئات بالمهام التي خصصت لها كما حققت معظم التوقعات منها. ولكن عندما أحرزت الجالية أهدافها في مجالات ضمان مكانة أفرادها السياسية والدينية، ومع التحسن الجوهري في المكانة الاقتصادية لأفراد الجالية، ومع قبول أفراد الجالية من جانب المجتمع والنظام السياسي البريطاني، ومع استقرار عدد أفراد الجالية، ومع نشوء روابط مباشرة بين أفراد الجالية ومؤسسات الإدارة البريطانية، فقد تضاءلت الحاجة إلى تمثيل نقابي موحد (Corporative) من هذا النوع. كذلك فإن ميل غالبية أفراد الجالية الذي تزايد مع الزمن مرة أخرى بتأثير الوضع في بريطانيا، لمعارضة المركزية على الصعيد المؤسساتي، قد ساهم في بعثرة في المؤسسات المختلفة.

وتنعكس هذه العمليات جيداً في نطاق جمع الأموال للاحتياجات اليهودية الخارجية والداخلية. وعلى الرغم من أن المكانة الاقتصادية الجيدة لغالبية أفراد الجالية من الناحية الظاهرية، كان ينبغي أن تثمر تبرعات كثيرة، فإن العمل المأسس للجالية لم يكن ممكناً، لولا الدعم الهائل لصناديق يهودية كبيرة خاصة، ويهود أثرياء. وهذا الدعم يمنح هؤلاء اليهود مكانة خاصة في السياسة اليهودية الداخلية.

إن الحركة الصهيونية التي أظهرت قدراً معيناً من النشاط في بريطانيا وحتى قامت بمحاولات متحفظة للتأثير في الحكومة البريطانية في الأربعينيات، كادت تفلس هناك. حقاً من ناحية شكلية تواصل الحركة الصهيونية البريطانية وجودها، لكن عدد أفرادها الذي لم يكن كبيراً أبداً، قد تقلص أكثر. وفي الواقع فإن الأحزاب الصهيونية التي تحافظ على هياكل تنظيمية، لم تعد قائمة كقوى سياسية حقيقية. كذلك فإن الهجرة اليهودية من بريطانيا إلى إسرائيل ضئيلة.

ومن أجل الاستجابة لاحتياجاتها فقد طورت هذه الجالية، مثلها مثل مهاجر شتات أخرى، منظومات خدمية ومؤسسات، وبخاصة في نطق الدين والتربية والتمثيل السياسي للجالية في بريطانيا نفسها. وحقيقة كون بريطانيا في خلال سنوات كثيرة، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، دولة رفاه، قد أفرغت من المضمون جزءاً من المؤسسات التي خصصت لتوفير الاحتياجات في هذا النطاق. وقد نجح جزء من هذه المؤسسات فقط في المحافظة على مستوى من الدعم من جانب أعضائها، أو من جانب أولئك الذين ما يزالون بحاجة لخدماتها.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: في ضوء استمرار عمليات الابتعاد عن الجالية، الفردية والتعددية الفردية المتصاعدة في هذه الجالية، وفي ضوء عمليات المشاركة الكاملة لليهود في بريطانيا، وفي ضوء ميلهم للاعتماد بشكل رئيس على خدمات الدولة، وفي ضوء الصعوبات في جمع الأموال اللازمة لوجود المؤسسات اليهودية، يبدو أن تقويضاً آخر سيطرأ في هذا النطاق، الأمر الذي سوف يزيد من صعوبة استمرار وجود جالية موحدة الصفوف.

(٤) المشاركة في الشبكات اليهودية ما فوق الدول:

كما قلنا فهذه الجالية لم تكن ملموسة في حياة الشعب اليهودي في خلال عشرات السنين الأخيرة، وهي لم تشارك تطوير الشبكات اليهودية ما فوق الدول. ونظراً إلى الطبيعة الانعزالية البريطانية الشاملة، التي أثرت أيضاً في هذه الجالية التي حافظت بطبيعة الحال وتحافظ على بروفيل (ملامح) منخفض لكي لا تعرض للخطر إنجازات أفرادها، لذا فإن الجالية اليهودية البريطانية لا تشارك تقريباً في هذه

الشبكات. وهذا الأمر عرقل وما يزال يعرقل عملية تجنيد هذه الجالية للعمل من أجل إسرائيل، أو من أجل مهاجر شتات يهودية أخرى. وانه لمن الصعب توقع حدوث تغيير حاسم في هذا النطاق.

تقويم شامل لقدرة هذه الجالية: هناك مراقبون كثيرون يقولون إن هذه الجالية التي لم تتميز أبداً بديناميكية وبزخم كبيرين، والتي كانت الحياة الثقافية والروح اليهودية في خلال هذا القرن ضعيفة لدى أفرادها، سوف تقهقر أكثر فأكثر، كما أن النضارة القليلة التي بقيت لها أخذت تنفد بسرعة. ومن المشكوك فيه أن كانت هذه الجالية تريد وقادرة على الاستمرار في الحفاظ على الأطر التي عملت من خلالها حتى الآن. وكما قلنا فإن الهوية الإثنية المستندة إلى المشاعر الدينية أو الانتماء القومي ضعيفة للغاية. ومن الصعب أيضاً رؤية العوامل التي بمقدورها إحداث تغيير في هذا الوضع، نظراً إلى أنه من أجل عدم التشبّه بمجموعات إثنية أخرى، فإن هناك معارضة كبيرة للتحديد الاثني للوجود اليهودي.

ويلاحظ أيضاً «تصلب شديد في الشرايين» في المؤسسات المختلفة لهذه الجالية. ويتعلق الأمر هنا بصورة رئيسة بالمؤسسات النقابية العامة (Corporative) التي أفرغت من مضمونها بسبب تطورات في المجتمع البريطاني وفي الإدارة البريطانية الحاكمة. وكذلك في رفض معظم أفراد الجالية، اللجوء إلى تلك المؤسسات ودعمها. وتبرز هذه الأمور بشكل جيد أيضاً في الصعوبات في جمع الأموال. ورغم أن يهود بريطانيا يتبرعون أكثر من غير اليهود في تلك الدولة، إلا أن حجم التبرعات آخذ بالتناقص، كما أن المبالغ المجموعة لا تكفي للحفاظ على وجود المؤسسات اليهودية التي من المشكوك فه أن تحافظ على وجودها دون دعم مكثف من صناديق يهودية خاصة ومن متبرعين كبار. ولذا فإن مقادير المساعدة المقدمة إلى إسرائيل وجوالٍ يهودية أخرى منخفض أيضاً. فالاستنتاج المطلوب في هذه المرحلة من تحليل وضع الجالية، هو أن مشاركتها في حياة الشعب بأسره ستكون منخفضة.

٣-٣-٢ العوامل المتدخلة

(٥) الهوية وإبراز اليهودية

على الرغم من الميول التي تم تحليلها أعلاه، فإن يهوداً كثيرين في بريطانيا سيواصلون اعتبار أنفسهم كمن ينتمي إلى هذه المجموعة. ولكن أكثر مما هو في كل مكان آخر، فإن الانتماء للديانة اليهودية يتحول إلى موضوع شخصي فردي، وهناك ميل متعصب يحصره في هذا النطاق. والتوقعات هي أنه إذا استثنينا الحريديم (الأصوليين) والمتمسكون بالنص (الأرثوذكسيون) فإن موضوع الهوية سوف يصبح

إرادياً أكثر فأكثر. وسوف يكون مرتبطاً بعوامل شخصية مثل الخلفية العائلية والزوجين، وفقط بمدى أقل ـ بالتربية اليهودية.

ونظراً إلى الطبيعة المتسامحة النسبية للمجتمع البريطاني(وهذه الأمور صحيحة رغم المظاهر العدائية ضد الأجانب ورغم المظاهر اللاسامية)، لم تكن في الآونة الأخيرة مشكلة في مجال الإبراز العلني للهوية اليهودية. ومن المحتمل، على المستوى الشخصي، وعلى صعيد مجموعات وتنظيمات صغيرة لليهود، إمكان ترجمة هذا الاستعداد لإبراز الهوية اليهودية إلى عمل سياسي في سبيل ضمان حقوق اليهود، ولكن من الصعب رؤية كيفية إمكان ترجمة مثل هذا التعاطف الشخصي إلى عملية حشد مكثف ومتواصل لتقديم المساعدة الضخمة في مثل هذه الأمور إلى يهود خارج بريطانيا. وحتى لو كان ممكناً في ظروف خاصة التسبب في حشد كهذا للطاقات، فإنه سيكون بالأساس على المستوى المحلي، وفي حالات شاذة ـ على مستوى الدولة المضيفة كلها. وفي هذا السياق من الصعب الافتراض بأنه سيكون بالإمكان تجنيد يهود بريطانيين كثيرين لعمل مكثف من أجل إسرائيل، أو من أجل جوالٍ يهودية تعيش في ضائقة. وهذه الصعوبة ستتزايد أيضاً بسبب حقيقة أن يهوداً قلائل هنا مرتبطون بشبكات الاتصال ما فوق الدول، التي يشارك فيها يهود، والتي يتم بواسطتها نقل معلومات كثيرة عن وضع اليهود.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: نظراً إلى أن الزعامة اليهودية في هذه الدولة هزيلة أيضاً، ونظراً إلى أنه في العقود الأخيرة كان عدد المحترفين الكبار الذين استخدموا في المؤسسات اليهودية المختصة قليلاً، فإنه من الصعب توقع وضع تنجح فيه جماعات نخبوية صغيرة كهذه في تغيير الوضع العام في هذه الجالية وجرّ أفرادها للقيام بعمليات كبيرة ذات طابع يهودي.

(٦) السلطة والولاء المزدوج

في خلال فترات قصيرة نسبياً في منتصف ونهاية الثلاثينيات، وفي الأربعينيات، والتي مال اليهود في خلالها إلى أحزاب اشتراكية من جهة، ومن جهة أخرى كان قسم من الزعامة اليهودية في بريطانيا مشاركاً في نضال الحركة الصهيونية و«اليشوف» (المستوطنون اليهود) اليهودي في فلسطين لإحراز دولة مستقلة، سمعت ادعاءات واتهامات ضعيفة حول ولاء اليهود للاتحاد السوفياتي من جهة، وللموضوع الصهيوني من جهة أخرى.

وفي المقابل، ففي خلال العقود الأربعة الأخيرة، لم تسمع ادعاءات من هذا النوع. وبالإمكان أن نعزو هذا الوضع جزئياً إلى مواقف السياسية الحذرة والفاترة

للجالية التي لم تفسح في المجال لمثل هذا الاتهام. وبالفعل فليس ثمة شك في أن ولاء يهود بريطانيا مقدم إلى القطر المضيف لهم. وخلافاً للوضع في جوالٍ يهودية أخرى، فإن يهود بريطانيا لم يفعلوا شيئاً، وعلى ما يبدو فإنهم لن يفعلوا أيضاً ما يمكن أن يزعزع صورة ولائهم المطلق للدولة المضيفة. ومن المحتمل أن بعضهم كان يريد أن يؤيد بشكل أوضح دولة إسرائيل أو أن يؤيد موضوعات يهودية واسعة، إلا أن هذه المحاولات أيضاً كبحت بواسطة اعتبارات شخصية ذاتية، وبالأساس من طريق تراث غالبية اليهود في بريطانيا لناحية الامتناع عن التعاطف أكثر مما ينبغي مع إسرائيل أو مع نضالات يهودية عامة.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: من الصعب رؤية وضع يحدث فيه تغيير في هذا النمط من سلوك يهود بريطانيا. وإذا ما حصل أي تغيير في أنماط سلوكهم، فإنه سيكون في اتجاه الحذر المتزايد والابتعاد الإضافي عن أي احتمال لمظاهر الولاء المزدوج.

٣-٣-٣ النتائج

(٧) الاستراتيجية العامة ليهود بريطانيا

في ضوء التطورات التي تم استعراضها آنفاً، وبخاصة في ضوء الضعف الذي أصاب المؤسسات النقابية المركزية (Corporation) التابعة للجالية، وفي ضوء تدهور مكانتها وأهميتها في نظر الإدارة البريطانية الحاكمة، وأيضاً في نظر أفراد الجالية اليهودية أنفسهم الذين يفضلون جعل ديانتهم اليهودية موضوعاً شخصياً ويحرصون على ضمان رفاهيتهم الشخصية في إطار الترتيبات السياسية العامة في الدولة، يبدو أن يهود بريطانيا سيتخلون حتى عن الاستراتيجية النقابية المركزية (Corporative) التي ميزت موقفهم حتى الآن. وعقب التغير المتوقع في استراتيجية اليهود والابتعاد الإضافي عن إظهار الاهتمام بما يجري داخل الجالية، فمن شبه المؤكد أننا سنشاهد في المستقبل المزيد من التعفّن في مؤسسات الجالية. وبالطبع فإن التغيير في الاستراتيجية سوف يستمر بشكل تدريجي، أي أن يهود آخرين سوف يتوقفون عن دعم فكرة الوجود كجالية، وسوف يركزون بدلاً منه على الحاجة إلى تعددية تنظيمية أكبر، تقود بصورة شبه حتمية إلى «طي رايات» الجالية.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: خلافاً للماضي وفي ضوء التغييرات السياسية الجارية في بريطانيا في اتجاه المزيد من تقليص تدخل الدولة بما يجري في المجال الاجتماعي والاقتصادي، فإن الحكومة البريطانية أيضاً التي كانت معنية لأسبابها الخاصة بوجود منظمة نقابية مركزية (Corporative) لن تعارض هذه

العملية بل ستشجعها. وعلاوة على ذلك فلقد أثبت يهود بريطانيا ولاءهم وعدم تدخلهم في الموضوعات اليهودية والإسرائيلية الحساسة التي كان يمكن أن تسبب تدخلاً غير مرغوب فيه من جانب الحكومة، وهكذا لا يبقى هناك سبب يدعو الحكومة إلى الحفاظ على المنظمة النقابية المركزية التي ساعدت الحكومة على ضمان مستوى معين من الرقابة على الجالية، ولكنها طلبت أيضاً مساعدة معينة وشكلت مجموعة ضغط منظمة شكلت إزعاجاً للحكومة ولسياساتها في مجالات ذات صلة باليهود.

(٨) العلاقات والروابط مع اسرائيل

من كل ما ورد أعلاه يمكننا أن ندرك أن الروابط بين يهود بريطانيا واسرائيل هي روابط غير منتظمة وغير جوهرية. وهذه الأمور تتعلق بالمستوى الإثني لهذا الجانب:

ـ **على صعيد الروابط المباشرة**: هذه الروابط تدار على مستوى منخفض بسبب قلة الاسرائيليين الذين أصلهم من بريطانيا، وبسبب الاهتمام الضئيل الذي تظهره الجالية اليهودية هناك نحو اسرائيل.

ـ **الروابط الوسيطة**: سيقود الضعف الإضافي المتوقع لمؤسسات الجالية اليهودية إلى تخفيض إضافي في الروابط المأسسة بين إسرائيل الرسمية وبين هذه الجالية، والتي في جميع الأحوال لم تكن وثيقة أو هامة أيضاً في الماضي. وعلاوة على ذلك، يبدو ان إسرائيل الرسمية كانت قد تخلت منذ وقت طويل عن إمكان تجنيد يهود بريطانيا لخوض صراعات جوهرية من أجل إسرائيل أو من أجل مهاجر شتات يهودية أخرى.

(٩) تأثيرات في وضع الشعب اليهودي

على الرغم من أن الإضعاف الإضافي للجالية اليهودية في بريطانيا قد يؤدي إلى فقدان حلقة كبيرة في الشعب اليهودي، وعلى الرغم من حقيقة أن كل خسارة كهذه تسبب القلق بشأن مستقبل الشعب اليهودي كله، نظراً إلى أن هذه الجالية لم تسهم كثيراً في بقاء الشعب أو في تطوره، إلا أن هذه العملية لن تترك انطباعاً عميقاً، أو انها ستحدث تأثيرات بعيدة المدى في مستقبل الجوالي اليهودية الأخرى.

٣-٣-٤ المعضلات الرئيسة التي يواجهها يهود بريطانيا

في عشرات السنوات الأخيرة تحدد طريق الجالية اليهودية في بريطانيا ليس على أساس قرارات مجزأة من جانب أفرادها أو من طريق قيام أفراد أو زعماء الجالية بالتصدّي للمعضلات التي واجهتهم وحلها بهذا الأسلوب أو ذاك. لهذا ليس أسلوب

عمل زعماء وأفراد هذه الجالية. وفي المقابل، وطوال كل الفترة منذ الحرب العالمية الثانية كانت مقاربة يهود بريطانيا تدريجية وبراغماتية بشكل متزمت. وعلاوة على ذلك، كانت اتجاهات تطور الجالية واضحة. وكان تعاظم السلبية والميل نحو التعددية الفردية، نتيجة للتسامح الكبير الذي أظهره المجتمع البريطاني تجاه اليهود، قد أدى إلى إمكان الاندماج الناجح لليهود في المجتمع وفي النظام السياسي البريطاني من جهة، ونتيجة للاستراتيجية إلى سلكها اليهود من أجل الوصول إلى هذا الوضع من الاندماج الكبير قدر الإمكان في هذا المجتمع من جهة أخرى.

وباختصار، فإن يهود بريطانيا يشكلون نموذجاً جيداً لنجاح مجتمع مضيف ومتسامح نسبياً، ولنجاح جالية أرادت الوصول إلى وضع تعتبر فيه الهوية موضوعاً شخصياً، وإيجاد طريق لدمج هذه الرغبات. ولذا ليس فقط لأن ميل غالبية يهود بريطانيا هو لتبني مقاربة براغماتية، وإنما بسبب الوضع «الموضوعي» لهؤلاء اليهود الآن، حيث إنهم غير مطالبين باتخاذ موقف بالنسبة إلى المعضلات التي تواجه مجموعات إثنية أخرى بعامة، وفي وجه جوالٍ يهودية أخرى في العالم الانغلوسكسوني، كتلك الموجودة في جنوب افريقيا ـ وإلى حد وبمدى كبير أيضاً في استراليا، نيوزيلندا وأمريكا اللاتينية ـ ومثل الجالية اليهودية في الأرجنتين.

٣-٤ الجالية اليهودية في الأرجنتين

ملاحظتان عامتان: في خلال الخمسين سنة التي انقضت منذ الحرب العالمية الثانية تحولت الأرجنتين من دولة مضيفة استوعبت يهوداً إلى دولة مضيفة يسعى اليهود للهجرة منها. وهذه الحقيقة تعكس جيداً التغييرات التي شهدها المجتمع والإدارة الحاكمة في البلد المضيف من جهة، والتي شهدتها الجالية اليهودية وعلاقاتها مع إسرائيل من جهة أخرى. والأمر الأساس الذي ينبغي أن تتذكره هو أنه أيضاً بعد انتهاء الحكم الدكتاتوري، وأيضاً بعد اعادة الديمقراطية إلى مكانها، وأيضاً بعد اندماج اليهود في جهاز السلطة الديمقراطية المجددة، فإن الوضع المتداعي لليهود في هذا البلد لم يتغير. وهذه الحقيقة الأساس تفسر رغبة اليهود في الهجرة من هذه الدولة المضيفة.

وفي سياق هذا التغيير في اتجاه هجرة اليهود، النابع من قرار أعداد غير قليلة من اليهود بمغادرة هذا البلد، فإنه ينبغي أن نشير إلى ان جزءاً صغيراً من اليهود الذين غادروا الأرجنتين منذ بداية الثمانينيات هاجر إلى إسرائيل. فالكثير من أولئك الذين قرروا الهجرة من الأرجنتين، كنتيجة للرعب الذي فرضته السلطة الدكتاتورية في السبعينيات والثمانينيات، استوطن في الولايات المتحدة، كما أن قسماً منهم عاد إلى

اسبانيا. وبالإضافة إلى الظاهرة التي تكرر نفسها في جميع مهاجر الشتات، وكذلك في مهجر/ الشتات هذا، والمتمثلة بحصول قضم في عدد اليهود الأعضاء في الجالية كنتيجة للذوبان والاندماج والزواج المختلط، ففي الأرجنتين توجد ظاهرة جلية وخفية معادية للسامية تهدد الجالية اليهودية وتتسبب في هجرتها.

وتنفرد الجالية اليهودية الارجنتينية بوجه آخر أيضاً: فخلافاً للوضع في مهاجر الشتات الأخرى، فإن الحركة الصهيونية بمؤسساتها وأحزابها ما تزال ناشطة في أوساط مهجر/ الشتات هذا. وبفضل هذه الحقيقة فكذلك العلاقات غير المباشرة بين إسرائيل وهذه الجالية ما تزال قوية. وهذه العوامل تخلق وضعاً ينبغي فيه النظر إلى مهجر الشتات اليهودي في الأرجنتين كجالية منظمة جيداً، وحسبما سنرى لاحقاً كجالية متجانسة أيضاً.

٣-٤-١ عوامل أساس

(١) تأثير عمليات عالمية ومحلية عامة

في السنوات التي مضت منذ «دمقرطة» النظام في الأرجنتين، لم تكن هذه الجالية منقطعة عن العالم الخارجي أو منعزلة عن عمليات ذات طابع عالمي أو يهودي عام. وبهذه الروح فبإمكان أفراد الجالية اليهودية إقامة علاقات مباشرة ووسيطة مع هيئات يهودية أخرى ومع اسرائيل. وبسبب ذلك، وبصورة احتمالية، كان يمكن لهذه الجالية ان تتأثر من العمليات التي تدور في أجزاء أخرى في العالم أو في «العالم اليهودي». وبالفعل فإنه من الصعب القول إن هذه الجالية ليست متأثرة من العمليات التحررية (الليبرالية) الجارية في العالم الغربي في مجالات الهوية وإبراز الانتماء لأعضاء مجموعات مماثلة لها، ومن ناحية التحسن المعيّن في المكانة الشخصية لأعضاء مجموعات كهذه، ومن ناحية الروابط التي تقيمها مع مجموعات أقلية أخرى في الأقطار المضيفة. وعلى الرغم من «تخلف» معيّن مقارنة بوضع الجالية اليهودية في الولايات المتحدة، فإن الجالية اليهودية في الأرجنتين هي أيضاً جالية حديثة من ناحية استخدام العلم والتكنولوجيات المتقدمة لاحتياجات الجالية. ولكن من ناحية تنظيمية ومن ناحية السيطرة على هذه المنظمات فإن المفهوم ما يزال مركزياً تقليدياً.

ومع ذلك فإنه من الصعب تشخيص تأثيرات قوية لما يحصل في النطاق الإثني في أمريكا الشمالية وحتى في أمريكا اللاتينة، على هوية أفراد الجالية وعلى سلوك الجالية كهيئة جماعية.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: بصورة عامة، وعلى الرغم من

كون هذه الجالية غير منعزلة، فإن التأثيرات الخارجية الشاملة هي ذات نطاق ضيق بالمقارنة بالتأثيرات المعروفة للتطورات في الأرجنتين نفسها وفي اسرائيل. وبهذه الروح فإن التطورات في الأرجنتين نفسها ستحدد ما إذا كانت عمليات الذوبان والاندماج سوف تستمر، وفيما إذا كان يمكن للجالية إقامة مؤسساتها دون إزعاج أكبر مما ينبغي؛ وفيما إذا كان تيار المهاجرين اليهود الذي يخرج من هذه الدولة المضيفة سيتعاظم. والتطورات الجارية في إسرائيل حددت وستحدد ما إذا كان سينظر اليها في المستقبل على انها المركز اليهودي الأكثر أهمية، الذي ترنو اليه أنظار يهود الأرجنتين، إذا ما توقعوا المساعدة من إسرائيل، وإذا ما هاجروا إلى الدولة اليهودية.

(٢) وحدة صف اجتماعية وسياسية:

مرة أخرى وعلى غرار مهاجر الشتات اليهودية الأخرى، وبخاصة على غرار مهجر/ الشتات اليهودي في فرنسا وبريطانيا، فإن الجالية اليهودية في الأرجنتين مركزة اليوم في المدن الكبرى، وبخاصة في بيونس آيريس. وهناك أقلية صغيرة فقط من أفراد الجالية تعيش في المدن الصغيرة، كما أن عدد اليهود الذين يعيشون في المناطق الزراعية ضئيل جداً اليوم. وهذا الوضع الديمغرافي يقلل من امكان وجود شروخ على خلفية مناطق وظروف سكنية مختلفة. وهذه المركزة إقليمياً تعاظم إمكان تطوير سياسة ومنظومات موجهة لضمان استمرارية وجود طائفة حضرية، مثل تعزيز وحدة الصف الاجتماعية، واليوم، أنظمة التعليم والمراكز الاجتماعية والثقافية. وبالفعل فقد أقامت الجالية اليهودية في الأرجنتين منظومات متقدمة وشاملة ومتطورة للغاية.

هذا وغيره: نظراً إلى أن غالبية أفراد الجالية من العلمانيين، ونظراً إلى أن عمليات التزمت الديني لم تكن عميقة جداً، ولأن الأسس الدينية للتيار المتمسك بالنص (الأرثوذكسي) معتدلة نسبياً، لم ينشأ شرخ عميق بين المتدينين والعلمانيين. وفي الآونة الأخيرة فالهوات في المداخيل بين أفراد الجالية لم تكن كبيرة جداً أيضاً. والنتيجة هي أن هذه الجالية أظهرت من الناحية الاجتماعية مدى كبيراً من وحدة الصف.

وفي مقابل وحدة الصف الاجتماعية في عهد الديمقراطية في الأرجنتين، فقد حصل استقطاب معين في النطاق السياسي. فإذا كان قبل ذلك قد مال يهود كثيرون ممن عانوا من قبضة يد النظام الديكتاتوري إلى دعم القوى التي عارضت الزمر العسكرية التي حكمت الأرجنتين، فبعد بدء الديمقراطية، عاد اليهود إلى وضع مماثل للوضع الذي ساد في الفترة البيرونية. فقد عاد يهود كثيرون إلى دعم اليمين وإلى

المشاركة في أجهزة الحكم المختلفة. وأولئك الذين شاركوا في أجهزة السلطة كانوا، في الأساس، يهوداً اجتازوا عمليات عميقة من الاندماج. وعلى كل حال، فليس ثمة شك في أن هناك توترات بين هؤلاء الأفراد وبين الجالية.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: حتى لو استمر مثل هذه العمليات التي ستؤدي إلى اندماج أعداد أكبر من اليهود في أجهزة السلطة ـ وبخاصة بسبب الضغوطات الاجتماعية النابعة من مظاهر اللاسامية الجلية والخفية، إلا أن وحدة الصف الاجتماعية والسياسية الأساس لأعضاء الجالية المخلصين لن تخرق.

(٣) الانتماء السياسي

لقد توسع الاستقطاب السياسي الذي حصل قبل ذلك، وبالذات على مستوى الزعامة والنخبة السياسية اليهودية (أي: الاستقطاب بين اليهود الذين يواصلون دعم اليسار السياسي، وبين أولئك الذين يدعمون اليمين). والآن فإن هذا الاستقطاب يسري أيضاً على أفراد الجالية جميعاً. ويفسر هذا الأمر بواسطة حقيقة أنه من وجهة نظر المكانة الاجتماعية ـ الاقتصادية، فإنه من «الطبيعي» أن يدعم الكثيرون من أفراد الجالية أحزاب اليمين في الأرجنتين. ولكن في ضوء انعدام وضوح الوضع السياسي، وانعدام الوضوح السائد في كل ما يتعلق بشأن استقرار الديمقراطية في الأرجنتين، فإن كثيرين من اليهود سيواصلون دعم أحزاب اليسار.

ولكن وبقدر ما يمكن تقييمه فإن أنماط التصويت والتأييد هذه لا تؤثر كثيراً في السياسة التي تمارسها حكومات مختلفة في الأرجنتين. أي ان الدعم اليهودي يعتبر عديم الأهمية للغاية من ناحية أهميته الانتخابية والسياسية الشاملة. وهذا الدعم يعتبر أحياناً كعبء، مثلما حصل في الفترة التي درج فيها أنصار اللاسامية على وصف الحكومة الأرجنتينية بأنها حكومة واقعة تحت سيطرة اليهود. ومع ذلك، فإن تصويت ودعم ومشاركة اليهود في السياسة يخلق اقتراباً معيناً من صانعي السياسة في الأرجنتين، الأمر الذي يجد تعبيره أيضاً، بين أمور أخرى، في تعاطف شخصيات في الدولة مع الجالية اليهودية، مثلما حصل بعد تفجير السفارة الاسرائيلية، ومثلما حصل بعد ذلك عند تفجير المركز اليهودي في بيونس آيرس.

هذا ومن الصعب تقييم حجم تأثير يهود الأرجنتين على سياسة الحكومة المحلية تجاه اسرائيل. في الماضي طرأ ارتفاع وهبوط على مستوى التقارب بين هاتين الدولتين، ولكن لم يحصل أبداً نشوء قطيعة كاملة في هذه العلاقات. ومن شبه المؤكد أن مكانة الجالية اليهودية وقرب اليهود من الرئيس الأرجنتيني، ومن أعضاء الحكومة الأرجنتينية يؤثران إلى حد معين أيضاً في علاقات إسرائيل والأرجنتين.

وكما قلنا فإن الأحزاب الصهيونية ما تزال تتمتع أكثر من جوالٍ أخرى بدعم أفراد الجالية. ويعكس هذا الأمر التقاليد الطويلة للنشاط الصهيوني في هذه الدولة، والمكانة الخاصة لإسرائيل والحركة الصهيونية في الجالية اليهودية. ويعكس هذا الأمر أيضاً العدد النسبي الكبير للمهاجرين اليهود من الأرجنتين إلى إسرائيل. ولكن هنا أيضاً حصل انخفاض ستظهر علاماته في المستقبل.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: في المستقبل أيضاً سيتحدد الانتماء السياسي ليهود الأرجنتين وفقاً لوضع المنظومة الداخلية. ففي فترات الهدوء والاستقرار النسبي سيتوزع تأييد اليهود على الأحزاب الرئيسة في وسط الخارطة السياسية. وفي فترة التوتر التي ستعرض للخطر أيضاً استمرار وجود اليهود والجالية كلها، فإن الميل لدعم الأحزاب الأكثر ليبرالية، أو حتى أحزاب اليسار، سيتزايد.

(٤) البنية المؤسسية للجالية:

ينعكس مستوى التسييس العالي للجالية في بنية المؤسسات التي أقامتها الجالية والتي تقوم بتشغيلها. وكما هو الأمر في فرنسا فإن الأسلوب السياسي الوحدوي المركز، والتركيز الكبير لليهود في عاصمة الدولة المضيفة، قد أثرا في مستوى المركزة المؤسساتية العالي من جهة، وفي طابع المؤسسات المركزية من جهة أخرى. ومؤسسات الجالية الهامة المركزة في بيونس آيرس، هي مؤسسات ذات قوة كبيرة. وعلاوة على ذلك، فإن طابع المؤسسات المركزية هنا أيضاً هو شبه نقابي ممركز (Corporative). أي أن هناك عدداً من المؤسسات المركزية التي تدعي تمثيل الجالية أمام السلطات، والعمل باسمها. ونظراً إلى المكانة القوية للحركة الصهيونية («اوسا») وللأحزاب الصهيونية في أوساط الجالية الأرجنتينية، فإن هذه الهيئات تشارك كثيراً في إدارة مؤسسات الجالية. وهذا الميل الصهيوني والمركزة الكبيرة المميزة للجالية تسهّل علاقات إسرائيل مع هذه الجالية، كما تعزز الروابط الوسيطة بينهما.

إن المؤسسات اليهودية الهامة هي: «دايا» التي تشبه إلى حد معين مؤسسة «مجلس المندوبين» (Board of Deputies) في بريطانيا. وهذه هي المؤسسة التي يفترض أن تمثل الجالية أمام السلطات، وتحرص على توفير الاحتياجات السياسية للجالية. ولكن هناك قوة أكبر، وعلى الأقل غير قليلة في أيدي مؤسسة «أميا» المسؤولة عن توزيع الأموال، التي يتم جمعها من جانب صناديق الجباية الموحدة «وكيرن هيسود» (الصندوق الأساس)، على مؤسسات الجالية المختلفة، وعلى الجهاز التعليمي الكبير، المتشعب والمتطور، وعلى المؤسسات التي تقدم خدمات اجتماعية لأفراد الجالية، وعلى المؤسسات السياسية المناط بها مهمة الدفاع عن الجالية. كذلك فقد قامت الجالية

اليهودية السفارادية الصغيرة في الأرجنتين بتطوير مؤسسات موازية، وبخاصة في مجال الخدمات الاجتماعية والتربوية. ولكن الصلة بالمؤسسات المركزية التي تم استعراضها باختصار آنفاً هي صلة قوية. وهذه المجموعة أيضاً في الجالية تحتاج إلى نشاط ودعم مؤسسة «دايا» في مجال الدفاع عن أفراد الجالية.

وتقيم هذه المؤسسات تعاوناً وثيقاً في ما بينها، كما تتعاون كذلك مع حركة «اوسا» التي تمثل الحركة الصهيونية في الأرجنتين، بحيث إنه من غير الممكن تقريباً التفريق بينها.

ولا توجد حاجة تقريباً لتكرار الإشارة إلى أنه على الرغم من أن البنية المؤسسية لهذه الجالية هي بنية مركزية، ومراكز قيادات جميع المؤسسات الكبيرة موجودة في العاصمة، إلا أن الجالية أنشأت شبكة منظمات محلية متخصصة في مجالات عمل مختلفة.

(٥) الرابطة مع الشبكات ما فوق الدول:

في ضوء الوضع الخاص لهذه الجالية التي عانت في الماضي من سياسة القيود من جانب النظام الدكتاتوري الحاكم، ومن مظاهر اللاسامية المتكررة التي هي اجتماعية في مصدرها، فقد أظهرت منظمات دفاع يهودية وبخاصة في الولايات المتحدة اهتماماً بما يجري هناك، بل أظهرت أيضاً حتى قدراً معيناً من التدخل الذي كان موجهاً لمساعدة هذه الجالية في الدفاع عن نفسها. ولقد أوجد هذا الوضع شبكة علاقات بين هذه الجالية وبين الجوالي اليهودية الأخرى. أي ان هذا الوضع تسبب في إيجاد قنوات تربط بين الجالية وبين الشبكات اليهودية ما فوق الدول.

لكن القنوات الرئيسة التي تربط هذه الجالية بالعالم اليهودي هي: القناة الصهيونية المقام مركزها، أي الوكالة اليهودية في إسرائيل، وما زال يدار من جانب إسرائيليين، والقناة الاسرائيلية، أي القناة التي تربط الجالية مع حكومة إسرائيل بواسطة السفارة الاسرائيلية في بيونس آيرس.

وإلى حين تطور منظومات الاتصالات الالكترونية، فإن كمية ونوعية المعلومات التي كان بمقدور هذه الجالية نقلها إلى جهات يهودية خارج الأرجنتين وتلقيها منها كانت تتحدد وتوجّه من قبل الحكومة الارجنتينية. ومن وجهة النظر هذه ونظراً إلى كون النظام في الأرجنتين ديمقراطياً الآن، فقد صار من الصعب عزل هذه الجالية، حيث أصبحت المعلومات عن وضعها موجودة في أيدي مؤسسات وأفراد خارج الدولة. وهكذا على سبيل المثال، فقد وصلت المعلومات حول التفجير الذي وقع في مبنى المؤسسات اليهودية في العاصمة الأرجنتينية، إلى جميع أنحاء العالم فور وقوع الحادث.

٣-٤-٢ عوامل متدخلة

(٦) الهوية وإبراز اليهودية

باستثناء أولئك الذين يفضلون التخلي طوعياً عن الجالية ووقف عضويتهم فيها، فإن الهوية اليهودية القومية ليهود الأرجنتين عميقة ومجذرة جيداً. والأساس الرئيس لهذه الهوية ليس دينياً أو اثنياً بل قومياً. وهذا المصدر للهوية اليهودية ينعكس، بين أمور أخرى، على الرابطة العميقة للكثيرين من أفراد الجالية مع الحركة الصهيونية واسرائيل.

ومن وجهة النظر هذه فإن الهوية اليهودية تجد تعبيراً عنها في الحفاظ على الثقافة الايديشية، وعلى استخدام هذه اللغة، وكذلك الحفاظ على الثقافة العبرية الأم الذي ينعكس بمعرفة اللغة العبرية. هذان الجانبان وهجرة مجموعة كبيرة نسبياً من اليهود إلى إسرائيل، ممّن يحافظون على روابط مع أفراد الجالية في البلد المضيف، ويعملون في أحيان متقاربة أيضاً كمبعوثين للمؤسسات الصهيونية ولحكومة إسرائيل هناك، تجعل من السهل أكثر المحافظة على علاقات بين إسرائيل وهذه الجالية من جهة، وعلى المحافظة على الثقافة الايديشية والعبرية من جهة أخرى.

وفي ضوء وجود ثقافة يهودية مجذرة كهذه، وفي ضوء استعداد أفراد كثيرين في هذه الجالية أيضاً لإبراز هويتهم اليهودية علناً، وفي ضوء القول بأن اللغة والثقافة اليهودية هي التي ستحافظ على هوية اليهود في مهاجر الشتات. فإن هناك دلالة خاصة للبحث في أسباب الخسارة الديمغرافية التي تؤثر أيضاً في الميزان في هذه الجالية. والادعاء المضاد التقليدي هو أن نسب الزواج المختلط، والاندماج والذوبان لأعضاء هذه الجالية قوية إلى حد لا يقل عن العومل التربوية. ويبدو بشكل عام أن التربية والحفاظ على الثقافة الايديشية أو العبرية بحد ذاتهما ليست ذات قدرة كافية ككوابح ناجعة ضد الميل للتخلي عن الهوية اليهودية.

ويخيل إلينا أنه في حالة هذه الجالية فإن الكابح الأقوى ضد الاندماج الكامل ـ الذي يصل إلى درجة الاندماج الشامل لليهود ـ هي الثقافة الكاثوليكية التي خلقت رواسب لاسامية كبيرة وعميقة في هذا المجتمع. أي انه على الرغم من الإمكان النظري المفتوح أمام اليهود للتخلي عن الجالية واجتياز الخطوط باتجاه الاندماج الكامل في المجتمع العام، فإنه ما يزال هناك في هذا المجتمع المضيف كوابح قوية تمنع الاندماج الكامل لكل اليهود الذين يختارون هذا الخيار. وعلى هذه الخلفية فإنه يمكننا فهم ميل اليهود الذين يشعرون بأنهم محاصرون في الأرجنتين، للهجرة إلى خارج البلد المضيف.

ومرة أخرى، ورغم القيود الاجتماعية، بسبب الطابع القومي للهوية اليهودية، وبسبب الشعور بتحقيق الإنجازات الشخصية والجوالية، وبسبب الظروف الثقافية البيئية (أي: التقاليد الكاثوليكية المجذرة جيداً، والتي كانت تحتوي في هذه الحالات على نغمات لاسامية بارزة، تعززت من طريق هجرة عناصر نازية إلى هذه الدولة ومن طريق نشوء منظمات نازية جديدة) فإن يهود الأرجنتين لم يخفوا هويتهم وروابطهم مع الشعب اليهودي ومع الحركة الصهيونية ومع إسرائيل.

(٧) السلطة والولاء المزدوج:

أنماط الروابط التي استعرضت آنفاً بين المهجر/الشتات وبين جوالٍ يهودية أخرى وإسرائيل خلقت مشاكل خطيرة تعود في مصدرها إلى الصور السائدة في المجتمع وفي أوساط السلطة بشأن الولاء المزدوج لليهود. ومن الواضح أن الجالية اليهودية كلها وأعضاءها كأفراد يظهرون قدراً كبيراً من الاستقلال الذاتي في قراراتهم (أي: أن إسرائيل والجوالي اليهودية الأخرى غير قادرة على التأثير في القرارات الهامة للغاية التي تصدر عن يهود الأرجنتين)، وانه انطلاقاً من قرارهم البقاء في الأرجنتين فانهم يعترفون ويقبلون سلطة الدولة هناك. ومع ذلك، فليس ثمة شك في أنهم، وربما أكثر من جوالٍ يهودية أخرى، يظهرون الولاء تجاه اسرائيل.

قليلاً من خلال انعدام الاهتمام الكامل بمدلول أنشطة مختلفة لعملاء اسرائيليين مختلفين، وقليلاً من خلال انعدام الأحاسيس بشأن القضايا التي تشغل الجالية، وقليلاً من خلال مقاربة إسرائيلية ـ مركزية واضحة في عدد من المناسبات، قامت إسرائيل بوضع هذه الجالية أمام اختبارات صعبة تتعلق بالولاء المزدوج. وكان النموذج الدراماتيكي للغاية هو الوضع الذي وجدت الجالية نفسها فيه بعد إلقاء القبض على أدولف آيخمان من جانب عملاء الموساد الاسرائيلي. وفي هذه المناسبة واجهة الجارية مسألة صعبة تتعلق بالولاء وتعبيرات الولاء. وفي الواقع فقد كانت هذه فقط حالة خاصة واحدة لمعضلة أوسع تتعلق بمسألة منح الملجأ للنازيين، وللتسامح الذي أظهرته الإدارة الحاكمة إزاء الحركات النازية الجديدة.

٣-٤-٤ النتائج

(٨) الاستراتيجية الرئيسة للجالية

في ضوء التقاليد الخاصة لهذه الجالية اليهودية، وفي ضوء المشاكل التي تواجهها، فإن الميل هو للحفاظ على الاستراتيجية الجماعية ـ النقابية المركزة (corporative)، إلا أن قدرة الجالية على مواصلة هذا الاتجاه تضاءلت إلى حد كبير،

بسبب تراكم عدد من العوامل: الديمقراطية في الدولة المضيفة التي تقلل إلى حد معين من الحاجة للتمسك بهذه الاستراتيجية، والتآكل الديمغرافي لليهود، وبخاصة للنواة الصلبة في هذه الجالية، والاحتياجات الجوالية المتزايدة التي تتطلب تخصيص موارد كبيرة، ومشاكل في نطاق تجنيد الموارد البشرية والموارد المالية اللازمة لاستمرار قيام هذه الاستراتيجية التي هي مكلفة بطبيعتها.

ولكن رغم هذه المصاعب المتراكمة، فليس ثمة شك في أن زعماء الجالية سيحاولون الاستمرار في هذه الاستراتيجية بهدف توفير الحماية ضد التنكيل الخارجي وضد المزيد من التآكل في عدد أفراد الجالية.

(٩) العلاقات والروابط مع اسرائيل

أ ـ العلاقات المباشرة: كما قلنا، فإن وجود مجموعة كبيرة نسبياً من يهود الأرجنتين في إسرائيل، يحافظون على روابط عائلية وصداقات وثيقة مع أقرباء وأصدقاء في البلد المضيف، وعلى علاقات عاطفية مع الجالية اليهودية في الأرجنتين، وكذلك رغبة كثيرين من يهود الأرجنتين في المحافظة على علاقات قريبة مع اسرائيليين من أصل أرجنتيني، هي أمور تضمن استمرار قيام هذه العلاقات على هذا الصعيد (الامر الذي يجد تعبيراً عنه في الزيارات المتبادلة، وفي المراسلات، وفي الدراسة في إسرائيل، وفي أنواع مختلفة من المساعدة) والرغبة في المحافظة على روابط شخصية وجماعية مباشرة ووثيقة، ترتبط بحقيقة أن جزءاً ملحوظاً من مهاجري الأرجنتين وصل إلى إسرائيل قبل سنوات قليلة. والنتيجة هي أن روابط العائلة والصداقة ما تزال وثيقة. ونظراً إلى أنه يبدو أن لهاتين المجموعتين حاجة نفسية وعملية عميقة للحفاظ على هذه الروابط، فإنه يتوجب عليهم على الرغم من البُعد الجغرافي، أن يجدوا السبل لضمان استمرار هذه الروابط. وليس ثمة شك في أن وسائل الاتصالات الالكترونية المتطورة تسهل هذه العملية.

ب ـ العلاقات الوسيطة: طالما بقيت الجالية محافظة على الأقل على ذلك القدر من وحدة الصف الذي تظهره الآن، وطالما حافظت المؤسسات المركزية للجالية على المستوى نفسه من الأداء الذي تظهره اليوم، وطالما لا تضع إسرائيل هذه الجالية أمام اختبارات خطيرة تتعلق بمعضلة الولاء المزدوج، فإن علاقات وسيطة جوهرية بين هذه الجالية وإسرائيل يمكن أن تستمر. وبالفعل ـ كان هناك تحسن في إقامة جزء من هذه العلاقات والحفاظ عليه عقب تحسن علاقات إسرائيل مع الحكومة الأرجنتينية الحالية. وهكذا، على سبيل المثال، فعلى الرغم من استمرار فرض قيود على إخراج الأموال من الأرجنتين، إلا أن هناك إحساساً في تخفيف تلك القيود لناحية نقل أموال صناديق الجباية إلى إسرائيل.

ومع ذلك فإن انقلاباً أو تغييراً في جوهر النظام في الأرجنتين قد يتسببان أيضاً في تغيير نحو الأسوأ على هذا الصعيد، وبخاصة على صعيد تحويل الأموال.

٣-٤-٤ المعضلات الرئيسة التي تواجه الجالية

في الوقت الذي لا تنصب فيه معضلة المركز والأطراف النائية بكل حدتها أمام هذه الجالية التي اعترفت بمركزية إسرائيل، ففي ضوء عمليات الخسارة الديمغرافية فإن هذه الجالية تواجه مشكلة «الاستمرارية» وجميع المشاكل المرافقة المرتبطة باستمرار وجود مهجر الشتات هذا.

ومع ذلك، تنتصب أمام يهود الأرجنتين مشكلتان فريدتان لا تقلّان أهمية أو حيوية عن المسألة «الكبيرة» المتعلقة بضمان الاستمرارية: المشكلة الأولى تتمثل في كيفية مواجهة مظاهر اللاسامية، ومظاهر التعاطف مع الفاشية الجديدة، ومع عمليات الإرهاب الموجهة ضد مؤسسات الجالية، وتتسبب في انعكاسات خطيرة من ناحية وجود الجالية. والمشكلة الثانية تتمثل في كيفية مواجهة تبدل الأنظمة الحاكمة.

وهاتان المشكلتان الفريدتان تخلقان أوضاعاً يظهر فيها أفراد الجالية رغبة بالهجرة من الارجنتين. وكما هي العادة في مثل هذه الحالات فإن غالبية المهاجرين من هذا النوع ينتمون إلى مجموعات قوية في الجالية. وهذا يعني بالطبع إضعافاً إضافياً للجالية.

توقعات التطورات المستقبلية في هذا النطاق: هذه المعضلات الثلاث تضع الجالية في وضع صعب من ناحية الحاجة إلى معالجة قضايا وجودية على المدى الفوري وعلى المدى الأبعد.

ووضع هذه الجالية يزداد تعقيداً بواسطة انفجارات عنف متواترة تلحق الضرر بمركز الجالية وتخلق عدم استقرار وعدم أمان، يحولان دون التخطيط العقلاني، إن كان الأمر ممكناً أصلاً، واتخاذ قرارات متوازنة ومدروسة. ومن الصعب توقع ما إذا كان بالإمكان وكيف يمكن لهذه الجالية أن تنجح في مواجهة كل المعضلات التي تواجهها.

٣-٥ يهود الاتحاد السوفياتي سابقاً

العنوان الآنف الذكر الذي يتحدث عن «يهود الاتحاد السوفياتي السابق» والذي لم يذكر فيه اصطلاح «الجالية» لم يجر اختياره بطريق الصدفة. والسبب وراء تقديم هذا العنوان هو أنه في روسيا وفي عدد من جمهوريات الاتحاد السوفياتي سابقاً بدأ الآن فقط إنشاء جوالٍ يهودية منظمة تماثل الجوالي اليهودية في الغرب. وبالفعل ففي الآونة الأخيرة فقط، وبتأثير من إسرائيل، بدأت الوكالة اليهودية والمنظمات اليهودية،

وخاصة في الولايات المتحدة، بالإضافة إلى مجموعة من اليهود الأثرياء، بنشاط هائل يهدف إلى تنظيم مؤسسات الجالية اليهودية في الجمهوريات السوفياتية المختلفة التي شكلت الاتحاد السوفياتي سابقاً. (والسخرية التاريخية هنا هي أنه إلى جانب هذا الانتظام لليهود، فإن هناك انتظاماً آخر يجري أيضاً ونعني به المهجر/ الشتات الروسي الذي نشأ بعد انهيار الامبراطورية السوفياتية والاتحاد السوفياتي).

وصحيح القول أنه في فترة النظام السوفياتي أقام عدد قليل من يهود الاتحاد السوفياتي، وخاصة أولئك الذين تبنوا لانفسهم المقاربة الصهيونية، شبكات غير رسمية، ربطت بين المعارف والأقرباء، وكذلك بين عدد من النوى الضعيفة لمؤسسات جوالية ـ جماعية (كما هو الأمر بين صفوف تعليم العبرية والبريطانية، التي أقيمت خفية وبخاصة من جانب الرفضويين. وكما بين الكنس اليهودية التي قامت بنشاطها بإذن من الحكومة والتي استخدمت، وبخاصة في الأعوام الأخيرة من حياة الاتحاد السوفياتي، كمراكز لقاءات لليهود، يجري فيها تبادل المعلومات وتلقي الدعم) وحافظت على علاقات بين اليهود أنفسهم، وكذلك مع الزائرين العرضيين، ومع الزائرين الذين جاؤوا بصفة خاصة لإنشاء علاقات مع اليهود، وبخاصة أولئك الذين جاءوا من الولايات المتحدة ومن إسرائيل.

ومن هذه الناحية فقد كان الوضع في أرياف الاتحاد السوفياتي السابق أفضل، بالمقارنة بما حصل في المركز. أي بعيداً من موسكو وكييف، وبخاصة في المدن التي كان عدد اليهود فيها قليلاً، تمكن هؤلاء اليهود من المحافظة على علاقات أوثق وكذلك على أطر شبه مؤسسية. وفي مثل هذه الأماكن النائية وجدت أيضاً كنس يهودية قامت بصورة رئيسية بمهام الاتصال بين اليهود المحليين. ومع ذلك، فقد كان وما زال في هذه المدن والبلدات حاجة لاستثمار جهود وموارد بهدف بناء مؤسسات جوالية يمكنها خدمة اليهود المحليين جيداً.

ولذا فإنه من المهم أن نتذكر بوجوب النظر إلى اليهود في روسيا وفي الجمهوريات السوفياتية السابقة ليس كجوالٍ قوية، وإنما كجوالٍ قيد الإنشاء ما يزال مستقبلها غير واضح.

٣-٥-١ عوامل أساس

(١) تأثير العمليات العالمية

لقد تأثر يهود الاتحاد السوفياتي أكثر من بقية الجوالي اليهودية في الغرب من العمليات العالمية التي حدثت في نهاية الثمانينيات. هكذا، على سبيل المثال، فبسبب

هذه العمليات سُمِح ليهود الاتحاد السوفياتي سابقاً بالهجرة من هناك. كذلك سُمِح لهم بإنشاء وإقامة علاقات مع إسرائيل ومع جوالٍ يهودية أخرى، وبخاصة مع يهود الولايات المتحدة، والبدء بتنظيم أنفسهم لتعزيز التعليم اليهودي، وإقامة الكنس اليهودية، إنشاء شبكات اتصال داخلية وإقامة مؤسسات جوالية أخرى. واستمرار هذه العمليات، وبخاصة الارتباط الأوسع لهؤلاء اليهود، بشبكات اليهود ما فوق الدول، التي هي إحدى النتائج الأبرز لانهيار الاتحاد السوفياتي، سوف يواصل التأثير في إمكان نشوء جوالٍ قوية.

ولذا فإن الاسئلة المركزية ذات الدلالة أيضاً بالنسبة إلى يهود روسيا والجمهوريات الأخرى هي إلى أي مدى ستؤثر العمليات العالمية في استمرار وجود وتطور الديمقراطية في روسيا وفي الجمهوريات السوفياتية السابقة، إلى درجة بروز ميل لدى أعداد أكبر من اليهود للبقاء في روسيا وفي الجمهوريات السوفياتية السابقة من جهة، والى أي مدى ستؤثر مثل هذه العمليات العالمية في إمكان الهجرة إلى مقاصد مفضلة لدى هؤلاء اليهود من جهة أخرى؟ والسؤال الثاني يرتبط بامكان نشوء «نظام» هجرة يقيد هؤلاء اليهود أو يمنعهم حتى من مغادرة روسيا والجمهوريات السوفياتية السابقة؟

(٢) تأثير العمليات الداخلية في روسيا وفي الجمهوريات السوفياتية السابقة

كما قلنا فإن استمرار التطور في اتجاه الديمقراطية التي تتيح مساواة كاملة في الحقوق الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية لليهود، سيكون من شأنه التسبب في بقائهم في روسيا وفي الجمهوريات. ومثل هذا الوضع سيؤدي من جهة إلى ذوبان أعداد أخرى من اليهود داخل المجتمعات التي يعيشون فيها. ولكن من جهة أخرى فإن اليهود المعنيين بالحفاظ على هويتهم، سيكون باستطاعتهم البقاء في أماكن إقامتهم، والمحافظة على ديانتهم اليهودية، وإظهار مبادرة والمساعدة في بناء المؤسسات الجوالية المطلوبة. ولكن من الواضح أن هجرة كبيرة، مثل الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، ستفرغ المجموعة اليهودية التي سوف تبقى من الأسس القوية التي تحتوي على تيارات محتملة.

وهناك عاملان آخران سيؤثران في القرار بشأن هجرة اليهود أو استمرار الحياة في أماكن وجودهم: الوضع الاقتصادي، وليس أقل أهمية من ذلك فرص تحسين الوضع الاقتصادي، وكذلك مظاهر اللاسامية التي شكلت دائماً (بما في ذلك في الفترة الشيوعية) عاملاً هاماً في روسيا وفي جزء من الجمهوريات السوفياتية السابقة.

إن ديناميكية نشوء جالية، بمقدورها توفير احتياجات مختلفة للأعضاء،

وبخاصة للأعضاء الشباب في المجموعة، ستعزز الميل للبقاء في روسيا وفي الجمهوريات السوفياتية السابقة، كما ستؤدي إلى إمكانات تجنيد موارد من الداخل ومن الخارج، وفي مثل هذه الحالة أيضاً من إسرائيل التي ستكون معنية بالحفاظ على هذه الجالية.

(٣) وحدة صف اجتماعية وسياسية

نظراً إلى أنه لا توجد حتى الآن طائفة وفق المفهوم المألوف في الغرب، فإنه من الصعب تحديد مسألة وحدة الصف الاجتماعية والسياسية الحالية. ومع ذلك، فمن الواضح انه توجد في هذه الحالة جالية بفعل «المصير المشترك» لكل من انتمى طوعياً أو دون خيار إلى هذه المجموعة. ومن الناحية النظرية والتطبيقية فإن جميع أولئك الذين يشعرون ويحددون أنفسهم كيهود يعتبرون شركاء في هذه الجالية. ويبدو ان من اتخذ قراراً كهذا يظهر مستوى عالياً من التضامن مع جميع الأفراد الآخرين في المصير المشترك لهذه الجالية، الأمر الذي يخلق أيضاً وحدة صف معينة.

ومرة أخرى، وخلافاً لجوالٍ يهودية قوية، وبسبب الوضع غير المتبلور الذي يعيش فيه يهود روسيا والجمهوريات السوفياتية السابقة، فإنه من الصعب فحص أنماط الانتماء السياسي لليهود. ولكن يرجع الافتراض أن معظم أولئك الذين يصفون أنفسهم كيهود، لا يؤيدون أحزاباً وحركات قومية، عنصرية ويمينية راديكالية. وفي هذا السياق فإن أحد الأسئلة المثيرة للاهتمام التي من شبه المؤكد لا يوجد لها جواب مقنع، يتعلق بعدد اليهود الذين يؤيدون إعادة النظام السابق، أي كم عدد الذين يؤيدون الأحزاب الشيوعية الجديدة. ومن شبه المؤكد أنه إزاء المعلومات التي يتلقونها حول الوضع في إسرائيل، وازاء انعدام الأمن الأساس السائد في روسيا وفي عدد من الجمهوريات السوفياتية السابقة، فإن بعضهم يؤيد فعلاً الشيوعيين الجدد، من خلال الأمل بقيام هؤلاء بضمان «القانون والنظام» الاستخدام للجميع، ونحو ذلك. وتزايد أعداد اليهود المؤيدين لهذه الأحزاب، يمكنه أن يخلق شرخاً جديداً في الجالية اليهودية التي هي قيد النشوء.

وبسبب وصمات عار في اتجاهات متناقضة ـ فمن جهة وصمة عار مشاركة اليهود في الثورة البلشفية، ووصمة عار الولاء للنظام الشيوعي، ومن جهة أخرى وصمة العار الكوزموبوليتانية ووصمة عار العلاقات مع الولايات المتحدة واسرائيل، ومن شبه المؤكد أيضاً بسبب ميول لاسامية واضحة، يبدو أن اقتراب اليهود من الحكومات في روسيا وفي الجمهوريات السوفياتية السابقة كان أمراً صعباً نسبياً، كما أن عدد اليهود المشاركين في السلطة في هذه الدول هو عدد قليل. والصعوبة في هذا

المجال تتوازن، إلى حد معين، من طريق العلاقات الجيدة التي تربط إسرائيل مع حكومة روسيا ومع عدد من الحكومات الأخرى في هذا الجزء من العالم. وفي حال كانت مكانة إسرائيل في جمهورية معينة جيدة، وفي حال تطور روابط وثيقة بين إسرائيل وبين هذه الحكومات، ستكون هناك فرصة معقولة لأن تصبح مكانة اليهود هناك أفضل أيضاً، كما سيصبح إمكان اقترابهم من الحكومات هناك أسهل.

٣-٥-٢ عوامل متدخلة

(٤) البنية المؤسسية

وفقاً لفرضية التحليل الأساس في هذا الجزء من الوثيقة، فإنه ما يزال من الصعب التحدث عن بنية مؤسسية متطورة، ذلك لأنه كما قلنا فالوضع الحالي هو وضع إنشاء جوالٍ في روسيا وفي الجمهوريات السوفياتية السابقة الأخرى وبناء مؤسساتها. ودلالة الأمر هي أنه تنشأ الآن الشبكات الداخلية التي سترتبط مجموعات غير ممأسسة ومنظمات قائمة بعضها ببعض، وكذلك بشبكات ومنظمات يهودية خارج روسيا والجمهوريات السوفياتية السابقة. ولذا فإنه من غير الواضح بعد ما إذا كان الاتجاه الذي سيتبناه زعماء الجالية سيكون البنية المركزة، على غرار الجالية اليهودية في الأرجنتين، أو البنية ذات الطابع الفدرالي على غرار الجالية اليهودية في الولايات المتحدة.

وارتباطاً بالأمور الآنفة الذكر، فإنه ما يزال من غير الواضح ما إذا كان زعماء الجالية سيميلون إلى تبني استراتيجية نقابية ممركزة (Corporative) أو جماعية ـ تعددية، دون تمثيل رسمي إزاء السلطات. وفي الواقع فإنه طالما ان هذه الأمور «لم تغلق» بالنسبة إلى طبيعة المنظومات السياسية للدول المضيفة، فسيكون من الصعب تقييم ما ستكون عليه اتجاهات عمل زعماء الجالية.

(٥) الهوية وإبراز اليهودية

كما كل الأسئلة التي ما تزال مفتوحة، فإن مسألة هوية وإبراز يهود روسيا والجمهوريات السوفياتية السابقة ليهوديتهم ذات طابع إشكالي، وهذا في ضوء التاريخ المفجع لهذه الجالية تحت سلطة القياصرة، وبالذات تحت السلطة السوفياتية، والتي في خلالها هجر يهود كثيرون المجموعة، أو على الأقل لم يبرزوا أنفسهم كيهود، وفي ضوء الوضع غير الواضح في روسيا وفي الجمهوريات بعد انهيار الاتحاد السوفياتي. فمن جهة فإنه من الأسهل تبني الهوية اليهودية دون صعوبة كبيرة وإبراز المرء ليهوديته (الأمر الذي على ما يبدو استغل ويستغل أيضاً من جانب غير اليهود).

ومن جهة أخرى فإن التقاليد الطويلة للقدرة على إهمال هذه الهوية لاعتبارات «الجدوى» الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية، وعدم التعريف عن النفس كيهود، والزواج المختلط الواسع، هي أمور تمنع يهوداً كثيرين من «التوبة». ومن شبه المؤكد ان الظاهرة المركزية الآن هي أن يهوداً يقفون موقف المراقب من ناحية الهوية وتعريف الذات. وينتظرون رؤية كيف ستحسم الأمور على الصعيدين السياسي والدولي.

ومع ذلك، وحتى بعد الهجرة الكبيرة لليهود من روسيا إلى إسرائيل والولايات المتحدة وكندا، فإنه ما تزال هناك نواة يهودية صلبة في روسيا وفي الجمهوريات السوفياتية السابقة المختلفة. وهوية مجموعات كبيرة من اليهود تقوم على الوجه الديني. وهناك مجموعات أخرى، من المحتمل ألاّ يقل عدد أعضائها عن أولئك الذين تقوم هويتهم على الوجه الديني، تتماثل مع اليهودية على أساس مشاعر ووجهات نظر إثنية ـ قومية. وبالنسبة إلى معظم أعضاء النواة الصلبة لأصحاب الهوية اليهودية، فإن الأساس هو أساس الأصل. أي ان مجرد كون آبائهم كانوا يهوداً، يكفي لكي يروا أنفسهم كيهود.

وليس ثمة شك في أنه في ضوء الوضع الاقتصادي الصعب في الجمهوريات السوفياتية السابقة المختلفة، وانعدام الأمن الاجتماعي، والاقتصادي والسياسي، فإن إنشاء مؤسسات جوالية يهودية قوية، يمكنها توفير الاحتياجات المتزايدة لأولئك الذين يعرفّون عن أنفسهم كيهود، سوف يعاظم أكثر الولاء للديانة اليهودية، وكذلك إبراز الهوية اليهودية التي ستكون ضرورية، أولاً وقبل كل شيء، لكي يتمكن هؤلاء من الحصول على الخدمات المختلفة للجالية. وعملية توضيح الوضع في هذا النطاق ستكون طويلة ومعقدة، وسوف تتأثر بعوامل كثيرة في الجمهوريات السوفياتية السابقة، وفي جوالٍ يهودية أخرى، وبالميول العالمية، بالوضع في إسرائيل وبقدرتها على بث تأثير في هذا المجال.

ومن المشكوك فيه كثيراً ما إذا كان بمقدرو تربية ذات طابع يهودي، عبري أو إسرائيلي، التأثير بصورة جوهرية في تبني هوية يهودية، وأكثر من ذلك على إبراز الهوية اليهودية.

(٦) الولاء المزدوج

الوضع غير الواضح السائد في روسيا وفي الجمهوريات السوفياتية السابقة بالنسبة إلى المفاهيم ذات الصلة بمسألة الولاء المزدوج والتي ذات مدلول نظري، ولكن أيضاً سياسي ـ عملي، مثل السيادة، حقوق وواجبات المواطنين، مصدر السلطة المركزية، وحجم الصلاحية المركزية ونحو ذلك، وكذلك الوضع غير الواضح بشأن

هوية معظم الذين يعتبرون كيهود، هي أمور تخلق وضعاً لا تعتبر فيه مسألة الولاء المزدوج مسألة إشكالية جداً. وهذه المسألة لا تعتبر حرجة، وذلك أيضاً لأن روسيا والجمهوريات السوفياتية السابقة لا تتدخل الآن بالقدر نفسه الذي كان الاتحاد السوفياتي يتدخل في ما يجري في الشرق الأوسط، كما أن روسيا والجمهوريات السوفياتية السابقة ليست في صراع خطير مع اسرائيل. وفي الواقع فإن الوضع الحالي يتلخص في أنه لأسباب سياسية واقتصادية فإن روسيا وبعض الجمهوريات السوفياتية السابقة معنية بإنشاء روابط ودية مع إسرائيل ومع جوالٍ يهودية أخرى، وبخاصة مع الجالية اليهودية في الولايات المتحدة. وهذا الميل الذي يترجم إلى تسامح بعض الحكومات تجاه أعمال المؤسسات الاسرائيلية واليهودية في تلك الاقاليم، يمكن أن يتسبب في أن تكون إحدى النتائج المرافقة هي بروز مسألة الولاء المزدوج بكل حدّتها.

٣-٥-٣ النتائج

(٧) الاستراتيجية الرئيسة

من التحليل الذي عرض في هذا الجزء من الوثيقة يتضح أيضاً انه من السابق لأوانه التعرف على استراتيجية واضحة يتم تعريف يهود روسيا والجمهوريات السوفياتية السابقة وفقاً لها. وبالنسبة إلى المستقبل، فإنه إذا بقي الوضع هناك سيئاً من وجهة نظر اليهود، فإن الاستراتيجية الرئيسة التي سوف يتبناها اليهود، ستكون الاستراتيجية الانعزالية. أي ان كثيراً من أولئك الذين سيبرزون يهوديتهم سيحاولون الهجرة إلى أقطار أخرى، كما أن قسماً منهم سيصل إلى إسرائيل ايضاً. وإذا ما تحسن الوضع في الاتحاد السوفياتي فإن اليهود قد يتبنون استراتيجية جماعية، غايتها التسهيل على هؤلاء اليهود مواصلة العيش هناك، مع الاحتفاظ بهويتهم أيضاً. وإذا ما تحسن الوضع أكثر، وإذا ما تقلصت مظاهر اللاسامية الجلية والخفية، وإذا ما ارتفع مدى قبول اليهود كما كان عليه في الماضي، فإنهم قد يعودون إلى تبني استراتيجية اندماجية أو حتى الذوبان في المجتمع. وبالطبع فإن هذه القرارات ستتأثر ليس فقط بالوضع في روسيا وفي الجمهوريات السوفياتية السابقة، وإنما كذلك بالوضع في المناطق الأخرى التي يتواجد فيها اليهود، (مثل الوضع في إسرائيل وفي أوروبا وفي الولايات المتحدة).

(٨) العلاقات والروابط مع إسرائيل

أ ـ العلاقات المباشرة: إن وجود مهاجرين يهود جدد وبأعداد كبيرة من روسيا والجمهوريات السوفياتية السابقة في إسرائيل، وبخاصة المهاجرون اليهود الذين وصلوا إلى إسرائيل مؤخراً يسبب تعميق واستمرار الروابط المباشرة. وفي مثل هذه

الحالة سيأتي معظم المساعدة من المهاجرين اليهود الذين يقيمون في إسرائيل إلى أقربائهم وأصدقائهم في الجمهوريات السوفياتية. ويمكن لمساعدة جمة من هذا المصدر أن تسهم بصورة غير مباشرة في زيادة عدد أولئك الذين يحافظون على الهوية اليهودية، وبالتالي ان توسع أيضاً الطلب على خدمات منظمة للجالية مع كل ما يعنيه ذلك. كما أن ضآلة المساعدة من هذا المصدر ستتسبب في التوجه إلى مصادر مساعدة أخرى، مثل الجالية اليهودية في الولايات المتحدة، وفي إمكان حصول قطيعة مع إسرائيل.

ب ــ العلاقات الوسيطة: بالإضافة إلى العلاقات المباشرة بين المهاجرين الذين يسكنون في إسرائيل وأقربائهم في روسيا وفي الجمهوريات السوفياتية، فإن هناك روابط مؤسسية، وبخاصة بين الوكالة اليهودية والحكومة الإسرائيلية من جهة، وبين المؤسسات اليهودية المقامة الآن من جانب اليهود هناك من جهة أخرى. كذلك توجد روابط بين مؤسسات أخرى في إسرائيل، مثل المنظمات الدينية التي يوجد بعضها أو كلها في إسرائيل، مثل منظمة (جاد) التي كانت رائدة العلاقات المأسسة مع يهود الاتحاد السوفياتي، حتى قبل انهيار «النظام العالمي القديم». وكما قلنا، فإنه لا توجد الآن عقبات كبيرة على طريق عمل هذه المؤسسات، والاستثمارات التي تستثمرها في المجالات المختلفة هي حيوية لتنظيم يهود روسيا والجمهوريات السوفياتية السابقة. والمعني بالمحافظة على الشعب اليهودي ينبغي ان يشجع هذا العمل طالما كان ذلك ممكناً. وكلما تعمق هذا العمل، كانت النتائج أفضل من ناحية نشوء جالية يهودية. والتقدير هنا هي أن عملاً على المدى الطويل يوجه إلى مثل هذا الانتظام سيسهم أكثر في تعزيز الجالية وضمان استمراريتها مقارنة بأنشطة تربوية يهودية متقطعة.

(٩) التأثيرات في الشعب اليهودي

بصورة تناقضية فإن زوال يهود روسيا والجمهوريات السوفياتية السابقة، كنتيجة للذوبان في المجتمع أو كنتيجة للامبالاة لن يؤثر بصورة جوهرية في وضع الشعب اليهودي. وفي الواقع فإن هذا السيناريو سيشكل عودة إلى الوضع الذي كان يعيشه فيه يهود الاتحاد السوفياتي، في الفترة التي سبقت انهيار الاتحاد السوفياتي وامبراطوريته.

في المقابل فإن نشوء جالية يهودية كبيرة ونشطة في روسيا وفي أوكرانيا وفي الجمهوريات السوفياتية الأخرى، وتبني توجه واضح بالنسبة إلى العلاقات مع الجوالي اليهودية الأخرى قد يغير من التوازن بين المراكز اليهودية الرئيسة. هكذا، على سبيل المثال، فإن التوجه نحو إسرائيل سيعزز بالطبع مركزية إسرائيل في الشعب اليهودي كله، كما ان الهجرة المكثفة لليهود من روسيا ومن الجمهوريات السوفياتية السابقة إلى إسرائيل ستعزز قدرة إسرائيل ولكنها لن تغير مكانتها في الشعب اليهودي. وفي

الآونة الأخيرة فإن هجرة يهود كثيرين إلى دول مضيفة أخرى واستيعابهم من جانب جوالٍ يهودية أخرى، مثل الجوالي اليهودية الامريكية والكندية، سيؤدي إلى تقوية مهاجر الشتات هذه، والى إمكان توسعها وتوسع نشاطاتها. وبالطبع فإن مثل هذا التطور سيقلل بعض الشيء من مكانة إسرائيل في الشعب اليهودي كله.

٣-٥-٤ المعضلات الرئيسة التي تواجه يهود روسيا والجمهوريات السوفياتية السابقة

ـ **تبني هوية يهودية والتماثل معها**: تشكل المجموعة اليهودية في روسيا وفي الجمهوريات السوفياتية السابقة نموذجاً جيداً لوضع يقف فيه أفراد ومجموعات صغيرة أمام الحاجة للبت بشأن هويتهم الإثنية وبشأن استمرار وجودهم في الدول المضيفة. وفي الواقع فإن هذا نموذج جلي لوضع نشأ في أثناء تغييرات حاسمة في المنظومة الدولية وفي منظومة سياسية داخلية، طولب فيه أعضاء مهجر ما اتخاذ قرار إذا كانوا سيديرون ظهرهم لهويتهم الإثنية ـ القومية، أو سيجددون ولاءهم للمهجر/ الشتات الاثني. والكيفية التي سيقرر بها يهود الاتحاد السوفياتي السابق ستكون هامة ليس فقط من ناحيتهم ومن ناحية الشعب اليهودي، وإنما أيضاً من الناحية النظرية لدراسة الظاهرة الإثنية الحديثة بعامة، وظاهرة مهاجر الشتات الاثنية ـ القومية بخاصة.

ـ **الهجرة من الاتحاد السوفياتي**: بعد الحسم بشأن الهوية والولاء فإنه سيتطلب من أولئك الذين سيقررون الحفاظ على الهوية اليهودية، الحسم أيضاً في مسألة الهجرة إلى الخارج، وبشأن مقاصد مثل هذه الهجرة (أي ما إذا كانوا سيهاجرون إلى إسرائيل أم أنهم سيهاجرون إلى دول مضيفة أخرى، وفقاً للإمكانات التي ستنشأ عندما يقررون القيام بذلك).

ـ **الاستراتيجية المركزية للمجموعة الإثنية اليهودية**: عند ما يتضح الوضع بشأن هوية أولئك الذين بقوا في روسيا وفي الجمهوريات السوفياتية السابقة، فسوف يضطرون للحسم أيضاً بشأن الاستراتيجية الرئيسية للمهجر/ الشتات. وستكون المشكلة الرئيسية ما إذا كان يجب تبني الاستراتيجية الأقرب إلى قطب الذوبان والاندماج، أو قطب وجود جوالٍ مستقل ذاتياً ويعتمد على مؤسسات جوالية قومية.

ـ **طابع المؤسسات**: زعماء الجالية التي ستنشأ يتوجب عليهم ان يحسموا أيضاً بشأن القدرة التي ستمنح لمؤسسات الجالية، وبشأن طابعها من ناحية المركزة في مقابل البعثرة وطرق ربطها مع الشبكات اليهودية ما فوق الدول.

٤- علاقة إسرائيل مع المهجر/ الشتات اليهودي

منذ إنشاء إسرائيل في العام ١٩٤٨ يدور جدل علني وخفي بين زعماء إسرائيل من جهة، وبين زعماء المهجر/ الشتات اليهودي، وبخاصة في الولايات المتحدة من جهة أخرى، بشأن مصدر الإسهام الحاسم في إقامة الدولة اليهودية. وفي حين أدعى زعماء إسرائيل وفي مقدمهم بن غوريون أن الدولة أقيمت بالأساس من جانب المستعمرين اليهود الذين خططوا وحاربوا واستوطنوا ودافعوا عن مستعمراتهم بأجسادهم، فقد ادعى جزء من الزعماء الصهيونيين أنه دون مساهمة المهجر/ الشتات في إقامة الدولة، بالقوة البشرية، وبالمال، وبالسلاح، وبالمساعدة السياسية والدبلوماسية، فإنه من شبه المؤكد أن الدولة ما كانت لتقوم. والجدير بالذكر أن هذا الجدل لم يكن مجرد جدلٍ أكاديمي ونظري، وكذلك لم يكن جدلاً حول الكرامة الشخصية والتشريفات الشخصية. وفي الواقع فإن هذا الجدل كما فهمه بن غوريون، وموشي شاريت وأبا هيلل سيلفر، تركز على المسائل المتعلقة بمكان وجود وبماهية مركز الشعب اليهودي، والجهة التي تحدد وتقرر سياسة الشعب اليهودي كله. ومن الناحية الفعلية فإن هذا الجدل لم ينته لغاية الآن. ولقد عاد هذا الجدل وثار من جديد في الآونة الأخيرة، وهو ربما يكون حتى أقوى من السابق.

ولقد وقف في مركز هذا الجدل وما زال يقف السؤال هل إسرائيل الوطن الأم وفق المفاهيم التي تكررت كثيراً في هذه الدراسة، وهل هي المهيمنة في شبكة العلاقات في الشعب اليهودي، وما هي مسؤولية الدولة اليهودية تجاه يهود المهجر/ الشتات، وما هي حدود المطالب التي يمكنها أن تطرحها، وهل بمقدورها توقع الولاء والانضباط من جانب اليهود. وبالطبع فقد ادعى عدد من زعماء إسرائيل ان إسرائيل هي المركز المطلق للشعب اليهودي، ولذا فإنه يحق لها بل يتوجب عليها التدخل في شؤون المهجر/ الشتات اليهودي. من جهة أخرى قال زعماء من المهجر/ الشتات اليهودي أن إسرائيل لا تملك حق التدخل في شؤون الجوالي اليهودية، وبأنهم كانوا على استعداد للتعاون مع إسرائيل، ولكن ليس قبول املاءاتها أو توجيهاتها. ومن ناحية أخرى، ونظراً إلى أن إسرائيل قامت كدولة للشعب اليهودي، ونظراً للمساهمة الحيوية لزعماء المهجر/ الشتات في إقامة هذه الدولة، فقد أراد هؤلاء الزعماء ضمان قدرتهم على التأثير في سياسة اسرائيل. وهذا الجدل أيضاً لم يكن نظرياً مجرداً، بل إنه تحول إلى جزء من العملية السياسية في المهجر/ الشتات وفي إسرائيل (كما هو الأمر في الجدل حول مسألة من هو اليهودي؟ وكما هو الأمر في الجدل حول الوضع الراهن في إسرائيل، وكذلك الجدل حول مستقبل عملية السلام)، وترك أثره في تطورات عملية في المهجر/ الشتات وفي اسرائيل.

وبنظرة إلى الوراء يبدو أن حقيقة الوضع في هذه المجالات كان على النحو التالي: إن «اليشوف» اليهودي (المستوطنون) في «أرض اسرائيل»، وقدرته المعنوية والعسكرية، وتنظيمه، وقدرة قياداته، وقدرته على قيادة النضال العسكري والسياسي في «أرض اسرائيل»، ومساهمته الهامة في النضال السياسي ـ الدبلوماسي الذي دار في نيويورك وفي واشنطن، كانت أموراً حيوية في عملية إقامة الدولة اليهودية. ومن جهة أخرى فبدون المساهمات المختلفة للحركة الصهيونية ولعدد من الجوالي اليهودية الهامة، وخاصة مساهمة الجالية اليهودية في الولايات المتحدة، بالطاقة البشرية، وبالمال، وبالأفكار، وبالمساعدة السياسية والدبلوماسية، فقد كان من غير الممكن إقامة الدولة.

وظاهرياً، كان يتوجب على مثل هذه الرؤية المتوازنة توجيه تفكير وسياسة زعماء اسرائيل. إلا أنه من الناحية العملية، كان الوضع مختلفاً. فقد اتضح بعد زمن قصير من قيام الدولة، بأنه سادت في أوساط النخبة السياسية ثلاث مقاربات أساس بالنسبة إلى المهجر/ الشتات اليهودي: فقد تزعم بن غوريون أولئك الذين ادعوا ان إقامة دولة إسرائيل شكلت تحولاً قاطعاً في حياة الشعب اليهودي، يقود بالضرورة إلى رفض المهجر/ الشتات، وأن كل من اعتبر نفسه صهيونياً كان يتوجب عليه الهجرة إلى أرض إسرائيل، ولكي يتمكن جزء أكبر من الشعب اليهودي من التجمع في أرض اسرئيل فإنه لأمر حيوي ان تقوم دولة إسرائيل بدور الزعامة، وان تقوم حتى بممارسة ضغوط على اليهود لحملهم على الهجرة إلى اسرائيل. اما المقاربة الثانية فتم التعبير عنها في الفترة نفسها من جانب خصم بن غوريون، أي موشي شاريت الذي كان يعرف جيداً وضع المهجر/ الشتات اليهودي ومساهمة هذا المهجر/ الشتات في إقامة الدولة. وقد تبنى شاريت مقاربة متوازنة حيث قال إن المهجر/ الشتات وكذلك اليشوف (المستوطنون) في البلاد أسهما في إقامة إسرائيل، وبأن إسرائيل والمهجر/ الشتات سيواصلان اللجوء إلى بعضهما البعض. كذلك رأى شاريت انه لأمر حيوي أن تكون مكانة إسرائيل ومكانة المهجر/ الشتات اليهودي متساوية، وبأنه يتوجب على جزئي الشعب التعاون لمصلحة الشعب كله. وكانت المقاربة الثالثة هي مقاربة غالبية زعماء اسرائيل. وفي إطار هذه المقاربة الثالثة كان من الممكن التمييز بين ثلاث صياغات: الأولى هي تجاهل احتياجات المهجر/ الشتات، والثانية هي وضع مصالح إسرائيل في المكان الأول على جدول الأعمال القومي، والثالثة هي تجاهل احتياجات المهجر/ الشتات، ووضع المصالح الإسرائيلية في المكان الأول على جدول الأعمال القومي والاكتفاء بضريبة كلامية حول أهمية ومكانة المهجر/ الشتات.

واذا ما فحصنا جيداً السياسة الرسمية لإسرائيل في مجال العلاقات مع المهجر/

الشتات فإنه يبدو ان هذه السياسة كانت على وجه العموم ثمرة المقاربة الثالثة، أي انها استندت إلى دفع ضريبة كلامية بالنسبة إلى احتياجات يهود المهجر/ الشتات، وعملياً على أن المصلحة الإسرائيلية يجب ان تملي خطوات الحكومة وممثليها. ومن المهم التنويه بأن هذه الأمور لا تتعارض مع التعبيرات الصادقة المتعلقة بالحرص على مصير الجوالي اليهودية التي تعيش في ضائقة، مثل الجوالي اليهودية في الشرق الأوسط وفي شمال افريقيا في الماضي وفي الحاضر (العراق، سوريا، اليمن، مصر)، ويهود أثيوبيا، والاتحاد السوفياتي السابق. ويهود الأرجنتين وفرنسا، في ساعات ضيقهم. وكنتيجة لهذه المقاربة فإن حكومات إسرائيل تهب أيضاً للدفاع وحتى لمساعدة جوالٍ يهودية على الهجرة من البلدان التي تستضيفها. ولكن حتى في هذه المناسبات لم يغب الاعتبار والمصلحة الإسرائيلية. وفي الأمور الأخيرة لا يوجد ما يشبه توجيه اتهام أو اعراب عن معايير، فهذا مجرد انعكاس للواقع.

هذا ومن الممكن أن نقرر بقدر كبير من الثقة المستندة، بين أمور أخرى، على وثائق داخلية للحكومة، انه باستثناء حالات أزمة متطرفة لمهاجر يهودية، فإن الموضوع اليهودي كان في الماضي وما يزال موجوداً في موقع متدنٍ على جدول الأواليات القومي الإسرائيلي. ومرة أخرى، فهذا ليس حكماً ذا طابع معياري. وحسب رأيي فإنه حكم قائم على الحقائق. وأحد الأدلّة على هذا الوضع هو المكانة غير الهامة التي يحظى بها موضوع المهجر/ الشتات في نظام تحديد السياسة الخارجية الإسرائيلية وتنفيذها ـ هكذا على سبيل المثال، فإن تلك الدائرة في وزارة الخارجية الإسرائيلية المهتمة بشؤون اليهود، هي ذات مكانة وقدرة هامشيين في التشكيل العام للوزارة.

وهناك موضوع أكثر أهمية هو انعدام الاهتمام الذي تظهره إسرائيل تجاه الجوالي اليهودية في المهجر/ الشتات، عندما تقوم بتخطيط وتنفيذ سياستها الخارجية والأمنية تجاه الدول المضيفة للجوالي اليهودية، وكذلك تجاه أطراف ثالثة ذات علاقة بالموضوعات الاقتصادية التي تخص اليهود أو بالموضوعات اليهودية. وكمثال على ذلك فمن شبه المؤكد ان إسرائيل لم تأخذ في عين الاعتبار احتياجات ورغبات يهود جنوب افريقيا، أو احتياجات ورغبات يهود الولايات المتحدة عندما قامت بتنمية علاقاتها مع حكومات النظام العنصري هناك، او عندما قامت إسرائيل بصياغة سياستها تجاه سوريا ونحو ذلك.

كذلك فإن الجمهور في إسرائيل لا يرى في مشكلة يهود المهجر/ الشتات قضية مركزية على جدول الأعمال القومي. ومثل الحكومة فإن الجمهور الإسرائيلي أيضاً يظهر قلقاً صادقاً تجاه مهاجر الشتات التي تعاني ضائقة شديدة، وسيكون مستعداً

لتقديم الدعم من أجل حماية اليهود أو إنقاذهم. ولكن بصفة عامة، فإن المهجر/ الشتات اليهودي موجود في موقع متدن على جدول أعمال الجمهور الاسرائيلي. فهذا الجمهور يستهزئ بعقلية «جمع المال» كما يسخر من تأكيد اليهود على أن المال هو نهاية المطاف، وأن الأموال التي يجمعها يهود المهجر/ الشتات لمصلحة إسرائيل تعتبر في الواقع بمثابة دفع فدية في مقابل عدم هجرتهم إلى إسرائيل، واستمرارهم في العيش برفاه في الدول المضيفة لهم.

ومرة أخرى، فإن هناك موقفاً أكثر أهمية وهو موقف الاسرائيليين تجاه المسائل المرتبطة بتخصيص الموارد من جانب حكومة إسرائيل لجلب واستيعاب يهود المهجر/ الشتات، والذي يبدو ظاهرياً أنه مسألة تحتل مركز الكينونة الإسرائيلية على اعتبار أنها دولة للشعب اليهودي. وبينما ينشأ على وجه العموم إجماع واسع بالنسبة إلى انقاذ اليهود وإخراجهم من دول تعيش في ضائقة في أثناء الأزمات العميقة في هذه الاماكن، فقد أبدى الإسرائيليون في العقدين الماضيين استياء جلياً وكبيراً بسبب الاستثمار الكبير في استيعاب مهاجرين يهود في إسرائيل. وفي الآونة الأخيرة، فإن الغالبية الحاسمة من الاسرائيليين ينظرون باستخفاف تام إلى المؤسسات القومية، أي الوكالة اليهودية، والجباية اليهودية الموحدة، وكيرنهيود، والهستدروت الصهيونية على اختلاف مؤسساتها.

والنتيجة هي أن هناك هوة في التوقعات المتبادلة للإسرائيليين وليهود المهجر/ الشتات. وإذا ما أردنا المخاطرة بإطلاق تعميمات فيمكن القول أن مهاجر الشتات اليهودية توقعت أن تتحول إسرائيل إلى دولة نموذجية، وبأن تضع إسرائيل مسألة المهجر/ الشتات في موقع أعلى على جدول الأواليات القومية، وبأن ينظر زعماء إسرائيل إلى يهود المهجر/ الشتات باحترام أكثر، وبأن لا تستخدم إسرائيل ضغوطها عليهم لتحويل الموارد إلى إسرائيل، وبصفة خاصة الأموال، في الأوقات القاسية لمهاجر الشتات، وبأن تقدم إسرائيل الدعم لمهاجر الشتات التي تجد نفسها في حالة خطر، وليس فقط لمهاجر الشتات التي تعاني أزمة عميقة، وبأن تأخذ إسرائيل في عين الاعتبار احتياجات ورغبات وحساسيات مهاجر الشتات المختلفة، عندما تقوم بتخطيط وتنفيذ سياستها تجاه الدول المضيفة، وبأن لا تعمل إسرائيل على وضع مهاجر الشتات أمام قضايا الولاء المزدوج. والإحساس في المهجر/ الشتات هو أن الوضع القائم عملياً بعيد جداً من هذه التوقعات. وهم يرون أنه في كل الأحوال ستفضل إسرائيل مصالحها الخاصة، وأنها تطلب مساعدة مالية كبيرة جداً وأنها ليست حساسة بما فيه الكفاية للاحتياجات السياسية والاقتصادية للجاليات اليهودية، لأنها تهزأ بالمنفى وما إلى ذلك.

وهذه الهوة في التوقعات المتبادلة تخلق جواً وشعوراً من الصراع الذي ما يزال خفياً بمعظمه، بين زعماء الجوالي واسرائيل. والبؤرتان الرئيسيتان لهذا الصراع الخفي هما الموارد المالية التي تجمع من جانب مهاجر الشتات وغاياتها واستخداماتها، من جهة، وحق يهود المهجر/الشتات في انتقاد إسرائيل وفي معارضة سياسة حكومتها من جهة أخرى.

ومنذ الآن يمكن تلمس بعض النتائج السلبية لهذه التوترات: ينبغي أن نعزو جزءاً من الانخفاض في تخصيص الموارد لاحتياجات إسرائيل (مقارنة بالوضع الذي كان قبل نحو أربع أو خمس سنوات) للتأثير المتراكم لهذه الخلافات وللصراع الخفي بين إسرائيل ومهاجر الشتات اليهودية، وتناقص عدد اليهود الذين يزورون إسرائيل في إطار السياحة، واللامبالاة تجاه الأنشطة ذات الطابع الإسرائيلي التي تتم في مهاجر/الشتات، وانتقاد علني لإسرائيل وسياستها، وفي عدد من الحالات عمليات انفصال عن إسرائيل.

وهذا الصراع الخفي بين المهجر/الشتات اليهودي واسرائيل، ومطالبة مهاجر الشتات بالحصول على استقلال ذاتي أكبر، وبخاصة في المركزين اليهوديين الكبيرين في الولايات المتحدة وفي فرنسا، ومؤشرات متراكمة إلى سير مهاجر الشتات نحو الاستقلال الذاتي، كل هذه الأمور، تظهر أنه من الأجدى إيلاء اهتمام لأقوال زعماء مهاجر الشتات، وأنه من غير المستحسن النظر إليها وكأنها «مضمونة في جيب إسرائيل». فمهاجر الشتات يمكنها فصل نفسها عن إسرائيل في حالة توفر جميع أو حتى بعض الشروط التالية: خلافات شديدة جداً في الرأي بشأن المركز والمحيط النائي، وبخاصة عندما تشعر جالية يهودية بأنها في وضع ازدهار، في حين تبقى إسرائيل تراوح في مكانها، وعندما تقوم إسرائيل بطرح وتنفيذ سياسة معينة تضع مهاجر الشتات أمام معضلات صعبة، وبخاصة عندما تخلق هذه السياسة مشاكل صعبة في نطق ولاء جماعة مهاجر الشتات اتجاه إسرائيل والدولة المضيفة. وعندما تبادر إسرائيل وتنفذ سياسة إزاء الدولة المضيفة تبدو لزعماء مهاجر الشتات غير متوازنة، وكتلك التي يمكن أن تسبب ردود فعل شديدة جداً ضد مهاجر الشتات، أو كتلك التي قد تعرض للخطر مهاجر شتات يهودية أخرى، وعندما تتدخل إسرائيل بصورة فعالة وكثيفة أكثر مما ينبغي في الشؤون الداخلية لمهاجر الشتات، وعندما تحاول إسرائيل دفع مهاجر المهجر/الشتات لانتهاج سياسة تبدو لزعماء مهاجر الشتات متعارضة ومصالح الجالية. وتجدر الإشارة إلى أن الوضع الآن هو أن الكثير من هذه الأمور ينفذ على «الأرض» ويثير خلافات داخلية في مهاجر الشتات، وخلافات بين هذه الجوالي وبين إسرائيل.

خلاصـــة

عندما نمعن النظر في وضع الشعب اليهودي بعامة يتضح أنه يواجه بضع معضلات مركزية. والطريقة التي ستحل بها هذه المعضلات ستحدد طبيعة العلاقات والروابط بين إسرائيل والمهجر/ الشتات، وإلى حد كبير أيضاً بين مهاجر الشتات المختلفة:

ـ مركز/ مراكز وأطراف نائية ـ المعضلة هنا هي ما إذا كان يتوجب الاعتراف بالمطالبة بتعددية المراكز في الشعب اليهودي. ومن وجهة نظر إسرائيلية فإن المعضلة هي بين قدرة إسرائيل على ان تكون العامل البارز في الشعب اليهودي الذي يملك القدرة على التدخل في شؤون المهجر/ الشتات واحتكاره وبين إمكان تصاعد ظاهرة الاغتراب لدى مهاجر شتات يهودية كثيرة.

وهذه المعضلة لا تظهر فقط على مستوى العلاقات بين المجموعات اليهودية المختلفة في إسرائيل وفي الدول المضيفة. فالمعضلة تظهر أيضاً في داخل كل واحدة من الجوالي اليهودية (بما في ذلك في إسرائيل)، وهي تتعلق بمكانة «النواة الصلبة» من جهة ومكانة «اليهود الهامشيين» من جهة أخرى.

ـ طبيعة الهوية اليهودية ـ المعضلة هنا مرتبطة بالحسم بين المكونات المختلفة للهوية اليهودية ـ المكوّن الديني ـ الإثني، والإثني ـ القومي. من الواضح أن حسماً غير قابل للتأويل سيؤدي إلى الاغتراب وربما إلى فقدان مجموعات يهودية.

ـ الاستثمار في ضمان استمرارية المهجر/ الشتات. المعضلة هنا في تفوّق المبدأ الصهيوني واستمرار وجود المهجر/ الشتات. من زاوية النظر الإسرائيلية فإن لهذه المعضلة اوجهاً عملية، مثل العلاقة النسبية بين تخصيص الموارد (وليس فقط موارد مالية لإسرائيل)، وبين الموارد المتبقية في المهجر/ الشتات والمخصصة لضمان استمرار وجوده.

ـ العمل وفق مبادئ العدالة العالمية والحفاظ على استقامة تاريخية. ويتعلق الأمر بالأساس بالنظرة إلى مطالبة المهجر/ الشتات الفلسطيني بحق تقرير المصير والفوز بإقامة دولة لمهجر/ شتات دون دولة، وفقاً للمبادئ نفسها التي طالبت بها الحركة الصهيونية لنفسها في نهاية الأربعينيات. والمعضلة الإسرائيلية هنا هي: إمكان القبول بقيام دولة فلسطينية مستقلة تجاه استمرار خسارة الدعم من جانب أوساط ليبرالية و«يسارية» في مهاجر الشتات اليهودية.

ـ معضلة الولاء المزدوج. والمعضلة هنا هي بين الولاء للبلد المضيف وبين الولاء

للوطن الإثني ـ القومي. ومن وجهة نظر إسرائيلية فإن المعضلة هي بين إمكان «استغلال» مهاجر الشتات كلها أو أفراد فيها، وبين امكان اغتراب مجموعات بارزة في المهجر/الشتات تفضل الحفاظ على الولاء للبلد المضيف وحكومته.

ـ معضلة الاستقلال التابع. والمعضلة هنا هي في كيفية ضمان استقلال إسرائيل ومهاجر الشتات من خلال الاعتراف بالارتباط التبادل.

وفي الآونة الأخيرة ينبغي أن نذكّر بأن علاقات إسرائيل والمهجر/الشتات، كما أيضاً علاقات البلدان الأم الأخرى ومهاجر الشتات التابعة لها، هي مسألة معقدة لا مثيل لها. ولقد أشارت الدراسة الحالية إلى جزء من الإشكالية الكبيرة لهذه القضية.

وفي ضوء هذه الإشكالية الكبيرة يتوجب رفض أي محاولة لاقتراح حلول سطحية لهذه القضايا. هكذا، على سبيل المثال، فكما عبر عنه في صميم هذه الدراسة، فإن الشعار المسموع أن الحل لكل قضايا الشعب اليهودي يكمن في التربية اليهودية أو العبرية ـ ينتمي إلى هذا النوع من الحلول السطحية، التي لا تحدث تغييراً جوهرياً في الوضع المستقبلي للشعب.

كذلك يتوجب رفض التفكير المميّز لبعض «الزعماء» الإسرائيليين واليهود، والقائل إن الأمر الأكثر أهمية هو الإصلاحات في البنى التنظمية والمؤسسية. وهذا لأن الآليات البيروقراطية ليست العوامل الأكثر أهمية في منظومات العلاقات المعقدة بين إسرائيل والمهجر/الشتات. هذا لأن القرارات الحاسمة تتخذ من جانب أفراد من جهة، ومن جانب زعماء من جهة أخرى.

المشكلة المركزية هي كيفية خلق منظومة مفاهيم وأفكار معقدة ومبدعة، تكون قادرة على مواجهة التعقيدات الهائلة للمشكلة. في هذا السياق، يجب أن نرفض أيضاً التفكير بأن حلولاً مماثلة أو مؤطرة ستكون مناسبة لجميع جوالي المهجر/الشتات اليهودي. وكما عُرض أعلاه، فعلى الرغم من خطوط تشابه عامة، فإن وضع كل جالية من الجوالي يختلف عن وضع الأخرى، ويجب التفكير على انفراد في وضع كل جالية من هذه الجوالي.

إن التفكير في وضع مهاجر الشتات وفي مستقبلها ينبغي أن يصبح جزءاً لا يتجزأ من العملية المركزية لتحديد السياسة في إسرائيل وفي الجوالي اليهودية المختلفة. ويجب أن يكون الهدف الرئيس منع توترات غير لازمة في الشبكات الداخلية وما فوق الدول الحساسة التي تربط الكتل المختلفة للشعب اليهودي.

هذا، وإنه لأمر حيوي القيام بتحليل المعلومات عن الوضع في مهاجر الشتات وفي إسرائيل، وعن التطورات المركزية انطلاقاً من انفتاح فكري، ومن خلال الاستعداد لإعارة اهتمام للنتائج النظرية في موضوعات المجموعات الإثنية، ومهاجر الشتات الإثنية ـ القومية، ومن خلال استقامة فكرية، وليس من خلال الجمود الفكري والتلون اللذين ميزا حتى الآن العديد من التحليلات والسياسات في هذا المجال، في إسرائيل وفي المهجر/ الشتات على حد سواء.

ديمغرافيا
الشعب اليهودي نحو عام ٢٠٢٠
سيناريوات اجتماعية ـ سكانية

سيرجيو ديله بيرغولا

ملخص

من وجهة النظر الخاصة بإسرائيل فإن السكان اليهود في العالم ـ أو باختصار الشعب اليهودي ـ هم عامل ذو أهمية قصوى في أي محاولة لتطوير سيناريو للتطورات الاجتماعية ـ الديمغرافية المحتملة في المستقبل المنظور. وفي ما عدا الروابط القيمية بين المكونات المختلفة للشعب اليهودي، فإن الرابطة الديمغرافية، والاجتماعية والثقافية بين يهود المهجر/الشتات وبين «اليشوف» (المستوطنون) اليهودي في «أرض إسرائيل» وفي دولة إسرائيل، شكلت في الماضي، وتشكل اليوم أيضاً إلى حد معين، عاملاً أولياً وحاسماً في تطور المجتمع الإسرائيلي. وعلى الرغم من أن المجتمع الإسرائيلي يتطور من خلال مسارات ذاتية وأصلية ليست بالضرورة امتداداً للمسارات المميزة ليهود المهجر/الشتات ـ إلا أنه يمكن التأكيد على أنه من لا يمكن وجود فهم وتوقع جاد للتحولات الاجتماعية ـ الديمغرافية في دولة إسرائيل، دون نظرة في العمق إلى ما يحصل في أوساط بقية يهود العالم.

ويتعلق الأمر بالأساس بنطاق وحجم الهجرة اليهودية إلى إسرائيل وبسماتها المميزة. فالغالبية العظمى من السكان اليهود في إسرائيل هي نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لحركات هجرة حصلت في المائة سنة الأخيرة. وهذه الهجرة المتعددة الأبعاد حملت معها إلى البلاد جمهوراً يهودياً غير متجانس جداً. وبتباينه الداخلي دلّل هذا الجمهور على الألوان المتعددة للتحولات الاجتماعية ـ الديمغرافية التي حصلت داخل الجوالي اليهودية في مناطق العالم المختلفة. وكان هناك دليل قاطع على أهمية الرابطة بين

يهود المهجر/الشتات وبين التطورات التي شهدها المجتمع الإسرائيلي، في نهاية الثمانينيات، مع انبعاث الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي سابقاً. وان حركات هجرة يهودية بمثل هذه الأحجام أو تلك، يمكنها ان تؤثر أيضاً في المستقبل في الموازين الديمغرافية الإسرائيلية ـ إلى جانب تطورات وتحولات داخلية في السكان المحليين. ولذا فإن منح الاهتمام الملائم للعوامل التي قد تستنهض أو قد تحبط حركات هجرة كهذه في المستقبل، هو أمر حيوي. كذلك فإنه من المهم أن نقف على المسارات الديناميكية والبنيوية الحاصلة الآن، والتي قد تحصل في المستقبل في أوساط السكان اليهود من وجهة نظر عالمية شاملة.

وفي المقالة سنقف بإيجاز على عدد من المسارات المركزية التي تميز ديمغرافية الشعب اليهودي في الحاضر. وفي السياق الإسرائيلي قد تلعب هذه المسارات دوراً جوهرياً في عشرات السنوات المقبلة. أولاً، سنرسم بخطوط عامة التحولات الكمية والجغرافية التي حصلت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. ومن هذه التحولات سوف نستخلص دروساً ما ذات أهمية لتوقعات المستقبل. وفي وقت لاحق سنقف عند عدد من القضايا المنهجية التي تنتصب على طريق الباحث في التحولات الديمغرافية التي حصلت في أوساط يهود المهجر/الشتات. كما سينظر في عدد من المسارات الداخلية والخارجية التي تؤثر في السكان اليهود في البلدان المختلفة. كما سنقف على تأثير هذه التحولات في بنية السكان اليهود. وعلى أساس هذه المعلومات وهذه الدروس سنطرح عدداً من السيناريوات، كما سنمعن النظر في عدد من السيناريوات بالنسبة إلى تطور الشعب اليهودي المتوقع في عشرات السنوات المقبلة. أما السيناريوات للعام ٢٠٢٠ فتتعلق بحجم السكان اليهود، وبالتقسيم الجغرافي بين دولة إسرائيل والمهجر/الشتات، وبتركيبة الأعمار. وفي النهاية فاننا سنطرح عدداً من السيناريوات حول المدلول الأعمق الذي يتجاوز الوصف والتوقع الكمي ـ للمسارات المتوقعة في السنوات الأخيرة، والتي من المتوقع أن تحصل في المستقبل، في ديمغرافية الشعب اليهودي.

١ - صورة الوضع

١-١ السياق البنيوي العام

١-١-١ حجم السكان اليهود

هناك قضايا منهجية ومفاهيمية معقدة تضع المصاعب أمام محاولة تحديد أبعاد كمية، موثوقة ومراقبة للسكان اليهود في مهاجر الشتات. وكانت هذه القضايا قد نوقشت بتوسع في أماكن أخرى، وسيتم إجمالها باختصار في سياق المقالة. وفي هذه

المرحلة إذا ما افترضنا إمكان التغلب على هذه المشاكل، واكتفينا بتقديرات تقريبية وبأحجام معقولة، سيكون بمقدورنا التعاطي مع الخلاصات الواردة في الجدول رقم (١)، ص ٤٤٧ من هذا الكتاب ويعرض هذا الجدول أحجام السكان اليهود في العالم، في المكونين النمطيين الرئيسيين لدولة إسرائيل ولمجمل مهاجر الشتات، بين الأعوام ١٩٤٥ و١٩٩٣. وتظهر في الجدول أرقام قاطعة، ونسب نمو سنوية لـ ١٠٠٠ في كل فئة سكانية فرعية.

وبعد الحرب العالمية الثانية وبعد الكارثة اليهودية بقي نحو ١١ مليون يهودي، من بينهم نحو نصف مليون داخل اليشوف (المستوطنون) اليهودي في «أرض إسرائيل». وكانت الكارثة قد تسببت بضرر كبير لا يمكن إصلاحه لأحجام الجوالي اليهودية في أوروبا. ولكن إضافة إلى الخسارة الكمية، فقد نشأت أيضاً تشوهات شديدة في البنية الديمغرافية، بما في ذلك في تركيبة أعمار اليهود الذين بقوا. وعقب ذلك تقلصت طاقة النمو المحتملة للسكان اليهود بشكل ملحوظ، على الرغم من العودة إلى ظروف بيئية طبيعية بشكل أو بآخر.

وبخصوص مجموع السكان اليهود في العالم فإن الجدول رقم (١) يظهر تباطؤاً تدريجياً في وتيرة النمو. وبأرقام مطلقة فإن المجموع الكلي للسكان اليهود قد ازداد بنحو ٨٠٠,٠٠٠ نسمة بين الأعوام ١٩٤٥ و١٩٥٥، وبنحو ٧٠٠,٠٠٠ نسمة بين الأعوام ١٩٥٥ و١٩٦٥، وبنحو ٢٤٢,٠٠٠ نسمة بين الأعوام ١٩٦٥ و١٩٧٥، وبنحو ١٢٩,٠٠٠ بين الأعوام ١٩٧٥ و١٩٨٥، وبنحو ٩٢,٠٠٠ بين الأعوام ١٩٨٥ و١٩٩٣. وسجلت نسبة النمو السنوي الاعلى في الفترة كلها في الأعوام ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ حيث قدر، بنحو ٧,٤ لكل ١٠٠٠ يهودي في العالم. وأخذ نسبة النمو هذه بالتقلص باستمرار مع مرور الوقت واقتربت من الصفر في الثمانينيات بل إنها وصلت إلى رقم سلبي، أي إلى تقلص بأرقام مطلقة بين الأعوام ١٩٨٥ و١٩٩٠.

وفي الأعوام الثلاثة الأخيرة التي تم استعراضها في الجدول رقم (١) ظهر انتعاش معين وعودة إلى نسبة نمو إيجابية ولكن متواضعة بلغت ٢,٤ لكل ١٠٠٠. والسبب في هذا التغيير العارض هو مزدوج: فمن جهة حدث تحسن مؤقت في تركيبة أعمار السكان اليهود (انظر بحثاً آخر لاحقاً) ولكن من جهة ثانية فإن السبب الرئيس مرتبط بانتعاش واسع الحجم للهجرة من الاتحاد السوفياتي سابقاً. وأدى هذا التحرك إلى حمل عدد لا بأس به من الأشخاص المرتبطين ارتباطاً عائلياً وثيقاً مع مهاجرين يهود، أو المنتمين بأنفسهم إلى عائلة نصف يهودية، للعودة إلى أحضان الديانة اليهودية أو لاعتناق الديانة اليهودية للمرة الأولى.

إن مسار تطور الفئتين السكانتين الفرعيتين في إسرائيل وفي المهجر/الشتات مختلف جداً. فقد ازداد عدد السكان اليهود في «أرض اسرائيل» باستمرار في سياق تذبذب في نسب النمو السنوية بين حد أقصى هو ١٧٤,٥ لكل ١٠٠٠ بين الأعوام ١٩٤٥ و١٩٥٠ وبين حد أدنى هو ١٣,٩ لكل ١٠٠٠ بين الأعوام ١٩٨٠ و١٩٨٥. وللمرة الأولى تقلص حجم السكان اليهود في مهاجر الشتات بين الأعوام ١٩٤٥ و١٩٥٠ وبالأساس عقب موجة الهجرة الجماهرية إلى إسرائيل. وفي نهاية فترة نمو معتدل المعتدلة (٠,٨ لكل ١٠٠٠ سنوياً) بين الأعوام ١٩٥٠ و١٩٦٠ عادت مهاجر الشتات للتقلص مرة أخرى وبوتيرة متزايدة، من نسبة سنوية سلبية هي ٠,٧ لكل ١٠٠٠ يهودي بين الأعوام ١٩٦٠ و١٩٦٥ وحتى نسبة ١١,١ لكل ١٠٠٠ في الأعوام ١٩٩٠ ـ ١٩٩٣.

وبالنسبة إلى الفترة ما بين عامي ١٩٦١ و١٩٩٣ فإن الجدول رقم (٢)، ص ٤٤٧ من هذا الكتاب. يميز بين مكونات التغيير الديمغرافي الرئيسة: ميزان الهجرة الدولية بين مهاجر الشتات وإسرائيل (هجرة ـ نزوح)؛ وميزان بقية التغيرات النابع من ميزان الحركة الطبيعية (الولادات ناقص الوفيات) ومن ميزان الانضمام إلى الديانة اليهودية والتخلي عنها. وفي إسرائيل فميزان الهجرة وكذلك ميزان بقية التغيرات أيضاً يسهمان بصورة ثابتة في زيادة عدد السكان اليهود. ونسب ميزان الهجرة ليست ثابتة وتتراوح بين حد أدنى هو ١,٢ لكل ١٠٠٠ سنوياً في الأعوام ١٩٨٣ ـ ١٩٨٨ وبين حد أقصى هو ٢١,٦ لكل ١٠٠٠ في الأعوام ١٩٨٩ ـ ١٩٩٣. كذلك فإن نسب التكاثر الطبيعي السنوية (بما في ذلك تغييرات الهوية الدينية ـ القومية) مستقرة للغاية وعالية نسبياً، مع أنها تتقلص من ١٧,٢ لكل ١٠٠٠ في الأعوام ١٩٦١ ـ ١٩٧١ إلى ١١,٩ لكل ١٠٠٠ في الأعوام ١٩٨٩ ـ ١٩٩٣.

هذا وتختلف الصورة في المهجر/الشتات وميزان الهجرة مع دولة إسرائيل هو سلبي باستمرار، في سياق تذبذب في قوته. أما الميزان السنوي لبقية التغييرات فقد كان إيجابياً، إلا أنه كان يقترب من الصفر في الأعوام ١٩٦١-١٩٧١. وابتداءً من السبعينيات أصبح سلبياً بشكل دائم. وفي الأعوام ١٩٨٩ ـ ١٩٩٣ قُدرت نسبة الهجرة السلبية بنحو ٩,٨ لكل ١٠٠٠، كما قدرت نسبة التكاثر الطبيعي (بما في ذلك تغييرات الهوية الجماعية) بنحو ٣,٦ لكل ١٠٠٠.

وبكلمات أخرى، فمنذ نهاية الستينيات وقف السكان اليهود في مهاجر الشتات على حافة نمو يعادل الصفر (باستثناء تأثير حركات الهجرة) ومنذ ذلك الحين أخذ هؤلاء السكان بالتقلص.

١-١-٢ الهجرة الدولية

في الأعوام الأخيرة عادت الهجرة الدولية مرة أخرى لتلعب دوراً حاسماً في صياغة الصورة الاجتماعية ـ الديمغرافية للشعب اليهودي. ولغرض البحث الحالي يتوجب إمعان النظر في اتجاهات الماضي، وذلك لفحص ما إذا كان بالامكان استخلاص عبر يمكن تطبيقها في اتجاهات محتملة في المستقبل. ويعرض الرسم البياني رقم (١)، ص ٤٦٧ من هذا الكتاب. خلاصة لحركات هجرة اليهود بين عامي ١٨٨٠ و١٩٩٤. وبشكل عام فإن هذا الرسم البياني يصف تنقلات أكثر من ٧,٥ مليون شخص. وعلى الرغم من التغييرات الكبيرة التي ميزت النظام الجغرافي ـ السياسي في الفترة المذكورة، تلحظ في الاتجاهات ما يشبه الشرعية المثيرة للاهتمام، التي يمكن إجمالها في ثلاث سمات مميزة:

١ ـ مستوى عال من التنقل، بشكل عام، خلال كل الفترة.

٢ ـ بنية موجات هجرة متتابعة، واحدة كل خمس إلى عشر سنوات. وفي كل حالة فإن هذه الموجات تعبر عن أوقات أزمة متكررة، تتعلق بجوالٍ يهودية مختلفة في العالم.

٣ ـ تكرار موجات هجرة رئيسية في فترات زمنية تمتد على بضع عشرات من السنين، وتعبّر عن تغيير استراتيجي في منظومة القوى الجغرافية ـ السياسية العامة، التي تؤثر تأثيراً عميقاً في انتشار السكان اليهود في العالم.

وهناك وجه آخر يحصل على تأكيد من الاتجاهات الجارية في عشرات السنين الأخيرة، ويتمثل بوجود علاقة عكسية بين وضع الدولة الاقتصادي والجغرافي ـ السياسي والثقافي وحجم الهجرة اليهودية الخارجة منها. وكنموذج على ذلك فإن الرسم البياني رقم (٢)، ص ٤٦٧ من هذا الكتاب. يصف العلاقة بين شيوع الهجرة إلى إسرائيل في عام ١٩٩٢ وبين خمس مجموعات لدول المنشأ، مرتبة حسب مستوى تطورها الاجتماعي ـ الاقتصادي (انظر لاحقاً). ويتناسب شيوع الهجرة إلى إسرائيل تناسباً عكسياً مع مستوى النمو. وهذه الحقيقة قد تساعد في توقع المصادر المستقبلية للهجرة اليهودية، ولذا فإن هناك حاجة لمراقبة مستمرة للوضع المتغير في كل بلد في العالم.

وبنظرة إلى المستقبل يمكن القول إن هذه الاتجاهات العامة سوف تستمر. ولا يوجد يقين بالنسبة إلى بلدان المنشأ وحجم الهجرة اليهودية المستقبلية على المدى الأبعد. ولكن منظومة القوى التي قد تثير مثل هذه الهجرة قائمة على وجه العموم

طوال الوقت في إطار النظام العالمي (World System). وعلى مدى السنوات القريبة ينبغي الانتباه إلى أن الموجة الحالية التي تخرج من الاتحاد السوفياتي سابقاً لم تتوقف بعد.

١-١-٣ الانتشار الجغرافي

الجدول رقم (٣)، ص ٤٤٨ من هذا الكتاب. يعرض التغيرات الرئيسية التي طرأت على التركيبة الجغرافية للسكان اليهود في العالم بين الأعوام ١٩٧٠ ـ ١٩٩٣، وفق مناطق جغرافية رئيسة في العالم. والتبدل الكبير الظاهر يعبر أيضاً عن نظام الهجرة الدولي كما يعبر عن فروقات في الديناميكية الديمغرافية الداخلية لجوالٍ يهودية في مناطق مختلفة في العالم.

ولقد قسم العالم بموجب الجدول رقم (٣) إلى ١٣ منطقة فرعية، وفي هذه المناطق تغير السكان اليهود على النحو التالي:

في خمس مناطق: الاتحاد السوفياتي السابق الواقع في أوروبا، بقية أجزاء أوروبا الشرقية والبلقان، الاتحاد السوفياتي السابق الواقع في آسيا؛ بقية أجزاء آسيا (باستثناء إسرائيل)؛ أفريقيا الشمالية (بما في ذلك أثيوبيا)؛ ـ طرأ انخفاض حاد، بين ٥١ بالمئة إلى ٨٧ بالمئة على حجم السكان اليهود الذي كان في عام ١٩٧٠.

في أربع مناطق: دول الاتحاد الأوروبي، بقية أجزاء غرب أوروبا، افريقيا الجنوبية وأمريكا الجنوبية، طرأ انخفاض أكثر اعتدالاً بين ٢ بالمئة و٢٠ بالمئة على حجم السكان اليهود الذي كان في عام ١٩٧٠.

في منطقتين: أمريكا الشمالية وامريكا الوسطى طرأت زيادة معتدلة بين ٦ بالمئة و١٣ بالمئة على حجم السكان اليهود الذي كان في عام ١٩٧٠.

في منطقة واحدة: هي أوقيانيا (وتشمل أستراليا بصفة رئيسية) طرأت زيادة بنسبة ٣٧ بالمئة.

المنطقة التي طرأت عليها الزيادة الجوهرية للغاية: هي دولة إسرائيل (٦٨ بالمئة+).

ولقد كان العامل الرئيسي في هذه التبدلات هو وتيرة واتجاه الهجرة الدولية، وبصفة خاصة الهجرة من الدول التي كانت تشكل الاتحاد السوفياتي السابق. وبأحجام مطلقة (ولكن ليست نسبية) أصغر أيضاً من دول أخرى في شرق أوروبا، آسيا وأفريقيا. ويعود مصدر هذه التغيرات إلى التبدلات الاستراتيجية في التجمع

الجغرافي ـ السياسي، وفي التبدلات في وضع اليهود التابعة من ذلك. وكانت دول إسرائيل هي هدف المهيمن لحركات الهجرة هذه، في نهاية الثمانينيات وفي النصف الأول للتسعينيات. وبذلك تكون إسرائيل قد احتلت من جديد المكان الأول في شبكة هجرة اليهود الدولية. وكانت إسرائيل قد احتلت هذه المكانة منذ عام ١٩٤٨ وبداية الهجرة اليهودية الواسعة، إلا أنها فقدتها في العقد الممتد من نهاية السبعينيات وحتى نهاية الثمانينيات.

إلا أنه بعيداً من الظروف الحالية فإن اتجاه الهجرة اليهودية الدولية نُسّق مع تحول تدريجي بعيد المدى، أساسه انتقال اليهود من أقطار أقل تطوراً إلى اقطار أكثر تطوراً. وفي عقب ذلك، فإن مركز ثقل السكان اليهود ينتقل، بشكل متزايد، إلى النواة الأكثر تطوراً لنظام الدول العالمي (World System). ويدل فحص المؤشرات الاجتماعية-الاقتصادية الرئيسة لمئة وستين دولة في العام ١٩٩٢ على أن ٥٢ بالمئة من السكان اليهود في العالم يقيمون في الدول المشمولة في العشر الأعلى لدول العالم. وتشمل هذه المجموعة الولايات المتحدة والدول الرائدة في أوروبا الغربية. وهناك ٣٦ بالمئة آخرون من الشعب اليهودي يعيشون في دول مشمولة في العشر الثاني الذي يشمل إسرائيل. وهكذا نرى أن نحو ٨٨ بالمئة من إجمالي يهود العالم موجودون في الخمس الأعلى للدول من ناحية المستوى الاجتماعي ـ الاقتصادي، في مقابل ١٧ بالمئة من سكان العالم (انظر الرسم البياني رقم (٣)، ص ٤٦٨ من هذا الكتاب). كما أن أقل من ١٠ بالمئة من السكان اليهود موجود في بلدان مجموعة الخمس الثاني (وبخاصة في دول أوروبا الشرقية)، في مقابل ١٤ بالمئة من إجمالي سكان العالم. وهناك نسب ضئيلة فقط بقيت في بقية الأقطار التي كان الوجود اليهودي فيها جوهرياً، في السابق. وتتركز غالبية سكان العالم في هذه الأقطار.

هذا ويبين الرسم البياني رقم (٤)، ص ٤٦٨ من هذا الكتاب. بصورة بيانية العلاقة بين مستوى تطور الدولة وعدد اليهود فيها. ويشكل الخط البياني الاستيفاء الأكثر ملاءمة، على أساس معطيات عام ١٩٨٨. وفهم ماهية هذه العلاقة قد يساعد في محاولة توقع تلك الدول التي سوف يوجد فيها في المستقبل عدد أكبر من اليهود، والدول التي سوف يوجد فيها عدد أقل.

ويعرض الجدول رقم (٤)، ص ٤٤٩ من هذا الكتاب قائمة تشمل المجموعات السكانية اليهودية الخمس عشرة الكبرى في الأعوام ١٩٣٩، ١٩٧٠ و١٩٩٣ من أجل مقارنة أوسع. ويبرز في هذه القائمة انخفاض دول شرق أوروبا وارتفاع دول غربية. كذلك يبرز اتجاه نحو تركيز متزايد للسكان اليهود في عدد صغير من الجوالي.

وفي العام ١٩٩٣ وجد ٧٧ بالمئة من إجمالي الشعب اليهودي في الولايات المتحدة أو في إسرائيل، في مقابل ٦٣ بالمئة في العام ١٩٧٠ و٤٩ بالمئة في العام ١٩٣٩. كذلك فإن ٨٧ بالمئة من إجمال اليهود في عام ١٩٩٣ تواجدوا في الدول الخمس الرئيسة، و٩٧ بالمئة من مجموع يهود العالم في الدول الخمس عشرة الرئيسة في مقابل ٩٣ بالمئة في العام ١٩٧٠ و٨٧ بالمئة في العام ١٩٣٩.

إن التركيز المتزايد لليهود في الأقطار التي تعرض ظروفاً اجتماعية اقتصادية محسّنة واستقرار سياسي، يدعم ظاهرياً استقرار وازدهار النظام الجوالي في كل مكان. وأن الحفاظ على الظروف القائمة قد يبشر بتباطؤ معين في حجم الهجرة اليهودية في ما بين الأقطار.

ولكن ليس هناك ما يؤكد في الظروف القائمة بأن النظام العالمي سوف يحافظ فعلاً في المدى البعيد على استقراره بالأنماط الحالية.

وفي هذا السياق فإن هناك حقيقة مثيرة للاهتمام وهي أن السكان اليهود في دول جنوب شرق آسيا قلائل جداً، رغم أن هذه الدول تعد من الدول التي تتطور بالسرعة الأكبر في العالم. واستناداً إلى منطق التحليل الذي عرض هنا، يمكن الافتراض بأن عدد اليهود في منطقة جنوب شرق آسيا سوف يتزايد في عشرات السنوات المقبلة. ولكن الشرط لوجود جوالٍ يهودية حقيقية هو تطور دول آسيا إلى دول ذات ألوان ثقافية وعرقية متعددة فعلاً، وذلك إضافة إلى التأثيرات الغربية في المجال التكنولوجي الموجودة حالياً. مثل هذا الانفتاح محتمل إلا أنه ليس مؤكداً.

١-١-٤ تحولات اجتماعية ـ اقتصادية

ترتبط التغييرات التي وصفت في التوزيع الجغرافي ارتباطاً وثيقاً بتغييرات في التركيبة الثقافية والاستخدامية للسكان اليهود. أولاً، بالمستوى العام، فإن تحليلاً مفصلاً لمواقع استيطان اليهود في الولايات المتحدة وفي دول المجموعة الأوروبية الاثنتي عشرة يشكل تكراراً عن قرب للنتائج التي سبق أن وصفت في تحليل الانتشار بين الدول. الجزء الأكبر من اليهود (٥٠ بالمئة ـ ٦٠ بالمئة) يقيم في الخمس الأعلى للمناطق الجغرافية، من ناحية النمو الاجتماعي ـ الاقتصادي. ويتطرق التقسيم الجغرافي الداخلي إلى الولايات المتحدة الخمسين والى ٦٩ منطقة إحصائية ـ اقتصادية في داخل الاتحاد الأوروبي. والسمات المميزة للتطور الاقليمي هي مستوى دخل مرتفع، وتطور بالغ التعقيد وتباين في وسائل الإنتاج المحلية، تنوع الأنشطة الصناعية، التجارية والمالية، وجود مؤسسات للتعليم العالي، الأبحاث والثقافة على مستوى عال.

ووفقاً لذلك فإن السكان اليهود في المهجر/ الشتات مركزون بالأساس داخل مدن كبيرة. في مطلع التسعينيات كان نحو ٦٤ بالمئة من إجمالي يهود المهجر/ الشتات يتركز في ١٦ منطقة حضرية كبيرة فقط هي:

١ ـ نيويورك ـ شمال شرق نيوجيرسي	(١,٩٣٧,٠٠٠)
٢ ـ لوس انجيلوس	(٥٩٠,٠٠٠)
٣ ـ ميامي ـ بورت لاودر دايل	(٣٨٢,٠٠٠)
٤ ـ باريس	(٣١٠,٠٠٠)
٥ ـ فيلادلفيا	(٢٨٠,٠٠٠)
٦ ـ شيكاغو	(٢٦٣,٠٠٠)
٧ ـ بوسطن	(٢٣٥,٠٠٠)
٨ ـ سان فرانسيسكو	(٢١٦,٠٠٠)
٩ ـ لندن	(٢١٥,٠٠٠)
١٠ ـ بيونس آيرس	(١٨٠,٠٠٠)
١١ ـ واشنطن	(١٦٦,٠٠٠)
١٢ ـ تورونتو	(١٦٣,٠٠٠)
١٣ ـ وست بالم بيتش ـ بوكاراتون	(١٥١,٠٠٠)
١٤ ـ موسكو	
١٥ ـ بالتيمور	(١٠٥,٠٠٠)
١٦ ـ مونتريال	(١٠١,٠٠٠)

وعلى مستوى الفرد، فإن التبدلات في بنية السكان اليهود تجد تعبيراً عنها في التوجه الأكاديمي شبه الكامل للجيل الشاب (أكثر من ٧٠ بالمئة يحصلون على ثقافة جامعية)، وبالانتقال المطرد إلى مهن حرة وأكاديمية. وكان في الولايات المتحدة العام ١٩٩٠ ٨٦ بالمئة من إجمالي اليهود الذين تتراوح أعمارهم من ثلاثين إلى تسعة وثلاثين عاماً من ذوي الثقافة فوق الثانوية، وكان ٦٦ بالمئة من أصحاب الدرجات الجامعية الأولى، و٣٣ بالمئة من حملة شهادات الماجستير أو الدكتوراة. وكانت النسب المئوية ذاتها من إجمالي السكان البيض في الولايات المتحدة هي ٤٩ بالمئة، ٣٧ بالمئة و١١ بالمئة على التوالي. ونسبة المستخدمين في التجارة آخذة بالتناقص، كما أن عدد عمال الإنتاج قليل منذ سنوات كثيرة.

وفي الولايات المتحدة ومن ضمن السكان اليهود الذين كانوا في سن الثامنة عشرة فما فوق في العام ١٩٩٠، فإن ٣٩ بالمئة من الرجال و٣٦ بالمئة من النساء في قوة العمل كانوا من ذوي المهن الحرة؛ كما أن ١٧ بالمئة من الرجال و١٣ بالمئة من

النساء كانوا مدراء؛ و٢٤ بالمئة من الرجال و٤١ بالمئة من النساء كانوا يشتغلون كموظفين أو في مجال المبيعات، في حين عمل ٢٠ بالمئة من الرجال و١٠ بالمئة من النساء في مهن الياقة الزرقاء وفي الإنتاج وفي الخدمات. وما يثير الاهتمام بشكل خاص الهوة الصغيرة بين الرجال والنساء في أوساط السكان اليهود في المستويات العليا للسلم المهني.

كذلك يبرز اتجاه بطيء أيضاً، ولكنه ثابت، في الانتقال من العمالة الذاتية إلى العمالة بأجر، بما في ذلك الهيئات الكبيرة، الخاصة والعامة. والتحولات في الترتيب الطبقي لغالبية السكان اليهود في مهاجر الشتات تتم بشكل مواز وبصورة قابلة للتوقع إلى حد معين. وهي تترجم إلى أنماط بنيوية ذات طابع مماثل في جوالٍ يهودية في بلدان مختلفة. والملمح (بروفيل) الاستخدامي الذي يميز يهود مهاجر الشتات جوهري بشكل خاص عندما تنهض موجات الهجرة، كتلك التي وصلت في الأعوام الأخيرة من الاتحاد السوفياتي سابقاً. والهجرة اليهودية إلى إسرائيل قد تجلب معها رأس مال بشرياً على مستوى عال. وفي المقابل يطرح سؤال حول الكيفية التي يمكن للمجتمع الإسرائيلي أن يستوعب فيها أعداداً كبيرة من أصحاب المؤهلات الأكاديمية والتقنية. وهذه السمة المميزة، كما قلنا، مشتركة بين اليهود في كل البلدان.

وأحد الأوجه الجوهرية المرتبطة بالترتيب الطبقي الاجتماعي ـ الاقتصادي هو وجه الشبه في أنماط انتشار أماكن سكن اليهود، في الضواحي البلدية في أماكن مختلفة. واتجاهات التركيز والبعثرة ليست عرضية، وهي تشكل بنية تحتية هامة لانتظام حياة الجوالي اليهودية.

وفي حين أنه يمكن إجمال التغييرات التي طرأت على التركيبة الاجتماعية ـ الاقتصادية في عشرات السنين الأخيرة من طريق عملية تحسين وترسيخ اقتصادية، فإنه لا ينبغي تجاهل مشكلة ليست صغيرة تتمثل بالفقر في أوساط اليهود، وبالذات في أوساط جوالٍ في بلدان الغرب. وهناك نسبة لا بأس بها من إجمالي المرافق المنزلية اليهودية (وعلى سبيل المثال نحو ١٧ بالمئة في كندا في العام ١٩٩١ بصورة تقديرية) تقف على حافة خط الفقر أو تحته، كما هو محدد بمصطلحات تلك المواقع. ويتعلق الأمر بالأساس بكبار السن، والعائلات أحادية الوالدين، أو المهاجرين الذين وصلوا لتوهم من بلدان أخرى ولم يتمكنوا بعد من ترسيخ وضعهم الاقتصادي. وهذه الشرائح اليهودية التي تواجه صعوبات اقتصادية، تشكل أساساً محتملاً لحركات هجرة إضافية، داخل أراضي دول الإقامة الحالية، أو إلى أراضي دول أخرى.

١-٢ عمليات ديمغرافية رئيسة

١-٢-١ الزواج والخصوبة

في الماضي كانت العائلة حجر الزاوية في بنية جوالي اليهودية كلها، والقوة المحركة للتطور الديمغرافي. واتسمت جوالٍ يهودية بزيجات عالمية شابة ومستقرة للغاية ومتجانسة. وفي السنوات الماضية حصل تغير جوهري في الاتجاهات العائلية في الجمهور اليهودي. وحصل هذا التغيير بصورة ليست قليلة، ولكن ليس فقط، عقب تحولات كبيرة في مكانة العائلة في مجتمع الأغلبية في البلدان المتطورة.

وكان الميل العام للزواج قد تضاءل كثيراً ووصل في بلدان الغرب إلى درجة متدنية لم يسبق لها مثيل. وقد تزايدت نسب العزوبية «الأبدية»، بالإضافة إلى شيوع ظاهرة الأزواج الذين يعيشون من دون زواج. كذلك فإن سن الزواج يميل نحو الارتفاع بين أولئك الذين يقيمون عائلة. ونسب الطلاق آخذة بالارتفاع، على الرغم من أنها لم تصل بعد في أوساط يهود مهاجر الشتات إلى المستوى العالي جداً الذي وصلت إليه لدى فئات السكان الأخرى (أكثر من ٥٠ بالمئة من الأزواج في عموم السكان في الولايات المتحدة).

هذا وهبطت نسب الخصوبة في معظم الأقطار المتطورة إلى درجة غير مسبوقة، ويعود السبب في ذلك جزئياً إلى تقلص عدد الزيجات وإلى احتلال مكانة العائلة النواة التقليدية بواسطة أشكال سكن بديلة. ويوجد في أساس هذه التغييرات عوامل اقتصادية أيضاً، وربما بالأساس تحولات في الأساس العقائدي ـ الثقافي للمجتمع الغربي. ويبرز تعويض ديمغرافي جزئي في ازدياد ملحوظ في نسب الولادات خارج إطار الزواج في البلدان المتطورة. وخصوبة اليهود منخفضة منذ زمن كبير بالمقارنة بالسكان المحيطين بهم. وفي الجمهور اليهودي فإن الولادة خارج مؤسسة الزواج نادرة. ولذا فإن لتقلص عدد الزيجات تأثيراً مباشراً أكبر في مستوى الخصوبة المتدني. وفي غالبية البلدان التي توجد بشأنها معطيات خصوبة نجد أن نسبة معدل الخصوبة اليهودية تتراوح بين ١,٤ إلى ١,٦ طفل بالمتوسط (الولايات المتحدة، كندا، روسيا، وفرنسا ومؤخراً جنوب أفريقيا). ومعدل الخصوبة هذه منخفض بنسبة ٢٥ بالمئة ـ ٣٣ بالمئة عما هو مطلوب من أجل الفسح في المجال للتبادل بين الأجيال. وبهذا الشكل توضح الأسس للعجز الديمغرافي في الجيل الحالي والجيل الذي سيليه. وكما ذكر سابقاً، فإن مجمل السلوك الديمغرافي ليهود المهجر/ الشتات هو تعبير طبيعي عن صورتهم في المجال الاجتماعي ـ الاقتصادي.

أما في دولة إسرائيل فالأنماط مختلفة. وكان مستوى خصوبة اليهود قد تميز على

مر السنين باستقرار أساس وشاذ، بالمقارنة بمعظم البلدان المتطورة. وفي مطلع التسعينيات كان السكان اليهود في إسرائيل، مع خصوبة شاملة تعادل ٢,٦ طفل بالمتوسط، يتمتعون بخصوبة هي الأعلى من بين كل البلدان المتطورة (في المكان الثاني توجد ايرلندا مع نسبة ٢,١). وهناك عملية هامة أخرى حصلت في أوساط السكان اليهود في إسرائيل تتمثل في تجمع مجموعات ذات منشأ مختلف، تميزت في الماضي بمستويات خصوبة مختلفة وهوات جوهرية في متغيرات ديمغرافية أخرى. وإن خلق معيار اسرائيلي متجانس وثابت للغاية من ناحية الخصوبة هو معطى مركزية يفوق في أهميته بقاء فوارق واضحة بين شرائح المتدينين والعلمانيين في المجتمع الإسرائيلي.

وأنماط الزواج والخصوبة التي تجذرت في السنوات الأخيرة في أوساط السكان اليهود في إسرائيل وفي المهجر/ الشتات تبشر بتطور بوتيرة مختلفة جداً في جناحي يهود العالم. وحتى الآن فقد أثرت مستويات الولادة كثيراً في تشكيلات أعمار الفئات السكانية المختلفة (انظر لاحقاً).

١-٢-٢ الزواج المختلط وانعكاساته

اختيار الزوج أو الزوجة هو مقياس حساس لنوعية العلاقات القائمة بين المجموعات المختلفة في مجتمع مركب. فالزيجات المتجانسة أو غير المتجانسة، تشكل بصورة متزايدة، عاملاً وسيطاً وحاسماً في المعادلة الديمغرافية لأي مجموعة سكانية فرعية، وللمجموعات السكانية اليهودية بشكل خاص. وقد أصبح خيار الزواج بين يهود وغير يهود شائعاً مع تعاظم عملية الانخراط الثقافي والبنيوي لليهود في مجتمع الأغلبية، وكذلك كنتيجة للتسليم المتزايد للجمهور اليهودي وغير اليهودي بهذه الظاهرة. والعامل الوسيط في هذه العملية يتمثل بالزيادة التي سبقت الإشارة إليها في معدل حالات الطلاق. وقد تبين وجود علاقة مباشرة ومتبادلة بين الميل للطلاق والزواج ثانية وبين الزواج المختلط. وفي هذا السياق فإن الهوة التي كانت قائمة مرة بين نسبة الزيجات المختلطة للرجال والنساء آخذة بالتقلص. فقد أخذ النساء يتبنّين تدريجياً أنماط سلوك الرجال.

واستناداً إلى المعطيات في نهاية الثمانينيات فإنه يمكن رسم صورة شاملة لنطاق الزيجات المختلطة في الجوالي اليهودية المختلفة في العالم (انظر الجدول رقم (٥)، ص ٤٥٠ من هذا الكتاب. وتم إجمال عدد اليهود في البلدان المختلفة وفقاً لنسبة الزيجات المختلطة في كل بلد، استناداً إلى معطيات قائمة أو تقديرات اقليمية تعكس الوضع العام في كل مكان. وتقف دولة إسرائيل في المستوى الأكثر ندرة للزيجات المختلطة (أقل من ٢ بالمئة من إجمالي الزيجات الجارية للسكان في إسرائيل). ويحتل المستوى

الكائن بين ٢ بالمئة إلى ٩ بالمئة يهود المكسيك، والمستوى الكائن بين ٩ بالمئة وبين ٢٣ بالمئة يهود جنوب أفريقيا؛ والمستوى الكائن بين ٢٣ بالمئة وبين ٣٣ بالمئة يهود كندا، والمستوى الكائن بين ٣٣ بالمئة و٤٥ بالمئة يهود فرنسا، وفي الفئة الرئيسة على المستوى الكائن بين ٥٥ بالمئة وبين ٧٥ بالمئة توجد جوالٍ صغيرة ومتوسطة في أوروبا الغربية والشرقية، مثل المانيا وسويسرا، وفي المستوى الأعلى الكائن بين ٧٥ بالمئة وبين ٩٥ بالمئة من الزيجات المختلطة توجد الجالية الصغيرة في كوبا.

هذا وكانت المعطيات الظاهرة في العمودين الايسرين من الجدول رقم (٥) وهي المعطيات المتعلقة بالولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، قد أعدت من جديد. وقسمت هذه المعطيات وفقاً لشيوع الزيجات المختلطة في القطاعات الداخلية للسكان اليهود: في الاتحاد السوفياتي حسب الوضع في كل واحدة من الجمهوريات الخمس عشرة؛ وفي الولايات المتحدة وفقاً لتشخيص المنتمين للتيارات الايديولوجية الرئيسة: التيار «الأرثوذكسي» المتمسك بالنص (نحو ١٥ بالمئة من الزيجات المختلطة)؛ والتيار المحافظ (نحو ٤٠ بالمئة)، والتيار الإصلاحي (نحو ٥٥ بالمئة) وتيار غير المعروفين (أكثر من ٦٠ بالمئة). وفي عملية التجزئة المعدلة ينتقل الثقل الحاسم إلى المجموعة الموجودة على مستوى يزيد عن ٥٥ بالمئة من الزيجات المختلطة. ونشير إلى أنه منذ نهاية الثمانينيات حصلت تحولات هامة في انتشار السكان اليهود. فعدد السكان اليهود في إسرائيل ارتفع إلى نحو ٤,٤ مليون نسمة. ولذا فإن اليهود في إسرائيل يشكلون اليوم المجموعة الأكبر من ناحية شيوع الزيجات المختلطة، وذلك أيضاً على المستوى الأكثر انخفاضاً. وبالنسبة إلى المجموع الكلي لمهاجر الشتات، فإن القيمة النصفية لنسبة الزيجات المختلطة تقترب كثيراً من ٥٠ بالمئة. والقصد هنا هو إلى نسبة البالغين الشبان اليهود الذين يقيمون عائلة مع زوج أو زوجة لا ينتقلان إلى الجانب اليهودي، وإنما يفضلان الحفاظ على هويتهم الذاتية غير اليهودية.

وبتحليل متعدد المتغيرات للعوامل المرتبطة بشيوع الزيجات المختلطة، وهو التحليل المستند إلى استطلاع يهود الولايات المتحدة من العام ١٩٩٠ (انظر الرسم البياني رقم (٥)، ص ٤٦٩ من الكتاب. يتبين أن المتكهن الأفضل هو الخلفية العائلية:

١ ـ بمصطلحات التركيبة الدينية ـ القومية للأبوين (زوج وزوجة يهوديان أو زوج وزوجة مختلطان).

٢ ـ من ناحية «ازدحام» الجو اليهودي الذي كان سائداً في البيت، في الوقت الذي كان فيه بالغ اليوم طفلاً.

٣ ـ وجدت أيضاً علاقة عكسية واضحة بين مجموعة أعمار البالغين الحاليين وبين الميل للزواج في إطار زيجات مختلطة.

وفي المقابل فقد وجد أن هناك علاقة ضعيفة فقط بين التربية اليهودية التي تمنح في سن مبكرة وبين الميل للزواج في داخل الجالية اليهودية أو خارجها. وفي مرحلة لاحقة، فأفضل التكهنات بالنسبة إلى سلوك ومواقف بالغين، في نطاق الهوية اليهودية هي:

ـ كون الشخص متزوجاً بزواج متجانس أو غير متجانس.

ـ تأثيرات الخلفية العائلية المبكرة.

ـ في هذه المرحلة تظهر بشكل جوهري أكثر تأثيرات التربية اليهودية الممنوحة.

هذا ويمكن القول إن الدلالة الديمغرافية المركزية للزيادة في شيوع الزيجات المختلطة يرتبط باختيار الانتماء المتعلق بالهوية لدى أولاد هذه العائلات. وفي العام ١٩٩٠ وفي الولايات المتحدة ٢٨ بالمئة اعتبروا كيهود، كما اعتبر ٤١ بالمئة بأنهم ينتمون إلى ديانة أخرى، والباقون بأنهم يفتقرون إلى أي انتماء. ويشير هذا الحكم عملياً إلى تفضيل إعلان التجانس مع الأغلبية وليس مع الأقلية. وتتضح معطيات مماثلة من دراسات جديدة في الاتحاد السوفياتي سابقاً وفي أقطار غربية أخرى. والنتيجة هي تآكل جوهري في نسب الولادة اليهودية «عملياً»، وفي مجموعات الأعمار الشابة بين السكان اليهود في مهاجر الشتات. كذلك فإن عدد العائلات اليهودية «العادية» المكونة من أبوين يهوديين ومن أبنائهم اليهود آخذ بالتناقص بالمقارنة مع كل تركيبات الوحدات المنزلية القائمة.

ويحاول الرسم البياني رقم (٦)، ص ٤٦٩ من هذا الكتاب التعبير عن التحولات التي حصلت، وقد تحصل في الدائرة الجيلية. وهو يرمز إلى مراحل التآكل الديمغرافي والانتمائي معاً.

١-٢-٣ نسب انتشار الأمراض والوفيات ومتوسط الأعمار

في الماضي شكلت مستويات نسب انتشار الأمراض والوفيات عاملاً حاسماً في أنماط التطور الديمغرافي. وبرز اليهود بالانخفاض السريع في نسب وفيات الأطفال ومكونات الوفاة الأخرى. وبذلك فقد وصلوا إلى نسب تكاثر طبيعي عالية نسبياً قبل زمن كبير من فئات السكان الأخرى. وبمرور الزمن تقلصت الفجوات بين مستويات وفاة غير اليهود واليهود، بل إنها زالت في إطار التحسن الشامل في المستوى الصحي وارتفاع متوسط الأعمار.

وقد أشارت دراسات أجريت في الستينيات والسبعينيات حول جوالٍ يهودية مختلفة، وما تزال تشير إلى تفوق بسيط في أوساط اليهود، من ناحية وفيات الاطفال. كذلك وجدت فروقات مثيرة للاهتمام في التجزئة المفصلة لظروف الوفيات بين اليهود وغير اليهود. ويجدر الافتراض ان الانخراط الواسع لليهود في مجتمع الأغلبية، وتبني الأنماط الحياتية السائدة، يؤثر أيضاً في كل ما يتعلق بالمرض والوفاة. وكل ذلك في إطار متوسط عالٍ للأعمار، تنبع في إطاره غالبية حالات الوفاة من أمراض تتعلق بالشيخوخة.

وفي دولة إسرائيل التي هي المكان الوحيد الذي فحصت فيه في السنوات الأخيرة بصورة منهجية اتجاهات انتشار الأمراض والوفيات، وُجد عدد من السمات المميزة ذات الأهمية للتوقعات الديمغرافية:

ـ استمر متوسط الأعمار بالارتفاع بوتيرة لا بأس بها: إضافة سنة حياة واحدة لكل مدة زمنية من خمسة أعوام.

ـ الهوة بين متوسط أعمار الرجال والنساء منخفضة بشكل خاص في إسرائيل (وكذلك في الدراسات التي أجريت على يهود في الخارج). وهذا، على ما يبدو بين بقية الأسباب، بسبب نُدرة الأمراض المرتبطة باستهلاك مبالغ فيه للمشروبات الكحولية، الشائعة على وجه العموم في أوساط الرجال.

ـ في تحليل متعدد المتغيرات يحاول وضع نظام ظرفي للفروقات في متوسط الأعمار، في أوساط مجموعات سكانية يهودية فرعية، فإن المتغير صاحب القدرة على التكهن الأفضل هو مدى التدين، وقد بعده تأتي المكانة الاجتماعية ـ الاقتصادية، والأصل الطائفي، والمشاركة في قوة العمل، والشبكات العائلية والظروف البيئية. وبكلمات أخرى، فإن للمتغيرات الثقافية أهمية كبيرة أيضاً بالنسبة إلى الوضع الصحي، وليس فقط بالنسبة إلى العمليات العائلية.

ـ إن الارتفاع في متوسط أعمار كبار السن يشكل معامل شيخوخة في أوساط السكان، في حين أن المعامل الرئيسي لعملية الشيخوخة في الماضي كان مرتبطاً بتخفيض نسب الخصوبة والولادة.

١-٢-٤ تركيبة الأعمار

تركيبة أعمار السكان هي نتيجة لعمليات ديمغرافية في سنوات سابقة، وأساس هام لعمليات سوف تحصل في السنوات المقبلة. وبالفعل، فإن أحداثاً طبيعية كالولادة والوفاة هي سمات مميزة لطبقات أعمار معينة يؤثر في تواتر هذه الأحداث.

وفي خلال عشرات السنوات الأخيرة حصلت عملية تكهّل سريعة في أوساط السكان اليهود في مهاجر الشتات. وكان السبب الرئيس هو الانخفاض في نسب الخصوبة والولادة. وكان الضرر قاسياً بخاصة في الأقطار التي ضربتها الكارثة. وذلك بسبب إبادة جيل كامل من الأطفال اليهود وتقلص الولادة في فترة الحرب العالمية الثانية. وفي السنوات الأخيرة أضيف عامل عدم ضم اطفال كثيرين من الزواج المختلط إلى إطار طائفي ـ ديمغرافي يهودي.

ونتائج هذه العملية معروضة في الجدول رقم (٦)، ص ٤٥٠ من هذا الكتاب الذي يحتوي مجموعة مختارة من تركيبات أعمار السكان اليهود في الفترة الأخيرة. وتلحظ في المعطيات أوضاع متنوعة، تعبر بالأساس عن وجود مجموعات سكانية يهودية مختلفة في مراحل مختلفة من عملية الشيخوخة. ويرمز يهود أثيوبيا إلى مرحلة تقليدية اجتماعية ـ ديمغرافية لا وجود لها بعد في جوالٍ أخرى وانتهت مع هجرتهم إلى إسرائيل. وتشير بنية السكان اليهود في إيران في العام ١٩٧٦ إلى مرحلة تحديث في الأنماط الديمغرافية. وهذه الجالية آخذة بالتناقص بسرعة أيضاً. ويبرز استمرار عملية الشيخوخة، بدءاً من جوالٍ يهودية مثل الجوالي الموجودة في المكسيك والبرازيل وجنوب أفريقيا، حيث الظروف الاجتماعية ـ الاقتصادية فيها أتاحت لفترة زمنية طويلة بحبوحة ملحوظة ووجود عائلات أكبر؛ ومروراً بالجوالي اليهودية في كندا والولايات المتحدة واستراليا وفرنسا التي أدت فيها موجات هجرة كبيرة إلى تقوية مجموعات الأعمار الشابة البالغة، وبذلك أجلت موعد الشيخوخة، وانتهاء بالجوالي اليهودية القديمة في أوروبا الغربية والأرجنتين الني توجد فيها الشيخوخة في مرحلة متقدمة؛ والجوالي اليهودية في أوروبا الشرقية التي يمكن فيها وصف البنية الديمغرافية بأنها «طاعنة في السن».

ويمثل السكان اليهود في إسرائيل استثناءً عن القاعدة في الخارطة العمرية ليهود العالم في أيامنا هذه. وتعتبر إسرائيل الحالة الوحيدة الجوهرية التي يفوق فيها عدد الأطفال الذين تتراوح أعمارهم من صفر إلى أربع عشرة، عدد البالغين الشبان الذين تتراوح أعمارهم من ١٥-٢٩، وكذلك أيضاً كل مجموعات العمر الأخرى. وعملية الشيخوخة قائمة في إسرائيل ايضاً، وتجد تعبيراً عنها في زيادة معينة في مجموعة الأعمار التي تتراوح ما بين ٦٥ فما فوق. ولكن وتيرة التغيير بطيئة بالمقارنة مع كل مجموعة سكانية يهودية أخرى.

هذا، وتشكل تركيبات الأعمار المعروضة الأساس الضروري التوقعات السكانية التي سيجري بحثها لاحقاً.

١-٣ تحولات في الهوية اليهودية

١-٣-١ من هو اليهودي؟

كنتيجة لاتجاهات الاندماج في المجتمعات الجديدة التي سبق وصفها فقد بات تعريف السكان اليهود في السنوات الأخيرة أمراً معقداً. وبخاصة فإن خط الحدود الوهمي الفاصل بين اليهود وغير اليهود أصبح ضبابياً. ومع الزيادة النسبية والمطلقة في عدد الزيجات المختلطة تتزايد المطالبة للتعريف بمفاهيم منفردة المجموع الكلي لليهود، والمجموع الكلي للسكان في كل المرافق المنزلية التي يوجد فيها يهودي واحد على الأقل. والحاجة إلى هذه التعريفات والمفاهيم الجديدة والواضحة لا تأتي للتعبير عن مقاربة قيمية أياً كانت، أو عن سمة إزاء مثل هذه الفئة السكانية أو تلك، وإنما هي تعبر عن واجب تحليلي من الدرجة الأولى. إن تعريفات مفاهيمية واضحة مطلوبة لغرض التحليل المقارن للعمليات في أوساط السكان اليهود وفي أوساط مجموعات سكانية أخرى. وبالإضافة إلى ذلك فإن الحالة الشخصية، وفقاً للتعريفات التي ستعرض هنا، تختلف إزاء النظام القضائي في دولة إسرائيل (انظر قانون العودة) عنها في دول أخرى في العالم، وبخاصة في كل ما يتعلق بحق الهجرة، أو الحق في الاستقبال كمهاجرين شرعيين.

وكان مفهوم المجموعة السكانية اليهودية ـ النواة قد وضع لكي يشمل كل من يعرف نفسه كيهودي، أو من أصل يهودي واضح، أو من يفتقر إلى أية هوية يهودية دينية ـ شرط ألا يكون محسوباً أو منسوباً إلى أي ديانة أخرى. وينتمي إلى «النواة» أيضاً أولئك الذين انضموا إلى الديانة اليهودية في احتفال منظم، أو حسبما يجري اليوم، بفعل التحديد الذاتي فقط. ويشمل مفهوم مجموعة سكانية يهودية متواصلة إضافة إلى مجموعة «النواة» جميع أولئك الذين كانوا يهوداً في السابق، والذين يملكون اليوم هوية دينية أخرى، كما يشمل أبناء الزواج المختلط غير المنتمين إلى مجموعة السكان «النواة». ويشمل المفهوم الآخر لـ «المجموعة السكانية اليهودية» إضافة إلى جميع أولئك الذين تم تحديدهم هنا، كل أفراد العائلة غير اليهود الآخرين، مثل الأزواج والزوجات، وأولاد ووالدي الزوج والزوجة القاطنين معاً وخلافه.

وفي الأعوام الأخيرة الماضية تزايدت واتسعت الهوة الكمية بين المجموعة السكانية النواة وبين المجموعة السكانية الموسعة. وحوالى التسعينيات كانت النسبة بين المجموعة السكانية اليهودية الموسعة وبين النواة في الولايات المتحدة ٢ إلى ٣، وفي الاتحاد السوفياتي السابق كانت النسبة قريبة من واحد إلى اثنين.

وهناك تعريف أكثر شمولية مشتق من قانون العودة الإسرائيلي، وينص هذا

القانون على منح حق الهجرة إلى إسرائيل وتقديم خدمات ومنافع لليهود ولأبناء وحفدة اليهود وأبناء عائلاتهم الأصليين. ويوجد لهذا التمييز أهمية مفاهيمية وتحليلية كبيرة. هذا لأن الاتجاهات السكانية المتوقعة قد تكون مختلفة للغاية وفقاً للتعريفات. وفي الآونة الأخيرة وفي عدد كبير من الجوالي اليهودية في المهجر/ الشتات لوحظ تزايد عدد المجموعة السكانية اليهودية الموسعة، إلى جانب تقلص في المجموعة السكانية اليهودية «النواة». كذلك يوجد للتمييز بين اليهود وغير اليهود مدلول ديمغرافي واجتماعي لا بأس به، في التحليل وفي السيناريوات بالنسبة إلى الطاقة الكامنة في الهجرة إلى دولة إسرائيل، والتركيبة الفعلية للهجرة.

وفي التحليلات المعروضة هنا فإن كل معطى يتعلق بالسكان اليهود يتطرق إلى مفهوم النواة. وفي توقعات السكان في دولة إسرائيل، تضاف الزيادات على السكان البالغة من الهجرة إلى الجانب اليهودي أو غير اليهودي للانقسام السكاني الشامل، على التوالي.

١-٣-٢ أنماط التعبير الأساس عن الهوية

بعيداً عن التعقيدات النابعة من توصيفات السكان اليهود، فإن التحولات تظهر في تشعب أنماط ومضامين الهوية نفسها. وفي محاولة أجريت مؤخراً لترجمة أنماط التعبير الأساس عن الهوية القائمة في العالم اليهودي إلى مصطلحات كمية، اقترح التمييز بين أربعة أنواع هوية أساس. والقاعدة المفهومية للتمييز هي مدى تمسك الفرد بمعايير جوالية خاصة وحصرية، أكان ذلك بالنسبة إلى معتقدات قيم وسلوك الفرد، أو بالنسبة إلى علاقاته الاجتماعية ـ الجوالية. فالانتماء إلى إطار يهودي خاص، شخصي وجماعي على حد سواء، اعتبر كتعريف ديني للهوية، والانتماء إلى إطار انتساب جماعي يهودي، ومن التزام شخصي بمعايير يهودية خاصة، اعتبر كتعريف اثني/ جوالي عن الهوية، والنظرة الجوهرية إلى مضامين ثقافية يهودية في غياب التزامات شخصية ودون الانتماء إلى إطار جماعي يهودي أيّاً كان، اعتبرت كتعريف لبعثة ثقافية عن الهوية، وأخيراً، فانعدام هوية يهودية أيّاً كانت، مرفقاً بالتماثل مع معايير ثقافية دينية بديلة، غير يهودية في أوساط أشخاص ذوي خلفية عائلية يهودية، اعتُبر كتعريف عدمي أو مختلط عن الهوية.

ويبين الجدول رقم (٧)، ص ٤٥١ من هذا الكتاب الأحجام الكمية للأصناف المختلفة للتعريف عن الهوية كيهودي في إسرائيل وفي المجموع الكلي لمهاجر الشتات. ويمكن تقدير المجموع الكلي لذوي التعبير الديني عن الهوية اليهودية بنحو مليونين من ضمنهم نحو ٥٠ بالمئة في إسرائيل، وذوي التعبير الإثني ـ الجوالي بنحو ستة

ملايين، من ضمنهم نحو ٤٦ بالمئة في إسرائيل، وذوي التعبير بالأثر الثقافي عن الهوية بنحو أربعة ملايين من ضمنهم نحو ـ ١٢ بالمئة في إسرائيل، وذوي التعبير العدمي أو المختلط عن الهوية، يهوداً أو غير يهود بنحو مليون واحد من ضمنه نحو ١١ بالمئة في إسرائيل. وتستند هذه التقييمات إلى نتائج استطلاعات وتقديرات قائمة بالنسبة إلى المتغيرات ذات الصلة. وفي حين أن جميع أصناف التعبير الأربعة عن الهوية قائمة أيضاً في إسرائيل وفي أوساط يهود مهاجر الشتات، فإن وزنها النسبي يختلف كثيراً في كل مكان. ويوجد لأنماط التعبير عن الهوية الأكثر وضوحاً (الدينية، الإثنية/الجوالية) وزن كبير في أوساط السكان اليهود في اسرائيل. وفي المقابل، فإن للأنماط الأقل وضوحاً (أثر الثقافي أو الأقل من ذلك) وزن أكبر في مهاجر الشتات.

وتعكس هذه المعطيات نتيجة عمليات بعيدة المدى للتعبير في الهوية اليهودية. كما أنها قد تبشر باستمرار هذه العمليات في المستقبل أيضاً. ويوجد لهذا الأمر انعكاسان هامان على توقع التطورات الديمغرافية: بالنسبة إلى فرص استمرارية الجوالي اليهودية في الخارج، وبالنسبة إلى الميل لاعتبار دولة إسرائيل كغاية ذات صلة للهجرة، وعندما تدعو الحاجة إلى الهجرة. وبميزان عام للأمور فإن اتجاه السنوات الأخيرة يجنح من أنماط التعبير الواضحة عن الهوية إلى الأقل وضوحاً. ولكن توجد في داخل هذا الميزان أيضاً حالات غير قليلة يميل فيها التعبير اليهودي الشخصي عن الهوية نحو الاشتداد، بما في ذلك في أوساط الشبان، وفي أوساط الجمهور المرتبط بالهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي.

٢- سيناريوات للمستقبل

٢-١ فرضيات التوقع

في إطار سلسلة من التوقعات السكانية اليهودية في إسرائيل وفي مهاجر الشتات تم إعداد عدد من السيناريوات. وفي هذه المرحلة فإن هدف السيناريوات هو بالأساس تحديد مدى زمنية قصوى ودنيا معقولة وبسيطة للغاية للتطور المتوقع بين الأعوام ١٩٩٣ ـ ٢٠٢٠. وهذه السيناريوات معروضة في الجدول رقم (٨)، ص ٤٥٢ من هذا الكتاب.

٢-١-١ المجموعة السكانية الأساس

لقد تم تنفيذ سلسلة التوقعات على أساس تقسيم بسيط بين المجموعة السكانية اليهودية في إسرائيل وفي المجموع الكلي لمهاجر الشتات. ويعتبر عرض نموذج «ممنتج» يمثل المجموع الكلي ليهود مهاجر الشتات أمراً مشروعاً ومعقولاً. وذلك في

ضوء التماثل الكبير في السياقات الاجتماعية الديمغرافية الأساس لغالبية الجوالي اليهودية خارج دولة إسرائيل حسبما تم وصفه أنفاً.

وكان أساس التوقع هو المجموعات السكانية اليهودية في العام ١٩٩٣ (في تحديد النواة) وفقاً لمجموعات جنس ومجموعات عمر على مدى خمس سنوات. وقد تشكّل مجموع الجماعات السكانية اليهودية في مهاجر الشتات من متوسط مُعادل لمجموعات سكانية يهودية معروفة (انظر الجدول رقم (٦)، ص ٤٥٠ من هذا الكتاب).

٢-١-٢ الوفيات

في هذا الخصوص افترضت فرضيتان:

١ ـ تجمّع سريع لأنماط الوفيات بين كل الجوالي اليهودية في أنحاء العالم.

٢ ـ استمرار الانخفاض التدريجي في نسب الوفيات والارتفاع في متوسط الأعمار. وفي أساس هذه التوقعات وضعت نسب الوفاة في أوساط السكان اليهود في دولة اسرائيل. وفي كل التوقعات افتُرض متوسط أعمار يرتفع تدريجياً من ٧٥,٨ سنة للرجال و٧٩,٩ سنة للنساء في الأعوام ١٩٩٣ ـ ١٩٩٨، والى ٧٧,٢ للرجال و٨٢,١ للنساء في الأعوام ٢٠١٨ ـ ٢٠٢٠.

٢-١-٣ الخصوبة

نسب الخصوبة في هذه التوقعات حُددت كنسب خصوبة يهودية عملياً. أي، ولادة أولاد محددين بهذا الشكل أو ذاك كيهود. وبكلمات أخرى، ترفق نسب الخصوبة هذه نتائج أعراف الزواج ـ المتجانسة وغير المتجانسة ـ وشيوع ولادة الأولاد على حد سواء.

وبالنسبة إلى يهود مهاجر الشتات افتُرض مستوى عالٍ نسبياً بمعدل ١,٦ أولاد يهود لكل امرأة يهودية. وهذه النسبة تفوق، دون شك، تلك التي سجّلت في مطلع التسعينيات. وهذا، من ناحية ارتفاع الخصوبة بحد ذاتها ومن ناحية الافتراض أن كل الولادات اليهودية تجلب إلى العالم ولداً محسوباً على الجالية اليهودية. في المقابل، افترض مستوى منخفض نسبياً يعادل ١,١ كخصوبة يهودية عملياً. وهذا المستوى يفترض مستوى خصوبة عام ١,٥ وخسارة للأطفال بنسبة ٢٥ بالمئة ـ ٣٠ بالمئة جراء عمليات الاندماج. وهذه الخسارة هي أكبر بقليل من تلك التي سجلت في أوساط يهود الولايات المتحدة في عام ١٩٩٠ (٢٠ بالمئة). ومن الجدير بالذكر أن مستويي الخصوبة اللذين أشرنا إليهما آنفاً بقيا ثابتين في معرض التوقعات للأعوام ١٩٩٣ ـ ٢٠٢٠.

وبالنسبة إلى السكان اليهود في إسرائيل فقد افترض مستوى خصوبة مرتفع يستند إلى استمرار معدل الخصوبة الشامل الذي سجل في العام ١٩٩٣ وهو ٢,٦. وهنا تقف الفرضية القائلة بأن الخصوبة التي تميل إلى مستويات متدنية لدى نساء مهاجرات من الاتحاد السوفياتي سابقاً، ستتساوى مع المستويات المميزة للطبقات القديمة في السكان اليهود في البلاد. كذلك فقد افترض أيضاً مستوى خصوبة متدنٍ يؤدي إلى تقلص تدريجي: من ٢,٦ طفل في الأعوام ١٩٩٣-١٩٩٨ إلى ٢,١ في الأعوام ٢٠١٨ ـ ٢٠٢٠. وهذا الاتجاه مواز للاتجاهات التي ميزت غالبية المجموعات السكانية الغربية (غير اليهودية) في الستينيات وفي الثمانينيات. لكن هذا الاتجاه أكثر بطأً وأكثر اعتدالاً، مع أخذ تعقيد السكان اليهود في إسرائيل في عين الاعتبار، وتأثير تلك الطبقات التي يميل مستوى الخصوبة فيها إلى البقاء مرتفعاً.

٢-١-٤ الهجرة بين البلدان المختلفة

في التوقعات التي يتقلص فيها التفصيل الجغرافي إلى مكوّنين فقط ـ إسرائيل والمجموع الكلي لمهاجر الشتات. فإن تأثير الهجرة بين الأقطار يتركز على الميزان الصافي بين هاتين الوحدتين الجغرافيتين الرئيستين. ولغرض السيناريو الحالي فإن كل هجرة بين دولة وأخرى في المهجر/ الشتات تعتبر بمثابة هجرة داخلية، ولا تؤثر في نتائج المنطقتين الرئيستين.

وفي ضوء تطورات الأعوام الأخيرة فقط افترضنا سيناريواً عالياً يمثل ميزان هجرة صافٍ سنوياً هو ٣٢,٠٠٠ يهودي لمصلحة الجانب الإسرائيلي، ولغير مصلحة المجموع الكلي لمهاجر الشتات. وافترض أن هذا المجموع الكلي هو جزء من ميزان صاف وعام هو ٤٠,٠٠٠ مهاجر، منهم ٨,٠٠٠ (٢٠ بالمئة) غير يهود.

وتثبت تجربة عشرات السنين السابقة أن هجرة اليهود الدولية ذات طابع الموجات المختلفة في قوتها (انظر الرسم البياني رقم (١)، ص ٤٦٧ من هذا الكتاب). وهكذا فإن المعطيات التي افترضت لهذه التوقعات تشكل معدلاً متعدد السنوات، من داخل واقع قد يكون ديناميكياً جداً. وتستند تركيبة الأعمار لميزان الهجرة المفترض إلى التجربة الإسرائيلية في بداية التسعينيات. وقد أخذت في الحسبان فرضية أخرى وبموجبها فإن ميزان الهجرة الدولي الصافي يشير إلى الصفر.

٢-١-٥ تنفيذ التوقعات

نظراً إلى أنه أخذ في الحسبان فقط بديل واحد لمعدل الوفيات، فإن تشكيلة التوقعات تجسّدت بدمج فرضيتي خصوبة وفرضيتي هجرة لكل واحد من المكونين

الجغرافيين ـ إسرائيل ومهاجر الشتات. وهكذا نحصل على أربعة سيناريوات لكل مكوّن جغرافي. ويخلق دمج السيناريوات المختلفة لكل منطقة ثمانية سيناريوات على المستوى العالمي الشامل، أربعة سيناريوات مع هجرة وأربعة آخرون دون هجرة. كذلك تم احتساب سيناريو إضافي، كمتوسط بسيط لكل السيناريوات الأخرى.

ولقد جرى تنفيذ هذه السيناريوات بواسطة البرنامج المسمى (People 2.0). ويعمل هذا البرنامج بأسلوب المكونات في داخل مجموعات ديمغرافية. وتم في خلال التنفيذ احتساب توقعات منفردة للذكور والإناث، لكل سنة على حدة بين الأعوام ١٩٩٣ و٢٠٢٠. سنعرض أدناه أهم النتائج الرئيسة وفي قالب مجموع. ويمكن الحصول على معطيات أكثر تفصيلاً في الشعبة الديمغرافيا والإحصاء اليهودية في معهد الدراسات اليهودية المعاصرة التابع للجامعة العبرية بالقدس والذي يحمل اسم أ. هيرمان.

٢-٢ نتائج رئيسة

٢-٢-١ حجم السكان اليهود

السيناريوات المختلفة التي أعدت تقتضي أولاً وقبل كل شيء فحصاً منفرداً للتغييرات التي طرأت على السكان اليهود في مهاجر الشتات (انظر الجدول رقم (٩)، ص ٤٥٢ من هذا الكتاب). وفي إسرائيل (انظر الجدول رقم (١٠)، ص ٤٥٣ من هذا الكتاب).

وفي مجموع مهاجر الشتات كافة، وفي كل السيناريوات وفي جميع الفترات الزمنية بين عام ١٩٩٣ وعام ٢٠٢٠، يظهر انخفاض كمي في عدد اليهود. وهذا الانخفاض هو استمرار لاتجاه بدأ في مطلع السبعينيات (انظر الجدولين رقميْ ١ و٢ ص ٤٧٧ من هذا الكتاب). ومن التقدير الأولي البالغ ٨,٧ مليون نسمة في العام ١٩٩٣ فإن المجموع الكلي ليهود مهاجر الشتات يفترض أن يتقلص في عام ٢٠٠٠ إلى ٨,٠ ـ ٨,٥ مليون نسمة وفقاً للسيناريوات، والى ٧,٢ ـ ٨,٢ مليون نسمة في العام ٢٠١٠، والى ٦,٣ ـ ٧,٩ مليون نسمة في العام ٢٠٢٠. وفي متوسط السيناريوات المختلفة، فإن المجموع الكلي ليهود مهاجر الشتات يفترض أن يتقلص بنحو ١,٦ مليون حتى العام ٢٠٢٠.

وفي المقابل، فإن استمرار ازدياد عدد السكان اليهود في إسرائيل هو أمر متوقع في كل واحد من السيناريوات المعروضة هنا. ويفترض أن يزيد عدد اليهود من ٤,٣ مليون نسمة في العام ١٩٩٣ إلى ٤,٦ ـ ٤,٩ مليون نسمة في العام ٢٠٠٠، والى ٥,١

ـ ٥,٨ مليون نسمة في العام ٢٠١٠ والى ٥,٦ ـ ٦,٩ مليون نسمة في العام ٢٠٢٠. وفي المتوسط فإن احتمال الزيادة الكامنة في السيناريوات يقترب من ٢ مليون يهودي حتى العام ٢٠٢٠.

إن دمج هذه النتائج مع نتائج توقعات موازية لزيادة السكان في دولة إسرائيل أُعدّت من أجل مركز أبحاث السياسة الاجتماعية في إسرائيل، يظهر ان نسبة اليهود من بين إجمالي سكان إسرائيل يفترض أن تتقلص من نحو ٨٢ بالمئة في العام ١٩٩٣ إلى نحو ٧٣ بالمئة في العام ٢٠٢٣. وتشمل مجموعة السكان الإسرائيلية التي تم فحصها جميع سكان شرقي القدس وهضبة الجولان والمستوطنين اليهود في الضفة الغربية (يهودا والسامرة) وقطاع غزة.

وتم في الجدول رقم (١١)، ص ٤٥٤ من هذا الكتاب. والرسم البياني رقم (٧)، ص ٤٧٠ من هذا الكتاب إجمال السيناريوات المختلفة لمهاجر الشتات اليهودي ولإسرائيل، في النتائج المتعلقة بالمجموع الكلي للسكان اليهود في العالم. ومن بين كل السيناريوات التي عُرضت يمكن خلط ثماني تركيبات مختلفة هي: أربع تركيبات دون تأثير في ميزان الهجرة، وأربع أخرى مع ميزان هجرة لمصلحة إسرائيل. إلى ذلك، يتم الحصول على نتيجة تشكل متوسط بسيط للبدائل الثمانية. وبموجب هذا المتوسط، فإن عدد السكان اليهود في العالم ثابت وتقترب الزيادة فيه من الصفر، مع أنه ما يزال يكمن فيه احتمال زيادة قليلة (نحو ١ لكل ألف سنوياً). وتنبع الزيادة كلها من قدرة السكان اليهود في إسرائيل على التغلب بنموّهم على التناقص في عدد السكان اليهود في مهاجر الشتات. ويتراوح مدى التباين بين البدائل المختلفة ما بين ١٢,٩ ـ ١٣,١ مليون نسمة في العام ٢٠٠٠ وبين ١٢,٩ ـ ١٣,٤ في العام ٢٠١٠، وبين ١٢,٩ ـ ١٣,٨ في العام ٢٠٢٠.

ونشير إلى أن البدائل مع هجرة هي بدائل أعلى قليلاً من البدائل دون هجرة، على الرغم من أنه لا يوجد للهجرة تأثير مباشر في العدد الكلي لليهود على المستوى العالمي الشامل. والسبب هو أن الانكشاف للظروف الديمغرافية في إسرائيل يخلق وفقاً للفرضيات التي عرضت مزيداً من الزيادة الديمغرافية مقارنة بالانكشاف لظروف يهود مهاجر الشتات.

٢-٢-٢ توزيع بين إسرائيل ومهاجر الشتات

تقود سيناريوات التغيير الديمغرافي التي عرضت سابقاً إلى زيادة تدريجية في نسبة مجمل السكان اليهود الموجودين في دولة اسرائيل. وكانت هذه النسبة ٣٣,١ في العام ١٩٩٣. واستناداً إلى السيناريو الوسطي الجدول رقم (١١) فإن هذه النسبة تميل إلى

الارتفاع إلى ٣٦,٥ بالمئة في العام ٢٠٠٠ والى ٤١,٧ في العام ٢٠١٠ والى ٤٦,٨ في العام ٢٠٢٠. وفي العام ٢٠٢٠ فإن السيناريو في النسبة الأعلى في إسرائيل وهي (٥٢ بالمئة) يشمل تداخل ميزان هجرة يهودية إيجابياً، والحفاظ على مستويات خصوبة مستقرة في إسرائيل، وقضماً عميقاً بسبب خصوبة منخفضة وتعاظم الاندماج في مهاجر الشتات. اما السيناريو ذو النسبة الأدنى في إسرائيل (٤١,٧) فيشمل ميزان هجرة يعادل الصفر، وانخفاضاً في مستوى الخصوبة في البلاد، وبديل خصوبة عالياً نسبياً في مهاجر الشتات، يفترض أيضاً تباطؤاً ملحوظاً في الاندماج في المجتمعات الأجنبية.

ويمكن الاستخلاص من معظم السيناريوات الواردة في الجدول رقم (١١) أنه باستمرار الاتجاهات الاجتماعية ـ الديمغرافية القائمة، فإن بمقدور السكان اليهود في إسرائيل التحول إلى أكبر جالية يهودية في العالم، وأكبر من يهود الولايات المتحدة، قرابة السنوات ٢٠١٥-٢٠٢٠. وبعد نحو عشر أو خمس عشرة سنة لاحقاً ونحو العام ٢٠٣٠، ووفقاً للسيناريوات المختلفة، سيكون بمقدور السكان اليهود في إسرائيل أن يشكلوا أغلبية مطلقة في أوساط الشعب اليهودي.

٢-٢-٣ مكونات تغيير

الجدول رقم (١٢)، ص ٤٥٥ من هذا الكتاب يعرض التأثير المتوقع لكل واحد من مكونات التغيير الرئيسة في التحولات في حجم السكان اليهود في إسرائيل وفي مهاجر الشتات. والمركبان الرئيسان هما ميزان الهجرة الدولي (الهجرة اليهودية إلى إسرائيل ناقص الهجرة المعاكسة (النزوح) منها) من جهة، وميزان بقية التغييرات الذي يشتمل بالأساس على ميزان الحركة الطبيعية (الولادات ناقص الوفيات) وميزان تغييرات الانتماء الديني/ القومي (التحاقات ناقص انسحابات) من جهة أخرى.

وتقريباً في جميع السيناريوات تقريباً المشتملة على الهجرة، فإن تأثير بقية التغييرات ـ أي بقية التغييرات الداخلية في أوساط السكان الحاليين في كل مكان ـ هو أكبر من تأثير ميزان الهجرة. وهذه المعطى الهام يشير إلى وثوق العلاقة القائمة بين تركيبة أعمار السكان اليهود والتطورات الديمغرافية الديناميكية داخل هؤلاء السكان (كما تم افتراضه في سيناريواتنا). وبكلمات أخرى، فعلى الرغم من الأهمية الهائلة للهجرة الدولية في تطور الشعب اليهودي في الأعوام الأخيرة، إلا أن تأثيرها هامشي بالنسبة إلى التحولات التي سوف تنشأ على المدى الطويل. أولاً، فإنها تنشأ بواسطة السياقات العائلية المتعلقة بالزواج والخصوبة، وأخيراً بواسطة تركيبة سكانية أكثر شباباً أو أكثر شيخوخة.

٢-٢-٤ تحولات في تركيبة الأعمار

تركيبات أعمار السكان اليهود في إسرائيل وفي مهاجر الشتات عُرضت في الجدول رقم (٦)، ص ٤٥٠ من هذا الكتاب. . ويعرض الجدولان رقمي (٩)، ص ٤٥٢ من هذا الكتاب و(١٠)، ص ٤٥٣ من هذا الكتاب. انعكاسات السيناريوات المختلفة على تطور السكان اليهود في العام ٢٠٢٠ وفقاً لمجموعات أعمار رئيسة. ويوجد للتحولات في مهاجر الشتات وفي إسرائيل طابع مختلف ومتعارض. وهذا في الوقت الذي تكون فيه الاتجاهات الرئيسة في داخل كل نطاق جغرافي رئيس واضحة جداً، ومتأثرة قليلاً بالتباين بين السيناريوات التي عرضت هنا.

وفي أوساط يهود مهاجر الشتات (الجدول رقم (٩)) فإنه يفترض في مسار الشيخوخة أن يتواصل ويتعمق. ويلاحظ المسار في مجموعتين تركيبة الأعمار. وفي العام ١٩٩٣ كان نحو ١٧ بالمئة من إجمالي يهود مهاجر الشتات أطفالاً لا تتجاوز أعمارهم الـ ١٥ عاماً. وفي العام ٢٠٢٠ سوف تتقلص حصتهم إلى حدود ٩ بالمئة ـ ١٤ بالمئة من إجمالي السكان اليهود. وفي العام ١٩٩٣ اشتملت فئة الأعمار من ٦٥ سنة فما فوق على نحو ١٩ بالمئة ـ ٢٠ بالمئة من إجمالي يهود مهاجر الشتات. ويفترض أن تزيد حصتهم إلى حدود ٢٤ بالمئة ـ ٢٨ بالمئة في العام ٢٠٢٠. كذلك فإن حصة فئة الأعمار ٤٥-٦٤ يفترض أن تزيد من ٢٢ بالمئة في العام ١٩٩٣ إلى ٢٨ بالمئة ـ ٣٢ بالمئة في العام ٢٠٢٠. ويلحظ مسار الشيخوخة أكثر في سيناريوات مع هجرة. هذا لأن تركيبة أعمار المهاجرين أصغر بالمتوسط من تركيبة أعمار السكان الباقين في المكان نفسه.

إن التطورات المتوقعة في أوساط اليهود في دولة إسرائيل تشمل هي أيضاً مكوّن الشيخوخة. ولكن بقدر أقل بكثير (الجدول رقم (١٠)). حقاً، يفترض أن تتقلص حصة فئة الأعمار من صفر إلى أربع عشرة، من ٢٨ بالمئة في العام ١٩٩٣ إلى ٢٣ بالمئة ـ ٢٥ بالمئة في العام ٢٠٢٠، كما أن نصيب فئة الأعمار من ٦٥ فما فوق يفترض أن يزيد من ١١ بالمئة في العام ١٩٩٣ إلى ١٣ بالمئة ـ ١٤ بالمئة في العام ٢٠٢٠. ولكن تركيبة أعمار منظمة وشابّة للغاية ستواصل تمييز يهود إسرائيل في كل واحد من السيناريوات التي عُرضت.

وهناك وجه هام آخر لتجزئة السكان اليهود حسب الأعمار ألا وهو تقسيم فئات الأعمار الرئيسة بين إسرائيل ومهاجر الشتات (انظر الرسوم البيانية أرقام (٨)، ص ٤٧٠؛ (٩) و(١٠)، ص ٤٧١ من هذا الكتاب).

ويعرض الرسم البياني رقم (٨)، المتوقع في مجموعتي الأعمار في طرف عملية التجزئة (٠-١٤؛ ٦٥+). وفي مدى السيناريوات المختلفة يلحظ أن عدد الأطفال اليهود

في إسرائيل سيزيد إلى حد كبير عن عدد الأطفال في المجموع الكلي لمهاجر الشتات. ولهذا الإمكان دلالات كثيرة في مجال التربية اليهودية. ومن ضمن ذلك، من ناحية استعداد المنظومات التعليمية المعنية في ضمان مضامين استمرارية ثقافية/ روحية يهودية.

وفي المقابل فإن الأغلبية الحاسمة للجمهور اليهودي الشائخ، والمحتاج إلى تأمين اجتماعي وخدمات صحية، ستواصل الإقامة في مهاجر الشتات.

الرسم البياني رقم (٩) يصف التطورات المتوقعة في مجموعات الأعمار الشابة ـ البالغة (أبناء ١٥-٢٩، ٣٠-٤٠). ويتوقع في شرائح العمر هذه حدوث عملية تداخل بين الأعداد في مهاجر الشتات وفي إسرائيل. وفي حين تقيم الأغلبية الساحقة في مهاجر الشتات حالياً، ففي العام ٢٠٢٠ ستكون القسمة شبه متساوية.

وهذا يعرض الرسم البياني رقم (١٠) التطورات في مجموعة الأعمار ٤٥ إلى ٦٤ سنة. والأهمية الخاصة لهذه المجموعة هي أنه على وجه العموم يتم فيها إحراز أرقام قياسية في التطور المهني والاقتصادي للفرد، من ناحية المكانة الاجتماعية والدخل. ويجب الافتراض أنه من داخل هذه المجموعة يصعد الجزء الأساس من التيارات البارزة في المؤسسات وفي المهن بعامة، وفي المؤسسات اليهودية بخاصة. وفي العام ٢٠٢٠ ستبقى حتى ذلك الوقت أكثرية جوهرية لمجموعة الأعمار هذه في مهاجر الشتات. ومن المفترض أن تستمر هذه المجموعة في التأثير بصورة جوهرية في العالم اليهودي، وذلك بحكم أنها ستكون مجموعة الأعمار الأكبر من الناحية الكمية.

٣- استنتاجات وانعكاسات

التحليل الذي عرض في الجزء الأول من هذة المقالة كان يمكن أن يستند إلى اتجاهات مطولة ومترابطة جداً. والجزء الثاني الذي يعرض عدداً من السيناريوات حول تطور السكان اليهود حتى العام ٢٠٢٠ يجدر فهمه بحذر متحفظ. ويكمن السبب الرئيسي في انعدام اليقين الذي يسود النظام العالمي في أيامنا هذه، ومن ضمنه المجتمع اليهودي في مهاجر الشتات وفي إسرائيل. وهناك أربعة عوامل رئيسة لانعدام اليقين تعرقل محاولة توقع اتجاهات السكان المستقبلية هي:

١ ـ انعدام الاستقرار في التوازن الجيو ـ سياسي العالمي قد يسبب تغييرات في وضع واستقرار دول تقيم فيها مجموعات سكانية يهودية كبيرة. ومثل هذه التغييرات قد يؤثر في اتجاه وأحجام هجرات دولية في المستقبل.

٢ ـ عملية السلام في الشرق الأوسط لم تتبلور بعد في مخطط ثابت. وهذا

الوضع يترك مجالاً واسعاً لتطورات متناقضة تتعلق بالهجرة الدولية، وبالتكاثر الطبيعي في أوساط اليهود والفلسطينيين وغير اليهود الآخرين في دولة اسرائيل.

٣ ـ من غير الواضح ما هي مخططات التدخل الاجتماعي أن وجدت أصلاً التي ستتبلور بواسطة حكومة إسرائيل ومؤسسات يهودية في مهاجر الشتات. ومثل هذه المخططات قد يؤثر في متغيرات ديمغرافية، وفي نمو السكان اليهود وفي تركيبتهم.

٤ ـ من غير الواضح ما هي التأثيرات التي قد تكون لمثل هذه المحاولات السياسية في قطاعات مختلفة في الجمهور اليهودي (وغير اليهودي).

وتشير النقطتان إلى تحولات كبيرة للغاية قد تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة في الاتجاهات الديمغرافية في إسرائيل وفي مهاجر الشتات على المستوى العام. وتتعلق النقطتان الأخريان بصورة أكثر مباشرة بالتحولات الديمغرافية المحتملة على المستوى الفردي.

وبمفاهيم تاريخية أكثر شمولية فإن من يمعن النظر في تطور الشعب اليهودي للمدى الطويل يجد في هذا التطور صعوداً وهبوطاً كبيرين بشكل لا يقل عن التطور في خط مباشر. ولذا فإن الانعكاس الطولي للاتجاهات القائمة ليس مقبولاً كخيار تقصير يستند إلى تجربة الماضي. ومع ذلك، تتضح من الدراسة التي عرضت هنا اتجاهات عدة واستنتاجات تفوق صحتها، دون شك، كل قدر معقول من انعدام اليقين.

٣-١ أوجه بنيوية

إن تطور السكان اليهود يرتبط بتضافر عمليات تؤثر من الخارج وتعكس اتجاهات عامة في النظام العالمي، وعمليات تنشأ في داخل المجتمع اليهودي نفسه. وتؤثر عمليات الخارج في المكانة المطلقة والنسبية لدول العالم. وبذلك فانها تحدد الشروط الأساس الجماعية لكل جالية يهودية في العالم. والتغييرات في النظام العالمي تؤثر إذاً في مدى تمسك كل دولة بسكانها اليهود (على فرض وجود إمكان البقاء أو المغادرة)، وفي فرص واتجاهات هجرة اليهود الدولية. ومن هذه الناحية هناك أهمية للحقيقة انه في الأعوام الأخيرة ترسخت مكانة دولة إسرائيل في النظام العالمي. وإسرائيل قادرة اليوم على منافسة الدول المتقدمة. وجدواها الاجتماعية ـ الاقتصادية الشاملة تضاف إلى الاعتبارات الايديولوجية بحكم كونها هدفاً بارزاً للاستيطان والوجود اليهودي. ومن المفهوم ضمناً أن استمرار الجهود لتعزيز إسرائيل من الناحية

الاقتصادية ـ الاجتماعية ـ الأمنية ينبغي أن يكون هدفاً مركزياً لسياسة استراتيجية يهودية ـ ولو فقط بسبب الاعتبارات الاجتماعية ـ الديمغرافية قيد البحث هنا.

هذا، وتجد العمليات الداخلية تعبيراً عنها في تضافر متغيرات ديمغرافية وأخرى تتعلق بالهوية. وتبرز النتيجة في مجموعة العمليات العائلية المتعلقة بالزواج والخصوبة. وهي تخلق تركيبة أعمار يكون لها تأثير كبير في استمرار النمو الديمغرافي على المدى الطويل.

وبالفعل فإن أحد الأوجه المركزية للديناميكية الديمغرافية كلها التي ينبغي أخذها في الحسبان في كل تقييم مستقبلي هو قانون ديمومة تركيبة الأعمار. ونظراً إلى أن أحداثاً ديمغرافية مثل الولادة والوفاة تحصل بشكل متميز في نقاط مختلفة من مدى الأعمار، فإن تركيبة ما قادرة على التأثير في التطورات الديمغرافية على مدى عشرات السنين. وهذا هو أحد الاسباب المركزية لكون العمليات المتوقعة في أوساط السكان اليهود في إسرائيل وفي مهاجر الشتات مختلفة كثيراً. وللسبب نفسه فإن نطاق التطورات المحتملة في إطار سيناريوات معقولة مختلفة، أقل حسماً بكثير من الاتجاه الشامل للتطور.

وعلى هذه الخلفية فإن لاستمرار ظاهرة الشيخوخة وتناقض أعداد يهود مهاجر الشتات معقولية عالية جداً، مثلما أن معقولية استمرار زيادة السكان اليهود في إسرائيل، حتى في حالة غياب هجرة دولية، هي عالية. والانعكاس الهام، هو الانتقال التدريجي لمركز الثقف للشعب اليهودي من مهاجر الشتات إلى إسرائيل.

وفي الدراسة الحالية عُرضت سيناريوات «ممنتجة» ولم يمنح الاهتمام لوزن المتغير الخاص بالمكونات المختلفة في داخل يهود مهاجر الشتات. ومع ذلك من الأفضل الإشارة إلى أنه في الفحص الأولي لاتجاهات أكثر تفصيلاً، وجد انه سجّل مستوى بقاء أعلى من الناحية الديمغرافية لليهود في الولايات المتحدة وكندا، في مقارنة مناطق أخرى في العالم. وفي العام ٢٠٢٠ فإن أكثر من ٨٠ بالمئة من المجموع الكلي ليهود مهاجر الشتات قد يقيم في أمريكا الشمالية. ومرة أخرى، فإن احد الأسباب الرئيسة لهذه العملية التفاضيلة هو تركيبة أعمار شابة نسبياً في أوساط يهود افريقيا الشمالية، مقارنة بجوالٍ يهودية أخرى. وهذا الأمر ينبع من فيض الولادة الذي استمر من نهاية الأربعينيات وحتى بداية الستينيات (Baby Boom)، ومن الصدى الديمغرافي الذي خلقته مجموعات الأعمار هذه في جيل الأولاد.

وتجدر الإشارة إلى أن نتائج الدراسة الحالية مختلفة إلى حد معين عن نتائج محاولات سابقة لتوقع التطور الديمغرافي ليهود العالم. وقد جرت هذه المحاولات

بتقنيات مماثلة وعلى أساس معطيات أساس يمكن مقارنتها مع المعطيات الحالية. والفارق الرئيس هو أن عملية تناقص أعداد يهود مهاجر الشتات التي تم توقعها في الدراسة الحالية هي أبطأ مما تم توقعه في الدراسات السابقة. ولهذا الأمر ثلاثة أسباب رئيسة:

ـ إن مستويات متوسط الأعمار ارتفعت بقدر أكبر مما كان يمكن افتراضه قبل بضع سنوات. ومعها زاد عدد الباقين على قيد الحياة في كل مجموعة أعمار، وبخاصة في الأعمار البالغة. وكنتيجة لذلك، فإن الزيادة السكانية في السيناريوات الحالية مقارنة بالسابقة مركزة في الأساس في الأعمار البالغة، وهكذا فإن عملية تناقص عدد السكان اليهود قد علقت إلا أنها لم تتوقف.

ـ السبب الثاني للفارق يرتبط بانبعاث الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، وبالتأثيرات الموجودة للسياق الإسرائيلي على الظروف الديمغرافية للمهاجرين أنفسهم. ومقارنة بما كان ينتظرهم فيما لو بقوا في مهاجر الشتات فإنه من المحتمل أن يطرأ في أوساط المهاجرين اليهود ارتفاع معين على مستويات الخصوبة. إلى ذلك، يلاحظ في أوساط أقرباء العائلة غير اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل في إطار قانون العودة اتجاه للانضمام إلى السكان اليهود. وعلى ما يبدو فإن فرصة الهجرة إلى إسرائيل تجتذب إلى الاتجاه اليهودي أيضاً أقرباء عائلة غير يهود، أو من أصل يهودي، ما يزالوا يقيمون في مناطق الاتحاد السوفياتي سابقاً.

ـ في التوقعات السكانية التي أجريت في الماضي، افترض أن الاندماج في المجتمعات الجديدة يسبب نقصاً معيناً في كل مجموعات الأعمار. وقد تم إخراج هذه الحالات من عملية تعداد السكان اليهود. في المقابل، ووفقاً للسيناريوات الحالية، فإن هذه الحالات المحدودة لم تحذف من تقديرات السكان اليهود. ولكن من الواضح أنها تنضم إلى تلك الشريحة التي وصفت آنفاً كذات هوية يهودية معدومة أو مختلطة.

وفي مقابل النتائج التي أظهرتها محاولات التوقع التي أجريت في الماضي فإن لكل هذه العوامل تأثيراً كبيراً في السكان اليهود.

٣-٢ أوجه نوعية

المشكلة التي تتصل بكل ما عرض هنا تتصّل أيضاً بالتغييرات الحاصلة في تحديد الهوية اليهودية ومضامينها. ويستند التحليل الكمي إلى الفرضية البسيطة بإمكان إجراء تمييز جاد بين اليهودي وغير اليهودي. والمعطيات التي عُرضت بشأن أحجام السكان اليهود تتعلق بتحديد إطار سكاني يهودي «نواة» مميز. وذلك على الرغم من أن لهذا

الاطار مقاييس غير موحدة للهوية اليهودية. ولكن كنتيجة للتحولات التي أشير إليها على مستوى تجانسي ـ ديمغرافي وبالأساس الزيادة في شيوع الزواج المختلط، فإن الحدود بين الجمهور اليهودي وغير اليهودي صارت أكثر فأكثر سيولة ومرونة، وذلك في إطار سكاني يهودي «موسع» آخذ بالازدياد.

وتوجد لهذه التطورات أهمية لا بأس بها بالنسبة إلى حجم وبنية السكان الذين يعتبرون أنفسهم كيهود من الناحية الفعلية (او الذين ينظر إليهم هكذا من قبل الآخرين). والتقديرات التي عرضت بالنسبة إلى المتوقع في المستقبل تشمل مكوناً آخذاً بالازدياد لأشخاص ارتباطهم باليهودية ضعيف جداً إلى حد عدم وجوده أصلاً. وهكذا فإن إطار التوقعات يحدد جمهوراً غير متجانس، أخذ تعريف الشعب اليهودي بالنسبة إلى جزء منه يتحول تدريجياً إلى أمر غير ذي صلة.

وعلاوة على ذلك، فإن لهذه التطورات تأثيراً لا بأس به في طبيعة الحوار الشامل الدائر بين المؤسسات في الجمهور اليهودي، مع انعكاسات معقدة على العلاقات بينها، وعلى خطوط العمل التي ستتخذ من جانبها، وعلى القدرة لخلق إجماع شامل بالنسبة إلى حدود المجموع اليهودي ودلالاته. هذا، ويمكن أن نرى منذ الآن كيف ترد المنظومة المؤسسية الإسرائيلية على ضغوط الهجرة اليهودية من دول الاتحاد السوفياتي سابقاً، وكذلك من اثيوبيا التي تعدّ عدداً كبيراً من الأشخاص الذين هويتهم اليهودية غير محددة جيداً، أو موضع خلاف. ومثل هذه الحالات آخذ بالتزايد في دول الغرب أيضاً وفي المقدمة في الولايات المتحدة. وطمس حدود الهوية اليهودية يخلق مشاكل جديدة، ستقوم الجوالي اليهودية بمعالجتها بوسائل مختلفة، بما في ذلك من طريق إدخال تعديلات على التعريفات القائمة. ويوجد لهذه التغييرات النوعية تأثير أكيد في المستوى الكمي، مع أنه من الصعب توقع ما ستكون عليه ماهية تلك التغييرات.

٣-٣ انعكاسات للسياسة

توجد للسيناريوات الديمغرافية أهمية، بادي ذي بدء، في النطاق المعارفي. هذا لأنها تمثل ما يفترض أن يحصل في المستقبل، إذا لم تحصل تغييرات جوهرية مقارنة بمدى الإمكانات الكامن في الاتجاهات القائمة في الحاضر. إلى ذلك، يوجد للسيناريوات قيمة لا بأس بها في توجيه جهود من يريد التدخل في محاولة لتغيير وجهة الاتجاهات الحالية. ويمكن تشخيص الاتجاهات الديمغرافية بالنسبة إلى الشعب اليهودي كتآكل جوهري في مهاجر الشتات واستمرار منتظم للغاية في إسرائيل. وهناك مكان للتأكيد على أنه من ناحية ديمغرافية ينسخ يهود مهاجر

الشتات ويستبقون بشكل ملحوظ مسارات وأنماطاً سائدة اليوم في أوساط سكان الأغلبية في البلدان الغربية. وهذا في الوقت الذي تعتبر فيه دولة إسرائيل أمراً خرق العادة في إطار الدول المتقدمة.

ان السياسة الموجهة لتقوية يهود مهاجر الشتات يتوجب عليها تركيز الجهود في إيجاد بديل بين الأجيال. وذلك على حد سواء في مفهوم الاستمرارية الثقافية ـ الروحية، وفي مفهوم الاستمرارية البيولوجية ـ الديمغرافية. والقول الفصل هنا هو ولادة أطفال يهود لأبوين يهوديين. والافتراض بإمكان ضمان استمرارية روحية ـ جوالية، دون الحرص في آن على البنية التحتية البشرية بالمفهوم الأساس للغاية، يبدو مفتقراً لأي أساس. وبالنسبة إلى الجمهور اليهودي في إسرائيل فإن الجهد الرئيسي ينبغي أن يتركز على الحفاظ على الوضع القائم، ومنع تحوله إلى مماثل لما هو قائم اليوم في مهاجر الشتات أو حتى في أوساط عموم سكان أقطار الغرب. والمحافظة على التوازن القائم في تركيبة وتحركات السكان، تتطلب أيضاً توظيفات في المجال الاجتماعي ـ العائلي. وهذه التوظيفات ينبغي أن تقدم على إدراك دراسي عميق وأساس للعمليات ذات الصلة.

وفي هذا السياق نشير إلى أن المجتمع الإسرائيلي لا يتلخص في مجموع سكانه. ولا يمكن لمنظومات التخطيط الحضري والاقليمي ومنظمات توفير الخدمات الاجتماعية العمل دون صلة بمضامين شخصية وقيمية موجودة ظاهرياً في ما وراء الهدف المحدد للتخطيط وللخدمة المقترحة. ومن الجانب التخطيطي، الاجتماعي والديمغرافي معاً، فإنه لحيوي تكريس جهد فكري وسياسي للسؤال التالي: ماذا ستكون عليه السمات المميزة الثقافية والقيمية للمجتمع الإسرائيلي في المستقبل؟ وهناك حساسية خاصة معروفة للسؤال حول أي مضامين ثقافية وقيمية سينشأ إجماع واسع، وتتطور قواسم مشتركة شاملة بين شرائح، قطاعات ومجموعات سكانية فرعية، ما زالت تتسم بتباين اجتماعي ـ ديمغرافي كبير.

ويتعلق الأمر هنا بثلاثة اتجاهات تباين متماثلة:

١ ـ يهود في إسرائيل مع مفاهيم مختلفة، وبالأساس على الامتداد الديني ـ العلماني.

٢ ـ يهود في دولة إسرائيل وفي مهاجر الشتات.

٣ ـ يهود وغير يهود في دولة إسرائيل.

ودون السعي الدؤوب نحو قواسم مشتركة في داخل كل واحد من هذه

الاتجاهات الثلاثة، فإن الديناميكية الاجتماعية ـ الديمغرافية قد تؤدي إلى أوضاع من توتر/ انفجار/ وتفكيك غير مرغوبة، سواء أكان ذلك من الناحية القيمية أو من الناحية التخطيطية المحضة. وهذه القواسم المشتركة مطلوبة وحيوية لمستقبل المجتمع. وهي لا تتطرق بالضرورة إلى مضامين محددة وإنما بالأساس إلى تدابير وإجراءات.

وينبغي التأكيد على أن الحاجة التي أثيرت هنا والتي يمكن تشخيصها بصورة عامة بشعار «السعي نحو المركز» (مقارنة ببديل مفاقمة التوترات وانقسام وتجزئة المنظومة الاجتماعية) ليست مشروطة بهذا البديل أو ذاك الذي سيفحص وسيختار في إطار تخطيط المجتمع الإسرائيلي للعام ٢٠٢٠ ولمدى أطول. وهذه الحاجة مشتركة لكل البدائل في عهد السلام المأمول. وهذه المسألة ليست ديمغرافية بالذات، ولكنها تبرز أيضاً من عمليات ديمغرافية وتتحول إلى مسألة وجودية للمجتمع الإسرائيلي.

وبالنسبة إلى العلاقة المتطورة والمتغيرة بين إسرائيل ومهاجر الشتات، فقد ورد في دراستنا أن الهجرة اليهودية إلى إسرائيل حساسة أكثر بكثير إزاء الإغراءات في بلدان المنشأ منها إلى الوضع الجاري في دولة إسرائيل. ولكن قطاعاً واسعاً ومتنوعاً من اليهود في الخارج يرى في دولة إسرائيل مركزاً حيوياً لناحية تحديد هويتهم اليهودية. وهناك أهمية لأن يواصل المجتمع الإسرائيلي إيلاء حساسية لهذا الوجه الحيوي. وبالذات فإن تطويراً متنوع الخيارات للثقافة والتجربة اليهودية في إسرائيل قد يؤدي إلى جذب يهود من قطاع أوسع في الخارج. كذلك فإنه قد يسهم في إنجاح الحوار بين مكوّني الشعب اليهودي.

إن مقاربة ترى في القضايا القائمة جزءاً من تطور لا مفر منه لن تكون مجدية. وفي المقابل، فإن مقاربة تحاول تأسيس المواجهة مع المسارات التي تبدو ذات اشكالية أو غير مرغوبة على أبحاث أساس وعلى ترجمتها إلى مبادرات قائمة على سياسة تربوية ـ جوالية واجتماعية ـ ديمغرافية، يمكن أن يسهم في تحسين الموازين الكمية والنوعية للشعب اليهودي في دولة إسرائيل وفي مهاجر الشتات نحو العام ٢٠٢٠.

هذه المقالة هي جزء من دراسة شاملة تنفذ في شعبة الديمغرافيا والإحصاء اليهودية في معهد الدراسات اليهودية المعاصرة التابع للجامعة العبرية في القدس. وكان البروفسور المرحوم عوزيئيل شملتس شريكاً لسنوات عدة في وضع البنية التحتية العلمية لهذه الدراسة. وإننا نقدم شكرنا إلى جميع أولئك الذين ساعدوا في إعداد هذه الدراسة، وبخاصة إلى السيد عوزي ربهون وللدكتور مارك طولتس.

المصادر

ديله بيرغولا، سيرجيو. «تحولات ديموغرافية في دولة إسرائيل في مطلع التسعينات.» في: ي. كوف (محرر). **تخصيص موارد لخدمات اجتماعية ١٩٩٢-١٩٩٣**. القدس: مركز دراسة السياسة الاجتماعية في إسرائيل، ١٩٩٣. ص ٦٣-١٠٨.

ـــــ. «السكان والمجتمع: اتجاهات، توقعات، تخصيص موارد لخدمات اجتماعية وسياسية.» في: ي. كوف (محرر). **تخصيص موارد لخدمات اجتماعية ١٩٩٤-١٩٩٥**. القدس: مركز دراسة السياسة الاجتماعية في إسرائيل، ١٩٩٥.

فريدلندر، د. وي. تمير. **سمات اجتماعية ـ اقتصادية ووفيات كبار السن في اسرائيل**. القدس: جونيت ـ معهد بروكدايل لدراسة الشيخوخة وتطور الإنسان والمجتمع، الجامعة العبرية، شعبة الديموغرافيا، ١٩٩٤.

DellaPergola, Sergio. «Arthur Ruppin Revisited: The Jews of To-day, 1904-1994.» paper presented at: *International Conference on National and Cultural Variations in Jewish Identity and their Implications for Jewish Education.* Jerusalem: Melton Center for Jewish Education in the Diaspora, the Hebrew University, 1994.

_____. «Changing Cores and Peripheries: Fifty Years in Socio-demographic Perspective.» in: Robert S. Wistrich (ed.). *Terms of Survival: The Jewish World since 1945*. London; New York: Routledge, 1995. pp.13-43.

World Jewish Population: Trends and Policies: Selected Proceedings of a Conference on World Jewish Population, Jerusalem, October 1987. Edited by Sergio DellaPergola and Leah Cohen. Jerusalem: Institute of Contemporary Jewry, Hebrew University of Jerusalem: Demographic Center, Ministry of Labour and Social Affairs: Association for Demographic Policy of the Jewish People, 1992. (Jewish Population Studies; no. 23)

Goldstein, Sidney. «Profile of American Jewry: Insights from the 1990 National Jewish Population Survey.» in: *American Jewish Year Book*. New York: American Jewish Committee, 1992. vol. 92. pp. 77-173.

Rebhun, U. and Sergio DellaPergola. *Socio-demographic Determinants of Intermarriage and Jewish Identification in the United States*. Jerusalem: Hebrew University, Institute of Contemporary Jewry, 1994.

Schmelz, Uziel O. and Sergio DellaPergola. «World Jewish Population.» (1993). in: *American Jewish Year Book*. New York: American Jewish Committee, 1995. vol. 95. pp. 466-492.

_____, _____ and Uri Avner. *Ethnic Differences Among Israeli Jews: A New Look*. Jerusalem: Institute of Contemporary Jewry, Hebrew University of Jerusalem: American Jewish Year Book, American Jewish Committee, 1991. (Jewish Population Studies; no.22)



قيـــم
قيـم يهوديـــة في الدولـــة اليهوديـــة

دانيئيل العازار

ليس أمراً مفاجئاً القول إن دولة إسرائيل التي أقيمت عملياً من جانب الحركة الصهيونية بهدف إنقاذ الشعب اليهودي وإعادة بنائه من جديد تستند إلى بنية تحتية تعتمد على القيم اليهودية.

إن تعريف إسرائيل كدولة يهودية خاضع اليوم لتفسيرات مختلفة، وهي تفسيرات سوف يتواصل الجدل حولها في الجيل المقبل أيضاً. لكن السؤال بحد ذاته بقي مهماً، والجواب الذي سيُتلقى في نهاية الأمر، سيترك أثره في مكانة وتأثير القيم اليهودية في دولة إسرائيل.

القيم اليهودية مجذرة في فكرة العهد وتستقي وحيها منها. وتجسد فكرة العهد قيمة أساساً وجوهرية: فكرة أن بني البشر يقيمون مؤسسات/ منظمات وعلاقات مبنية على مساواة جوهرية وعلى حرية الاختيار[1]. والحال هكذا، فإن العلاقات العهدية والمؤسسات النابعة منها تتعارض تماماً مع التركيبات التراتبية التي بموجبها خصص لكل إنسان مكان خاص به في الهرم السياسي ـ الاجتماعي، وهو موضوع في مكانة عالية أو منخفضة على السلم، والمكانة المنخفضة مسيطر عليها بواسطة المكانة العالية، أو بواسطة نخبة طبيعية أياً كانت، تصل إلى مواقع القوة، وتمسك بزمام السلطة دون عراقيل.

إن الأساس العهدي هو الأساس الحقيقي، وهناك من يقول الأساس الوحيد

---

(١) دانيئيل العازر، **شعب وطائفة التقاليد السياسية اليهودية وانعكاساتها على عصرنا** (القدس: المركز المقدسي لقضايا الجمهور والدولة؛ دار نشر رؤوفين مسبار، ١٩٩١).

للديمقراطية[٢]. وكانت فكرة العهد هي القيمة المركزية التي قدّمت الحرية والمساواة في أوساط الإنسانية. وفكرة العهد تنشر منذ جذورها التوراتية التي تسللت بواسطتها إلى الثقافة اليهودية، وبعد ذلك إلى ثقافة الغرب، وفي نهاية الأمر قُبلت في الثقافة العالمية الشاملة. وبالفعل فالعهود الأصلية في التوراة عقدت بين الإنسان وبين الله، إلا أن جوهر الفكرة ذاتها التي تتحدث عن قيام الله والانسان بالتوصل إلى عهد فيما بينهما يعتبر راديكالياً للغاية، وكان مقروناً بتقييد الله (بالمفاهيم التوراتية القصد هو التقييد الذاتي) بمجرد العهد مع الإنسان. وحتى ولو أن العهد لم يحول الإنسان إلى مخلوق مساوٍ في القيمة لله، إلا أن العهد فرض على كليهما مسؤولية متساوية عن المهام الكامنة فيه. وفي فترة متأخرة اعترف البروتستانت الإصلاحيون في أوروبا الغربية وكذلك البيوريتانيون في انكلترا بالخصائص الجريئة لهذا المطلب، وطوروا الأفكار التي تحولت إلى الحجارة الأساس للديمقراطية الغربية[٣].

إن أفكاراً يهودية مثل فكرة «الاختزال»، أي الاختفاء الجزئي لله من أجل إخلاء مكان في فضاء العالم للجنس البشري، والفكرة المألوفة على امتداد تاريخ شعب إسرائيل منذ الرواية التوراتية عن الآباء وعن سيدنا موسى، بما في ذلك الآراء المتعلقة بالقدرة البشرية على محاورة الله ومحاولة إقناعه بتغيير قراراته وخطته، كلها أفكار مستوحاة من فكرة العهد[٤]. واستناداً إلى هذا الرأي فإنه على الرغم من أن الله قادر على كل شيء، إلا أنه لا يسيطر على بني البشر بصورة فوقية، وبهذا الشكل فإنه يمنح الإنسان حق السيطرة على أبناء جنسه.

وإذا ما فحصنا هذه الأمور بشكل متعمق لوجدنا بأن العهد يمكن أن يكون القيمة اليهودية العليا.

إن الشعب اليهودي غارق بكل جوارحه بسمات عهدية مميزة، سواء أكان الأمر يتعلق بيهود علمانيين أو يهود متدينين. وفكرة العهد مجذرة في الثقافة اليهودية على امتداد الآف السنين. وحقيقة كون دولة إسرائيل أسست وفقاً لنماذج سلم وظائف أوروبي، في حين أن شعب إسرائيل ينمو من تقاليد ثقافية مختلفة، أدت إلى عيوب

---

(٢) Daniel J. Elazar, *Covenant and Politics in Biblical Israel: Biblical Foundations and Jewish Expressions*, Covenant Tradition in Politics; vol. 1 (New Bunswick, NJ: Transaction Publishers,1995).

(٣) William Johnson Everett, *God's Federal Republic: Reconstructing our Governing Symbol*, Isaac Hecker Studies in Religion and American Culture (New York: Paulist Press, 1988).

(٤) Daniel J. Elazar, *Covenant and Commonwealth: From Christian Separation through the Protestant Reformation*, Covenant Tradition in Politics; vol. 2 (New Brunswick, NJ: Transaction Pubishers, 1996).

وتشوهات كثيرة في المجتمع الإسرائيلي، وهذا نظراً إلى أن الفرد صاحب توقعات اجتماعية عهدية ينبغي أن يوجد وأن يعمل في داخل منظومة ذات تركيبات مؤسسية تراتبية، ولذا فإنه يطور طرقاً لتجاوز التدابير الرسمية[٥].

إن المبادئ العهدية تقود إلى إنشاء علاقات شراكة تقوم على مساواة جوهرية بين بني البشر الأحرار، إلا أنه بعيداً من ذلك فإنهم يقيمون هذه العلاقات بشكل يتم فيه العمل والقبول بواسطة عمليات مفاوضات ومساومات. ومن أجل الحفاظ على الطابع العهدي لعمليات التفاوض والمساومة فإنه ينبغي عليها أن تجري بطريقة «الإحسان»، أي بروح الاستقامة مع الأطراف ذوي الشأن، من خلال الإدراك بأن النقاش يجري مع شركاء عهديين، وهذه الحقيقة تحتم الاستعداد للعمل من خلال الرأفة والتسامح[٦]. ودون هذا الفهم تتحول العلاقات إلى نظام تعاقدي يكون فيه كل فريق في المفاوضات معنياً بإحراز أكثر ما يمكن إحرازه لمصلحته.

وكتاب التوراة يجعل مصطلحي «العهد» و«الإحسان» مرتبطين في مواقع كثيرة، والمخلصون للعهد مع الله يسمّون «حسيديم ـ المحسنين» منذ بداية أيام التقاليد اليهودية.

ومع ذلك، فقد أدرك اليهود أن الحياة ليست فقط سلسلة من العهود وبأنها تشمل أيضاً بعداً عضوياً. كذلك فإن التضامن النابع من روابط الدم/ العائلة هو عامل مركزي في المجتمع البشري وبخاصة في أوساط الشعب اليهودي. والإحساس بالتضامن والتكافل المتبادل في أوساط الشعب اليهودي صار أمراً ذائع الصيت وتحول إلى أسطورة، وهناك من يرون فيه نظام علاقات قبلية ما تزال قائمة حتى في الواقع السائد اليوم. وتعترف القيم اليهودية بأهمية هذا التضامن في أوساط جميع الشعوب كشعوب منفردة وبطريقة جماعية كتضامن إنساني. وبالفعل فإن الوضع المثالي من وجهة نظر القيم اليهودية يتمثل بمجتمع منظم على أساس المزج الملائم بين رابطة الدم وبين الموافقة. ولذا فإن التوراة تعرض البشرية على أنها قائمة على مبدأين أساسيين: **الأول** هو الأصل المشترك من آدم وحواء. **والثاني** هو الرابطة المشتركة من خلال عهد الله على نوح بعد الطوفان الذي حدد قواعد سلوك الجنس البشري.

---

(٥) Perry Miller: *The New England Mind: The Seventeenth Century* (Boston, MA: Beacon Press, 1939), and *The New England Mind: From Colony to Province* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1953).

(٦) Aaron Wildavsky, *The Nursing Father: Moses as a Political Leader* (Tuscaloosa, Ala.: University of Alabama Press, 1984).

وهناك مصطلح يهودي قيمي شامل آخر استخدم كحجر أساس للشعب اليهودي ولدولته وهو «الأخوة» وفق مدلول «أحب لأخيك ما تحبه لنفسك». وكان مصطلح «الأخوة» قد ظهر للمرة الأولى في التوراة وبعد ذلك في كتب حكماء اليهود، وهو يعالج موضوع التضامن المطلوب في الجالية ذات الأساس الاقليمي. وهذا هو قالب موسع أُضيف لـ «عهد الكفالة» وهي القيمة التي تقضي أن «جميع بني إسرائيل كفلاء لبعضهم البعض» نتيجة لروابط الدم الموجودة بينهم. وهناك تفسيرات كثيرة ومتنوعة لماهية الأخوة، بدءاً بالتضامن بين اليهود وبين أنفسهم، وانتهاءً بالتضامن بين اليهود وغير اليهود، بحيث يكون غير اليهود بمثابة «رفاق». ومع أن مصادر كثيرة من حكماء اليهود تقيد حدود هذا المصطلح وتقصره على العلاقات بين اليهود فقط، إلا أن التوراة تترك هذا الموضوع مفتوحاً. والتضامن الطوائفي/الجوالي الذي هو الفرع المنطقي للأخوة هو سمة مميزة تطلع إلى إنمائها المستوطنون اليهود في أرض إسرائيل في الأيام التي سبقت قيام الدولة العبرية، وأيضاً بعد قيام هذه الدولة. وهذه القيمة ما تزال باقية كعلامة فارقة أساس للجالية الجيدة من وجهة النظر اليهودية.

وهناك قيمة أساس ثالثة هي «العدالة والقانون»، العدالة الجوهرية التي سكبت في داخل عالمنا والراسخة في القانون الأساس الذي تقوم عليه العلاقات البشرية، والعدالة والقانون هو المصطلح اليهودي ـ التوراتي الموازي للقانون الطبيعي في الفلسفة اليونانية والغربية، إذا استثنينا حقيقة أنه وفقاً لجذوره التاريخية فإن هذا المصطلح يستند إلى خلق العالم من قبل الله والعهود الواردة في التوراة. ولقد شكلت هذه القيمة عاملاً مركزياً محفزاً في الحياة اليهودية، وبخاصة في أوجهها السياسية والاجتماعية.

وفي الواقع، فإن ما يجري اليوم هو عملية إصلاح جذري في هذه القيم الأساس الثلاث. وإن الإحساس اليهودي بالرابطة العهدية اليهودية لليهود «كأبناء عهد» يمر اليوم في أزمة، في أعقاب الاستقطاب بين المتدينين والعلمانيين، وبالأساس بين الهوامش المتطرفة للمعسكرات القائمة في إسرائيل هذه الأيام، والهبوط الذي طرأ في أوساط الجمهور العلماني في الإحساس بالرابطة التي توحد كل الشعب بفصائله المختلفة، من طريق مكانتها ووضعها في العالم وليس من طريق أمر إلهي. والحملة على فكرة «الأخوة» تنبع بالأساس من تفشي الفردية بالصيغة الغربية في داخل المجتمع الإسرائيلي، بمكوناته المادية والنفعية الذاتية. وهذه الثقافة تضعضع أسس التضامن والحاجة إليه. وفي الواقع فإن أولئك الذين يحملون لواء المجتمع المدني في إسرائيل، يعملون لدفع هذا الرأي على حساب الأخوة التي تمتدح التضامن.

وسهام هذه الحملة موجهة أيضاً ضد فكرة «العدالة والقانون» عقب انهيار الأيديولوجية الاشتراكية. ويعكس سقوط الاشتراكية الإحساس بأن الاشتراكية التي تهدف إلى أن تشكل تجسيداً حديثاً وعلمانياً لقيمة «العدالة والقانون» قد فشلت في مهمتها، بل خلقت أيضاً تشوهات خاصة به. ولم يؤد التخلي عن الأيديولوجية الاشتراكية وعن الكثير من تطبيقاتها عملياً إلى جلب بديل ملائم أياً كان للحلول محلها. وما زال إسرائيليون كثيرون يتطرقون بحنين معين إلى الفكرة الاشتراكية، حتى وهم يعربون عن اشمئزازهم العملي من هذه الفكرة.

ويجدر الافتراض بأن انتعاش قيمة «العدالة والقانون» سيكون الأسرع من بين هذه القيم الثلاث، نظراً إلى أن الالتزام اليهودي بهذا الركن الأساس قد يبقى أيضاً بعد الفترة الانتقالية، وفي نهاية الأمر قد يجد تعبيره في خلال زمن معقول. وقد يتسع مصطلح الأخوة بحيث يشمل أيضاً أشخاصاً غير يهود، وبالأساس العرب القاطنين في جوار اليهود. حقاً سيكون ذلك في البداية مجرد ضريبة كلامية ستجد تعبيراً عنها في قنوات عامة فقط، إلا أن هذه الظاهرة ستتوسع لاحقاً لتشمل موضوعات هي من ملك الفرد.

كذلك، فإن العهد سوف يبرز من جديد بعد الفترة الانتقالية، إلا أنه سيصطدم بصعوبات أكبر من كل هذه الأمور. والقصد ما يزال للإحساس بالرابطة بين جميع يهود العالم كأبناء عهد، لكن فكرة العهد سوف تكون مرفقة بعلاقات متواردة مماثلة مع الدول التي تحد إسرائيل أو المناطق التي تقع فيها إسرائيل (حوض البحر المتوسط، غرب آسيا)، وحتى بعيداً من ذلك. ومنظومة العلاقات في قالب تعاقدي الآخذة بالتطور اليوم في أوساط الشعوب والدول في أرجاء العالم كنتيجة لعملية العولمة سوف تترك أثرها في التفسير المستحدث لفكرة العهد.

وهنا المكان لإبداء ملاحظة منهجية. فهذه المقالة قد تأثرت بالدراسة التي أجراها ماكس كدوشين الذي نشر بضعة كتب حول السياقات الفكرية لحكماء التلمود وحول المعايير التي تم التركيز عليها في المصادر التلمودية[٧]. وفي هذه الكتب يعرض المؤلف كيف يستند تفكير حكماء التلمود إلى عدد من «المفاهيم القيمية»، حسب تعريفه، أي الأفكار الأساس التي تهدف للتعبير عن قيم معينة.

---

(٧) Daniel J. Elazar, *Israel: Building a New Society*, Jewish Political and Social Studies (Bloomington, IN: Indiana University Press, 1986), and Max Kadushin: The Rabbinic Mind, with an Appendix by Simon Greenberg, 2nd ed. (New York: Blaidsell Pub. Co., [1965]), and *Organic Thinking: A Study in Rabbinic Thought* (New York: Jewish Theological Seminary of America, 1938).

وهذه القيم ليست محددة بتفاصيلها بشكل دقيق، إلا أنها وجدت تعبيراً عنها في تفسير مواعظ الحكماء. ومن خلال هذه القيم تتشعب بنية معقدة من الأفكار التي تنهل من بعضها البعض، وتغذي بعضها البعض، وتخلق مبنى رئيساً للمفاهيم وطريقة حياة مشتقة منها.

واستناداً إلى مقاربة كدوشين هناك شبه قائم بين بنية المفاهيم القيمية وبين نموذج واحة في الصحراء مبنية حول نبع مياه عذبة جار ومتدفق يغذي النبات الأخضر والمزدهر في قلب الرمال. وهي تخرج من داخل نواة مركزية تتجمع حولها أسس مختلفة، وكلما زاد القرب من المركز/النواة، زاد وتعمق فهم المفهوم القيمي. وعلى هذا فإن المفاهيم القيمية ومجموعات المفاهيم القيمية تعبّر عن أسس الفكر الإسرائيلي في المجال المذكور، وبهذه الطريقة فإنها تتحول إلى جزء من الثقافة اليهودية. وبمقدور هذه المفاهيم التطور والتوسع أو تغيير الاتجاه في كل جيل وفق احتياجات الزمان والمكان. وهذا النموذج يختلف تماماً عن المصطلحات والتعريفات المألوفة في الفلسفة اليونانية.

والقيم اليهودية التي سيتم بحثها أدناه هي مفاهيم قيمية ذات صلة بالتطور الداخلي لإسرائيل وبعلاقاتها مع دول المنطقة والعالم أجمع.

مناقشة هذه الأمور ستجري وفقاً لمنهجية كدوشين.

وعندما نناقش القيم اليهودية في دولة إسرائيل فإنه بالإمكان تقسيمها إلى ثلاث مجموعات:

١ ـ القيم اليهودية الإنسانية، أي القيم النابعة من التقاليد اليهودية والتي تعالج موضوعات عالمية أو قابلة للتطبيق عالمياً.

٢ ـ القيم الصهيونية المرتبطة بشكل محدد بالمشروع الصهيوني وبإنشاء حياة يهودية في أرض إسرائيل وبإقامة دولة إسرائيل كدولة يهودية.

٣ ـ القيم المرتبطة بالطابع اليهودي للدولة اليهودية وللأوجه اليهودية الخاصة في إسرائيل.

وتحمل مجموعة القيم الأولى طابعاً عهدياً صرفاً وتشمل سمات عضوية مميزة بقدر طفيف. أما المجموعتان الأخريان فهما مجذّرتان بصورة مكثفة في المزيد اليهودي المتميز لرابطة الدم والعهد الذي نما منه الطابع المتميز للشعب اليهودي. وليس ثمة شك في أنهما سيواصلان البقاء، كما أن تعريفهما سيتوسع ليشمل جميع مواطني إسرائيل.

١ ـ القيم اليهودية الإنسانية (العالمية)

حقاً، يميل كثيرون بالتأكيد للتطرق حصراً إلى الفئة الأخيرة فقط كـ «قيم يهودية»، ولكن تأثير الفئة الأولى عملياً قد يطول أكثر من جميع هذه الفئات مهما كانت الظروف. ويمكن استخلاص ذلك على خلفية تجربة اليهود أو الأشخاص الذين من أصل يهودي الذين اندمجوا في مهاجر الشتات إلا أنهم يحملون لواء القيم العالمية التي ما تزال تستوحى من تراثهم اليهودي. ويشكل هذا التراث جزءاً لا يتجزأ من الفكر الثقافي الذي يحملونه حتى ولو لم يكونوا مدركين لذلك.

ولا يوجد تقريباً خلاف في الرأي القائل إن القيم اليهودية الإنسانية هي قيم أبدية ونافذة وباقية دوماً، كما أنها تصلح لكل زمان ومكان ولكل إنسان أياً كان. وهذه القيم موجودة في أساس الثقافة الغربية، وهي تنهل بشكل مطلق أو جوهري من التوراة ومن المصادر اليهودية الأخرى، كما أنها تتلاءم مع الثقافة الغربية. ولقد حظيت القيم الإنسانية بقوة كبيرة في أوساط الدول والشعوب التي تأثرت تأثيراً جارفاً بالتوراة، مثل أوروبا الغربية البروتستانتية، والولايات المتحدة، وكندا، وأستراليا، ونيوزيلندا، وبالطبع إسرائيل.

ونظراً إلى أن هذه الدول تشكل نموذجاً يمكن لإسرائيل تقليده، فإن هناك فرصة لأن تتعزز هذه القيم بصورة أشد مع تعمق روابط إسرائيل في العالم الكبير. هذا إضافة إلى حقيقة أنها تمثل الكثير من القيم الأساس للمجتمع المدني الغربي والديمقراطية الليبرالية، كما أنها مجذرة بشكل عميق للغاية في الثقافة اليهودية، إلى درجة أن اليهود يحافظون على تماثلهم ودعمهم الملتهب لهذه الأفكار، حتى عندما تتراجع أجزاء من العالم الغربي عن هذه الأفكار مثلما حصل في الولايات المتحدة. وعقب الزيادة في ثراء مواطني الولايات المتحدة حصل انتقال من ليبرالية الثلاثينيات إلى النهج المحافظ الجديد. والفقراء هم الشواذ الذين ما يزالون يناضلون من أجل تحسين مكانتهم الاجتماعية، وبقي اليهود ملتزمين بالقيم الاجتماعية لليبرالية من الصنف القديم على الرغم من ترسيخ مكانتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

يمكن توقع حدوث تطور مماثل أيضاً في إسرائيل إذا ما تحققت برامج السلام والازدهار في السنوات الثلاثين المقبلة. ويجدر الافتراض أن جزءاً من الجمهور في إسرائيل سينظر بجدية أكبر إلى قيم معينة مقارنة بمجموعات أخرى في السكان، إلا أن هناك فرصاً كبيرة لاستمرارية قيم مهيمنة تستقي وحيها على الأقل من القيم العالمية المتمثلة بالإنسانية والعدالة الاجتماعية التي ميزت الشعب اليهودي في كل الأجيال. وهذه القيم مرساة حقاً في التوراة وفي التقاليد اليهودية، إلا أنها صيغت وفقاً للتجربة

الحياتية المتنوعة للفرد والمجموع في الشعب اليهودي في فترات وفي أماكن مختلفة. وينبغي على الإسرائيليين إيجاد طرق لتطبيق وملاءمة هذه القيم المجردة للظروف الخاصة والحقيقية التي يواجهونها. والفرص كبيرة لأن يتصرفوا على هذا النحو، كما تبيّن لنا ذلك في العواصف الجماهيرية التي انفجرت في الآونة الأخيرة حول الطرق الالتفافية في المناطق المحتلة بين المؤيدين لتسريع شق هذه الطرق للتمكين من تقدم عملية السلام، وبين مؤيدي السلام الذين أرادوا منع حدوث ضرر بيئي لا يمكن إصلاحه.

وسنحاول هنا التركيز على أربع مجموعات محددة من القيم في هذه الفئة مرتبطة بجدول أعمال المخطط الرئيس لإسرائيل في سنوات الألفين. وسيشمل النقاش المصطلح اليهودي التقليدي لكل قيمة من هذه القيم.

١-١ استيطان أرض إسرائيل

المجموعة المهمة الأولى للقيم اليهودية في مجال التخطيط مشمولة بمفهوم «استيطان الأرض» الذي لا يرتبط فقط بالاستيطان وتطوير البلاد وإنما يتطرق أيضاً إلى المحافظة على البيئة في أثناء عملية الزخم التطويري. وهذا المفهوم يشتمل على فرائض مثل «لا تتلف»، أي حظر الهدم التعسفي للبيئة حتى في أوقات الحرب. وقانون الحفاظ على الصحة العامة في الحياة المدنية وفي وقت الحرب، وقوانين إبراء الأرض التي تسمح للأرض بالاستراحة والانتعاش في السنة السابعة، تتبع هذه الفئة.

وشُملت هذه الأبعاد الثلاثة منذ أيام التوراة في المفاهيم القيمية المرتبطة بموضوعنا، إلا أن كل بعد حظي بتأكيدات مختلفة وفقاً لروح الفترة الزمنية واحتياجاتها. وعلى سبيل المثال، ففي أيام الطلائعيين الصهيونيين الذين عادوا لزراعة أرض إسرائيل، تم التركيز على الوجه المتعلق بالاستيطان اليهودي وإعمار الصحراء. وكنتيجة لهذا النشاط تحولت مناطق جدباء إلى مستوطنات مزدهرة وخضراء، إلا أنه لحقت أضرار بالأرض والبيئة نتيجة عيوب في التخطيط والتطوير.

وفي السنوات الأخيرة تعاظم الإحساس أنه عقب التحسن البيئي من ناحية تطوير الارض الذي أُكمل إلى حد كبير، وعقب الزيادة في الضغوط السكانية، انجرفت التأكيدات نحو المشاكل البيئية. واسرائيل لم تحتل حتى الآن مكاناً محترماً في صف الدول التي تنظر بقلق إلى المشاكل التي تعلو في مجال نوعية البيئة، نظراً إلى أننا ما نزال نمر في ذروة عملية انتقال من الفلسفة التطويرية القديمة إلى طريق رؤية

جديدة. ولكن يجب الافتراض أن يكتمل هذا الانتقال خلال السنوات الثلاثين المقبلة، ويحتل جدول الأعمال المتعلق بالبيئة مكاناً أفضل، مع أن مدى أهميته ما يزال مثار الاستفهام، نظراً إلى أن احتياجات التطوير ستتطلب زخماً متسارعاً في ضوء الزيادة في عدد السكان والانسحاب من المناطق المحتلة. ومن الصعب الافتراض أن المصادر والأفكار اليهودية سوف تشكل نقطة انطلاق مباشرة للاهتمام المتصاعد اليوم في قضايا نوعية البيئة، إلا أنها موجودة في الخلفية كمصدر إيحاء لمقاربة أولئك المعنيين بهذه المشاكل. وعلى غرار قيم يهودية أخرى (مثل مفهوم الديمقراطية على سبيل المثال) فانها سوف تصل إلينا كمصادر وكأفكار تسللت إلى ثقافة الغرب بتسلسل حديث وآني. وإذا ما حاول الجمهور الإسرائيلي الدخول في مواجهة مباشرة مع المصادر اليهودية التي تشجع الحفاظ على نوعية البيئة، دون وساطة أفكار غربية ـ زائفة، فإننا سوف نخرج بالطبع بفائدة في نضالنا لتطبيق هذه القيم على أفضل وجه.

٢-١ أبناء نوح

هذه المجموعة من المفاهيم القيمية تعالج موضوع وحدة البشرية ومكانتها في العهد مع الله الذي هو الأساس اليهودي للمساواة البشرية من جهة، ولفرض القانون والنظام في العالم من جهة أخرى، النابعين من عهد الله التوراتي مع نوح بعد الطوفان (انظر سفر التكوين). ولقد استخلص حكماء التلمود من هذا الأمر قاعدة يهودية موازية للقانون الطبيعي اليوناني، بما في ذلك تحريم السرقة والقتل وعبادة الأوثان، والحاجة إلى إنشاء محاكم وأسس ثقافية أخرى مثل حظر أكل لحم الحيوان الذي ما يزال حياً. وفي مصادر تقليدية تحتوي فرائض نوح السبع على تحريم عبادة الأصنام، وتحقير الرب، وسفك الدماء، وجرائم جنسية، والسرقة، وأكل لحم الحيوان وهو حي، وضرورة إنشاء جهاز قضائي لتحقيق العدل ولفرض المحظورات. وهناك محرمات أخرى تنبع من الفرائض التي ذكرناها، ومن الأمثلة على ذلك الحظر الشامل للسرقة وفق تفسير معلمينا طيب الله ذكرهم، وكذلك تحريم الاحتلال العسكري والفساد الاقتصادي. كذلك فإن الفرائض الإيجابية المتعلقة بالإحسان، والإنجاب، والتكاثر، واحترام التوراة تنبع من فرائض أبناء نوح السبع[٨].

والدلالة الرئيس لهذا العهد هو الأصل المشترك لجميع أبناء الجنس البشري كأبناء نوح الذي يقتضي إنشاء علاقات تقوم على الاحترام المتبادل. وقد تسللت هذه القيم إلى الثقافة الغربية أكثر من قيم استيطان البلاد، كما تركت آثارها بواسطة أسس

---

(٨) **الموسوعة التلمودية**، المجلد ط ء ز (١٧) ش فء هـ - ش ف ط (٣٨٥ ـ ٣٨٩).

غربية اشتقت منها ووصلت من هناك إلى بوتقتها الإسرائيلية، في الوقت الذي لا يدرك فيه البتة إسرائيليون كثر أصلها اليهودي. ولكن تأثيرها ملحوظ بهذه الصورة أو تلك في العلاقات المتبادلة بين الشعوب والدول في أرجاء العالم، ويجب الافتراض أن هذا الاتجاه سوف يستمر أيضاً في المستقبل. وأما الإدراك الإسرائيلي لهذه القيم بثوبها الحديث فسوف يتعاظم في الجيل المقبل مع سقوط الحواجز التي فصلت إسرائيل عن دول العالم.

١-٣ إصلاح العالم

مجموعة القيم هذه تتناول إصلاح أو إعادة بناء العالم وفقاً للمبادئ التي ستقود البشرية نحو تحقيق حلمها المثالي، وهو الحلم الذي تعتبر مصادره راسخة إلى حد كبير في التوراة، أو أنها تستقي وحيها منها. وبحد ذاتها فالأفكار المتعلقة بالطابع التقدمي للتاريخ وقدرة بني البشر على تحسين العالم وإصلاحه هي أفكار توراتية المصدر. وقد تسللت هذه الأفكار إلى الثقافة الغربية من التوراة من طريق الشعب اليهودي والديانة اليهودية جنباً إلى جنب مع الأديان التي نمت منها، أي المسيحية والإسلام. وفي العصر الحديث اجتازت هذه الأفكار عمليات علمنة بواسطة الحركات الثورية الحديثة التي ركزت على إعادة بناء العالم؛ ولكن عقب حذف القيود الدينية عن التشوهات والتطرف في السلوك البشري، لقيت هذه الأفكار الفشل وزرعت الآلام والمعاناة في العالم.

ويخيل إلينا أن العالم قد سئم اليوم كل أصناف الأيديولوجيات المُمثّلة بواسطة الحركات الثورية العلمانية، ولكن في أوساط اليهود الذين ينبض في قلوبهم وعي اجتماعي قوي، فقد حفظت بكل قوتها فكرة إصلاح العالم، كما أنها احتلت في أوساط يهود أمريكا الشمالية مكانها كقيمة مركزية وفق هذه المفاهيم. والتعريف الجديد لفكرة إصلاح العالم وفق هذه الصيغة لم يصل بعد إلى إسرائيل، ولكن يجب الافتراض أن الأمر سيحصل فعلاً في الجيل المقبل عندما تصبح إسرائيل معرضة لتأثير الرياح الناشبة من الخارج من الناحية القيمية وفي مجال اللهاث وراء النجاح المادي والإنجازات الاقتصادية.

إن جوهر إصلاح العالم في كل فترة أيّاً كانت على امتداد التاريخ يشكل مسألة مفتوحة قابلة لتفسيرات مختلفة، ولكن تشمل في جميع الأحوال قيم الإنسانية والعدالة الاجتماعية بدلالاتها المتنوعة. وفي مطلع القرن الحالي (العشرين) تطورت الاشتراكية كهجوم على عدم مساواة راديكالي في المجال الاقتصادي والاجتماعي أو كجهد اجتماعي ديمقراطي لتحسين مصير الفقراء والمضطهدين، واحتل موضوعاً مركزياً في

جدول الأواليات العالمي، إلى جانب ضمان مكانة وحقوق الشعوب المضطهدة أو الخاضعة لنظام كولونيالي.

واليوم فإن الكثيرين من المؤيدين للإصلاح كإصلاح للعالم يتصدرون جبهة نضال حركات تحرر المرأة، وحركة المحافظة على البيئة وقيم الطبيعة، وحركات منع العنف ضد النساء والأطفال والحيوانات، وحركة تحسين اندماج مشاركة المعاقين في المجتمع وأفكار أخرى تصل إلى إسرائيل بهذا القالب أو ذاك. وأهمية هذه الموضوعات على جدول الأعمال الإسرائيلي قد تراكم تسارعاً إذا ما اكتملت عملية السلام بنجاح وتمكن سكان إسرائيل من تخصيص الوقت اللازم لحل هذه القضايا المتعلقة بالضمير الاجتماعي الذي يعمل بقوة كبيرة وخاصة في أوساط اليهود، كما ادعينا سابقاً. وهكذا تتحول مجموعة المفاهيم القيمية هذه إلى موضوع ساخن في المجتمع الإسرائيلي.

وحتى الآن لم تظهر في إسرائيل ظاهرة موازية لرد الفعل المضاد والمحافظ للديمقراطية الاجتماعية ولدولة الرفاه التي انتشرت بسرعة في دول الغرب. وتنبع هذه المعارضة جزئياً من تطور اتجاه تفضيل حقوق الفرد إلى درجة الأنانية أحياناً، والذي يقدم نفسه إلى حد معين بمفاهيم تميز قيم «إصلاح العالم»؛ ووجهة النظر هذه التي تراكم دعماً متزايداً في العالم الغربي، تؤيد السوق الحرة والمبادرات الفردية التي تشتمل على نشاط تطوعي وخيري تقوم به جهات عامة غير حكومية. ويمكن التخمين أن هذه الموجة سوف تصل إلى إسرائيل بعد نحو عشرين سنة.

ومن المعقول جداً الافتراض بأنه عقب الارتفاع الجوهري في مستوى دخل مواطني إسرائيل، كنتيجة للنمو الاقتصادي الحالي، فإن جزءاً من هذه الموارد سيوضع تحت تصرف التنظيمات التطوعية التي تعمل من أجل أهداف إنسانية واجتماعية. وهذا التطور سيوسع تأثير القطاع العام غير الحكومي بطريقتين:

١ ـ زيادة في الموارد.

٢ ـ والأهم من كل ذلك وقف ارتباط هذا القطاع بمخصصات حكومية.

ووفقاً لايديولوجيا الاشتراكية التي رسمت إلى حد كبير وجه دولة إسرائيل في الماضي، فإنه يجب معالجة كل موضوع يستحق المعالجة العامة بواسطة هيئة حكومية وليس من طريق مبادرة خيرية فردية. وهذا الأسلوب يناقض تماماً وجهة النظر السائدة في دول الغرب التي يسير الجمهور الإسرائيلي في أعقابها. وبالإمكان توقع قلب الاتجاهات في الظروف الحالية المتعلقة بالنمو والازدهار الاقتصادي في إسرائيل

١٧١٥ - ٦

اليوم، إلى جانب الميل اليهودي لإصلاح العالم. وهذان العاملان سوياً قد يغيران وجه الأمور، وبخاصة في ضوء الزيادة الجوهرية في تشكيلة الموضوعات المشمولة في هذه الفئة، والتي قد تصبح هدفاً مختاراً لدعم أشخاص مختلفين، يختارون طرقاً ومشاريع وسياسة وسبلاً لدفعها إلى أمام.

٤-١ طرق السلام

من نواح معينة، فهذه هي مجموعة مفاهيم قيمية تبرز بشكل خاص في أوساط اليهود، المتدينين وغير المتدينين على حد سواء، الذين ينادون كثيراً بإقامة سلام في إسرائيل وفي العالم كله، ويعبرون عن توقهم بالصلوات والأناشيد وبطرق أخرى. وليس ثمة شك في أن هذا النداء ينبع من المعاناة الطويلة للشعب اليهودي من انعدام السلام في الماضي وفي أيامنا هذه أيضاً، والآن نحن في ذروة عملية سلام تحاول وتتطلع إلى وضع نهاية للنزاع المستمر مع جيراننا. كذلك فإن العالم الواسع منشغل في دفع عملية السلام التي أدت إلى إنهاء الحرب الباردة واتخذت مؤخراً منحى جديداً إلى أمام. واليوم تركز دول العالم على الجهود لإنهاء النزاعات المحلية الطويلة التي لا يقيم المشاركون فيها دائماً داخل حدود النزاع.

ومن المحتمل أن تشكل عملية السلام الإسرائيلية نموذجاً كلاسيكياً للمزج بين المثل وبين المصالح الذي يميز القيم الإنسانية اليهودية. ويتصدر اليهود الجبهة الأمامية للغالبية العظمى من حركات السلام المختلفة، سواء أكان ذلك كأفراد أو كجماعات، ولكن أولئك اليهود بالذات الذين آذانهم غير مصغية جيداً للإدراك الجلي، بمقارنة القيم اليهودية في المجتمع الإسرائيلي، يعدون من نشيطي معسكر السلام.

إن التأثير المهيمن لعملية السلام في إسرائيل قد يستمر على الأقل على امتداد النصف الأول من الجيل المقبل. وهذه العملية ستعطي ثمارها أيضاً في الصدام القيمي بين أولئك الذين يرون في السلام قيمة عليا وسامية تفوق كل شيء آخر في مقابل أولئك الذين يعتقدون أن القيم اليهودية والصهيونية الأخرى لا تقل في أهميتها عن السلام وربما تفوقه (انظر أدناه). والسؤال المطروح سيكون إلى أي حد سيرون في ذلك صداماً بين قيم يهودية، أو ينظرون إلى ذلك كصدام بين قيم يهودية وقيم أخرى. والاعتراف بصدام قيمي كهذا على أنه صراع بين قيم يهودية مختلفة سوف يحسن من فرص إسرائيل للمحافظة على طابعها اليهودي، خلافاً لتحديد الصراع بمصطلحات قيم «يهودية» في مقابل قيم «ديمقراطية»، في سياق التعاطي مع القيم اليهودية بالمفهوم الضيق والمقلص للغاية.

٢ ـ قيم صهيونية

القيم الصهيونية هي قيم مرتبطة بشكل خاص بالفكرة الصهيونية وبالحركة الصهيونية وبالمشروع الصهيوني. واحتلت هذه القيم دوراً مركزياً في تجديد الحياة اليهودية في أرض إسرائيل وفي إقامة الدولة اليهودية. واليوم تشهد هذه القيم حالة تراجع أو وصلت إلى الحضيض عقب الجهود المبذولة لإحراز سلام بين إسرائيل وبين جيرانها وفي ضوء الازدهار الاقتصادي لمواطني الدولة. ومع أن التطلعات إلى السلام والى الازدهار لا تتعارض بالضرورة مع القيم الصهيونية، ولكن كان هناك من اعتقد ذلك عقب التجربة التي تراكمت في مجرى المشروع الصهيوني، كانت هذه القيم المرتبطة بالصراع الصهيوني ضد الأعداء العرب الذين يدبّرون المكائد للصهيونية والوسائل التي اتخذت لبناء أرض إسرائيل قد حملت طابعاً اشتراكياً وتعاونياً، ولم تكن تؤيد اتجاهات السوق الحرة والوسائل الفردية الأخرى اللازمة للتطوير الاقتصادي.

وأنحيت هذه القيم الصهيونية جانباً، عندما أحدثت انجازات الصهيونية تغييراً في أهميتها وفي مكانتها، وعقب اعتبارات أخرى زرعت ارتباكاً في اوساطها، ولكن هناك فرصاً كبيرة لبقاء قيم معينة في نهاية الأمر. وكما تبين لنا بعد اغتيال المرحوم اسحق رابين فإن الصهيونية تعتبر في نظر الإسرائيليين، وبخاصة في أوساط الجمهور العلماني، كـ «معتقد آبائنا» ويتوجهون إليها للبحث عن المواساة والتشجيع في أوقات المحنة والضيق. وعلى أي حال فإنه من المتوقع حدوث صراع في المجتمع الإسرائيلي بين القيم الصهيونية بدلالاتها الأصلية أو بتفسير جديد أي كان، وبين مصالح أو دوافع أخرى.

٢-١ وطن قومي

هذه المجموعة من المفاهيم القيمية تعالج لب المشروع الصهيوني، أي العمل من جديد على إقامة وطن يهودي في أرض إسرائيل، وفي كل الأوجه التي هي بحاجة إلى تفكير وتبصر في هذا السياق، مع دخول إسرائيل إلى عصر جديد في تاريخها. وينبغي على الجمهور في إسرائيل أن يحدد من جديد دلالة إسرائيل كـ «وطن قومي» في وقت تصل فيه إلى نهايتها الصهيونية الطلائعية الأصلية. هناك حاجة إلى تعريف جديد بالنسبة إلى شطري هذا التعبير: ما هي إسرائيل كـ «بيت» وما هو التفسير المرافق لمفهوم «القومي» في عصر توسع العالمية، وبالذات الثقافة العالمية الشاملة التي تحتل أجزاء متزايدة من الجمهور، أكان ذلك على المستوى الشعبي أو في أوساط النخبة. وهذه المسألة ستحتاج إلى معالجة حتى لو اعتبرها يهود كثيرون مسألة في غير محلها أو قديمة.

٢-٢ دولة يهودية/ دولة اليهود

مجموعة المفاهيم القيمية هذه الملتصقة ببعضها البعض كتوأم سيامي، تتركز في إسرائيل كدولة يهودية وكدولة اليهود، على أفكار قومية ويهودية وديمقراطية وعلى مكان القيم اليهودية في بلورة هذه المكونات الثلاثة سوياً مع الإشكالية المرتبطة بذلك. وتثير منظومة المفاهيم هذه أسئلة ثاقبة وخلافات في الرأي: هل أن إسرائيل هي دولة يهودية أم دولة اليهود التي تقيم فيها أغلبية يهودية بالصدفة؟ وهل يدور في إسرائيل صراع بين الديانة اليهودية وبين الديمقراطية؟ وحسب رأينا فالسؤال مطروح بمفاهيم مغلوطة. فاستخدام مصطلح الديمقراطية في هذا السياق يشكل كلمة سر لمحاولة تقريب نهاية السمات اليهودية المميزة لدولة إسرائيل. وفي المقابل، فإن الديانة اليهودية تشكل كلمة سر للأصولية اليهودية الدينية وللدولة المحكومة من قبل تفسير أصولي للشريعة اليهودية ووفقاً لآراء حاخامين متطرفين.

إن القيم اليهودية الإنسانية يمكنها أن تشكل عاملاً موحداً نظراً إلى أنها تقيم جسراً بين المتدينين والتقليديين والعلمانيين، ولكن الصراع حول القيم اليهودية الصهيونية أثار نزاعاً بين الأجزاء المختلفة لسكان إسرائيل لن يخمد أيضاً في المستقبل المنظور. وهذا صراع قد تكون نتائجه حبلى بالمخاطر على إسرائيل، كما أنه سيؤدي إلى نشوب حرب ثقافية شديدة أو إلى قطيعة مطلقة للجمهور في إسرائيل عن كل جذوره، وبدلاً من ذلك قد يشكل أساساً لتفكير جديد ومتعمق نحو تركيب ناجح وملاءمة قيم يهودية لإسرائيل جديدة، ملتزمة بتحقيق غايات الصهيونية في الجيل المقبل. وإذا ما استمر تعريف وصياغة المسائل المطروحة على جدول الأعمال العام في إسرائيل وفق القالب المعروف اليوم، فقد يتحقق الإمكان الأول؛ وفي المقابل فإن تغييراً قد يطرأ في أسلوب عرض الأسئلة في سياق الانتقال إلى نغمة أخرى وإلى أسلوب تفكير أكثر ملائمة ـ عن أي ديمقراطية يتحدثون ـ وأي يهودية يقصدون؟ عندها فقط ستوجد فرصة لإيجاد تركيبة مثمرة للغاية.

وليس ثمة شك في أن الأوساط المتطرفة على جانبي المتراس في هذه القضية هي التي تحدد القضايا المطروحة على جدول الأعمال. وأكثر ما يثير الدهشة هو أن يتبين لنا قلة الانتباه أن يدرك الإنسان ضآلة الاهتمام المكرسة في هذا السياق للتقاليد السياسية اليهودية الأصيلة، كما هي موصوفة بمصطلحات نظرية أو مثالية في التوراة، وفي التلمود، وفي مصادر كلاسيكية ومقدسة أخرى، أو لشكل تطبيقها في الجوالي اليهودية وفي هيئات سياسية يهودية على امتداد تاريخ الشعب اليهودي.

إن هذا الإهمال لا ينبع حصراً من اعتبارات ايديولوجية، فالتاريخ اليهودي في

الفترة التي سبقت صعود الصهيونية أكد بالأساس على طريقين حُدّدا بمصطلحات دينية مجردة: طريق الشريعة اليهودية بدقائقها وتفاصيلها، أو طريق الانعتاق من الدين، أي التحرر منه، والذي كان مقروناً بالتخلي عن الحكم الذاتي الجوالي اليهودي والهوية الجماعية اليهودية في موضوعات ذات طابع يهودي فقط أو في الأساس.

وعلاوة على ذلك، فقد استندت الصهيونية إلى أسطورة (نُسفت في وقت لاحق من جانب مؤرخين صهيونيين كبار من أمثال اسحق بيعر، وبن تسيون دينور، وحاييم هليل بن ساسون، قالت إن اليهود في أثناء خراب الهيكل الثاني توقفوا عن الوجود كمجموعة سياسية واختفوا عن صفحات التاريخ السياسي. واستناداً إلى هذه الأسطورة فباستطاعة الصهيونية فقط إعادة الشعب اليهودي إلى المسرح العالمي ككيان سياسي، عندما تشكل هذه الخطوة جزءاً لا يتجزأ من الثورة الصهيونية. وأدى هذا الأمر إلى طمس بل إلى إخفاء التقاليد والتجارب السياسية اليهودية، عندما وجدت عملياً بيّنات تدل على انتظام معين ذي تاريخ متواصل من الحكم الذاتي الجوالي وعملية ديمقراطية لاتخاذ القرارات، على الأقل بصورة نسبية كما هو مألوف في تلك الفترة، وكل ذلك في إطار المعتقدات والشريعة اليهودية.

وهذا الأمر يثير مسألة أخرى عويصة. فالتفكير الإسرائيلي الحالي بالنسبة إلى دلالة دولة مماثل في جوهره لوجهة النظر التي كانت سائدة في بداية أيام المشروع الصهيوني. ووجهة النظر هذه تتلاءم تماماً مع فكرة دولة مستقلة قائمة بحد ذاتها في كل المعاني، تلك الفكرة التي كانت شائعة ومألوفة في أنحاء العالم كله. أما اليوم فقد زالت أهمية مثل هذا التوجه الوطني الرسمي الذي أصبح من تراث الماضي في العالم الواسع. حقاً ما زالت الدول قائمة والشعوب التي ليس لها دولة ما تزال تطالب بالاستقلال السياسي، ولكن أنواع الدول التي ستقوم في العالم الجديد لن تكون مستقلة تماماً دون أي ارتباط بجهات خارجية. فهي ستكون وحدات شريكة في نظام عالمي جديد، يمزج فيه الارتباط المتبادل الواسع بمجالات اقتصادية وأخرى، سوياً مع قيود جوهرية على السيادة السياسية لكل الهيئات السياسية والانتظامات السياسية المختلفة، دون صلة بتعريفها الرسمي. وهذه العملية تحدث أمام ناظرينا في هذه الأيام حتى لو ان سماتها المميزة لم تحظ باعتراف حقيقي.

إن ترتيبات إقليمية على نطاق مقلص أو واسع ذات طابع فدرالي أو كونفدرالي آخذة بالانتشار في أنحاء العالم ـ مثلاً على غرار الاتحاد الأوروبي، ورابطة الدول المستقلة (الاتحاد السوفياتي سابقاً)، وحتى المجموعة الكاريبية. والترتيبات الاقليمية الشاملة في مواضيع اقتصادية وأمنية ولأهداف الدفاع عن الحقوق مثل «نفطا»،

«ناتو» و ـ OSCE، التي تشكل بصورة رسمية منظومة معاهدات، تلزم أكثر فأكثر بصورة دستورية الهيئات المنضوية فيها.

إن هذه الظواهر تحدث في داخل منظومة عالمية تشمل الغالبية العظمى من سكان العالم. وبشكل تناقضي فإن إحدى نتائج هذه الخطوة هي توسيع إمكان حق تقرير المصير المتاح لدول صغيرة وهيئات سياسية ضيقة في داخل أعماق المنظومات العالمية والاقليمية. ويتعلق الأمر بتقرير المصير وفق مفاهيم تهدف صراحة إلى الحفاظ على هويتها وثقافتها المتميزة حتى إزاء ضغوطات العولمة الثقافية. وأخذت هذه الضغوطات تحظى بتشجيع وسائل الاتصالات وقوى السوق ـ التي تسعى عمداً أو دون قصد، إلى تقويض ثقافات محلية. وسوف يتوجب على إسرائيل أن تحدد من جديد جوهرها كدولة يهودية في داخل هذا السياق الجديد، بشكل يتيح وجود قيم نابعة من المصطلح «دولة يهودية» في داخل الإطار الجديد والمحافظة عليها.

٢-٣ أرض إسرائيل

مجموعة القيم هذه تعالج موضوع الأرض والمنطقة بحد ذاتها ـ الملكية، والسيطرة، واستخدامها. وواضح للجميع أن إسرائيل والصهيونية وصلتا إلى مفترق طرق في موضوع أرض إسرائيل. في العام ١٩٦٧ حصل انقلاب، عندما بدا أن مشروع التقسيم في الأعوام ١٩٤٧-١٩٤٩ بالنسبة إلى الضفة الغربية للأردن صار لاغياً كنتيجة لحرب الأيام الستة. ولكن يخيل إلينا اليوم أن إسرائيل تعود إلى وضع إعادة التقسيم. ولكن هل وجه الأمور فعلاً على هذا النحو؟ فخلافاً لمشروع التقسيم الأول الذي استند إلى أقاليم البلاد التي أقيمت فيها مستعمرات الحركة الصهيونية، فقد انتشر الاستيطان اليهودي بعد العام ١٩٦٧ على سطح جميع الأراضي الواقعة غربي نهر الأردن. ومصير هذه المستوطنات في إطار إعادة تقسيم أياً كانت يشكل موضوعاً لنقاش عام ثاقب، وينتصب في مركز صدام قيم متقاطع، ربما كان الأخطر في تاريخ الدولة العبرية. ويجب الافتراض أن هذا الخلاف الشديد لن يحيد عنا حتى في الجيل المقبل وربما أيضاً بعيداً عن ذلك.

إلى ذلك يمكن الاستنتاج من السلام بين إسرائيل وبين الأردن، ومن صورة السلام الظاهرة مع الفلسطينيين، أن الأمر لا يتعلق ببساطة بإعادة تقسيم وإنما بشكل فدرالي معين وفقاً لمبادئ وترتيبات كونفدرالية على غرار تطورات أخرى في مناطق مختلفة في عالمنا. وهذه السمات الفدرالية المميزة ستشكل جزءاً لا يتجزأ من اتفاق السلام وشرطاً حتمياً لنجاحه. ويدور الحديث على الأقل عن علاقات متبادلة وثيقة في المجال الاقتصادي، وعن معالجة مهام كثيرة ومتنوعة بواسطة هيئات مشتركة

لإسرائيل والأردن والفلسطينين، بدءاً بقضايا في مجال نوعية البيئة، وانتهاء بتشجيع السياحة. ولذا فإن تنازل إسرائيل عن السيطرة الكاملة على مناطق معينة لا يعني بالضرورة عدم القدرة على الحفاظ على علاقات سليمة قائمة على وضع ثانوي في أنحاء الوطن التاريخي لأسباط اليهود الاثني عشر (حسب وصف آرييه إيلياب) أو أرض إسرائيل التاريخية.

وفي هذه الحالة، فإن المصطلح اليهودي «أرض إسرائيل» كما يتجسد على الصعيد العام، يشكل في الواقع عقبة على طريق تطبيقه. وهو يزرع الرعب في قلوب جيراننا ويثير مخاوفهم، لأن الإسرائيليين ما يزالون يتطلعون إلى الأهداف التي كان يفترض فيهم ان يتخلوا عنها في أثناء التنفيذ الفعلي لعملية السلام. وبالفعل فقد يسلّم سكان إسرائيل اليهود بدولة إسرائيل القائمة على مساحة أصغر من الأرض، ولكن سوف تبقى في قلوبهم صلة خاصة بمصطلح «أرض إسرائيل».

والروابط الكونفدرالية بين إسرائيل وبين جيرانها الفلسطينيين والأردنيين سوف تمكّن الجمهور الإسرائيلي من إيجاد قنوات تعبير مرضية لهذا المصطلح بطرق مختلفة أخرى ـ بعيداً من البعد السياسي ـ لمصلحة الجهات الثلاث ذات العلاقة بالموضوع.

وفي المقابل، فبالإمكان تفسير مصطلح «أرض إسرائيل» كمصطلح فكري مرتبط باستخدام الأرض؛ وبكلمات أخرى، ووفقاً للرأي الذي يعزو قداسة خاصة للأرض ذاتها فإنه يتوجب على اليهود والصهيونيين التصرف بها بحذر وباحترام، وتحسين طرق استخدام واستغلال الأرض.

ومنذ الأيام التي سبقت قيام الدولة العبرية، فقد أدى هذا المصطلح إلى سياسة شراء الأراضي التي أكدت على الملكية القومية المشتركة باسم الشعب اليهودي بواسطة مؤسسة الصندوق القومي اليهودي «الكيرن كيميت لإسرائيل».

وهكذا يمكن إلصاق بُعد بيئي لاستخدام الأرض باسم الشعب اليهودي كله الذي سيغيب عن الصورة إذا ما سلمت السيطرة المطلقة على السياسة وعلى تنفيذها إلى قوى السوق. وهذا الأمر قد يكون أحد الإسهامات المهمة للغاية للقيم اليهودية من أجل الأجيال المقبلة لسكان إسرائيل.

٢-٤ البعث اليهودي

مجموعة المفاهيم القيمية هذه تعالج إسهام دولة إسرائيل في البعث الثقافي اليهودي، والحياة اليهودية والشعب اليهودي من وجهة نظر صهيونية، علمانية ودينية على حد سواء. وحتى لو تحول مصطلح «أرض إسرائيل» إلى أحد القيم اليهودية

الموحدة للغاية للشعب في إسرائيل، فإن مسألة البعث اليهودي قد تشكل نقطة خلاف مركزية في الجيل المقبل. وهذا عقب التفسيرات المختلفة والمتناقضة بالنسبة إلى ماهية بعث الثقافة اليهودية، والحياة اليهودية، والشعب اليهودي. وكمثال على ذلك نورد عدداً من الاسئلة التي تثير خلافات شديدة وعاصفة في الآراء: هل أن مفهوم «الشعب اليهودي» يعني اليهود الذين يعيشون في إسرائيل أم أنه يشمل أيضاً يهود مهاجر الشتات؟ وهل يتوجب على الشعب اليهودي أن يقبل بأذرع مفتوحة المنضمين إليه، صدفة أو من خلال اختيار، أم أنه يتوجب عليه المحافظة على إطار مغلق نسبياً والمطالبة بمستوى أعلى من الالتزام في أوساط هؤلاء الناس؟ وهل ينبغي على الحياة اليهودية حمل طابع ديني أم أنه يمكن الاكتفاء بمجمل الثقافة اليهودية القائمة في كل نقطة زمنية معينة؟ وهل توجد معايير أو مطالب خاصة تتعلق بذلك؟ وهل حافظت المعايير والمطالب القديمة على مفهومها أم يجب تطوير اتجاهات جديدة؟ وما هي الحضارة اليهودية؟ وما هي الطريق الأفضل للعناية بها والحفاظ عليها؟

لقد كانت الحركة الصهيونية منقسمة دائماً إلى معسكرين رئيسيين: بين أولئك الذين يرون في المشروع الصهيوني لإعادة الشعب اليهودي إلى أرضه خطوة أولى نحو وضع طبيعي يصبح فيه اليهود مثل «جميع الأغيار ـ الغوييم» وبين أولئك الذين يرون في ذلك وسيلة لإحياء الروح اليهودية بدلالتها المثمرة والإبداعية. وتاريخ هذين المعسكرين كتاريخ الحركة الصهيونية، حيث انقسم هذان المعسكران منذ بداية هذه الحركة، دون صلة بالمعسكرات والخلافات الأخرى في الرأي التي انفجرت داخل الحركة الصهيونية، فإنهما يمثلان التيارات المهمة والرئيسة. وقبل بداية عملية السلام، وطالما كانت إسرائيل خاضعة للحصار، كان القاسم المشترك بين المعسكرين كبيراً بما فيه الكفاية للحفاظ على إطار موحد. أما اليوم فقد عمّق السلام الذي يلوح في الأفق الهوة بين وجهات النظر المختلفة، ووضعها على جانبي المتراس، حيث تربض بينهما هاوية.

وبالتأكيد، فاستطلاعات الرأي ستعرض نتائج أخرى. فغالبية مواطني الدولة ما تزال تمزج التطلع إلى وضع طبيعي مع التطلع إلى بعث يهودي معين. لكن استطلاعات كهذه قد تعرض صورة غير دقيقة، كما رأينا في استطلاع معهد غوتمان الذي نُظم في العام الماضي، والذي جلب معه ظاهرياً بشرى مشجعة بالنسبة إلى نمط الحياة اليهودي للسكان اليهود في إسرائيل. والاستطلاعات قد تخفي وتغطي الانقسام الشديد السائد داخل الشعب، وأحد أسباب ذلك هو انعدام مقارنة في معظم الحالات مع نتائج سابقة قد تشير إلى اتجاهات معاكسة لنتائج الاستطلاع. وبعيداً عن ذلك، فالاستطلاعات ترسم صورة الوضع الصحيحة في لحظة معينة.

والاستطلاعات الروتينية لا تدرس الموضوع في العمق، ولذا فانها لا تعكس إعراباً عن الرأي يتطلب تفكيراً متزناً يكشف أسباباً متناقضة لسلوك معين. وعلى سبيل المثال، ففي استطلاع الرأي الذي أجراه معهد غوتمان حول المعتقدات والمحافظة على الفرائض الدينية، ليس هناك اعتراف بالشرخ العميق بين أولئك الذين يؤمنون بأنه يتوجب على اليهود من ناحية دينية أداء الفرائض وبين أولئك الذين يرون في المحافظة على الفرائض استمراراً لعادات وتقاليد الآباء التي قد تكون ملائمة أحياناً لأبنائهم أيضاً، شرط أن يفعلوا ذلك بطريقة معتدلة. وبمصطلحات علمية، يعكس السيناريو أن غالبية أفراد المجموعة الأولى سوف يصرون على آرائهم في الموضوعات اليهودية، في حين أن غالبية أفراد المجموعة الثانية سوف ينجرفون في نهاية الأمر وراء الاتجاهات المهيمنة في المجتمع، وهي الاتجاهات التي تحظى في نظرهم بالأفضلية.

هذا صراع تاريخي، ليس فقط من داخل أعماق الحركة الصهيونية، وإنما على امتداد تاريخ الشعب اليهودي، بين أولئك الذين يتطلعون إلى أن يصبحوا كـ «بقية الأغيار ـ الغوييم» وبين اليهود الذين يحسون بالتزام بيهوديتهم على هذا المستوى أو ذاك. والتراجع في الهوية وفي التعبير عنها، في الماضي وفي الحاضر، ينبع إلى حد كبير من هذا الصراع، ومن المواقف المختلفة للمشاركين فيه. وجميع هذه المسائل تشكل اليوم بؤرة لخلافات في الرأي، وفوق كل شيء يدور الجدل حول السؤال المركزي: هل يشكل البعث اليهودي غاية إسرائيلية ذات أهمية أيضاً في أيامنا هذه؟

إن الجيل المقبل سوف يحدد مصير هذا السؤال في البحث عن إجابات ملائمة أو بإقامة إطار لإجماع في هذه المسائل.

٣ ـ يهودية دولة اليهود

سنركز في هذا الفصل على القيم اليهودية المرتبطة بالأوجه اليهودية الفرعية لإسرائيل، والتي يخطئ الكثيرون الذين يرون فيها إجمالاً لكل «القيم اليهودية» الجديرة بالنظم. ويتعلق الأمر بمعايير يهودية تعالج بصورة محددة أمور الشعب اليهودي، وبالأساس الشعب اليهودي المقيم على أرضه في ظروف استقلال سياسي. وكنا قد بحثنا في الفصل السابق وبشكل جزئي القضايا المرتبطة بالشعب، وبالجسم السياسي وبالأرض. ويتوجب علينا هنا مواجهة مسألة الاعتبارات المتعلقة بالشريعة اليهودية بالنسبة إلى ماهية وحدود أرض إسرائيل، وصلاحية اليهود في أن يقرروا في ظروف مختلفة ما هي الأجزاء النى سيحتفظون بها، وما هي الأجزاء التي سيوافقون على نقلها إلى سلطة أخرى في ظروف معينة. كذلك فإن البحث في المسائل المتعلقة بطابع الجسم السياسي اللازم في دولة يهودية يعود إلى هذا الفصل أيضاً. وتمت صياغة

هذه المسألة بطريقتين. فالجمهور العلماني وضع المسألة بمصطلحات دولة القانون في مقابل دولة الشريعة اليهودية، في حين صاغ الجمهور الصهيوني ـ الديني ذلك كصراع بين الشريعة اليهودية وبين القانون الوضعي. وهاتان المسألتان هما في الواقع من المسائل القيمية، ويتوجب التوصل إلى انسجام وتوافق معين بينهما للتمكين من استمرار الجدل بصورة مثمرة وإيجابية.

وفي ما يتعلق بالمسائل ذات الصلة بالشعب اليهودي، فإن المسألة القيمية الجوهرية للغاية بالنسبة إلى إسرائيل كدولة يهودية تتعلق بالتعددية ونوعها، كما تتعلق بأي قدر وبأي مجال يمكن أو يتوجب السماح بتعددية شرعية في دولة يهودية، وكيفية توفيق تعددية كهذه مع القضايا التي تتطلب البت فيها بشكل أحادي (طريق واحدة وقاطعة)؟ ومعظم هذه المسائل يشغل عموم الجمهور عندما يطرح على جدول الأعمال، وفي حالات كثيرة فإن النقاش العام يكون مليئاً بالتشوهات والأخطاء الكثيرة. ولكن ينبغي النظر إليها كمسائل تقف في مركز العاصفة العامة، ويحمل حلها أيضاً طابعاً عاماً.

إن الحاجة إلى الجدل ومناقشة هذه المسائل على مسرح عام هو ملك للجميع تفتح فرصاً تربوية مهمة، ولكن تتيح في الوقت نفسه تشوهات شديدة. وهذه الظاهرة تنبع بالأساس من ميل وسائط الإعلام للتركيز على مواقف وأطراف متطرفة، تشكل مصدراً لرواية إعلامية أكثر إثارة، وتفضيلها على تقييمات مدروسة لأطراف معتدلة من كلا الجانبين. وتوضيح المصطلحات المستخدمة في الجدل هو مهمة هامة وصعبة ستواجه الجمهور الإسرائيلي في الجيل المقبل. وحتى لو لم تجد هذه المسائل نفسها حلاً لها، ينبغي أن نخرج من الجدل الأسس المشوهة والخاطئة في المصطلحات التي تسمع صباح مساء من أفواه مختلف المشاركين في النقاش.

٣-١ الجالية ـ تعبيرات دينية وثقافية بتصرف الفرد وتصرف المجموع

الجالية هي المفهوم التوراتي الذي يصف الشعب اليهودي في عملية انتظامه السياسي. وتعني «طائفة بني إسرائيل» في التوراة الشعب الإسرائيلي كمجموعة سياسية.

وتعالج مجموعة المصطلحات القيمية هذه دول الدولة ومؤسساتها العامة الأخرى في التعبير عن مواضيع يهودية، ودينية، وثقافية. بأي قدر ستواصل مؤسسات إسرائيل الحكومية منح مكانة مفضلة للموضوعات اليهودية، وبأي قدر ستتطلع فيه هذه المؤسسات للتحول إلى أداة حيادية تخدم كل المواطنين، مهما كانت معتقداتهم

وآراؤهم الدينية؟ وما هي المهام التي ستأخذها الدولة على عاتقها، وأي أعباء ستنتقل إلى معالجة مؤسسات وطنية أو هيئات عامة غير حكومية لا تشكل جزءاً من الجهاز الوطني؟ وهل سيزداد الفصل بين الدولة وبين المؤسسات القومية اليهودية مثل الوكالة اليهودية، والصندوق القومي اليهودي، وصندوق كيرن هايسود، والمنظمة الصهيونية؟ ويجدر الافتراض أن هذه المسائل تتصدر جدول أعمال الدولة في الجيل المقبل.

وعلى المستوى السطحي، يبدو أن إسرائيل مستقطبة بين العلمانيين والمتزمتين (الحوزيم)، عندما يطالب العلمانيون بالفصل الأقصى بين الدين والدولة، في حين يرنو المتزمتون المتشددون بأبصارهم إلى هدف معكوس.

وفي الواقع، فإن الوضع الحالي هو وضع مركب ومعقد للغاية. واستناداً إلى استطلاع معهد غوتمان المنشور قبل سنتين، فإن عشرين في المئة من سكان إسرائيل يعتبرون أنفسهم علمانيين، ثلاثة أرباع هؤلاء يحافظون على التقاليد وفقط ربع (خمسة في المئة من مجموع السكان) منهم يزعم أنه لا يحافظ على الفرائض الدينية كلية. في المقابل، فإن ٢٥ في المئة يعتبرون أنفسهم محافظين على الفرائض بالدلالة التقليدية للكلمة، وثلثين منهم هم صهيونيون متدينون، فيما الثلث الآخر من «الحريديم»، أما الباقون ـ ٥٥ بالمئة ـ فيصنفون كـ «تقليديين»، حينما تمتد معتقداتهم ودرجة المحافظة على الفرائض في أوساطهم على قوس واسع، بدءاً من إقامة الفرائض الدينية على نطاق يقترب من معيار التيار الأرثوذكسي (التمسك بالنص) وحتى المحافظة على الفرائض الدينية التي تعبر في نظرهم عن الثقافة اليهودية.

إن نحو ثلاثة أرباع من سكان إسرائيل اليهود يقيمون الطقوس الدينية التقليدية الخاصة بعيد الفصح اليهودي، كما أن نسبة الذين يصومون في (يوم الغفران) مماثلة تقريباً لهذا الرقم. وصرح نحو الثلثين بإيمانهم بالله، في حين يؤمن أكثر من خمسين بالمئة بنزول التوراة في سيناء. وفي المقابل، فإن الربع فقط يؤمنون بأن الله يطالب الإنسان بإقامة فرائض التوراة. ومقارنة بدراسات أخرى يبدو أن المجموعة التقليدية تبتعد ببطء عن نمط الحياة التقليدي، ولكنها لا تتغير بصورة جوهرية في مجال الإيمان.

ومن هنا يبدو أن العلمانيين الذين يحتلون مواقع رفيعة في المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة، وبخاصة على النطاق العام، وبالتأكيد ليس المتشددين (الحريديم)، يؤيدون المقاربة المألوفة في أوساط الغالبية الحاسمة من سكان إسرائيل اليهود. وفي السنوات الأولى للدولة سيطرت الأطراف المعتدلة في المعسكر الديني وغير الديني على عملية

اتخاذ القرار في الموضوعات المرتبطة بالدين وبدولة إسرائيل. ولكن منذ حرب الأيام الستة تغلب صوت المتطرفين في كلا المعسكرين، وأمسكوا بأيديهم بزمام السيطرة في تحديد سياسية الطرفين. والأطراف المعتدلة في كلا المعسكرين التي تتطلع إلى الجسر بينهما قد تتطلع إلى استمرار المحافظة على التقاليد اليهودية، بصورة علنية على الأقل، إلى جانب احتفاظ الفرد بالحرية القصوى في الاختيار الحر في هذه المسائل. فهل سيتغلب هذا الاتجاه، وهل ستترجم هذا الغلبة إلى سياسة وطنية في الأمور موضع البحث؟ ليس ثمة شك في أن هذه المسألة سوف تجد مكانها في مجمل المسائل المبدئية التي ستطرح على جدول أعمال الجيل المقبل.

وبالنسبة إلى مسألة «الديانة اليهودية والديمقراطية» فإن مصطلح طائفة، وفقاً للتفسير التوراتي ووفقاً لمصادر متأخرة أكثر في التقاليد اليهودية، يعكس نظاماً سياسياً جمهورياً يحمل طابعاً ديمقراطياً للغاية. وهذا النظام السياسي يبقى في جميع الأحوال في داخل إطار الفرائض الدينية، كما فسرت من جانب سلطات الإنسان في كل فترة من الفترات. والسلطة القانونية موجودة بصورة جوهرية في يد الله والانسان، ويمكن تفسير هذا الحكم بطرق مختلفة، وليس من الضروري قبول طريق المتطرفين المتزمتين في هذا السياق. وبالفعل فإن التقاليد اليهودية تشتمل على سوابق كثيرة لتفسيرات مختلفة. ولكن إيجاد النسيج الناجح للتقاليد السياسية اليهودية والحداثة في هذا النطاق يقترح الفرصة الأفضل لصياغة النموذج الذي سيكون مقبولاً في أوساط الغالبية الحاسمة من الشعب في إسرائيل.

٣-٢ الشعب المختار

إن مجموعة المصطلحات القيمية هذه تعالج مسألة الخاصية اليهودية لإسرائيل، والتوتر بينها وبين التطلع نحو وضع طبيعي في المجتمع الإسرائيلي. وكانت الصهيونية قد أُسست كتركيبة بين رأيين: وجهة النظر الهرتسلية (نسبة إلى هرتسل) التي ترى في اليهود شعباً يتطلع إلى أن يكون كبقية الشعوب، ويتوقف تحقيق تطلعاته على إقامة دولة وعلى الاستيطان على أرضه، وفي المقابل هناك الطريق الذي سلكه آحاد هعام والصهيونية الدينية، وهو رأى في إنشاء وطن قومي يهودي في أرض إسرائيل الأسلوب الأفضل، ولكن ليس الوحيد، لإحياء وإعادة بناء الثقافة اليهودية وفقاً للاحتياجات والظروف في العصر الحديث.

وعلى الدوام ساد توتر معين بين هاتين المقاربتين، أصبح وجوده ممكناً عقب الحاجة الملقاة على عاتق المعسكرين للعمل معاً من أجل الهدف المشترك المتمثل في إقامة دولة يهودية في أرض إسرائيل من جديد. وفي فترة ما بعد قيام الدولة كانت

هذه الخلافات الأساس في الرأي بمثابة كماليات بالنسبة إلى مواطني إسرائيل، على خلفية الحاجة إلى الدفاع عن وجودهم المهدد من جانب الدول العربية المجاورة. ومع حلول السلام والازدهار الاقتصادي، فإن هذه المسائل عادت لتحتل مكاناً مركزياً على جدول الأعمال العام. ومع زوال أحاسيس الرعب من خطر وجودي يخيم على إسرائيل، فإن اهتمام الشعب يوجه نحو مسائل أخرى تقلق راحته. وتنقسم إسرائيل اليوم إلى مجموعتين: أولئك الذين يؤيدون الوضع السوي، أي العيش كشعب مثل جميع الشعوب حسبما هو مألوف في العالم الرحب، وفي المقابل أولئك الذين يتوقعون بقاء إسرائيل دولة يهودية ومركزاً للثقافة اليهودية. وهنا أيضاً تتباين التعريفات. وهذا الصراع بين قوتين أساس سوف ينفجر بكامل قوته في الجيل المقبل.

٣-٣ عهد التكافل الاجتماعي

مجموعة المصطلحات القيمية هذه تطرح قضايا التضامن بين اليهود في إسرائيل، بينهم وبين أنفسهم، وبين السكان اليهود في إسرائيل ويهود مهاجر الشتات، وتشمل إحساس الشعب اليهودي الممتد في ما وراء الجنسية الإسرائيلية. وجزء من الخلاف في الرأي بين الصفة الإسرائيلة (الأسرلة) والصفة اليهودية يكمن في المسألة المتعلقة بنوعية العلاقات بين اليهود في إسرائيل وأشقائهم في مهاجر الشتات.

هل حقاً هناك شعب يهودي ما وراء حدود دولة إسرائيل؟ إن جزءاً من المنظومة القيمية للمعسكر المؤيد للوضع السوي هو إزالة العبء المتمثل في وجود شعب يهودي ومهجر يهودي.

أما أولئك الذين يعتقدون بأن إسرائيل هي رأس الحربة للحياة اليهودية والثقافة اليهودية، فيؤيدون توثيق الروابط مع يهود مهاجر الشتات. وفي نظر هؤلاء فإن إسرائيل هي مركز الشعب اليهودي أياً كان مكانه. والصراع بين هذين المعسكرين سوف يتواصل على هذه الجبهة، وأيضاً على الجبهات في الجهات التي ذكرت آنفاً.

وفي الآونة الأخيرة ثارت مسألة إعادة بلورة منظومة العلاقات بين إسرائيل وبين مهاجر الشتات في أوساط المعسكر الذي يتطلع إلى المحافظة على الطابع اليهودي للدولة. وواضح للجميع أن الجهود التي كانت قائمة في هذا السياق حتى هذا اليوم لم تعد ملائمة. ففي عقب عملية السلام بين إسرائيل وجيرانها، والازدهار الاقتصادي لمواطني الدولة، جنباً إلى جنب مع الانخفاض في عدد اليهود الذين هم بحاجة إلى عمليات إنقاذ من بلدان ضائقة مختلفة، فإن الجميع تقريباً يتفقون على أن المقاربة الخيرية القديمة قد ولّى وقتها.

ويشكل هذا الانقلاب فرصة رائعة لإعادة إنشاء هذه العلاقات على أسس إيجابية وأكثر نشاطاً. فإسرائيل لم تعد بعد قريباً فقيراً أو محتاجاً للعائلة كما أنه لم تعد هناك في أنحاء العالم جماهير كبيرة من اليهود المحتاجين للإنقاذ بالمفهوم المادي لهذه الكلمة.

والآن ينبغي إرساء منظومة العلاقات بين إسرائيل ومهاجر الشتات على مصالح ومواضيع مشتركة وعلى علاقات متبادلة على الصعيد الشخصي. والروابط الشخصية سوف تتطور بواسطة أقرباء العائلة والأصدقاء في إسرائيل وفي الجوالي المختلفة في مهاجر الشتات. والمصالح المشتركة ينبغي أن تسعى نحو الغاية الأهم وهي الحفاظ على الهوية اليهودية في سياق نشاط مشترك لرعايتها وتنميتها.

كذلك فإن يهود مهاجر الشتات منقسمون إلى معسكرين على غرار وصفنا للوضع بالنسبة إلى إسرائيل، مع أن الهجرة اليهودية إلى إسرائيل لا تشكل أداة اختبار في هذا الخلاف. وأولئك التواقون إلى وضع سوي في مهاجر الشتات يمكنهم الاندماج بسهولة أكبر كأفراد والاختفاء بصمت دون أي نضال ايديولوجي أو أي تصريحات دراماتيكية. وفي المقابل، فإن أولئك الحريصين على استمرارية الحياة اليهودية والثقافة اليهودية يمكنهم في أحسن الأحوال الاعتماد على حياد الدولة التي يقيمون فيها، ولكنهم لا يستطيعون توقع مساعدتها الفعالة لإحراز غاياتهم. لكن التقسيم الجديد إلى معسكرين في الحياة اليهودية لن يحدث بين إسرائيل وبين مهاجر الشتات، بل بين اليهود المتطلعين لأن يكونوا كبقية الشعوب، وبين أولئك الراغبين في الحفاظ على الاستمرارية اليهودية.

٤ ـ الوضع اليوم

طوال أكثر من عقد برز في نظام تعليمي رسمي اتجاه لتحويل التركيز نحو غايات هادفة وعملية وتفضيلها على الغايات التربوية ـ الثقافية، أي أن نظام التعليم يعلّق أهمية قصوى على تطوير كفاءات ومهارات تساعد التلامذة على إيجاد أشغال مدرة للدخل وعلى مواجهة المنافسة التي تنتظرهم في المستقبل.

ويتمثل التعبير العملي عن هذه السياسة في التركيز على موضوعات مثل اللغة الانكليزية، والرياضيات، ومهارات هادفة أخرى، وموضوعات مثل التراث الإسرائيلي أو الثقافة اليهودية بحيث تحتل هذه المرتبة الثانية في الأهمية.

إن هذه الظواهر تحدث، جنباً إلى جنب مع الزيادة المتسارعة في تأثير وسائط الاتصالات في القيم وعادات السلوك، أبعاداً لم يعرف مثلها في إسرائيل وفي العالم كله. وهذا التأثير يميل إلى اتجاه الثقافة العالمية، وبالذات ثقافة الموسيقى الشعبية

(البوب)، إلى جانب الثقافة العالمية النخبوية. وفي جميع الأحوال يتعلق الأمر بإعلان التحدي وربما إعلان الحرب على معظم مكونات الثقافة الإسرائيلية واليهودية التي ترتدي مظهراً ذاتياً في نظر وسائط الإعلام.

ويتضح من تجارب دول أخرى أن توقفاً لمدة تتراوح ما بين خمس إلى عشر سنوات في تعليم موضوع ما يعني جيلاً جديداً يعرف قليلاً أو لا يعرف شيئاً في هذا المجال. وبالفعل فقد نما جيل جديد في إسرائيل لا يعرف شيئاً تقريباً عن ماضيه الصهيوني أو عن تراثه اليهودي. وبالتأكيد فإن هذا الجيل لا يدرك أبداً حقيقة كون قيمة الإنسانية مرساة في الواقع في المصادر اليهودية، كما حظي هذا الجيل ـ إن حظي أصلاً ـ بالحد الأدنى فقط من الثقافة بالنسبة إلى القيم اليهودية أو الصهيونية الأخرى.

وإذا لم يحدث انقلاب في هذا الاتجاه، فإنه بالإمكان توقع خمود الإسهام الجلي للقيم اليهودية في بلورة وجه المجتمع. وتأثير هذه القيم سوف يستمر شرط أن تصبح جزءاً لا يتجزأ من الثقافة المألوفة، أي أن ستعمل من تحت سقف الإدراك والوعي الذاتي ـ باستثناء تعبيرات في الإطار الديني في أوساط المحافظين ـ على الفرائض الدينية. وكما رأينا هناك ميل قوي في أوساط الجمهور غير المتدين لتقبل رد الفعل الحريدي في وسائط الإعلام على هذه المواضيع على أنه يمثل النظرة المطلقة للجمهور المتدين. ولا ينبغي رفض أو الاستهانة بمنح تعبير للقيم بمفاهيم وبوسائل ثقافية، إلا أنه في نهاية الأمر، بدون تعزيزات وتدفق قوى شابة سيكون في ذلك استهلاك زائد لمخزونات الماضي الروحية وإضعافها مع الزمن.

إن السنوات الثلاثين المقبلة قد تكون مدة زمنية مصيرية لإسرائيل، هذا لأنها ستقرر استمرار الصلة عن وعي بالقيم اليهودية وموقع ومكانة هذه القيم إن كانت موجودة أصلاً في المجتمع الإسرائيلي. وفي أوساط الغالبية الساحقة من سكان إسرائيل الذين لا يدرسون في إطار التعليم الرسمي ـ الديني أو المستقل (وبالمناسبة فهذا التيار أيضاً يصطدم بمشاكل مختلفة في تعلم القيم اليهودية، إلا أن جهودهم في هذا الاتجاه قد تكللت بنجاح لا بأس به)، سينشأ انقطاع في تواصل القيم التقليدي والتاريخي، وستؤتي نتائجه الخطيرة ثمارها في المجتمع النامي في البلاد. ومن خلال إدراك الطبيعة البشرية فإنه من الصعب تجاهل أهمية التراث في إكساب الثقافة والمحافظة على الولاء الحيويين لوجود وازدهار أي مجتمع. ومن هنا يبدو أن إسرائيل تقف على حافة منزلق، وهذا الوضع الخطير يحتاج إلى تقييم ومعالجة فورية. وكان من الممكن استخلاص هذا الأمر من خلال تقرير لجنة شنهار. وعلاوة على ذلك، فإن

عملية التقييم هذه التي تثير بلا شك جدلاً عاماً، بحاجة إلى إعادة صياغة بمفاهيم ملائمة تركز على المسائل الصحيحة لإيجاد الوسائل لبناء جسر بين الآراء ووجهات النظر المحلقة في فضاء المجتمع الإسرائيلي.

هذا، ويتوجب بذل جهد جدي وموجه لتشخيص القيم اليهودية المركزية في الفئات الثلاث التي عرضت في هذه الدراسة، والتي تشكل جزءاً لا يتجزأ من التراث اليهودي وبؤرة لتعاطي الدولة اليهودية. وبعد تشخيص هذه القيم، يتوجب تربية سكان الدولة في ضوئها وعلى هديها.

إن القيم التي بحثت أعلاه لا تعتبر كقيم يهودية في أوساط الجهات والشخصيات التي تؤيدها في هذه الأيام، لكن الصهيونية الاشتراكية التي احتلت مكاناً مركزياً للغاية في عملية إقامة الدولة وتطورها قد أكدت بالذات على هذه القيم اليهودية الإنسانية باعتبارها الطريق الأفضل، وأحياناً الطريق الوحيد للتعبير عن جوهر اليهودية. وتحقيق هذه القيم كان يفترض أن يبرر قيام دولة يهودية في أوساط حملة لواء ايديولوجيا عالمية، كانت جزءاً لا يتجزأ من اشتراكية أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وإذا كان حفدة الطلائعيين الصهيونيين ـ الاشتراكيين لم يعترفوا بعد بالسمات المميزة اليهودية لهذه القيم التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، فإن هذا الأمر لا يبشر بالخير لدولة إسرائيل. ومعاظمة الجهود لتطوير التعبيرات الحالية لهذه القيم في إطار الإحساس بالهوية اليهودية سيعمل لمصلحة الدولة وسكانها أكثر من طريق التقاليد الصهيونية ـ الاشتراكية التي ترى وجود تناقض بين هذه القيم والديانة اليهودية.

ومثل هذه المقاربة سيعزز الإحساس بالتراث المشترك في أوساط الجيل الشاب. ومثلما أدرك كل مجتمع بشري على وجه البسيطة، فإن الشبان بحاجة إن عاجلاً أو آجلاً إلى الإحساس بالتراث من أجل بناء الإحساس بالهوية والقيمة الذاتية، والإدراك المفتخر بأن الديانة اليهودية تلائم بشكل رائع الثقافة العالمية المتطورة.

مصدر إضافي

التلمود البابلي. سنهدرين م وـ ن (٤٦-٥٠) رمبام. مشنه توراة. هلخوت ملخيم (أحكام الملوك) ح ـ ي، ي ـ يء بـ **الموسوعة التلمودية**، المجلد ١٣.

قيـــم

إسرائيل ويهود أمريكا في القرن الحادي والعشرين: البحث عن علاقات جديدة

ستيفن كوهين وتشارلز ليبمان

القيم التي توجهنا في كل تحليل وفي كل توصية في سياق منظومة العلاقات بين إسرائيل، ويهود إسرائيليين ويهود أمريكيين، هناك بوصلة قائدة بواسطة القيم التي يحمل لواءها واضعو هذه الدراسة. لذلك يتوجب علينا أن نعرض وأن نوضح هذه القيم منذ البداية.

وفي تفكيرنا في المسائل التي يدور الحديث حولها، فإن ما يوجهنا أولاً وقبل كل شيء هو الالتزام تجاه الشعب اليهودي، وهذا الالتزام يتقدم على تناولنا لدولة إسرائيل، ولليهود الإسرائيليين أو اليهود الأمريكيين. ويوجد لدينا إيمان راسخ وقوي يرى بأن الشعب اليهودي يستحق بأن تكون له دولة خاصة به، وبأنه يتوجب على إسرائيل أن تبقى دولة يهودية.

ونحن نؤمن كذلك بأن مصلحة إسرائيل ومصلحة يهود إسرائيل ومصلحة الشعب اليهودي ستدفع قدماً بالشكل الأفضل كلما وجدت في الولايات المتحدة جالية يهودية قوية تتمتع بحيوية سليمة وذات روابط وثيقة مع إسرائيل. وعلى هذه الروابط، وليس على الهجرة اليهودية بحد ذاتها، تتركز جهودنا هنا. ويتوجب تعزيز الروابط القائمة، كما سنحرص على إظهار ذلك بواسطة إثراء الروابط الثقافية بين يهود إسرائيل ويهود الولايات المتحدة.

وفي ضوء الطابع الهزيل للثقافة اليهودية في أمريكا، علينا أن نتوقع أن يكون يهود إسرائيل الشريك الكبير في النشاط المطلوب، أي أن يعطوا أكثر مما سيأخذون. ولكن لدى اليهود الأمريكيين أيضاً ما يعطونه، وبخاصة ستكون لهم أهمية كبيرة

كحلفاء في النضال من أجل المحافظة على وجود دولة يهودية، وكمساهمين في تحديد معنى الجوهر اليهودي الذي يتوقع إيجاده فيها.

ضرورة طرح الأسئلة الصحيحة

كما هو الأمر بالنسبة إلى الآخرين كذلك فنحن أيضاً قلقون أكثر فأكثر بالنسبة إلى فرصة قيام منظومة علاقات سليمة وذات قدرة حياتية بين الجاليتين اليهوديتين الكبيرتين في العالم. والقلق على طابع ونوعية منظومة العلاقات هذه، قديم قدم دولة إسرائيل. ولكن في الماضي كان القلق الذي شغل الإسرائيليين بعامة، ومن ضمنهم بخاصة واضعو السياسة الإسرائيلية، ألا يكون يهود الولايات المتحدة مستعدين لدعم خطوط سياسية إسرائيلية بمثل هذه الصورة أو تلك. ويبرز هذا الأمر بصورة ملحوظة للغاية في خلال حرب سيناء، وفي أيام الانتفاضة، وفي أوقات أخرى عندما كانت سياسة إسرائيل متعارضة مع سياسة الولايات المتحدة. وهناك قلق آخر ناتج من مسألة أخرى مرتبطة بمخاوف من هذا النوع، وجدت تعبيراً خاصاً عنها في السنوات الأولى لقيام الدولة: هل سيحاول يهود الولايات المتحدة التدخل بصورة فعالة في بلورة سياسة إسرائيل؟ القلق الأول فقد الكثير من وزنه، أما القلق الثاني فهو قلق خاطئ.

وكانت الظاهرة التي خشي منها الإسرائيليون نسخة أمريكية لوضع يهود بريطانيا في عقد الأربعينيات، عندما نشأت مواجهة بين سياسة بريطانيا وبين سياسة «اليشوف» اليهودي في أرض إسرائيل، وكان راسمو السياسة الإسرائيليون قلقين من إمكان تفضيل يهود أمريكا في ظروف مماثلة لسياسة حكومتهم على سياسة إسرائيل. ويهود أمريكا لم يوضعوا قط في اختبار كهذا. ولكن معلومات متوفرة اليوم تمكننا من أن نقرر بيقين معين أنه لم تعد هناك فرصة حقيقية لنشوء ظروف مماثلة لتلك التي وجدت الجالية اليهودية في بريطانيا نفسها فيها قبل قيام دولة إسرائيل.

ونحن نتوصل إلى هذا الاستنتاج ليس بالذات من خلال الإحساس بأن سياسة إسرائيل وسياسة الولايات المتحدة لن تصلا أبداً إلى مواجهة شديدة، فالأمر المقرر أكثر هو حقيقة أنه في إسرائيل كما هو الأمر في الولايات المتحدة، فإن الرأي العام اليوم، خلافاً لما كان عليه في الماضي، لا يخطو بثبات وراء خطوط سياسة بلورت ورسمت من جانب القيادة. وفي كلتا الدولتين، منذ أكثر من عشر سنوات، ضعفت الضغوط من أجل السير وراء القادة السياسيين ووصلت إلى أحجام ضئيلة للغاية. ولذا فإنه حتى إذا ما نشب صدام بين سياسة الولايات المتحدة وسياسة إسرائيل، فإن الفرصة صغيرة جداً لأن يتنكر يهود أمريكا لدولة إسرائيل نتيجة لذلك.

إننا نعالج هذه المسائل من أجل رفض مفهوم راسخ للغاية يرى أن يهود أمريكا، بشكل من الأشكال، ليسوا مخلصين بما فيه الكفاية لدولة إسرائيل. وحتى الآونة الأخيرة على الأقل درج مبلورو سياسة إسرائيليون ـ ربما بتأثير مفاهيم صهيونية كلاسيكية عن اليهودي «المهجري» – على النظر إلى اليهود الأمريكيين كأشخاص ليس لديهم التزام كاف للوقوف إلى جانب إسرائيل ضد الرأي العام الأمريكي. كما أن إسرائيليين كثيرين يرون في اليهودي الأمريكي إنساناً تقلقه قضايا «الولاء المزدوج» ويخشى أن ينظر إليه من جانب الآخرين كشخص يفوق ولاؤه لإسرائيل ولاءه للولايات المتحدة. إننا نزعم أنه موضوع الولاء المزدوج، ومهما كان ثقله الحقيقي في الماضي، لا يوجد فيه اليوم أي إسهام لفهم العلاقة بين اليهود الأمريكيين وبين دولة إسرائيل.

ولذا ففي تعاطيهم مع اعتبارات مثل الدعم أو الولاء في سياقات من ذلك النوع قيد البحث، فإن الإسرائيليين، وبخاصة القادة، أخطأوا كثيراً في تقييم مقاربة يهود أمريكيين، وأشغلوا أنفسهم بالموضوعات غير الصحيحة. والمسألة الحقيقية لم تكن أبداً مرتبطة بتقييم ما إذا كان يهود أمريكا مرشحين للعمل ضد إسرائيل، أو بشكل أقل من ذلك إذا كانوا مرشحين لدعم حكومة أمريكا ضد إسرائيل. وكانت المسألة الصحيحة وهي كذلك اليوم: ما هو عمق الاهتمام الذي يظهره يهود أمريكا تجاه دولة إسرائيل؟ حقيقة الأمر، فإن معارضة السياسة الإسرائيلية في مسألة «من هو اليهودي» أو معارضة خطوط سياسة حزب الليكود في أثناء الانتفاضة، وسياسة هذا الحزب تجاه عملية السلام الجارية اليوم، تنطوي على اهتمام سليم بإسرائيل وعلى التزام بها. وفي استطلاعات الرأي العام في أوساط يهود الولايات المتحدة التي أجريت من قبل واحد منا في الثمانينيات، تبين أن من كانوا شديدي الانتقاد للسياسة الإسرائيلية هم أيضاً ذوي الصلة العميقة للغاية بها (كوهين ١٩٨٥، ١٩٨٩ أ، ١٩٨٩ ب، ١٩٩٠ أ) (ومقارنة بيهود الولايات المتحدة، فإن الإسرائيليين أكثر ارتباطاً بإسرائيل وأكثر انتقاداً لسياسة زعمائهم). ويمكن لإسرائيل أن تتبارك بحسن حظها إذا ما استطاعت الحفاظ على قدر من الاهتمام بها من جانب يهود الولايات المتحدة في أحلك أوقاتها.

في السنوات الأولى لقيام الدولة أعرب زعماء إسرائيليون بالفعل عن قلقهم إزاء الطابع الهزيل للصهيونية الأمريكية. ولكن بعد أن اتضح للإسرائيليين أنه يجب عدم انتظار حصول هجرة يهودية كبيرة من الولايات المتحدة إلى إسرائيل، فقد تركز جلّ اهتمامهم في السياق الأمريكي على المخاوف من احتمال ألا يتمكنوا من الاعتماد على مستوى كاف من الدعم المالي والسياسي من جانب يهود أمريكا. ورغم أنه كان هناك

عدد من الزعماء الإسرائيليين الذين لم يرتاحوا للمستوى العام من الاهتمام الذي يبديه يهود أمريكا إزاء إسرائيل، والذين لم ترضهم أيضاً قوة العلاقات القائمة بين إسرائيل ويهود أمريكا (اليعيزر ليفنيه برز بينهم من هذه الناحية)، إلا أن مخاوفهم في هذه المجالات لم تحظ أبداً بنظرة جدية. ففي أحسن الأحوال احتلت هذه المخاوف منزلة ثانوية بعد الأهمية التي نسبت للدعم المادي والسياسي.

وللأسف الشديد، فإن ما نراه اليوم في هذه المجالات هو لامبالاة متزايدة في كلا الطرفين (كوهين في العام ١٩٨٩ وفي العام ١٩٩٢). فاليوم يهتم اليهود في إسرائيل وفي الولايات المتحدة ببعضهما البعض بشكل أقل من السابق. كذلك فإن الموقع الذي تحتله إسرائيل في وعي يهود أمريكا آخذ بالتقلص (ونحن ندعي ذلك رغم وجود دلائل مستقلة من استطلاعات اجتماعية تشير إلى استقرار نسبي في أحجام التمسك بإسرائيل في خلال السنوات الأولى من التسعينيات، انظر كوهين ١٩٩٦). وفي أوساط الإسرائيليين يوجد وضع مماثل، مع أن تعبيراته مختلفة قليلاً حسبما سنرى لاحقاً.

لماذا لا تُدار العلاقات بأمان؟

إن تحليل هذه المشكلة صار معروفاً للجميع، وبخطوط عامة جداً. ومنذ ولادة الحركة الصهيونية عكف يهود المنفى الذين يعيشون في أوساط جماعات سكانية غنية (وكان هناك يهود أكبر وأقوى من بقية هذه الجوالي اليهودية) على بلورة منظمة علاقات ثنائية البعد في أساسها مع الجالية اليهودية في أرض ـ إسرائيل (في البداية مع اليشوف اليهودي في فلسطين وبعد ذلك مع الدولة). فوجد البعد الأول تعبيراً عنه بنشاط في طريقة الإقناع والإغواء لنداء الزعامة الوطنية بهدف إحراز دعم اقتصادي وعسكري ودبلوماسي لإسرائيل. أما البعد الثاني فكان جمع التبرعات. ولقد وجهت الجهود لتأمين وسائل لتمويل احتياجات الرفاه التي نبعت في أساسها من إنقاذ لاجئين يهود واستيعابهم في إسرائيل، وبشكل عام أكثر، للدعم المادي لجمهور رأوا فيه جالية مضطرة لأن تخصص للاحتياجات الأمنية جزءاً شاذاً في حجمه من الموارد التي تحت تصرفها. ومنظومة العلاقات هذه التي تشمل استخدام النفوذ السياسي والتدفق الحثيث للمساعدة المادية هي المنظومة التي نطلق عليها اصطلاح «النموذج المجنّد».

ويبدو أننا نقف اليوم إزاء تراجع دائم يضعف هذا النموذج، وليس هناك فرصة لأن يتوقف وينسحب إلى الوراء في المستقبل القريب. وإسرائيل لم تعد بحاجة إلى الدعم المالي والسياسي الذي كانت بحاجة إليه في الماضي، كما أن يهود أمريكا لم

يعودوا يشعرون بالحاجة إلى تقديم مثل هذا الدعم. ولذا، فإن الظروف الموضوعية ورد الفعل الذاتي عليها معاً، كانا بمثابة الحافز من أجل العمل على تقويض أسس «النموذج المجنّد».

غروب شمس «النموذج المجند» - أو نهاية «العصر الذهبي»

لكي نحصل على زاوية رؤية ملائمة لتقييم «النموذج المجند» وللبدء بفهم الأسباب التي تفسر أفول نجم هذا النموذج هذه الأيام، يتوجب علينا أن نفحص الأمر الذي ربما كان يمثل العصر الذهبي لهذا النموذج في العقد الأول الذي تلا حرب الأيام الستة (١٩٦٧ ـ ١٩٧٧)، وذلك لأنه في تلك الفترة وصل النشاط السياسي والدعم المادي الذي قدمه يهود أمريكا من أجل إسرائيل إلى ذروته.

وكانت إسرائيل قد ارتقت آنذاك إلى المرتبة الأولى في جدول الأعمال اليهودي العام، وهي ما تزال تحتل تلك المرتبة، متقدمة على دفع السياسة الليبرالية في أمريكا إلى أمام والنضال ضد التمييز المضاد لليهود. ولقد أدى بروز الموضوع الإسرائيلي في تلك الأيام (١٩٦٧) إلى إحداث تغيير دراماتيكي في حشد القوى في النطاق السياسي بعامة، وبصورة أشد وبخاصة في مدى الاستعداد من جانب يهود أمريكيين لمواجهة قادة سياسيين أمريكيين بجرأة، وجهاً لوجه.

وتأثير إسرائيل في وتيرة حشد القوى المادية هو أيضاً تأثير معروف جيداً. وكانت حرب الأيام الستة، وكذلك حرب يوم الغفران، قد أوصلت، منسوب التبرعات لصندوق الجباية اليهودية الموحدة (لأجل إسرائيل ولتوفير الاحتياجات الجوالية المحلية معاً) إلى ارتفاعات جديدة. ولقد أدى هذا التطور، من جانبه، إلى تعزيز مكانة رواد النشاط لأهداف المساعدة والرفاه، في الإطار المحلي للجالية، وهي مكانة كانت معروفة ومثمنة دائماً، إلا أنها حظيت بدفعٍ، بفضل الارتفاع في أهمية إسرائيل (شريكتهم في الجباية) بالنسبة إلى يهود أمريكا.

وبخاصة في سنوات إسرائيل الأولى كانت الدولة اليهودية في أشد الحاجة إلى الدعم المالي. وفي ظل غياب المساعدة على نطاق واسع من جانب الحكومات الأخرى أدى المنطق العملي إلى تخصيص يهود الولايات المتحدة كمركز للمساعدة اللازمة. وكان هناك عامل آخر عزز العلاقة والرابطة بين أصحاب المناصب والمندوبين الإسرائيليين الرسميين وبين رؤساء منظمات العون والرفاه في الجوالي اليهودية الأمريكية. وفي تلك الفترة في السنوات الأولى للدولة كانت حكومة إسرائيل تخشى من تدخل سياسي محتمل في شؤونها من جانب زعماء الحركة الصهيونية في الولايات

المتحدة. وفي المقابل، فإن رؤساء منظمات الجوالي اليهودية لم يكونوا منخرطين بشكل عميق ومرتبط في الحياة السياسية في إسرائيل، إذ كان يكفيهم الحصول على الاحترام والتقدير الرسمي من جانب حكومة إسرائيل، في مقابل تدفق أموال المساعدات التي كانت لازمة للدولة مثل حاجة المرء إلى الهواء. وكان زعماء إسرائيل مستعدين ومطالبين بتخصيص الاهتمام وتقديم الاحترام لزعماء الجباية اليهودية الموحدة ولزعامة الجوالي اليهودية في الولايات المتحدة. وفي بداية الستينيات وعندما بدأت إسرائيل بتوسيع مكانها على جدول الأعمال اليهودي الأمريكي ارتفعت قيمة الحفاوة والتكريم اللذين صار بالإمكان الحصول عليهما من قبل حكومتها. وبكلمات بسيطة ودون تلطيف، فقد ارتفع كثيراً بعد حرب الأيام الستة الوزن الذي عُزي للدعوة إلى حفل عشاء من قبل السفير الإسرائيلي، أو التقاط صورة أو مصافحة مع جنرال في الجيش الإسرائيلي، أو التقاط صورة مع توقيع باليد من قبل رئيس حكومة إسرائيل. وأدت قوة جاذبية هذه الحفاوة إلى توسيع دائرة المتبرعين ومقدمي المساعدة لإسرائيل، وإلى تعزيز سمعة مشاريع المساعدة من أجل إسرائيل.

وفي خلال تلك الفترة الخاصة جداً موضع الحديث (١٩٦٧ ـ ١٩٧٧)، عمل عدد من العوامل في آن على تعميق دور إسرائيل في وعي يهود أمريكا، وتعزيز مكانتها على جدول أعمال منظماتهم في المجال السياسي وفي مجال الرفاه والمعونات (كوهين وفاين ١٩٨٥). ويجدر بنا أن نستعرض باختصار هذه العوامل، ولو فقط من أجل تجسيد الطابع الخاص لتلك الفترة، ولإيضاح أسباب عدم إمكان توقّع تكرار هذه الفترة. ومن أبرز هذه العوامل ما يلي:

١ ـ الأحداث الدراماتيكية التي أحاطت بحرب الأيام الستة، والحرب نفسها، وحرب يوم الغفران، إذ لم يشرح أي كان لماذا تركت هاتان الحربان، وحرب حزيران/ يونيو العام ١٩٦٧ بخاصة، وراءهما رواسب ملحوظة إلى هذا الحد، ولكن ليس ثمة شك في أن العديد من اليهود الأمريكيين، ومن ضمنهم عدد بارز من الزعماء، اكتشف آنذاك في أعماقه رابطة عاطفية أعمق مع إسرائيل ومع مصيرها ـ خيراً (للبقاء) أو شراً (للزوال) ـ كما كان يتصور قبل ذلك.

٢ ـ ظهور الكارثة كرمزٍ مركزي لحياة اليهود، والشعار الذي قال «كفى». والإحساس بأن خطر الكارثة هو مكون ثابت في التاريخ اليهودي، وأن إسرائيل هي الساحة التي سيظهر فيها ـ بشكل تلقائي ـ هذا التهديد من جديد. وليس ثمة شك في أن الإحساس بالذنب قد عشعش في قلوب كثيرين من اليهود الأمريكيين، بالنسبة إلى ما لم يفعلوه هم أو آباؤهم في سنوات الكارثة.

٣ ـ الكراهية الفظة لليهود التي حركت الأعداء العرب، أحدثت هزة في أوساط يهود أمريكا، كذلك فإن الطابع الحاد للصراع العربي ـ الإسرائيلي الذي يتعرض في إطاره دعاة سلام يهود لتهديد من جانب جيران عرب، هم وفقاً للانطباع أشرار وعنيفين، إضافة إلى عزلة إسرائيل ظاهرياً في عالم صورته تشير على ما يبدو إلى مجموعة درجات سلبية تتراوح بين العداء واللامبالاة، أثارت كلها أيضاً ردود فعل عاطفية قوية.

٤ ـ التآكل الذي أصاب التحالف السياسي الليبرالي، الذي وجد فيه العديد من اليهود الأمريكيين، وكذلك منظمات سائدة ليهود أمريكا، مرتكزاً لدلالة إيجابية بالنسبة إليهم في الخمسينيات والستينيات. ويتوجب علينا أن نتذكر أن الدافع الرئيس الذي حفز عدداً من المنظمات الكبيرة ليهود أمريكا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية كان الحاجة للدفاع عن النفس ضد اللاسامية. لكن الانفجار المتوقع للاسامية لم يأت عقب الحرب، وفي الواقع فقد برزت إشارات إلى انخفاض مستمر في ظاهرة اللاسامية في أوساط الجمهور العريض. هذا وأكثر فالأبواب التي كانت موصدة في وجه اليهود ـ في الجامعات، وفي الشركات التجارية الكبيرة، وفي المؤسسات المالية وحتى في الأندية الاجتماعية ـ فتحت من جديد. كذلك بدأت منظومات يهودية البحث الآن عن مشاريع عمل جديدة، وعن مضامين جديدة، وعن طرق جديدة لتبرير وجودها. كما قامت بالاهتمام والتركيز على المفهوم الليبرالي اليهودي بمدلوله العام، في سياق التركيز على النضال من أجل مساواة السود كواجب أخلاقي تفرضه التقاليد اليهودية، وكخط دفاع أمامي ضد احتمال ظهور اللاسامية من جديد.

ولكن أواخر الستينيات حصل في نضال السود تحول معادٍ للبيض ومعادٍ للسامية. وحصل هذا الأمر عقب النجاح في إحراز المساواة للسود بموجب القانون، وبعد أن تبين مدى ضآلة تأثير المساواة في وضعهم الاقتصادي، وعلى الأقل في المدى القصير. وقامت منظمات السود الجديدة (وبعض منظماتهم القديمة)، بتحويل اهتمامها (واحتجاجاتها)، عن قضية التمييز في مجال القانون بين البيض والسود، وركزوه منذ الآن في الهوات الاقتصادية بين فئات السكان السود والبيض. فاحتجاجهم لم يكن حصراً على انعدام المساواة في الفرص (وهو موضوع مألوف في رؤية العالم بعيون يهودية) بل على انعدام المساواة في الإنجازات والنتائج (وهي مقاربة لم تكن على وئام بارز بينها وبين التفضيل التقليدي في أوساط المنظمات اليهودية للتركيز على موضوع حقوق الإنسان).

وفي غضون سنوات معدودة احتل زعماء سود شبان ونشطون موقع الزعامة السوداء الأكثر تقدماً في العمر، والأكثر اعتدالاً، التي أيدت كثيراً التعاون مع اليهود

والليبراليين. وهكذا فإن عدداً من اليهود الذين احتلوا مراكز بارزة في منظمات السود أخلى مكانه. ومال الزعماء السود الجدد إلى الاستهانة بالمساهمة اليهودية في القضاء على الإطار القانوني الفاصل بين السود والبيض، والاستهزاء بالمساعدة التي قدمها اليهود إلى السود. وأدى الجو القتالي الجديد في أوساط السود إلى تشجيع استخدام العنف ضد كل البيض، وفي عدد من الحالات ضد اليهود بخاصة. وبالإضافة إلى ذلك، فقد صار عدد من منظمات السود والزعماء السود معادين لإسرائيل.

هذا وتطورت مقاربة في أوساط الأمريكيين البيض تبرز استخدام الحزم الإثني كرد فعل على الروح القتالية التي أظهرها السود. وحملت السنوات الأولى من السبعينيات معها تعاظماً في الوعي الإثني الأوروبي (الأبيض) وتعميقاً للاهتمام بخصائصه. وليس ثمة شك في أن موجة التفتيش عن الأصل هذه قد انسكبت أيضاً داخل الأحياء اليهودية في المدن. وكان الشعار النضالي الأسود الجديد هو «الأسود جميل»، وتعقيباً على ذلك قالت زعيمة بارزة في إحدى الجوالي اليهودية: «إذا كان بمقدور الأسود أن يكون جميلاً، فمن الواضح أن اليهودي أيضاً يمكنه أن يكون جميلاً». وهذه الزعيمة التي رأوا فيها حتى ذلك الوقت ميولاً قريبة للغاية للاندماج، انتقلت إلى المشاركة النشطة في أنشطة مؤيدة لإسرائيل.

٥ ـ النهضة في أوساط يهود الاتحاد السوفياتي التي وفّرت ليهود أمريكا هدفاً جديداً ومهماً مرتبطاً بإسرائيل، وبؤرة لحشد القوى.

٦ـ «إنضاج» الجيل الثالث ليهود أمريكا، وهو جيل مثقف بامتياز وغني نسبياً، كان يملأه شعور بالثقة بثقافته الأمريكية، ولذا لم يكن قابلاً للتأثر بتهمة القومية المزدوجة، كتلك التهمة التي أملت على الجيل اليهودي السابق الامتناع عن اتخاذ موقف حازم ومؤيد لإسرائيل.

هذا، ولقد التقت مثل هذه العوامل وغيرها في نقطة زمنية فريدة في التاريخ. وتضافرت هذه العوامل معاً للارتقاء بإسرائيل إلى قمة وعي الجالية اليهودية في الولايات المتحدة، إلى درجة السيطرة عليها لفترة زمنية ما، إن لم يكن إعادة بلورتها من جديد. ومن الواضح أنه في غياب لقاء آخر وغير عادي لعوامل مماثلة، فإنه لن يكون بمقدورنا توقع ظهور مجدد لنشاط حماسي في المجال السياسي وفي مجال المساعدة المادية من أجل إسرائيل، بصيغة «النموذج المجنّد» للجوالي اليهودية الأمريكية في عصرها الذهبي. وفيما عدا ذلك، فقد حدث تطور آخر أضعف الالتزام اليهودي في الولايات المتحدة بدعم إسرائيل على المستوى السياسي، وكذلك مواصلة تدفق المساعدات المالية السخية لسد احتياجاتها المختلفة مادياً.

سبب إضافي: إسرائيل أكثر قوة:

يمكننا أن نعزو غروب شمس «النموذج المجند» إلى انخفاض أهمية العوامل الآنفة الذكر، وكذلك إلى التطورات التي حصلت في خلال العشر سنوات الماضية في إسرائيل ذاتها. والعامل الأهم بين هذه العوامل يكمن في وجهة نظر غير قابلة للتأويل مفادها أن دولة إسرائيل في حاجة أقل اليوم إلى المساعدة المالية وللدعم السياسي الذي عمل يهود أمريكا على تجنيده لها في سنوات سابقة.

ومن الناحية السياسية والعسكرية، فإنهم يرون إسرائيل كدولة تتمتع بوضع أمني جيد. وكان انهيار الاتحاد السوفياتي، وكذلك التوقيع على الاتفاقيات مع منظمة التحرير الفلسطينية، والتوقيع على اتفاق السلام بين إسرائيل والأردن، والاعتراف بإسرائيل من قبل دول عربية أخرى، قد أدى إلى تقليص بارز في أبعاد العداء تجاهها على الصعيد الدولي، وفي احتمال حدوث مصادمات جوهرية ومتواصلة بينها وبين دول معادية. وربما لم يكن ما ينتظر إسرائيل على الصعيد الأمني وردياً على المدى الطويل، كما يبدو اليوم، ولكن الطريقة التي يفهم بها هذا الموضوع تعدّ المتغير الذي يجري تقييم وضعها استناداً إليه.

وبعيداً من ذلك هناك حقيقة تقول أن الاقتصاد الإسرائيلي قد نما بسرعة وبشكل دائم في التسعينيات. وإزاء نسبة تضخم مالي معتدلة، وازدياد في الاستثمارات الأجنبية، وانخفاض في نطاق البطالة، والدلائل الكثيرة التي تدل على مستوى استهلاك عال وملحوظ، فإنه يصعب على أنصار إسرائيل الادعاء بأنها محتاجة وجديرة بالمساعدة الاقتصادية لغرض استيعاب التيار الضئيل من المهاجرين اليهود الذين يصلون إلى إسرائيل في هذه المرحلة. ولذا، لم يكن طرح ادعاء يزكي تمتع إسرائيل بسخاء مادي ودعم سياسي من الخارج أصعب في أي وقت مضى مما هو عليه اليوم.

انخفاض التبرعات

في الساحة اليهودية الأمريكية يبدو وكأن عدداً من العوامل قد تواطأ لتقليص نصيب إسرائيل في أموال التبرعات الموجهة للاحتياجات القومية، سواء كان ذلك بمصطلحات مطلقة، أو بأحجام نسبية. وربما كان السبب القهري الجوهري في هذا الاتجاه الجمود الكمي في التبرعات من أجل الجوالي اليهودية المحلية (والذي يعكس عملياً انخفاضاً في قوة الأحاسيس تجاه إسرائيل). وخلافاً لحشد القوى الكبير الذي شهدته أيام العصر الذهبي، عندما تزايدت تبرعات المتبرعين بقدر ملحوظ، فقد

جلبت معها السنوات العشرون الأخيرة وحتى أكثر من ذلك، انخفاضاً في مبالغ التبرعات، وكذلك في قيمتها الحقيقية بسبب التضخم المالي. ولم يطرأ فقط تقلص في الحجم الشامل لكعكة التبرعات اليهودية على مدى السنين، بل إنه تقلص أيضاً نصيب إسرائيل النسبي في هذه الكعكة، وبالتأكيد فقد تقلصت التبرعات من أجل الوكالة اليهودية والخدمات المرتبطة بها.

ولا نرى في الأفق أمراً يلمح إلى زيادة محتملة في التبرعات بالدولار المخصصة لإسرائيل في المستقبل القريب. ويمكن تقسيم كعكة التبرعات التي يخبزها يهود أمريكا إلى ثلاث قطع: قطعة من أجل إسرائيل واحتياجات أخرى خارج الولايات المتحدة، وقطعة ثانية مخصصة لما يسمّى مؤخراً «الاستمرارية اليهودية» (مشروعات رسمية وغير رسمية في مجال التعليم اليهودي، والمعسكرات، والسفريات إلى إسرائيل ونحو ذلك)، والقطعة الثالثة مخصصة لتمويل «خدمات إنسانية» يهودية مختلفة (المستشفيات، ومؤسسات الشؤون الاجتماعية، ورعاية العائلة والطفل، والمراكز الاجتماعية الجوالية ونحو ذلك).

المنادون بزيادة الحصة الإسرائيلية يوجدون اليوم في وضع غير مريح. ويستند أنصار الاستمرارية اليهودية إلى موضوع عظيم القوة، تم التعرف عليه وتحديده مؤخراً، يصيب صميم القلق على مجرد وجود منظومة مالية يهودية مكرّسة لاحتياجات في نطاق الرأفة الإنسانية. ويشير حملة لواء «الخدمات الإنسانية» إلى تقليصات كبيرة في الدعم الحكومي الأمريكي لمختلف خدمات المساعدة والرفاه على الصعيدين القومي والمحلي على حد سواء، والتي كانت خدمات الرفاه اليهودية تحصل منها على نحو (٢,٥) مليار دولار سنوياً قبل أن تدخل تقليصات ١٩٩٥ ـ ١٩٩٦ حيز التنفيذ. والحال هكذا، يمكن لأنصار «الاستمرارية اليهودية» و«الخدمات الإنسانية» اليهودية الادعاء بنشوء أزمة ضاغطة في مجالاتهم في الولايات المتحدة، وأما إسرائيل فقادرة اليوم أكثر من الماضي على أن تسد بقواها النقص من الخارج، فضلاً عن أن الأمر لا يتعلق عملياً وبالذات باحتياجات عاجلة للمساعدات، بل بتمويل عمليات بناء شعب في جوهرها الأساس، قد يخفف ثمارها الوضع على دافع الضريبة الإسرائيلي.

ويعاني أنصار زيادة الحصة الإسرائيلية في مدخولات الصندوق العام ليهود أمريكا صعوبة أخرى: فالنشاط في مجال الاستمرارية اليهودية وتوفير خدمات إنسانية في الولايات المتحدة يتم في البيت، أي في أمريكا، والجميع يرى هذا النشاط الذي يشكل مكوناً أساساً في نشاط الجالية اليهودية. من جهة أخرى، فإن احتياجات وخدمات الرفاه في إسرائيل بعيدة عن الأنظار، كما أن الأشخاص الذين يتولون

الأمر بعيدون جداً عن أمريكا وليس بمقدورهم إقامة علاقة جارية مع أصحاب القرار في مسألة طريقة توزيع الموارد الموجودة تحت تصرف يهود أمريكا لتمويل أعمال معونة ورفاه اجتماعي.

المجالات العامة والمجالات الخاصة

عامل آخر ساهم في انكماش دلالة «النموذج المجند» يرتبط بالقوى العاملة في الحياة اليهودية الأمريكية في نطاق الثقافة. سنبحث لاحقاً في هذه القوى. وفي البداية سنعيد إلى الأذهان هنا تطوراً معيناً ذا علاقة مميزة مع النموذج الذي يدور الحديث حوله.

يمكن أن نميّز وأن نفرّق أكثر فأكثر بين النطاق العام والخاص لليهودية في حياة اليهودي الأمريكي. ويتبع النطاق العام منظمات يهودية، وقضايا سياسية، وجمع الأموال. ولغة التعاطي مع هذه المجالات على لسان المخلصين للأمر مليئة بتعابير مثل «جالية»، و«تضامن»، و«شعور الانتماء للشعب اليهودي»، أو شعارات مثل «ضرورة احترام الوعود»، و«كلنا شخص واحد». وفي المجال الخاص، في المقابل، فإن مفهوم الهوية اليهودية مرتبط بالعائلة، وبالعبادة، وبالكنيس اليهودي، وبالتدين، وبالتربية. وتتميز لغة التعاطي مع هذه المجالات بمصطلحات مثل «الروحانية»، و«الدلالة»، و«البحث»، و«السعي»، و«الحملات»، وطريقة التعبير في هذه السياقات أكثر ليونة ومريحة ومشجعة أكثر، ونقية من الأحكام القاطعة، وفي هذه الأيام تبث ارتباطاً شخصياً أكثر.

وبالطبع فإن مفهوم الديانة اليهودية يشمل في داخله المجالين العام والخاص. كما أنه ينطوي على بعد إثني يرافقه شعور من التاريخ المشترك، والتزامات إزاء الجواري، وحتى هوية قومية أو شبه قومية. أما المجال الخاص فهو أكثر روحانية وتديناً بالمفهوم الضيق ويرتبط به بعد للرابط بين اليهودي وخالقه. وفي حين أن التقاليد اليهودية تحدد وتطالب بوجود إطار اجتماعي، سواء أكان ذلك للالتزامات العامة أو للالتزامات الخاصة، فقد أدى ضعف قوة التقاليد إلى أن يجرّ وراءه انقساماً بين المجالين، وذلك كلما أوجد واقع الحياة اليهودية خصوصية وتبايناً متزايداً بينهما.

والأهمية الأولى لدراستنا هذه تنبع من حقيقة أن وزن المجال العام قد انخفض في الأعوام الأخيرة، في حين لم يطرأ تراجع في المجال الخاص. ووفقاً لذلك فقد سجل ارتفاع في عدد الأطفال الذين يدرسون في المدارس اليهودية، وفي نطاق الدورات المقترحة للدراسات اليهودية، وفي عدد الكتب الصادرة في موضوعات يهودية. كذلك فقد طرأ توسع في مكون العبادة في حياة اليهود الأرثوذكسيين وكذلك

في المدعوين تقليديين (المتمسكون بالنص). وهناك استقرار في العدد الكلي لليهود الذين ينتمون بصورة ثابتة لكنس يهودية. وتدل معطيات أقل جزماً على فورة إيجابية وإبداعية مستمرة في النطاق النسائي للحياة اليهودية، وفي داخل حركة تسمّى «حركة التجدد الروحي اليهودية». وتدل جميع هذه الأمور على وجود نشاط يهودي في المجال الخاص.

وأما في المجال العام للحياة اليهودية فتبدو علامات تراجع تجد تعبيراً عنها في انخفاض في عدد اليهود المنخرطين في هذه الحياة، وفي الضعف المتزايد في مدى التزامهم. وسبق وأعدنا إلى الأذهان حالة المراوحة في المكان أو حتى الانخفاض في حجم التبرعات لصناديق الجوالي اليهودية. وبمعنى أشمل، يلحظ قدر أقل من التجنّد للعمل في سبيل غايات سياسية (من كل الأنواع)، إضافة إلى كهولة سريعة لجمهور الأعضاء في منظومات يهودية واسعة، وانخفاض في حجم التطوع من أجل تقدم الأهداف اليهودية، وبخاصة عندما نجري مقارنة بين مجموع النساء اللواتي ولدن بعد الحرب العالمية الثانية (واللواتي اليوم في سن متوسطة أو في سن أكثر شباباً) وبين بنات الجيل الذي سبقهن.

ويمكن الادعاء أن العلاقات بين يهود أمريكيين وبين دولة إسرائيل قد طُورت في المجالات غير الصحيحة. ونظراً إلى أن التدخل في شؤون إسرائيل كان مطلوباً بالذات في المجال السياسي وفي مجال المساعدة لأغراض الرفاه والإغاثة، فإن تضاؤل الاهتمام بهذه المجالات أدى إلى زعزعة أسس الروابط اليهودية مع إسرائيل. ونظراً إلى أنه لم يُعرف لإسرائيل مدلول حقيقي في الحياة الدينية والروحية والثقافية ليهود أمريكا، فالنهضة النسبية في هذه المجالات اليوم في أوساط يهود الولايات المتحدة لا تسهم كثيراً في معاودة الاهتمام بموضوعات إسرائيلية.

من بحاجة إلى يهود أمريكا؟

إن مبلوري السياسة في أوساط يهود أمريكا ليسوا بحاجة إلى التحليلات النظرية لعلماء الاجتماع لكي يكتشفوا أن مساهمتهم السياسية والمالية من أجل إسرائيل لا تثمّن اليوم من جانب الإسرائيليين كما كانت تثمّن في الماضي، إذ يكفيهم الإصغاء لزعماء إسرائيل الذين يقولون لهم بصوت عال وواضح: «إننا لسنا بحاجة إليكم».

وعلى الرغم من أن حزب العمل الإسرائيلي مقبول جداً في أوساط غالبية الزعماء اليهود في أمريكا الذين لا ينتمون إلى المعسكر الأرثوذكسي (المتمسك بالنص)، إلا أن الأصوات التي تعبر عن الاستهزاء بالمساعدة المقدمة من جانب يهود

أمريكا سمعت بوضوح كامل بعد فوز حزب العمل في انتخابات العام ١٩٩٢.

وفي زيارته الأولى للولايات المتحدة بعد هذه الانتخابات، قال رئيس الحكومة إسحق رابين لزعماء منظمة «إيباك» (AIPAC) إن إسرائيل لم تعد بحاجة إلى مساعدتهم كلوبي في الكونغرس الأمريكي وفي الإدارة الأمريكية. وصرح رابين أن إسرائيل ستقوم بنفسها بمهمة اللوبي. وبعد زمن قصير من ذلك ذكر وزير المالية الإسرائيلي أبراهام شوحاط أن إسرائيل لم تعد بحاجة إلى بيع سندات دين يعتبر ثمن استردادها غالياً جداً، نظراً إلى أنه سيكون بمقدورها اقتراض أموال بسعر منخفض أكثر في السوق المفتوحة، وبالفعل ستقوم بذلك قريباً. وكان يوسي بيلين بصفته نائباً لوزير الخارجية الإسرائيلي قد صرح في عدد من المناسبات أن إسرائيل لم تعد بحاجة إلى تبرعات يهود مهاجر الشتات لأغراض الإغاثة والرفاه. كذلك أعلن الرئيس الإسرائيلي عيزر وايزمان في تصريحات متكررة ان إسرائيل ليست بحاجة إلى أي شيء من يهود مهاجر الشتات باستثناء المهاجرين الشبان.

وعكست مثل هذه التصريحات حسب اعتقادنا شعوراً حقيقياً وصادقاً بالثقة بالنفس، وحتى ما يشبه مشاعر الانتصار، على خلفية مخزون الانجازات الشخصية، والاقتصادية والسياسية والعسكرية والدبلوماسية. وبقدر ما اعتاد الزعماء الإسرائيليون على رؤية إسرائيل كدولة أكثر أماناً وأكثر نجاحاً، لم يعد النموذج القديم من علاقات إسرائيل مع مهاجر الشتات مقبولاً منهم. وبنظرة إلى الوراء أصبح في هذا النموذج قدر من الإهانة لكلا الطرفين. فمن جهة أوّل على أنه يعني اعتماد إسرائيل على يهود المنفى من خلال حاجة وجودية. وبكلمات أخرى فالنموذج القديم نفى وعارض الاعتراف بأن إسرائيل دولة آمنة ومستقلة. ومن جهة أخرى فإن هذا النموذج قدّم يهود مهاجر الشتات كشركاء لإسرائيل وذلك فقط بفضل الفائدة التي يقدمونها لها، كما لو كانوا أداة بأيدي إسرائيل، وهم شركاء فقط بفضل تبرعاتهم من أجل رفاهها، واسم الكتاب الذي ألفه ماتي غولان، الذي صدر قبل زمن ما تحت عنوان **المال في مقابل الدم** إنما يعبر عن وجهة النظر هذه.

ولكن ليس واضحاً البتة بأن بدل النموذج «المجدّد» سيأتي نموذج أفضل. هناك إسرائيليون معروفون بأنهم «ما بعد صهيونيين» يفكرون في مسائل مرتبطة بالصهيونية بعد زوال عهدها، ويحتلون مواقع تأثير في الحياة الثقافية في إسرائيل رغم قلة عددهم، ووفقاً لأسلوبهم فمن الأفضل عدم بروز إسرائيل بشكل واضح كدولة يهودية، وذلك لأسباب عدة. أحد هذه الأسباب قد يكون ابتعادهم عن الديانة اليهودية. وسبب آخر ربما كان ينبع من الإدراك في أوساطهم بأن هناك حاجة

لانقطاع الدولة عن جذورها اليهودية لكي يحظى مواطنوها العرب بالمساواة الكاملة في داخلها، وربما بدا لهم أن هذا الأمر سيساعد على استيعاب إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط. وليس لدى هؤلاء مشكلة للتنصل من وجود روابط مع الجالية اليهودية في أمريكا ومع جوالٍ يهودية في بلدان أخرى. وأصبحت أصواتهم أكثر صخباً في الأعوام الأخيرة، ووجدت لها أصداء في أوساط يسارية معينة. ومن المحتمل جداً أن يحظى أصحاب وجهة النظر المذكورة بتأثير أكبر إذا ما استمرت عملية السلام، وفقدت المشاكل الأمنية بعضاً من حدتها. وطالب عرب إسرائيل لأنفسهم دوراً أكبر في رسم وبلورة الدلالة القومية الإسرائيلية، وكلما تعاظم تأثيرهم أصبح مجرد قيام روابط وعلاقات بين إسرائيل ومهاجر الشتات اليهودي أكثر إشكالية.

ولكن اليوم أيضاً، وفي الوقت الذي ما تزال فيه هذه الأصوات ضعيفة، قبل يهود أمريكا على لسان شخصيات إسرائيلية في المجالات السياسية والثقافية أن إسرائيل بحاجة إلى تبرعاتهم وتأثيرهم السياسي بقدر أقل بكثير مما كانت عليه في الماضي. وإنكار الحاجة ورفض الدعم وفق هذا المفهوم يشكلان عاملاً جوهرياً في عملية غروب شمس «النموذج المجنّد». ولذا فإذا ما أردنا من يهود أمريكيين من بين أولئك المنخرطين بعمق في الشؤون الإسرائيلية مواصلة ارتباطهم بإسرائيل، وإذا ما أردنا قيام إسرائيل بدور محترم في وعي جماهير عريضة في أوساط يهود أمريكا، ستكون هناك حاجة إلى رسم وبلورة نماذج جديدة من العلاقات، وتحديد احتياجات جديدة في هذا السياق، على أساس فهم أفضل للتيارات الحياتية في الولايات المتحدة التي تبلور ثقافة يهود أمريكا وتقيم أيضاً الحواجز في داخلهم.

تيارات في حياة الولايات المتحدة ترسم وتبلور ثقافة يهود أمريكا

الحياة اليهودية الأمريكية مثلها مثل المعتقدات الدينية في أمريكا بعامة تسير مع التيار، متسامحة وغير راديكالية (انظر ليبمان 1977). ومعنى هذا الأمر أن الجوالي اليهودية في أمريكا تتقبل كمعطيات ثابتة ببيئتها الطبيعية ـ المادية وببيئتها الثقافية، وليس كأمور يمكن رفضها. وعلى وجه العموم، فإنها لا تصدر أحكاماً في الأمور المألوفة على نطاق واسع في المجالات الاجتماعية والثقافية. والقيم التي تبناها يهود أمريكا لأنفسهم، وغالباً بطريقة غير واعية، هي قيم الشريحة العليا في الطبقات المتوسطة، المكونة من أصحاب المهن الحرة، والأدباء والمفكرين الذين بأيديهم السيطرة أيضاً على وسائط الاتصالات. وهذه هي القيم المألوفة في أوساط من أطلق عليهم كريستوفر لاش (Christopher Lasch) «الطبقة الجديدة» (لاش ١٩٥٥).

واليهود في مجملهم، وأفراد النخبة اليهودية الدينية والجوالية بخاصة، يميلون إلى قبول معايير وقيم «الطبقة الجديدة»، مثل النسب المتزايدة لحالات الطلاق والزواج المختلط، أو القواعد الجديدة في المسائل الجنسية، كحقائق حياتية يتوجب تعلّم التأقلم معها. وتيارات أخرى مثل الأخلاقيات الوثيقة، أو المقاربة التي لا ترى إصدار الأحكام على سلوك الغير، تُقبل كمعطيات قائمة. ولذا فإنه لا يوجد اعتراض عليها أيضاً.

ويميل اليهود الأمريكيون إلى عدم وضع هذه المعايير والقيم المتجذرة في الثقافة الأمريكية والمعايير والقيم المتجذرة في التراث اليهودي وجهاً لوجه. فهم يميلون أكثر ـ عن قصد أو دون قصد ـ لإعطاء تفسيرات جديدة للتقاليد اليهودية، لكي تكون متلائمة مع القيم الأمريكية المعاصرة.

وينجم عن هذه المقاربة المتسامحة انعكاسان مهمان جداً على الخطوط السياسية المتعلقة بالقضايا القائمة بين إسرائيل ومهاجر الشتات: **الأول** هو أن قيم وثقافة الولايات المتحدة أسهمت في بلورة صيغة عن الحياة اليهودية، تختلف بمفاهيم كثيرة عن السمات المميزة الموازية للحياة اليهودية الإسرائيلية. **والثاني** هو أنه إذا ما كنا نريد تقوية العلاقة والرابطة بين يهود أمريكا وبين إسرائيل، فيتوجب علينا أن نأخذ في عين الاعتبار القيم التي تجذرت في أوساط يهود أمريكا. وسندعي لاحقاً أن هذه القيم قد تخرّب الروابط بين الجوالي اليهودية في أمريكا وبين الجالية اليهودية الإسرائيلية. ولذا ولكي تتوثق هذه الروابط وتتعزز، يتوجب على المسؤولين عن بث الواقع الإسرائيلي إلى وعي يهود أمريكا أن ينجحوا في إيجاد توازن دقيق بين تناقضات: ينبغي عليهم الاعتراف بالقوة الكامنة في القيم الأمريكية، ومع ذلك السعي إلى إمكان الاعتراض عليها عندما يقتضي الأمر ذلك، أو حتى العمل على تغييرها.

القيم المألوفة في أوساط يهود أمريكا

قلنا في مكان آخر في هذه الدراسة إن اليهودية تتسم بأربع سمات مميزة:

الصفة العالمية، نظرة أخلاقية إلى العالم، ورؤية الأمور في عيون الفرد وفي مرآة شخصية، وأهمية العامل الإرادي في نشاط الفرد (التطوع) (انظر ليبمان وكوهين ١٩٩٠). وكل واحدة من هذه السمات المميزة يستحق أن نوسع الحديث عنه إلى حد ما.

١ ـ مفهوم العالمية بالنسبة إلى موضوعنا يقول إن التقاليد اليهودية تحمل معها رسالة لكل بني البشر وليس فقط لليهود، كما أن الديانة اليهودية منفتحة للإصغاء إلى

رسائل التقاليد الأخرى والثقافات الأخرى، وعلى اليهود الانخراط في تحسين مصير جميع أبناء البشرية وليس فقط مصير إخوانهم اليهود. وهذا المحرك يتم التعبير عنه في كل تصريح علني باسم يهود أمريكا. مثال واحد على ذلك نجده في كتاب الصلوات «الأحدث» لأيام السبت والأعياد اليهودية للحركة المحافظة (التقليدية) والذي جاء فيه: «من مجموعة واحدة إلى بشرية واحدة ـ هذا هو هدفنا».

وكجزء من دراسة حول هوية يهود أمريكا (إعداد كوهين وآيزين ستظهر قريباً) طرح سؤال على أم يهودية متوسطة العمر من حي كوينز (وهذا الحي هو جزء من مدينة نيويورك الكبرى ولا يتميز بالليبرالية) حول ما إذا كان قمع اليهود يعتبر جزءاً من اهتماماتها فأجابت:

«اعتقد أنه يتوجب القيام بأمور من أجل الجالية التي نعيش بين ظهرانيها. وأقصد بذلك أن الأمر على ما يرام إذا ما أردنا العمل من أجل مقاصد وأهداف يهودية، إلا أنني لا اعتقد أن الأمور التي نقوم بها ينبغي أن تكون قائمة على الدين. يحتمل أن أكون قادرة على التعاطف قليلاً أكثر (مع يهود مضطهدين) لكوني يهودية، إلا أنني أشعر بالأسى على كل من يعاني الاضطهاد. وقد يكون هناك فارق صغير (بالنسبة إلى اليهود) بسبب كوني يهودية، ولكن سواء أصدقتم أو لم تصدقوا، فأنا لا أتباهى بذلك».

إن اليهود الأمريكيين بشكل عام يشعرون بارتياح لدعمهم إسرائيل فقط عندما تكون سياسة إسرائيل مقبولة وتتمشى مع القيم العالمية والقيم الأخلاقية (مفهوم الأخلاقيات سيعرض لاحقاً). وهذه الحقيقة تساعد على فهم السبب الذي من أجله وصف الدعم السياسي لإسرائيل، والتبرعات المقدمة لاحتياجات الإغاثة والرفاه فيها، بشكل تقليدي، على أنهما مساعدة لليهود المحتاجين، أو للاجئين المضطهدين، أو كمساعدة لدولة تحت الحصار. وعندما لا يكون للعالمية قيود مرساة في قيم خاصة في السياق اليهودي، فإنها تقوّض مفهوم الرابطة الخاصة بين يهود أمريكا ودولة إسرائيل، أو يهود إسرائيل، أو بالذات يهود آخرين أياً كانوا. ففي نهاية المطاف، فإذا كان متفقاً على أن جميع بني البشر يستحقون المعاملة بالتساوي دون فارق في العرق، والمعتقد الديني، والأصل القومي والجنس (وأخيراً أيضاً التفضيل الجنسي)، فكيف يمكن ليهود أمريكا الشعور بالارتياح التام في إقامة علاقة خاصة مع إسرائيليين، ناهيك عن الحديث عن إعطاء الأفضلية للإسرائيليين؟

٢ ـ نظرة أخلاقية إلى العالم. هناك علاقة وثيقة بين هذه القيمة وبين مفهوم العالمية. فعالم الاجتماع مارشال سكلير (Marshal Sklare) وصف الأخلاقيات بأنها

مفهوم يقول «إن الشخص المتدين يعرف ليس بالذات بأداء الشعائر الدينية وإنما بالحرص المطلق على السلوك الأخلاقي من جانبه» (سكلير وغرينبلوم ـ٨٩: ١٩٧٩). والأخلاقية هي عكس أداء الشعائر الدينية التي ترى مغزى وسمواً في تنفيذ أعمال معينة لذاتها، وفقاً لفرائض الدين أو الثقافة.

وفي إطار استطلاع عينة عَرَضية لأفراد جوالٍ محافظة (التقليدية) سئل هؤلاء الأشخاص عن رد فعلهم على المفهوم الذي بموجبه «يمكن لليهودي أن يكون إنساناً متديناً حتى لو لم يكن يحرص بالذات على المحافظة على الفرائض الدينية». وتجدر الإشارة إلى أن الصيغة لم تتطرق إلى السؤال: بماذا يتميز اليهودي الصالح، بل بماذا يتميز اليهودي المتدين؟ كذلك تجدر الإشارة إلى أنه إذا استثنينا الأرثوذكسيين (التيار المتمسك بالنص)، فإنه لا يوجد أكثر من أعضاء الكنس المحافظة في أوساط يهود أمريكا من يحافظ على تقاليد الفرائض الدينية. ومع ذلك، فقد وافق ستة وسبعون بالمئة ممن شملهم الاستطلاع على القول إن اليهودي يمكنه أن يعتبر كإنسان متدين، حتى لو لم يحرص بالذات على أداء الفرائض الدينية. في إسرائيل، فحتى العلمانيين كانوا سيقدمون إجابة مختلفة عن هذه. ونحن نؤمن أن استطلاعاً ينظم في أوساط يهود إسرائيليين، متدينين أو علمانيين، سيظهر نتائج مختلفة تماماً.

وفي مقابلة مع محرري صحيفة **ديانة يهودية حرة** التي تصدرها «الحركة العلمانية الإسرائيلية من أجل ديانة يهودية إنسانية» قال الدكتور يائير أورون، وهو محاضر في موضوع «الديانة اليهودية المعاصرة» في حلقة دراسية للحركة الكيبوتسية:

إن أحد مظاهر الفشل الكبيرة للتربية اليهودية ـ الصهيونية يتمثل في أننا أوجدنا إحساساً بالاغتراب تجاه الدين من خلال انعدام المعرفة به. وتقريباً فنحن لا نعزو في أي مرة شرعية لأشكال مختلفة ومعاصرة للتجربة الدينية. فالعلماني الشاب يعرف بصورة ضئيلة فقط حركات غير أرثوذكسية (متمسكة بالنص) في أوساط الديانة اليهودية. فعلى وجه العموم يتبنى لنفسه مقاربة التيار الأرثوذكسي الإسرائيلي إزاء هذه الحركات (١٩٩٤: ٢١).

وهذا التمييز يساعد في فهم لماذا يصعب إلى هذا الحد على اليهود الأمريكيين إدراك أن الأرثوذكسيين (التيار الديني المتمسك بالنص في إسرائيل) يحتفظون بأيديهم عملياً باحتكار قطري على تعريف جوهر وبنية الديانة اليهودية. كذلك يساعد هذا التمييز في فهم لماذا من الصعب كثيراً التي لأجلها على الإسرائيليين، في معظم الحالات، النظر بجدية إلى الحركات اليهودية غير الأرثوذكسية في الولايات المتحدة. والاستهزاء الذي يظهره الإسرائيليون تجاه مثل هذه الحركات يشكل عقبة أمام قيام

روابط وثيقة أكثر بين يهود إسرائيليين ويهود أمريكيين. وفي هذه الحالة، هكذا نعتقد، فإن الجانب الإسرائيلي هو الذي يتوجب عليه تغيير طريقه.

٣ ـ رؤية الأمور بعيون الفرد وبالمرآة الشخصية. هذه الرؤية تنعكس في المقاربة التي تقول ان «اليهودي العصري يختار لنفسه، من داخل مخزون الماضي الهائل، ليس فقط ما هو قادر موضوعياً على تنفيذه، وإنما أيضاً ما يستطيع التماثل معه ذاتياً (سكلير وغرينبلوم ١٩٧٩ : ٤٨). ورؤية الأمور بعيون الفرد تعني الميل للتغيير ولتقييم التقاليد حسب الفائدة أو الدلالة الكامنة فيها بالنسبة إليه.

وهذه المقاربة توفر الأساس لإدخال تجديدات كتلك التي وضعها قبل يهود أمريكا، والتي يرى فيها الإسرائيلي ـ الذي هو أكثر محافظة في يهوديته ـ ظاهرة شاذة لا مثيل لها ومثيرة للقلق. والتجديد في السياق المعروض أمامنا يمكنه أن يجد تعبيراً عنه من طريق قيام أفراد أو جوالٍ بابتداع أشكال من الشعائر الدينية اليهودية والطقوس والرموز حسب أهوائهم. ومثل هذا المشروع قد ينّفذ دون مصادقة أي حركة دينية، ودون تطرق حقيقي للسؤال إن كان من الجدير المحافظة على أشكال أو دلالات تقليدية.

وعلى سبيل المثال، تعلن مادة إعلانية معدة جيداً عن مكان استجمام هادئ لعطلة نهاية الأسبوع باسم «نهاية أسبوع في زاوية مياه عذبة» بإدارة الحاخامين فيليب وشوني ليفوليتش اللذين يعملان كحاخامين متساويين في المرتبة في هيكل «عيدات أور» (طائفة النور) في مدينة فورت لاودردايل، وهما ينتجان فصولاً علاجية عبر التحديث اليهودي». وفي ما يلي تفاصيل عن برنامجهما ليوم السبت:

«لمن يهمهم الأمر، نزهة على الأقدام في ساعات الفجر في سياق الغوص في الأفكار. صلاة موسيقية على ضفة المحيط. تناول للطعام تحت إشراف المختصين في وجبة الصباح. تمارين مائية لتنشيط متناسق للجسم. رياضة اليوغا مع فلسفة «القبلات» (التصوف). وقت للاسترخاء والراحة. وجبة غذاء من خلال استذكار أبطالنا. ألعاب في الهواء الطلق، حوار حر، وقت لتدليك الجسم. تجمعات دينية مقدسة للرجال والنساء. قراءة أناشيد وموسيقى استعداداً لوجبة العشاء. وجبة من المشاوي برفقة رقصات شعبية. صلاة صامتة على شاطئ البحر، تأملات فكرية في فلسفة التصوف.

برنامج يوم الأحد: حفل غطس وتطهر في مياه المحيط للشبان والشابات وفق أحكام الشريعة اليهودية، احتفال بوجبة فطور مرفقة بتجديد الالتزام. احتفال ختامي.

إن هذا النوع من البرنامج يشكل نموذجاً متطرفاً إلا أنه ليس نادراً. والمرآة الشخصية تتكشف بوضوح في الإشارات المتكررة إلى «الأنا» في أثناء إطلاق ستصدر قريباً الملاحظات التالية من قبل سيدة من كاليفورنيا دراسة حول موضوع الهوية اليهودية الأمريكية المعاصرة (انظر كوهين وآيزن). وعندما سئلت هذه السيدة عن المطلوب من أجل أن تعرب عن رغبتها في تطوير مزيد من المشاركة كامرأة يهودية، لجأت هذه السيدة في جوابها إلى استخدام ضمير المتكلم («أنا» أو «لي» أو «من جانبي» أو « بالنسبة إلي» أو «كنت») لا يقل عن سبع مرات في جملتين اثنتين:

«إن قيامي بتطوير مزيد من المشاركة كامرأة يهودية يعد بالذات مسألة تأقلم من جانبي مع ما أريده أنا، وإذا ما قررت أنا ما إذا كان هناك أمر مهم بالنسبة إلي لكي أكون منخرطة في نشاط الجالية اليهودية. إنني افترض أنني كنت سأقول إنني لا أرى أمراً، لأن ذلك فعلاً أمر ينبغي أن يأتي من الداخل وليس من الخارج».

إن انتقال الصلاحية من الخارج إلى الداخل، من الرب أو الجماعة إلى الفرد، ينطوي على إضعاف يجري خلال دقائق، أو ليس دقائق إلى هذا الحد، للفرضية المركزية التي تقوم عليها الصهيونية. فبالنسبة إلى جمهور ذي مقاربة شخصية للأمور هناك صعوبة للحديث عن الانتماء للشعب وعن الواجبات تجاه إسرائيل. وليس من المعقول أن يرى اليهود الأمريكيون بجماهيرهم وجود رابطة بينهم وبين إسرائيل إلا إذا تمكنوا من إيجاد مفهوم جوهري لمثل هذه العلاقة، أو إذا جرى توفير المفهوم اللازم لذلك جاهزاً.

وحسبما ذكرنا آنفاً فإن رؤية الأمور بعيون الفرد ومن خلال مرآة شخصية تقطع الفرد عن المجموعة. وهناك مفكرون ينسبون هذه المظاهر لمشاهدة التلفزيون، لأن في ذلك هروباً من الأطر التنظيمية أو النشاطات الشخصية. ويشير أحد الباحثين إلى أنه تم خلال العقدين الماضيين مضاعفة عدد الأشخاص المدمنين على ألعاب إصابة الهدف بالطلقات الخشبية، في حين أن عدد المنتمين للاتحادات التي تمارس هذه الهواية تقلص بنسبة النصف. وحتى الهويّات الإثنية تمتد المحافظة عليها على المستوى الشخصي، ولو بطريقة سطحية، دون علاقة اطارية مع أبناء ذلك الأصل الإثني. وفي هذا الخصوص كتب عالم الاجتماع ريتشارد ألبا (Richard Alba) يقول:

«ليس من المألوف للهويّات الإثنية أن تكون راسخة في إطارات اجتماعية إثنية بشكل بارز. ومثل هذه الإطارات ما يزال قائماً بالفعل مع أنها ضعفت إزاء قوة الميل للذوبان في مجتمعات الأغلبية. وصار الزواج المختلط شائعاً جداً، كما أن التركيبة

المألوفة لأوساط الأصدقاء أصبحت متنوعة للغاية من الناحية الاثنية، بينما صار الانتماء للتنظيمات الإثنية نادراً للغاية، وهكذا دواليك. وكنتيجة لوضع الأمور هذا، فإن الكثير من البيض الذين يبرزون أصلهم العرقي بقوة يقيمون اتصالاً محدوداً فقط مع أصحاب ذلك الأساس الإثني» (١٩٩٠ : ٣٠١).

إن القيم التي تؤكد على مركزية الفرد وحقه في إصدار الأحكام والعمل تقوض قيم العائلة والجماعة في المجتمع. والتأكيد على الأنا أو تحقيق الأنا على حساب واجب المسؤولية تجاه الغير، يعني أنه حتى واجبات الإطار العائلي التي كانت تعتبر في الماضي طبيعية ومقدسة، هي في هبوط سريع، واليهود بشكل عام أصبحوا إباحيين للغاية بخصوص القيم التي ينسبونها لأنفسهم في المجال الجنسي والاجتماعي (كوهين وليبمان). وفي الواقع فإنهم أكثر إباحية من الأغلبية الساحقة لبقية الأمريكيين في كل ما يتعلق بالعلاقات الجنسية الشاذة، والعلاقات الجنسية خارج الزواج، وحق المرأة في الاحتياج إلى الإجهاض. وفي هذا المفهوم أيضاً فإن معاييرهم مختلفة بشكل متطرف عن المعايير المتبعة في أوساط غالبية الإسرائيليين الذين يشددون على أهمية قيم العائلة وبنية العائلة. ولكن فرصة تكمن هنا أيضاً.

وتنبغي الإشارة هنا إلى أنه ليس كل اليهود الأمريكيين يحبذون الأمور المألوفة الجديدة في مجال الجنس، وليس ثمة شك في أن عدد القلقين من تفتّت قيم العائلة في أوساط الجمهور اليهودي الأمريكي يزيد حتى عن عدد المعارضين لهذه الأمور المألوفة. وكما يمكن أن نتوقع فاليهود التقليديون والمنخرطون أكثر في حياة الجالية اليهودية، وينادون بقيم أقرب إلى المفاهيم التقليدية، قد يرونا ـ أكثر من آخرين ـ في الثقافة الإسرائيلية مصدر تشجيع ودعم.

إن أهمية المكوّن الإرادي في نشاط الفرد (التطوعية) مرتبطة بصورة وثيقة بمفهوم مركزية الفرد. وفي السياق اليهودي يقول هذا المكوّن إن التعبير عن الهوية كيهودي يستمده الشخص من إرادته، كما ان إرادة الفرد تحدد أيضاً شكل التعبير الذي يمنحه لهذا التعبير. ويتطرق الجذر اللاتيني لتعبير «التطوع» إلى مفهوم «الإرادة»، ويستخدم اليهود إراداتهم عندما يريدون أن يقرروا أن يكونوا يهوداً، وإذا كان الأمر كذلك كيف سيأخذ هذا الأمر تعبيره؟ ومن الناحية الموضوعية فإن اليهود في الولايات المتحدة أحرار في تقرير ما إذا كانوا سيعرفون أنفسهم كيهود أم لا، إذ لا يوجد تسجيل قومي يلزم السكان بالإفصاح عن انتمائهم الإثني أو الديني. وفي إشارته إلى مجموعات السكان العرقية البيضاء كتب ألبا (Alba) يقول:

«على وجه العموم، فبالنسبة إلى الأمريكيين ذوي الخلفية الأوروبية، فإن

التعريف الإثني هو مسألة اختيار شخصي. وخلافاً لما عليه الأمر في أجزاء كثيرة أخرى من العالم، حيث يذكر في جوازات سفر المواطنين أصلهم الإثني، فإنه لا يوجد في أمريكا اعتراف رسمي بالهوية الإثنية للبيض من مواليد الولايات المتحدة» (١٩٩٠ : ٢٩٥).

وبالفعل، فقد دلت معطيات من دراسة حول السكان اليهود في أنحاء الولايات المتحدة أجريت مؤخراً على أن عدداً جوهرياً من بين الأشخاص الذين وُجهت إليهم الأسئلة، والذين عرفوا أنفسهم كيهود في العام ١٩٩٠، أنكر مثل هذه الهوية عندما استطلعت آراؤهم في إطار استطلاع جديد نظّم في العام ١٩٩٣. كذلك فقد أثبتت دراسة أجريت في أوساط جماعات إثنية أخرى وبخاصة في أوساط أشخاص من ذوي الأصول المتنوعة، أن الهوية الجماعية في الولايات المتحدة هي من المعطيات «السائلة» والمتوقفة على الظروف (ووترز - ١٩٩٢). وهكذا فإن الهوية الإثنية لبني البشر تتغير من وقت إلى آخر جزئياً وفق احتياجات اللحظة، ووفق البيئة الاجتماعية التي يجد الإنسان نفسه فيها، أو وفق جدول مواعيد الأعياد.

وليس فقط أن كل إنسان حر في تقرير ما إذا كان يهودياً، بل إنه حر أيضاً في تقرير ما ستكون عليه قوة هويته اليهودية. وبمقدوره أن يكون مشاركاً قليلاً أو كثيراً، حسب رغبته، في الحياة اليهودية، وبصفة عامة فإنه لا ينبغي عليه تقريباً أن يأخذ في الاعتبار خطوات رد فعل أو موافقة على قراره من جانب هذا الإطار الاجتماعي أو ذاك، وبمقدوره أن يغير من قوة مشاركته وعمق تماثله خلال سنة أو خلال حياته.

ألوان في سياق التعبير الجماعي عن الهوية لدى يهود أمريكا

إن هذه القيم والطابع الذي تتركه على الهوية اليهودية الأمريكية تضعف على وجه العموم «النموذج المجند» كما تضع عقبات صعبة أمام أي سياسة يفترض أن تعزز الروابط بين يهود أمريكا وإسرائيل. ولكي تنجح مثل هذه السياسة فإنه يتوجب عليها أن تواجه ليس فقط القيم المنتهجة في أوساط الجوالي اليهودية الأمريكية وإنما أيضاً تنوعاً معقداً يميزها.

وبنظرة من بعد، فقد تبدو الجوالي اليهودية في أمريكا ككتلة موحدة لا توجد فيها ألوان مختلفة، ولذا فإن الكثيرين من راسمي السياسة، أكانوا في إسرائيل أم في الولايات المتحدة نفسها، يمارسون مهنتهم من خلال فرضية يفهم منها وجود نوع واحد فقط من اليهود في أمريكا. ولكن العقل السليم العادي يكفي لكي نفهم أن

هناك نحو ستة ملايين يهودي منتشرين في دولة كبيرة جداً ويشكلون مجموعة سكانية متعددة الوجوه، ينتظر أن ترد بأشكال مختلفة على التحديات التي تضعها أمامهم الحياة اليهودية. وعلى سبيل المثال، فإن نسبة اليهود الأمريكيين الذين يتزوجون من زوجات من شعبهم قد تكون في حالة ارتفاع بسبب الزيادة الدراماتيكية في حالات الزواج بين يهود داخل جمهور معين، ولكن الأمر ليس كذلك في جماعات سكانية أخرى من اليهود. وبالقدر ذاته هناك احتمال لتعميق الالتزام بالمحافظة على المعايير اليهودية في أوساط قطاع معين داخل الجالية.

إن معرفتنا عن قرب للحياة اليهودية في أمريكا تقنعنا بأن الوضع هو فعلاً كذلك. ونؤكد من أجل سبيل التوضيح على أن صورة يهود أمريكا كما ترتسم في نظر الكثيرين من زعمائهم، وربما أيضاً على نطاق أوسع في أوساط إسرائيليين من أصحاب النفوذ، غير مقبولة لدينا. وهذه الصورة تعرض سكاناً من عالم آخر يعاني ولاؤهم اليهودي والتزاماتهم اليهودية من تآكل مستمر.

خلافاً لذلك، فنحن نرى أن يهود أمريكا يشهدون عملية متصاعدة من التجزؤ من خلال الاستجابة بطرق مختلفة للاغراءات والتحديات التي تبث من الثقافة الأمريكية ومن المجتمع الأمريكي نحو الهوية اليهودية، ونحو إقامة العائلة اليهودية والشعور بالانتماء للشعب اليهودي. وتنعكس هذه الإغراءات والتحديات في: ارتفاع نسب الزيجات المختلطة، ومع ذلك في تسجيل الأطفال في مدارس يهودية عادية (خلافاً لمؤسسات التعليم اللامنهجي)، وفي تبني تعريف الأصل في أعقاب الأب (وليس الأم) من جانب التيار اليهودي الإصلاحي، ومن جهة أخرى تعاظم روح يهودية عادية (وتكثيف المكون الطقوسي في التيار اليهودي الإصلاحي)، وفي إضعاف مضامين الديانة اليهودية، ومن جهة ثالثة الاشتغال بالبحث الروحاني، والتخلي عن الإطارات المؤسسية، وفي المقابل التوسع في الدراسات اليهودية على صعيد التعليم العالي، وترك المناطق السكنية «اليهودية» إلى جانب التزايد الكبير في عدد حلقات البحث اليهودية في شبكة «الإنترنت» ونحو ذلك. ويمكن القول إن الاتجاهات المتناقضة في النموذج الديمغرافي اليهودي وفي السلوك المؤسسي اليهودي تعكس، كما تحفز على اتجاهات متناقضة في أنماط التعبير عن الهوية اليهودية على الصعيد الشخصي والمحلي. ونحن نؤمن أنه باستثناء الأرثوذكسيين المتطرفين فإن جميع يهود أمريكا عملياً امتصوا في وعيهم وفي مقاربتهم القيم المرتبطة بمفهوم العالمية، والنظرة الأخلاقية إلى العالم، وفي رؤية الأمور بعيون الفرد وبالمرآة الشخصية، وفي أهمية المكون الإرادي في نشاط الفرد، ولكنهم فعلوا ذلك بدفعات مختلفة، كما فسروا هذه القيم بطرق مختلفة.

إن استطلاع يهود أمريكا في الشاطئ الغربي إلى الشاطئ الشرقي الذي أجري في العام ١٩٩٠، ووفقاً لتحليلنا، لاحظ وجود اربع مجموعات داخلها. ونحن نصنفها على النحو التالي: ذوو المشاركة الناشطة، وذوو المشاركة المعتدلة، وذوو المشاركة الضعيفة والمنعزلون عن محيطهم (كوهين ـ ١٩٨٥، فيرتهايمر، ليبمان وكوهين ـ ١٩٩٦)، وفي كل واحدة من هذه المجموعات نجد نحو ربع يهود أمريكا. ونسب الزيجات المختلطة في المجموعات المختلفة هي (٤ بالمئة) في مجموعة النشطين و(١٠ بالمئة)، و(١٩ بالمئة)، و(٤٩ بالمئة) في بقية المجموعات على التوالي (وهذه الأرقام تعكس النسب المتراكمة للزيجات المختلطة على مر السنوات، وليس النسب «الطازجة» التي قيست في خلال السنوات الخمس الأخيرة).

وحسب أسلوبنا، فإن الجهد المبذول لضمان الاستمرارية اليهودية، وللوصول إلى فروع يهودية آخذة بالابتعاد، ينبغي التركيز على تعزيز المجموعة الناشطة للغاية، وعلى زيادة عدد المنتمين إليها من بين ذوي المشاركة المعتدلة والضعيفة. ووفقاً للمنطق ذاته فإن الاقتراحات المتعلقة بتعزيز الروابط بين إسرائيل والإسرائيليين وبين يهود أمريكا، ينبغي أن تستند إلى سياسة التوجه نحو جماعات محددة، وليس إلى الجمهور الواسع جداً لمجمل يهود أمريكا ككتلة واحدة. والفرصة الكبرى لنجاح السياسة المفضلة من جانبنا تكمن في إعداد تفاصيلها في سياق إدراك للقيم التي وصفت آنفاً ولمدى الالتزام اليهودي لدى الجماعات المحددة المختلفة.

إن اليهود الذين يحافظون على مشاركة ناشطة في الحياة اليهودية يرفضون ـ بشكل غير واعٍ إن لم يكن بوعي ـ الكثير من القيم التي أوردناها. وأحد الأسباب للأهمية المعروفةَ لإسرائيل في حياة اليهود في أمريكا، حسب تصورنا، يكمن بالذات في حقيقة أن الحفاظ على علاقات مع إسرائيل يتعارض بحد ذاته تقريباً مع القيم التي يحمل لواءها غالبية يهود أمريكا. وفي كل ما يتعلق ببقية اليهود الأمريكيين، فالمقاربة التي تناقض بشكل واضح القيم العالمية، ورؤية الأمور بعيون الفرد، وأهمية المكون الإرادي في نشاط الفرد، ليس لها فرصة حقيقية لاجتذاب أكثر من شريحة دقيقة من الناس.

ومن جهة أخرى، فإن هذه القيم تقلص الروابط بين اليهود الأمريكيين وبين الشعب اليهودي. وكلما تجذرت هذه القيم في وعي يهود أمريكا، تدفع إسرائيل هناك إلى الهوامش. وفي حال إمكان صياغة سياسة ملائمة لمعالجة هذه الظواهر، وهذا بحد ذاته موضوع دقيق للغاية، يبدو لنا أنه يتوجب على إسرائيل أن تعكس نفسها كبؤرة معارضة لهذه القيم الرائدة (ما عدا قيمة النظرة الأخلاقية إلى العالم)، ولكن فعل ذلك

في سياق الإدراك أن المواجهة الجبهوية في النطاق قيد البحث سوف تحرز عكس النتيجة المأمولة.

إمكانات رئيسة ليهود أمريكا بالنسبة إلى علاقاتهم مع إسرائيل

لا يمكننا إنكار احتمال اتسام نظرة يهود أمريكا أكثر فأكثر بانعدام الجوهر. فاليوم تثير إسرائيل اهتماماً قليلاً في أوساط الكثيرين من يهود أمريكا. وعملياً وخلافاً لفرضية الإسرائيليين الذين يؤمنون بحيوية التوجه النفسي نحو إسرائيل للحفاظ على حياة يهودية ناشطة في المهجر/ الشتات، فإن هناك أعداداً ليست بالقليلة من اليهود الناشطين وذوي المشاركة اليهودية الذين يديرون حياتهم اليهودية في المهجر/ الشتات بأشكال تعكس انقطاعاً كبيراً بين إسرائيل وبين جدول أعمالهم اليهودي.

فنحو ثلث يهود أمريكا يجد اليوم بوضوح أن إسرائيل عديمة الدلالة بالنسبة إليهم (وهم يقولون ذلك بشكل واضح تقريباً). كما أن إسرائيل ليست مهمة كثيراً للحفاظ على إحساسهم كيهود، بل إنهم لا يظهرون حتى الاهتمام بزيارة إسرائيل.

وبالنسبة إلى يهود أمريكيين آخرين، فإن إسرائيل ليست أكثر من مركز جذب سياحي، ومكان يوجد مصلحة بزيارته. وهؤلاء اليهود الأمريكيون يرون إسرائيل إلى حد كبير، مثلما يرون فرنسا أو إيطاليا أو اليونان، هدفاً مثيراً بالنسبة إلى السواح، وقطراً تثير مواقعه المهمة من الناحية التاريخية روابط ومشاعر عاطفية معينة، وحتى مليئة بالأشواق، ولكن ليس أكثر من ذلك. ونحو نصف يهود أمريكا يرى إسرائيل كمركز جذب سياحي مثير، وقلة من بين هؤلاء قامت فعلاً بزيارتنا، في حين يقول الباقون إنهم كانوا يرغبون بالقيام بذلك عندما يمتلكون الوقت والإمكانات اللازمة لذلك. وكلما عكست إسرائيل نفسها فقط كمركز جذب سياحي، ففي ذلك تعزيز لنمط في النظرة يعرقل وجود صلة جوهرية بين إسرائيل ويهود إسرائيليين وبين يهود أمريكا.

والأنماط التي تعزز مثل هذه الصلة هي «النموذج المجند» الذي تناولناه سابقاً، والنموذج الذي يوصف كـ «مصدر الدلالة الشخصي» والذي سنبحثه أدناه.

ومع أن «النموذج المجند» آخذ بالضعف، إلا أنه يميز النظرة إلى إسرائيل، من جانب غالبية ذوي المشاركة العالية للغاية، كيهود ما زالوا يحافظون على رابطة مع دولة اليهود. وتبدو إسرائيل كقطر محتاج يتوجب على يهود أمريكا أن يهبوا للدفاع عنها. ولا

يوجد في النموذج قيد البحث مطالبة الأمريكيين من ذوي الصلة بإسرائيل للتطرق إليها أو إلى إسرائيليين على مستوى نفسي عميق في المجال الديني، أو التربوي، أو الثقافي، أو الاجتماعي. وكنا في مطلع دراستنا هذه قد رفضنا نموذجاً من هذا النوع لا يتلاءم والتغييرات الحاصلة في أوساط يهود أمريكا، ومن بين هذه التغييرات ـ وفوق كل شيء ـ تعزيز المجال الفردي وضعف المجال العام في حياة اليهود هناك. ولهذا السبب يجدر بنا أن نخصص له أقوالاً قصيرة.

أولاً، سيكون من قبيل الغباء الظن أن إسرائيل التي لا يعتبر ارتباطها بالدعم المالي والسياسي ليهود المهجر/ الشتات اليوم كبيراً كما كان في الماضي، لن تجد نفسها أبداً مرة أخرى محتاجة للقدر ذاته من الدعم من المصدر نفسه، أو إنه لا توجد قيمة اليوم للدعم الذي يقدمه المهجر/ الشتات. والزعماء الإسرائيليون الذين ينكرون أهمية الدعم المادي والسياسي الذي يقدمه يهود أمريكا، يرجح جداً أنهم مخطئون. ففي حالات كثيرة يعلم هؤلاء الزعماء أن أقوالهم مبالغ فيها. ووراء تصريحاتهم في هذا الشأن هناك حساب سياسي خاص بهم. ومع أنه صحيح القول إن تبرعات يهود أمريكا تشكل نسبة آخذة بالانخفاض في دخل إسرائيل القومي، ولكن عندما نزن قيمة تبرع مخصص لسد حاجة معينة في المجال التربوي على سبيل المثال، فإن تبرعات يهود المهجر/ الشتات قد تشكل مصدر دخل مهماً جداً. ومن الخطأ الاعتقاد أن حكومة إسرائيل نفسها تغطي الهوة الحاصلة من انعدام تبرعات بالحجم المطلوب، فهذه الهوة باقية وهي تمس بالمشاريع القائمة على تبرعات من الخارج. وربما كان من الجدير ضمان أن يفهم المتبرعون هذا الأمر.

ثانياً، «النموذج المجند» ما يزال يحرك عشرات الآلاف من اليهود الأمريكيين وهم نشيطون جداً. حقاً أن غالبيتهم الساحقة من أبناء الجيلين الأول والثاني لمواليد أمريكا، ولا يوجد بينهم تقريباً أشخاص من أبناء الجيل الثالث، ولكن هناك دلالة كبيرة في مجرد حقيقة أن النموذج قائم ومؤثر، ويكمن في ذلك بركة ليس فقط لإسرائيل، وإنما أيضاً ليهود أمريكا، لأن نشاطاً من أجل إسرائيل يوفر تعبيراً عملياً ونفسياً لمشاعرهم كيهود. وعشرات الآلاف هؤلاء عندما يتناولون صحيفة صباحية، يتجهون أولاً إلى الصفحة التي قد يجدون فيها أخباراً تتعلق بإسرائيل. وقبل عشرين سنة سمعنا في لقاء بين إسرائيليين ويهود أمريكيين أن دور التبرعات اليهودية في الاقتصاد الإسرائيلي صار هامشياً أكثر فأكثر، فانبرى لهم زعيم يهودي أمريكي قائلاً: «لن نبالي حتى لو حرقتم الأموال التي نرسلها لكم، لأنه يتوجب علينا مواصلة تجنيدها إذا ما كنا نريد أن تكون ليهود أمريكا مشاركة يهودية».

وهكذا فـ «النموذج اليهودي» لم يختف حتى ولو كان يخاطب عدداً أقل من اليهود الأمريكيين. وهو يشكل بين أمور أخرى ممراً جيداً إلى مجال الدلالة الشخصية. وبكلمات أخرى، فإن يهود أمريكيين كثر وبخاصة النخبة التي تتبرع بالمال وبالتأثير السياسي، دخلوا إلى النشاط من أجل إسرائيل بدافع اعتبارات إثنية ـ عامة، ولكنهم وجدوا فيه دلالة أيضاً في المجال الشخصي وحتى بعيداً عن ذلك، في المجال النفسي. ومن هنا توفرت لهم حياة يهودية أكثر ثراء، أكان ذلك على المستوى الشخصي أو على المستوى العائلي. ولو اضطررنا للاختيار بين «النموذج المجند» وبين «نموذج الدلالة الشخصية» لكنا قد اخترنا النموذج الأخير، ولكن من الأفضل عدم الوقوف أمام مثل هذا الخيار.

هذا ويقوم «نموذج الدلالة الشخصية» على مفهوم يرى أمامه جمهوراً من اليهود الأمريكيين الذين يقيمون علاقات شخصية قوية مع إسرائيل وإسرائيليين: يزورون إسرائيل، ويكتبون إلى أبناء عائلاتهم وإلى أصدقاء في إسرائيل، ويتحدثون معهم هاتفياً، ويتابعون الأخبار المتعلقة بإسرائيل في الصحافة اليهودية. والعامة يعرفون العبرية قليلاً، ومن شبه المؤكد يعرفون المجتمع والثقافة في إسرائيل، وليس فقط مشكلة العلاقات الإسرائيلية ـ العربية، كما أنهم يقيمون علاقة مباشرة مع أشخاص ومع أحياء في إسرائيل وليس فقط اتصالاً رسمياً مع المؤسسات، وربما كان لهم علاقات عمل وتجارة مع إسرائيل، ومن الممكن أن كثيرين منهم يحسدون اليهود الأمريكيين الذين هاجروا إلى إسرائيل، وكانوا ينظرون بإيجابية إن لم يكن بالسرور لو قام أبناؤهم بذلك.

إن علاقات من هذا النوع حتى ولو لم تكن غريبة بالنسبة إلى اليهود من أبناء الشريحة المحافظة والإصلاحية، إلا أنها مألوفة أكثر لدى أبناء الشرائح الأرثوذكسية، فمن المألوف لدى هؤلاء كأمر روتيني على سبيل المثال إرسال أبنائهم إلى إسرائيل لمدة عام بعد إكمال الدراسة الثانوية وقبل مواصلة الدراسة في الجامعة، كما أن شخصاً ما من كل عائلة أرثوذكسية استقر في إسرائيل تقريباً، ومن كل الجمهور الثابت لكل كنيس أرثوذكسي قامت بضع عائلات على الأقل بالهجرة إلى إسرائيل. ومن مثل هؤلاء اليهود الأمريكيين يمكن القول على العموم إن معظم فترة حياتهم يقضونها في الولايات المتحدة، إلا أن حياتهم النفسية الجوهرية موجودة في إسرائيل.

إن العدد الأكبر لليهود الأمريكيين الذين تشكل إسرائيل بالنسبة إليهم مصدر دلالة شخصية موجود في أوساط أصحاب الالتزام الأكبر بديانتهم اليهودية. لكن

الوجه الأكثر إثارة للانطباع لهذه الحقيقة يتمثل في استعداد هؤلاء اليهود للإسراع دون صعوبة في تقديم الدعم العلني لإسرائيل. وبكلمات أخرى، فالنموذجان ـ هذا الذي يجد تعبيره في المجال العلني، وذاك الذي يجد تعبيره في المجال الشخصي ـ لا يرفضان بعضهما بعضاً أبداً، وبالنسبة إلى أصحاب الالتزام الكبير بهويتهم اليهودية، فإن المجال الشخصي والمجال العلني لليهودية يعززان بعضهما البعض.

ومن هنا، فإن تطوير هوية صهيونية أو هوية مناصرة لإسرائيل في أوساط اليهود في المجال الشخصي، لن يكون على حساب المجال العلني الذي يعمل فيه «النموذج المجند»، كذلك يتضح أن اليهود الذين ينتمون اليوم إلى شريحة «النموذج المجند» قد يكونون المرشحين الأفضل لإقامة علاقات جديدة مع إسرائيل في المجال الشخصي.

إن نحو ١٥ في المئة من يهود أمريكا ملائم لهذين النموذجين. كما أن نحو ١٥ بالمئة من يهود أمريكا زار إسرائيل مرتين على الأقل، الأمر الذي يدل على انه لا يوجد أمامنا في هذه الحالات اهتمام عابر فقط. وربما يكون ثلثا هذه المجموعة ـ أي عشرة في المئة من يهود الولايات المتحدة تقريباً ـ مشاركاً أو كان مشاركاً بشكل نشط في تجنيد الأموال أو تجنيد الدعم السياسي لمصلحة إسرائيل، ولكن يستطيع ما مقداره خمسة بالمئة فقط من يهود أمريكا أن يعتبروا كذوي علاقة شخصية عميقة مع إسرائيل، من الصنف الذي وصفناه آنفاً.

وحسب رأينا، وفي ضوء القوة النسبية للوجود اليهودي في المجال الشخصي، وفي ضوء التأثيرات التي يعكسها الواقع الحديث لأمريكا في اتجاه الهوية اليهودية المعاصرة هناك، فإن السياسة الأجدى لإثراء العلاقة بين يهود أمريكا ودولة إسرائيل، ستكون زيادة عدد اليهود الأمريكيين الذين يستوحون من إسرائيل ومن إسرائيليين تياراً قوياً لدلالة شخصية وطيدة وإملائية. ومعنى هذا الأمر إعمال لتعزيز دلالة إسرائيل في أوساط الأشخاص المجندين اليوم لمصلحتها، وجهود لتحويل من ينطبق عليهم مصطلح «السواح» فقط لكي يقيموا علاقات أكثر جدية وشخصية مع إسرائيل.

هل يمكن لمثل هذه السياسة أن تتحقق؟ الجواب هو أن الأمر ممكن إذا ما ركزنا جهودنا على ذلك القطاع من يهود أمريكا الذي يشارك اليوم أو يظهر مشاركة في النشاط اليهودي. وهذا هو القطاع اليهودي الأمريكي الذي يبحث عن مركز للتمسك به وللاستعانة به من أجل تنمية روح يهودية تحمل معها دلالة مناسبة. وهذا هو القطاع

الذي يظهر حساسية تجاه التهديد لجذوره اليهودية، ولذا فإنه قد يستجيب لرسالة التحدي، بالدقة وبالشكل غير المهني، للقيم العمالية ولرؤية الأمور بعيون الفرد وبمرآة شخصية.

اتجاهات السياسة

إن إدخال إسرائيل إلى الوعي بهذه الطريقة ليس مهمة سهلة، ونحن لا ندّعي كما لو أننا نملك ردوداً كثيرة وجاهزة. ولكي تصبح إسرائيل مركزاً ذا دلالة شخصية بالنسبة إلى اليهود الأمريكيين، فإن هناك حاجة لكي يجد هؤلاء اهتماماً جدياً بالحياة في إسرائيل. ومن أجل ذلك فإنه من الضروري أن تكون صورة إسرائيل والإسرائيليين بشكل عام أكثر واقعية من تلك المعروفة اليوم. وفي هذا السياق، فإن السؤال الذي سيطرحه اليهود الأمريكيون على أنفسهم هو: هل الإسرائيليون معنيون حقاً بيهود أمريكا بحد ذاتهم أو فقط كمتبرعين محتملين أو كحلفاء في المجال السياسي؟

الدراسة التي استكملها منذ فترة وجيزة دانيئيل العازار تحول أنظارنا إلى اتجاه مفيد. وهي تشير إلى أن الشعب اليهودي واقع اليوم في صراع عالمي شامل بين من يطلق عليهم لقب «المهوّدين» و«المطبّعين»، وهو صراع يدور في إسرائيل وفي المهجر/الشتات في آن. ويتوجه العازار إلى كل المهوّدين بطلب توحيد جهودهم من أجل ضمان الحفاظ على الطابع اليهودي لشعب إسرائيل. ومثل هذا الحلف اليهودي يمكنه أن يشكل أساساً مشتركاً لعلاقات متبادلة نشطة بين إسرائيل والمهجر/الشتات.

إن المهوّدين الإسرائيليين سيكونون بحاجة إلى دعم المهجر/الشتات. وصفوفهم مؤلفة بالأساس من يهود مؤمنين، ومن الجوالي الشرقية بعامة، ومن العلمانيين الذين يحملون لواء مواقف قومية متطرفة. ويعاني هذا المعسكر انعدام موطئ قدم في المؤسسة الأكاديمية، أو الثقافية، أو الصناعية، أو الإدارية، ومن حقيقة كونه قائماً فقط في جزء من النسيج السياسي في اليمين (وأولئك المتماثلين مع حركة «ميماد» (حركة دينية معتدلة الذين يشكلون استثناءً واضحاً من هذا التعريف الجارف، وهذا هو الحكم أيضاً بالنسبة إلى المجموعات الصغيرة المتمثلة بالتقليديين والإصلاحيين)، وهذا المعسكر يحتاج إلى دعم اليهود الاشكنازيين من ذوي المقاربات المعتدلة الذين لم يشاركوا بعد في هذا الصراع.

إن تجنيد يهود المهجر/الشتات لهذه المعركة، وبخاصة يهود أمريكيين، سوف

يساعد في اجتذاب هؤلاء اليهود الاشكناز المعتدلين إليها. ومن جهة أخرى يوجد للإسرائيليين مصلحة حيوية في منع حدوث انجراف في حياة اليهود في أمريكا، كنتيجة لتسلط «المُطّبعين» والمكتفين بالقليل، على الجالية هناك.

وإلى ذلك: هناك حاجة للمُهوِّدين في الولايات المتحدة وفي إسرائيل للمساعدة المتبادلة من أجل بلورة أنماط جاذبة وذات صدقية وثابتة في وضوحها، بقوة العيش اليهودي (نمط أرثوذكسي حديث، محافظ/تقليدي، إصلاحي، أو حتى نمط من اليهودية العلمانية). والمعركة من أجل يهودية عصرية ينبغي إدارتها ضد «المُطبّعين» في إسرائيل الراغبين في «تحرير» إسرائيل ودولة إسرائيل من طابعها اليهودي، كما يتطلع «المُطبّعون» في الولايات المتحدة إلى منح الديانة اليهودية هناك طابعاً عالمياً وشخصياً، من طريق فصلها عن مكوناتها الإثنية وعن تقاليدها العبادية.

إن العلاقات التي ستُنمّى في سياق هذا الصراع ستقتضي ـ بالضرورة ـ مشاركة جيدة في الساحة الشخصية أو في الساحة العلنية على حد سواء. وسوف تمنح المعركة لإسرائيل وللمهجر/الشتات مكوّناً آخر من الدلالة بالنسبة إلى الهوية الشخصية للمشاركين فيها، وبالنسبة إلى التزاماتهم العلنية. ومثل هذا الصراع المشترك سيوفر إطاراً مفهومياً لأعمال مشتركة كهذه أو تلك، والى تنمية علاقات وروابط بين يهود إسرائيل والمهجر/الشتات.

وربما كان ممكناً بلورة أطر إضافية لعمليات أخرى للغاية العامة نفسها. ويتوجب علينا العثور على موضوعات لنضالات يهودية أخرى، يمكن فيها ليهود بلد واحد أن يساعدوا يهود بلد آخر من طريق حشد للقدرات: أخلاقي، ورمزي، وسياسي، ومالي. ويمكن التفكير في هذا السياق بموضوعات مثل مشاكل البيئة، ومكانة المرأة، وحقوق المواطن، والديمقراطية، وحقوق المستهلكين، حتى لو كان المشاركون في مثل هذه الصراعات قلائل، ولكن شرط أن يوجد بينهم أشخاص من ذوي المكانة الثقافية الراقية يسيرون متكاتفين من كلا البلدين. ويهود أمريكا وإسرائيل مدعوّون لأن يتقبلوا بالترحيب مشاركة إخوانهم في النضالات، في إسرائيل والولايات المتحدة.

إن اليهود المحافظين على الفرائض الدينية في العالم كله هم طلائعيو دفع الحلم الذي بلوروه لأنفسهم من أجل إسرائيل، وروّاد الجهد لتحقيق الغايات والحملات المرغوب فيها لجواليهم ولمؤسساتهم. وهم أيضاً يظهرون، كما نعتقد، مشاركة شخصية في إسرائيل على أوسع نطاق. وهناك علاقة بين هاتين الظاهرتين. وحسناً يفعل يهود مهاجر أخرى وإسرائيليون أيضاً إذا ما تبنوا لأنفسهم النموذج الأرثوذكسي، ليس من

ناحية المضمون ـ بالطبع ـ وإنما من ناحية الشكل (مقاربة عرض وأوحي بها لأول مرة في الدراسة التي أعدها كوهين ب ـ ١٩٩٠). ويتوجب عليهم أخذ الحرية لأنفسهم، والعمل من أجل تحقيق حلمهم المعيّن، من أجل إسرائيل والديانة اليهودية، وفق الأيديولوجية التي توجههم، أياً كان موقعهم.

إن تطوير وتنمية روابط وعلاقات ثقافية وثيقة، ذات دلالة وصلبة، بين إسرائيل ويهود أمريكا، وبنظرة أوسع بين إسرائيل والمهجر/ الشتات، هو غاية صعبة التحقيق جداً. ولكن نحن مقتنعون بأن بناء علاقات كهذه، أو ربما حتى مجرد التفتيش عن طرق ناجعة لهذا الغرض، هي أمور تستحق أفضلية قومية عالية في جدول الأعمال الإسرائيلي من أجل القرن الحادي والعشرين، وينبغي عليها أن تشكل مكوناً حيوياً في خطة عمل الحركة الصهيونية اليوم.

اقتصـــاد

يهـود المهجـر/الشتـات ودولـة إسرائيـل: آليـــة علاقات اقتصادية وأفكار نحو سنوات الألفين

يهودا دون

في المنظومة المعقدة والمتعددة الوجوه لعلاقات إسرائيل كدولة يهودية مع المهجر/الشتات اليهودي في بلدان العالم، لا تحتل العلاقات الاقتصادية مركز الاهتمام. وربما كانت الأسئلة والتخبطات التي تعود في مصدرها إلى «الروح» أهم من تلك التي تعود في مصدرها إلى «المادة». فقضايا مسائل مثل الهوية اليهودية، والتربية اليهودية، والتضامن اليهودي، وتنمية محبة إسرائيل، أهم في الحوار القائم بين إسرائيل ويهود المهجر/الشتات من القضايا الاقتصادية. وعلى الرغم من ذلك، فإن المسائل الاقتصادية متداخلة بصورة غير مباشرة، بل ربما أيضاً بصورة مباشرة في تلك المجالات التي يطلق عليها اسم «المجالات الروحية». وتعالج هذه الوثيقة عدداً من الأوجه الاقتصادية المتعلقة بعلاقات إسرائيل والمهجر/الشتات، وهي وثيقة قائمة على التجربة في الأساس، وتتناول فحص المعطيات الكمية وانعكاساتها.

وكذلك أيضاً، فإن معظم الاستنتاجات الواردة في هذه الدراسة هي بطبيعة الحال تقديرات ما تزال بحاجة إلى فحص ومراقبة منهجيين. وتشير هذه التقديرات حصراً إلى اتجاهات طريق للمستقبل المنظور في نصف اليوبيل الذي يقودنا إلى داخل القرن الحادي والعشرين.

وهناك ثلاثة عوامل أساس تؤثر في اتجاهات التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي في علاقات إسرائيل ويهود المهجر/الشتات في سنوات الجيل المقبل:

١ ـ التحولات التكنولوجية في العالم وانعكاساتها على سوق العمل وعلى نمط

حياة البشر، يهوداً وغير يهود على حد سواء، في إسرائيل وفي كل مكان آخر[1].

٢ ـ ردود الفعل المتوقعة للإنسان اليهودي على هذه التطورات، لناحية فحص المشاركة الاجتماعية - الاقتصادية التي تقتضيها هذه التحولات، وانعكاسات ردود الفعل هذه على علاقات الفرد اليهودي مع جاليته ومع الشعب اليهودي بشكل عام[2].

٣ ـ ردود الفعل المتوقعة لدولة إسرائيل، وفي داخلها المرافق الاقتصادية الإسرائيلية والمجتمع الإسرائيلي، على التحولات التكنولوجية العالمية، وتأثير ردود فعل إسرائيل هذه في علاقاتها مع يهود المهجر/ الشتات.

في هذه الدراسة نطلّ على العملية كلها كمكونة من منظومات عوامل خارجية وردود فعل داخلية. والعوامل الخارجية واسعة النطاق وعالمية، وسوف تهبط على الإنسان في إسرائيل، وعلى الإنسان اليهودي في العالم، دون أن يكون لها أي تأثير على الظاهر بالذات، وردود فعل الناس على هذه العمليات الخارجية هي بطبيعة الحال، ردود فعل داخلية. كما أن ردود الفعل هذه ستكون ذات تأثير في علاقات الإنسان اليهودي مع الأطر الإثنية ـ الجوالية المرتبط بها. وبالطبع فإنه لا يوجد للأطر الجوالية أي تأثير في التحولات الخارجية بالذات أو في قوتها، لكن ردود فعل الفرد اليهودي على هذه التحولات، في المجالات ذات الصلة بعلاقات الفرد ـ الجالية، تتأثر من الخطوات المتخذة من جانب الجالية. هذا أو أكثر، ومع أن التحولات العالمية ذاتها تنزل أيضاً على دولة إسرائيل، دون أن يكون لها خيارات كثيرة لتوجيه وشق مجرد تغلغلها إلى المرافق الاقتصادية والى المجتمع، فإن مجالات القيم اليهودية والقيم الإنسانية الشاملة، وكذلك العلاقات مع يهود المهجر/ الشتات، تعتبر جميعها متغيرات داخلية لسياسة إرادية، قابلة للتوجيه وفقاً لأواليات السلطات السياسية والأيديولوجية. والحال هكذا، فإننا نقف أمام منظومة عوامل خارجية، ليس للفرد اليهودي، ولا للجوالي اليهودية، ولا حتى لدولة إسرائيل، تأثير في مجرياتها. ولكن، ردود الفعل لاستنفار هذه المتغيرات الخارجية، في كل ما يتعلق بعلاقات الفرد ـ الجالية في مهاجر الشتات، والعلاقات بين الجوالي اليهودية ودولة إسرائيل،

---

(١) مقالة قصيرة ومركزة تحلل الدلالات الاجتماعية والسياسية للتحولات التكنولوجية، وبخاصة في مجال الاتصالات، وهو بقلم البروفيسور إيان إنجيل (Ian Angel). انظر: Ian Angel, «Winners and Losers in the Information Age,» *LSE Magazine*, vol. 7, no. 1 (1955), pp. 10-12.

(٢) تأثير التحولات التكنولوجية على الجوالي اليهودية في شمال أمريكا تم استعراضها في العام ١٩٧٦ من جانب دانيئيل العازار رغم أن التكنولوجيات التي جرى الحديث عنها آنذاك كانت الهاتف المستخدم بين القارات، والطائرة النفاثة، وسيارة لكل عائلة، انظر: «الجمهور اليهودي في محيطه،» **تفوتسوت سرائيل** (نيسان/ أبريل ـ حزيران/ يونيو ١٩٧٦)، ص ٧٠-٧٣.

هي ردود فعل مفتوحة أمام تأثيرات الآراء والرغبات والتربية.

١ ـ التحولات التكنولوجية

الثورة التكنولوجية التي شهدها العالم في العقود الأخيرة سوف تتواصل بصورة أشد في مطلع القرن الحادي والعشرين. وستتمثل المظاهر الرئيسة لهذه الثورة في التغلغل المتصاعد للحاسوب وأدوات الاتصال الإلكترونية إلى كل نطق الإنتاج والاستهلاك، وستكون النتيجة الفورية هي الزيادة الدراماتيكية في نجاعة الإنتاج في معظم فروع الصناعة والخدمات. كما ستكون الزيادة في نجاعة الإنتاج أسرع من الزيادة في وتيرة استهلاك منتجات معظم فروع الإنتاج.

ودلالة هذه الفجوة بين القدرة على الإنتاج وبين الاستعداد لاستهلاك ما يجري إنتاجه، ستكون الحاجة إلى إعادة تنظيم بنية العمالة في المجتمع الغربي الصناعي. والتعبيرات لعملية إعادة التنظيم هذه ستكون:

١ ـ انخفاض إضافي ولكن ليس شديداً في نسبة العاملين في الزراعة. ويؤمن الفرع الزراعي اليوم في البلدان المتطورة العمل لنسبة قليلة وآخذة بالتناقص من قوة العمل. وهذه النسبة ستواصل الانخفاض وستصل إلى ما يتراوح بين ٢ ـ ٢,٥ من قوة العمل، وبذلك تستكمل عملية تحويل القرية الزراعية إلى ظاهرة هامشية في التجزؤ المجالي للسكان.

٢ ـ إن الزيادة في نجاعة الإنتاج الصناعي سوف تقود الصناعة إلى مسار مماثل لذلك المسار الذي اجتازته الزراعة في الأعوام المئة الأخيرة، إلا أن أمد هذه العملية سيكون أسرع بكثير. ولقد بدأ منذ الآن في بلدان الغرب المتطورة انخفاض في نسبة العاملين في الصناعة[٣]، ونسبة العاملين في الصناعة، وفي النشاطات المسماة «الياقة الزرقاء» سوف تتناقص في المستقبل وستصل إلى مستوى خمسة حتى ستة بالمئة من مجموع العاملين. وكنتيجة لذلك ستلفظ الصناعة أعداداً كبيرة من العمال في المستويات المهنية المتوسطة والمنخفضة، وعلى الرغم من الانخفاض في عدد ساعات العمل الأسبوعية في المصانع، ستنشأ مشكلة صعبة تتمثل في انتشار البطالة في أوساط عمال المصانع في كل العالم الغربي. والزيادة في الطلب على منتجات وخدمات أوقات الفراغ لن توازن فقدان أماكن العمل في الصناعة.

---

(٣) من ضمن ١٩ دولة تقع في مجموعة الدول المتقدمة، حسب تصنيف البنك الدولي، وردت تقارير تشير إلى انخفاض في نسبة العاملين في الصناعة ضمن ١٥ دولة في السنوات ١٩٦٥-١٩٨٧. انظر: *World Development Report* ([New York]: Oxford University Press, 1987), p. 265.

٣ ـ سوف يكون هناك أيضاً انخفاض في نسبة العاملين في سلسلة طويلة من الخدمات التي ستؤدي التحسينات التكنولوجية فيها إلى زيادة النجاعة وزيادة المنتوج أكثر من الزيادة على طلب هذه الخدمات. ويدخل إلى هذه المجموعة مهن مثل: مدراء الحسابات، والعاملون في المحال التجارية، والعاملون في خدمات المواصلات، وفي الخدمات البريدية ونحو ذلك. وهذه القطاعات أيضاً سوف تستغني عن عمال كثيرين، وعن أصحاب مهارات قديمة ممن سيحاولون أن يستوعبوا في فروع يتوقع أن يزداد الطلب فيها على قوة العمل، أو سينضمون إلى المخزون المتزايد من العاطلين من العمل.

٤ ـ الفروع التي يتوقع حصول زيادات فيها على الطلب للعاملين، بعيداً عن كل مجموعة الاشتغال في المجالات التكنولوجية المتقدمة للاتصالات، وأعمال «الروبوت»، وتخطيط وتطوير استعمال الحاسبات والتجهيز بالآلات الحديثة ونحو ذلك، هي المهن الطبية، وشبه الطبية المساعدة، وخدمات الإغاثة لقطاعات السكان الضعيفة، والخدمات المالية، والمهن المتعلقة بثقافة أوقات الفراغ، وكذلك في مجالات ثقافية المختلفة، وفي الفنون وفي فروع التعليم. وستكون أجواء الأعمال الذي ستحصل فيها هذه العمليات التكنولوجية متسمة بالمنافسة الشديدة، أكان ذلك على المستوى القومي، أو على المستوى الدولي. وسيكون المقياس الحاد للنجاح هو النجاعة وقدرة المنافسة. وستكون الأداة الذهنية الحاسمة التي تضمن النجاعة التفكير العقلاني الذي يركز كل الموارد في حسابات الحد الأقصى المتجردة والعديمة العواطف في سبيل إحراز غايات الإنتاج التي هي الأرباح القصوى على المدى الطويل للشركة المنتجة.

وفي هذه الأطر، فإن الشركات الناجحة سوف تكبر على حساب الشركات الأقل نجاحاً، في سياق استغلال التكنولوجيات الحديثة، لتوسيع حدود مزايا الحجم، وتقليص التأثير السلبي لمساوئ الحجم. وإن التحسن الدراماتيكي في وسائل الاتصالات ونشر المعلومات، والأجهزة الحديثة مثل الإنترنت (Internet) وC.D.Rom، والتلفزيون ذي التأثير المتبادل ونحو ذلك، سوف يؤدي إلى طمس آخر للفوارق بين الشعوب والأمم في العالم المتطور. وما يدعى بـ «جادة المعلومات» سيعاظم الشبه في الأنماط والمذاقات وأنماط الاستهلاك، وأنماط استهلاك النتاج الثقافي لدى شعوب العالم المتطور. وسيستفيد العامل المهني وكذلك رأس المال من حركية أكبر من تلك الممنوحة لهما اليوم، بحيث يتحركون دون قيود داخل حدود جمركية واسعة، تتجاوز حتى الاتحاد الأوروبي واتحاد شمال أمريكا (NAFTA). كما ستنشأ هيئات اقتصادية إقليمية، وفوق قومية أخرى، وستسود في داخلها حرية حركة للعمل المهني ولرأس المال.

وهذه العمليات التي تجعل بلدان العالم المتطور شبيهة ببعضها البعض في مسالكها وعاداتها وسلوكها، وتخلق ما يشبه القرية العالمية (Global Village)، ستؤدي إلى ارتفاع في مستوى الحياة المادي، أقيس كناتج محلي للفرد، أو كمقياس متوسط للرفاه، يأخذ في حسابه، بعيداً من الناتج المحلي المقاس، عوامل أخرى مثل كمية الجهود الموظفة في إنتاج المنتوج، وكذلك متغيرات بيئية مهمة (ربما للمدى القصير فقط) لتحسين نوعية الحياة. وهذه هي بعض التحولات التكنولوجية التي شهدها عالمنا، ويتحمَّل انعكاساتها الاجتماعية ـ الاقتصادية نحو العشرينيات من القرن الحادي والعشرين. ومن المهم التأكيد أن هذه العمليات تعود كلها إلى أقطار العالم المتطور الذي رغم أن حدوده آخذه بالاتساع، إلا أنها لا تشمل اليوم أكثر من ثلث سكان الكرة الأرضية.

٢ ـ التأثيرات المتوقعة في العالم اليهودي

كيف تؤثر هذه التحولات في يهود مهاجر الشتات، وفي نظرة هؤلاء اليهود إلى هويتهم اليهودية، وفي روابطهم مع دولة إسرائيل؟

ونوضح هنا أنه خلافاً لتقسيم سكان العالم بين بلدان متطورة وفقيرة، فإن أكثر من تسعين في المئة من يهود مهاجر الشتات يعيشون اليوم في البلدان المتطورة أو نصف المتطورة، ومكشوفون لتأثير العمليات التي وصفت أعلاه. وتوجد في أيامنا أربعة تجمعات جغرافية ـ اقتصادية يهودية في مهاجر الشتات، يعيش داخلها اليوم نحو (٨,٧) مليون يهودي[٤]. وهذه التجمعات هي:

١ ـ العالم الرأسمالي المتطور مع ٨١,٨ بالمئة من مجموع يهود مهاجر الشتات.

٢ ـ أمريكا اللاتينية مع ٥,٠ بالمئة من مجموع يهود مهاجر الشتات.

٣ ـ شرق أوروبا والاتحاد السوفياتي سابقاً مع ١١,٢ بالمئة من مجموع يهود مهاجر الشتات.

٤ ـ البلدان الإسلامية مع ٢,٠ بالمئة من مجموع يهود مهاجر الشتات.

المجموع الكلي = ١٠٠,٠ بالمئة.

---

(٤) «Sociodemographic Surveys of World Jewry in the 1990s: Aims, Techniques, Implications,» paper presented at: *Papers in Jewish Demography, 1989: Proceedings of the Demographic Sessions Held at the 9th World Congress of Jewish Studies, Jerusalem, August 1989*, Edited by U. O. Schmelz and S. DellaPergola, Jewish Population Studies; no. 25 (Jerusalem: Hebrew University, 1993), pp. 18-20.

١ ـ اليهود في العالم الرأسمالي المتطور، أي أولئك الذين يعيشون في الولايات المتحدة، وكندا، وغرب أوروبا، وأوقيانيا وحتى جنوب أفريقيا كانوا وسيظلون أيضاً في المستقبل، في مقدمة من يتعرضون لجميع تلك العمليات الاجتماعية ـ الاقتصادية التي حولت المجتمع الغربي إلى مجتمع أكثر انفتاحاً، وأكثر توحداً وأكثر كوسموبوليتية من بقية أجزاء العالم. والقضم التدريجي الذي طرأ على العوائق القومية ـ التاريخية، بهدف خفض الحواجز بين الشعوب والدول، من أجل مصالح اقتصادية مشتركة، ساعد وما يزال يساعد اليهود في بلدان كثيرة في الغرب، للقيام بما يشبه العامل المحفز في التبشير بالأمر المشترك، بعيداً عن الفوارق القومية والإثنية الآخذة بالانطماس تدريجياً بين الأمم[٥]، وقوة التضامن الجوالي اليهودي في بلدان الغرب ترتبط بشكل عام بالحجم العددي للجوالي وبمدة بقائها في أماكن إقامتها. وكقاعدة عامة نزعم بالنسبة إلى يهود الغرب أن هناك مُعاملاً إيجابياً بين عدد الأشخاص المنظمين في الجالية وبين مستوى الالتزام بالموضوعات اليهودية[٦]. ومن جهة أخرى سنتوقع مُعاملاً سلبياً بين ذلك الالتزام وبين المدة الزمنية التي تقيم فيها الجالية في مكان إقامتها[٧]. وفي الولايات المتحدة وفي معظم الجوالي الصغيرة والمتوسطة يصل الآن إلى سن البلوغ أبناء الجيل الرابع من المهاجرين. وبالفعل فإن التزام أبناء هذا الجيل لجواليهم هو التزام أضعف بعامة من ذلك الالتزام في جوالي مماثلة في كندا أو

---

(٥) الخط المميز العام هو خمود القيم الدينية والقومية إزاء اتجاهات السعي لتحقيق غايات ورغبات شخصية. وهذه الحقيقة مؤكدة في الاستطلاع الكبير ليهود غرب أوروبا المعاصرين.

«Wherever the Data Can be Analyzed by Age Groups or Compared with Similar Earlier Observations, a Conclusion of Ongoing Erosion in Religious and National Values is Inexcapable. At the Same Time Younger Cohorts put more Emphasis on... Achieving Personal Goals.

انظر: «Jews in the European Community: Sociodemographic Trends and Challenges,»in: *American Jewish Year Book* (New York: American Jewish Committee, 1993), vol. 93, p. 55.

هذه عملية عالمية. وهي تثير سخط أوساط يمينية في أوروبا، وتتحول إلى ذريعة لكراهية اليهود المتهمين بتدمير الخاصية القومية ـ الإثنية للدولة. وهذا الأمر معبر عنه جيداً في مقالة بيار بيرنباوم (Pierre Birnbaum) حيث يقول: «They (the Jews) must Primarily Fear... the Extremist Movements which are Still Determined to Reconstruct Cultural or Ethnic Foundations».

انظر: «Public and Private Violance Against Jews and Other Minorities in France,» *Sociological Papers*, vol. 4, no. 2 (1995), p. 10.

(٦) هذه الحقيقة سبق أن تم توقعها من جانب آرثر روبين في مطلع الثلاثينيات حيث أدرك وجود ميول لدى اليهود في غرب ووسط أوروبا للتركز في المدن الكبيرة وبخاصة في العواصم. انظر: Arthur Ruppin, *The Jews in the Modern World* (London: Macmillan, 1934), pp. 36-38.

(٧) هذه القاعدة صحيحة بالنسبة إلى الجوالي اليهودية في بلدان الغرب فقط. هذه الحقيقة أشير إليها من جانب ت. درنيش في: ت. درنيش، **يهود العراق في الاقتصاد** ([د. م.]: جامعة بار ـ ايلان، ١٩٨٧)، ص ١٦.

في استراليا، حيث يدخل فيها إلى سن البلوغ أبناء الجيل الثالث من المهاجرين[٨].
وغالبية السكان اليهود في جميع بلدان الغرب مكشوفة لعمليات اندماج متسارعة.

وفي المقابل، فإننا نشهد استمرار التناقص الديمغرافي بسبب عمليات قلة الولادة والشيخوخة. ورغم ذلك، وربما لهذا السبب بالذات، فإن الجوالي اليهودية في الغرب هي التي يتوجب أن تكون الساحة الرئيسة للجهود التنظيمية ـ التربوية لتشجيع التضامن اليهودي، في عالم لم يعد فيه التضامن الشخصي أمراً شائعاً. واستناداً إلى تقديرات حذرة فإن عدد يهود الغرب في العام ٢٠٢٠، دون حركة هجرة مكثفة إلى إسرائيل، سوف يتراوح ما بين ٦-٦,٥ مليون نسمة، متوقفاً على الفرضيات الخاصة بنسبة الاندماج. وبمصطلحات مطلقة فهذا الرقم يعني انخفاضاً بنحو ٨٠٠,٠٠٠ إلى ١,٣٥٠,٠٠٠ نسمة من خلال السنوات الخمس والعشرين المقبلة، وهذا يعني انخفاضاً بنسبة ٠,٥ بالمئة حتى ٠,٨ بالمئة سنوياً[٩]. والبنية المهنية لهذه المجموعة السكانية اليهودية ستكون مماثلة لبنية عموم السكان. وسبق وأشار كوزنتس (Kuznets) في دراسته الكبيرة[١٠] إلى أنه كلما زاد الشبه في بنية العمالة بين الأقلية اليهودية وبين أكثرية السكان، قل الإدراك والاهتمام بموضوعات محددة إثنية ـ دينية في أوساط اليهود[١١]، ولذا فبالنسبة لمن يعالج اليوم موضوع يهود الغرب، فإن الموضوع الأكثر صلة هنا هو تنمية التضامن اليهودي في أوساط الجيل الجديد، رغم انكشافه للرياح الكوسموبوليتانية القوية التي تهب في هذه البلدان.

---

(٨) نسبة المهاجرين من مجموع اليهود التي تدل على مدى قدم الجالية في موطن إقامتها يبرز الفارق الكبير بين يهود كندا ويهود الولايات المتحدة في هذا المجال. وفقاً لدراسة Calvin Goldscheider في العام ١٩٩٠ فإن ٢ بالمئة فقط من أفراد عيّنته وُلد خارج الولايات المتحدة. انظر: Calvin Goldscheider, «Century of Jewish Fertility in an American Community: Cohort Trends and Differentials,» paper presented at: *Papers in Jewish Demography, 1989: Proceedings of the Demographic Sessions Held at the 9th World Congress of Jewish Studies, Jerusalem, August 1989*, p. 134.

ومن الناحية الثانية، أظهر الإحصاء الكندي للعام ١٩٩١ أن ٣٣,٨ بالمئة من مجموع يهود كندا كانوا «مهاجرين». انظر: Leo Davis, «Jewish Age and Family Trends in Contemporary Canada,» *Sociological Papers*, vol. 3 (1994), p. 14.

(٩) الأرقام تستند إلى معطيات بروفيسور ديله بيرغولا في نيسان/ أبريل ١٩٩٥.

(١٠) انظر: S. Kuznets, «Economic Structure and Life of the Jews,» in: Louis Finkelstein, *The Jews: Their History, Culture, and Religion*, 2 vols., 3rd ed. (New York: Harper, 1960), vol. 2, pp. 1597-1666.

(١١) انظر: Yehuda Don, «Patterns of Jewish Economic Behavior in Central Europe in the Twentieth Century,» in: Yehuda Don and Victor Karady, eds., *A Social and Economic History of Central European Jewry* (New Brunswick: Transaction Publishers, 1990), p. 149.

وكما قلنا، فإن تعاظم قوة عمليات اندماج اليهود في اقتصاد البلدان التي يقيمون فيها أثر سلباً في اتجاه خفض التزامهم الجماعي إزاء معظم الموضوعات اليهودية. وهناك تطور موازٍ يعمل في الاتجاه نفسه وهو عملية إقالة الضواحي عبر انتقال يهود (أي الانتقال من مراكز المدن باتجاه الضواحي السكنية الخضراء الواقعة خارج المدينة)، من أبناء الطبقة المتوسطة، وتوزعهم على مسافات كبيرة بعيداً من مراكز المدن. وتبعد عملية الانتقال هذه مكان السكن عن البيئة اليهودية، وهي بذلك تبعد العائلة اليهودية بعداً طبيعياً عن مؤسسات الجالية، التربوية والثقافية والدينية، التي تقع بعامة داخل مراكز المدن[١٢]. وتأتي هذه العوامل إضافة إلى تكاثر (حتى الثلثين وأكثر) الزيجات المختلطة، وسلوك ديمغرافي يعادل الصفر، وحتى الزيادة السلبية للسكان اليهود[١٣]. وكل هذه الظواهر يرسم صورة صعبة لواقع الجوالي لدى يهود الغرب في الجيل المقبل، مع الاستعداد المتناقص للالتزام اليهودي، بما في ذلك الالتزام تجاه إسرائيل.

٢ ـ الفارق الأساس بين يهود الغرب ويهود أمريكا اللاتينية، وهم الـ ٤٣٠ ألف يهودي الذين يعيشون في بلدان أمريكا الناطقة بالإسبانية والبرتغالية، هو أن هؤلاء متخلفون طوراً واحداً عن يهود الغرب. وهذا الوضع ربما كان يميز أمريكا اللاتينية نفسها، الكائنة هي أيضاً من ناحية التطور الاقتصادي والنظام السياسي، في حالة تخلف وراء غرب أوروبا وشمال أمريكا وأوقيانيا[١٤]. وكل الاتجاهات الاجتماعية ـ

(١٢) قبل عشرين سنة وصف دانيئيل العازار تأثير ظاهرة الانتقال للإقامة في الضواحي على الجالية اليهودية بقوله: «فقط في أحيان متباعدة يكون اليهود على مسافة قصيرة من بعضهم البعض ومن مؤسساتهم، وهذا الأمر غيّر في الوقت نفسه طابع المحافظة على الفرائض الدينية والأنماط الاجتماعية للانتماء اليهودي». انظر: «الجمهور اليهودي في محطيه،» ص ٧٢.

(١٣) إن فكرة «النمو السكاني الصفر» وتطبيقها في أوساط جوالي إسرائيل (اليهود) في الغرب من خلال إحساس «ماكرو ـ إنساني» بمسؤولية الشعب اليهودي إزاء خطر الانفجار السكاني على وجه الكرة الأرضية، حتى لو كان ذلك بثمن الفناء الديمغرافي للشعب اليهودي، عرضه أ. بن زئيف، حاخام جالية يهودية في شمال شرق الولايات المتحدة. انظر: ««النمو السكاني الصفر» ـ المشكلة اليهودية،» **تفوتسوت سرائيل** (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦ ـ آذار/ مارس ١٩٨٧)، ص ١٣٧-١٤٣. عملياً، في معظم الجوالي اليهودية يشكل «النمو السكاني الصفر» أملاً جيداً ربما للحاخامين لأن عدد المواليد في أوساط اليهود يقل عن عدد الوفيات، والنمو السلبي للسكان اليهود أصبح حقيقة ديمغرافية منذ سنوات جيل. انظر: «World Jewish Population, 1991,» in: *American Jewish Year Book*, pp. 433-434.

(١٤) من ناحية الناتج المحلي للفرد وصل في دول أمريكا الجنوبية والوسطى في العام ١٩٩٠ إلى ٢١٨٠ دولاراً سنوياً في مقابل ١٩٥٩٠ دولاراً في المتوسط سنوياً في الاقتصاديات الغنية (High Income Economies). كذلك فقد وصل متوسط الأعمار في تلك السنة إلى ٦٨ سنة في أمريكا الجنوبية والوسطى، في مقابل ٧٨ سنة في الدول الغنية، وهذه المعطيات مأخوذة عن: A. P. Thirlwall, *Growth and Development, with Special Reference to Developing Economies*, 5th ed. (London: [n. pb.], 1994), p. 17.

الاقتصادية موجودة ولكن بمستوى أقل تطوراً مما هو عليه الوضع في الغرب. ومن ناحية مكانة اليهود تجاه أغلبية السكان، فقد بقوا حتى اليوم أقلية[١٥]، كذلك فإن درجة مشاركة اليهود في البنية المهنية لاقتصاديات هذه الدول ما تزال بعيدة عنها في الغرب[١٦]. كذلك فإن غالبية سمات الاندماج التربوي والثقافي متأخرة أيضاً عن الغرب. وهذا هو الحكم أيضاً بخصوص نسبة الزواج المختلط ومعدل التكاثر الطبيعي[١٧]. وكذلك من ناحية قوة العلاقات بين الفرد اليهودي وبين المؤسسات اليهودية، بما في ذلك المؤسسات التعليمية، فإن غالبية يهود أمريكا الجنوبية والوسطى لديهم مستويات التزام أعلى من تلك الموجودة في بلدان الغرب المتطور[١٨]، ولكن، فإن تقدم الحداثة في هذه البلدان، وتغلغل التكنولوجيات الحديثة إلى شرائح سكانية أوسع، إلى جانب توطّد مكانة طبقة وسطى ستنمو من وسط السكان المحليين، سوف يؤدي إلى معاظمة الاتجاهات الغربية في أمريكا اللاتينية أيضاً، وسيشمل هذا أيضاً مسألة علاقات اليهود المحليين مع مؤسسات جواليهم ومع السكان بعامة.

٣ ـ وظاهرة اجتماعية ـ اقتصادية مثيرة بخاصة هي الجماعات اليهودية في بلدان عاشت ثلاثة أجيال (بلدان الاتحاد السوفياتي باستثناء بلدان البلطيق، مولدافيا وأقاليم أوكرانيا الغربية)[١٩] أو جيلين (بقية بلدان أوروبا الشرقية) تحت حكم الأنظمة الشيوعية. ولغرض موضوعنا يجدر بنا التمييز في هذا الجزء من العالم بين

---

(١٥) هذا الرأي الذي طرح في مؤتمر للخبراء في شؤون يهود أمريكا اللاتينية انعقد في العام ١٩٧٢ وما زال نافذ المفعول حتى اليوم، انظر: *Experts Conference on Latin America* (London: [n. pb.], 1973), p. 126.

(١٦) لرؤية نموذج على نوعية الاندماج الاقتصادي لليهود في دولة صغيرة في أمريكا الجنوبية، انظر الدراسة التالية: Yehuda Don and Tikva Lecker - Darvish, «Demographic and Economic Profile of the Jewish Community in Quito Ecuador,» paper presented at: *Papers in Jewish Demography, 1989: Proceedings of the Demographic Sessions Held at the 9th World Congress of Jewish Studies, Jerusalem, August 1989*, pp. 224-232.

(١٧) لعرض موسع للتطورات الديمغرافية في أوساط يهود أمريكا اللاتينية، انظر: U. O. Schmelz and Sergio DellaPergola, «The Demography of Latin America Jewry,» in: *American Jewish Year Book* (New York: American Jewish Committee, 1985), vol. 85, pp. 51-102.

(١٨) حول وضع العلاقات بين يهود أمريكا اللاتينية وبين المؤسسات اليهودية هناك، انظر: J. Laikin Elkin, «Latin American Jewry Today,» in: Ibid., pp. 3-49.

(١٩) لقد وجدت بالفعل فوارق عميقة بين الجوالي اليهودية التي ضمت إلى النظام الشيوعي منذ ١٩٣٩-١٩٤٠ فقط، وبين تلك التي عاشت تحت حكم هذا النظام منذ نهاية الحرب العالمية الأولى. ويظهر التعبير عن هذا الفرق في عدد اليهود الذين صرحوا في العام ١٩٨٩ بأن لغة الايديش هي اللغة الأم بالنسبة إليهم. أما في المدن الكبيرة للأقاليم التي ضمت عام ٣٩-١٩٤٠ فكانت نسبة هؤلاء تتراوح بين ٣٧ بالمئة (في فيلنا) وبين ٢٢ بالمئة (في كيشينيف وريغا) في مقابل ٥ بالمئة في مدن الاتحاد السوفياتي من ١٩١٧-١٩١٨ (موسكو، كييف ومينسك). انظر: Z. Gitelman, «Eastern Europe,» in: *American Jewish Year Book* (1993), p. 304.

ثلاث مجموعات مختلفة في جوهرها من الجوالي اليهودية. وهذه المجموعات مختلفة، أكان ذلك من ناحية وضعها الاجتماعي والاقتصادي، أو من ناحية جذور نموها، أو من ناحية فترة انفصالها عن الهيئات النشطة للجوالي اليهودية في العالم:

- يهود الاتحاد السوفياتي الأوروبي سابقاً الذين بلغ عددهم في العام ١٩٩١ نحو ثمانمئة وسبعين ألف نسمة. وأكثر من تسعين في المئة منهم انفصل عن جسم الشعب اليهودي قبل نحو ثمانين سنة[٢٠]. وحتى ذلك الحين كانت هذه الجماعة اليهودية منشأً مهماً، متجذراً ومفعماً بالنشاط في أوساط يهود شرق أوروبا. وبالنسبة إليهم فإن إمكان العودة إلى أحضان اليهودية البعيدة عنهم جداً في الزمن وحتى في المدلول، هي بمثابة محاولة لإعادة بناء أسس وجود، قدرتها على الصمود في اختبارات المستقبل غير واضحة أصلاً، لا لمبعوثي اليهود هناك، ولا للزعماء الجدد لهذه الجوالي.

وفي هذه المرحلة، فإنه من الصعب التطرق بشكل ملموس إلى مسألة عمليات اندماج هذه المجموعات اليهودية، لأن مجرد بقائها المتميز - عرقياً أو دينياً أو قومياً - رغم الكفاح المنهجي والمتواصل من جانب السلطات ضد كل مظاهر الحياة اليهودية، يعد بمثابة شذوذ اجتماعي عن القاعدة. ومن المحتمل أن يكون قد وُجد في هذه البلدان مرة أخرى برهان على القوة الحافظة للكراهية لليهود، وما يبدو في هذا الوقت معقولاً هو أن هذا الجمهور قد يشكل مصدراً لهجرة يهودية مستقبلية إلى إسرائيل.

- في الأقاليم الشرقية للاتحاد السوفياتي سابقاً تعيش جوالٍ يهودية شرقية (سفارادية)، في أصلها، تعد نحو مئة وعشرين ألف نسمة. نجح معظمها على الرغم من وجود سلطة شيوعية على امتداد نحو ثمانين عاماً في هذه المناطق، بالحفاظ على الكثير من تقاليد الأجداد الخاصة في سياق صمود عنيد وفطنة كبيرة، إزاء إملاءات سلوكية للحزب الشيوعي[٢١]. وهذا هو الحكم في مجال النشاط

---

(٢٠) آرييه ترتكوبر شخّص في مطلع الستينيات نظام الاتحاد السوفياتي الذي كان أرضية وجود يهود روسيا كمكان به «رأت هذه الدولة تحقيق العدالة الاجتماعية فيه بواسطة إلغاء حرية الإنسان وإقامة نظام القوة فيه هي الوسيلة الأساس... وكأسلوب للوجود»، انظر: أ. ترتكوبر، **المجتمع اليهودي** (تل أبيب: [د. ن.]، ١٩٦٥)، ص ٣٠٤.

(٢١) في دراسة حول استيعاب يهود الاتحاد السوفياتي السابق في إسرائيل وفي الولايات المتحدة، وجد أن أكثر من ٧٥ بالمئة من الأشخاص المتحدرين من مناطق وسط آسيا وجورجيا وصفوا بيت آبائهم بأنه يهودي جداً (Strongly Jewish) بالمقارنة مع ٣٨ بالمئة من المتحدرين من أصل روسي. انظر: R. J. Simon, ed., *New Lives* (Lexington, MA; Toronto: [n. pb.], 1985), p. 57.

١٧٧٠ - ٦

الاقتصادي، ومراكمة الممتلكات الخاصة، وأنماط حياة العائلة(٢٢). وفي الآونة الأخيرة ومع انتهاء رقابة وسيطرة موسكو السياسية والاقتصادية على هذه الدول، تبين للجميع أن هذه الدول ما تزال بعيدة لمدة جيل فأكثر عن مستوى التطور والحداثة، ليس فقط في التكنولوجيا الصناعية، وإنما أيضاً في العمليات الاجتماعية التي تميز بلدان الغرب(٢٣). وبطبيعة الحال، فإن الجوالي اليهودية في هذه البلدان تعكس الواقع الاقتصادي والاجتماعي للبلدان التي يقيمون فيها، والعلاقات المتبادلة بين اليهود وجواليهم وبين غالبية السكان والسلطات لا تختلف جوهرياً عن هذه العلاقات المتبادلة في بلدان إسلامية أخرى لم تكن خاضعة لمدة ثلاثة أجيال لنظام شيوعي. وأخطار الذوبان داخل الغالبية، في سياق الابتعاد عن الجالية، بعيدة أكثر في هذه البلدان عما هو الأمر في أوساط التجمعات اليهودية في الجمهوريات الأوروبية لرابطة الدول المستقلة.

وهذا هو الحكم أيضاً بالنسبة إلى نسب الزواج المختلط(٢٤). كما أن خطر التناقص الديمغرافي نتيجة لنسب تكاثر طبيعي سلبية أقل لدى هذه الجوالي(٢٥). والأهم من ذلك كله هو أن هذا الجمهور اليهودي يشكل مصدراً مهماً للهجرة إلى

---

(٢٢) بين جمهوريات ما وراء جبال القوقاز وفي آسيا، يبرز يهود كازاخستان وهذه الخصائص الديمغرافية الشاذة عن خصائص يهود بقية الجمهوريات السبع. وهذه الخصائص ليهود كازاخستان مماثلة جداً لخصائص يهود الجمهوريات الموجودة في أوروبا، انظر: M. Tolts, «Some Basic Trends in Jewish Demography,» paper presented at: *Papers in Jewish Demography, 1989: Proceedings of the Demographic Sessions Held at the 9th World Congress of Jewish Studies, Jerusalem, August 1989*, pp. 37-243.

(٢٣) هذا التخلف قائم ليس فقط بالمقارنة مع بلدان الغرب وإنما أيضاً إزاء الجمهوريات الأوروبية للاتحاد السوفياتي، ومن ناحية الناتج للفرد فقد وصلت جمهوريات آسيا السبع (ما عدا كازاخستان) في العام ١٩٩١ إلى نحو ألف وستمئة دولار، وهو مبلغ يلائم مستوى دول «ذات دخل متوسط منخفض» حسب تصنيف البنك العالمي، وقد وصل متوسط الناتج للفرد في جمهوريات الاتحاد السوفياتي الأوروبية في ذلك العام إلى نحو ثلاثة آلاف دولار، أي نحو ضعفين من ذلك المتوسط في الجمهوريات الآسيوية، انظر: K. Y. Chu and S. Gupta, «Protecting the Poor: Social Safety Net During Transition,» *Finance and Development* (June 1993), p. 26.

وبالنسبة إلى المعايير الاجتماعية، بإمكاننا مقارنة نسبة وفيات الأطفال التي وصلت في العام ١٩٩٠ في الجمهوريات الآسيوية الثماني إلى ٣١,٥ لكل ١٠٠٠ مولود، مع نسبة ١٣,٩ لكل ألف مولود في الجمهوريات الأوروبية. انظر أعلاه، والنسبة المقابلة في بلدان الغرب المتطورة هي ٩ لكل ألف مولود.

(٢٤) نسبة الأولاد لأم يهودية في كل مئة مولود لعائلات «مختلطة»، وصلت في جمهوريات آسيا الوسطى إلى ١٣,٧ بالمئة وفي جمهوريات ما وراء جبال القوقاز إلى ٣٢,٩ بالمئة في مقابل ٤٣,٢ بالمئة في جميع بلدان الاتحاد السوفياتي سابقاً. انظر: Tolts, Ibid., p. 239.

(٢٥) من جميع بلدان الاتحاد السوفياتي سابقاً حوفظ فقط في جمهوريات آسيا الوسطى حتى العام ١٩٨٩ على تكاثر طبيعي إيجابي لليهود. أما نسب التكاثر الطبيعي السلبي ما وراء جبال القوقاز فوصلت إلى ٢ لكل ألف، في مقابل ١٤ لكل ألف في جميع بلدان رابطة الدول المستقلة. انظر: المصدر نفسه، ص ٢٣٧.

إسرائيل[٢٦]. ويتضح إذاً أن فرص نجاح النشاط اليهودي في المناطق الجنوبية - الشرقية من الاتحاد السوفياتي سابقاً أكبر منها في أقاليم أخرى من هذا البلد.

- يهود وسط شرق أوروبا، بما في ذلك بلدان البلقان (باستثناء تركيا) يشكلون اليوم فقط بقية صغيرة قوامها نحو ستة وتسعين ألف يهودي، بقيت على قيد حياة من التجمع الكبير جداً الذي ضم نحو خمسة ملايين يهودي قبل الكارثة[٢٧]. ونحو الثلثين منهم تقريباً يعيش اليوم في هنغاريا، ومعظمهم في بودابست. وباستثناء نحو خمسة آلاف يهودي يشكلون الجالية اليهودية في اليونان، كانت كل هذه التجمعات اليهودية منقطعة عن المنظمات اليهودية العالمية، وعاد أفرادها إليها بعد ابتعاد دام أربعين سنة، في سياق جهودٍ لإعادة بناء (وفي حالات كثيرة البناء للمرة الأولى) مؤسسات تربطهم مع العالم اليهودي و/ أو العالم الصهيوني الدولي. ومن الأمثلة على ذلك منظمات «تسيون» و«شالوم» في بلغاريا، والمنظمة الصهيونية، وشبكة حركات شبيبة صهيونية، ومدارس يهودية (بمساعدة جهات يهودية من أمريكا) في هنغاريا، وهيئات لتخليد التاريخ والثقافة اليهودية في بولندا.

وعلى وجه العموم، فاليهود في هذه البلدان هم من كبار السن. وأغلبيتهم الساحقة بقايا عادت إلى بلدانهم من معسكرات الاعتقال في نهاية الحرب العالمية الثانية. وهؤلاء هم العائدون أنفسهم الذين لم يهاجروا إلى إسرائيل أو إلى الغرب بعد الحرب، ولكن قرروا إعادة بناء حياتهم في بلدان منشأهم التي تحولت إلى بلدان شيوعية. وخلف هؤلاء ذريات ضئيلة جداً. ومعظم هؤلاء، أبناء الجيل الثاني في هذه البلدان، بذل قصارى جهده للاندماج في محيطه من طريق مظاهر التضامن مع السلطات الشيوعية ومن طريق الزواج المختلط.

والسكان اليهود في هذه البلدان، وفقاً للتعريف الديني الضيق لماهية اليهودية، يتشكلون اذاً في غالبيتهم من جيل بقايا الكارثة[٢٨]. وسمة أخرى مميزة ليهود وسط وشرق أوروبا اليوم، هي الجهود الرامية إلى ترسيخ مكانتهم الاجتماعية - الاقتصادية، ومنظومة علاقاتهم السياسية مع الأنظمة ما بعد الشيوعية، من طريق الإبراز الواضح للولاء السياسي، إلى درجة الاستهانة الجماعية بأنفسهم في سياق

---

(٢٦) بالفعل، فقد خلصت الدراسة حول طرق استيعاب مهاجري الاتحاد السوفياتي سابقاً إلى أن تصل إلى أن ميل معظم مهاجري آسيا الوسطى هو الوصول إلى إسرائيل، انظر: Simon, *New Lives*, p. 56.

(٢٧) هذه الأرقام أخذت من: *American Jewish Year Book* (New York: American Jewish Committee, 1945-1946), vol. 47, p. 638.

(٢٨) وصف هذه الجوالي في *American Jewish Year Book* (1993), p. 439. هو كالتالي: «...Reputed to be Very Overaged and to Experience Frequent Outmarriage».

تجاهل عاطفي لذكريات الفترة الشيوعية الممتدة أربعين عاماً، وللمظاهر، الفظة أحياناً، للاسامية الجديدة - القديمة، التي يصطدمون بها في حياتهم اليومية(٢٩).

٤ ـ هناك ستة وستون ألف يهودي تقريباً يعيشون اليوم في آسيا وأفريقيا(٣٠)، ومن الأفضل أن نقسم هذا الكل غير المتجانس من التجمعات اليهودية إلى ثلاث مجموعات:

ـ أولئك الذين يعيشون في بلدان إسلامية.

ـ جوالٍ قديمة تعيش في بلدان نامية غير إسلامية.

ـ يهود وصلوا قريباً إلى الشرق الأقصى أو إلى أفريقيا السوداء.

هذا وتوجد فروقات جوهرية بين هذه المجموعات الثلاث: **أولاً**، انقسامها العددي، **ثانياً** وضعها ومكانتها الاقتصادية والسياسية، و**ثالثاً** تطورها على امتداد نصف القرن الأخير، منذ الكارثة وإقامة دولة إسرائيل. ويشكل يهود البلدان الإسلامية نحو ٨١ بالمئة من مجموع يهود آسيا وأفريقيا. وهم يعدون اليوم نحو أربعة وخمسين الفاً، مع أن عددهم عشية الحرب العالمية بلغ ٧٢٣,٣٠٠ ألف نسمة(٣١). وبقي نحو ٧,٥ بالمئة منهم فقط اليوم في بلدان أقطار إسلامية. وهذه الحقيقة ذات دلالة بخاصة إزاء التكاثر الطبيعي العالي في هذه الجوالي، وفي ضوء حقيقة كون هذه التجمعات قد ابتليت بالكارثة بصورة هامشية فقط في العراق وفي شمال أفريقيا. والسبب الرئيس وراء تقلص أعداد جزء من هذه الجوالي واختفاء معظمها يكمن بالطبع في إقامة دولة إسرائيل، وفي الصراع المتواصل الذي نشب بين الشعب اليهودي وبين الإسلام عقب ذلك.

وهناك عامل آخر ساعد على تقلص واختفاء الجوالي اليهودية، وبخاصة في شمال أفريقيا، وفي العراق، وفي سوريا، تمثل في عملية زوال الاستعمار الاستيطاني بعد الحرب العالمية الثانية في مناطق النفوذ الاستعماري البريطاني والفرنسي في حوض البحر المتوسط. ولقد قام يهود كثيرون في هذه البلدان بدور أشبه ما يكون بـ

---

(٢٩) توجد تقارير كثيرة عن مظاهر لاسامية في هذه السنوات في دول وسط شرق أوروبا. انظر:
«Antisemitism,» in: *World Report* (London: [n. pb.], 1994), book 29, pp. 98-143.

(٣٠) هذا الرقم لا يشمل بالطبع سكان دولة إسرائيل، كذلك فقد أخرج يهود الدول المنبثقة عن الاتحاد السوفياتي في آسيا من هذا التعداد، وكذلك أيضاً يهود جنوب أفريقيا الذين ما زالوا يشكلون من الناحية الاجتماعية ـ الاقتصادية جزءاً لا يتجزأ من يهود الغرب.

(٣١) هذه الأرقام مأخوذة من: *American Jewish Year Book* (1945-1946), p. 658.

«الأقلية الوسيطة»[٣٢]، ومع زوال النفوذ الاستعماري احتل أبناء النخبة الاقتصادية لشعوب الدول المذكورة المناصب التي كان الحكام المستعمرون يفضلون في أوقات متقاربة ائتمان اليهود عليها.

ولقد وجد يهود البلدان الإسلامية الحل الشخصي والجماعي لانعكاسات الصراع الإسرائيلي ـ الإسلامي، ولمسيرة زوال الاستعمار، على حياتهم، من طريق الهجرة. وهاجرت غالبيتهم العظمى إلى إسرائيل، في خلال الخمس عشرة سنة الأولى بعد قيام الدولة. والآخرون، وبخاصة المقتدرون مادياً، هاجروا إلى بلدان أخرى، وفقاً للتقاليد الثقافية التي تشربوها في بلدان موطنهم، مثل شمال أفريقيا، وسوريا، وفرنسا وكندا الفرنسية، ومن العراق والهند إلى بريطانيا. وهكذا بقيت تجمعات يهودية بأعداد بارزة في المغرب فقط (ثمانية آلاف)، وتركيا (تسعة عشر ألفاً وستمائة شخص)، وإيران (ثمانية عشر ألفاً)[٣٣]. وليس أمراً عارضاً أن اثنتين من هذه الدول الثلاث لم تكن تحت النفوذ الاستعماري الجلي في نهاية الحرب العالمية الثانية. وهناك نحو ثمانية آلاف يهودي آخرين يقيمون في بلدان إسلامية أخرى. وبالطبع فقد أثر الصراع العربي ـ الإسرائيلي في شبكة علاقات هذه الدول تجاه الأقليات اليهودية. ففي تركيا التي تصف نفسها كدولة علمانية ديمقراطية، كان هذا التأثير معتدلاً نسبياً. أما في المغرب، فإن التحسن الذي طرأ على العلاقات الإسرائيلية ـ العربية في السنوات الأخيرة انعكس ايجابياً على الأقلية اليهودية الصغيرة التي بقيت هناك.

وبموجب المعلومات التي تصل من إيران، فإن الضغوط على اليهود التي اشتدت منذ الثورة الإسلامية لم تخف. وتفيد دراسة تضمنها كتاب *American Jewish Yearbook* العام ١٩٩٣ أن السكان اليهود في الأقطار الإسلامية يتناقصون إما بسبب التكاثر الطبيعي السلبي كما هو الأمر في تركيا، وإما بسبب الهجرة كبقية البلدان الإسلامية. وفي جميع الأحوال، فإن خطر الاندماج في هذه البلدان كان وما يزال مشكلة ثانوية فقط، وفي معظم التجمعات يشارك جميع الأفراد في هذا المجال أو ذاك من حياة الجالية اليهودية. ولذا فإن علاقات اليهود الذين يعيشون في البلدان الإسلامية مع دولة إسرائيل هي علاقات جريئة وتحمل طابعاً مكثفاً، أكان ذلك من طريق الروابط العائلية، أو بسبب قربهم من التقاليد اليهودية والرغبة في المحافظة

---

(٣٢) لبيان أداء الأقلية الوسيطة، انظر: E. Bonacich, «A Theory of Middle Man Minorities,» *American Sociological Review*, vol. 38 (1973), pp. 583-594.

(٣٣) الأرقام الواردة في: «Anti Semitism» *World Report* على النحو الوارد أعلاه مختلفة قليلاً. والأرقام هي: المغرب ٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠، وتركيا ٢٥,٠٠٠، وإيران ١٥,٠٠٠.

عليها. وهناك جاليتان قديمتان تطورتا في خلال الأجيال في بلدان نامية غير إسلامية: **الأولى** في الهند و**الثانية** في إثيوبيا. وكان عدد أفراد الجوالي اليهودية في الهند في بداية الخمسينيات نحو خمسة وعشرين ألف نسمة[٣٤]، في حين قُدر عدد اليهود في إثيوبيا في تلك السنوات بين اثني عشر ألفاً وعشرين ألف شخص[٣٥]، ولقد تقلصت الجالية اليهودية الهندية كثيراً بسبب الهجرة إلى إسرائيل، وهجرة العديد من أغنياء الجالية خلال الستينيات والسبعينيات، وبالأساس إلى لندن[٣٦].

وبالنسبة إلى جالية يهود إثيوبيا، فلم تعد قائمة عملياً مع هجرة أفرادها إلى إسرائيل في بداية التسعينيات. وهناك نحو ستة آلاف يهودي آخرين موزعين في بلدان كثيرة في أرجاء آسيا وأفريقيا، حيث القاسم المشترك بينهم هو انعدام الجذور في بلدان موطنهم. وهؤلاء على وجه العموم أبناء الجيل الأول لمقيمين وصلوا إلى هذه البلدان بحثاً عن فرص معيشة مغرية. وبسبب عددهم الصغير، وبسبب البعد الثقافي بينهم وبين الأغلبية، فإن هؤلاء اليهود لم يضربوا جذوراً طويلة المدى في أماكن سكناهم. وبدلاً من ذلك فإنهم ينضمون إلى الأقليات الأوروبية (البيضاء) وغير اليهودية. وأولاد هؤلاء اليهود يتربون في مدارس للأجانب، جنباً إلى جنب مع أطفال بقية الأقليات، أو يرسلون إلى مدارس يهودية في إسرائيل أو في الغرب. والحياة الاجتماعية هنا هي في أطر جيوب كولونيالية تكون على شكل أندية مغلقة، يهودية أو عامة. وروابط هؤلاء اليهود، وهم أثرياء جداً بمعظمهم، مع إسرائيل، تتوقف إلى حد كبير على توفر أطر اجتماعية ملائمة، حيث إن خصوم هذه الأطر هي المؤسسات الاجتماعية العامة التي تخدم بقية الأقليات. وفي أماكن غير قليلة (هونغ كونغ على سبيل المثال) وصلت حركة «حباد» (حركة دينية أصولية) الدينية إلى إنجازات لا بأس بها في إيجاد إطار كهذا. ومع أن فرص هجرة هؤلاء اليهود إلى إسرائيل هي فرص

---

(٣٤) الأرقام مأخوذة من: *American Jewish Year Book* (New York: American Jewish Committee, 1951), p. 199.

وهو العام الوحيد الذي تمت فيه دراسة اليهود في الهند وباكستان بجواليهم الثلاث: يهود «بني سرائيل» الذين شكلوا نحو ثلثي يهود الهند، واليهود «العراقيون» والأوروبيون الذين شكلوا نحو الربع من ناحية عددية، ولكن كانوا المهيمنين في الحياة اليهودية، ويهود «كوتشين» في ولاية Tranbankor في جنوب الهند (ص ٤٢٣-٤٢٤).

(٣٥) التقدير أخذ يتقلص مع السنين. فالتقرير الوارد في: *American Jewish Year Book* (1945-1946) أشار إلى ٥١,٠٠٠ يهودي في إثيوبيا (ص ٦٣٨) وللعام ١٩٥٠ (٢٤٩ ص) وللعام ١٩٥١ (ص ١٩٩) أشار إلى ٢٠,٠٠٠ يهودي، وأما للعام ١٩٥٢ (ص ٢٣٦) وحتى الآونة الأخيرة فقدر العدد بـ ١٢,٠٠٠ يهودي. في العام ١٩٩٠، قبل حملة التهجير الكبرى، عاد التقدير إلى ٢١,٠٠٠ يهودي. انظر: *American Jewish Year Book* (1993), p. 442.

(٣٦) اليوم، العدد الذي تتناوله التقارير حول عدد يهود الهند يقارب الـ ٤,٧٠٠ نسمة. انظر: *American Jewish Year Book* (1993), p. 440.

ضئيلة، إلا أن هناك أرضية مثمرة للحفاظ على علاقة جيدة معهم، وعلاقة أفضل مع أبنائهم.

وكخلاصة لهذا البحث يمكن القول إنه يوجد في معظم الحالات معامل سلبي بين مستوى الرفاه الشخصي والبيئي للشخص اليهودي وبين مستوى التزامه نحو وجوده اليهودي. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو العلاقة بين هذا الحكم وبين منظومة العلاقات المتوقعة بين دولة إسرائيل وبين مهجر الشتات اليهودي.

٣ ـ التحولات ودولة إسرائيل

العمليات التي وُصفت في الفصل الأول من هذه الدراسة، تحمل في معظمها طابعاً تكنولوجياً مع انعكاسات اقتصادية ـ اجتماعية سوف تؤثر في الجيل المقبل في اتجاه تناقص قوة التضامن اليهودي لدى يهود مهاجر الشتات. وتتعلق الأمور بشكل خاص بأولئك الذين يعيشون في الغرب الغني، والذين يشكلون كما قلنا ثمانين في المئة وأكثر من يهود مهاجر الشتات. ومثل هذا التناقص متوقع بشكل أساس بسبب تضاؤل الأهمية، في نظر الجيل اليهودي الشاب، للموضوعات الذاتية ـ الإثنية التي تربط الإنسان اليهودي بديانته اليهودية، إضافة إلى كونه شريكاً نشطاً وكاملاً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لبيئته. وعامل آخر يعمل أيضاً في الاتجاه ذاته هو الابتعاد المادي ـ المجالي، بسبب عمليات الترحال والانتقال للإقامة في الضواحي السكنية البعيدة عن المؤسسات والتجمعات اليهودية. ومن الواضح أن العامل الثاني هو نتيجة للعامل الأول.

كيف ستؤثر هذه العمليات في الروابط الاقتصادية ليهود مهاجر الشتات مع دولة إسرائيل، وفي العلاقات المتبادلة بين دولة إسرائيل وبين يهود مهاجر الشتات؟ على وجه العموم يمكننا أن نحدّد أن أهمية هذه العلاقات ستقل في المستقبل، أكان ذلك بالنسبة إلى يهود مهاجر الشتات، أو بالنسبة إلى دولة إسرائيل. ومن بين الأسباب الرئيسة لهذا التوقع تعاظم الاتجاهات العالمية في الاقتصاد. كذلك ستزداد أهمية الاعتبارات العقلانية في قطاع الأعمال. وفي عالم الأسواق التنافسية لم يبق هناك متسع كبير لعوامل التفضيل والتمييز ذات الطابع الذاتي الديني أو الإثني. فعندما يكون الاعتبار المهيمن هو جني الأرباح، يتقلص مكان تفضيل هذا العمل أو تلك الصفقة فقط بسبب كون المشاركين فيه يهوداً. كما أن تعاظم الشركات المتعددة الجنسيات التي تنتشر شبكاتها على سطح دول وقارات، يقلص ثقل العامل القومي أو الديني في الروابط الاقتصادية، ويعزز أهمية الاعتبار التجاري الخالص.

وفي المقابل، فمرافق الاقتصاد الإسرائيلي أيضاً نمت وضربت جذورها في عمق المنظومة الاقتصادية العالمية. وهذا التشابك يمنح قوة ملحوظة للاقتصاد الوطني. فشركات إسرائيلة نمت وقويت وتفرعت إلى بلدان كثيرة في جميع القارات. كما أن أسهم الشركات إسرائيلية تشترى وتباع يومياً في بورصة نيويورك. كذلك فإن شركات متعددة الجنسيات على امتداد العالم كله تحتفظ بمكاتب تمثيل وفروع كما تستثمر رؤوس أموال كبيرة في إنشاء مشاريع فرعية لها داخل إسرائيل. كذلك دخلت شركات إسرائيلية في شراكات مع شركات دولية ضخمة، دون أي علاقة لحقيقة كون دولة إسرائيل هي دولة اليهود. كما أن الشركاء التجاريين للشركات الإسرائيلية دخلوا في روابط تجارية معها دون أية مشاعر تعاطف يهودية من جانبهم، وإنما فقط بسبب قوة المرافق الاقتصادية الإسرائيلية، وبسبب مهارة الطاقة البشرية فيها ونجاعة الشركات. وبمعنى آخر، فإن الحاجة إلى نظرة مجانية وللحصول على أفضلية من جانب مشاريع يهودية في الخارج صارت أقل بكثير نتيجة توطد قوة المرافق الاقتصادية الإسرائيلية.

ونضيف إلى هذه المسوّغات أيضاً التدني في مستوى التزام الكثيرين من اليهود الذين يديرون الشركات الاقتصادية الكبيرة تجاه دولة إسرائيل. ولذا فإنه سيكون من قبيل الحكمة أن نأخذ في الاعتبار التوقعات التي ترى أنه مع بداية القرن الحادي والعشرين سيتضاءل وزن يهود مهاجر الشتات في الاقتصاد الإسرائيلي، مثلما سيتضاءل وزن إسرائيل كدولة اليهود في الاعتبارات التجارية لزعماء الشركات الاقتصادية اليهودية. ومن ناحية دولة إسرائيل، هناك أهمية بشكل خاص للمُحدد الثاني القائل إن تلك المبادرات التجارية من جانب يهود ومهاجر الشتات بدافع تقديم المساعدة الاقتصادية لإسرائيل سوف تقل في المستقبل.

والاستنتاج المستخلص من هذا النقاش هو أنه على أعتاب سنوات الألفين ستقل قوة الحاجة المتبادلة بين يهود مهاجر الشتات وبين دولة إسرائيل، وكذلك بين دولة إسرائيل وبين السكان اليهود في دول العالم، وبخاصة دول الغرب، بشكل فعلي. وهذا التكافل المتبادل في الأجيال الأخيرة، منذ الصراع لإنشاء دولة إسرائيل، وحتى الأعوام الأخيرة، كان مصدر قوة قومية عامة من الطراز الأول لتعاظم قوة دولة إسرائيل، ولاستمرار وجود وأداء الشعب اليهودي الجماعي على حد سواء. ولقد وجد البعد الاقتصادي لهذا الاحتياج المتبادل تعبيراً عنه في مجال المساعدة الاقتصادية التي تدفقت بشكل عام، وفقاً لما يشبه قانون الأواني المستطرقة، من مهاجر الشتات إلى إسرائيل، كما أنه في حالات مهاجر الشتات حيث وجدت جماعات يهودية ضعيفة أو تعاني ضائقة سياسية أو أخرى، تدفقت المساعدات من إسرائيل إلى مهاجر

الشتات. والمساعدة الاقتصادية داخل العالم اليهودي التي اجتازت الحدود وحتى الأنظمة السياسية، حتى في عالم كان ممزقاً ومقسماً إلى أنظمة متخاصمة ومعادية لبعضها البعض، أصبحت الأنبوب المركزي الذي وجد التضامن اليهودي العام عبره تعبيراً عنه، وعملت المساعدة الاقتصادية دائماً من أجل توفير وسائل مادية لعمليات إنقاذ مادي لجماعات يهودية في ضائقة كانت بحاجة إلى إنقاذ كهذا. وفي الحالات التي لم تكن مسألة الإنقاذ الفوري مطروحة على جدول الأعمال، عملت المساعدة الاقتصادية على تخفيف الضائقات الاقتصادية، وتوسيع الخيارات التربوية أمام أبناء الجيل الشاب وتوفير أدوات الطقوس الدينية للمحتاجين إليها، واليوم أيضاً يشكل نشاط صناديق الجباية التي تعرض المساعدة على إسرائيل وسيلة مهمة لمساعدة القطاعات الضعيفة في المجتمع.

ولكن دلالة طويلة المدى ليست أقل أهمية هي الحفاظ على هذه الأداة من التضامن اليهودي في العالم. ومن هذه الناحية لا فارق بين صناديق الجباية لإسرائيل، وبين مشاريع مثل «أليانس» أو «هاياس» أو «جوينت». فجميعها عمل وما زال يعمل على تقديم المساعدة الاقتصادية من التجمعات اليهودية ذات الموارد المادية الكبيرة نسبياً إلى جوالي ومنظمات ضئيلة الإمكانيات. وطور هذا النشاط قنوات اتصالات بين المانحين وبين المتلقين، وأصبحت هذه القنوات أداة عظيمة الفائدة للمساعدة المتبادلة لجميع الأطراف، والفائدة العامة التي جنيت وتجنى اليوم أيضاً من هذه النشاطات الخيرية هي أكبر من مجمل الفائدة للمانح وللمتلقي معاً.

البعد التضامني اليهودي العام الناجم عن تطوير شبكة أشبه ما تكون بـ «الأواني المستطرقة»، بين جوالٍ يهودية غنية وفقيرة في العالم، كان وما يزال قيمة ذات مفعول جماعي تاريخي، قائمة بحد ذاتها، من أجل كل فرد وجمهور يعتبر الوجود الجماعي للشعب اليهودي ثميناً في نظره. ولذا فإن عرض المساعدة الاقتصادية المقدمة من مهاجر الشتات اليهودي إلى غايات وأهداف في إسرائيل، حتى لو كان إسهامها الفوري بمصطلحات نسبتها المئوية من الناتج القومي قد تقلص كثيراً، باعتبارها عديمة القيمة الحقيقية، إنما يدل على انعدام الفهم لجوهر ظاهرة المساعدة المتبادلة كمنتوج عام يهودي، أو أنه يدل على انعدام الاعتبار إزاء هذه القيم. ويستنتج من هنا أن الأقوال التي تطلق في إسرائيل، والتي تتنصل من تنمية العلاقة مع مهاجر الشتات، إزاء الثراء الكبير والمكانة السياسية المزدهرة المتوقعين في المستقبل القريب لدولة إسرائيل في الشرق الأوسط الجديد وفي العالم، تشكل عملياً تعبيرات تهدف، بقصد أو دون قصد، إلى تحجيم هوية دولة إسرائيل كدولة يهودية.

الروابط الاقتصادية بين إسرائيل ومهاجر الشتات ـ اختبار تجريبي

لغرض الاختبار التجريبي للعلاقات الاقتصادية بين دولة إسرائيل وبين يهود العالم، فإننا سنفصل بين «فرع التبرعات» وبين بقية الفروع. ظاهرياً يبدو الفارق بينهما واضحاً، مع أن التشخيص، على الأقل في الماضي، لم يكن حاداً البتة. فإذا كان اقتناء منتوج إسرائيلي يمثل بالنسبة إلى المشتري اليهودي في مهاجر الشتات فائدة أكبر من تلك الفائدة الناجمة عن منتوج مماثل يعود في مصدره إلى بلد آخر، فإن مصدر هذه الفائدة الزائدة هو في مجال التضامن اليهودي. وبالطبع، فالحكم نفسه بالنسبة إلى رزمة سياحية في أرض إسرائيل وبالنسبة إلى السنة الدراسية التي يقضيها عالم يهودي في الجامعات الإسرائيلية. ولذا فإن الفارق بين التبرع للجباية اليهودية وبين شراء منتوج إسرائيلي وفق هذه الفرضيات كان وما يزال اليوم أيضاً فارقاً كمياً وليس جوهرياً.

سنفحص في البداية، وفي ضوء التطورات التي عرضناها أعلاه مسألة التبرعات المقدمة لإسرائيل، ومن ثم سنتوجه إلى فروع الاقتصاد التي يوجد فيها معنى لفحص علاقات ذات دلالة خاصة في هذا الشأن.

التبرعات المقدمة إلى إسرائيل

الجوالي اليهودية المنظمة في مهاجر الشتات تقوم منذ عشرات السنين بتقديم مساعدة مالية مباشرة إلى إسرائيل بواسطة قناتين رئيستين: **الأولى** هي الجباية اليهودية الموحدة التي تعمل مكاتبها المنتشرة في أنحاء العالم على جمع التبرعات، أكان ذلك من أجل احتياجات الجمهور اليهودي في البلدان المختلفة، أو من أجل دولة إسرائيل. والأموال التي تصل إلى إسرائيل بواسطة قنوات الجباية تمر عبر هيئات الوكالة اليهودية وفروعها التي تستخدم هذه الأموال لاحتياجات الجمهور في دولة إسرائيل وفقاً لمعايير تقررها الإدارات المنتخبة لهذه الهيئات.

و**القناة الثانية** التي تصل عبرها أموال اليهود في الخارج إلى إسرائيل هي مجموعة كبيرة جداً من المؤسسات التربوية والثقافية والدينية والخيرية التي تحتفظ بمكاتب ثابتة، أو التي تفعّل هيئات تطوعية تمارس على الدوام نشاطات بين حين وآخر أو لمرة واحدة، هدفها جمع التبرعات من أجل مؤسساتها العاملة على دفع الأهداف الخيرة التي أقيمت من أجلها. والعنوان العام لهذه المؤسسات في نشرات مكتب الإحصاء وبنك إسرائيل هو مؤسسات ليست لأغراض الربح.

وفي نشرات بنك إسرائيل وتحت البند «**تحويلات من جانب واحد**»، تظهر إذاً

البنود «تحويلات المؤسسات القومية» وكذلك «تحويلات المؤسسات التي لا تقصد الربح» كتعبيرات إحصائية للمساعدة المالية المباشرة المقدمة من يهود مهاجر الشتات لاحتياجات الجمهور في إسرائيل. والجوهر القيمي الدقيق للاستجابة من جانب الإنسان اليهودي في مهاجر الشتات لطلبات التبرع من أجل احتياجات الجمهور العامة في إسرائيل (الجباية اليهودية) أو من أجل هذا الهدف المحدد أو ذاك، هو موضوع معقد ونقطة خلافية.

وهناك من يرى في التبرعات لصناديق الجباية العامة تعبيراً عن الالتزام الشخصي لليهود المتبرعين في مهاجر الشتات لأرض إسرائيل، لأنه وفقاً لهذا المفهوم «فالشعب اليهودي يشكل مجموعة سكانية ما يميزها هو الرابطة التي تربطها بأرض إسرائيل، بمعنى أن مجرد الوجود فيها يمنح اليهودي مقابلاً غير مالي إيجابي»(٣٧)، ويفضل آخرون أن يروا في هذه التبرعات شبه تعبير عن تضامن غير ملزم، وتطوعي، في حين ينظر بعض آخر إلى هذه التبرعات كعمل خيري من جانب المانح وعمل تسوّلي من جانب المتلقي.

وعلى كل حال، فالظاهرة مهيمنة في حياة الجوالي وعظيمة الأهمية لدولة إسرائيل وأيضاً للمتبرعين والهيئات التي تتولى جمع التبرعات. وفي السنوات الأربعين الأخيرة (١٩٥٥-١٩٩٤) بلغ مجموع التبرعات التي قدمها يهود مهاجر الشتات، عبر القناتين نحو ١٧,٢٠٠ مليون دولار أمريكي، تشكل نحو ٦,٢ في المئة من مجموع مداخيل الدولة في تلك الفترة (مداخيل وتحويلات من جانب واحد). وفي عرض آخر لهذه الظاهرة يمكننا القول إن مجموع كل التبرعات اليهودية دُفع مقابل نحو ٤,٤ في المئة في كل واردات دولة إسرائيل في هذه الفترة. وبطبيعة الحال فإن في عرض أرقام تغطي مثل هذه الفترة الطويلة نوعاً منها لتبسيط الزائد، ويهدف تقديمها فقط إلى إبراز القوة الكمية للمساعدة المالية اليهودية خلال هذه السنوات لدولة إسرائيل.

وبالطبع، فإن القوة الشرائية للدولار الأمريكي قد تآكلت مع مرور الوقت، وقيمة دولار واحد في العام ١٩٥٥ صارت تساوي في العام ١٩٩٤ نحو ٥,٣ دولارات. ومن هنا فإن عرض سلسلة التبرعات اليهودية لإسرائيل على امتداد سنوات بقيم اسمية سيكون أمراً مضللاً، لأن مبالغ التبرعات تمثل كل سنة دولارات ذات قوة

(٣٧) ص. هركونيتش ود. بينس، ««الصهيونية والتبرعات من مهاجر الشتات»: تحليل نظري،» **رفعون لكلكلاه**، العدد ١٤٤ (أيار/مايو ١٩٩٠)، ص ٦٦.

شرائية مختلفة. وبدلاً من ذلك فإننا سنعرض التبرعات بقيم دولارية ثابتة وفق أسعار العام ١٩٩٥.

ويحمل الجدول رقم (١٣) ص ٤٥٦ حجم التبرعات المالية ليهود العالم المقدمة إلى دولة إسرائيل خلال نحو أربعين سنة من العام ١٩٥٥ وحتى العام ١٩٩٣. ويميز الجدول بين مجموعتين من التبرعات، تلك التي وُجّهت إلى الجباية اليهودية الموحدة تحت أسمائها المختلفة البلدان المختلفة في خلال تلك السنوات، وتلك التي قدمت من قبل المتبرعين إلى غايات محددة لمؤسسات لا تهدف إلى الربح. واستقيت كل المعطيات من نشرات بنك إسرائيل التي نُشر أولاها في عام ١٩٥٥. ووصفت أموال المساعدة في نشرات البنك بأنها بنود فرعية في المجموعة الكبيرة من «تحويلات من جانب واحد». وحتى العام ١٩٦١ لم تميز النشرات بين مجموعتي التبرعات الآنفتي الذكر وفقاً لغاية كل منهما، ولكن منذ العام ١٩٦٢ يتم تقديم النشرة مع هذا التفصيل. وسيعرض الجدول رقم (١٣) في عمود منفرد (العمود II) مبالغ المساعدة معبراً عنها بقيم ثابتة من الدولارات للعام ١٩٥٥. وتمت العملية الحسابية من طريق استخدام مؤشر الأسعار المتوسط للولايات المتحدة في تلك السنوات.

وكان المتوسط السنوي للتبرعات للأعوام ١٩٥٥-١٩٩٣ نحو ١٧٤,٥ مليون دولار وفق العام ١٩٥٥. لكن التقلبات حول هذا المتوسط كانت كبيرة جداً، وتأثرت أولاً وقبل كل شيء آخر من ناحية احتياجات الطوارىء لدولة إسرائيل، وبخاصة في سنوات الحروب. وقد برزت هذه الظاهرة بشكل خاص في العام ١٩٦٧ وفي العام ١٩٧٣، حيث تضاعفت فيهما التبرعات أو ضوعفت ثلاث مرات فأكثر مقارنة بالسنوات التي سبقتها. وهذه الظاهرة المتمثلة بزيادة حادة في التبرعات، كالتفاتة من جانب يهود مهاجر الشتات، لاحتياجات الطوارىء في إسرائيل، ظهرت أيضاً في عام حرب السويس (١٩٥٦)، عندما زادت التبرعات في خلال سنة واحدة من العام ١٩٥٥ إلى العام ١٩٥٦ بنسبة ٧٢ في المئة. كما أن الحرب اللبنانية في العام ١٩٨١ قفزت بالتبرعات بنسبة ٤٣ في المئة مقارنة بالعام ١٩٨٠. وأزمة الصواريخ العراقية في العام ١٩٩٠-١٩٩١ أدت إلى ارتفاع بنسبة ثلاثين في المئة مقارنة بمتوسط السنتين ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩. وهذه الظاهرة المتمثلة بالحساسية والاستجابة من جانب يهود مهاجر الشتات لنداءات الطوارىء الصادرة من إسرائيل، هي سمة مهمة لعلاقات مهاجر الشتات اليهودي بإسرائيل، وتبرز هذه السمة بشكل واضح في الجدول رقم (١٣).

ويتراوح مدى التبرعات المقدمة لصناديق الجباية العامة وللمؤسسات الخاصة معاً

بين ٥٣ مليون دولار (في العام ١٩٥٥) و٤٠٨ ملايين دولار بقيمة العام ١٩٥٥ (في العام ١٩٧٣). وعلى امتداد فترة الأعوام التسعة والثلاثين كانت التبرعات خاضعة لتقلبات سنوية حادة للغاية (انظر العمود IV من الجدول رقم (١٣))، عكست على وجه العموم مستوى مخاوف يهود مهاجر الشتات وقلقهم على وضع دولة إسرائيل.

ويعرض الرسم البياني رقم (١١)، ص ٤٧٢ من هذا الكتاب تطور هذه التبرعات على امتداد تسعة وثلاثين عاماً حتى العام ١٩٩٣.

ولغرض تحليل السلسلة سنقوم بتقسيمها إلى ثلاث سلاسل فرعية تظهر في الجدول رقم (١٤)، ص ٤٥٧ من هذا الكتاب.

وفي الأعوام التي سبقت العام ١٩٦٧ كانت التبرعات السنوية بقيمة ٧٤ مليون دولار (بقيم ثابتة) في مستوى مستقر تقريباً، باستثناء سنة حرب السويس التي وجد فيها تعبير بارز لتضامن يهود مهاجر الشتات في أوقات الطوارىء. وبالفعل فإذا أخرجنا العام ١٩٥٦ من السلسلة فإننا نجد بين المتوسط فقط أن هذا العام هو الذي انخفض إلى ٣٢,٥، وإنما الانحراف عن المقياس قد تقلص بشكل أكبر إلى ٩,٤، كما أن النسبة بين السنين انخفضت إلى ٠,١٣٠، وبمعنى آخر فقد تلقت دولة إسرائيل حتى حرب الأيام الستة كل سنة نحو ٧٤ مليون دولار بأسعار العام ١٩٥٥ من يهود مهاجر الشتات. ويعرض الرسم البياني رقم (١٢)، ص ٤٧٢ من هذا الكتاب المعطيات المتعلقة بهذه السنوات.

هذا وقد تغير هذا الاتجاه في السنة التي شهدت حرب الأيام الستة، وتظهر أنماط جديدة من النشاط اليهودي في التحويلات من جانب واحد في معطيات السنوات التي تلت الحرب. وكانت نتائج الحرب، وكذلك حرب الاستنزاف التي جاءت في أعقابها، قد تركت انطباعاً عميقاً على نظرة يهود العالم إزاء إسرائيل، وجدت تعبيراً عنها، بين أمور أخرى، بمضاعفة أحجام متوسط التبرعات التي وصلت إلى إسرائيل من مهاجر الشتات ثلاث مرات. ومن الجهة الأخرى وبدلاً من السيل السنوي شبه الثابت والبالغ نحو ٧٤ مليون دولار، تزايدت التبرعات السنوية المتوسطة بنسبة ثلاثة أضعاف تقريباً حيث وصلت إلى ٢١٤ مليون دولار (بقيم العام ١٩٥٥)، ولكن زادت أيضاً التقلبات السنوية التي ظهرت على شكل انحراف كبير عن المقياس بنسبة ٩٠,١. وبطبيعة الحال فقد برزت بحجمها التبرعات خلال عامي ١٩٦٧ و١٩٧٣. ولكن ورغم التقلبات السنوية الكبيرة، فإن التبرعات لم تقل في أي سنة عن ١١٩ مليون دولار، وهو مبلغ يزيد بنسبة ثلاثين في المئة عن التبرع الأعلى الذي قدم لإسرائيل في سنة حرب السويس. هذا وأكثر، فحتى لو تجاهلنا العامين الشاذين، وهما العام ١٩٦٧ والعام ١٩٧٣، فإننا نجد أيضاً أن متوسط التبرعات في

تلك السنوات كان ١٧٨ مليون دولار بالقيمة الثابتة. ويعرض الرسم البياني رقم (١٣)، ص ٤٧٣ من هذا الكتاب تطور سلسلة التبرعات لأعوام ١٩٦٧-١٩٧٧ وكذلك متوسط تلك الأعوام.

وفي الفترة الفرعية الممتدة من عام ١٩٧٨ وحتى عام ١٩٩٣ حصل بعض التغييرات الراديكالية في منظومة العلاقات بين دولة إسرائيل وبين مهاجر الشتات اليهودي. وفي تلك السنوات لم تكن هناك أوقات طوارئ شديدة علت فيها مخاوف وجودية على مصير الدولة أو على مصير مواطنيها. وفي تلك السنوات زادت قدرة إسرائيل الاقتصادية من جهة، كما نضجت من جهة أخرى عمليات أثرت في اتجاه اغتراب وابتعاد سكان كثيرين من دولة إسرائيل عن يهود مهاجر الشتات، وكذلك ابتعاد يهود في مهاجر الشتات عن إسرائيل.

وقد تسببت هذه العمليات في انخفاض مجموع التبرعات التي تدفقت من يهود العالم إلى إسرائيل، ولكن أكثر من ذلك أثرت العمليات في التركيبة الداخلية للتحويلات المالية. وانخفض متوسط التبرعات الدورية من ٢١٤ مليون دولار في الأعوام ١٩٦٧-١٩٧٧ إلى ١٦٣ مليون دولار (كل ذلك بقيم ثابتة) في الثمانينيات وبداية التسعينيات. كذلك انخفض الانحراف عن المقياس لـ ٢٩,١، وبدلاً من التقلبات الحادة في السبعينيات نشأت اتجاهات مماثلة لتلك التي كانت قائمة في الفترة الفرعية الأولى، رغم أن المبالغ السنوية في الثمانينيات والتسعينيات كانت أكبر. هذا ويعرض الرسم البياني رقم (١٤)، ص ٤٧٣ من هذا الكتاب كل هذه الأمور.

وكان تطور الاقتصاد الإسرائيلي قد قلص مدى احتياج المرافق الاقتصادية القومية إلى تبرعات يهود مهاجر الشتات، ورغم أن التبرعات زادت فعلاً، إلا أن المرافق الاقتصادية القومية توسعت بصورة أسرع، وأخذ وزن مبالغ التبرعات بالتناقص نسبة إلى إجمالي مدخولات الدولة من العملات الأجنبية. ونحن نقيس مستوى احتياج الدولة بالنسبة المئوية التي تشكلها التبرعات من إجمالي مدخولات العملات الصعبة التي وصلت إلى الدولة في سنة ما من مصادرها الرئيسية الثلاثة، وهي تصدير المنتجات والخدمات، والتحويلات من جانب واحد التي ليست من يهود مهاجر الشتات، وكذلك تحويلات تبرعات يهود مهاجر الشتات. وفي العام ١٩٥٦ وكذلك في العام ١٩٦٧ شكل المصدر الأخير الربع تقريباً (٢٢,١ بالمئة) من كل احتياطي العملات الصعبة التي حصلت عليه الدولة من غير القروض. ومع ذلك، ورغم تقدم المرافق الاقتصادية الإسرائيلية وتوسعها، وبخاصة من نهاية السبعينيات، إلا أن هذه النسبة أخذت بالتقلص إلى أن وصلت في العقد الأخير إلى نحو ٣,٥ بالمئة فقط.

المعطيات الرقمية لنسب الاحتياج على امتداد الأربعين سنة الأخيرة معبر عنها بالنسبة المئوية التي شكلها المجموع الكلي لتبرعات يهود مهاجر الشتات في المدخولات الشاملة لدولة إسرائيل من العملات الأجنبية، مبينة في الجدول رقم (١٥)، ص ٤٥٨ من هذا الكتاب.

والصورة التي تجسد التطور مقدمة في الرسم البياني رقم (١٥)، ص ٤٧٤ من هذا الكتاب.

ويشير الرسم البياني رقم (١٥) إلى الاتجاه في وزن التبرعات اليهودية في ميزان المدفوعات الخاص بدولة إسرائيل، من حدود ٢٠ بالمئة إلى نسب تقل عن ٤ بالمئة. ومن أجل توضيح هذا الاتجاه بشكل تفصيلي أكثر سنقسم مرة أخرى هذه السنوات الأربعين إلى ثلاث فترات فرعية.

في السنوات الأولى حتى عشية حرب العام ١٩٦٧، فإن نحو ثُمن كل العملات الأجنبية المتوفرة، من غير القروض، وصل في المتوسط من يهود مهاجر الشتات. وهذه نسبة عالية جداً، وأهمية هذه التبرعات كانت كبيرة وأحياناً كبيرة جداً، مثلاً في العام ١٩٥٦ زاد الاستيراد مقاربة بالعام ١٩٥٥، بنحو مئة مليون دولار. وفي العام نفسه زادت التبرعات مقارنة بالسنة السابقة بنحو أربعين مليون دولار، وهي تشكل ٤٠ بالمئة من كل الإضافة التي كانت لازمة لتغطية النفقات الخاصة لتلك السنة. وبالفعل فإن نحو ربع المداخيل من العملات الصعبة في العام ١٩٥٦، أي ٢٢,١ بالمئة جاءت من هذا المصدر (٩٣ مليون دولار من أصل ٤٢٠ مليون دولار بالأسعار الجارية). وقد تميز العقد الذي أعقب العام ١٩٦٧ بتقلبات كثيرة، أكان ذلك من ناحية الأحداث السياسية وتعبيراتها في التبرعات المقدمة لإسرائيل، أو في وزن هذه التبرعات بالنسبة إلى مرفق الدولارات في الدولة. وفي بداية العقد، في العام ١٩٦٧ تحول التضامن اليهودي مع مصير الدولة إلى رافعة مالية هائلة زادت حجم التبرعات خلال سنة واحدة بنسبة ٢٣٥ بالمئة، وأوصلتها إلى نحو ثلث مليار دولار (بقيم جارية)، وهو مبلغ لم يتكرر حتى حرب يوم الغفران. وفي العام ١٩٦٧ تكرر إنجاز العام ١٩٥٦ حيث ورد ٢٢,١ بالمئة من كل المداخيل الدولارية من يهود مهاجر الشتات. وفي الأعوام العاصفة الأخرى لهذا العقد كان العام ١٩٧٠ (حرب الاستنزاف) وبخاصة العام ١٩٧٣، هما اللذين قفزت فيهما مبالغ التبرعات ونسب الاحتياج نحو الأعلى (الى حدود ١٥ بالمئة). وفي الأعوام ١٩٦٧-١٩٧٧ كانت التقلبات السنوية في نسب الاحتياج عالية للغاية، ووجدت تعبيراً عنها في المستويات العالية نسبياً للانحراف عن المقياس (٤,٦)، وبخاصة النسبة العالية بين الانحراف عن

المقياس وبين المتوسط (٠,٤٢). ووزن التبرعات في الأعوام ١٩٥٥-١٩٦٦ في المجموع الكلي لجميع المداخيل بالدولار، مبين في الرسم البياني رقم (١٦)، ص ٤٧٤ ولغرض المقارنة بين هاتين المرحلتين الفرعيتين فإن الرسم البياني رقم (١٧)، ص ٤٧٥ من هذا الكتاب، يظهر التطور في الفترة المرحلية الثانية (١٩٦٧-١٩٧٧).

وتشير المرحلية الفرعية الثالثة من العام ١٩٧٨ وحتى العام ١٩٩٤ إلى اتجاهات معاكسة للعقد الذي سبقها. والاتجاه هنا هو انخفاض بطيء ولكن مستقر في نسبة الاحتياج حتى إلى نحو ٣,٥ في المئة. وتمت المحافظة على هذه النسبة حتى نهاية فترة التحليل التي حددناها. وصحيح حقاً أن وراء نسبة الـ ٣,٥ في المئة هذه تستتر مبالغ محترمة من التبرعات (نحو ١٦٠ مليون دولار بأسعار العام ١٩٥٥). وإن نمو المرافق الاقتصادية والقدرة على «إنتاج» عملة صعبة بواسطة نشاطات تلك المرافق فقط قلصا النسب المئوية التي شكلتها هذه المبالغ التي اجتازت بالقيم الجارية منذ العام ١٩٩١، حدود المليار دولار. ويعرض الرسم البياني رقم (١٨)، ص ٤٧٥ من هذا الكتاب التطور في الأعوام ١٩٧٨-١٩٩٤.

وخلافاً للاتجاهات التي برزت في سنوات السبعينيات «العاصفة»، فقد كانت التقلبات بين سنة وأخرى في الثمانينيات أكثر اعتدالاً. والسمات المميزة لنسب احتياج مرفق العملات الصعبة الإسرائيلي للمساعدة المقدمة من يهود مهاجر الشتات في الفترات الفرعية الثلاث تعطينا الأرقام التالية:

الفترة الفرعية	١٩٥٥-١٩٦٦	١٩٦٧-١٩٧٧	١٩٧٨-١٩٩٤
النسبة المتوسطة	١٢,٧	١٠,٩٥	٣,٨
الانحراف عن المقياس	٤,٠	٤,٦	٠,٥٦
النسبة المتوسطة/ الانحراف عن المقياس	٠,٣١٥	٠,٤٢٠	٠,١٤٧

وكما رأينا أعلاه، فلقد انخفضت أهمية المساعدة اليهودية لاقتصاد دولة إسرائيل، ولكن معطيات المساعدة اليهودية لإسرائيل على امتداد السنوات تشير أيضاً إلى انخفاض أهمية دولة إسرائيل في وعي يهود مهاجر الشتات، في حال قياس تلك الأهمية بمعطيات الاستعداد للتبرع لها. ونحن نزعم أن هناك علاقة إيجابية بين مدى الاستعداد للتبرع وبين مستوى الجهد الذي يبذله المتبرع عندما يقوم بالتبرع للمشاريع في إسرائيل. ومن الجهة الثانية فإن ارتفاع التبرعات يعكس ليس فقط الاستعداد وإنما القدرة أيضاً، أي ليس فقط مستوى الجهود التي يبذلها المتبرع وإنما أيضاً مستوى الموارد الموجودة تحت التصرف عندما يقوم بالتبرع. وبالطبع فإنه لا توجد أرقام إحصائية عن الجهود المالية، ولكن نستطيع أن نصل مستعينين ببعض الفرضيات إلى

مؤشر معقول للغاية حول وزن التبرعات في موارد المتبرعين. وإذا ما افترضنا أن وزن مداخيل اليهود في الناتج القومي لدولهم لم ينخفض منذ الخمسينيات وحتى أيامنا هذه، فإن قياس وزن تبرعاتهم لإسرائيل بالناتج القومي لبلدهم يمكن أن يستخدم كمؤشر عام على مستوى الجهود التي استدعتها هذه التبرعات لدى الجوالي اليهودية. ونظراً إلى أن معظم التبرعات يصل إلى إسرائيل من يهود الولايات المتحدة، ونظراً إلى أن الجوالي اليهودية المتحدة هناك تظهر حساسية كبيرة تجاه ما يجري في إسرائيل، كما أن ردود فعلها تكون وفقاً للأحداث، فلقد اخترنا وزن التبرعات التي يقدمها يهود مهاجر الشتات إلى إسرائيل في الناتج المحلي للولايات المتحدة كمؤشر على الجهود التي بذلها يهود العالم من أجل رفاه إسرائيل وتطورها.

إن المدى الذي يدور الحديث عنه هو جزء من المئة أو جزء من الألف من النسب المئوية من ناتج الولايات المتحدة، ولكن، المقارنة على امتداد فترة نحو أربعين سنة تعرض نتائج تزيدنا حكمة. وهذه النتائج تتوافق مع نتائج أخرى تتعلق بالمساعدة التي يقدمها يهود مهاجر الشتات إلى إسرائيل. وبعد فترة من «التأقلم» مع دلالة قيام دولة إسرائيل، من ناحية شبه واجب تكافل مالي جامع ليهود مهاجر الشتات نحو مصير دولة إسرائيل، جاءت حرب الأيام الستة التي كانت نقطة تحول في هذا الشأن. وكان مؤشر الجهود قد تضاعف ثلاث مرات وأكثر في العام ١٩٦٧ مقارنة بالسنة التي سبقتها، وبقي أعلى بكثير من متوسط الفترة الفرعية السابقة. ومنذ نهاية السبعينيات وما بعدها عاد مؤشر الجهود إلى مستواه في الخمسينيات، باستثناء العام ١٩٨١ (الحرب اللبنانية). ويتضح أن هذه العملية هي نتيجة للضعف التدريجي للإحساس بالأهمية التي يشعر بها يهود مهاجر الشتات تجاه مسؤوليتهم المالية الجماعية نحو دولة إسرائيل. ويعرض الجدول رقم (١٦)، ص ٤٥٩ من هذا الكتاب تطور مستوى مؤشر الجهود.

هذا ويتراوح مدى «المؤشر» حسبما يعكسه الجدول رقم (١٦) ما بين ١٢,٦ العام ١٩٦٦ و٤٤,٧ العام ١٩٧٣.

والانطباع الأولي هو أن كل حدثٍ أمني طارئ في حياة الدولة عاظم الاستعداد للإسهام بقسط أكبر من الدخل الإضافي لأفراد الشعب اليهودي المقيمين في مهاجر الشتات لمصلحة دولة إسرائيل. ويشير الجدول إلى أرقام قياسية في الأعوام ١٩٥٦، و١٩٦٧، و١٩٧٠ (حرب الاستنزاف)، و١٩٧٣ و١٩٨١. وحظيت الحربان الكبيرتان بأرقام قياسية حادة. والحروب الثلاث الأخرى بأرقام قياسية أكثر اعتدالاً. ويقاس الارتفاع الحاد لهذه الأرقام القياسية بنسبة زيادة المؤشر مقارنة بالسنة السابقة.

وكانت نسب ازدياد المؤشر في سنوات الطوارىء على النحو التالي:

في العام ١٩٥٦	٦٦,٩ بالمئة
في العام ١٩٦٧	٢١٥,٩ بالمئة
في العام ١٩٧٠	٥١,٦ بالمئة
في العام ١٩٧٣	٧٤,٦ بالمئة
في العام ١٩٨١	٤٠,٦ بالمئة

وعلى امتداد كل الفترة وصل المتوسط السنوي لتبرعات يهود مهاجر الشتات المقدمة لإسرائيل إلى مستوى ١٩,٥ ، أي نحو دولارين لكل عشرة آلاف دولار من الناتج المحلي الخام الأمريكي (الانحراف عن المقياس لتلك الفترة كان ٧,٢، والعلاقة النسبية بينه وبين المتوسط هي ٠,٣٦٨). والجدول رقم (١٦) هو زاوية نظر ملموسة أكثر في عرضه كرسم على مدى السنين من ١٩٥٥ وحتى ١٩٩٣. وهذا العرض تم في الرسم البياني رقم (١٩)، ص ٤٧٦ من هذا الكتاب.

ويشير الرسم البياني رقم (١٩) أيضاً إلى وجود ثلاث فترات فرعية متابعة في نتائجها لتلك الموجودة في الرسم البياني رقم (١٥)، بالنسبة إلى مستويات احتياج اقتصاد دولة إسرائيل لدعم يهود مهاجر الشتات.

١ ـ في الأعوام ١٩٥٥-١٩٦٦ كان المستوى موحداً للغاية ومنخفضاً عن المتوسط العام (١٥,٨). وخرج من هذا المتوسط كما سبق وقلنا سنة حرب سيناء مع رقم قياسي بلغ ٢٢,٢ لكل ١٠٠,٠٠٠ دولار. وإذا ما أنزلنا سنة الحرب مع السنة التي تلتها فإن المتوسط سوف يهبط إلى ١٤,٩ فقط (مع انحراف منخفض للغاية بنسبة ١,٧ والنسبة بينه وبين المتوسط ستنخفض إلى ٠,١١٦ ، ويعرض الرسم البياني رقم (٢٠)، ص ٤٧٦ من هذا الكتاب الصورة المفصلة لمؤشر الجهود للفترة الفرعية الأولى.

٢ ـ هذه الصورة الموحدة تبدلت في العام ١٩٦٧. ففي خلال العقد الذي تلا حرب الأيام الستة، وسوياً مع الزيادة في مبالغ التبرعات، أشار «مؤشر الجهود» أيضاً إلى زيادة في استعداد يهود مهاجر الشتات لتخصيص أجزاء أكبر من مداخيلهم للدولة اليهودية. وزادت النسب، وفي العام ١٩٧٣ وصلت إلى مستوى ٤٤,٧ الذي كانت دلالته أنه عن كل مليار دولار من الناتج المحلي للولايات المتحدة قدمت تبرعات بقيمة نصف مليون دولار تقريباً من جانب يهود مهاجر الشتات إلى دولة

إسرائيل. كذلك كان المتوسط السنوي لتلك الفترة الفرعية عالياً أيضاً حيث بلغ ٢٨,١، وانحراف المقياس العالي بنسبة ٧,٩ تشير إلى تقلبات كبيرة من عام إلى آخر. وواضح أن جزءاً بارزاً من هذه التقلبات تسبب من طريق الاستجابة الشاذة لاحتياجات الحروب الكبيرة في العام ١٩٦٧ والعام ١٩٧٣. ولكن حتى لو شطبنا هذه السنوات من حسابات المتوسط فإننا سنحصل على متوسط سنوي هو ٢٤,٩، وهذا المتوسط أعلى بنحو ٥٨ في المئة من نسب «المؤشر» في السنة الأفضل في الفترة الفرعية الأولى.

٣ ـ السنوات الست عشرة الأخيرة (١٩٧٨-١٩٩٣) تماثل الفترة الفرعية الأولى مع «سنة طوارئ» واحدة، هي سنة الحرب اللبنانية (في العام ١٩٨١)، التي جعلت المقياس يرتفع بنحو ٤٠ في المئة مقارنة بالسنة السابقة، أي إلى مستوى ٢٣,٢. وعاد المتوسط للفترة كلها الممتدة على طول ١٦ عاما إلى ١٦,٤، وهو متوسط منخفض بشكل جوهري عن المتوسط العام. كذلك فإن الانحراف عن المقياس هو انحراف منخفض (٢,٥٥). وتشير النسبة المنخفضة بينه وبين المتوسط (٠,١٥٦) إلى تقلبات محدودة من عام إلى آخر. وتشكل هذه النسب المنخفضة إشارة تحذير إلى انخفاض الاهتمام الذي يبديه يهود المنفى بدولة إسرائيل. ويعرض الرسم البياني رقم (٢٢)، ص ٤٧٧ من هذا الكتاب الصورة المفصلة لـ «مؤشر الجهود» للفترة الفرعية الثالثة.

في خلال نحو أربعة عقود زاد متوسط رفاه العائلة الأمريكية (وفقاً لافتراضنا فذلك يشمل أيضاً العائلات اليهودية) الذي يقاس كناتج للفرد الواحد سنوياً، من نحو ٧,٢٠٠ دولار في العام ١٩٥٥ إلى نحو ٢١,٨٠٠ دولار في العام ١٩٩٠ (وكل ذلك بالدولارات حسب قيمتها الثابتة للعام ١٩٩٠). وفي النظرية الاقتصادية فالتبرعات لا تعتبر «منتجاً متدنياً» بل العكس صحيح. والافتراض هو أنه كلما ارتفع مستوى المعيشة (الناتج للفرد) فمن المتوقع، بحكم المساواة في بقية الظروف، ارتفاع في نسبة الدخل المخصص للتبرعات. وفي كل ما يتعلق بتبرعات يهود مهاجر الشتات لإسرائيل فإن ما حصل هو العكس. فنسبة التبرعات في المداخيل انخفضت مقارنة بسنوات السبعينيات. إلى ذلك، وكما هو مذكور أعلاه، فهذه التبرعات تنقسم إلى مجموعتين كبيرتين: **الأولى** هي التبرعات المخصصة للجباية المركزية لإسرائيل، وهي تخضع للسلطة المطلقة للمؤسسات القومية، وموجهة نحو تلك الغايات التي تقررها المؤسسات القومية. أما في المجموعة **الثانية** فإننا نجد تبرعات تقدم إلى مؤسسات وهيئات مختلفة والمخصصة لدعم المنظمات المحددة التي تم جمع الأموال من أجلها. وفي الغالبية الساحقة من الحالات فإن هذه المنظمات المتلقية هي المؤسسات التي لا تهدف إلى الربح، وتحت هذا العنوان يقوم مكتب الإحصاء المركزي بجمع كل

التحويلات المالية من يهود مهاجر الشتات غير المخصصة للمؤسسات القومية. وتجزؤ المساعدة المقدمة إلى إسرائيل بين الأموال المخصصة للمؤسسات القومية وبين الأموال المخصصة للمؤسسات غير الربحية، يشكل مؤشراً مهماً على طبيعة المساعدة المقدمة من يهود مهاجر الشتات إلى دولة إسرائيل.

وهناك دلالة لتركيبة أفضليات الجمهور اليهودي الداعم لإسرائيل. عدد منهم يضع على رأس اهتماماته التبرع لدولة إسرائيل نفسها. وفي المقابل، فإن عدداً آخر يفضل تقديم أموال الدعم إلى مؤسسات محددة. وبدأ بنك إسرائيل منذ العام ١٩٦٢ فقط بتسجيل منظم لهذا التمييز. ويظهر فحص هذا التوزع نتائج مثيرة للاهتمام. وبشكل عام، فإن أنماط تطور السلسلة التي تعرض نسبة التبرعات إلى المؤسسات القومية من مجمل المساعدة اليهودية إلى إسرائيل لا تختلف عن أنماط سلوك السلاسل الأخرى التي نوقشت حتى الآن. فإلى حين العام ١٩٦٦ كان أكثر من نصف التبرعات بقليل قد خصص للمؤسسات القومية، وفي الأعوام ١٩٦٢-١٩٦٦ كان المتوسط للمؤسسات القومية يشكل ٥٦ بالمئة، بينما كان المتوسط للمؤسسات غير الربحية ٤ بالمئة. وتغير هذا التقسيم بصورة حادة في العام ١٩٦٧ عندما أدت الاحتياجات التي أحدثها الزمن إلى إقناع المتبرعين في الخارج ليس فقط بزيادة تبرعاتهم، وإنما أيضاً بتخصيص الجزء الأكبر منها ٨٥,٥ بالمئة لتغطية الاحتياجات المباشرة للدولة، ومنذ ذلك الوقت وحتى العام ١٩٨٥ نشأت أنماط قسمة جديدة بين مجموعتي الغايات هذه.

وهكذا تم توجيه ٧٣ بالمئة من متوسط كل التبرعات إلى احتياجات الدولة، في مقابل توجيه ٢٧ بالمئة فقط إلى المؤسسات التي يفضلها المتبرعون. وكانت الفوارق السنوية معتدلة للغاية خلال فترة التسع عشرة سنة المذكورة. وباستثناء العام ١٩٨١ حظيت المؤسسات القومية بأكثر من ثلثي مجموع المساعدة التي جاءت من مهاجر الشتات. وفي العقد الأخير تغير هذا الاتجاه بشكل حاد، حيث انخفض سحر المؤسسات القومية لدى الكثيرين في أوساط المتبرعين. وكان ذلك في الغالب لمصلحة المؤسسات غير الربحية القريبة إلى قلوبهم. أما الهبوط في نصيب المؤسسات القومية فقد كان حاداً وثابتاً. وينطبق هذا الأمر بشكل خاص على سنوات التسعينيات.

وفي العام ١٩٩٤ وللمرة الأولى منذ قيام التسجيل المنظم من جانب بنك إسرائيل، انخفض نصيب المؤسسات القومية إلى ما دون نسبة الأربعين في المئة من التبرعات. ويشكل هذا التطور شهادة أخرى على أن عدد يهود مهاجر الشتات الذين يظهرون الاهتمام بدولة إسرائيل آخذ بالتناقص. ونجد التعبير المالي لاستمرار ولاء الكثيرين من بين هؤلاء للقضية اليهودية ولأرض إسرائيل، في اتساع تبرعاتهم

للمؤسسات التربوية التوراتية والثقافية والفنية في إسرائيل، وليس بالذات لإسرائيل نفسها. ويعرض الجدول رقم (١٧)، ص ٤٦١ من هذا الكتاب. معطيات سنوية مفصلة في هذا الشأن.

ومن السهل إبراز الاتجاهات المستخلصة من الجدول رقم (١٧) من خلال رسم السلسلة الزمنية التي تعرض نسبة التبرعات التي وُجهت إلى المؤسسات القومية من مجمل تبرعات اليهود المقدمة لإسرائيل. وسيتم عرض هذا الرسم بطريقتين: الرسم البياني رقم (٢٣)، ص ٤٧٨ من هذا الكتاب يوضح النسب المئوية الفعلية للتبرعات، بينما يوضح الرسم البياني رقم (٢٤)، ص ٤٧٨ من هذا الكتاب التقلبات السنوية الشديدة أحياناً، من طريق استخدام تقنية المتوسطات المتحركة التي تتيح متابعة أفضل للاتجاهات المتعددة السنوات.

ولقد تم احتساب المتوسطات المتحركة الممتدة على ثلاث سنوات، والمخصصة لتخفيف الفوارق السنوية، في نسبة التبرعات للمؤسسات القومية، من أجل إبراز الاتجاهات المتعددة السنوات، على أساس سنوي كمتوسط لنسب تلك السنة، والسنة التي قبلها، والسنة التي بعدها. وهذه الأرقام المعروضة في الجدول رقم (١٨)، ص ٤٦٢ من هذا الكتاب تم احتسابها من العمود الثاني في الجدول الخامس المشار إليه آنفاً.

علاقات اقتصادية أخرى

هناك فروع ذات دلالة اقتصادية أخرى ومحددة، قائمة، ربما، على هامش الفعل التجاري، إلا أن أهميتها ليست تافهة، لا للمرافق الاقتصادية، ولا للمجتمع الإسرائيلي، ولا للعلاقات بين إسرائيل ومهاجر الشتات. ومن بين هذه الفروع فرع دور المسنين الذي صار واحداً من الفروع الأسرع نمواً في بلدان الغرب الغنية. وهذا النمو هو نتاج مشترك للارتفاع الدائم في متوسط الأعمار ولتفكك العائلة الحديثة، وبخاصة العائلة الثلاثية الأجيال. كذلك فإن التنقل لتزايد لقوة العمل المهنية المتبّعة لأماكن العمل المطلوبة والمبتعدة من أماكن سكن جيل الآباء، يُسهم في هذا التفكك. والعملية الأولى تطيل حياة جيل الآباء وتزيد الطلب على الأدوات التي توفر الرفاه لجيل المُسنين، بينما تُقلص العملية الثانية من استعداد وقدرة جيل الأبناء على الاهتمام بآبائهم الشيوخ. والنتيجة هي إطالة عمر أعداد متزايدة من المسنين في الوقت الذي تتناقص فيه أعداد الحفدة المستعدين للاهتمام بهم مباشرة. وفي العقود الأخيرة تحولت دور المُسنين التي ترعى اليهود الطاعنين في السن إلى فرع اقتصادي ذي قدرة كبيرة على النمو في مهاجر الشتات.

إن إقامة دور للمسنين في إسرائيل من أجل اليهود المُسنين من مهاجر الشتات قد تكون عظيمة الفائدة، لأنها قد تحسّن أيضاً، في الوقت نفسه، الراحة النفسية لساكني تلك الدور وتقوي روابط أبناء وحفدة هؤلاء المسنين مع دولة إسرائيل. وفي ما عدا اعتبارات قومية واجتماعية من هذا النوع، فإن هناك بالطبع مزايا اقتصادية بارزة في توسيع فرع خدماتي يوفر فرص عمل كثيرة، مثل دور المسنين. وهذه الدور قادرة على توفير العمل لقوة عاملة لا يوجد طلب كبير عليها في عصر التكنولوجيا المتقدمة. وفي الوقت نفسه يوجد لمثل هذا الفرع دلائل لا بأس بها في جلب العملات الصعبة إلى مرافق الدولة الاقتصادية. وهناك بلدان هجرة أوروبية مثل إيرلندا، وبولندا، وهنغاريا، تجهد بالأساس لمسوّغات اقتصادية، من أجل اجتذاب مُسنّين ممن تعود أصولهم إلى هذه البلدان، لقضاء بقية أيامهم في بلادهم الأصلية.

وهناك فرع آخر يبدو واعداً من الناحية الاقتصادية وله أيضاً دور مهم في تعزيز علاقات يهود مهاجر الشتات مع دولة إسرائيل، وهو تطوير مؤسسات تعليمية على مستويات فوق الثانوية للطلبة من مهاجر الشتات اليهودي. والمجالان الدراسيان اللذان يوجد فيهما (لتوسيع المؤسسات من أجل طلبة المهجر/ الشتات) فرصة نجاح هما:

- مؤسسات أكاديمية.

- مؤسسات توراتية .

وتنافس الجامعات في دولة إسرائيل من ناحية مستواها أفضل المؤسسات الموازية لها في الغرب. فالتدريس باللغة الإنكليزية لا يشكل صعوبة للغالبية الكبرى من المحاضرين والأساتذة الجامعيين الذين يقضون في إطار تبادل المحاضرين سنة دراسية في البلدان المتحدثة بالإنكليزية، والذين ينشرون أبحاثاً أكاديمية باللغة الإنكليزية. ومن جهة أخرى فإن تكلفة تفعيل برامج تعليم أكاديمية في العديد من المهن الدراسية، أقل بكثير من تكلفة برامج مماثلة في الولايات المتحدة وفي بلدان الغرب الأخرى التي تعتبر الإنكليزية هي لغة التدريس فيها. والمقصود هنا أزمة من الإجازات (الدرجات) الأكاديمية المليئة بتشكيلة من المهن، يوجد فيها مخزون كامن قادر على مزاولة التعليم، بأكلاف هامشية منخفضة للغاية. وحتى اليوم ينظر إلى تشجيع قدوم الطلبة اليهود من الخارج كنشاط صهيوني تربوي، مسوّق بأسعار مدعومة، ويشكل عبئاً مالياً على كتفي الوكالة اليهودية. وتوصي هذه الدراسة بالنظر إلى تسويق رزمة البرامج الأكاديمية كفرع تصدير بارز في مجال يوجد فيه لدولة إسرائيل تفوق نسبي واضح.

وتنشط دول في شرقي أوروبا (هنغاريا، سلوفاكيا، رومانيا، وتشيكيا على

سبيل المثال) في تصدير التعليم العالي في مجالات كثيرة، تشمل الطب، وطب الأسنان، والطب البيطري، والفنون، وحتى القانون. ولغة التدريس هنا هي الإنكليزية، ورسوم الدراسة منخفضة نسبياً عن المألوف في هذه المجالات في الولايات المتحدة، كما أن الربح الذي تحصل عليه الجامعات من عملية التصدير العلمي هذه هو ربح جوهري. فهناك المئات من الطلبة الجامعيين الإسرائيليين الذين يدرسون في هذه البلدان مهناً لم يتمكنوا من دراستها في المؤسسات الإسرائيلية. وتصدير التعليم الجامعي من شرق أوروبا يتم منذ سنوات بنجاح ملحوظ، رغم أن الظروف الأكاديمية والمادية في جامعات هذه البلدان متدنية بكثير عما يمكن للمؤسسات الإسرائيلية المماثلة أن تقدمه وبخاصة للشبان اليهود. والمئات الكثيرة من الطلبة الإسرائيليين الذين درسوا ويدرسون في المؤسسات الأكاديمية في بلدان شرق أوروبا هم خير دليل على مجال إمكانات تصدير التعليم العالي كفرع اقتصادي ستتعاظم أهميته في المستقبل. وكما قلنا فإنه يوجد لإسرائيل تفوق نسبي واضح في التعليم الأكاديمي، كفرع اقتصادي أيضاً. وتطوير هذا الفرع يمكنه أن يسهم أيضاً في ميزانيات الجامعات وفي مداخيل الكثيرين من أعضاء هذا السلك الأكاديمي. وإضافة إلى الوجه الاقتصادي يوجد لهذه المشاريع تأثير إيجابي أيضاً في علاقات إسرائيل مع مهاجر الشتات اليهودي.

وفي إسرائيل اليوم يوجد واقع معاكس. فبدلاً من الاشتغال بتصدير التعليم الأكاديمي، ينشغل وسطاء وسماسرة الشهادات الجامعية، باستيراد الألقاب الأكاديمية في سياق استغلال أسماء مؤسسات أكاديمية في الخارج يقل مستواها في معظم الحالات عن مستوى المؤسسات الإسرائيلية. وهذا الاستغلال للثقة العمياء للآباء السذّج ولأبنائهم التواقين للحصول على إجازات جامعية عليا، بلا أهمية، بالضرورة، في نظرهم لمستواها التعليمي، يسبب ضرراً ليس فقط للتعليم العالي في إسرائيل، ولكنه يمس أيضاً بفرصة تصدير العلوم، وفرصة تقريب الشبيبة اليهودية من دولة إسرائيل من خلال ذلك.

إن المؤسسات التعليمية التوراتية «اليشيفوت» (المدارس الدينية) للذكور و«بني أولبانا» (معاهد دينية) للإناث، تعمل اليوم بنجاح أكبر من المؤسسات الأكاديمية، رغم أن هذا الفرع قابل للتوسع أيضاً. وهناك عقبة لا بأس بها تعيق التوسع الكثيف في جلب آلاف كثيرة من الشابات والشبان إلى معاهد دينية (بني أولبانا) للإناث ومدارس دينية (اليشيفوت) للذكور. هذه العقبة هي الأيديولوجيا السائدة في أوساط دوائر دينية أرثوذكسية (متمسكة بالنص) مهمة في الولايات المتحدة، والتي ترى أن العلاقة في هذا المجال بين الولايات المتحدة وإسرائيل هي كالعلاقة في الماضي البعيد

بين بابل وأرض إسرائيل. وبمعنى آخر، فإن هناك آراء منتشرة داخل هذه الدوائر تقول إن علوم التوراة الحقيقية موجودة في المدارس الدينية اليهودية (اليشيفوت) في الولايات المتحدة أكثر مما هي عليه، وفي القدس أو في بلدة بني براك (أحد معاقل التيار الأصولي ـ الحريدي). ويتوجب علينا التصدي لمثل وجهة النظر هذه، وهذا الأمر ممكن.

أما الفروع الاقتصادية القديمة التي تنتج منذ سنوات كثيرة سلعاً تصدر إلى مهاجر الشتات اليهودية وإلى طالبي «طيّبات الأرض المقدسة»، فهي فروع المواد الغذائية والتحف التذكارية. وصناعة الأغذية تنتج سلعاً إسرائيلية نموذجية سواء أكانت مواد غذائية محلّلة (كاشير)، أو أغذية شرق أوسطية. والأهمية الاقتصادية لتصدير أغذية محللة (كاشير) إلى بلدان تتركز فيها أعداد كبيرة من مستهلكي الأغذية المحللة (كاشير) آخذة بالتقلص، وعلى الأقل من ناحية وزنها في الصادرات الإسرائيلية، جراء تطوير خطوط إنتاج منافسة من جانب منتجي غذاء محليين أو متعددي الجنسيات. كذلك فإن فرع التحف التذكارية النموذجية المصنوعة في «الأراضي المقدسة» يعمل منذ سنوات عديدة بأحجام غير كبيرة مع نسب نمو ضئيلة، ويبدو أن هذين الفرعين مستغلان اليوم إلى درجة تقترب من كامل طاقتهما الكامنة، كما أن شريحة هذه الأسواق آخذة بالتقلص.

وهناك مجالان آخران لهما دلالة اقتصادية مركزية، نشأت فيهما في الماضي علاقات ذات أهمية اقتصادية كبيرة للغاية بين دولة إسرائيل وبين يهود مهجر الشتات، وهما:

ـ زيارة سياح يهود إلى دولة إسرائيل.

ـ هجرة اليهود.

السياحة اليهودية

تنقسم السياحة إلى إسرائيل إلى مجموعتين مختلفتين عن بعضهما البعض بشكل قطبي. وهناك سواح يأتون إلى إسرائيل بسبب خصوصية البلد من الناحية التاريخية - الدينية، وباعتباره بلداً لنحو خمسة ملايين يهودي يتوزع أقرباؤهم على سطح كل القارات. وفي المقابل هناك سواح يبحثون في إسرائيل عن المناظر الطبيعية البانورامية، وعن الشمس، وعن البحر، وعن الأماكن العلاجية، وكذلك عن تاريخ هذا البلد وآثاره. وكما قلنا فالفارق كبير بين هذين النوعين من الطلب على إسرائيل كبلد سياحي. وتعتبر المزايا الروحية ـ الدينية لأرض إسرائيل فريدة في العالم،

وبخاصة لأبناء الشعب اليهودي الذي لا يوجد لديه بلد آخر مع تداعيات تاريخية ودينية مماثلة للقيام بزيارته. وبالنسبة إلى السائح اليهودي من الصنف الأول، فإنه بقدر ما تمثله إسرائيل من قيم كهذه، لا يوجد بديل سياحي في مكان آخر.

وبالنسبة إلى السياحة الأخرى التي تبحث في إسرائيل عن المتع التي تستهوي السائح العادي، أي المناظر البانورامية، والشمس والبحر، وأماكن اللهو، وزيارة المواقع المثيرة للاهتمام، فالسائح يأتي إلى إسرائيل متوقعاً أن يجد فيها كل هذه الأمور الجذابة على مستوى أفضل و/أو بأسعار أفضل. وبمعنى آخر، فإنه يتوجب على القائمين على شؤون هذه السياحة عرض برامج سياحية مماثلة لتلك المقترحة في البلدان الأخرى، وقواعد المنافسة التجارية المألوفة في كل فرع اقتصادي آخر تنطبق أيضاً عليها. وكانت السياحة الدولية طوال الخمسين سنة الماضية إحدى الصناعات ذات النمو السريع للغاية في العالم. وارتفعت الدورة السنوية لهذا الفرع في العالم، دون شمول تذاكر السفر، من ٢,١ مليار دولار في العام ١٩٥٠ إلى ٢٥٥ مليار دولار في العام ١٩٩٠. كذلك ارتفع عدد السواح في العالم من ٢٥,٣ مليون سائح سنوياً في العام ١٩٥٠ إلى ٤٥٤,٨ مليون سائح في العام ١٩٩٠ (١٨ ضعفاً)، وشملت هذه العملية دولة إسرائيل أيضاً. فسيل السياحة الداخلة إليها زاد جداً، حيث ارتفع من ٣٥,٩ ألف سائح في العام ١٩٥١ إلى ١,٠٦٣,٤ (مليون وثلاث وستين ألفاً وأربعمئة) في العام ١٩٩٠ (٢٩ ضعفاً). وبناءً عليه، وعلى امتداد الفترة (١٩٥٠-١٩٩٠) كانت نسب الزيادة السنوية لعدد السائحين الداخلين إلى إسرائيل أعلى بشكل جوهري (٩,٠٨ بالمئة) من نسبة الزيادة السنوية العالمية (٧,٤٩ بالمئة).

ويتمثل في هذه السياحة الوافرة إلى إسرائيل نوعا السياحة اللذان أشرنا إليهما آنفاً. ويتضح مما ورد أعلاه أن الإسهام الرئيس الذي تقدمه السياحة من النوع الثاني يتمثل في خلق فرص عمل للعاملين، وفي ضمان دخل لخزينة الدولة بالعملات الصعبة. ومن جهة أخرى، فإن نوع السياحة الأول، وعلى الرغم من أهميته الاقتصادية، ربما أقل من أهمية السياحة الأخرى، يشكل في معظمه (باستثناء سياحة الحجاج) تعبيراً عن الروابط بين يهود مهاجر الشتات ودولة إسرائيل، وهذا هو الأمر الذي يميزه.

إن اتجاه تطور السياحة الوافدة إلى إسرائيل هو مرآة صادقة لأنماط تطور المرافق الاقتصادية الإسرائيلية وعلاقات إسرائيل مع يهود مهاجر الشتات، وكما ذكرنا آنفاً فالاستعانة بالروابط اليهودية ضعفت سوياً مع تقلص الاحتياج لهذه الروابط. والتعبيرعن ذلك يتمثل في الانخفاض النسبي للسياحة اليهودية في مقابل النمو

السريع جداً في السياحة العالمية، أي السياحة من «النوع الثاني». ولغرض فحص هذه المسألة تم فحص السياحة الوافدة وفق المناطق التي يأتي منها السواح في فترات مختلفة. وسنتطرق إلى السياحة من الولايات المتحدة، ومن كندا وجنوب أفريقيا، وأيضاً إلى السياحة من فرنسا، ومن بريطانيا، ومن بلجيكا كذات مكوّن يهودي أكثر من تلك السياحة الوافدة من بلاد أخرى. ويعرض الجدول رقم (١٩)، ص ٤٦٣ من هذا الكتاب صورة لنسب السائحين الوافدين من مناطق مختلفة وفي أعوام مختلفة.

إن الظاهرتين البارزتين للعين في الجدول هما الانخفاض المتواصل منذ العام ١٩٦٠ في حصة سواح المجموعة (أ) الذين كان كثير منهم بالتأكيد من اليهود، وفي المقابل، الزيادة المتواصلة في وزن سواح المجموعة (ج)، حيث الجزء الأعظم منهم من غير اليهود. وهذه الحقيقة تبرز بشكل أشد في المقارنة بين مجموعتي سواح الذين وإن لم يكونوا كثيري العدد إلا أنه يمكن القول بشأنهم إن أفراد إحدى المجموعتين هم يهود في معظمهم، في حين أن اليهود هم أقلية في المجموعة الثانية. والمقصود بالمجموعة الأولى هم السواح الوافدون من جنوب أفريقيا ومن أوقيانيا، في حين تتشكل المجموعة الثانية من سواح وافدين من البلدان الاسكندنافية ومن ألمانيا.

وكان عدد السواح في هاتين المجموعتين كما يلي:

	١٩٥١	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٩٢
المجموعة الأولى	١,٩٤٩	٦,٠٢٠	٢٣,٨٠٠	٤٢,١٠٠	٣٨,٠٠٠	٤٩,٨٠٠
المجموعة الثانية	١,٥١٥	٦,٠٩١	٣٩,١٠٠	٢٢٦,٥٠٠	١٥٩,٢٠٠	٢٥٣,٣٠٠

وتعني هذه الأرقام أنه في حين كان عدد السواح من أفراد المجموعة الأولى في العام ١٩٩٢ أكبر بخمسة وعشرين ضعفاً مما كان عليه العام ١٩٥١، فقد زاد عدد السواح من أفراد المجموعة الثانية في الفترة الزمنية نفسها (١٦٧) مئة وسبعة وستين ضعفاً. وكنتيجة لذلك فقد انخفض كثيراً وزن السواح من المجموعة الأولى من ٥,٤ في المئة في العام ١٩٥١ إلى ٣,٠ في المئة في العام ١٩٩٢. وفي المقابل، فقد زادت كثيراً نسبة السواح من أفراد المجموعة الثانية من ٤,٢ في المئة في العام ١٩٥١ إلى ١٥,٣ في المئة في العام ١٩٩٢.

ويمكننا القول استناداً إلى معطيات السياحة الصادرة عن مكتب الإحصاء المركزي إنه إزاء الزيادة الكبيرة في أعداد السائحين الوافدين تراجعت حصة السياحة اليهودية إلى موقع أقل مركزية مما كان عليه في الماضي. ونظراً إلى عدم توفر معلومات إحصائية دقيقة يجدر بنا أن نصوغ هذه الجمل بحذر، ولكن معقولية هذا القول عالية.

والجزء الأكبر والحاسم في زيادة السياحة الوافدة هو من المجموعة (ب)، أي السياحة الكلاسيكية التي تعتبر إسرائيل بالنسبة إليها مجرد دولة أخرى مثيرة للاهتمام فيها شمس وبحر ومناظر بانورامية. ووفقاً لذلك فإنه يتوجب أيضاً على البنية التحتية السياحية ملاءمة نفسها لأنواع الطلبات هذه التي تعني المزيد من النوادي الليلية ونوادي القمار، واستثمارات أقل في مجال التأكيد على طابع الدولة اليهودي. وهناك ديناميكية لهذا الأمر. فنظراً إلى أن وجه الخدمات السياحية أخذ يتلقى الطابع المطلوب من خدمات سياحية عالمية، فإن قوة جاذبية هذه الخدمات تضعف بالنسبة إلى السائح اليهودي من المجموعة الأولى. وهو سبب آخر لهبوط جاذبية دولة إسرائيل لدى كثيرين من السواح اليهود الذين يفتشون في إسرائيل عن الدولة اليهودية. ولهذه الديناميكية يوجد، بالطبع، ثمن يدفع بعملة الروابط بين يهود مهاجر الشتات ودولة إسرائيل. كذلك فإن المسارات في مجال السياحة تدخل إلى الصورة العامة ذاتها من التباعد المتبادل والبطيء.

وكما قلنا، فالسياحة اليهودية ليست فقط مجرد مصدر للعملات الأجنبية يوجد للسياحة اليهودية، كما لصناديق الجباية، وجه منتوج يهودي عام، وقيمة زيارة اليهود لإسرائيل أكبر من قيمة الدولارات التي يجلبونها وأكبر من قيمة متعتهم السياحية كزائرين. ولذا هناك ما يدعو إلى النظر في تشجيع السياحة اليهودية أيضاً بعيداً عن الاعتبارات التجارية بالنسبة إلى تنمية السياحة كفرع اقتصادي. وهناك أدوات لتشجيع السياحة اليهودية، ولكن استخدامها مقرون بأكلاف وليس فقط بأكلاف مادية يتوقف جدوى دفعها على الحكم الذاتي بشأن الفائدة النابعة من قيم مثل التضامن اليهودي العام. وهذا الحكم هو متغير سياسي ذو شحنات أيديولوجية في أيدي المسيطرين على الموارد العامة. ولذا فإن تخصيص موارد لمشروعات من أجل زيادة السياحة اليهودية إلى إسرائيل (للشبيبة ونحو ذلك) سيكون نتاجاً لمدى الأهمية التي يعزوها واضعو السياسة للطابع اليهودي لدولة إسرائيل. فالهجرة اليهودية إلى إسرائيل كمورد اقتصادي في الماضي، البعيد والقريب أيضاً، وأحجام هذه الهجرة وطابعها، كانت هي المتغيرات المركزية التي حددت جدول الأعمال الاقتصادي لـ «اليشوف» اليهودي في أرض إسرائيل (في الماضي البعيد) وللدولة (في الخمسين سنة الأخيرة). والهجرة اليهودية إلى إسرائيل، باعتبارها استيراداً للموارد الاقتصادية، تنقسم في التسعينيات إلى ثلاث مجموعات:

١ ــ **الهجرة التي تعود في سببها إلى الضائقة**، والتي جاء معظمها من بلدان تعتبر فيها حريات الإنسان (اليهودي) و/ أو مستوى معيشته أسوأ (أكثر انخفاضاً) مما هي عليه في إسرائيل. فالمهاجر الوافد إلى بلد جديد (إلى إسرائيل المستعدة لاستقباله)

إنما يفعل ذلك بهدف تحسين ظروف حياته من ناحية حرياته و/أو مستوى حياته المادي.

٢ ـ **الهجرة الأيديولوجية** التي تأتي في معظمها من بلدان الرفاه في الغرب. والمهاجر بدوافع أيديولوجية يسعى إلى أن يحقق من خلال هجرته رغبات روحية و/أو دينية، وهو مستعد لأن يضحي من أجل تحقيق رغباته هذه بجزء من مستوى معيشته في البلد الذي جاء منه. وفي هجرته إنما يدفع رفاهه الشامل إلى الحد الأقصى من طريق استبدال جزء من الرفاه المادي برفاه روحاني يرتبط في نظره بالعيش في إسرائيل، وغالباً لأن إسرائيل هي بلد الآباء والأجداد أو دولة اليهود.

٣ ـ **هجرة المتقاعدين**، وهذه الهجرة تأتي أيضاً من بلدان الرفاه، ولكن خلافاً للوضع بالنسبة إلى الشخص الذي يهاجر بدوافع أيديولوجية، ففي دوافع المهاجر المتقاعد هناك خليط من تحقيق رغبات روحية ومصلحة اقتصادية. فمن جهة، فإن القوة الشرائية للتقاعد الغربي أو لتوفيرات الشيخوخة في بلدان الغرب أعلى في إسرائيل منها في بلدان سكن المهاجرين. ومن جهة أخرى، توجد في أوساط غالبية المهاجرين المتقاعدين رغبات للعثور في إسرائيل على بيئة وإطار اجتماعي يساعدهم في خلق رفاه روحي يهودي.

ولهذا التقسيم إلى ثلاث مجموعات توجد دلالة من ناحية الموارد الاقتصادية التي يمكن توقعها من المهاجرين. فالهجرة في بلدان الضائقة تقدم إلى المرافق الاقتصادية، أولاً وقبل كل شيء، قوة بشرية بمستويات مختلفة من المهارة المهنية والتكنولوجية. وفي نهاية موجات الهجرة الجماعية من رابطة الدول المستقلة، فإن جلّ الهجرة من هناك يصل اليوم من المناطق الأقل تطوراً من ناحية مخزونات رأس المال البشري المتقدمة. وفي المقابل، فإن الهجرة الأيديولوجية هي هجرة غنية جداً برأس المال البشري المهني والأكاديمي. فالكثير من بين هؤلاء المهاجرين يضع تحت تصرف المرافق الاقتصادية الإسرائيلية مؤهلات ورؤوس أموال بشرية حصل عليها من البلد الذي جاء منه. وهذه الهجرة تمنح المرافق الاقتصادية الإسرائيلية فوائد اقتصادية تنبع من «هجرة الأدمغة» من بلدان الغرب إلى إسرائيل. وفي المقابل، فإن المساهمة الاقتصادية التي يقدمها المهاجر المتقاعد تتمثل في رأس المال الذي ينقله معه، وكذلك في السياحة المتعاظمة إلى إسرائيل من جانب أفراد عائلته. ويوجد فرق آخر بين الهجرة الناجمة عن الضائقة وبين معظم الهجرة من بلدان الرفاه يتمثل في طابع الطلب على إسرائيل كبلد للسكن. ويتوقف الطلب على مهاجري الضائقة الذين يأتون إلى إسرائيل على طبيعة وقوة الضائقة في بلدان المنشأ، وعلى الخيارات المعروضة على

المهاجر في البلدان الأخرى. وجميعها عوامل خارجية لا يوجد لدولة إسرائيل تأثير فيها تقريباً. في المقابل، فإن الطلب على إسرائيل من جانب المهاجرين من المجموعتين الأخريين يكون نتيجة لمتغيرات إرادية من المهاجرين أنفسهم. وتتوقف قرارات المهاجرين إلى حد كبير على سياسة الهجرة والاستيعاب المتخذة من جانب السلطات.

إن النتائج العملية المهمة للغاية المستخلصة من هذه الدراسة هي أنه في الظروف الاجتماعية ـ الاقتصادية والتكنولوجية التي نشأت في العالم الغربي الذي تعيش فيه اليوم الغالبية الساحقة من يهود مهاجر الشتات، فإن علاقات إسرائيل مع هؤلاء اليهود تتأثر إلى حد كبير بالخطوات التي تتخذ من جانب قادة الدولة. وهذه الخطوات نفسها هي وليدة تفضيلات ومعتقدات. والمسألة الحاسمة هي: ما الخيار المفضل من جانب الزعامة السياسية بالنسبة إلى طابع ووجهة دولة إسرائيل في القرن الحادي والعشرين؟

هل ستكون إسرائيل، أولاً وقبل كل شيء، آخر دولة يهودية تسعى لخلق علاقات مع يهود العالم، أو دولة تسعى للاندماج في المجال الشرق أوسطي، أم أنها تفضل أن تكون دولة أوروبية غربية تقع على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط؟

لكل واحد من هذه الخيارات مزايا، كما أن لكل منها ثمناً. ولكل سياسة نابعة من ذلك سيناريو مختلف في علاقة اليهود في العالم مع دولة إسرائيل.

اقتصـــــاد

إسرائيـــل ويهـــود أمريكـــا في العام ٢٠٢٠

كرمل تشيزفيك

١ ـ مدخل

هذه المقالة تعرض تحليلاً اقتصادياً للعلاقات بين الجوالي اليهودية في إسرائيل وفي الولايات المتحدة، كما تتوقع نوعية العلاقات بينهما في خلال الخمس والعشرين سنة المقبلة. وتمّت هذه المهمة في إطار مشروع **إسرائيل ٢٠٢٠** الذي بادرت إليه الدائرة الاستيطانية في الوكالة اليهودية، والذي يفترض عدداً من البدائل بالنسبة إلى التطور الاقتصادي في إسرائيل كما هو موصوف في المشروع ذاته[١]. كذلك تم التحليل أيضاً من خلال وجهة نظر صهيونية: فإسرائيل ينظر إليها ليس فقط ككيان سياسي يتمتع بالسيادة بالنسبة إلى مواطنيه، إنما أيضاً كدولة يهودية هي بمثابة مهجر ذي مكانة فريدة بين يهود العالم، ويوجد لها دور فريد مشتق بالدرجة الأولى من كونها كياناً سياسياً مستقلاً.

ولقد اخترنا الجالية اليهودية في الولايات المتحدة (لاحقاً ـ يهود الولايات المتحدة) كبؤرة لهذه الدراسة، جزئياً بسبب حقيقة كون هذه الجالية أكبر جالية يهودية في مهاجر الشتات اليهودي المعاصر، وجزئياً نظراً إلى أن اليهود فيها ديناميكيون جداً، ويضعون أمام إسرائيل تحدياً جدياً للغاية بالنسبة إلى سيادتها في موضوعات يهودية. ويجدر الافتراض أن الأزمات المتعلقة بسيادة إسرائيل قد مرت، ولذا فإن علاقاتها مع يهود الولايات المتحدة هي علاقات حرجة منذ الآن، بالنسبة إلى هوية إسرائيل كدولة يهودية. وتعنى هذه الدراسة بشكل مركّز في **الجزء الأول** بالعوامل الاقتصادية

(١) آرييه هيرشكونيتش، «خلاصة تصريحات وبدائل،» (١١ تموز/يوليو ١٩٩٥).

الموضوعة في أساس منظومة العلاقات هذه، وسنركز بخاصة على تلك العوامل التي تعزز أو تضعف هذه العلاقات بين هاتين الجاليتين المهمتين.

وفي **الجزء الثاني** سنفحص السمات الاقتصادية المميزة ليهود الولايات المتحدة، كما سنفحص في **الجزء الثالث** اقتصاد الحياة اليهودية في الولايات المتحدة. كما سنبحث في **الجزء الرابع** اقتصاد الجوالي اليهودية في إسرائيل، في سياق التركيز على أوجه الشبه والاختلاف في المجال الاقتصادي بين هاتين الجاليتين. وسنخصص **الجزء الخامس** للعلاقات الاقتصادية محاولين ملاءمة العلاقات الاقتصادية بين إسرائيل وبين يهود الولايات المتحدة إلى داخل سياق النموذج الخاص بتخطيط مشروع **إسرائيل ـ ٢٠٢٠**. أما **الجزء السادس** فسيتضمن ملخصاً تحليلياً من خلال عرض قصير للاستنتاجات ولعدد من الانعكاسات السياسية.

٢- البيئة الاقتصادية في الولايات المتحدة

القوة العاملة في الولايات المتحدة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية كانت على ما يبدو القوة الأكثر إنتاجية، ولذا كانت هي صاحبة الأجر الأعلى في كل تاريخ العالم. والأسباب الخاصة لهذه الظاهرة بعيدة من نطاق معالجة هذه المقالة، إذ كان ذلك ذروة تطور اقتصادي سريع، شارك في قسط منه المهاجرون اليهود أو نسلهم بحماس ونجاعة. وكانت عائلات يهودية قليلة قد وصلت إلى الولايات المتحدة مع ثروات تفوق قدرتها على العمل، إلا أن الأرباح الحقيقية في الولايات المتحدة كانت أكبر بما لا يقاس مقارنة بأي مكان آخر. وعلى وجه العموم، ففي الستينيات أصبحت الجالية اليهودية في أمريكا جالية في الولايات المتحدة ثرية جداً.

٢-١ مؤهلات وثقافة وإنجازات في مجال العمالة

إن جزءاً بارزاً من قصة نجاح يهود الولايات المتحدة يمكن نسبته إلى المستوى العالي من الثقافة العلمانية، أكان ذلك بمصطلحات مطلقة أو بشكل نسبي إلى المجموعات الدينية والإثنية الأخرى في الولايات المتحدة. وقد حصل نحو ٢٠ في المئة من الرجال اليهود في الولايات المتحدة على درجة الدكتوراه أو على ألقاب مهنية أخرى، وبقيت هذه النسبة ثابتة بالنسبة إلى كل مجموعة انضمت إلى قوة العمل منذ الحرب العالمية الثانية. كذلك فإن أعداد الحاصلين على درجة الماجستير مماثل للدكتوراه: نحو ١٦ في المئة في المجموعات ما قبل العام ١٩٧٠، و١٩ في المئة في المجموعات التي تلت ذلك.

وفي العقود الأولى للصعود السريع للجالية اليهودية على السلم الاجتماعي،

كان تعليم الإناث متخلفاً قليلاً عن تعليم الذكور. ومع ذلك، فقد أحرزت النساء اليهوديات مستوى ثقافة أعلى من مستوى معظم النساء غير اليهوديات، إذ إن نحو ثلثهم في المجموعات التي تلت العام ١٩٧٠ حصل على درجة الماجستير (٢٥ بالمئة وما فوق و٩ في المئة حصلن على درجة دكتوراه أو على درجة جامعية مهنية). وعلى ما يبدو فلقد كان هناك للآباء اليهود في الولايات المتحدة توقعات عالية في المجال التعليمي من أبنائهم وبناتهم على حد سواء. وفي المجموعات الأكثر شباباً تمكنت النساء اليهوديات من سد الهوة في ثقافتهن مقارنة بالرجال.

يرتبط المستوى العالي في مجال التعليم مباشرة بتجربة اليهود في سوق العمل، ويجد الأمر تعبيراً عنه في قوالب العمالة. وفي العقود التي تلت الحرب العالمية الثانية، اشتغل نحو ٥٥ في المئة من الرجال اليهود بمهن مصنفة كمستوى عال: مهنية وفنية وإدارية. وفي العام ١٩٤٨ كان ثلثا هؤلاء الرجال ينتمون إلى المجموعة الفرعية الإدارية، في حين انتمى الثلث فقط إلى المجموعة المهنية والفنية والتربوية (PTK). وبمرور السنين ارتفع دور الفئة الأخيرة بشكل تدريجي، ومع اقتراب العام ١٩٩٠ انقلب الوضع رأساً على عقب. إلى ذلك صارت مجموعة (PTK) أكثر تنوعاً في هذه الفترة: في العام ١٩٤٨ اشتغل أكثر من ٤٣ في المئة في مجال المحاماة والطب، إلا أن نسبة هؤلاء انخفضت في العام ١٩٩٠ إلى ١٩ في المئة فقط.

وعلى الرغم من تمركزهم، أكثر من ثقلهم السكاني، في مستويات التعليم العالي والمهني، فإن غالبية اليهود يعملون في وسط غير يهودي، وفي مهن يشكلون فيها أقلية صغيرة. ويشكل اليهود ٢,٣ في المئة من سكان الولايات المتحدة، كما يشكلون ٥,٧ في المئة فقط من الرجال العاملين في مهن (٤,٥ بالمئة) من الرجال المشتغلين بمهن ذات مستوى عال. وغالبية اليهود يعملون جنباً إلى جنب مع أشخاص غير يهود في مستويات عمل مماثلة، كما توجد لديهم محفزات مماثلة وعادات استهلاك مماثلة، وكذلك استثمارات ونمط حياة. وعلى الرغم من أن يهود أمريكا، كأفراد، مماثلون جداً لزملائهم غير اليهود، فإن لجوالٍ قليلة فقط في الولايات المتحدة تركيزاً كهذا في الإنجازات العالية.

إن يهود الولايات المتحدة يقدرون قيمة الحياة المهنية ليس فقط بسبب إمكان الربح أكثر، وإنما أيضاً بسبب الإمكانات لشحذ أكبر للذهن، وللإشباع الاجتماعي والتقدير الذاتي الكامن فيها. حقاً فالأشخاص العاملون في هذه الأشغال لا يتوجب عليهم الاهتمام بالتقدم الاجتماعي لأبنائهم أو لأمنهم المالي، ولكن يرون في التعليم الوسيلة المثلى لتوريث أبنائهم نمط حياة تعتبر فيه هذه الفائدة جزءاً لا يتجزأ منه. وهم

يتوقعون من أبنائهم وبناتهم الحصول على التعليم العالي، كما أن الآباء اليهود بعامة يحرصون على تقديم الدعم المالي ليس فقط من أجل الحصول على التعليم وإنما أيضاً في السنوات الأولى إلى حين ترسيخ سيرتهم المهنية. حقاً إن الاستقلال الاقتصادي مطلوب لأسباب أخرى غير مالية، إلا أن الثراء العائلي ينقل نقاط التركيز من قدرة الحصول على الأجر بحد ذاته إلى الإحساس بالراحة في العمل، الأمر الذي يشكل مقياساً أولياً في اختيار المهنة.

وكان للتعليم دوماً مكانة مهمة في المجتمع اليهودي، إلا أنه حصل على أطياف إضافية في البيئة الاقتصادية. فالمؤهلات الخاصة بالعمل يمكن الحصول عليها ليس فقط من طريق استثمارات جوهرية في التعليم العالي، وإنما أيضاً من طريق استثمارات مكملة بأشكال أخرى من رأس المال البشري، مثل الصحة والمؤهلات الاجتماعية[٢].

وفي بيئة البالغين من ذوي الإنجازات العالية في العائلة وفي الجالية، يوجد في حوزة الأطفال اليهود عدد لائق من الشخصيات الإيجابية للمحاكاة، وتوقعات عالية، ووعي إيجابي للنجاح، ومجموعة متنوعة من الموارد الذهنية خارج المدرسة. ومع أنه توجد هناك دائماً أقلية يهودية ذات وزن لا تملك إنجازات عالية، إلا أن الجالية اليهودية غنية بالأشخاص الذي يشكلون مورداً مهماً، والذين يمكن لكل الأطفال اليهود الاستفادة منهم.

في النصف الأول من القرن العشرين كان ما يميز يهود الولايات المتحدة هو الصعود السريع على السلم الاجتماعي، أما الآن فتتسم الثقافة وبُنى العمالة بالاستقرار، وبالإمكان توقع بقائها على ما هي عليه أجيال عدة على الأقل. ويتحدر طلبة الكليات اليهودية على الأغلب من الطبقة المتوسطة العالية في الضواحي. وقام بتربيتهم آباء يملكون إنجازات عالية، كما أن هؤلاء الآباء أنفسهم نشأوا وترعرعوا في محيط مماثل. هذا ويرسل الأبناء والبنات على حد سواء إلى مدارس علمانية للتعليم العالي، وقسم ملحوظ منهم هو من الجيل الثاني والثالث وحتى الرابع من أصحاب المهن. وينخرط هؤلاء جيداً في الجالية العلمانية، يعيشون ويدرسون فيها، كما أنهم مشاركون نشيطون في مختلف أنشطة الجالية.

---

(٢) أحد أشكال هذا الاستثمار هو اختيار الحي الذي ستشتري العائلة منزلها فيه، وهذه قراءات يتم فيها تفضيل احتياجات الأولاد على احتياجات الوالدين. وشكل آخر هو كيفية قضاء عطلة (إجازة) العائلة. تسافر العائلات اليهودية، على الأغلب، مع أولادها إلى أماكن يكملون فيها التربية المدرسية.

٢ - ٢ ديمغرافيا اقتصادية: الجنس والسن والبنية العائلية

للبنية الاقتصادية تأثير ملحوظ في المحفزات الديمغرافية، وبالتالي في القرارات بالنسبة إلى الحياة العائلية. وما هو أهم من ذلك هو الاستثمار في التعليم، المقرون بتأهيل نحو سيرة مهنية ذات مستوى عال وذات دخل عال، يزيد من القيمة الاقتصادية للوقت، الأمر الذي يخلق محفزات قوية لنمط حياة يحافظ على هذا الاستثمار. كذلك يسهم التعليم في الإنتاجية لدى الشخص في الأنشطة التي يزاولها خارج العمل، كما يعزز من فعاليته كمستهلك، وكزوج، وكوالد، وكراع[٣]. ونظراً إلى أن غالبية كبيرة من يهود الولايات المتحدة، رجالاً ونساء على حد سواء، هم من أصحاب الثقافة العالية، ومن ذوي المداخيل المرتفعة، على التوالي، تحولت سمات العائلة في هذه المجموعة لتصبح النموذجية في الجالية اليهودية في الولايات المتحدة[٤].

والمحفزات الاقتصادية تؤثر في القرارات الديمغرافية في كل مرحلة من دورة الحياة. فالتحصيل العلمي الممتد إلى داخل سن نضوج الشابة يتسبب في تأجيل السن الأمثل للزواج وإنشاء العائلة، ويطيل أمد مرحلة نضوج الشباب في دورة الحياة، ويزيد من الوزن النسبي لهؤلاء الشبان في أوساط السكان البالغين من غير المتزوجين أو المتزوجين ولكن دون أطفال. ولذا، فالنضوج دون زواج يعتبر الآن مرحلة مهمة جداً في دورة حياة يهود الولايات المتحدة. وفي العام ١٩٩٠ شكل الشبان الذين لم يتزوجوا أبداً نحو ٤٠ في المئة من كل اليهود الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٥ و٣٤ عاماً (عدد غير المتزوجين في هذه المجموعة هو أكثر قليلاً، لأن خمسة بالمئة آخرين هم مطلقون، منفصلون أو أرامل). وعلى الرغم من أن هؤلاء الشبان البالغين متحررون من الالتزامات العائلية، إلا أنهم منشغلون بصفة عامة في ترسيخ سيرة مهنية على مستوى عال، وهم في نهاية الأمر سوف يتزوجون وينجبون أطفالاً في سن متأخرة. والعدد الكبير لغير المرتبطين من اليهود في اليهودية ليس ظاهرة باثولوجية (مرضية)، حسبما يعتقدون أحياناً، كما أنه ليس ظاهرة عابرة. فهذه هي مرحلة جديدة في دورة الحياة اليهودية، وشأن عارض لقالب للتعليم العالي والعمالة لدى يهود الولايات المتحدة، ومن السمات المميزة الثابتة للجالية، ويجب توقع بقائها لفترة زمنية طويلة.

---

(٣) هذا التعميم يتعلق بملخصات إحصائية ولا يستدل منه أن شخصاً ما ذا مستوى تعليمي متدنٍ لا يستطيع ملء أحد المناصب بشكل جيد. وكتعميم عام فالأمر يجد تعبيراً عنه من ناحية اجتماعية كميل لاعتبار المستوى التعليمي المتدني خاصة غير مرغوب فيها لدى أحد طرفي الزواج.

(٤) البنى والأشكال الموصوفة هنا، مشتقة بخاصة من نسب أجور عالية وليس من مجرد دخل مرتفع. مثلاً، فجالية أمريكية ذات دخل مرتفع ولا يتمتع فيها النساء بسيرة مهنية تواجه محفزات مختلفة وتبدي سلوكاً ديمغرافياً مختلفاً.

هذا، وتؤثر المحفزات الاقتصادية أيضاً على اختيار الزوج. وينظر إلى مؤسسة الزواج نفسها كشراكة يبدي كل طرف فيها اهتمامه بأن يكون الطرف الآخر مفيداً قدر الإمكان، ليس فقط في سوق العمل وإنما أيضاً في أنشطة عائلية مختلفة مثل الاستهلاك، والقيام بدور الأب والأم ورعاية العائلة، ونظراً إلى أن التعليم يسهم في زيادة الفائدة في هذه المجالات، لذا فإن سوق الزواج يميل إلى تزويج الرجال والنساء الذين هم أيضاً من ذوي الإنجازات المماثلة في التعليم وفي والألقاب المهنية التي تحققت من جانب نساء ورجال وتقود إلى زواج يكون فيه للزوجين سيرة مهنية، وهذه هي ظاهرة آخذة بالتعاظم لدى يهود الولايات المتحدة، وعلى ما يبدو فإنها أيضاً ستبقى قائمة إلى مستقبل غير محدد.

وهكذا، فإن الزوجين يتزوجان بعد انتهاء فترة الدراسة، أي في سنٍ متأخرة نسبياً، وبالتالي يتأخر إنجاب الأطفال إلى فترة لاحقة، إلى حين رسوخ السيرة المهنية للزوجين. وتتشابك مرحلة الأبوة في دورة الحياة اليهودية التي تستمر عشرين سنة فأكثر، مع فترة الذروة في المداخيل، وهي الفترة التي يكون فيها نشاط الوالدين في سوق العمل الأكثر جنياً للفائدة. ولذا فإن ثمن الوقت غير المُستغل مرتفع بشكل خاص. إلى ذلك، فإن تربية الأطفال هي نشاط يستهلك وقتاً كبيراً بحكم جوهره، وبخاصة بالنسبة إلى والدين يبدأ تعليم أطفالهما في سن مبكرة ويستمر حتى سن النضوج المتأخرة. والقيمة الكبيرة لوقت الوالدين في هذه الفترة هي محفز قوي للعائلة القليلة الأطفال، على الرغم من وجود دخل كبير للغاية قادر على دعم عائلة كبيرة.

إن الثمن المرتفع للوقت يشجع على تملك منتجات وخدمات لملء مكان الأبوين في المهام الروتينية و/ أو إكمالها (أي لزيادة إنتاجية الوقت) بنشاطات عائلية، وعلى وجه العموم فإنه لا يشجع على القيام بنشاطات في أوقات الفراغ تستهلك زمناً كبيراً وبنشاطات اجتماعية. وهذا هو السياق الاقتصادي الذي يمكن فيه تفسير الانخفاض الذي طرأ في العقود الأخيرة على التطوع للقيام بنشاطات جوالية. والآباء العاملون الذين يحاولون خلق توازن بين سيرتهم المهنية وبين العائلة يجدون صعوبة في التبرع بجزء من وقتهم، ولذا تضاءل التطوّع للجالية اليهودية (وبخاصة لدى النساء). كذلك فإن الأبوة في سن متأخرة تجعل من الصعب تجنيد البالغين، أي قبل الاعتزال، لأدوار قيادية داخل الجالية. ونسب التطوّع المنخفضة في هذه الأعمار ليست ظاهرة باثولوجية (مرضية) وليست شأناً عارضاً. فهي تعكس تخصيصاً مختلفاً لزمن دورة الحياة من أجل معاظمة التناسق بين العمل والعائلة.

ومن خلال الإنجاب المتأخر نسبياً للأطفال لدى الزوجين اللذين لكل منهما سيرة مهنية، يستخلص أن الأبوين سيبلغان سن الخمسين عندما سيغادر أبناؤهما البيت، أي عندما تتقلص مطالبهم بالنسبة إلى وقت الأبوين، كما سيتجاوزان سن الستين بكثير عندما يصبح لهما حفدة. وهذه المرحلة في دورة الحياة هي ظاهرة جديدة نسبياً في الجالية اليهودية: ففي السنوات التي يصبح فيها أولادهم بالغين وعازبين، يخلو بيت الوالدين من الأولاد، بينما الإنتاجية المهنية لا تزال عالية، ولكن دون أبناء أو حفدة تتطلب رعايتهم بعضاً من وقتهما. ولذا ونظراً إلى أن الطريق المهني للأولاد البالغين يقود إلى أماكن بعيدة من الناحية الجغرافية، فإن ظهور الحفدة قد يشكل محفزاً قوياً لاعتزال العمل مع الحرية في السفر المرتبطة بذلك.

وفي العقود الأخيرة ظهرت مجموعة جديدة من المتقاعدين الذين ليسوا فقط أجداداً لحفدة، وإنما يتوجب عليهم رعاية آبائهم المسنين. والأهمية العددية لهذه المجموعة قد تبدو مؤقتة، ومع ذلك فإن مجرد ظهورها ينبع من الانتقال إلى مرحلة متأخرة أكثر في دورة الحياة. لنفترض، على سبيل المثال، أن امرأة وُلدت في العام ١٩٤٠ لأم كانت في العشرين من عمرها، رُزقت هي نفسها بطفلة عندما كانت في الثلاثين من عمرها، ووُلد حفيدها الأول عندما كانت ابنتها في الثلاثين أيضاً من العمر. وهكذا فعندما وُلد الحفيد الأول لهذه المرأة، كانت هي في الستين من عمرها بينما كانت والدتها في الثمانين وبالتالي بحاجة إلى رعايتها. ولو أن النساء الثلاث انجبن فقط وهن في سن الثلاثين لقل احتمال وجود عائلة من أربعة أجيال، تتم فيها رعاية المسنين من جانب أولادهم الذين أصبحوا هم أيضاً في سن اعتزال العمل. ومن المحتمل أن يتضح أن هذا الوجه في دورة الحياة المتغيرة ليهود الولايات المتحدة هو حالة مؤقتة، ولن يشكل قلقاً خطيراً في المستقبل.

٣- اقتصاد الحياة اليهودية في الولايات المتحدة

على الرغم من التأثير المعيق للتجربة الاقتصادية لدى المهاجرين ولدى أبناء الجيل الثاني الصاعد على السلم الاجتماعي، فإن يهود الولايات المتحدة يعيشون اليوم في بيئة اقتصادية مختلفة تماماً. وهكذا، فليس هناك مفاجأة في أن الحياة اليهودية في الولايات المتحدة تبدو، استعداداً لنهاية القرن العشرين، مختلفة تماماً عما كانت عليه في بدايته. ولا يعود السبب إلى أن اليهود اليوم يحافظون على الفرائض الدينية أقل من آبائهم وأجدادهم (الشكل يحتمل أن يكون الأمر هكذا، ويحتمل ألاّ يكون)، ولا أيضاً لكونهم أقل تمسكاً بالتقاليد (وهذا الأمر جائز أيضاً وكذلك عكسه)، إنما يعود

السبب لكون الحياة اليهودية متشابكة بشكل وثيق جداً في النشاط اليومي، بحيث إنه من غير المحتمل ألا تؤثر البيئة الاقتصادية في عادات اليهود وأعرافهم[٥].

إن الولايات المتحدة هي مجتمع تعددي من الناحية الدينية، ولا يشكل اليهود هناك سوى أقلية صغيرة (نحو ٢,٢ بالمئة) وكذلك مجموعة تذوب بسهولة في المجتمع. وتتوقف الديمومة اليهودية إذاً على أمرين اثنين: رغبة الأشخاص كأفراد بأن يكونوا نشيطين من ناحية الديانة اليهودية، وخصوصية اليهودية كدين أو اليهود كشعب. وقبل أن نتوجه إلى العلاقات بين يهود الولايات المتحدة وبين يهود إسرائيل، ستركز التحليل على الانعكاسات الاقتصادية داخل الولايات المتحدة على العادات والسلوكيات التي يتسم بها يهود الولايات المتحدة، والتي يمكن توقع استمرارها في المستقبل أيضاً.

٣-١ الديانة كمنتوج منزلي

على غرار التربية، فإن الديانة أيضاً مطلوبة ليس فقط لذاتها، وإنما أيضاً من أجل الفائدة المتوقعة منها في المستقبل. وهكذا يمكن اعتبارها ثروة مجردة يمكنها أن تكون إمّا منتوجاً استهلاكياً أو استثماراً[٦]. وهذا «المنتوج» الديني لا يعطى مجاناً، وذلك لأنه غالباً ما يتوجب أن يستثمر فيه وقت ومال، كان يمكن توجيهها إلى أهداف أخرى، ولكن نظراً إلى عدم إمكان اقتنائه مباشرة من السوق، فإن التعريف الأكثر ملاءمة له هو «منتوج منزلي». ومن أجل خوض تجربة الديانة اليهودية فإنه ينبغي مثلاً على أن يخصّص الشخص الوقت والمال بحجم معين، وأن يحافظ على الفرائض الدينية اليهودية. فالشخص بإمكانه الانضمام إلى كنيس يهودي (الأمر الذي يكلف مالاً) والمشاركة في الصلوات (الأمر الذي يتطلب الوقت)، ويمكن أيضاً الانضمام إلى نادٍ وإمعان النظر في الأدبيات اليهودية، وشراء الشموع لتقديس يوم

---

(٥) بالفعل، فقدرة اليهودية على ملاءمة نفسها للظروف الاقتصادية المتغيرة، تعتبر على الأغلب مصدراً مهماً للقوة الحيوية وتعاظم نسيج الحياة الدينية، بعادات تبرعت بها جوال كثيرة ومختلفة على امتداد أجيال كثيرة. إن تأثير الحياة الاقتصادية في المحافظة على فرائض الديانة اليهودية هو أيضاً تفسير تاريخي راسخ. هكذا، على سبيل المثال، فالعادات التي كانت ملائمة جداً، في فترة التوراة، لأمة صغيرة من الرعاة والرحّل، توصف الآن كمن يخلي مكانه لعادات دينية جديدة عندما أصبح اليهود مزارعين مستوطنين، وبعد ذلك مشاركين في العلاقات الدولية.

(٦) إن تحديد جوهر التجربة اليهودية المشمولة بـ«منتجات» دينية، هو بعيد جداً عن نطاق معالجة هذه المقالة. ولأهداف التحليل، مع ذلك، تعتبر المنتجات الدينية كمن يلبي ثلاثة أنواع من التحليل. مع ذلك، تعتبر المنتجات الدينية كمن يلبي ثلاثة أنواع من الاحتياجات: روحية، اجتماعية وأيضاً ـ في غياب تسمية أفضل ـ عالم الآخرة، و«منتجات» عالم الآخرة هي استثمار يجني ثماره بعد انتهاء فترة حياة المستهلك.

السبت. وفي مطلق الأحوال، فالاستثمار يمكن أن يسفر عن تجربة يهودية فقط بالنسبة إلى الوقت المكرس للنشاط اليهودي.

ويوجد لصنفين آخرين من الاستثمارات تأثير مهم في الفائدة المرتجاة من الوقت والمال المكرسين للاحتياجات الدينية. ويعتبر «رأس المال» الديني ثروة مرتبطة بنفقات سابقة في الديانة كاستثمار. ورأس المال الديني اليهودي قد يظهر بأشكال مختلفة: مثل المنح اليهودية، وعلوم موسيقى وفنون، وتقاليد عائلية، ومقاربة بالنسبة إلى جوهر الحياة، وبالنسبة إلى العلاقات بين الله والإنسان. وهذه هي نماذج معدودة لأنواع من الثروات التي تغني التجربة اليهودية التي يمكن استخلاصها من نمط استهلاك معين. وعلى سبيل المثال، فإن إتقان اللغة العبرية يمكنه أن يعاظم نوعية التجربة اليهودية التي يمكن استخلاصها من كل مستوى يتعلق باستثمار الوقت أو المال.

وهناك استثمار من نوع آخر يطلق عليها أحياناً «نتائج» وأحياناً «سلوك»، وهذا الأمر مرتبط بأوجه معينة من السلوك غير مرتبطة مباشرة باستهلاك «المنتوج» الديني. وعلى سبيل المثال، إلى أي حد تعتبر حقيقة كون الشخص يهودياً، وجانباً شخصياً من حياته الخاصة عن الجزء العام من هويته، وذات تأثير في صورة الاستهلاك الديني وكذلك في نوعية الخبرة اليهودية المستخلصة منه. نموذج آخر: إن تطبيقاً ناجحاً للخلاصة الأخلاقية للتوراة في سياقات غير دينية (كالعمل على سبيل المثال) قد يعاظم التجربة المستخلصة من كل شكل إنفاقي للاحتياجات الدينية، كما أن الامتناع عن ذلك قد يمس بالقيمة الدينية للمحافظة على فرائض اليهودية. ومثل هذه القرارات المرتبطة بالسلوك معروفة كوجه مهم للسلوك الديني لدى اليهود.

٣-٢ الكلفة النسبية لصورة الاستهلاك لدى اليهود

التوقع العام هو أن الدخل العالي الذي يتمتع به الكثيرون من يهود الولايات المتحدة يرتبط ليس فقط بمستويات الاستهلاك المرتفعة، وإنما أيضاً بالتركيز على منتجات وخدمات ذات نوعية أعلى. ويستنتج من ذلك أن الطلب على الديانة اليهودية سوف يتزايد وفقاً لذلك. وبالفعل فهذا هو الوضع قطعاً مفترضين أن كل المتغيرات الأخرى ثابتة، إذا ما قارنا الجالية اليهودية في الولايات المتحدة بجوالٍ يهودية أخرى في عصرنا هذا، أو بالجالية اليهودية في الولايات المتحدة في الماضي. وعلى الرغم من التمييز الشائع بأن الآباء الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة كانوا أكثر حرصاً على أداء الفرائض الدينية، إلا أن الازدهار الكبير المتمثل بإنشاء الكنس اليهودية وإقامة المدارس اليهودية يرتبط بالذات بالارتقاء في السلم الاجتماعي والانتقال إلى الضواحي السكنية خارج المدن.

وبالفعل فقد ظهرت قوى علمانية مستنيرة في أماكن أخرى، وعملت هذه على إبعاد اليهود عن أداء الفرائض الدينية، الأمر الذي تسبب داخل الولايات المتحدة في صعود حركات مثل الإصلاحيين والمحافظين، وأخيراً أيضاً حركة «البنائين الجدد» بصورتها المتميزة في أمريكا. وكان الأمريكيون من ذوي الدخل العالي مستعدين دائماً لدعم عدد من الأهداف والشؤون اليهودية، ومن أهمها تجميع اللاجئين اليهود في دولة إسرائيل.

إن مستويات الأجور العالية المرتبطة بالتعليم، وببنية عمالة يهود الولايات المتحدة، تجعل كل نشاط استهلاكي يتطلب استثمار وقت كبير أمراً باهظ الثمن وفقاً لذلك، وقليل من النشاطات المستهلكة للوقت أكثر من التقاليد اليهودية الاشكنازية، من روسيا وأوروبا الشرقية. وخلافاً لذلك، فالجالية اليهودية التي تلائم نفسها مع البنية الاقتصادية اليوم وأيضاً في العام ٢٠٢٠، ستكون هي الجالية المقتصدة في حجم توظيفات الوقت اللازمة. وفكرة أن التجربة اليهودية هي منتوج منزلي ذو نوعي استثمار، وكلفة الوقت العالية نسبياً تشكل محفزاً قوياً للغاية لاستخلاص تجربة يهودية مقتصدة في الوقت. والحال هكذا هناك استراتيجيتان للاقتصاد في الوقت: تقليص الفترات الزمنية المخصصة للنشاط اليهودي وصعود أشكال إنتاجية (نوعية) من النشاط الذي يخلق تجربة يهودية. وبهذه الطريقة فإن يهود الولايات المتحدة يفضلون عادات، وأداء فرائض يمكن فيها بشكل فعال استبدال الكم بالنوع بالنسبة إلى الوقت المخصص للحياة اليهودية، ومن خلال حقيقة وجود الكثير من البدائل المثيرة للاهتمام لدى يهود من أجل المنافسة على وقتهم الضيق.

هذه القوى الشبيهة بقوى السوق تؤكد عدداً من السمات المميزة لليهود في أمريكا. ويفهم من ذلك أيضاً جذب النموذج الأمريكي نحو يهود بلاد أخرى الذين يستجيبون مثلهم للمحفزات الاقتصادية التي تواجه أشخاصاً من ذوي الثقافة العالية والدخل المرتفع[٧]. ومع ذلك، فإن هناك دلائل، وأوضحها هو النسبة المرتفعة للزواج المختلط. على أن تجديدات يهود الولايات المتحدة لن تصمد كلها في اختبار الزمن، والحرص العام على هذه الأمور يشير إلى أن عملية ملاءمة الأعراف اليهودية مع البيئة الأمريكية ما تزال مستمرة. وليس ثمة شك في أنه سيكون أمراً عملياً البحث عن تحسينات في نوعية الزمن المخصص للمحافظة على الفرائض الدينية اليهودية، كما سيكون موضوعياً جداً النظر ما إذا كانت هناك كمية حرجة من الوقت تعتبر قليلة

(٧) هذه الجاذبية تدرك من خلال ميل «الأمركة» إلى التوسع أيضاً في أوساط الجاليات التي تعارضها من حيث المبدأ.

لغرض خلق تجربة يهودية حقيقية، وأنه من غير المعقول أن تحصل تغييرات حتى العام ٢٠٢٠ في البنية الجوهرية ليهود الولايات المتحدة، مثلما أنه لن تتغير على ما يبدو البيئة الاقتصادية التي أرسيت عليها هذه البنية.

٣-٣ رأس المال الديني اليهودي

منذ أزمان غابرة تم التأكيد على مسؤولية الوالدين بالنسبة إلى الأهمية الكامنة في التربية اليهودية، ليس فقط في الدراسات المباشرة وإنما أيضاً بصورة غير رسمية في العائلة، وفي الجالية، وفي الفرص الكثيرة للمحافظة على الأعياد اليهودية. والتشديد التقليدي على التربية اليهودية ينعكس في الفائدة الكبيرة في الرأسمال الديني، لمعاظمة نوعية الوقت المخصص للمحافظة على الفرائض الدينية اليهودية. والقصد هنا هو أن التجربة اليهودية المستخرجة من فترة زمنية محددة تتأثر كثيراً بالخلفية اليهودية وبالمعرفة اليهودية للإنسان، وعلى هذا النحو من المألوف في اليهودية وصف هذه الأشكال لرأس المال البشري الديني. ولذا مع أنه يمكن أن يصبح المرء يهودياً من الناحية الفعلية مع استثمار ضئيل جداً، فإنه من المألوف للغاية لدى أولئك الذين تعتبر الديانة أمراً جديداً لديهم، أن يشعروا على الفور بالحاجة إلى الدراسة والتعمق في تحسين نوعية الوقت المخصص لهذا الأمر.

ومع أن الجالية اليهودية في الولايات المتحدة تدعم فعلاً المؤسسات الثقافية والتعليمية اليهودية، لكن هذا الرأسمال الديني مقلص كثيراً لدى الكثير من يهود الولايات المتحدة. وعلى غرار مجموعات أخرى في الولايات المتحدة، كذلك كان هناك ميل لدى المهاجرين اليهود أيضاً، بواسطة الخيار الذاتي، للاستقلال الشخصي ولانعدام الصبر، إن لم نقل التمرد، بالنسبة إلى بُنى السلطة الجوالية والتقاليد. لقد حافظوا حقاً على علاقة وثيقة بينهم وبين أنفسهم، لأسباب عائلية ولأسباب تتعلق بالمصالح المتبادلة، ولكن كان لدى الكثيرين منهم رأسمال يهودي ديني ضئيل نسبياً، وكان النشاط اليهودي في أحيان متقاربة اجتماعياً وسياسياً. وفي العقود الأولى كان لا يزال بالإمكان استيراد مضامين دينية لثقافة يهود الولايات المتحدة من أوروبا، لكن التأثير المتراكم للحربين العالميتين وللكارثة اليهودية، شطب الاحتمال العملي لهذا الأمر. وبهذا الشكل فالجالية التي ركّزت على «الأمركة» (كما وصفوها هم) بدلاً من الحفاظ على الثقافة الدينية أصبحت رغم كل ذلك المعيار الأمريكي بالنسبة إلى «التراث» اليهودي.

وكانت استثمارات المهاجرين في تربية أطفالهم قد ركزت في أوقات متقاربة على الوجه العلماني بدلاً من الديني، ويعود ذلك جزئياً إلى قيم الآباء، وكذلك إلى

بنية المحفزات الاقتصادية في الولايات المتحدة. حقاً لقد استخرج الصعود السريع للجالية كلها على السلم الاجتماعي، ولا شك في ذلك، فائدة من هذه البنية، لكن الرأسمال الديني لدى الكثيرين من أبناء الجيل الثاني فصاعداً، للمهاجرين اليهود الذين هاجروا إلى أمريكا انخفض انخفاضاً كبيراً. وبهذا الشكل، فالأشخاص أنفسهم تماماً الذين أنشأوا الكنس اليهودية في الضواحي السكنية وملأوها، كانوا من ذوي الموارد اليهودية الضئيلة التي كان بمقدورها تحسين نوعية التجربة اليهودية. وفي بيئة اقتصادية دعت إلى استبدال الكمية بالنوعية في المحافظة على الفرائض الدينية اليهودية، فإن معنى هذا الأمر هو أن نوعية التجربة اليهودية كانت متدنية للغاية، بحيث لا يمكنها منافسة بدائل علمانية كثيرة كانت تحت تصرفهم.

ومع الاستقرار الاقتصادي ليهود الولايات المتحدة بالمستويات العالية من الدخل والتعليم العلماني استؤنف الاستثمار لدى الكثيرين، وربما لدى معظمهم، في رأس المال اليهودي الديني. وفي جزء من هذه الحالات كان الأمر متعلقاً بالدخل، فالأمريكيون المعنيون بتجربتهم اليهودية يمكنهم أن يسمحوا لأنفسهم بهذا الأمر. والتربية اليهودية المحسنة في الولايات المتحدة حصلت أيضاً على محفز، وذلك من طريق التكامل بين أنواع مختلفة من رأس المال البشري. وهكذا فإن الموارد المخصصة للتربية اليهودية هي، على وجه العموم، مفيدة أكثر لمن هم ذوو ثقافة علمانية عالية، والعكس صحيح. ويمكن للأشخاص من أصحاب المؤهلات الجيدة في اللغة الإنكليزية، والذين يعرفون ثقافات أخرى بما في ذلك أدبها ولغتها، أن يتعلموا بصورة أفضل اللغة العبرية والتاريخ اليهودي، وأن يستخلصوا فائدة أكبر من مجرد إنفاق معين على التعليم اليهودي(٨).

إن المفارقة التي يعيشها يهود الولايات المتحدة في نهاية القرن العشرين هي أنها تفقد أبناءها بسرعة بسبب الزواج المختلط، حتى عندما تظهر إشارات قوية إلى التحديث واليقظة الثقافية. ويمكننا فهم ذلك إذا لاحظنا ان المعرفة في الديانة اليهودية والخلفية الثقافية تعد شكلاً من الرأسمال البشري الذي يوجد له تأثير إيجابي كبير في نوعية الوقت المخصص للديانة اليهودية. والشخص الذي يعتبر وقته ثميناً بالنسبة إليه، فإن نوعية رأسماله الديني ينبغي أن تكون عالية، وذلك لكي يكون بإمكان

(٨) هذه التكملات يمكن أن تعلم في اتجاهين: هناك أدلة معينة على أن أشخاصاً ذوي ثقافة يهودية واسعة بإمكانهم النجاح أكثر في الدراسات العلمانية. وهذا الأمر أيضاً بعيد عن نطاق معالجة هذه المقالة، لكن النظرية الاقتصادية تنبئ بوجود صلة بين الإنجازات العالية في مجالات علمانية وبين مستوى عالٍ للدراسة في مجال العلوم اليهودية.

الديانة اليهودية أن تنافس بنجاح بدائل أخرى مثيرة للاهتمام. أي أن الشخص اليهودي من الولايات المتحدة الذي يوجد لديه استثمار ضئيل في الرأسمال الديني، يخرج بفائدة أقل من محافظته على الفرائض الدينية اليهودية. كما أن من استثمر الكثير في الرأسمال اليهودي قد يحصل أيضاً على رضا واكتفاء أكبر. واليهودي الذي يملك ثقافة علمانية عالية، وبالتالي دخلاً عالياً أيضاً، ولكن يملك خلفية يهودية ضعيفة، قد يجد نفسه في موقف غير مستقر، لأن المحفزات الاقتصادية تقود إلى قرار بالنسبة إلى أنفسهم أو بالنسبة إلى أولادهم، لناحية إن كان يتوجب عليهم معاظمة مؤهلاتهم كيهود أو أن يتوقفوا عن المحافظة على ديانتهم اليهودية.

وهذا هو السياق الذي تعتبر فيه التربية اليهودية حجر الزاوية لتواصل الأجيال، ومن هنا للقدرة على الوجود للمدى البعيد ليهود الولايات المتحدة. والظاهرة التي يكثر الحديث عنها، الاندماج بسبب الزواج المختلط، يمكن أن تعتبر كنتيجة للانعدام المستمر للاستثمار في الرأس مال اليهودي الديني، في قطاعات واسعة من الجالية اليهودية في الولايات المتحدة. والنتيجة الأخرى هي ميل يهود كثيرين في الولايات المتحدة لتعريف ديانتهم اليهودية من خلال علاقة ضعيفة الجذور والتقاليد القديمة، وهؤلاء هم الأشخاص الذين تكون المحافظة لديهم على الفرائض الدينية اليهودية ذات قيمة منخفضة. وبناء عليه، فحتى العام ٢٠٢٠ فإن قلب الجالية اليهودية في الولايات المتحدة سيكون ذا قدرة أقوى في سياق اليهودية العالمية، أما من الناحية العددية فسيكون قليلاً بصورة بارزة مقارنة بالوضع اليوم[٩].

إن جزءاً ملحوظاً من الاستحداثات الدينية الشعبية لدى يهود الولايات المتحدة لا يرتبط كثيراً بالانقطاع عن التراث والتقاليد، بل لتبنّيها داخل البيئة الأمريكية، ولدمج التقاليد المشتركة لليهود في كل مكان في ثوب جديد. ومن أجل الملاءمة للمحفزات الاقتصادية، أي الأسعار والمداخيل، الفريدة في نوعها في التاريخ اليهودي، فإن الرأسمال الديني اليهودي الأمثل بالنسبة إلى الأمريكيين اليوم، يفترض أن يكون مختلفاً عما كان عليه في أزمان وأماكن أخرى. وتقوم مجموعات كثيرة من يهود الولايات المتحدة وكذلك منظمات جوالية باستحداثات نحو هذا الهدف، وتقف في وجه موجات الاندماج، من خلال التأكيد على ماهية الاستثمارات الجديدة

---

(٩) من خلال المنطق الثابت في نسب الإخصاب عند اليهود التي لا تلحق بمستواها نسب الوفيات، وبقدر أقل عند عموم السكان، ينتج من ذلك انخفاض في عدد اليهود وكذلك في حصتهم من مجموع السكان الأمريكيين. ويجب عدم الافتراض أن هذا الاتجاه سينقلب رأساً على عقب أو سيتأثر بشكل إيجابي بواسطة هجرة يهودية كبيرة إلى الولايات المتحدة، أكانت من مكان آخر في مهاجر الشتات أو من إسرائيل، في خلال السنين الخمس والعشرين المقبلة.

المطلوبة في الرأسمال اليهودي البشري. ويستخلص من هذه الحقيقة أن يهود الولايات المتحدة سيواصلون التطور بواسطة مركز مُعزز ولكن أصغر.

٣-٤ الكلفة والفائدة في الهوية اليهودية

مع رسوخ مكانة يهود الولايات المتحدة في مهنهم أو في ثقتهم بحياتهم الاقتصادية في العقود التي تلت الحرب العالمية الثانية، انخفض وزن اللاسامية (العلنية أو بصيغة «اتفاق جنتلماني») كعامل يقرر ثمن كون الشخص يهودياً. والأسباب وراء تراجع اللاسامية في الولايات المتحدة تتجاوز مجال اهتمام هذه المقالة. يحتمل أن يكون ذلك: محاسبة للنفس من جانب أمريكيين غير يهود بعد الكارثة، النشاط الذي مارسته منظمات يهودية لهذا الهدف بشكل خاص، تعميق الروابط المهنية مع يهود ذابوا في المجتمع الأمريكي، تراجع أهمية الدين بشكل عام، كقاعدة لهوية إثنية والسبب في ذلك الخصومات، وأيضاً الهبوط العام في الآراء المسبقة على أساس عنصري أو إثني، كما يجد الأمر تعبيراً عنه في حركة حقوق المواطن وتشريعات الستينيات. كما أن إنشاء دولة إسرائيل وتأييد الإدارة الأمريكية لها، يمكن أن يكون قد ساهم في تخفيض السياقات السلبية تجاه اليهود. ومهما كانت الأسباب، فقد مر أكثر من ربع قرن من الزمن وما زالت قلة فقط من أبناء الشبيبة اليهودية ترى في اللاسامية عاملاً مركزياً في حياتها. ومع أن اللاسامية لم تختف كلياً، بل أثبتت القدرة على الظهور بأشكال جديدة، إلا أن غالبية يهود أمريكا محميون من تأثيراتها، وهكذا فإن بيئتهم الاقتصادية مهيأة أكثر إزاء قوى التجديد اليهودية.

ومع ذلك هناك أوجه كثيرة أخرى للبيئة الأمريكية ترفع من ثمن الحفاظ على الفرائض الدينية اليهودية. وهناك فوارق جوهرية بين التقويم السنوي اليهودي والتقويم السنوي العام، وهذه عوامل لها كلفة أخرى، بسبب أن دورة الفرائض الدينية اليهودية تتناقض مع السيرة العلمانية. وعندما تصطدم متطلبات الحفاظ على الفرائض الدينية اليهودية مع جدول التقويم العلماني، فإن كلفة المحافظة على حدث يهودي تكون أعلى من ناحية الزمن مما ستكون عليه لو كانت جداول التقويم مرنة، بحيث تنسب الكلفة الإضافية بصراحة إلى نسب الأجور. وبهذا الشكل فإن قدرة يهود الولايات المتحدة على الحصول على أجر عالٍ تشكل حافزاً قوياً لملاءمة دورات الحياة اليهودية مع موقع العمل الأمريكي. وعلى سبيل المثال، فإن الكلفة العالية لمغادرة مكان العمل بهدف الوصول إلى المنزل قبل غروب الشمس، وخاصة في فصل الشتاء، تتسبب في جعل الصلاة داخل كنس يهودية كثيرة تقام متأخرة في أيام الجمعة، وفي عدم إقامتها كلياً في بقية أيام الأسبوع. وعلى غرار ذلك، فقد لحقت أضرار جسيمة بعدد من الأعياد التي يتوقف فيها

العمل ولكن تستمر المحافظة عليها من جانب يهود الولايات المتحدة (وفي وجه العموم فإن هذه الأعياد تقتصر على رأس السنة العبرية، ويوم الغفران، وعيد الفصح اليهودي). وقد انزلق جزء منهم إلى أعياد الأطفال وتجري المحافظة عليها بدرجة منخفضة من جانب البالغين العاملين (مثل عيد الأنوار وعيد المساخر).

إن الأكلاف المرتبطة بالهوية اليهودية، مميزة من أشكال الاستهلاك اليهودية، تعتبر مهمة لفهم الأوجه الأخرى لسلوك يهود الولايات المتحدة. فالتهرب من المحافظة على الفرائض الدينية ذات الكلفة العالية، قد أرفق في أحيان متقاربة بالرغبة في الحفاظ على الهوية اليهودية طي الكتمان في عالم العمل. وكذلك أيضاً في المهن التي لا توجد فيها لاسامية واضحة، فقد ظن الكثير من المهنيين اليهود أنهم يعرضون للخطر، وبصدق أحياناً، تقبل المجتمع لهم الذي تتوقف عليه سيرتهم المهنية. وفي مثل هذه الظروف، فإن عملاً بسيطاً مثل اعتمار غطاء الرأس المميز لليهود، أو الامتناع عن تناول الأغذية اللبنية والحيوانية معاً، قد يؤدي إلى ترك وصمة عار، وتأثير سلبي في الزبائن، وفي التوصيات وإمكانات الترقية، كما قد يتسبب في انخفاض حقيقي في قدرة الحصول على الأجر على المدى البعيد.

وعلى وجه العموم، فيهود الولايات المتحدة اليوم يرون أن مكانتهم الاقتصادية ترتبط بعاداتهم وأعرافهم الدينية بشكل أقل من ارتباطها بإنجازاتهم المهنية ومؤهلاتهم. وهذا يرتبط بدوره بانفتاح زائد بالنسبة إلى الحفاظ على عدد من الأعياد والأعراف اليهودية، وبتعبير عام أكبر عن التأييد لإسرائيل، وعلى العموم بخاصة أقل لإخفاء الهوية اليهودية. ومع ذلك، هناك هلع مقبول من كون المرء «يهودياً على الفور»، وارتباك بالنسبة إلى النزعة الطائفية القوية أكثر عند اليهود مما هي عليه عند مجموعات دينية أخرى. وعلى ما يبدو فقد تخلّى اليهود لهذا السبب عن العلامات البارزة والمميزة لليهودي، مثل غطاء الرأس (الـ «كبّاه») والطعام الحلال (كاشير). وعلى وجه العموم، فإنهم يجرون إلى ما وراء جزيرة محافظتهم على التقاليد، واصلين إلى الرفض التام لمركزية الحفاظ على الفرائض الدينية اليهودية[١٠]. حقاً إن إبراز الهوية اليهودية للعيان يؤدي بوضوح إلى فقدان الدخل لأسباب اجتماعية وأخرى، ولكن حجم الخسارة المتوقع هو محل خلاف، كما أنه يتغير وفقاً للظروف الشخصية والجوالية.

---

(١٠) السمات الثلاث التي تميز اليهود عن شعوب أخرى هي الختان، والحفاظ على الطعام الحلال (كاشير)، واعتماد غطاء الرأس الـ «كبّاه». الأول فقط من هذه الميزات، أي الختان، شائع في أوساط يهود الولايات المتحدة ولكن ليس لذلك دلالة عامة، ناهيك عن أنه من المتبع ختان الأطفال عند غير اليهود أيضاً. وخلافاً لذلك، فالطعام الحلال، واعتماد غطاء الرأس، يشكلان إعلاناً على الملأ عن يهودية الشخص، وهاتان السمتان تسببان الإرباك والحيرة للعديد من يهود الولايات المتحدة.

هذا ويوجد داخل يهود الولايات المتحدة أقلية صغيرة ولكنها في تزايد مستمر (معظمهم من التيار الأرثوذكسي)، يظهرون انتماءهم اليهودي بصورة قوية وشديدة، ويعبرون عنه بوضوح ويتحملون الأكلاف والتبعات، جزئياً من خلال اختيار مهن وبيئات تقلص التناقضات الجوهرية الناشئة بسبب قراراتهم في الشؤون الدينية. والتنسيق المتدني بينهم وبين البيئة الاقتصادية المحيطة بهم، لن يحول ذلك إلى اختيار مقبول من جانب غالبية اليهود (بمعنى أن هذا الأمر مقرون بتضحيات كثيرة من ناحية المداخيل والاستهلاك)، لكن هذا الطراز الحياتي يشكل تحدياً للتيار المركزي (الأرثوذكسي) في الديانة اليهودية بالنسبة إلى الظهور أمام الجمهور. وهناك من يرى بالمتدينين المتطرفين ظاهرة ساحرة أو رمزية، لكن غالبية اليهود ترد بارتباك وحتى بغضب. ومع ذلك، فإن الظهور المجدد للمحافظة على الفرائض الدينية اليهودية بالطريقة الظاهرة للعيان لدى التيار المركزي يمكن أن يكون قد تلقى دفعاً من هذا التحدي، جزئياً لأسباب منها كونه يظهر بأشكال أكثر سرية، وجزئياً للإدراك بأن جزءاً من الأكلاف وهمي أكثر من كونه حقيقياً.

وهناك طريقتان يمكن من خلالهما أن نعزو الرأسمال الديني إلى الحفاظ على الفرائض الدينية اليهودية بالصورة الظاهرة للعيان. وكلما كانت الخلفية اليهودية أقوى لدى الإنسان، زادت المتعة التي يمكنه الحصول عليها من كل صورة من صور الحفاظ على الفرائض الدينية، ولذا فإن هذا الأمر قد يشكل وزناً مضاداً ملائماً للأكلاف. وفي المقابل، فإن مستويات عالية لرأس المال البشري، اليهودي والعلماني على حد سواء، تسمح بامتصاص أو تقليص جزء من الأكلاف، وكذلك زيادة مرونة الجدول الزمني للعمل العلماني وتكييفه للاحتياجات اليهودية، وحتى لتحويل الهوية اليهودية من قيد إلى مصدر للاحترام والتقدير. وهكذا فإن إصرار غالبية يهود الولايات المتحدة (بما في ذلك الأشخاص الذين لا يحافظون على الفرائض الدينية الأخرى) على ضرورة تمضية رأس السنة العبرية ويوم الغفران داخل الكنيس اليهودي، أدى إلى قبول اجتماعي واسع للحق في الحصول على إجازات بسبب الأعياد الدينية حسب الاختيار، وحتى إلى تعطيل الدراسة في المناطق التي يوجد فيها يهود كثيرون[١١].

(١١) إن المجتمع قرر إغلاق أبواب المدارس العامة في مناطق يوجد فيها عدد كبير من المعلمين اليهود والذين لولا ذلك لكانوا أخذوا يوم عطلة. والميل إلى إغلاق هذه المدارس يصبح أقل إذا كان هناك عدد كبير من التلاميذ، يهود، أو في مؤسسات التعليم العالي، حيث الكليات أقل حساسية. وفي أوضاع كهذه، يضطر التلاميذ والمعلمون الذين يحافظون على الأعياد، إلى تحمل كل النتائج.

إن انعكاسات هذه الاتجاهات على مستقبل الجالية اليهودية في الولايات المتحدة ليست أكيدة، وتشكل مصدراً لخلافات في الرأي. كذلك فإن اللاسامية لم تختف تماماً، وهناك من يخشى انبعاثها من جديد بأشكال جديدة، لكن البيئة الاقتصادية ليهود الولايات المتحدة مستقرة بإنجازاتها في التربية والتعليم ولا يبدو أن هناك خطراً يهددها. والوضع بالنسبة إلى رأس المال الديني هو ثنائي القطب، وكنتيجة لذلك فإن من يستثمر أكثر سيكون يهودياً بقدر أعمق، بينما من سيستثمر أقل سيقلص ارتباطه بالديانة اليهودية بصورة اكبر. ويستنتج من ذلك ان أولئك اليهود الذين ما زالوا يعبرون عن انتمائهم إلى الجالية في العام ٢٠٢٠ أكثر حفاظاً على الفرائض الدينية، وربما إلى حد اعتماد أغطية الرأس، والحفاظ على الطعام الحلال («كاشير»)، حتى لو لم يكونوا من التيار الديني الأرثوذكسي.

أما الانعكاسات بالنسبة إلى من ستكون علاقتهم بالديانة اليهودية هامشية فستكون ضبابية: هناك من سيجد تأثيرات متراكمة تقلص بصورة فعّالة من كلفة التعبير عن يهوديتهم، بينما سيواجه آخرون محفزات لتقليص مشاركتهم في التعبير عن يهوديتهم بصورة أكبر. وفي جميع الأحوال، فإن هذه المجموعة ستركز على ما يبدو على تلك الأوجه في التراث والتقاليد اليهودية، الأقل بروزاً في السياق الأمريكي (الأخلاق اليهودية، الليبرالية، إصلاح العالم) مبتعدة عن التقاليد التي تبرز يهوديتها.

٤- البنية الاقتصادية في إسرائيل

إن الإقامة المدهشة لليشّوف (الاستيطان اليهودي ومؤسساته) في فترة الانتداب البريطاني على فلسطين «أرض ــ إسرائيل» وعقب ذلك دولة إسرائيل، هذه الإقامة تمت على أيدي جالية يهودية تعود جذورها إلى تلك الأقاليم الأوروبية التي قدم منها غالبية المهاجرين اليهود إلى الولايات المتحدة. وبالنسبة إلى معظم هؤلاء فإن البيئة الاقتصادية التي واجهوها في فلسطين كانت تختلف تماماً عن بيئة الولايات المتحدة. وبينما تطلع اليهود في الولايات المتحدة للمشاركة في البنية التحتية التربوية والتشغيلية، اضطر يهود إسرائيل أولاً وقبل كل شيء آخر إلى العمل من أجل ضمان أمنهم الجسدي وخلق اقتصاد عصري. كذلك أخذت إسرائيل على عاتقها إنقاذ واستيعاب عدد كبير من اليهود من الأقطار التي تعاني الضائقة، وهي مهمة صعبة جداً حُشرت في مدة زمنية قصيرة للغاية. وقام يهود إسرائيل، على الرغم من الاستعانة برأس المال والخبرات المقدمة من جانب يهود الولايات المتحدة ذوي المداخيل المرتفعة نسبياً، بتخصيص جزء ملحوظ من مواردهم المحدودة لهذه النشاطات في العقود الأولى والاستقلال.

وكان التقدم نحو الغايات سريعاً بصورة خرق العادة، وإلى حين حرب الأيام

الستة في العام ١٩٦٧ تحولت إسرائيل بوضوح إلى دولة ذات اقتصاد متطور، وقوة بشرية وتكنولوجية متطورة للغاية. وأسفر تركيز الجهود الأولى على الاستثمار في العلوم والتعليم والصحة بتشجيع قوي من يهود الولايات المتحدة عن ثمار تمثلت في القدرة العالية في هذه المجالات. وتعتبر الجامعات في إسرائيل اليوم من أفضل الجامعات في العالم، كما أن نسب المتعلمين بين السكان ازدادت باستمرار. ففي العام ١٩٩٠ كان أكثر من ٣٥ بالمئة من قوة العمل في إسرائيل يتمتع بثقافة ما فوق ثانوية، كما كان ١٧ بالمئة منهم من ذوي الدرجات الأكاديمية أو ما يعادلها. وزاد الوزن النسبي لهؤلاء في قوة العمل في إسرائيل وفي الأعمال ذات المستوى العالي، على التوالي. ففي العام ١٩٩٠ كان ٣٠ بالمئة، ومن المتوقع أن يصل في العام ٢٠٢٠ إلى ٤٤ بالمئة، ومن المحتمل ألا يصل يهود إسرائيل إلى التمركز في أعمال ووظائف ذات مستوى عالٍ كما تسمح مكانة اليهود كأقلية في الولايات المتحدة، لكن البيئة الاقتصادية العلمانية في كلتا الدولتين بدأت تتشابه، وكذلك الأمر أيضاً بالنسبة إلى انعكاساتها على أنماط العمل والديمغرافية نحو العام ٢٠٢٠.

وعلى غرار يهود الولايات المتحدة، فإن المهاجرين اليهود الذين قدموا إلى إسرائيل في النصف الأول من القرن العشرين كانوا أشخاصاً أحراراً في خياراتهم وذوي جذور ضعيفة في الجوالي اليهودية. كذلك فضلت البيئة الاقتصادية في إسرائيل استثمارات برأس مال بشري علماني وليس دينياً، وطوّر هؤلاء أيضاً نمط حياة علمانياً، وكان لأبناء الجيل الثاني نسبة أكثر انخفاضاً من رأس المال البشري الديني. وأرفق النجاح الاقتصادي والاستقرار بنهضة مماثلة للعلوم والثقافة اليهودية. وارتدت النهضة اليهودية أشكالاً مختلفة في الولايات المتحدة وفي إسرائيل، ولكن بشكل جزئي فقط نظراً إلى البيئات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة. وقد أثر في ذلك الاستيعاب الجماعي للناجين من الكارثة في السنوات الأولى، والهجرة الجماعية لليهود غير الأوروبيين ممن يملكون رأس مال دينياً خاصاً بهم (وبالأساس السفارديون الشرقيون) والتجربة اليهودية المتميزة للحياة في إسرائيل، في دولة يهودية.

ومن نواح كثيرة أصبح واضحاً اليوم أن ليهود إسرائيل مستوى أعلى من المعرفة اليهودية مقارنة بأقربائهم في الولايات المتحدة، ويعود ذلك على ما يبدو إلى أنهم يواجهون أكلافاً أقل للاستثمار، والأمر صحيح بخاصة في المجالات التي يوجد فيها تطابق بين المعرفة العلمانية واليهودية. وفيما عدا معرفة اللغة العبرية بحد ذاتها، فإن الدراسات المتعلقة بالأدب اليهودي، والتاريخ، والجغرافيا، والموسيقى، والثقافة، هي جزء من التعليم العلماني لجميع اليهود في إسرائيل، دون الاستثمار الإضافي

المطلوب من يهود مهاجر الشتات. والأمر أقل صحة بالنسبة إلى مجالات التراث والتقاليد الدينية والوجود في الكنس اليهودية، حيث إن اقتناء رأس المال البشري اليهودي هناك مقرون بتخصيص أقل فعالية للموارد. وبهذا الشكل، ففي إسرائيل أيضاً هناك ميل معين لتقسيم ثنائي القطب للحرص على الفرائض الدينية اليهودية. ويرتبط المستوى المنخفض للمعرفة الدينية برابطة هامشية تجاه الدين، والارتباط محكم أكثر لدى أولئك الذين يوظفون أكثر.

وهناك فارق إضافي مهم بين البيئة اليهودية في إسرائيل وفي الولايات المتحدة، هو أن الأكلاف المرتبطة بالهوية اليهودية هي أكثر انخفاضاً في إسرائيل. حقاً، إن المشاركة في الاقتصاد العالمي تقتضي تبني التقويم السنوي العام، ولكن دورات العمل والعُطل موقتة حول أيام السبت والأعياد اليهودية التي تبدأ كالعادة مع غروب الشمس. وهذا الأمر لا يسهل فقط، أي يقلل، من كلفة إدارة نمط حياة يهودي، ولكنه يخلق أيضاً فرصاً للحفاظ على تقاليد الأعياد، وبالتالي يخلق رأس مال بشرياً دينياً بثمن منخفض نسبياً. والبيئة العامة تشعّ مضموناً دينياً على نمط الحياة العلماني أيضاً، وإلى حد كبير تعاظم الفائدة من الاستثمار في رأس المال البشري الديني.

وفارق مهم إضافي بين يهود الولايات المتحدة وبين يهود إسرائيل هو أن الديانة اليهودية تعتبر احتكاراً دينياً للدولة بالنسبة إلى الجالية في إسرائيل، وأما في الولايات المتحدة فهي فقط واحدة من ديانات كثيرة تتنافس في سوق التعددية. واليهودي الذي يعيش في الولايات المتحدة، ويحصل على القليل من المتعة من المحافظة على الفرائض الدينية اليهودية، سواء كان ذلك بسبب استثمار ضئيل في رأس المال اليهودي أو لأسباب أخرى، يمكنه الانسحاب بسهولة من الجالية والذوبان في التيار المركزي العلماني أو تغيير انتمائه الديني. ونظراً إلى أن هذا الإمكان قائم في إسرائيل ولكن فقط بثمن كلفة عالية جداً، فالإسرائيلي الذي يحصل على مستوى متعة منخفض نتيجة المحافظة على الفرائض الدينية سيواصل تعريف نفسه كيهودي، بمعقولية أعلى من قريبه الذي يعيش في الولايات المتحدة. وفي الولايات المتحدة، قد يؤدي المستوى المنخفض في المحافظة على الفرائض الدينية اليهودية إلى انخفاض جوهري في عدد اليهود، أما في إسرائيل فستكون النتيجة هي تطور جالية علمانية مبلورة بشكل جيد.

وهناك عدد من الانعكاسات لاحتكار الدولة للدين، يؤثر في البيئة الاقتصادية ليهود إسرائيل. وكما يستدل من فكرة دولة يهودية، فإن إسرائيل تسمح لمجموعات دينية فيها بقوة علمانية لا مثيل لها في مهاجر الشتات اليهودي. وفي إسرائيل

استجابت أقليات عدوانية، متزمتة ومتطرفة، دينية وعلمانية، للمحفزات القوية لاستخدام هذه القوة من أجل المشاركة في اللعبة السياسية في إسرائيل.

وفي الوقت ذاته، فإن المؤسسة الدينية للدولة أقل إصغاء لمطالب الجمهور للتعبير الديني مقارنة بنظرائها في البيئة التعددية التي عليهم التنافس فيها. والمحفزات للاستثمار في رأس المال البشري الديني هي أقل على التوالي في إسرائيل منها في الولايات المتحدة، تماماً مثل المحافظة على الفرائض الدينية بعامة. ويميل يهود الولايات المتحدة بصورة أكبر للارتباط بالكنيس اليهودي وللمشاركة في الصلوات، للأسباب نفسها التي تجعل العضوية والمشاركة في الكنائس المسيحية المختلفة في الولايات المتحدة أعلى مما هي عليه في البلدان التي تعرف المسيحية فيها كدين الدولة.

وتوجد لهذه الاعتبارات الاقتصادية انعكاسات على تطور الديانة اليهودية في إسرائيل منذ الآن وحتى العام ٢٠٢٠. وعلى الرغم من أنه إمكان توقع تعاظم الاستثمار في رأس المال البشري الديني، إلا أن هناك ميلاً لدى الإسرائيليين للتشديد على المعرفة اليهودية العلمانية، والحرص بصورة أقل نسبياً بأن يحافظ أقرباؤهم في الولايات المتحدة على الفرائض الدينية. وعلى ما يبدو فإن الانقسام الديني سوف يتواصل، وبخاصة بين المتطرفين المتدينين والعلمانيين، بمستويات لا مثيل لها لدى يهود الولايات المتحدة، في بيئة تعددية. وهذا الأمر مثبت في فكرة الدولة اليهودية ذاتها، كما أن الميل للشقاق الديني سوف يبقى، على ما يبدو، الفارق الأكثر عمقاً بين يهود إسرائيل وبين يهود مهاجر الشتات. وإدارة مثل هذا الصراع الديني ربما تضع أمام إسرائيل التحدي الأكبر كدولة يهودية. وسوف يكون للقرارات المتعلقة بالحلول تأثير عميق في دور إسرائيل في العالم اليهودي، وفي ميزان الزعامة بين الجالية اليهودية في إسرائيل والجالية اليهودية في الولايات المتحدة.

٥- يهود إسرائيل والولايات المتحدة

العلاقات بين يهود إسرائيل ويهود الولايات المتحدة تقوم على منظومة أهداف مشتركة. وكلا الطرفين يعزو أهمية كبيرة للإنجازات العلمانية وللبنية التحتية الاجتماعية والاقتصادية اللازمة لدعمها، كما أنهما حريصان كجالية على استمرارية الثقافة والتقاليد اليهودية. وتخصيص الموارد الأمثل لكل جالية مختلف، وفقاً لأكلاف ومداخيل كل طرف، وعقب ذلك للفوارق في التقاليد وفي أنماط الحفاظ على الفرائض الدينية. وتختلف الجاليتان أيضاً في تركيبة رأس المال البشري الديني، وفي النتائج الاجتماعية الأوسع للسلوك الديني. وتنتصب هذه الفوارق في صلب العلاقات الاقتصادية النامية بين يهود إسرائيل ويهود الولايات المتحدة.

٥-١ المزايا العلمانية من العلاقات المتبادلة

إن بنية وطراز التعليم العلماني لدى يهود الولايات المتحدة، وإنجازاتهم في مجال العمالة تعتبر مستقرة بصورة واضحة، وعلى ما يبدو ستستمر. وهذا يعني أن معظم يهود أمريكا حائز على لقب مهني أو ما يوازيه، كما أن ثلثيهم يمارس مهن ذوي الياقات البيضاء، على مستوى وظيفي عالٍ ومدخول عالٍ أيضاً. وهذه البنية أو الطراز تنطبق على الرجال والنساء على حد سواء. وفي حالات الزواج بين اليهود توجد على وجه العموم سيرة مهنية لكلا الزوجين، أكانا في سنوات العشرين المتأخرة أو في سنوات الثلاثينيات. وسيكون لهؤلاء الأزواج عدد أقل من الأطفال، وسيستثمرون جزءاً ملحوظاً من مواردهم في رأس المال البشري الخاص بأطفالهم. وعلى الرغم من أهمية الاستثمار في التربية اليهودية، إلا أن الاستثمارات في التربية العلمانية وفي الصحة ستبقى موضع تركيز أكبر.

ولدى جزء آخذ بالتزايد من يهود إسرائيل، ربما ٥٠ في المئة حتى العام ٢٠٢٠ يظهر سلوك مماثل من ناحية قوة العمل والديمغرافيا[١٢]. والإسرائيليون الذين يحتلون مستويات عالية جداً على الصعيد الوظيفي يستثمرون الكثير في المهارة الجارية باللغة الإنكليزية، كجزء من تطورهم المهني، كما أن الكثيرين منهم يكملون جزءاً ما من تعليمهم العالي في الولايات المتحدة. إلى ذلك، فإن التطور المهني لدى إسرائيليين ذوي إنجازات عالية، مرتبط غالباً برحلات إلى الخارج لاحتياجات مختلفة: مثل المشاركة في مؤتمرات، والتدريس أو التحصيل العلمي أو التقدم في العلاقات التجارية. والرحلات إلى الخارج هي وجه مهم في الاستثمار العلماني بالنسبة إلى الإسرائيليين أكثر منه بالنسبة إلى الأمريكيين. ويعود ذلك جزئياً بسبب الفوارق المتطرفة في الأعداد في غالبية المهن. وبالفعل فإنه من طريق السفر إلى الولايات المتحدة لهذه الغايات، يكون الإسرائيليون على اتصال مراراً مع الجالية اليهودية في الولايات المتحدة.

ومن المحتمل أن تستقر البنية الديمغرافية في إسرائيل على سن زواج مبكرة وعلى عائلة أكبر مما هو عليه الحال في الولايات المتحدة، إلا أن التركيبة الأساس ستكون مماثلة. وحتى العام ٢٠٢٠ فإن الزوجين (الزوج والزوجة) اللذين لهما

---

(١٢) إعلان الوكالة اليهودية بالنسبة إلى البدائل، يقدّر أنه حتى العام ٢٠٢٠، سيعمل نحو ٤٤ بالمئة من قوة العمل في مهن ذات مستوى عالٍ على افتراض أن «الأعمال كالمعتاد». أما حصة المجموعة الديمغرافية المكمّلة فهو أكبر قليلاً بين السكان نظراً لأنه يشمل أبناء عائلة يعملون في مهن أو وظائف أجرها منخفض أكثر.

سيرتان مهنيتان، سيصبحان أكثر شيوعاً في إسرائيل مما هو عليه الحال اليوم. وغالباً ما سيكون لهؤلاء الأزواج ثقافة عالية وإنجازات في مجال الاستخدام، ومستوى استهلاك مريح جداً، واستثمار أكبر في رأس المال البشري لأطفالهم. وسيكون نمط حياة هذه العائلات الإسرائيلية مماثلاً لنمط حياة أقربائهم في الولايات المتحدة (أي عبورهم الأمركة)، وسوف يكون لديهم أمور مشتركة كثيرة عندما يلتقون في مناسبات مهنية أو اجتماعية. ولقد أصبح الزواج بين يهود من إسرائيل ويهود من الولايات المتحدة أمراً سهلاً، كما صار الانتقال في كلا الاتجاهين. وكنتيجة لذلك فإن الروابط العائلية بين الدولتين تقرب الجاليتين كلاً منهما أكثر إلى الأخرى.

والأشخاص من ذوي الدخل والتعليم العاليين هم ذوو ثقافة استهلاكية عالية بالنسبة إلى الرحلات إلى الخارج. ويهود إسرائيل وكذلك يهود الولايات المتحدة يحبون السفر في أوقات العُطل لأغراض الاستجمام أو السياحة. وفي كلتا الدولتين إمكانات كثيرة لكلا الأمرين. والسواح من الولايات المتحدة يظهرون في إسرائيل أكثر من ظهور السواح الإسرائيليين في الولايات المتحدة، ويعود ذلك جزئياً إلى أن عدد السكان المحليين في إسرائيل أقل بكثير، وجزئياً بسبب حجم صناعة السياحة في الاقتصاد الإسرائيلي. ورغم ذلك فإن الإسرائيليين يزورون الولايات المتحدة بأعداد متزايدة، كما أن هذا الاتجاه سيحظى بمحفزات إضافية مع تطور العلاقات المهنية والعائلية.

٥-٢ المزايا اليهودية من العلاقات المتبادلة

مع ظهور ظروف اقتصادية في إسرائيل شبيهة بتلك الموجودة في الولايات المتحدة، فإن تجديدات يهود الولايات المتحدة في مجال الديانة اليهودية ستشكل مركز جذب للإسرائيليين بصورة متزايدة. وحقاً فإن إسرائيليين معدودين سينضمون إلى الكنس اليهودية على غرار النمط السائد في الولايات المتحدة، ولكن ليس ثمة شك في أن البيئة اليهودية في إسرائيل ستتأثر بالتجربة في الولايات المتحدة. وسمات «الأمركة» تجتذب بخاصة مهنيين إسرائيليين من ذوي المداخيل العالية، وتشمل هذه الفئة بشكل خاص أولئك الأشخاص الذين ينجحون في استبدال الكم بالنوع، بالنسبة إلى الوقت المخصص للحفاظ على الفرائض الدينية. وأشكال المحافظة على الفرائض الأمريكية سيكون لها شأن أقل لدى ذوي التجربة اليهودية المتدنية، أو الذين يكون الإحساس بالهوية اليهودية ضعيفاً لديهم.

إن التشابك الاقتصادي بين الدولتين يتوقع له أن يزداد أكثر فأكثر، والى درجة يصبح فيها يهود الولايات المتحدة مرتبطين بإسرائيل بالنسبة إلى رأس المال البشري اليهودي. وأصبح التأثير الإسرائيلي ظاهراً للعيان في الكنس والمدارس اليهودية.

فمعرفة اللغة العبرية، والطقوس الدينية، والموسيقى الشعبية، والأعمال الفنية، والعادات المتعلقة بالمحافظة على الأعياد، كلها تفسر بوضوح الانجذاب الشعبي نحو الصور الإسرائيلية لرأس المال اليهودي. وحتى الثقافة العلمانية القادمة من إسرائيل تسهم بشكل ثابت في التربية اليهودية في الولايات المتحدة: أغانٍ شعبية (باللغة العبرية)، وأشرطة سينمائية، والصحف التي تتضمن تقارير عن الأحداث الجارية. وبالفعل فإن مجرد قيام دولة يهودية نشطة ويقظة، يؤثر في طريقة تعلم الأمريكيين لمصطلح القومية اليهودية.

وكما أن الشبيبة اليهودية في إسرائيل تحصل على جزء من ثقافتها العلمانية في الولايات المتحدة، كذلك فإن الشبيبة اليهودية في الولايات المتحدة تأتي بشكل متزايد إلى إسرائيل كجزء من تربيتها اليهودية. وتحصل المؤسسات اليهودية في الولايات المتحدة على الفائدة من معلمين ذوي مؤهلات إسرائيلية، وكذلك من مبعوثي الوكالة اليهودية، كما أن المؤسسات العلمانية تحصل على الفائدة من المبادلات الدولية. ويعود السبب في ذلك إلى أنه بالنسبة إلى أشكال عديدة من رأس المال البشري اليهودي (اللغة العبرية، والجغرافيا والتاريخ الإسرائيلي) فالاستثمار في إسرائيل هو أقل كلفة من الاستثمار في الولايات المتحدة. فالمكوث في إسرائيل، سواء قيس بأسابيع أو بشهور، يمكنه أن يكون وسيلة رخيصة نسبياً لتعزيز الخلفية اليهودية للشبيبة في الولايات المتحدة، كما سيكون طريقة ناجعة لتعزيز التجربة اليهودية لهؤلاء الشباب في المستقبل.

٥-٣ مزايا أخرى للعلاقات المتبادلة

تماماً كما ينبع من داخل السياق الاجتماعي الأوسع، إن للمحافظة على الفرائض الدينية اليهودية انعكاسات اقتصادية مختلفة بالنسبة إلى اليهود كأفراد، في مهاجر الشتات وفي إسرائيل، كذلك أيضاً فإن التأثير في كل جالية سيكون مختلفاً. وفي الظروف الحالية، أصبح واضحاً أن تقدير يهود الولايات المتحدة لذاتهم قد تزايد بفضل إسرائيل، ويعود ذلك جزئياً إلى مجرد قيام إسرائيل كدولة يهودية، وجزئياً إلى طابعها وأعمالها. وفي المقابل، فإن قوة إسرائيل وتقديرها الذاتي في المجال الدولي يتأثران ايجابياً من وجود ودعم الجوالي اليهودية في الخارج. ومع أن الجوالي اليهودية في إسرائيل وفي الخارج غير مرتبط بعضها ببعض بالمفهوم المطلق، إلا أنه من الواضح أنها تستخلص فائدة متبادلة من بعضها البعض، والتأثير المشترك هو جوهري جداً في الحياة اليهودية في عصرنا هذا.

ومع أنه يصعب قياس الأمور، إلا أن أحد المؤشرات إلى أهمية إسرائيل بالنسبة

إلى يهود الولايات المتحدة هو طابع التبرعات المالية. وسواء أقسنا التبرعات وفق حجمها أو وفق عدد المتبرعين، فمن الواضح أن يهود الولايات المتحدة يستجيبون طواعية للغايات التي تتركز على إنقاذ جوالٍ يهودية في حالة خطر (بما في ذلك إسرائيليون يتعرض أمنهم للخطر)، واستيعابها في إسرائيل، وكذلك أهداف ترتبط بتطور إسرائيل الاقتصادي. ومع ذلك، فإن نجاح إسرائيل الاقتصادي، والتركيز العالي للسكان اليهود في كل من إسرائيل والولايات المتحدة، من شأنه المساس بفعالية هذه التبرعات المالية كتعبير عن التضامن القومي. فهل وبأي قدر ننجح في إيجاد قنوات أخرى يمكن ليهود الولايات المتحدة بواسطتها المشاركة في القومية اليهودية التي تمثلها إسرائيل؟ وسيكون لذلك تأثير كبير في قوة الرابطة بين هاتين الجاليتين في العام ٢٠٢٠.

ان أهمية التبرعات بالنسبة إلى يهود الولايات المتحدة تجد تعبيراً عنها في طابع النشاطات الهادفة لجمع الأموال بحد ذاته. وتعتبر عمليات الإنقاذ والاستيعاب مصلحة للجالية نفسها، وتتم عملية جمع الأموال على وجه العموم بصورة مشتركة مع الاتحادات اليهودية المحلية التي تخدم احتياجات محلية. ويوجد في كل عائلة يهودية تقريباً عضو/عضوة في منظمة هداسا (منظمة النساء الأمريكيات التي تكرس نفسها لدعم البنية التحتية الطبية والصحية في إسرائيل)، كما أن يهوداً من كل الأعمار والتيارات الدينية يقومون بغرس أشجار في إسرائيل تخليداً لأشخاص أو لأحداث مهمة(١٣). وهذه المؤسسات المتجذرة وغيرها الداعمة لإسرائيل كانت قد أقيمت في السنوات الأولى لتأسيس المنظمة الصهيونية، حينما لم تكن دولة إسرائيل قد قامت بعد، وحينما لم يكن مستشفى «هداسا» القائم على جبل سكوبس في مدينة القدس، المركز الطبي الأكثر حداثة في الشرق الأوسط، وحينما كان إنقاذ يهود أوروبا يحتل أفضلية عليا، وعلى وجه العموم نجحت هذه المؤسسات في تغيير الظروف، دون تغيير الهدف الجوهري. فقد بقيت هذه المؤسسات سمة مميزة وثابتة للحياة اليهودية في الولايات المتحدة، لأنها تمنح مخرجاً للمشاركة في القومية اليهودية، بشكل لا يناقض هويتهم وولاءهم كأمريكيين.

هذا ويعبّر يهود الولايات المتحدة أيضاً عن الرابطة القائمة بينهم وبين إسرائيل بنشاط سياسي داخل الولايات المتحدة. فعدد من المنظمات اليهودية يعمل كمجموعة ضغط (لوبي) من أجل أهداف مشتركة، لكن المشاركة الواسعة والمتجذرة هي سمة

---

(١٣) قنوات المشاركة هذه أقل لدى الأقلية الأرثوذكسية، لأن تبرعاتهم المالية موجهة، كالعادة، لنشاطات دينية في إسرائيل.

أفضل للتأثير الإيجابي الذي تملكه إسرائيل في بيئة يهود الولايات المتحدة. ويهود الولايات المتحدة يؤيدون بصورة قوية شرعية إسرائيل كقومية، أي حقها في الوجود، وبكونها العمود الفقري للصهيونية الذي ما زال، حسب اعتقاد كثيرين، معرضاً للخطر. وهم ينشطون كيهود، كمقترعين وكناشطين في معركة الانتخابات، إذا أيد مرشح مؤيد أو معادٍ إسرائيل بقدر شاذ. كذلك فإن يهود الولايات المتحدة يميلون للنظر إلى اللاسامية، والى معاداة الصهيونية، كمظاهر متماثلة ومتقاربة. وهذه المظاهر تثير القلق لديهم من الناحية العددية، أو من ناحية التصريحات المعادية لإسرائيل، على حد سواء.

وعلى الرغم من أن يهوداً مثقفين في الولايات المتحدة لا يظهرون اكتراثاً بالسياسة اليهودية، إلا أنهم يحبون قراءة الأخبار أو التقارير الصحفية التي تتحدث عن إسرائيل، كما أنهم يميلون أكثر في أحاديثهم مع جيرانهم وأصدقائهم في العمل إلى تبني موقف إسرائيل بالنسبة إلى أحداث هي موضع خلاف، ومن المهم للغاية بالنسبة إلى يهود الولايات المتحدة أن يكون تضامنهم مع القومية الإسرائيلية منسجماً مع هويتهم القومية كأمريكيين.

وتعتبر السياسة الخارجية للولايات المتحدة حاسمة من هذه الناحية، لأن احتمال النزاع يكون طفيفاً طالما كان دعم إسرائيل مصلحة ذاتية للولايات المتحدة. أما التهديد بإحداث شرخ (مثل انتقاد الولايات المتحدة لسياسة إسرائيل الاستيطانية في المناطق المحتلة) فإنه يثير نشاطاً يهودياً من أنواع مختلفة: ممارسة الضغط على حكومة الولايات المتحدة لتقديم دعم أكبر لإسرائيل، وعلى حكومة إسرائيل للاستجابة أكثر لسياسة الولايات المتحدة، وتنظيم مناقشات ناشطة في أطر كثيرة، عامة وخاصة، ترمي إلى الجسر بين وجهتي النظر. وسواء كانت الآراء المعبر عنها مع أو ضد موقف الحكومة الإسرائيلية، إلا أن الطاقة المكرسة للمسألة تعتبر دليلاً على الأهمية التي يعزوها يهود الولايات المتحدة لإسرائيل.

٦- استنتاجات

في العام ٢٠٢٠ ستكون إسرائيل والولايات المتحدة الجزء الحاسم من يهود العالم، بحكم كونهما المركزين الرئيسين لليهودية الحديثة. وبهذه الصفة فإن كل واحدة منهما ستؤثر حتماً في الأخرى، في المجالين العلماني واليهودي على حد سواء. ومن الأمور التي ستميز هاتين الجاليتين المستوى العالي من الثقافة العلمانية وقوة العمل التي تميل إلى الوظائف المهنية والتقنية والإدارية ذات الأجر المجزي. وهذه التجمعات المهنية ستكون أعلى في الولايات المتحدة نظراً إلى أن اليهود هناك يشكلون أقلية في

قوة العمل مقارنة بإسرائيل. وفي جميع الأحوال، فإن هذا سيكون سمة مركزية في الحياة الاقتصادية لليهود في الدولتين.

وكلما تطورت بنية العمالة في إسرائيل في اتجاه تلك السائدة لدى يهود الولايات المتحدة، تبنت المحفزات الاقتصادية في إسرائيل العام ٢٠٢٠ أكثر فأكثر تلك العادات الدينية السائدة لدى يهود الولايات المتحدة التي تستبدل بصورة ناجعة الكم بالكيف من ناحية الوقت المستثمر في المحافظة على الفرائض الدينية. كذلك فإن العادات الدينية في الولايات المتحدة المرتبطة بمستويات متدنية من المعرفة والعلاقة بالديانة، سوف تكون أقل بروزاً مما هي عليه اليوم، جزئياً لأنها لا تتحدث إلى قلوب الإسرائيليين، وجزئياً بسبب نسب الاندماج العالية في الولايات المتحدة. في المقابل، فالعادات اليهودية في إسرائيل، المرتبطة بالأوضاع المتطرفة للمعرفة الدينية والمحافظة على الفرائض الدينية، سواء أكانت العالية أو المنخفضة، سوف تبقى تشكل جزءاً مهماً من الثقافة اليهودية في إسرائيل. والتطور في الاقتصادين العلمانيين سوف يقود إذاً إلى تعزيز المركز في الشبكة الدينية في الدولتين، ولكن ثقل الأطراف المتطرفة في الولايات المتحدة (العلمانية والأرثوذكسية) سيكون أقل بالنسبة إلى الجالية اليهودية في إسرائيل.

وفي العام ٢٠٢٠ سوف يتوجه يهود الولايات المتحدة إلى إسرائيل على الدوام من أجل زيادة استثماراتهم في رأس المال الديني. كما أن السياحة والدراسة في إسرائيل التي تعتبر منذ الآن جزءاً مهماً في التربية اليهودية في الولايات المتحدة، ستعزز من الهوية اليهودية، كما ستترك أثراً ايجابياً في نوعية التجربة اليهودية. والكنس اليهودية والمدارس ومجموعات الشبيبة من الولايات المتحدة ستواصل الاستفادة من نقل رأس المال الديني من إسرائيل إلى الولايات المتحدة. كما أن المعلمين والمبعوثين القادمين من إسرائيل، سواء أكان ذلك بصفة شخصية أو بواسطة القنوات الرسمية القائمة بين الجاليتين، سوف يسهمون في تعميق هذه الظاهرة. كذلك سوف يقوم الإسرائيليون بزيارة الولايات المتحدة بشكل منظم، لغايات التعليم العلماني والتطور التجاري أو المهني، وكذلك لغايات السياحة. وسوف تؤدي هذه العلاقات المتبادلة إلى تعزيز الروابط الشخصية بين الجاليتين، والى زيادة متصاعدة في عدد العائلات التي يوجد لها ممثلون في الدولتين.

إن أشكال الاستهلاك العلمانية والدينية لدى يهود إسرائيل والولايات المتحدة ستكون متشابهة بصورة أكبر في العام ٢٠٢٠ مما هي عليه اليوم. ومع ذلك، فإن أوجهاً معينة في الثقافة اليهودية سوف تبقى مختلفة. وكقاعدة عامة، فإن قوة الحياة

القومية لليهود في إسرائيل سوف تكون أكبر مما هي عليه في الولايات المتحدة، في حين أن يهود الولايات المتحدة سيكونون أكثر انفتاحاً على التغييرات في المحيط الخارجي. كما ستكون الجالية اليهودية في إسرائيل عرضة للانقسام الديني أكثر من الجالية اليهودية في الولايات المتحدة، ولكن، من الناحية الأخرى، سيكون يهود الولايات المتحدة عرضة أكثر لتهديد الاندماج في المجتمع الأمريكي.

إن الرد على السؤال إن كانت هذه الفوارق سترتبط أو تفصل بين هاتين الجماعتين الكبيرتين ليهود العالم يتعلق بالأساس بالتطورات التي ستجري في خلال الخمس وعشرين سنة المقبلة. فالتجارب الشخصية في إسرائيل أو مع إسرائيليين في الولايات المتحدة يمكنها أن تحل محل التبرعات المالية، وذلك كقناة ناجعة ليهود الولايات المتحدة للتعبير عن مشاركتهم في القومية اليهودية. والروابط بين الجاليتين ستتعزز على ما يبدو، نظراً إلى أن الأمريكيين سوف يتوجهون إلى إسرائيل للحصول على نصيب مهم من التربية اليهودية. ومن جهة أخرى، فإن بيئة دينية متطرفة في إسرائيل قد تمس من قيمة هذا الاستثمار، إذا ما بدت إسرائيل كمن يرفض فعالية تجربة يهود الولايات المتحدة. وفي المجال العلماني، فإن نجاح إسرائيل في السياسة الداخلية والخارجية قد يعاظم التقدير الذاتي ليهود مهاجر الشتات، وقد يسهم في تقوية صوتهم، وفي تركيز دعمهم لإسرائيل في الساحة العالمية.



الصهيونيـــة
معالـم واتجاهـات: فحص ماهيــة واتصالها بالواقع بالوسائل الحديثة لتأريخ الصهيونية وفلسفتها

ليئه كوهين(*)

١ - الصهيونية ـ ظاهرة حداثة

الصهيونية كأيديولوجيا، والصهيونية كحركة حُركت وحُفزت بواسطة هدى الأيديولوجيا، هي مرحلة تاريخية نواصلها طوال الوقت بهذه الطريقة أو تلك. ونحن نفهم الصهيونية كمحاولة لضمان استمرار وجود الشعب اليهودي بفعل عوامل موجودة في الحاضر التاريخي وليس فقط بواسطة التقاليد التاريخية. وعوامل الكينونة الصهيونية هي الأرض، واللغة، والسلطة السياسية، حين تكون الصلة بالتاريخ متشابكة مع هذه العوامل الثلاثة بهذه الصورة أو تلك. وهذه الفكرة سارية المفعول اليوم مثلما كانت في الماضي. وتحتاج هذه الفكرة إلى صياغة من جديد وليس إلى المراجعة، وذلك كلما أخذنا في الاعتبار، وبصدق، التحولات التي طرأت على الشعب اليهودي وعلى أنظمة العالم، وبخاصة في الآونة الأخيرة. وهذا هو ما يحدده الفيلسوف نتان روطنتسترايخ في مقالته عن الصهيونية بارتباطاتها الجديدة، في ملخص كتابه **تأملات في الصهيونية في العصر الحالي**[١].

وكانت الصهيونية عن سابق علم ظاهرة حداثة لأنها لم تكتف بـ «صهيون» (أي «أرض إسرائيل») كهدف للعودة بالمعنى الرسولي ـ الإنقاذي أو الديني لهذا المفهوم.

(*) ليئه كوهين تدير منذ عام ١٩٨٤ دائرة دراسات الصهيونية التابعة لمعهد الدراسات اليهودية المعاصرة في الجامعة العبرية في القدس، ومعهد جبل هرتسل للدراسات الصهيونية، وشعبة الدراسات الصهيونية التابعة لدائرة التنظيم والعلاقات الجوالية في المنظمة الصهيونية العالمية.

(١) نتان روطنتسترايخ، **دراسات في الصهيونية المعاصرة** (القدس: هاسفرياه هاتسيونيت، ١٩٧٧).

وقد خلّصت الصهيونية بصورة انتقائية من داخل التقاليد اليهودية الغنية مكونات معينة واستخدمتها بشكل لاءم اتجاهاتها: **أولاً** وقبل اي شيء آخر، قاعدة الكيان الجماعي الذي كان قائماً في الحاضر، **وثانياً**، إرساء المكانة الإقليمية لهذا الكيان الذي لم يكن قائماً بالفعل، ولكن كان ينبغي إعادته إلى الوجود ـ أي «صهيون» أو «أرض إسرائيل»، **وثالثاً**، اللغة العبرية التي كانت لغة المصادر والتقاليد والصلاة، وعرضت من جانب الصهيونية كأحد مظاهر الوجود الجماعي لليهود والمُحصّن له.

وبكلمات أخرى، فالصهيونية حددت كأساس: **أولاً** أن اليهودية هي كيان قومي ذو خصوصية اجتماعية، وثقافية، وروحية تبلورت في عملية تاريخية، وبذلك تكون قد صادرت الهوية اليهودية من مجال التعريف الديني المطلق، ووضعت الدين كأساس ثقافي روحي وليس كمعتقد تتحدد القومية عن طريقه. **ثانياً** افترضت الصهيونية أن التكتل القومي للشعب اليهودي المبعثر والمجزأ سوف يتحقق في عملية تدريجية طويلة وربما لا نهاية لها تتمثل في استيطان أرض إسرائيل. **وثالثاً** أولت الصهيونية أهمية عليا للتربية القومية، كقائد للثقافة اليهودية إلى الفرد، كسدٍ أمام اندماج الكثيرين. وفحص هذه الأسس إزاء الواقع اليهودي في عصرنا الحالي وفي المستقبل المقبل يقود إلى استنتاج مفاده بأن هذه الأسس قائمة ومكينة[٢].

وبهذه العملية الانتقائية للمكونات التي وضعتها الصهيونية كمبلورة للوجود الجماعي للشعب، تكون الصهيونية قد عرضت عن سابق معرفة صلة ملزمة بالنسبة إلى التراث كتطور تاريخي متتابع، في سياق محاولة نسخ التراث بمجمله إلى التاريخ هنا والآن، أو إلى الواقع التاريخي كما هو عليه في هذا العصر. والدليل على صلة الصهيونية بالواقع الحديث يكمن في مجرد الحاجة إلى مبدأ القومية كمبدأ يبرر جهود اليهود وتطلعاتهم. كذلك فإن الصهيونية، في مسعاها إلى إقامة دولة، تكون بمثابة مظهر منظم للطموح القومي، وهي حركة فكرية، أو منظومة أيديولوجية، مبنية إلى حد كبير على تحليل الواقع الذي تنمو منه، والذي تسعى إلى تغييره. وهي ليست تطلعاً رسولياً ـ نبوئياً، رغم أن هذا التطلع يستخدم كأحد المصادر المغذية للصهيونية وليس فقط الصهيونية الدينية[٣]، بل إن الصهيونية بوجه عام تتميز بواسطة الجمع بين الأساس التطلعي والأساس الانتقادي ـ التحليلي. ولذا فقد انصبت في أساس الصهيونية خيبة الأمل من حركة الانعتاق التي ظهرت من خلال تحليل اللاسامية،

---

(٢) يوسف غورني، **البحث عن الهوية القومية** (تل أبيب: عام عونيد، ١٩٩٠).

(٣) سبق ووقفت على ذلك انيتاشابيرا في: انيتاشابيرا، **السير على خط الأفق** (تل أبيب: عام عونيد، ١٩٨٨).

وهي مصطلح حديث برز في السبعينيات من القرن التاسع عشر، بهدف إبراز رفض اليهود ليس فقط لأسباب تتعلق بالتقاليد والتراث، وإنما أيضاً لأسباب أخرى مرتبطة بالعالم الحديث.

وهكذا ففرضيتنا هي أنه كان يكمن في الحداثة بين أمور أخرى، عملية خيبة الأمل من طموح اليهود إلى التحرر، أي إلى احتلال مكان في الواقع الاجتماعي الذي عاشوا في داخله في أوروبا. لكن العملية التاريخية قادت إلى نقل مركز ثقل الحياة اليهودية في المنفى من أوروبا إلى الولايات المتحدة، وهناك تحقق تحرر اليهود أكثر مما كان متوقعاً. وتحقق التحرر في كينونة يهود الغرب، وبخاصة يهود الولايات المتحدة، وقد حصل ويحصل كعملية موازية لقيام ورسوخ دولة اليهود، على طريق الوجود المشترك ـ التحرر والتحرر الذاتي ـ جنباً إلى جنب. ويخيل إلينا أنه تكمن هنا المشكلة الجوهرية للغاية للوجود اليهودي في العصر الحالي.

٢- مشكلة الوجود اليهودي في عصرنا الحالي

كما ذكر سابقاً فاليهود في الغرب، وبخاصة يهود الولايات المتحدة، يعيشون حياتهم في ظروف شاملة ومتغلغلة من التحرر. فالمساواة في الحقوق مضمونة وقائمة بواسطة بنية المجتمع المحيط والأيديولوجيا التي صاغت قوانينه الأساس، كما أنها جوهرية للواقع الحقيقي للولايات المتحدة، ولا يعد هذا الأمر إنجازاً لليهود من تلقاء ذاتهم، وإنما هو يمثل طابع المجتمع والدولة.

إن مصطلح الاندماج في المجتمع، الشائع على ألسنتنا، يفحص عملية تأقلم اليهود مع الواقع الإنساني المحيط بهم. ولكن في الوضع كما تبلور داخل الولايات المتحدة، لم يعد يتوجب على اليهود الاندماج في المجتمع الذي يحيط بهم. فهم ينتمون إلى هذا الواقع الشامل والمتغلغل. ومع الانتقال إلى التحرر الجوهري والى الاندماج، فإن مسألة البقاء التي يطلق عليها اسم استمرار الوجود اليهودي لم تعد مرشحة لأن تكون دليلاً للحياة اليومية[٤].

إن الحرية السياسية والاقتصادية، والتسامح، والتعددية، والوعي الاجتماعي تكبّل أكثر فأكثر أقدام الخصوصية اليهودية، في منافي الغرب، والاندماج في المجتمعات الجديدة آخذ بالتعاظم إلى درجة أنه يمكن القول ـ كما عبر عن ذلك المؤرخ روبرت ويستريخ ـ أن هذه الأمور وبشكل تناقضي تهدد بأن تحقق بالطرق السلمية

(٤) نتان روطنتسترايخ، «حول طريقة الصهيونية،» في: **بين فرضيات أساس للواقع** (تل أبيب: عام عونيد، ١٩٩١).

واللطيفة ما عجزت البربرية النازية عن تحقيقه بقوة فظائع الكارثة، أي الاختفاء التدريجي للشعب اليهودي! وهذا هو التناقض الكبير لمهاجر الشتات اليهودي في العصر الذي تلا الحرب العالمية الثانية، إذ إن استمرار وجودها وخصوصيتها كمجموعة إثنية ذات أعراف ومعتقدات دينية ووعي يهودي، ومعرفة وإبداع ثقافي، أصبح مثار شك، في الوقت الذي تعيش فيه هذه المهاجر في ظروف أفضل من أي وقت مضى.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل يستطيع شعب نجح بصورة رائعة للغاية في أن يتعافى من الكارثة الرهيبة، بعد أن حافظ على بقائه على امتداد ألفي عام من النفي، والمطاردة، والضربات، والاضطهاد، والمجازر، والإبادة، أن يسلم بحدث غير دراماتيكي ولكن قطعاً ملموس، يتمثل في الاختفاء الهادئ والكئيب من على مسرح التاريخ؟ هذه «مسألة يهودية» أشد صعوبة وتعقيداً من الظل المعتم لكراهية إسرائيل واللاسامية المرافقة لطريق اليهود الطويل في المنفى. ومعظم أبناء الشعب اليهودي، سواء أكانوا في إسرائيل أو في مهاجر الشتات، هم اليوم من العلمانيين، وهكذا على ما يبدو سيكونون في المستقبل أيضاً. ولكن كعلمانيين يدركون أيضاً أن الهوية اليهودية لأبنائهم ولأبناء أبنائهم لم تعد أمراً مفهوماً من تلقاء ذاته. وبالقدر ذاته لم يعد بمقدورهم الافتراض أن البقاء الجماعي للشعب اليهودي أمر مضمون، حتى مع وجود الدولة اليهودية، هذا لأن إسرائيل هي كيان قومي محدد، ومجتمع ليس بالضرورة أن تتمشى المسارات الداخلية فيه، والمصالح التي تحركها، والآفاق الذهنية التي توجهها، مع تلك الموجودة في مهاجر الشتات[٥].

٣- أزمة الهوية اليهودية الذاتية

العلاّمة الكبير البروفيسور المرحوم أوريئيل طال عرّف المفهوم «هوية ذاتية» كمسألة تحليلية تفسر الكيان، ليس ككيان بحد ذاته، وإنما ككيان موجه نحو مضامين أو لمواجهة أمر ما يتجاوز الإنسان. والهوية ليست أمراً يكمن فقط في الإنسان، إنما تعريف ذاتيته إزاء أمر آخر أبعد منه، أي التراث. وبناء عليه فـ «الهوية اليهودية» هي «الهوية» تجاه الذات والتقاليد. وأزمة الهوية التي نشأت عقب الحداثة والعلمانية أدت إلى تحطيم ذلك الشيء الثاني الذي في ضوئه تعرف الهوية، أي أن الهوية الذاتية تحطمت وبقيت دون أدوات يمكن أن تكوّنها. ومن هنا فحص النفس الذي يقوم به كثيرون في المجتمع الإسرائيلي، والمجتمع اليهودي العالمي عبر تفتيش ذاتي دائم ونبش

(٥) Robert S. Wistrich, ed., *Terms of Survival: The Jewish World since 1945* (London; New York: Routledge, 1995).

في داخل أعماق الإنسان، دون قدرة حقيقية على إيجاد الطريق «العابر للذات» بهذا المفهوم. ويشير البروفسور طال إلى أن علماء الانثروبولوجيا متفقون في الرأي على أن المجموعة المتكاملة المنحوتة والمبنية منها الهوية ثابتة في «التراث» الذي هو تراكم للتجربة التاريخية التي نما فيها الإنسان، وباللغة، وبمخزون التداعيات، وبمنظومة المفاهيم والانطباعات، وبأحلامه وبالأساطير المألوفة لديه. وهذا هو تراث للتقاليد بالمفهوم الرحب والشامل. وكلما كان التراث غنياً بمكوّنات التي هي بحاجة إلى تفسير ـ كالتيارات والمقاربات والآراء ـ هكذا تكون المواد التي تبني وتغذي الهوية الذاتية والصورة الذاتية. وكلما كان التراث ناضباً وفارغاً، أو كلما كان الإنسان مغترباً عنه، فإنه يقف كإناء فارغ، مثلما يقف الكثيرون منا اليوم. والأزمة التي تلم بنا اليوم، أزمة المجتمع الحديث، لا تنبع من فقدان الإيمان، لأنه كما قلنا، فإن الحاجة إلى التراث والتقاليد ليست مسألة صحوة دينية، بل مسألة تقاليد تشكل فيها جميع التيارات خلايا تكون نسيج حياة متنوعة ومتكاملة. وهذه الأزمة تنبع من فقدان التواصل وهي نتيجة لاغتراب اليهودي الحديث عن التقاليد. والصهيونية منذ بدايتها لم تضع سيناريو إمكان الاغتراب عن الديانة اليهودية، والاندماج أيضاً بالعبرية، ناهيك عن بقية اللغات الأجنبية.

وبهذا المعنى، فإن لمفهوم «الاغتراب» دلالة تاريخية تتمثل في انقطاع تواصل معين في تاريخ إسرائيل، وهذا الاغتراب لليهودي الحديث (غير الأرثوذكسي)، وبخاصة عندما يحصل في المجتمع الإسرائيلي، ينطوي على تناقض، كما لو كان المجتمع الإسرائيلي غارقاً في «منفى روحي»، وكم بالحري المجتمعات اليهودية في مهاجر الشتات. وهذا الاغتراب مناقض للآمال وللنيات وحتى للأعمال التي كانت تقوم بها الحركة القومية ـ الصهيونية منذ بدايتها كحركة بعث ونهضة[٦].

٤- الصهيونية كعامل متدخل في الاتجاهات المستقبلية ليهود مهاجر الشتات

علماء ورجال فكر مختلفون من ذوي المقاربات والمذاهب المختلفة والمتباينة، في إسرائيل أو في العالم على حد سواء[٧]، وبخاصة في الولايات المتحدة، يتخوفون من أنه في غياب نموذج مستحدث وموضوعي لـ «الصهيونية» فإن علاقات إسرائيل ومهاجر الشتات قد تتدهور إلى سلبية شاملة ترغم مهاجر الشتات على أن تطور لنفسها نموذجاً مختلفاً تماماً للهوية والوجود اليهودي، بحيث يصبح فيه من الصعب

(٦) أوريئيل طال، **الأسطورة والفطنة في اليهودية المعاصرة** (تل أبيب: سفريات هال عليم، ١٩٨٧).

(٧) على سبيل المثال: ليونارد فاين، مارنين يوروفسكي، يحزقيئيل درور وآخرون.

كثيراً الجسر بين الهوات القائمة بين هذه المجتمعات. فمن جهة يمكن فعلاً تحليل وتحديد الدور الذي تقوم به إسرائيل في إدراك الهوية الذاتية لأبناء الجوالي اليهودية في مهاجر الشتات. ومن جهة أخرى يجب أيضاً تشخيص وفحص التيارات تحت الأرضية العاملة سواء أكانت في إسرائيل أو في مهاجر الشتات، في اتجاه توسيع الهوة بين المجتمع الإسرائيلي وبين مهاجر الشتات.

أ ـ الفارق بين يهود مهاجر الشتات وإسرائيل

أهم مؤرخي الأيديولوجية الصهيونية غدعون شمعوني[٨] يشخص الفوارق القائمة بين جالية يهود إسرائيل وبين جوالي مهاجر الشتات، كفارق بين ما يسميه «دولة قومية» و«دولة مدنية». لقد نمت دولة إسرائيل كـ «دولة قومية»، أي دولة ملتزمة بمصالح واتجاهات ورفاه مجموعة قومية أو إثنية معينة هي الشعب اليهودي. في المقابل، تعيش أكثرية يهود مهاجر الشتات في دول تتميز وفقاً لنموذج «الدولة المدنية»، أي ـ الالتزام بمصالح ورفاه المواطن الفرد، دون أن يكون للأمر علاقة بانتمائه الإثني أو القومي أو هويته الدينية. ويهود مهاجر الشتات، وفي مقدمهم يهود الولايات المتحدة خلقوا طباعهم الإيجابية المميزة من أسس قيمية كتلك التي تميز «الدول المدنية» والمساواة. الفصل بين الدين والدولة والتعددية ـ بما في ذلك التعددية في أشكال الهوية اليهودية. ولكن تسود اليوم أيضاً في المجتمع الإسرائيلي اتجاهات معينة لنقل الأسس القيمية من «دولة قومية» في اتجاه نموذج «دولة مدنية»، وذلك بموازاة تقدم عمليات السلام. وهذا واحد من مغازي مصطلح «ما بعد الصهيونية»، ومجرد الظاهرة في إسرائيل، يضع يهود مهاجر الشتات أمام معضلة: فمن ناحية حيوي بالنسبة إليهم أن يروا في إسرائيل التجسيد لليهودية الأصلية، وإلا لما استطاعت أن تكون «مركزاً» في نظرهم، ومصدر إيحاء وحيوية للحياة اليهودية، أي أنهم يريدون وجود إسرائيل كـ «دولة قومية».

ومن ناحية أخرى، فأخلاقياتهم وطباعهم الإيجابية في مهاجر الشتات هي أخلاقيات «الدولة المدنية»، وعليها يريدون بناء وإرساء الأمل لمستقبل وجودهم اليهودي في المنفى. ومعنى ذلك ـ بشكل تناقضي ـ أنه كلما تعاظم الشبه والقرب في أخلاقيات وطباع يهود مهاجر الشتات وإسرائيل، ستجد دولة إسرائيل، بتضحيتها بالسمات اليهودية في هويتها، صعوبة جمة في البقاء كـ «مركز» إيحاء وحيوية للحياة اليهودية في مهاجر الشتات.

---

(٨) انظر محاضرة غدعون شمعوني التي ألقاها أمام الجمعية العامة للوكالة اليهودية في صيف ١٩٩٥.

ولذا فالتحدي يتمثل في كيفية تطوير أشكال من الهوية اليهودية التعددية، في عصر التسريح القيمي للدولة القومية المسماة إسرائيل، وكيفية الحفاظ على تميزنا الثقافي ـ الديني ـ الإثني إزاء عمليات التطبيع السارية علينا كأمة، بما في ذلك تلك السارية على النصف الذي يعيش في إسرائيل.

وفي إسرائيل فالمهمة المشتقة هي تربية لهوية يهودية معلومة تستمد من التقاليد اليهودية الغنية، ولا تعلق آمالها حصراً على عفوية الحياة في «دولة يهودية»، وعلى التقويم السنوي العبري المتبع فيها. وإضافة إلى ذلك، هناك تسام في الموقف المألوف المتمثل بمعارضة المنفى، يعتبر بمثابة رسالة موجهة ليهود العالم، بأنه على الرغم من أن إسرائيل هي المكان الذي ينتمي إليه اليهود بالمفهوم العميق والكامل للغاية، وفيه تُعتبر الحياة اليهودية حياة أصيلة قدر الإمكان. ولكن مع ذلك ينبغي التعاطي بتفهم وتأييد للحياة اليهودية في كل مكان آخر في العالم. أما في مهاجر الشتات فـ «الأجندة» المطلوبة هي تكاثر أشكال وألوان الصلات والعلاقات المتبادلة مع إسرائيل، بما في ذلك تشجيع الهجرة إليها.

ب ـ ألوان الصلات مع إسرائيل ـ نتاج عمليات بحث مجددة عن الهوية في مهاجر الشتات

إن الدراسة المحدّثة في هذا السياق أجراها المؤرخ يوسف غورني[٩] في أوساط مثقفين ومفكرين يهود في مهاجر الشتات[١٠]، وهي تحلل مقارنات معاصرة تفهم الصهيونية بأشكال مختلفة باعتبارها ناموساً للوجود اليهودي في مهاجر الشتات ما يشبه مفاهيم «آحادهعاميّة» (نسبة إلى آحاد هعام) معاصرة. وأثمرت الفحص الذي قام به المؤرخ غورني عن اتجاه واضح لجواب أو إذا شئتم حلاً، إذ يتضح من هذا الفحص أن جوهر الصهيونية يمكن ويجب أن يشكل مكوناً مركزياً في وعي الوجود والبقاء على المدى الطويل لدى يهود مهاجر الشتات! والجواب الأبرز الذي يميز الفكر الصهيوني ـ الشتاتي المعاصر هو كالتالي:

أولاً وقبل كل شيء، مفهوم يربط الهوية الجماعية للشعب اليهودي بإسرائيل، ولكن ليس كمكان فقط، بل أيضاً، والأساس، كدولة، نظراً إلى أن دولة إسرائيل بلورت من جديد ماهية الوجود اليهودي.

---

(٩) يوسف غورني، «تحريات مجددة عن الهوية،» في: غورني، **البحث عن الهوية القومية.**

(١٠) من بينهم: يعقوب نيوزنر، هاورد أدلمان، ايروينغ غرينبرغ، ستيفان كاتس، مارفين فيربيت، سيدني شفارتس، هنري فاينبرغ، ميخائيل فولتسر، يسرائيل فايفشطاين.

ثانياً يرى في دولة إسرائيل وسيلة لتنمية وتعزيز الهوية القومية اليهودية، نظراً إلى أن «أرض إسرائيل» هي القاعدة الروحية للأمة ومرتبطة بالهوية القومية اليهودية ارتباطاً لا ينفصم، وهي تستوجب لذلك «جنسية مزدوجة» تنبع من الولاء وفقاً للترتيب التالي ـ للشعب وللأرض وللدولة. ووفقاً لهذا المفهوم، فالكارثة ودولة إسرائيل، هما الحدثان اللذان فتحا حقبة جديدة في تاريخ الشعب اليهودي: فالمنظومة السياسية التنظيمية التي تنتصب دولة في مركزها تخلق «قاعدة» يهودية على أساس عالمي، كما أن الرابطة الوثيقة ليهود مهاجر الشتات في الغرب تعبر عن «الولاء المزدوج الإيجابي» الذي هو أحد السمات المميزة للتعددية الديمقراطية. وهذا هو بالذات تفسير مستحدث لنظرية المفكر اليهودي آحاد هعام التي تتلاءم وتتمشى مع التعددية الديمقراطية ـ الليبرالية للمجتمع الغربي الذي يعيش فيه معظم يهود مهاجر الشتات.

ووجه آخر يرى في مجرد الحيرة في ماهية الوجود اليهودي في مهاجر الشتات وفي الولايات المتحدة بخاصة، وفي مجرد البحث عن تقرير المصير وعن الهوية الشخصية والجماعية، نتاجاً لقيام دولة إسرائيل ككيان سياسي فعلي. كيان يفرض على اليهود تقريراً للمصير بمثابة «التحقيق الذاتي» الصهيوني الذي يتوقف عليه مستقبل يهود مهاجر الشتات ودولة إسرائيل على حد سواء.

وهناك رأي آخر هدفه إيجاد ما يشبه توازن قومي يهودي بين مركزية الدولة التي تحمل المصالح اليهودية ووظيفة الصهيونية التي تحافظ على القيم الأخلاقية اليهودية. ويصل هذا الرأي إلى استنتاج مفاده أن الدور الرئيس للصهيونية هو ليس الحرص على هجرة اليهود إلى إسرائيل، بل الحرص على ارتقائهم الروحي في مهاجر الشتات.

كذلك فالمفهوم الذي يحذر صراحة من موقف مستهزئ تجاه المهجر/الشتات اليهودي وإنجازاته في الحاضر، يعترف أن دولة إسرائيل، حتى ولو أنها لم تصبح بعد المركز الروحي للشعب اليهودي، إلا أنها هي المركز لتقرير المصير على أساس قومي ـ سياسي، وبمثل هذه الصفة فإن إسرائيل والصهيونية تعززان الإحساس والإدراك القومي ليهود مهاجر الشتات. والهجرة اليهودية إلى إسرائيل لا يمكنها أن تشكل عامل التمييز الصهيونيين واللاصهيونيين، عندما يتعلق الأمر بالجماهير، بل السمة المميزة للنخبة صاحبة الإدراك القومي الحاد. والصهيونية كتجميع لمهاجر الشتات اليهودي تعد الهدف القومي الأعلى، لكن الطريق إليها يتمثل بالحفاظ على التوازن العملي والتعاون الوثيق بين إسرائيل ومهاجر الشتات.

وفي المقابل، هناك اعتقاد آخر أكثر بعداً يرى بالذات أنه نظراً إلى أن الشعب اليهودي حظي بدولة، ونظراً إلى أن الدولة اجتازت فترة الاختبار السياسي، فإنه يتوجب على الصهيونية منذ الآن أن تكون حركة روحية موضوعها الهوية الذاتية وماهية وجود اليهود المنتشرين في العالم. ولذا فإنه يتوجب تفسير مفهوم المركزية ليس وفقاً لدلالته السياسية كتفضيل لإسرائيل، إنما بمعنى كونه يعبر عن الجهود للحفاظ على وحدة الشعب. ومرة أخرى فإن تفسيراً تجذيرياً لنظرية آحاد هعام معناه تقوية الوحدة الروحية لليهود، هو أبعد وأكثر من مغزاها السياسي في الإطار الإقليمي للدولة.

وهناك رأي مماثل من وجهة نظر أمريكية خاصة يرى أن الوجود اليهودي في الولايات المتحدة صار طبيعياً وفق مبدأ التحديد الإثني العام. وينطوي هذا التطبيع على خطر فقدان الهوية الخاصة لليهود. وبذلك نكون قد عدنا إلى مسألة وجود اليهودية حسبما عرضها المفكر اليهودي آحاد هعام، والجواب على هذه الصورة الجديدة من الاندماج يكمن أولاً وقبل كل شيء في العودة إلى مصادر اليهودية والصهيونية، ووفقاً لهذا الرأي، هي أولاً حركة مقاومة للتطبيع الإثني في الولايات المتحدة. وإسرائيل صاحبة الحياة اليهودية النشطة تستطيع أن تساعد الجوالي اليهودية في الولايات المتحدة في هذا النضال، أي مساعدة تلك القوى في الجالية لكي تتمكن من القيام بالمهمة من خلال الإيمان بمعنى وقيمة الهوية اليهودية الذاتية.

وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أن ستيورات إيزنشتات[١١]، وهو من الشخصيات البارزة للغاية في أوساط العموم اليهودي الأمريكي، يحبذ هو أيضاً في الوضع الحالي لمهاجر الشتات، تجديد الأفكار التي حمل لواءها المفكر اليهودي آحاد هعام. وهذه الأفكار ينبغي أن تستند إلى مبادئ الاعتراف بوجود اليهود، والارتباط المتبادل، وبحق اليهود في الوجود في كل مكان على أساس عالمي، عندما تعمل إسرائيل بحكم كونها مركزاً للحياة اليهودية على المساعدة في تحقيق هذه المبادئ. وينبغي على يهود الولايات المتحدة أن يكونوا شركاء ومشاركين في حياة دولة إسرائيل بكل مشاكلها، والإبحار إلى إسرائيل هي فقط الدرجة الأخيرة في سلم درجات المشاركة في حياة الدولة.

وبالنسبة إلى موضوع الهجرة اليهودية من المهم اقتباس أقوال صدرت عن

---

(١١) انظر ستيوارت إيزنشتات، في مقابلة سمعية ـ بصرية سُجلت في العام ١٩٩٣، ومضمنة في البرنامج السمعي ـ البصري في معهد هرتسل لدراسات الصهيونية وعنوانه: *American Zionism*.

البروفسور آرثر هرتسبرغ في العام ١٩٧٩، جاءت في مقدمة كتابه **أن تكون يهودياً في المنفى الأمريكي**(١٢).

«الصهيونية السياسية تصورت ذات مرة المعاناة المستمرة التي سببتها اللاسامية لأولئك الذين اختاروا العيش خارج إسرائيل. والصهيونية الروحية وفق صيغة المفكر اليهودي آحاد هعام قد عبرت عن المخاوف من أنه دون قيام مركز روحي يهودي في أرض إسرائيل فإن الجوهر اليهودي في مهاجر الشتات سيتدهور بصورة كارثية. ونحن ندرك الآن وسط مجتمع حر ومفتوح لليهود أن التصور كان متفائلاً أكثر مما ينبغي. فحتى مع مركز في إسرائيل فإن درجة الحرارة اليهودية تنخفض بصورة شديدة. ووصلت الصهيونية الآن إلى مفارقة: فالشعب اليهودي متوقع له أن يباد من جانب اللاسامية، بصورة أقل مما يتوقع له الآن أن يباد ذاتياً بسبب اللامبالاة المتصاعدة في أوساطه. وإزاء هذه اللامبالاة المتزايدة، فإنه يتوجب علينا الاختيار: فأولئك الذين يظهرون اهتماماً كبيراً سيختارون إسرائيل، أما بالنسبة إلى غالبية الباقين، فلا يتوقع بعد أجيال كثيرة كيهود في مهاجر الشتات. ولو قدّر لآحاد هعام أن يكتب اليوم لكان قد طالب بتجميع مهاجر الشتات بصورة أكثر حزماً مما فعل ذلك هرتسل».

وبعد مرور عقد من الزمن على ذلك، فإن تحليل الوضع «الآخذ بالتدهور» يؤدي وفقاً لدراسة غورني إلى استنتاجات عكسية:

من وجهة نظر الصهيونية كخطة سياسية، اجتماعية وثقافية، تقترح حلاً قابلاً للتطبيق لمشاكل وجود وهوية الشعب اليهودي، كشعب ذي ثقافة فريدة في العصر الحديث، فالحاجة اليوم للصهيونية هي من أجل الحفاظ على المجموع اليهودي العالمي. وتتميز الكينونة اليهودية العالمية على عتبة عام الألفين باتجاهات دائمة وعميقة من التجزؤ الثقافي. وإزاء هذه الاتجاهات فإن يهود العالم، الراغبين في المحافظة على ذلك، وعلى الهوية اليهودية الفريدة، بحاجة إلى أيديولوجيا **التمرد على الواقع الوجودي** الذي، كما قلنا، يذيبهم في المجتمع المحيط بهم. ومن كل التيارات والحركات التي ناضلت في الماضي، والتي تواصل النضال في الحاضر من أجل **الفرادة (الخاصة) اليهودية**، فإن الصهيونية هي وجهة النظر أو الفلسفة الأشمل، أو بشكل أدق، التيار الأكثر شمولاً وتنوعاً الذي سعى منذ بدايته، وما زال، إلى الجمع بين التقاليد/ التراث والحداثة، بين الدين والعلم، القومية والإنسانية، العاطفة والفطنة، الإيمان والنقد، الأسطورة السياسية والتاريخ الاجتماعي، الفردية

(١٢) آرثر هرتسبرغ، **أن تكون يهودياً في المنفى الأمريكي** (القدس: هاسفرياه هاتسيونيت، ١٩٨١).

والعالمية. ويقول غورني إنه كما أدركت الصهيونية في الماضي باعتبارها حركة تعددية، فإنه يتوجب عليها أيضاً في الحاضر النجاح في أن توحّد داخلها كل التيارات المختلفة والمتناقضة، على أساس قاسم قومي مشترك وتراث ثقافي مشترك. ولكن من أجل ذلك، يتوجب عليها أن تثبت في مركز الإدراك اليهودي العالمي، الوعي بالفرادة، وأن ترفع الإحساس الإثني ليهود مهاجر الشتات إلى درجة الوعي القومي الشامل[١٣].

وهذا الوعي يعني أن الشعب اليهودي هو شعب واحد، على الرغم من أنه ليس مركزاً في غالبيته على أرضه القومية، وليس متديناً ويتكلم لغات عدة ويعيش في ثقافات مختلفة.

٥- «الوحدة» و«التعددية» ـ كيف؟

ما هو المقصود بالوحدة؟ يقول الفيلسوف المعاصر اليعيزر شفايد[١٤] إن الوحدة، أكانت وحدة العائلة أو الجالية أو الشعب، تستند إلى قيم عاطفية تنبع من أواصر القربى والمسؤولية المشتركة، أكثر ممّا تكون راسخة في قيم فكرية مشتركة أو في وجهات نظر مشتركة. ولذا، فالوحدة تصمد أمام تناقضات الآراء وأنماط الحياة التي قد تبرز بين أفراد العائلة، أو بين الجماعات المختلفة في الجالية وفي الشعب. حقاً، هناك رابطة أو صلة قوية بين البنية التحتية العاطفية ـ الانتمائية التي تربط بين البشر وآرائهم، لأن العواطف والتجارب الوجودية للبشر هي **مصادر العمق** لتطور وجهات النظر، وسلالم القيم، والايديولوجيات، والأديان. ولذا فإن مشاعر المحبة والإخاء العميقة جداً، داخل العائلة والجالية والشعب ستفشل في الاختبار، إذا اقتحمت الحواجز الخلاقية التي تحفظ العيش سوياً. ومن ناحية ثانية، فالقيم العاطفية نفسها الراسخة في البنية الوجودية مرشحة لتتعهد تشكيلة تقانية متنوعة من وجهات النظر وأنماط الحياة المختلفة عن بعضها البعض، وحتى المتناقضة والمتصادقة مع بعضها البعض، التي تقيم في بواطنها وحدة جذور وأصل، وبكلمات أخرى **تعددية**.

وفي النظرة إلى **التعددية** كوجهة نظر، يُضمن أيضاً تحديد العلاقة بالقيم العاطفية والوجودية، بصفتها قيمة فكرية، في إطار سلم القيم. ويمكن فقط لوجهة النظر، أو الأيديولوجيا، أو المفهوم الديني التي يوجد في سلّم قيمها أفضلية عليا للقيم العاطفية ـ الوجودية، أن تؤقلم نفسها لتوافق تعددي.

---

(١٣) غورني، «تحريات مجددة عن الهوية».

(١٤) اليعيزر شفايد، «التعددية كتوافق اجتماعي ووجهة نظر شخصية،» **غيشر** (١٩٩٦)، ص ١٣٣.

ولدى الشعب اليهودي، على تعدد تياراته وأجنحته الدينية، من وجهات النظر الثقافية ـ القومية التي تطورت داخله، فالقيم العاطفية ـ الوجودية هي مشاعر الأخوة، والتكافل، والمسؤولية المتبادلة، وإدراك «الرابطة المصيرية» الموحدة التي يمكن أن يُبنى عليها **إرادة وحدة** قادرة على الصمود في اختبارات صعبة. والتعددية تتحتم من هذه الإرادة رغم التناقضات التي تشملها وجهات النظر الدينية من ناحية والقومية من ناحية أخرى. والمقصود ليس تعددية مرساة مسبقاً على توافق فكري ثابت، بل **تعددية صدامية**، عاصفة ومثيرة للصخب، وكثيرة التوترات، ولكن ثابتة بما فيه الكفاية ومثيرة للإبداع المتجدد.

٦- مسألة مركزية اسرائيل

إن الرغبة في المحافظة على وحدة الأمة المشتتة، والمفتقرة إلى إطار إقليمي وثقافي، تقتضي الاعتراف بدولة إسرائيل كمركز يربط بين أجزائها. وأي مهجر/شتات لا يمكنه أن يملأ مكان إسرائيل في هذه المهمة التاريخية. والاعتراف بمركزية إسرائيل يقتضي التمييز بين الدولة كتنظيم سياسي ذي مهام حيوية طبيعية ونقاط ضعف طبيعية أيضاً، وبين الدولة كجهة **تحافظ على القيم اليهودية، وتحمي التراث التاريخي وتعزز وحدة الشعب، وتجسد بحكم تكوينها تغيير مكانة اليهود في أوساط الشعوب**[١٥].

وكانت الطريحة الايديولوجية الانعتاقية ونقيضتها، أي الصهيونية، قد خلقتا بعد إقامة الدولة مزيجاً (جمعية) دياليكتياً، وإجماعاً فكرياً جديداً، على الرغم من عدم وجود توافق على تسميته ـ أكانت ذلك التسمية «الصهيونية الآنية» أو «الانحياز الداعم لإسرائيل» أو «الصهيونية الجديدة»، إلا أن هناك توافقاً بالنسبة إلى مضمونه. و«خطة القدس» التي وضعتها المنظمة الصهيونية العالمية، إنما تعبر عن هذا الإجماع عندما تدعو في آن إلى دعم «مركزية إسرائيل»، وأيضاً إلى إعطاء مدلول قابل للتأويل بالنسبة إلى الهجرة اليهودية إلى إسرائيل باعتبارها أمراً شخصياً، وكذلك تأييدها لحياة يهودية في مهاجر الشتات.

ويزعم المؤرخ غدعون شمعوني[١٦]، أن في هذا الإجماع الواسع والتوافق بالنسبة إلى إسرائيل، يوجد عدم توافق فكري ينطوي على أسس خلافية على ثلاثة مستويات من الجدل:

---

(١٥) غورني، المصدر نفسه.

(١٦) غدعون شمعوني، «مفهومان لمركزية إسرائيل،» **غيشر** (١٩٨٩)، ص ١١٨.

المستوى الأول، يتمحور حول تقييم الأهمية النسبية لكل طرف ـ إسرائيل ومهاجر الشتات ـ كدالة (Function) للحيوية اليهودية الجماعية لـ «عموم إسرائيل». والمشكلة لا تكمن في مصطلح «المركزية» وإنما في فهمه بطريقتين مختلفتين: الأولى، **متأصلة في صلب الموضوع**. والثانية **ظرفية**.

إن فهم «المركزية» كمفهوم **متأصل وثابت لا يمكنه** أن يرى في الظروف البنيوية القائمة في مهاجر الشتات بعد الانعتاق ـ التآكل كنتيجة للاندماج، والتقويض في الفرادة الثقافية اليهودية ـ بديلاً وطيداً للكينونة اليهودية المستقلة ذاتياً المتاحة في إسرائيل، والتي لكونها يهودية فإنها تسمح بحياة يهودية عامة كاملة وبفرادة ثقافية يهودية. وهذه، كما ذُكر أعلاه، عوامل متأصلة في الواقع، وبناء عليه، فالحجم النسبي لليهود الذين يعيشون في مهاجر الشتات، مقارنة بإسرائيل، أو النوعية النسبية للإنتاج الثقافي في إسرائيل، مقارنة بمثيله في مهاجر الشتات، لا صلة لهما بالموضوع: فيهود مهاجر الشتات متأثرون أكثر مما ينبغي بثقافة المجتمعات المحيطة بهم، الأمر الذي يجعلهم غير قادرين على ضمان المستقبل الجماعي لليهود كشعب، ولذا ينبغي الاعتراف بشكل مبدئي، بصدارة إسرائيل. وهذا الرأي يحمل معه على المستوى الشخصي تشجيعاً على الهجرة إلى إسرائيل وإدانة للنزوح عنها، لا ينقضه أي نقد لما يجري في إسرائيل أو للتطورات الضارة من الناحية الأخلاقية أو المادية في المجتمع. هذا لأن منطق الفكرة التي تتحدث عن مركزية إسرائيل المتأصلة، يلزم بالانضمام إلى تلك القوى في المجتمع الإسرائيلي التي تسعى إلى إصلاح التشوهات ونقاط الخلل.

كذلك فإن فهم «المركزية» كمسألة ظرفية ترى في التهديد الخارجي لوجود إسرائيل وفي المخاطر الداخلية التي تتربص بسلامتها، ظروفاً تمنحها مكانة مركزية، وبالذات كموضوع يثير قلق اليهود في العالم. ويستدل من هنا أنه مع زوال الظروف التي تسبب هذا القلق، سيزول أيضاً الاهتمام المفضل الذي تمنحه الجوالي اليهودية في العالم لإسرائيل. وليس للكينونة (الذات) اليهودية النامية في إسرائيل أي ميزة مبدئية مقارنة بالذات اليهودية في جوالي الشتات. فهذه كتلك تعتبر متساوية من ناحية القيم اليهودية الكامنة فيها، رغم أنها تختلف في قدرتها وفي طبيعتها، نظراً إلى أن يهودية كل من الذاتين تحمل معها مزايا ونقائص على حد سواء. ولذا فإن الاختيار بين العيش هنا أو العيش هناك يتم وفقاً لأواليات شخصية، ولا يشتق من أمر فكري، وينظر إلى مسألة اختيار طريقة الحياة اليهودية في مهاجر الشتات، أو طريقة الحياة اليهودية في إسرائيل، كمسألة منح أولوية شخصية لواحد من خيارين متساويين في ما بينهما، في قدرة الوجود وفي الاحترام المقرون بهما.

والمستوى الثاني للجدل حول «المركزية» يتطرق إلى عوامل الهوية اليهودية الأصيلة. بالنسبة إلى أنصار الانعتاق الذين يحبذون وجوداً يهودياً في مهاجر الشتات، فالهوية هي شأن ديني صرف، في حين أنه بالنسبة إلى الصهيونيين فإنها تعتبر بشكل عام شأناً قومياً، أو على الأقل شأناً قومياً لا يقل عن كونه شأناً دينياً. أما أنصار المركزية الظرفية ـ فنظراً لأنهم يتفقون في الرأي على أن لطريقتي الحياة في المنفى وفي إسرائيل حسنات وسيئات على حد سواء ـ فإنهم يرون أن الهوية الثقافية المزدوجة ليست أقل أصالة من الهوية الثقافية الاندماجية في محيط كله يهودي. ولذا فمن الطبيعي في نظرهم أن يهوداً كثيرين يظهرون فعلاً تفضيلاً شخصياً إزاء التباين الثقافي الذي يميز الهوية اليهودية في المنفى، وإزاء قياسية التعددية الدينية، في مقابل السيطرة الأرثوذكسية في اسرائيل.

وفي المقابل، فوجهة نظر رافعي لواء مركزية إسرائيل المتأصلة والثابتة، هي أنه يمكن للهوية اليهودية أن تكون أصيلة حقاً فقط إذا كانت مندمجة داخل مجتمع مدني يهودي مستقل ذاتياً. ولذا فإن الهوية الجزئية أو المزدوجة، المشتقة من تأقلم ثقافي مع بيئة غير يهودية، لا يمكنها أبداً أن تكون أصيلة بالقدر نفسه.

والمستوى الثالث للجدل المذكور مثبت في معطيات دراسة العلوم الاجتماعية بالنسبة إلى صورة الوضع الاجتماعي ـ الديمغرافي الحالية. ففي السنوات الأخيرة الماضية برزت وتطورت في الولايات المتحدة مدرسة اجتماعية ـ ديمغرافية[١٧] «إصلاحية» بالنسبة إلى يهود أمريكا. ووجهة نظر هذه المدرسة هي أن القوى البنيوية العاملة في عمليات التمدين تدفع بالذات نحو حفظ الإثنية أكثر من دفعها لعملية الاندماج في المجتمع. ووفقاً لهذه المقاربة، فيهود أمريكا لا يندمجون في المجتمع الأمريكي، إنما يشهدون تحولاً وهم يخطون عملياً نحو فترة من الازدهار الإبداعي: والتحولات التي طرأت على العلاقات اليهودية المتبادلة عقب التشابه من ناحية المهن، وشبكات الاتصالات، والمصالح الاجتماعية، وكيفية قضاء أوقات الفراغ، تعزز التقارب بين اليهود وبين أنفسهم، وتوحدهم كمجموعة إثنية ودينية منفردة داخل المجتمع الأمريكي الذي في عملية التحولات هذه يصبح «أكثر قوة وليس أكثر ضعفاً»[١٨].

حقاً، هذا التفسير المتفائل هو محل خلاف عميق الآن في أوساط علماء الاجتماع في الولايات المتحدة أو في إسرائيل على حد سواء، وخلاصات عالمي

---

(١٧) الباحثون الرواد في هذه المدرسة ـ كالفين غولد شايدر، ستيفن كوهين، تشارلز ليبمان.

(١٨) كالفين غولد شايدر، **الجالية اليهودية في الولايات المتحدة: دراسة اجتماعية وانعكاسات سياسية** (اتلانتا: [د. ن.]، ١٩٨٦).

الديمغرافيا، سيرجيو ديله بيرغولا وعوزيئيل شملتس من إسرائيل، كما أيضاً معطيات الاستطلاع الديمغرافي اليهودي القطري الشامل الذي نظّم في الولايات المتحدة العام ١٩٩٠، بالنسبة إلى مستوى الولادة، ونسب الزيجات المختلطة ونتائجها، تتحفظ تماماً على هذا التفسير.

لكن جوهر المشكلة لا يكمن في مجال العلوم الاجتماعية، إنما في مجال تلك الأفضليات القيمية التي تشكل النواة الداخلية للجدل الفكري حول مركزية إسرائيل. فهل أن تأقلم أنماط ثقافية فرعية مع المعايير المتعددة الألوان في الثقافة الأمريكية لا يتسبب في جعل يهود أمريكا يهملون كل إشارة مهمة ومميزة للاصالة اليهودية؟ وأليس ما يعتبره علماء الاجتماع كهوية يهودية في أمريكا ليس في معظمه سوى لون معين للثقافة العلمانية الامريكية؟ وهل يمكن أن نرسي في مثل هذه الأنماط الهزيلة أملاً حقيقياً لهوية جماعية في المستقبل مبنية على ثقافة يهودية منفردة؟

إن الموقفين المتعلقين بمسألة مركزية إسرائيل، وهما الموقف المتأصل والثابت، والموقف الظرفي، مبنيان على مبررات أيديولوجية تنبع من مصالح إنسانية حقيقية، ومن احتياجات وجودية فعلية: في إسرائيل، الظروف المادية، والإمكانات الاقتصادية والمهنية المحدودة مقارنة ببلدان الغرب، بسبب حجم المجتمع الضيق، إلى جانب المعاناة والضائقة المرافقتين للصراع المتواصل مع العرب، تولد الحاجة إلى تبرير أيديولوجي للمركزية المتأصلة. وإلا يمكن القول إن مشروعية الحياة خارج إسرائيل، والقدرة على ضمان وجود ثقافة جماعية في المنفى بشكل لا يقل عن إسرائيل، ينتزعان بالفعل المغزى من الاستثمار في جهد ترسيخ الوجود في إسرائيل.

وفي المنفى، وبخاصة في المنفى الأمريكي، فإن الموقف الفكري القياسي الذي يعترف بالمركزية الظرفية فقط، يخدم حاجة وجودية مماثلة، لأنه لو كان يهود المنفى يوافقون على أن مظاهر اليهودية في المنفى متدنية، مقارنة بالطابع اليهودي الشامل في إسرائيل، لأدى ذلك إلى تضعضع الإيمان المتفائل بمستقبلهم الذي يعد حيوياً لتنمية زعامة يهودية ومؤسسات يهودية داخل الجوالي. وحتى ولو كانت الدوافع للجدل حول مركزية إسرائيل هي دوافع أيديولوجية، فإن «الفعل» وليس «المثال» هو العامل الأكثر أهمية الذي يمكنه توحيد اليهود في كل مكان.

وفي مجال الفعل يمكن أن يعمل بالقدر ذاته أولئك الذين يصرون على صدارة إسرائيل، من أجل تحصين الحياة اليهودية بما يعتبر في نظرهم كمنفى، وكذلك أولئك الذين يحملون لواء مساواة قيمة المنفى من أجل تحصين إسرائيل، من خلال

الإدراك بأنها تمثل مركزاً للحياة اليهودية في العالم، ليس فقط بسبب ما أسهمت به في الحياة اليهودية في المنفى، إنما أيضاً بسبب ما سخرته لنفسها من تلك الحياة. وبناء عليه، فإذا ما ترّفع المكونّان البنيويّان للمؤسسات القومية، أي المنظمة الصهيونية العالمية والوكالية اليهودية، عن كل الأمور ذات الصلة بالقوة والنفوذ، وحاولا ـ في إطار عوامل «الفعل» هذه ـ التحول إلى أداة مركزية **لميثاق عالمي عام لليهود**، فإن هذه الأداة ستكون قادرة على صب تأثيرها على كل المواضيع ذات الصلة بالشعب اليهودي التي ستطرح في إسرائيل وفي المنفى، كما ستكون قادرة في السياق الثقافي للمهمة المبدئية للصهيونية على تمديد مجرد وجود دولة إسرائيل كمكوّن مركزي في الوعي بالوجود والبقاء، إلى المدى الطويل ليهود مهاجر الشتات، وعلى تطوير المعرفة والإدراك بالوزن النوعي للوجود اليومي لليهود في مهاجر الشتات، وبأداتهم داخل الجالية. وستكون نوعية نشاط الحركة الصهيونية داخل الجالية مثبتة من ناحية بترجمة مضامين ثقافية ـ يهودية وإسرائيلية إلى قيم وجودية يومية. ومن ناحية أخرى، بترجمة الصلة المباشرة للمهاجر في إسرائيل إلى مشاريع شراكة في إسرائيل.

٧- السياق الثقافي للمهمة الصهيونية في عصرنا

إن أهمية هذه البؤرة تتعاظم إزاء التيارات التحت ـ أرضية الناشطة في إسرائيل وفي مهاجر الشتات على حد سواء، في اتجاه توسيع الهوة القائمة بين المجتمع الإسرائيلي ومهاجر الشتات.

● والأوجه الشائعة للغاية لهذه الهوة هي كما يلي:

● الاختلاف في أنماط السلوك السياسي.

● الاختلاف في الاتجاهات والميول الدينية.

● الاختلاف في مستويات المعيشة وفي التوقعات من الناحية الاقتصادية.

● الاختلاف في مدى وفي طريقة وحتى في مستوى الاستعداد للتضحية الشخصية في سبيل الدولة والشعب.

● عدم القدرة على التحدث بلغة الشعب اليهودي، أي باللغة العبرية.

● المنافسة على السيطرة على الموارد وعلى توزيعها.

● عدم الارتياح المتزايد لكل طرف من مقاربة وطريقة معالجة الطرف الآخر للموضوعات والقضايا المعروفة والمألوفة كمشتركة للشعب كله.

- إحساس متزايد بما يشبه الاتهام أو السخط لدى كل طرف تجاه الطرف الآخر بسبب عدم قيامه بتطبيق التعاليم اليهودية على الوجه الأفضل.

- وكذلك أحياناً تباين في المقاربات تجاه المسائل الأمنية الرئيسية.

وحتى لو كانت الدراسات تشير إلى أن إسرائيل ما تزال مركزية للغاية في إدراك الهوية والصورة الذاتية لغالبية يهود البلدان الغربية، بما في ذلك أمريكا، والجالية الأمريكية المنظمة ما زالت توجه جزءاً معيناً من قواها ومواردها نحو إسرائيل، إلا أن أسس التوتر وعمليات الابتعاد قائمة وبارزة على الرغم من ذلك. فالجباية اليهودية واللوبي السياسي هما الإطاران اليهوديان الأكثر رواجاً لارتباط يهود الولايات المتحدة بإسرائيل، ولكن مهما كانت أهميتهما لا تزال كبيرة اليوم، فحتى هذه الأطر، حسبما يقول زعماء وعلماء اجتماع يهود كثيرون في أمريكا، لن يكون بمقدورهما الاستمرار في الأجيال المقبلة، إذا لم تتم تغذية الصلة بإسرائيل بحد ذاتها بروابط أكثر عمقاً وجوهرية. وهذه الروابط بين إسرائيل وبين يهود أمريكا هي روابط ذات أبعاد كثيرة: البعد الخاص بالجباية والبعد المتعلق باللوبي السياسي، أنيطا بالمنظمات التالية: UJA (الجباية اليهودية الموحدة) و«مؤتمر الرؤساء» ومنظمة «AIPAC». ويجدر الافتراض بأن الطريقة الأفضل لتعزيز المشاركة الاقتصادية والسياسية ليهود الولايات المتحدة في إسرائيل هي تقوية هذه المنظمات.

وهناك بعدان آخران في علاقات إسرائيل ومهاجر الشتات اليهودي الأمريكي ما يزالان ضعيفين جداً، نظراً إلى أن أي منظمة لم تستثمر فيهما بصورة منهجية اهتماماً جدياً، وهما: الرابطة الثقافية والرابطة الشخصية. فلغالبية يهود الولايات المتحدة يوجد مفهوم شخصي ضعيف، إن وجد أصلاً، حول نمط الحياة في إسرائيل، وأساليب التربية والصحة، وأنظمة القانون والحكم، والعمليات الديمغرافية، وأنماط تطور المدينة والقرية، ومشاكل البيئة، وتقاليد الأعياد القومية، وكيفية تعاطي الإسرائيليين وردود فعلهم على الموضوعات المدرجة على جدول الأعمال العام. وهذه هي أوجه تفصيلية للبعد الثقافي، ولدى العقلية اليهودية الأمريكية حب استطلاع بالنسبة إليها، ويمكنها تكثيف العلاقات ومنحها البعد المباشر والشخصي من الناحية النفسية.

والوجه الأوسع للبعد الثقافي يشمل الأدب والفن والموسيقى والفكر. وكان الحلم الصهيوني وما يزال هو أن تخلق إسرائيل ثقافة يهودية نوعية ومتجذرة في مجمل مكونات التراث اليهودي من جهة، وتعكس في الوقت عينه الموضوعات المعاصرة في العالم اليهودي ومختلف أشكال التعبير. والارتباط المتزايد ليهود مهاجر الشتات

بمثل هذه الثقافة، وبعملية الإبداع الثقافي، سوف يعزز ثقافة ويهودية هؤلاء اليهود وفقاً لما جاء في أحد الأشعار «جئنا إلى الوطن لنبني ونعمّر فيه».

وكان رئيس المركز المقدسي لقضايا الجمهور والدولة، البروفسور دانيئيل العازار، قد أكّد في وثيقة أعدها في كانون الأول/ ديسمبر العام ١٩٩٤ لحساب المنظمة الصهيونية[١٩]، وتناولت مسألة إعادة تنظيمها استعداداً للمئة الصهيونية الثانية، على أنه في كل كيان جوالٍ أو كيان سياسي يهودي، إلى جانب المنظومة المؤسسية الحاكمة أو شبه الحاكمة، أي: حكومة إسرائيل، مؤسسات السلطة المحلية، الاتحادات اليهودية والمنظمات القطرية في مهاجر الشتات، هناك مكان لمنظومة مؤسسية يطلق عليها اسم «Mobilizing Organization»، وهي المنظمات المعبئة والمُحركة، أي تعبئة الجمهور من أجل إقامة، وترسيخ، وتجديد، وأحياناً إنهاض المؤسسات الحاكمة ذاتها. وكان هذا أحد الأدوار المهمة للمنظمة الصهيونية العالمية منذ تأسيس الحركة الصهيونية قبل مئة عام، سواء أكان ذلك بالنسبة إلى مؤسسات «اليشوف»، و«الدولة على الطريق»، ومؤسسات الدولة في بداية طريقها، أو بالنسبة إلى جوالي مهاجر الشتات.

وفي الماضي كان دور المنظمة الصهيونية العالمية هذا سياسياً في جوهره وأساسه. وفي الواقع الحالي للعالم اليهودي ينبغي أن نضيف إليه بعداً مدنياً، من أجل تحريك ليس فقط الاتجاهات السياسية للشعب اليهودي، وإنما وبالذات اتجاهاته المدنية، لأن غاية المنظمة الصهيونية لا يمكن أن تكون كما كانت عليه في الماضي، مرشد المؤسسات الحاكمة أو شبه الحاكمة، إنما مرشد مضامين المشاريع التي تطبقها هذه المؤسسات على الجمهور اليهودي. ويقول العازار إن الدور الصهيوني يجب أن يقصر نفسه ـ في إسرائيل ـ على الحفاظ على الفرادة اليهودية الشرعية للدولة اليهودية، وفي العالم اليهودي بعامة أن تكون حركة التعبئة المركزية لهذا الشأن.

٨- ما بعد الصهيونية ـ هل هو حقاً تحدٍ واستفزاز للصهيونية؟

أوضح عالم الاجتماع الدكتور أوري رام في اجتماع عقد في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٤ في حيفا حول موضوع «تاريخ الصهيونية ـ بين الحلم والمراجعة» الموضوع على أنه انتقال من وعي تاريخي احتكاري إلى تعددي، أي ما يشبه اكتشاف عن ثقافة سياسية جديدة ما بعد صهيونية.

---

(١٩) Daniel J. Elazar, «On Restructuring The World Zionist Organisation,» Jerusalem Center for Public Affairs, 25 December 1995.

وكما قلنا، فالصهيونية كثقافة سياسية دعت إلى التجند لمهام حركية وسياسية، كما أوجبت اعتبار الصهيونية كجزء من الهوية الشخصية. ومن خلال ذلك يزعم الـ «ما بعد صهيونيين» أن الصهيونية أوجدت في ما يشبه العرف لنفسها، والذي يتطابق وتعريف الواقع، رواية هي شبه كتابة من جديد لا تخلو من مكوّنات التزييف. ولقد وفر التاريخ وعلم الاجتماع هالة من الحقيقة الفكرية والمؤسسية، وكانت الكتابة الأكاديمية أمراً مرافقاً للكتابة الايديولوجية. ومنذ السبعينيات والثمانينيات بدأت تلحظ شقوق ومؤخراً حتى شروخ في التاريخ الصهيوني الرسمي.

وهذه التحفظات لا تنبع من اكتشاف حقائق جديدة، إنما بالذات من تحفظ على أن القرارت الحاسمة في المفاوضات وفي المساومات السياسية تشتق حصرياً من قرارات النخبة السياسية، وادعاء ما بعد الصهيونيين أنه ينبغي في مجتمع مدني متعدد الثقافات تمكين جماعات نخبة أخرى من الإعراب عن رأيها، وأن تتاح لكل مجموعة إقامة مشروع وطباع خاصة بها، أي أن الإدراك التاريخي ليس ملكاً لنخبة واحدة. وحسب رأيهم فإن البديل للتعريف الصهيوني القومي لإسرائيل هو التعريف السياسي الذي يحول الهوية القومية إلى مسألة شخصية.

وهذا هو ضغط في اتجاه عالمي في مقابل الاتجاه الشخصي والخاص. ومن الممكن قطعاً النظر إلى هذا الميل كثمرة نجاح الدولة التي أقامتها وأصبحت دولة عظمى إقليمية. فقوة وعظمة الدولة، تولد، من جهة الاعتراف بها كأساس كل شيء، ظاهرياً، أي كدولة تخلق شعباً، ولكن في الوقت عينه أيضاً تولد الاعتراف بقيود القوة، وذلك، ومن جهة أخرى، الاستعداد لتقديم تنازلات. والمجتمع في الدولة لم يعد زاهداً مثلما كان في الماضي، وإنما صار متحرراً ومنغمساً في اللذات، كما توجد فيه أسس تحاول في سياق اعتمادها على النجاح وعلى قيوده أيضاً، التحرر من القالب الصهيوني الذي صاغ وبلور المجتمع. ومن هنا تأتي الروايات التاريخية الجديدة، لأن هذه المجموعات أيضاً تخلق أعرافاً لنفسها أو تتبنى أعرافاً استبعدت جانباً.

وفي ذلك المؤتمر لفت أيضاً الاديب الإسرائيلي أ. ب. يهوشع إلى أن نجاح الصهيونية كان في الحسم الأخلاقي الصحيح بجعل اليهودي مسؤولاً عن مصيره. ومغزى ما بعد الصهيونية هو نظراً لأننا وصلنا إلى نجاح ملحوظ بواسطة الدولة اليهودية وبخاصة الآن ونحن في اتجاه المصالحة والسلام، فإنه بالإمكان التحدث عن ما بعد الصهيونية. وأكد يهوشع على تعريفه ما بعد الصهيونية وليس اللاصهيونية. وإذا كانت الصهيونية علاجاً لنوع من المرض، فإنه بالإمكان الآن إلى حد معين

تخفيف كمية وحدّة العلاج. وإحدى الطرق تتمثل في إزالة رفض المنفى، أو في منح شرعية محدودة على الأقل للمنفى بواسطة معاظمة انفتاح المجتمع في إسرائيل على ثقافة المنفى من طريق القضايا التاريخية، والإنتاجات الثقافية ونحو ذلك في الثقافة الإسرائيلية، وكذلك أيضاً من طريق المبادرة إلى مشروعات مشتركة بين إسرائيل والمنفى، ليس فقط في إسرائيل بل حتى تجاه العالم كمشروع مساواة ومشاركة متساوية الأضلاع.

ولإنهاء وإجمال هذا الموضوع، فإن أفضل ما استحسنته هو ما جاء في مقالة الفيلسوف اليعيزر شفايد الحائزة على جائزة إسرائيل تحت العنوان «ملاحظة حول ما بعد الصهيونية»:

«بالنسبة إلى دولة إسرائيل يرتبط ظهور «ما بعد الحداثة» بظهور «ما بعد الصهيونية». كان ذلك ظهوراً متأخراً، وبخاصة لأن اليوتوبيا الصهيونية طبقت ونجحت بقدر لا بأس به. وقد أجابت عملياً على احتياجات الشعب اليهودي الحقيقية، خاصة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وهي لا تزال تواجه هذه الاحتياجات بقدر لا بأس به من النجاح. حقاً، إن بعضاً من روايات الصهيونية تحول إلى روايات ايديولوجية بالمفهوم السلبي، لكن الصهيونية نفسها، كرؤية سياسية اجتماعية وثقافية، تقترح حلاً قابلاً للتطبيق لقضايا الوجود، ولقضايا هوية الشعب اليهودي، كشعب ذي ثقافة فريدة في العصر الحديث، بقيت بمثابة حلم قابل للتطبيق.

«ومع ذلك، من الواضح أنه كان ويوجد أيضاً أثمان كبيرة لنجاحاتها، وبخاصة مشاكل اندماج إسرائيل كدولة يهودية في الشرق الأوسط العربي، ومشاكل الوجود المشترك مع الشعب الفلسطيني ومع حركته القومية. وكذلك أيضاً المشاكل الداخلية المرتبطة لتكامل الهوية الثقافية ـ القومية اليهودية لدولة إسرائيل، بسبب الفوارق القائمة بين الهجرات اليهودية من بلدان مختلفة إلى إسرائيل، وبسبب المواجهات القطبية بين المجتمع الديني وبين المجتمع العلماني.

«وهناك أساس لعرض تطور «ما بعد الصهيونية» كرواية إسرائيلة «ما بعد الحداثة» على خلفية هذه المشاكل التي ازدادات خطورة بشكل تدريجي، وعلى خلفية تأثير التطورات في الثقافة الغربية، وبخاصة الأمريكية، في الاقتصاد، وسلم الشرائح الاجتماعية، وفي الكينونة الثقافية ـ الإسرائيلية. ومن الطبيعي أن النخب العلمية، والتكنولوجية، والاقتصادية، والادارية في إسرائيل تحسد المكانة التي وصلت إليها النخب الموازية لها في إطار النظام الأمريكي الرأسمالي الجديد (نيو ـ رأسمالية)، وفي

ثقافة الوفرة التي يتميز بها هذا النظام. والأمر المفاجئ هنا هو فقط اللهاث الحماسي للتقليد دون تحفظ لهذه النماذج الاجتماعية السياسية والأخلاقية ـ الثقافية. وبالذات بعد انكشاف نقطة ضعفها الأخلاقية، إذ اتضح طابعها الايديولوجي، وثارت الانتقادات الاجتماعية والسياسية التي تطالب بإعادة النظر فيها. هل حقاً تجد النخب في إسرائيل نفسها مرغمة على السير في الطريق نفسه إلى الفشل الظاهر للعيان؟ وألا يجدر بها مواصلة إحراز الإنجازات الاجتماعية، القومية والثقافية، التي أحرزت على طريق تحقيق الصهيونية، وإعادة تطبيقها من جديد استعداداً للفترة المقبلة من الحداثة؟»[٢٠].

(٢٠) اليعيزر شفايد، «هل نعيش في عصر ما بعد الحداثة،» **كيفونيم** (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٤).

حلقات البحث في مجال الاتصالات المرئية والمسموعة
علاقات إسرائيل والمهجر/الشتات والتخطيط الاستراتيجي لإسرائيل لسنوات الألفين

دوف فاينر

مدخل

النقاش المرئي والمسموع الذي نُظّم في إطار سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي يعرض نموذجاً للحوار بقالب مستحدث، في قضايا متنوعة تتعلق بالشعب اليهودي وبدولة إسرائيل على أساس تبادلي. وتمت هذه المناقشة في شبكة الاتصالات العالمية ـ شبكة الانترنت. وأجريت المناقشة على جولتين: الدورة الدولة عقدت في بداية العام ١٩٩٤. وشارك يهود مهاجر الشتات في النقاش الذي دار حول انعكاسات العمليات التي يشهدها الشعب اليهودي على التخطيط الإسرائيلي للمدى الطويل. وشارك في هذه المناقشة نحو مئة شخص، جميعهم من الأكاديميين وعلماء الاجتماع والحاخامين وناشطين من مختلف الجوالي اليهودية في العالم، ومن إسرائيل.

في الجولة الأولى نوقشت ثلاثة مواضيع مركزية:

١ ـ الوظائف المتغيرة في العلاقات بين يهود مهاجر الشتات وإسرائيل.

٢ ـ مناقشة حول قدرة يهود مهاجر الشتات على تطوير حياة يهودية جوهرية، ودور إسرائيل في هذه المهمة.

٣ ـ الطابع اليهودي لدولة إسرائيل.

وعقب المناقشة والتقرير الذي قُدم، تقرر إجراء مناقشة أخرى في العام ١٩٩٥. أما هدف المناقشة الحالية فكان البحث مع المشاركين في فحص البدائل التخطيطية المقترحة من جانب طاقم التخطيط لمشروع ـ «إسرائيل ٢٠٢٠».

وعُقدت الجولة الثانية في معظمها بين تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٥ ونيسان/ أبريل ١٩٩٦. وفي هذه الجولة أضيف خمسون مشاركاً آخرين تمت دعوتهم قبل بدء الجولة، وكانوا في الأساس من السلك الأكاديمي، ومؤسسات الحكم، وناشطين في جوالٍ يهودية مختلفة. وفي نهاية الجولة الثانية أضيفت مجموعة جوهرية من الباحثين الإسرائيليين.

وفي إطار التحضير للمناقشة عُقدت جلسات مع د. عنات غونين وسميدار فوغل، ومع البروفسور آدام مازور في حيفا، ولقاءات مع البروفسور غابي شيفر وسرجيو ديله بيرغولا في الجامعة العبرية، ولقاء مع البروفسور دانيئيل العازار في القدس، وعقد عدد من لقاءات التنسيق مع آرييه هيرشكوفيتش، وهو خبير تخطيط في وحدة التخطيط الاستراتيجي المسؤول عن النشاطات الحالية.

وفي الجولة الثانية تمحورت المناقشات حول فحص البدائل التخطيطية المقترحة من جانب طاقم التخطيط لمشروع ـ «إسرائيل ٢٠٢٠»:

١ ـ عرض بدائل المخطط الرئيس لإسرائيل.

٢ ـ مناقشة حول الملامح الخاصة لإسرائيل نحو سنوات الألفين، التي ستُميّزها كدولة اليهود، والاستراتيجيات البديلة لتطور العلاقات بين إسرائيل ومهاجر الشتات، والقيم القائمة في أساس تلك العلاقات، والمصادر المحتملة للقدرات والموارد القادرة على الفسح في المجال لتحقيق هذه البدائل.

٣ ـ الشبه والتباين في العمليات المؤثرة في مهاجر الشتات المختلفة، وعلاقاتها مع المجتمعات الأم/ المجتمعات المضيفة ودلالاتها بالنسبة إلى العلاقات المستقبلية مع إسرائيل.

كيفية تفعيل المناقشة

تـم تحديد لائحة توزيع المناقشة في جامعة بن غوريون، كما أن أرشيف (محفوظات) المناقشات تتيح للمرشحين للمشاركة وللمشاركين المنضمّين في وقت لاحق الوقوف على آخر المستجدات.

كجزء من عملية التحضير وضعت مواد تشكل خلفية للنقاش على منظومة «غوبر» مفتوحة لاطلاع المشاركين الجدد.

ويمكن مقاربة هذه المعلومات وفقاً للعنوان الالكتروني: gopher:// mofet.macam98.ac.il/jew/il2020

كذلك يمكن النظر والاطلاع على كل المواد المتعلقة بجولتي المناقشة على العنوان الالكتروني: http://www.jewishnet.netlil2020.html

وتوثق مواد الموقع لاحقاً النقاط الأساس التي وردت في الجولتين الأولى والثانية.

إجمال جولة النقاش الأولى لـ ـ مشروع «اسرائيل ٢٠٢٠»:

بالإمكان التمييز بين ثلاثة موضوعات رئيسية تمت مناقشتها في إطار الجولة الأولى:

- المهام المتغيرة في العلاقات بين يهود مهاجر الشتات وإسرائيل.

- مناقشة قدرة يهود مهاجر الشتات على تطوير حياة يهودية جوهرية ودور إسرائيل في هذه المهمة.

- الطابع اليهودي لدولة اسرائيل.

اتسم النقاش بتوافق أساس على عمليات متوازية تتمثل في توطد قوة إسرائيل وضعف يهود مهاجر الشتات. وبالنسبة إلى إسرائيل استند التفاؤل إلى: عملية السلام والآمال التي انبعثت عقبها، والنمو المستمر في عدد سكان إسرائيل وفي اقتصادها، والأحوال الآخذة بالتعاظم لناحية زيادة وتيرة الاستثمارات في اسرائيل. وكل هذه الأمور توطدت وتوالت قوتها في ضوء المعطيات التي وردت في التقرير الأول حول مشروع «اسرائيل ٢٠٢٠» الذي أشرف على إعداده وتحريره البروفسور آدام مازور.

ونُسب ضعف ووهن مهاجر الشتات إلى عملية شيخوخة سكانها وإلى ظاهرة الزواج المختلط. كما طرأت شكوك بالنسبة إلى قدرة مهاجر الشتات على تطوير مضامين يهودية جوهرية وأنماط حياة على المدى الطويل. كما تم الإعراب عن آمال بأن تتمكن إسرائيل من القيام بدور جوهري في تعزيز مهاجر الشتات اليهودي والحفاظ عليها.

١ - وظائف المساعدة المتغيرة في العلاقات بين مهاجر الشتات وإسرائيل

لقد أعرب عدد من المشاركين عن الرغبة عقب توطّد مكانة إسرائيل في توجيه الموارد التي كانت ترسل إلى إسرائيل قبل ذلك، نحو احتياجات الجوالي اليهودية المحلية. من ناحية أخرى أشار مشاركون آخرون إلى أن إسرائيل تتلقى اليوم عملياً مبالغ صغيرة. وكان هناك مشاركون أكدوا على أن المبالغ الملحوظة التي تجمع لاحتياجات محلية، وبخاصة تلك المقدمة من اليهود لأغراض غير يهودية، هي الأساس لنفوذ اليهود السياسي الذي تستفيد منه إسرائيل بشكل بارز.

٢- قدرة مهاجر الشتات على تطوير حياة يهودية جوهرية ودور إسرائيل في هذه المهمة

لقد تم الاعراب عن تشكيلة واسعة من الآراء حول قدرة مهاجر الشتات على الحفاظ على حياة يهودية جوهرية على المدى الطويل. وكان هناك تعبيرات متطرفة من القلق. فعلى سبيل المثال، توقع موشيه والدوكس (Moshe Waldoks) تزايد حدة الأزمة الحالية إذا لم يوظف على الفور جهد ملحوظ في مجال التربية اليهودية. ويؤكد والدوكس على أن الموارد المالية متوفرة فعلاً، لكن مصادر القدرة هذه لا تحصل على تعبير بمصطلحات إبداعية يهودية.

كما أشار عدد من المشاركين إلى إشكالية العلاقات بين الجيل الشاب في مهاجر الشتات وفي إسرائيل. وأعرب بعضهم عن خيبة أمل بسبب عدم نشوء جمهور يهودي عام مثقف قادر على إنتاج واستهلاك ثقافة يهودية. وهؤلاء يعلقون آمالهم على الأقلية الصغيرة التي تعرف المصادر اليهودية والقادرة على المشاركة في النقاش الفكري المثمر الدائر الآن في الأساس في إسرائيل.

هذا ويقيم جزء من المشاركين علاقة متواصلة مع إسرائيل، بواسطة الزيارات، والصحف اليومية والمجلات الشهرية، والأدب، وسنوات تبادل الأكاديميين. وبرامج الأبحاث المشتركة مع نظرائهم في إسرائيل.

وأعرب مشاركون آخرون عن قلقهم من أن الهوية اليهودية في مهاجر الشتات محورة أكثر مما ينبغي حول اسرائيل؛ كما أعربوا عن اعتقادهم بأن الحفاظ المتزايد على الفرائض الدينية (أو معاظمة التدين) سوف يكون من شأنه الحفاظ على اليهود كما هو.

وكان هناك مشاركون ركزوا مساهمتهم في النقاش حول نطاق التدين لدى يهود مهاجر الشتات. وتكررت مرات عدة ضرورة تقوية وتعزيز الجوانب الروحية في الحياة اليهودية.

وأعرب المشاركون عن توقعات لإيجاد طرق يمكن لإسرائيل من خلالها التأثير كثيراً في مجال إضفاء جوهر ومضمون على الحياة اليهودية في مهاجر الشتات. وكان هناك من أشار إلى القدرة التي تستمدها دولة قومية من مكونات مهمة تسهم في التجانس الثقافي، مكونات مثل: النظام التربوي، واللغة، ووسائط الاتصالات، والجيش. وشبهوا ذلك بالمصطلح «يهودية بوظيفة جزئية» الذي يميز يهود مهاجر الشتات.

وانهمك جزء من النقاش في تحليل غني للمراحل المختلفة في العلاقات بين إسرائيل ومهاجر الشتات. وعملية السلام الحالية وتوطد مكانة إسرائيل الاقتصادية والسياسية يبشران ببداية مرحلة جديدة: لعلاقات متبادلة أكثر؛ ولاختيار إسرائيل في مقابل مهاجر الشتات عندما تكون الاحتمالات كلها ايجابية؛ ولتغييرات جوهرية في المواقف التي تنتهج في إسرائيل إزاء الاسرائيليين الذين يعيشون في مهاجر الشتات.

وفي السياق ذاته طُرح عدد من الاقتراحات والسيناريوات: صلات متزايدة وأكثر شيوعاً بين يهود إسرائيل ومهاجر الشتات عقب تسهيلات في المواصلات وتوفر وسائط اتصالات جديدة؛ و«الهجرة الجزئية إلى إسرائيل»، أي الإقامة في إسرائيل لبضع سنوات أو في مراحل مختلفة من دورة الحياة: دراسة، سنوات تبادل للباحثين، عمل مهني، تطوع أو الإحالة إلى التقاعد. وعبّر مشاركون آخرون عن عدم موافقتهم وأعربوا عن توقعات بمستوى أكثر عمقاً من الالتزام نحو إسرائيل.

وكان هناك مشاركون ممن أعربوا عن توقعات من إسرائيل للمساهمة في الحفاظ على الحياة اليهودية في مهاجر الشتات. وكمثال على ذلك، قدّم النقاش الذي يتم في طريق اتصالات الحاسوب. كما أشارت نماذج أخرى إلى دور مهنيين إسرائيليين في الجوالي اليهودية، فقد تحولت هذه الجوالي اليهودية إلى «سوق طبيعية» للاسرائيليين في مجالات مثل التطوير الجوالي، والتعليم، والقيادات في المشروعات المشتركة، ونحو ذلك.

وعبر معظم المشاركين عن توقعات مماثلة من إسرائيل، ولكن هذا الميل اتخذ أحياناً تعبيرات متطرفة. وفي النقاش حول الحياة اليهودية طرح الوجه الاقتصادي. فالحفاظ على نمط حياة كهذا قد يكون مكلفاً جداً (تربية وتثقيف، عضوية في كنيس يهودي، طعام حلال (كاشير)، العيش داخل ضاحية سكنية يهودية). وفي هذا النقاش وجدت التعبير «ان إسرائيل فقط هي التي يمكنها تقديم المساعدة في تطوير نموذج حياة جوالية يهودية الأقل كلفة. . .»

وطرح دور إسرائيل داخل مهاجر الشتات أيضاً في سياق وضع يهود الاتحاد السوفياتي سابقاً. وأشير إلى أن استثمارات إسرائيل في تطوير النظام التربوي، وفي تعليم اللغة العبرية، والتأهيل المهني، تفوق احتياجات إعداد المهاجرين. ومن جهة أخرى أُشير إلى إحباط الزعامة المحلية، في ضوء الهوة الهائلة في السيطرة على الموارد، وتقلص استقلالها الذاتي كنتيجة لذلك.

٣- الطابع اليهودي لدولة إسرائيل

النقاش حول الطابع اليهودي لدولة إسرائيل كان ذا ثلاثة أوجه رئيسية:

- التمييز بين «الإسرائيلية» وبين اليهودية وعدم الارتباط بينهما.
- النظر إلى إسرائيل بواسطة مقولات شائعة في أوساط يهود أمريكا.
- إسرائيل كدولة «غير يهودية بصورة كافية» أو «كدولة يهودية أكثر مما ينبغي».

«الإسرائيلية» واليهودية

تم التعبير عن التمييز بين «الإسرائيلية» واليهودية مرات عدة خلال النقاش، وبخاصة من جانب الإسرائيليين. ورغم وجود من قال بوجود شعبين مختلفين؛ وليس بمقدور الإسرائيليين التقدم بمطالب مشروعة إلى يهود أمريكا على قاعدة أي تاريخ مشترك.

كذلك أكد إسرائيليون آخرون ممن يعيشون في الغربة على أن نظرتهم إلى ذاتهم قد تبدلت منذ إقامتهم في الخارج، وهم يشعرون الآن أنهم أكثر «يهودية»، وليس فقط «إسرائيليين».

وكان هناك من اقترح فصل الدين عن الدولة، كحل لمشاكل الهوية لدولة حديثة مثل إسرائيل، بحيث يكون لكل جالية إثنية أو قومية تعيش في إسرائيل الحق في إقامة علاقات مع جوالٍ مماثلة لها في الخارج. وفي مجرى النقاش طُرحت تعابير أبدت اهتماماً بانعكاسات الهجرة المكثفة لغير اليهود من إثيوبيا ومن الاتحاد السوفياتي سابقاً على طابع دولة اسرائيل.

ونظراً إلى أن وتيرة النمو الأسرع للمجموعات السكانية في إسرائيل هي لتلك المجموعات غير اليهودية أو غير الصهيونية، يطرح السؤال بالنسبة إلى فرص تطور مجتمع متعدد القوميات أو متعدد الإثنيات في إسرائيل.

النظر إلى إسرائيل بواسطة مقولات شائعة في أوساط يهود أمريكا

كان هناك مشاركون حاولوا الفهم بشكل متعمق الطابع اليهودي لدولة إسرائيل في سياق استخدام مصطلحات مقتبسة من الواقع اليهودي الامريكي. وقال أحد المشاركين إن اليهودية في إسرائيل تأخذ تعبيراً عنها لـ «صيغة هزيلة للديانة اليهودية». وحاول مشاركون آخرون العثور في إسرائيل على أطر تنظيمية مماثلة لتلك الموجودة لدى يهود أمريكا. وغياب هذه الأطر قاد إلى تفسير يقول بغياب الطابع اليهودي لدولة إسرائيل. أما أولئك الذين يشددون على المشاركة في حياة الجالية كأساس للحياة

اليهودية، فقد اقترحوا أن تطوير أنماط كهذه في إسرائيل مشابهة لتلك القائمة لدى يهود أمريكا، هو الحل للطابع اليهودي لدولة إسرائيل.

إسرائيل كـ «دولة غير يهودية بما فيه الكفاية» أو كـ «دولة يهودية أكثر من اللازم»

أعرب عدد من المشاركين عن امتعاضهم من القدرة الإكراهية التي في حوزة المؤسسة اليهودية الارثوذكسية (التيار الديني المتمسك بالنص) في إسرائيل. واحتج هؤلاء على التمييز الموجود في إسرائيل ضد التيارين الإصلاحي والمحافظ، وعلى عدم قبول شرعية عقود التهويد والزواج التي يعقدها حاخامون ينتمون إلى هذين التيارين، الأمر الذي يعتبر كعائق للدور الذي تتطلع إسرائيل للقيام بها بالنسبة إلى يهود مهاجر الشتات.

وكان هناك مشاركون اشتكوا من أن إسرائيل ليست يهودية بما فيه الكفاية، مشيرين بذلك إلى التوقعات بأن يكون لدولة إسرائيل طابع ديني أكثر تفتقر إليه اليوم.

خلاصـــة

لقد بحثت المجموعة القضايا الوجودية الماثلة أمام الشعب اليهودي، كما ناقشت الدور الذي ينبغي أن تقوم به إسرائيل. وكان بالامكان ملاحظة وجود توافق أساس حول توطّد مكانة إسرائيل وضعف مكانة مهاجر الشتات.

وطرح عدد من الاقتراحات بالنسبة إلى الدور الذي يمكن لإسرائيل القيام به من أجل استمرار بقاء مهاجر الشتات اليهودية. وينظر إلى إسرائيل كمركز متبلور قادر على توجيه القدرة الثقافية، وكدولة قادرة على استخدام الوسائل الموجودة تحت تصرفها.

وكانت الرغبة في فهم التجربة اليهودية ـ الإسرائيلية في سياق استخدام مقولات مستعارة من مجمعات مهاجرين تعددية مثل الولايات المتحدة، قد شكلت عقبة في توضيح الموضوعات المختلفة. ولفت أحد المشاركين إلى أن الشعب اليهودي قد تبلور قبل نحو ألفي عام وسبق بذلك الدول القومية الحالية التي هي ثمرة القرن التاسع عشر. وكل محاولة لفهم الشعب اليهودي في سياق استخدام مصطلحات ملائمة لمثل هذه الدول سيكون مصيرها الفشل.

وأظهر النقاش بحد ذاته كيف أن تكنولوجيات الاتصالات الحديثة، وبخاصة الالكترونية منها، التي تقيم جسوراً بين مسافاة بعيدة، قد تكون برنامجاً لعلاقات من نوع جديد بين الأجزاء المختلفة للشعب اليهودي.

إجمال الجولة الثانية من النقاش حول مشروع «اسرائيل ٢٠٢٠»

بدأت الجولة الثانية من النقاش المرئي والمسموع (الالكتروني) حول «مشروع ٢٠٢٠» في تشرين الثاني/ نوفمبر العام ١٩٩٥. وقد وجه دوف فاينر الدعوة إلى المشاركين لكي يتناولوا في ملاحظاتهم أيضاً مسألة اغتيال رئيس الحكومة اسحق رابين. وكان من المفروض أن يتمحور النقاش حول الموضوعات التالية:

١ ـ البدائل الأربعة التي اقترحتها طاقم التخطيط لمشروع «اسرائيل ٢٠٢٠» ـ البديل الاقتصادي، والبديل الاجتماعي، والبديل المجالي/ الطبيعي، وبديل الأعمال كالمعتاد.

٢ ـ كيفية تطوير استراتيجيات بديلة لتطور العلاقات بين إسرائيل ومهاجر الشتات، ونقاش حول القيم التي يجب أن توجّه العلاقات بين إسرائيل ومهاجر الشتات، وإيجاد مصادر محتملة للقدرة وللموارد القادرة على التمكين من تحقيق هذه البدائل.

٣ ـ الشبه والتباين في العمليات المؤثرة في مهاجر شتات مختلفة، وعلاقاتها مع المجتمعات الأم/ المجتمعات المضيفة، ودلالاتها بالنسبة إلى العلاقات المستقبلية مع إسرائيل.

وبدأ المشاركون بتقديم أنفسهم، وأظهروا تنوعاً واسعاً من ناحية الخلفية والاهتمام بموضوعات مثل: علم الاجتماع، العلوم السياسية، الاقتصاد، الدين والدراسات اللاهوتية، التجدد الروحي، أعمال الخير، العمل الاجتماعي، السياسة البيئية، التخطيط الحضري، ونحو ذلك.

وكانت المواقف بالنسبة إلى علاقات إسرائيل ومهاجر الشتات متنوعة. واشتمل عدد من التعبيرات في عملية التعارف الأولى على ما يلي:

ـ أن يهود مهاجر الشتات لن يكون لهم الكثير مما سيقولونه لإسرائيل في العام ٢٠٢٠.

ـ أن علاقات إسرائيل مهاجر الشتات وعلاقات مهاجر الشتات ببعضها البعض سوف تصبح أكثر أهمية كلما زالت معالم حدود إسرائيل مع جيرانها أكثر فأكثر.

ـ يهود أمريكا اللاتينية أكثر صهيونية من يهود أمريكا ويتطلعون إلى إسرائيل كبديل حقيقي لحياتهم.

ـ القلق من مزيد من التقلص في التبرعات الخيرية المقدمة لإسرائيل من يهود مهاجر الشتات.

ـ رؤى لشراكات بين الأديان على أرض ـ إسرائيل.

ـ قلق بالنسبة إلى الحياة الدينية في إسرائيل.

ـ الحوار الالكتروني مع يهود من إسرائيل يشكل شبه طريق لـ «العودة إلى الوطن».

ـ إذا لم يتذكر الإسرائيليون ويهود مهاجر الشتات أن الديانة اليهودية هي ما هو مشترك بينهم، لن يكون هناك أمل للديانة اليهودية أو للدولة اليهودية.

ـ يهود أمريكا يمثلون جوالي يهودية حديثة ومتطورة وحيوية لوجود إسرائيل كدولة يهودية.

ـ المفتاح لاستقرار إسرائيل الاقتصادي والاجتماعي يتمثل في وحدتها.

في هذه النقطة التهب نقاش بالنسبة إلى محاولة الأحزاب الدينية في إسرائيل تغيير قرار المحكمة العليا الإسرائيلية المتضمن الاعتراف بعقود التهويد التي لا تعقدها المؤسسة الدينية الرسمية في إسرائيل (التيار الأرثوذكسي في اليهودية)، وكذلك حول استعداد الحكومة للاستجابة لهذه الأحزاب من أجل مواصلة عملية السلام. وكانت الأسئلة التي طرحت خلال النقاش كما يلي:

هل يتوجب دائماً على التعددية الدينية في إسرائيل الوصول إلى الحل الوسط الضروري، للتقدم في موضوعات معينة على جدول الأعمال، وفي الحالة الحالية عملية السلام التي يقودها حزب العمل الإسرائيلي؟

وهل يمكن لليهود الأمريكيين الذين لا يعيشون في إسرائيل فهم الاعتبارات البراغماتية للحياة السياسية في إسرائيل، وتلك الاعتبارات التي تؤدي إلى رفض مطالب الحركة الإصلاحية والمحافظة من أجل الوحدة المضادة لمطالب التيار الأرثوذكسي؟

إلى ذلك اقترح البعض أن تكون التربية غير الأرثوذكسية على المدى البعيد (٢٠٢٠) الرد لخلق تعددية دينية في إسرائيل، فالمدارس الإصلاحية والمحافظة أو الأرثوذكسية الحديثة يمكنها خلق جمهور واع ومتعاطف أكثر مع اليهودية الحديثة.

وأعرب يهودي أمريكي عن شكوكه في ما إذا كان عليه المشاركة في هذا النقاش، نظراً إلى أنه لا يرى نفسه صهيونياً أو متديناً:

١ ـ هل يبدي الإسرائيليون اهتماماً بالسياسة الأمريكية وفي المهام التي ينبغي أو يمكن لليهود الأمريكيين المشاركة فيها؟

٢ ـ وهل يجب أن تتركز العلاقات بين إسرائيل ومهاجر الشتات حصراً بالطريقة التي يرى فيها يهود مهاجر الشتات إسرائيل؟

٣ ـ أنا أيضاً أعيش في مجتمع تسود فيه صراعات إثنية وعرقية، وربما أستطيع أن أتعلم شيئاً من الإسرائيليين بالنسبة إلى التخطيط الديمقراطي بالطرق السلمية من أجل تطبيق ذلك هنا في الولايات المتحدة؟

لقد تناول المشاركون في النقاش موضوعات مثل: العلاقات بين الأوساط الأرذثوكسية وغير الأرثوذكسية، ومن المذنب في عملية اغتيال رابين، والأحداث التي قادت إلى عملية الاغتيال، والتطورات السياسية التي شهدتها إسرائيل في أعقاب عملية الاغتيال.

وناقش أحد المشاركين قضايا الصهيونية الدينية. وفي أقواله وصفها على أنها «إثنية ـ مركزية مغلقة وتفتقر إلى القيم الإنسانية الأساس، وهذا نظراً لأن «الأرض» بالنسبة إليها أهم من «الإنسان».

كذلك أوضح هذا المشارك أن العالم الديني غير قادر على مواجهة واقع القرن العشرين والسيادة الإسرائيلية. ففي الوقت الذي يتقبل فيه العالم الديني الحقيقة بأن التوراة يمكن أن تفسر بطرق بديلة كثيرة. فبالنسبة إلى العلاقات بين الدولة والأرض، فإن لدى الصهيونية الدينية تفسيراً واحداً. وهي لم تنجح بإسقاط مشاعر الحنين إلى «صهيون» على الواقع الملموس المتمثل بتحديد حدود ومساحة للدولة.

ونظراً إلى أن المتدينين يتحدثون بالخطاب ذاته في إسرائيل وفي مهاجر الشتات على حد سواء، فالجالية المتدينة هي بالذات التي حافظت، بل عاظمت الرابطة مع «أرض إسرائيل» ولكن ليس بالضرورة مع الدولة. أما العالم العلماني فإنه ينقسم بين عالمين في إسرائيل وفي مهاجر الشتات، وأحياناً دون الكثير من الشيء المشترك. واليهود العلمانيون في مهاجر الشتات قد يبحثون عن تعبير للهوية اليهودية في الوقت الذي يوجد فيه لزملائهم في إسرائيل تعبيرات أخرى، عسكرية واستراتيجية.

وقام دوف فاينر بعرض الوثيقة التي تحمل عنوان: «Policy Paper Concerning the Jewish People» والتي أعدت في إطار مشروع التخطيط الاستراتيجي **إسرائيل ٢٠٢٠** من جانب د. عنات غونين. وتفحص هذه الوثيقة الطابع الخاص لإسرائيل:

١ ـ ملامح خاصة مميزة لإسرائيل في سياق الشعب اليهودي كله.

٢ ـ السيناريوات المستقبلية التي قد تتطور، وتأثيرها في علاقات إسرائيل ومهاجر الشتات.

٣ ـ فكرة إسرائيل كدولة الشعب اليهودي، وموقع هذه الفكرة في التخطيط الاستراتيجي المقترح لإسرائيل في السنوات الخمس والعشرين المقبلة.

وعقب ذلك طرحت الأسئلة التالية:

ـ اليوم ما هي سمات إسرائيل التي تميزها كدولة الشعب اليهودي؟

ـ ما ينبغي أن تكون عليه السمات التي تميز إسرائيل في سنوات الألفين، بما يضمن استمرارها كدولة للشعب اليهودي.

وكخلفية للنقاش تم التشديد على ثلاثة أوجه هي:

١ ـ دولة إسرائيل تضمن استمرار الوجود المادي للشعب اليهودي. ودولة إسرائيل ككيان شرعي هي دولة بين بقية دول العالم.

٢ ـ دولة إسرائيل تحفظ الذاكرة الجماعية للشعب اليهودي، والأحداث التاريخية المهمة في حياة الأمة حصلت داخلها، كما أن التراث والتقاليد اليهودية تتجدد فيها التربية، والقيم، والمراسم، والأعياد.

٣ ـ دولة إسرائيل تشكل نقطة التقاء بين مهاجر الشتات اليهودي، كما تشكل مركزاً لنماذج طلائعية جديدة ومتطورة ـ الكيبوتس، إعمار القفر، الشرق الأوسط الجديد.

وأعرب عدد من المشاركين عن عدم ارتياحه من النغمة «الوقحة» في هذه الأحكام بالنسبة إلى إسرائيل:

«لقد ذهلت من أحد المقاطع الذي يزعم أن الأحداث الأهم في التاريخ اليهودي حصلت في «أرض ـ اسرائيل». فأحد الأحداث الذي لا بأس بها هو مشهد نزول التوراة في جبل سيناء!!! هذا الحدث حصل خارج «أرض ـ إسرائيل». لقد قال أحد الحاخامين إن الأمر قد حصل ليس في أرض ـ إسرائيل ولا في المنفى، إنما في «البرية» [منطقة مستباحة].

كذلك كان هناك: يحزقيئيل، التلمود البابلي، الحاخام موشي بن ميمون (الرامبام)، شفينوزا، كل الطرق الصوفية [«الخسيدوث»] اليهودية، الحاخام بوبر،

«العصر الذهبي في إسبانيا وتأثيره في الثقافة الغربية والإسلامية، كتاب **هازوهار (السناء)** للحاخام شمعون بن يوحاي، اسحق بشبيس ـ زينغر، (من أعظم الكتاب، يستند في كتاباته إلى الايديش، القبالة [الفلسفة الصوفية الباطنية في تفسير الكتاب المقدس] والتوراة، رابطة «البوندز» في بولندا ودور قيادتها في ثورة العام ١٩٠٧ في روسيا، النقابات المهنية اليهودية في الولايات المتحدة وتأثيرها في التاريخ الأمريكي ـ هل كل هذه الأمور لا قيمة لها؟»

والجوالي اليهودية في بابل والإسكندرية في أيام الهيكل الثاني، هي مقدمات لجوالينا اليوم وعلاقاتها مع إسرائيل الحديثة.

وفي الجهة الأخرى، قال مشارك آخر إن أوصاف إسرائيل الآنفة الذكر لا تدع مجالاً للافتراض أن إسرائيل مرشحة لأن تكون غير ذات صلة للحياة اليهودية في مهاجر الشتات. والسؤال التالي طرح على المشاركين في النقاش:

كم فعلاً إسرائيل مهمة لليهودي المتوسط المشارك في الحياة اليومية ـ ذلك اليهودي المنتمي إلى كنيس يهودي، يحافظ على الأعياد بمواعيدها، يرسل أولاده إلى مدرسة يهودية (تكميلية أو حضانة رسولها غير عالية)؟

وإذا كانت الحياة اليهودية مستمرة دون إسرائيل، فمن بحاجة إلى إسرائيل حينئذ؟

على هذه الأسئلة أجاب عدد من المشاركين على النحو التالي:

«لقد بقيت إسرائيل فقط السبب في حمل نحو ١٥,٠٠٠ يهودي من كل الأصناف على مواجهة الشتاء والجمهور في «ماديسون سكوير غاردن». ومثل هذه الظاهرة ينبغي أن تكون مادة للتفكير لكل من يعتقد بأن لا وجود لأي شيء في اللاوعي لتأثير إسرائيل في أنماط الفكر اليهودي في الخارج. لا أعتقد أن أهمية إسرائيل تقتصر على «الحلبة العامة»، أي بالنسبة إلى الجوانب الأدواتية وليس الشخصية. ففي ذلك تتداخل المشاعر، ويجب عدم الاستخفاف بمدى ما يكون عليه عمق هذه المشاعر».

أو:

«لقد وجدت أن إسرائيل أكثر مركزية في جوالٍ صغيرة ومغلقة (نيوزيلندا، استراليا، وحتى في بريطانيا) مما هي عليه في الولايات المتحدة. ولكن، بين اليهود الناشطين والأكثر مشاركة لا أعتقد أن هذه المقارنة في محلها».

أو:

«. . . كلما شرب الجانب اليهودي في الإنسان، قل اهتمامه بإسرائيل... وكلما كان هناك مضمون تراثي أقل للسلوك الديني، أصبحت «صهيون» أقل صلة بالنسبة إليه.

فالتربية اليهودية والالتزام بالقيم اليهودية هما السبيل الوحيد لضمان إجراء نقاش جوهري حول علاقات إسرائيل ومهاجر الشتات في العام ٢٠٢٠».

اقتراح آخر:

إن تطور ثقافة يهودية ثنائية اللغة في مهاجر الشتات هو على ما يبدو شرط حتمي لتقليص الفجوة الآخذة بالاتساع بين يهود إسرائيل وفي أماكن أخرى.

وعندها يصبح السؤال معكوساً:

حقاً، من المحتمل أن تساهم الديانة اليهودية في دعمنا العاطفي لإسرائيل، ولكن يحتمل أيضاً أن الإحساس بالهوية اليهودية في إسرائيل مطلوب من أجل الحفاظ على تلك العلاقة. ومن الواضح أنه لا يتوجب على كل إسرائيلي أن يكون محافظاً على الفرائض الدينية، ولكن دون إحساس أيّاً كان برابطة دينية، ما الذي يدعو إسرائيل للاهتمام بيهود الشتات؟

أو:

«. . . من الأسهل على المرء أن يكون يهودياً في إسرائيل من أن يكون في أي مكان آخر في العالم. فدون هذا الوجه للمجتمع الإسرائيلي، فما الذي سنرغب في دعمه».

وخلافاً لـ «يهودية الكنيس» التي تتميز بها جوالٍ يهود أمريكا الشمالية، يعرض الباحث دوف فاينر فكرة «النادي» كتجديد مؤسسي لدى الجوالي اليهودية في أمريكا اللاتينية. ويشكل الكنيس جزءاً صغيراً من تشكيلة واسعة لأطر يوجد فيها مشاركة يهودية. وهذه أطر تشتمل على لقاءات اجتماعية، ورياضة، ومناسبات ثقافية عامة، ويهودية (مسرح، موسيقى، معارض فنية، مكتبات وأرشيف [محفوظات] تاريخي، أطر تربية رسمية وغير رسمية، تفعيل للنشاطات وفقاً لمراحل دورة الحياة في نشاطات تضامن وتعرف على إسرائيل ونحو ذلك). وتمثل الكنس في النادي اليهودي مختلف أشكال الأمور المفضلة بالقدر ذاته كما تشكيلة المطاعم المقترحة في المكان ذاته. ويدعي هيرنان روزنبرغ أن يهود أمريكا اللاتينية مركزون حول الصهيونية أو فكرة

مركزية إسرائيل بالنسبة إلى الشعب اليهودي، حيث ينظر إلى الهجرة إلى إسرائيل على أنها هدف شخصي (يتم تحقيقه في بعض الأحيان فقط). ويقدم د. افرايم زادون عرضاً حول تاريخ وتركيبة الجوالي اليهودية في أمريكا اللاتينية التي نمت بالأساس عقب الهجرة من شرق أوروبا. والتضامن القومي الثقافي الذي لا يبتعد عن الكنيس ولكن لا ينسب إليه مكاناً مركزياً في الحياة اليهودية، هو المسيطر في أوساط يهود أمريكا اللاتينية الذين يستمدون الإيحاء من دولة إسرائيل. ويذكّر زادون بتغييرات في الهوية اليهودية وعلاقاتها مع المجتمع العام عقب تفجير مركز الجالية اليهودية في الأرجنتين (AMIA).

إن خلاصة مقالة البروفسور يحزقيئيل درور التي عُرضت على الطاقم التوجيهي لمشروع **إسرائيل ٢٠٢٠** في الثلاثين من نيسان/ أبريل العام ١٩٩٥ معروضة على المشاركين في البرنامج الذي حمل اسم: «Master Plan For Israel in the Year 2000». المشاركون ينظرون بعين الشك إلى المشروع الذي يعبر عن نموذج صهيوني كلاسيكي لعلاقات المركز/ الأطراف، وإسرائيل، ومهاجر الشتات.

ويقترح موشي درور تغيير مفهوم «Nation State» عقب وسائط الاتصالات الالكترونية. و«الجوالي الفعلية» التي يكون فيها الـ Cyberspace هو «الأرض» تطرح تحدياً على الأمم الوطيدة جغرافياً. فهل يعقل أن نكون شهوداً لظهور صهيونية جديدة يمكن أن نطلق عليها اسم «Cyber Zionism» تمكن مهاجر الشتات واسرائيل من أداء مهامها كمراكز في العالم لموجة ثالثة تحولنا إلى جالية لموجة رابعة؟

ويضيف عوديد ميلر أن الجوالي اليهودية التقليدية كانت أقرب إلى الـ «Cyberspace» من الصهيونية. وفي تلك الجوالي اليهودية لن يكون هناك دور للبعد الطبيعي المادي (ما عدا التطلع إلى القدس تطلعاً مجرداً وغير مُدرك) في الوقت الذي تركز فيه الصهيونية على:

١ ـ تركيز اليهود في منطقة ما.

٢ ـ تحديد الموقع الجغرافي الدقيق لتلك المنطقة. وارتبط اليهود التقليديون بواسطة المعلومات والمال (كيانات مجردة) أكثر من ارتباطهم بالجوار الطبيعي.

ويشير روبرت ليختمان، وهو مدير خدمات ما وراء البحر للاتحاد اليهودي المسمى «UJA» في نيويورك، إلى أنه «للمرة الأولى في التاريخ» أصبحنا شهوداً على قيام إسرائيل ومهاجر شتات مستقلة، ديناميكية وإبداعية كتلك القائمة في القدس وفي

نيويورك. وفي ضوء مثل هذا اللقاء التاريخي فإنه يطلب اقتراحات للنشاطات التي قد تعود بالفائدة على الجاليتين من طريق إشراك الأشخاص بطريقة شعبية في المدينتين.

ويقول ستيفن كوهين (Steven Cohen) أنه يوجد داخل الجاليتين «حرب على جهتين ضد ما يطلق عليه البروفسور دانيئيل العازار اصطلاح الـ «Normalizers» (أي أولئك الذي يريدون أن يمنعوا إسرائيل والعالم اليهودي من إقامة أي علاقة مع الجوالي اليهودية)، والـ «Anti-modernizers» (أي أولئك الذين يرفضون أي قيمة للحداثة، ويرون فيها تهديداً لليهودية). وتمثل نيويورك والقدس مأوى لنماذج ملائمة من الـ Modern-Judaizers، ومن بينهم أرثوذكسيون عصريون، وإصلاحيون، وعلمانيون، وصهيونيون من أنواع مختلفة. ويتوجب علينا جعل الناس يفكرون في القيم وفي قضيتنا المشتركة، وأن نرى انفسنا كمركز في الحياة اليهودية».

وورد اقتراح آخر من ايلي ليدرهندلر (Eli Lederhendler)، وهو يشير إلى أن نيويورك والقدس أيضاً هي مدن مختلطة، يوجب فيها على اليهود تطوير طرق أفضل للعيش سوياً مع «غير اليهود» من أبناء هاتين المدينتين الذين يشعر جزء منهم بأنه لحق بهم أذى، كما يتوجب على اليهود من أبناء المدينتين إيجاد السبل التي يمكن من خلالها إدارة الخلافات في الرأي في أوساط جواليهم، في سياق الحفاظ على الاحترام والتقدير للجميع. وهو يشير إلى أنه في كلا الحالتين كانت الأحياء المنفصلة عن بعضها البعض هي الرد. وهو يتساءل ما إذا كان هذا هو الرد بالفعل أو أن هناك ما يمكن قوله تأييداً للتكامل والاندماج.

كذلك قام شموئيل هيلمان (Samuel Heilman) بنشر مقالة فحص فيها موقف المستوطنين اليهود في سياق تشبيه عملية الانسحاب الجارية في سراييفو، وبعملية الانسحاب التي يفترض أن تتم في الضفة الغربية وفي الجولان. وهذه المقالة التي تركز على الموضوعات الإسرائيلية، دون التطرق إلى مهاجر الشتات، تعالج قضايا الشراكة على الأرض. وهو يجبر عدداً من المشاركين الهادئين للإعراب عن رأيهم. وأعربت داليا عوفر (Dalia Ofer) التي تشارك هيلمان في حلمه بشأن العيش المشترك، عن إيمانها بأن الأمر يتعلق بحلم لم يحن أوانه بعد. كذلك فإن أرييه إيزرليس (Arieh Izerles) يقول إن هذه المقارنة غير صالحة من الوجهة التاريخية والوجهة الأخلاقية على حد سواء.

ويجيب هيلمان على منتقديه مستخدماً تشبيهات مستوحاة من الكارثة اليهودية: «إنني أؤيد عملية السلام بقوة، إلا أنني أعارض أن تكون أرض إسرائيل (بلا يهود) «Judenrein». وهناك عدد من المشاركين قلق من المقارنة مع الوضع في البوسنة.

ويقول هيلمان لاحقاً «اذا وافق اليهود من أجل السلام والأمن على فكرة الترحيل (ترانسفير) التي تجبر مجموعات سكانية على اقتلاع أماكن سكناها رغماً عنها، فإن ذلك سيفتح الباب أمام قوى الظلام».

وهنا يتدخل دان بار-اون (Dan Baron) هو يقول إن شموئيل هيلمان، على ما يبدو، ليس مستعداً لتحمل المسؤولية الأخلاقية عما حصل بين إسرائيل والفلسطينيين في الثلاثين سنة الأخيرة.

«كلما أسرعنا كجماعة في تحمل مسؤوليتنا عن العمل السيىء الذي قمنا به، وبذلك نخلق الظروف للطرف الثاني للاعتراف بمسؤوليته عن العمل السيىء الذي ارتكبه بحقنا، أوجدنا بالتالي أجواء أفضل لصياغة أنماط حياة مشتركة وأكثر معقولية في المنطقة.

ونحن لم ندرك في أي مرة، كما لم نأخذ على عاتقنا، الحقيقة الكاملة، وهي أننا لسنا فقط ضحايا في هذه المنطقة، بل أيضاً (Victimizers) متسببون في إيقاع الأذى بالآخرين. ويتوجب علينا اجتياز التغيير في الوقت الذي يحتفل فيه الطرف الثاني بنيل استقلاله المتعاظم منا».

ويشير غرشون بسكين (Gershon Baskin) إلى أن الاستخدام الذي استعمله هيلمان لكلمة «الترانسفير» ليس ملائماً، نظراً إلى أن الحكومة قامت ولأسباب سياسية بمساعدة المستوطنين على الاستيطان، الأمر الذي يمكنهم أيضاً من النزوح عن أماكنهم. ورد هيلمان على ذلك بالصراح قائلاً إن الزعم بأن المستوطنين قد أرسلوا من جانب الحكومة هو مجرد كذب (Canard). ووصل هذا النقاش الفرعي إلى نقطة الغليان حول مسألة ما إذا كان يوجد فرق بين المستوطنات التي أقيمت قبل العام ١٩٦٧ وبعد ذلك. واقترح دافيد نيومان (David Newman) ثلاثة مقالات وضعت تحت تصرف المشاركين في: gopher://mofet.macam98.ac.il/11/jew/il2020/nw

وهذه المقالات هي: Creating a Geography for Peace.

Maps, Maps and more maps-searching for a Good Fence.

Reforming Local Government - a Time for Change

وفي هذه الأثناء طرحت في النقاش موضوعات إضافية. فآرثر واسكو (Arthur Waskow) اقترح فحص عدد النساء المشاركات في النقاش أو اللواتي نشرن ردود فعل. وأيده في ذلك تسفي زهافي (Tzvee Zahavy) الذي فحص الموضوع وقال إن هناك ١٥ سيدة فقط من بين المشاركين المئة والسبعة والخمسين في هذا النقاش وهذه

نسبة غير مقبولة. وأضاف: ولذا أقترح دعوة نساء أخريات للمشاركة في النقاش.

واشير هنا إلى أنه عقب هذا الاقتراح اقترح المشاركون إضافة نحو ثلاثين اسماً لسيدات تمت دعوتهن للمشاركة في النقاش، واستجابت فقط اثنتان منهن لهذه الدعوة.

وانضم إلى النقاش ستيفن دونشيك (Stephen Donshik) مدير المكتب الإسرائيلي للاتحاد اليهودي لنيويورك (UJA). واعرب دونشيك عن شعوره بأن الرابطة، منذ العام ١٩٤٧، بين إسرائيل ومهاجر الشتات المختلفة كانت سطحية، وقال «يتوجب علينا الوصول إلى تفهم أعمق مع أنفسنا وإيجاد السبل لكي يقبل كل طرف الآخر، دون أن يكون لذلك علاقة بموقعنا المادي».

ويضيف حاييم بلياك (Haim Beliak) أن «تقليل عزلة إسرائيل وعملية إعادة التأسيس الجارية عقب عملية السلام سوف تؤدي إلى تغيير الرابطة بين اليهود في إسرائيل وفي خارجها. وأنا لا اعتقد أن «رابطة المال» سيكون بمقدورها مواصلة الحفاظ علينا». وبلياك عضو في مجموعة تطلق على نفسها اسم «مفغاش» (لقاء) وتقوم بفحص أصناف العلاقات التي يمكن أن تتطور، كما تعمل على تقدم علاقات العمل بين المفكرين اليهود.

وجلب دوف فاينر مواد أخرى كخلفية للنقاش، ويتعلق الأمر هنا بالفصل السابع في كتاب تشارلز ليبمان وستيف كوهين: *Are Two Judaisms Emerging*?
(Charles Liebman and Steven Chohen)

وأدخل هذا الفصل إلى: gopher://mofet.macam98.ac.il/11/jew/il 2020

من ناحيته أعلن موشي درور عن ندوة حول موضوع «القيم اليهودية في Cyberspace» ـ وعن الانعكاسات الممكنة/ المحتملة/ المفضلة للموجة الثالثة من القيم اليهودية كلما اقتربنا نحو القرن الحادي والعشرين. وكان رد ستيف وينبرغ (Steve Weinberg) على النحو التالي:

في المدماك الممكن: إن الـ Cyberspace سيمنح الناس إمكان وصول أسهل إلى بيئات يهودية يشعرون فيها بالراحة كيهود. وهذا الأمر يمكنه تعزيز «مشاركة» هؤلاء الأشخاص في الجوانب الجوالية اليهودية التي قد تنتقل إلى الـ Cyberspace.

وفي المدماك المحتمل: فالـ Cyberspace سيحسن القيم «الجوالية» اليهودية، بقدر ما يجد أولئك الأشخاص المنخرطين اليوم في الجالية اليهودية أن الـ Cyberspace قد يكون أداة بلورة توفر الوقت وتحسن ما يقومون به في جميع الأحوال. ومن

المحتمل أن يؤدي ذلك إلى تخصيص وقت إضافي لنشاطات يهودية مرتبطة مباشرة بالحاسوب (Online) مثل تربية البالغين.

وفي المدماك المفضل: يتضح أن الـ Cyberspace هو وسيلة غير عادية لفحص مواقف متناقضة وإيجاد مساحات مشتركة. ويمكن استخدام هذا الوجه بهدف توحيد الشعوب والثقافات تحت قيم وأساطير شمولية، وفي الوقت نفسه السماح بتطور ثقافي متنوع ولا سابق له.

ويضيف ديفيد شيرز (David Schers): «إنه من الأفضل أن تعمل وسائط الإعلام والاتصالات الجديدة على إثراء روابط حياة حقيقية بين بني البشر، وثقافتهم وحياتهم «حياة حقيقية»، وبخاصة «ربط منطقة النقب ويروحام مع الشعب اليهودي أينما كان يعد فريضة دينية». والربط بين الحميمية وبين المناطق العامة (المتزايدة) أمر مهم لمستقبل الجوالي اليهودية ولكل ثقافة أخرى».

وسأل حاييم بلياك هل أن اليهود سيتوقفون في الـ Cyberspace عن الفصل بين حياتهم اليهودية والعلمانية؟ وقال إنه لا يعتقد أن مثل هذا الفصل ممكن أو مطلوب.

من ناحيته، اقترح ستيف وينبرغ (Steve Weinberg) أن يسهّل الإعلام عملية «إيجاد»، ودعم، ونشر أساليب يهودية متبلورة وجديدة، تختلف عن الأسلوب «التقليدي ـ الأرثوذكسي». ويضيف أن هناك حاجة حقيقية للوصول إلى أسلوب يهودي مبلور في الولايات المتحدة وفي مهاجر الشتات أكثر من إسرائيل. ففي إسرائيل لا يتوقع أحد أن يقوم أبناء العائلات «العلمانية»، وبخاصة أولئك الذين يواصلون الإقامة في إسرائيل، بترك شعبهم وتقاليدهم اليهودية بأعداد جوهرية.

وعرض ايلي ليدرهندلر (Eli Lederhendler) استعراض تاريخي للقومية اليهودية منذ العام ١٨٠٠. وطرح ادعاء مفاده أن الشعب اليهودي ما يزال موجوداً في عملية انتقالية بين عملية التفكك القومي الذي تعود بدايته إلى المنفى والذي تصاعد مع تحطم الجالية التقليدية، وبين عملية إعادة البناء القومي التي بدأت قبل نحو مئة عام.

واليوم «وفي غياب تجدد الجوالي العضوية في مهاجر الشتات. . . بقيت إسرائيل بمثابة الـ «Significant Other» والرمز الحي للجالية القومية العائدة لكل يهود العالم. وبقدر ما يكون اليهود في كل مكان منخرطين في عملية البناء الجوالية، تتزايد الحاجة لديهم، لجعل إسرائيل تذوب في وعيهم الجوالي».

ولا يعتقد ليدرهندلر (Lederhendler) أن إسرائيل ومهاجر الشتات يبتعدان عن

بعضهما البعض. فالعكس هو الصحيح: فمع الوقت، فان وجود الشعب اليهودي كجالية سياسية متبلورة في إسرائيل، يبلور استمرار بقائه وتطوره كأمة.

ولمصلحة الشعب اليهودي، يتوجب على يهود مهاجر الشتات (في حال كانوا منخرطين في الواقع الإسرائيلي وثقافته ولغته) ويتحتم عليهم أن يكون لهم شأن في الخيارات الصعبة التي تواجهها إسرائيل:

ـ الارتباط المتبادل بين الأمم وبخاصة ارتباط الدول الصغيرة بمنظمات إقليمية ودولية.

ـ إسرائيل هي دولة لجميع سكانها بشكل لا علاقة له بمعتقدهم، وقوميتهم وما شابه، إضافة إلى كونها دولة اليهود.

الموضوع الذي طرحه من شموئيل هيلمان يتركز على الادعاء: «لماذا تعتبر المستوطنات اليهودية التي أقيمت بعد العام ١٩٦٧ بمفهوم ما أقل شرعية من تلك التي أقيمت قبل ذلك». هذا الادعاء طفا من جديد على السطح وسيطر على النقاش لفترة ما. وحاول آرييه ايزرليس ربط هذا الموضوع بالمهام التي رسمت لمشروع **اسرائيل ٢٠٢٠**:

«لقد قدر لإسرائيل أن تكون في الشرق الأوسط وجهاً لوجه (العين بالعين، يمكنك الشعور بالحرية في اختيار هذه الاستعارة) مع الفلسطينيين. ورفاه الدولة الفلسطينية، وقدرتها على الأداء، وعلى توطين اللاجئين، وعلى توفير الطموحات الديمقراطية، وعلى بلوغ مستوى حياة معقول، هي بالضرورة اهتمامات، ومصادر قلق إسرائيلية، جراء كل الأسباب التي عدّدتها أعلاه. وهذا هو السبب في أن بيريس محق بالتأكيد، عندما يحث الأسرة الدولية على تمويل احتياجات السلطة الفلسطينية. وهذا هو السبب، ذو الصلة بموضوعنا، في أنه يتوجب علينا أن نتذكر PA ٢٠٢٠ [فلسطين ٢٠٢٠] عندما نخطط لـ IL 2020 [إسرائيل ٢٠٢٠]».

وفي الختام، تذمر موشي والدوكس (Moshe Waldox) من محورة النقاش في نطاق ضيق بين «يهود من Brookline يتحاورن مع يهود من ـ Brooklyn»:

«بقدر ما استمتعت في سياق الحوار بين كوهين/ هيلمان، إلا أنني ألاحظ، مقارنة بالجولة الأولى لـ إسرائيل ٢٠٢٠، أننا لم نسمع صوت المناطق البعيدة للحياة اليهودية. أين الاستراليون، والأمريكيون الجنوبيون، والجنوب أفريقيون والأوروبيون؟»

وعاد يان سوبوروف (Ian Soboroff) إلى محور النقاش وادعى أن عملية السلام بحد ذاتها ليست عامل الخلاف الرئيس بين اليهود في إسرائيل وفي مهاجر الشتات.

فالموضوع الأكثر أهمية هو حقيقة أن يهود أمريكا جهلة بالنسبة إلى كل ما يتعلق بعملية المفاوضات الحالية، وبكل تاريخ السيطرة على المناطق (وعملياً بكل تاريخ إسرائيل بعد كامب ديفيد (Camp David)).

ويدعي سوبوروف أن الأجيال التي يزيد عمرها على ٢٢ عاماً تبدو مجمدة في المفهوم الذي تبلور بعد العام ١٩٦٧. وفي المقابل، فإنه لا يوجد لدى الشبان مثل هذا المفهوم، كما أنهم لا يعرفون الكثير عما يجري، ولا عن أهميته وأسبابه.

وبعد خمود معين في النقاش، قام دوف فاينر بنشر إجمال للنقاش الذي جرى في الجولة الأولى وطلب ملاحظات بالنسبة إلى الموضوعات المركزية المطروحة على جدول الأعمال في موضوع علاقات إسرائيل ومهاجر الشتات.

وقام هيلمان بنشر مقالة طويلة تفحص مساوئ إسرائيل http:// www.soc.qc.edu/staff/heilman وسأل، هل في زمن السلام «ستكون إسرائيل دولة ومجتمعاً يشكلان رمزاً ذا دلالة لكل اليهود؟ وهل ستسمع فيها أصداء التاريخ اليهودي وطموحاته؟ وهل سيكون فيها مكان للمهاجرين ولشرائح اجتماعية ذات مكانة اقتصادية متدنية؟ وهل ستشكل أكثر من مجرد عنوان يهودي اضافي؟».

وتلقى هيلمان عدداً من ردود الفعل الشديدة على رسالته. وقام باروخ كيمرلينغ (Baruch Kimmerling) بمقارعة ادعاءات هيلمان والرد عليها بالتفصيل مجملاً كلامه بالقول «إن نوع المجتمع مرتبط أيضاً باليهود في الخارج. فإذا كنت تبغي المشاركة في بلورة المجتمع، فعليك القدوم إلى هنا والمشاركة في العملية.

«أهلاً وسهلاً. ولكن إفعل ذلك بسرعة، لأننا لن ننتظر إلى الأبد مع قانون العودة الخاص بنا. فالأمر يتعلق بقانون منحاز لمصلحة اليهود بشكل جلي، ولن يبقى في هذه الديار إلى الأبد».

من ناحيته، أكد نحمان بن يهودا (Nachman Ben-yehuda) على ثراء الثقافة العلمانية في إسرائيل، وعلى إحباطه من القيود الدينية.

وقال إن نقد هيلمان لإسرائيل، من وجهة نظر مهاجر الشتات، كما لو أنه يقول لماذا القلق؟ وما هو الأمر المميز كثيراً لهذا المكان؟ وعلى ما يبدو فإن مواليد إسرائيل شعروا بالإهانة ودافعوا عن أنفسهم.

وفي سياق ردها على الملخص الذي قدّمه فاينر، قالت مارتا اكليسبرغ (Martha Eklesberg) من كلية (Smith) إنها تشعر أن النقاش يكرر المفهوم بأن يهود مهاجر الشتات يواجهون ضائقة جدية، وأن الأمل الوحيد لمستقبل يهودي ولتجدد/

استمرار الحياة اليهودية يمكن أن يأتي من إسرائيل.

«إن يهود الجوالي في أمريكا أحياء يرزقون. فجماعات وحركات «تجدد» في الجوالي غير الأرثوذكسية، إلى جانب النمو داخل الجوالي الأرثوذكسية توطّد الحياة اليهودية، على الأقل بالنسبة إلى أولئك المعروفين كيهود. . . وجلبت الحركة النسائية اليهودية المطالبة بمساواة المرأة بالرحيل مصادر هائلة من الطاقة وتجديدات كثيرة للجوالي في أرجاء الدولة. كذلك أشعلت هذه الحركة قدراً هائلاً من الدراسات الأكاديمية والإبداعات الروحية/ الدينية. وعلى حد علمي فإن أمراً مماثلاً لهذا لا يحصل في إسرائيل. وعلى أرض الواقع على الأقل، فإن بمقدور إسرائيل أن تتعلم وتستفيد الكثير مما يحصل هنا».

وتضيف كرمل تشيزفيك (Carmel Chiswick) بأنه يتوجب على إسرائيل أن تكون أكثر ترحيباً بالديانة اليهودية. ولفتت إلى الطريقة التي يتم فيها تعريف الدين في إسرائيل من جانب المجموعات السياسية الناشطة الأقل استعداداً للحلول الوسط. وهناك تجاهل للكثير من الإسرائيليين الذين ينظرون إلى دينهم بصورة أقل عدوانية، على غرار ما يفعله المحافظون الأمريكيون، نظراً إلى أنهم ليسوا منتظمين حول هذا الموضوع.

«إنني أرى رسالة سام (شموئيل هيلمان) على أنها توجه للتعبير داخل إسرائيل عن كثير من اليهود العلمانيين الذين يحترمون الموضوعات الدينية ويهتمون بها».

واعتذر هيلمان من جانبه إن كان قد مس بأي شخص وشرح موقفه بقوله:

«إنه بقدر ما يمكن لإسرائيل أن ترغب في تجاهل هذا الأمر، فإن هناك رابطة غير قابلة للفصل بين دولتكم وبين الشعب اليهودي أينما كان. كذلك يوجد ارتباط خاص بالتاريخ اليهودي، وبفكرة المنفى والعودة، وحتى بالديانة القديمة. بإمكانكم تجاهل هذه الأمور بصورة شخصية، إلا أن الدولة لا يمكنها ذلك».

وأضاف هيلمان «إن إسرائيل ـ في السراء والضراء ـ ليست فقط «ملكاً» لسكانها، بل إنها تنتمي إلى التاريخ اليهودي وللشعب اليهودي كله».

واحتدم الجدل بين شموئيل هيلمان وبين باروخ كيمرلينغ، وقام الأخير بالرد على هيلمان بشكل مفصل وفي سياق صراخ (استخدام عبارات نابية)، الأمر الذي عكس التوبيخ الإسرائيلي التقليدي تجاه مهاجر الشتات:

«أنتم يهود العالم ينبغي عليكم اتخاذ القرار. فإذا أردتم أن تكونوا جزءاً من هذه الدولة فيتوجب عليكم القدوم إلى هنا إن آجلاً أم عاجلاً».

من ناحيته، يقترح ستيف كوهين (Steven Cohen) ضرورة تطوير علاقات، ليس بين دولة إسرائيل ومهاجر الشتات، إنما بين يهود من إسرائيل (ممن يوجد لهم تأثير كبير في الحكومة الإسرائيلية وعلى أنظمة أواليات الميزانيات ونحو ذلك) وبين يهود مهاجر الشتات. فالعلاقات بيننا كيهود، وكذلك تقاليدنا المشتركة، هي التي يتوجب التركيز عليها.

وعبر عومير زاك عن قلقه في موضوع التسامح الديني. وشكر زاك في النقاش تجربته في نادي الصم، وهي التجربة التي أثبتت إمكان التعايش بين المعسكرين الديني والعلماني في سياق التسامح المتبادل.

وقارن هرنان روزنبرغ (Hernan Rosenberg) بين يهود أمريكا الشمالية الذين يرون أنفسهم كيهود من الناحية الدينية، وبين يهود أمريكا اللاتينية الذين يرون في الهجرة إلى إسرائيل هدفاً حتى لو لم يتحقق أبداً «الإحساس بانعدام الأمن، لعازف الكمان على السطح، موجود دائماً هناك». والمشاركة في السياسة هي كعامل خارجي. والجوالي اليهودية في أمريكا هي أكبر وأقل تماسكاً من ناحية اجتماعية. ولخص كلامه بالادعاء أن من الممكن لعلاقات إسرائيل والولايات المتحدة أن تكون مختلفة عما هي عليه مع أمريكا اللاتينية.

أما دافيد ابشتاين (David Epstein) فيعود إلى الموضوع الأصلي الذي طرحه سابقاً، ويقول: «تحت ستار الاستجابة للرسالة الخاطئة للوزير يوسي بيلين، لناحية أن إسرائيل لم تعد بحاجة إلى أموالكم، وبالتالي يمكنكم استخدامها من أجل معالجة هويتكم اليهودية وفقاً لأنظمة أواليات». والمنظمات التي لا تبتغي الربح في مهاجر الشتات ستعمل على التقليص في تمويل المشروعات المنفذة في ما وراء البحار، وتستخدم هذا التمويل من أجل إكمال التقليصات التي نفذتها الإدارة الأمريكية في مجالات الصحة والشيخوخة والخدمات الاجتماعية وخدمات أوقات الفراغ. وفي المقابل، فان عدد المنظمات التي لا تبتغي الربح في إسرائيل قد تزايد، وستبدأ الوكالة اليهودية بالبحث عن التمويل في أوساط الاسرائيليين القادرين على المشاركة في تحمل عبء عمل الوكالة. وهنا يسأل ابشتاين:

١ ـ هل ينبغي أن يتغيّر نظام أواليات مهاجر الشتات وفقاً للمحور إسرائيل ـ الاحتياجات المحلية أم يجب استخدام الأزمة لإعادة ترتيب نظام الأواليات المحلية؟

٢ ـ ألا يوجد إمكان للاتحاد في الوقت الذي يخوض فيه كل منا صراعاً ضد

أساليب تجنيد الموارد كتعبير لقيمة الالتزام برفاه ومستقبل الجالية اليهودية العالمية؟

٣ ـ هل ينبغي على ساحة (حلبة) تجنيد الموارد في إسرائيل الاتحاد حتى قدر معين مع النداء الإسرائيلي الموحد (United Israel Appeal)؟ إذا كان الرد إيجابياً، فهل يجب إقامة تلك الساحة (الحلبة) في إطار الوكالة اليهودية أو أن عليها أن تقوم تحت مظلة أوسع، أي أن يتمكن السكان في إسرائيل من دعمها دون الشحنة السياسية والتنظيمية التي تحملها، للأسف، الوكالة اليهودية؟

أما ستيف كوهين، فيشارك دافيد ابشتاين قلقه ويقترح أن إحدى المهام المهمة هي كتابة مذكرة الادعاءات، الموجبة لمواصلة تمويل الخدمات الاجتماعية في إسرائيل.

«لا نملك معطيات أساس من أجل تبرير مواصلة التبرعات من مهاجر الشتات (ومن إسرائيل)، من أجل اليهود الفقراء. مثل هذه الوثيقة سيكون ذا فائدة جمة وسيقتبس كثيراً».

وكان النقاش قد توقف عقب انفجار رهيب وقع داخل حافلتين ونفذته حركة (حماس) في مدينتي القدس وفي عسقلان في الخامس والعشرين من شهر شباط/ فبراير ١٩٩٦.

وفي المقابل، فقد تواصل الجدل ساخناً بين الرؤيا الدينية والرؤيا العلمانية.

وأعرب عدد من المشاركين عن معارضتهم للهجة النقاش، وعبروا عن خيبة أملهم من التطرف في المواقف. كما انضم آخرون إلى النقاش بانفعال وتم التعبير عن عدد من المواقف والادعاءات. ويمكن القول إن هذا النقاش كان ذا صلة بموضوع علاقات إسرائيل ومهاجر الشتات، وتمثل ذلك في أن المشاركين من إسرائيل وخارجها عبروا عن مواقف مختلفة تماماً بالنسبة إلى الدين والهوية اليهودية والتوقعات من اسرائيل. ويعبر هذا الأمر عن حقيقة أن العلاقات بين الثقافة الدينية والعلمانية داخل إسرائيل مبلورة ومرسومة بواسطة واقع سياسي مختلف عن ذلك الواقع الذي نجده في الجوالي اليهودية في مهاجر شتات في الولايات المتحدة واستراليا أو أوروبا.

وعبر موشي شنير (Moshe Shner) عن الادعاء الإسرائيلي في الرد على نقد هيلمان لناحية أن المجتمع الإسرائيلي ليس يهودياً بما فيه الكفاية:

«على امتداد النقاش الذي أجريناه جوبهنا بادعاءات تقول إن إسرائيل كدولة وكمجتمع اسرائيلي لا تقبل أشكالاً أخرى من التعبير اليهودي المتعارض مع التعبير

الأرثوذكسي المعروف لنا. ولكن أجد وفي أكثر من مرة، معارضة مماثلة (على أساس فلسفي وتقليدي) للتجربة الإسرائيلية بحد ذاتها. وبإمكانكم أن تجدوا الدليل على ذلك إذا ما قرأتم الانتقاد الرسمي وغير الرسمي لـ JTS بالنسبة إلى التجربة «العلمانية» الإسرائيلية. والمشكلة التي نواجهها لا تقتصر فقط على الاعتراف بصيغة دينية ثانية أو ثالثة للحياة اليهودية، إننا نواجه مشكلة الاعتراف بالنموذج اليهودي الجديد الذي سيسمح ـ من ناحية سياسية وثقافية ـ بكل تفسير للحياة اليهودية والتقاليد اليهودية، بما في ذلك التفسير العلماني. والفهم غير الرباني (الفقهي) فقط للحياة اليهودية هو الذي يتيح تفسيراً فقهياً للتراث والتقاليد اليهودية.

ويدعي شنير أن الاسرائيليين يعبرون اختبار صراع داخلي بين «يهودية المنفى» وبين «الاختيار الإسرائيلي». ونتيجة لذلك يمنحون قوة سياسية وثقافية مبالغاً فيها للتيار الارثوذكسي اليهودي، نظراً إلى أن «العديدين منا يشعرون بأننا مختلفون في معانٍ كثيرة عن أجدادنا». وفي مهاجر الشتات يجد اليهود أنفسهم مطالبين بهوية مزدوجة (اليهودية والعامة) نظراً إلى أنه يتوجب عليهم العيش في عالمين ثقافيين في آن. كذلك فإن الانشطار بين الحياة العلمانية والدينية ينبع من الحاجة إلى حفظ الفرادة (الخاصة) اليهودية في مهاجر الشتات. ولكن التجربة الصهيونية هي بالذات جهد للتغلب على هذا الانشطار، في سياق بناء تجربة حياتية هولستية، الأمر الذي يعتبر بمثابة تغيير راديكالي في فهم واقع الحياة اليهودية.

والصهيونية لم تحاول بناء مهجر/ شتات آمن، ولكنها حاولت بناء حياة يهودية في «الوطن».

ولخص شنير آراءه بالقول إن إسرائيل هي أولاً وقبل كل شيء جواب عن حاجة ولطموح التطلع إلى وطن، وملجأ عالمي، يعتبر حقيقياً اليوم ليهود روسيا، وليهود إثيوبيا، وبالذات «لكل يهودي يفكر بجدية في التاريخ اليهودي المعاصر».

«وإسرائيل لم تعد مهجراً شتاتاً يهودياً وانما مشروعاً لبناء بيئة يهودية مختلفة، يشعر فيها اليهود أنهم يعيشون في بيتهم بصورة مستقلة، وبالطريقة التي يفهمون فيها التقاليد اليهودية».

هذا، ولقد اعترف الكثيرون، بما في ذلك هيلمان، برد شنير على أنه مقنع ومثير.

ومن ناحيته، واصل باروخ كيمرلينغ جداله مع هيلمان في سياق التعبير عن الإحساس بأن الإسرائيليين يمثلون الرمز بالنسبة إلى اليهود الأمريكيين الذين يعيشون

ضمن «فقاعة ايديولوجية». وبالنسبة إلى إسرائيليين على غرار كيمرلينغ فإن إسرائيل تعتبر «مكاناً» ذا مفاهيم كثيرة:

«إن هذا هو بيتي (وطني)، وهذه هي دولتي التي اقتسمها مع مواطنين آخرين، يهوداً وغير يهود، وهذه هي المساحة المجالية للمجتمع الذي يشكل بؤرة للبحث بالنسبة إلي. وتاريخ هذا المكان، وتاريخي، يشمل تاريخ المماليك، والعرب، والعثمانيين، والكنعانيين، وبالتأكيد اليهود. وهذا التاريخ هو جزء من الثقافة الشرقية والغربية على حد سواء».

وبعودته من جولة محاضرات في أمريكا الشمالية، تساءل دافيد نيومان (David Newman)، «هل أن دلالة اليهودي هي دينية أم بديل آخر لصهيونية علمانية؟ وكان رد عدد من المشاركين الإسرائيليين الادعاء بوجود أشكال إضافية من الدلالات التي هي ليست دينية بالضرورة».

وإشارة نيومان إلى وجود شرطين مسبقين حتى يكون بالإمكان قيام حوار حقيقي بين إسرائيل الدينية والعلمانية:

١ ـ إسرائيل العلمانية ينبغي أن تسلم بوجود شكل ما من الهوية اليهودية (وليس بالضرورة الهوية الأرثوذكسية) لدولة إسرائيل.

٢ ـ إسرائيل الدينية ينبغي أن تقبل بأن تكون قواعد اللعبة هي قواعد الديمقراطية وليس أحكام الشريعة اليهودية.

وعندما تخوفت داليا عوفر (Dalia Ofer) من الملاسنة بين كيمرلينغ وهيلمان حاولت التوسط بينهما. وطلب غدعون العاد (Gideon Elad) مواصلة البحث والنظر في فكرة إسرائيل كدولة لكل مواطنيها فقال:

«إن مجرد حقيقة أننا آمنون كدولة، وكدولة يهودية تجعلنا لا نخاف من فقدان هويتنا. فهل علينا، كدولة ـ أمة، توسيع «أفضالنا» لتشمل الأقلية التي تعيش بيننا؟ أو أن معنى الأمر فلسفة أخرى ترى أن الفكرة الصهيونية كانت خاطئة في أساسها، وليس فقط الحل لـ «المشكلة اليهودية» الذي وُلد في الخطيئة، إنما الآن، ونحن هنا، علينا استخلاص أفضل ما في ذلك الحل وخلق نموذج دولة تعود لكل من هو هنا، دون ارتباط برغبة وإرادة جيل المؤسسين».

ويذكرنا ستيفن كوهين بأن «العالم كله أصغر اليوم من أمة واحدة في القرن التاسع عشر»:

«إن دولة إسرائيل قائمة كدولة بين دول العالم. وحق لو كانت كذلك فالدولة ـ الأمة كمفهوم آخذة بالزوال، وليس ثمة شك في أنه في أوساط أسرة الأمم ستبرز دول مختلفة نتيجة أسباب مختلفة. ومصير إسرائيل هو أن تكون دولة ـ أمة في «منفى» كوكب الأرض السيار».

وتوقف النقاش ثانية بعد عشرة أيام إثر انفجارين رهيبين آخرين وقعا في القدس وفي تل أبيب يومي الثالث والرابع من آذار/ مارس ١٩٩٦.

خلاصـــة (د. لوسيا رودنبرغ)

لقد بدأت الجولة الثانية من النقاش حول مشروع **إسرائيل ٢٠٢٠** في ظل حادث اغتيال رئيس حكومة إسرائيل اسحق رابين، وانتهت مع أربع هجمات إرهابية تفجيرية قتل فيها أكثر من ستين شخصاً. هجوم من الداخل وهجوم من الخارج. توتر داخلي وعدو خارجي ـ هذه هي التهديدات لوجودنا.

إن وحدة إسرائيل ترتسم أحياناً كقضية وجودية تحصل استناداً إلى خطوط متوازية ومتنافسة ـ وجود الدولة ووجود الهوية اليهودية. وانعدام الوحدة يشكل خطراً في مهاجر الشتات أقل مما في إسرائيل، حيث وضع الحرب المتواصلة فرض الوحدة على شعب متنوع. والشرخ الديني/ العلماني في إسرائيل هو الجانب المظلم لهذه الوحدة الإكراهية في أوقات الأزمة. ولا يوجد هناك القدر ذاته من العجلة في العلاقات التي تربط إسرائيل ومهاجر الشتات المختلفة.

وعلى الرغم من ذلك، يمكننا التفكير في علاقات إسرائيل ومهاجر الشتات بمصطلحات الشبه وليس بمصطلحات التباين. وهنا مكوّن مركزي في علاقات إسرائيل ومهاجر الشتات، هو الحوار بين الإسرائيلين وبين شعبهم في الخارج مثلما رأينا في النقاش. وهذا الحوار هو مكوّن صراع، ودعم، ومنافسة، أشواق، وذنب. كما عبّر عن ذلك أحد المشاركين في النقاش: «لماذا تتواصل عبر الحاسوب مع أبناء شعبنا ما وراء البحر؟ ربما هذه هي الصيغة لـ «نقص» في شيء ما كنا معتادين أن نكون قريبين منه، أو. . . كان يجب أن يكون قريباً منا». أما وماذا بالنسبة إلى الوجود الإسرائيلي في مهاجر الشتات؟ هناك على سبيل المثال جيل كامل من «اليهود الأمريكيين» الذين ولدوا من أبوين إسرائيليين. عدد من النماذج يتغير.

وإسرائيل التي عانت عبر الكارثة تتفجع مع إسرائيل التي قامت من رمادها. وكلتاهما عاشت معنى البقاء وتذوقنا طعم إلحاحية الحياة أمام الموت. وهذه هي حياة كاملة مع ذكريات العنف. وهذا هو العبء الحقيقي الذي نحمله. وهذا هو العبء

الذي نلقيه بغضب الواحد على الآخر، نظراً إلى أن البقاء ليس حياة. وهذا هو القيد الذي يربط الضحية والجلاد. علينا ألا نحزن ونتطلع إلى أن نكون أحراراً.

وفي الجولة الحالية، يمكننا أن نلاحظ أن الأحداث حول حادث اغتيال رئيس الحكومة اسحق رابين قد حددت إلى حد ما طابع النقاش. كما أن الهجمات التخريبية في القدس وفي تل أبيب كانت مؤشراً إلى نهاية النقاش. وفي بداية النقاش عقب عملية الاغتيال كان هناك تركيز على دور الأوساط الدينية ـ القومية في صياغة طابع الدولة.

إن التخبطات المشار إليها في النقاش تتعلق بقدرة إسرائيل على التطور كمجتمع منفتح على التيارات اليهودية الشائعة في أوساط يهود أمريكا. وفي المرحلة الثانية فقط برز توسع في النقاش شمل فحص الحياة اليهودية في مهاجر الشتات، دون تركيز على حياة الكنيس اليهودي وعلى الطابع اليهودي لدولة إسرائيل، بأوجهها القومية والثقافية وليس فقط الدينية.

وهناك تمثيل لمعظم ألوان المواقف التي تبلورت في المواجهة بين الشعب اليهودي والعالم الحديث: تيارات إصلاحية ومحافظة تعرض حياة يهودية محورة حول الكنيس اليهودي مع تركيز أخلاقي شخصي، وتيارات لنشاطات اجتماعية ـ سياسية عامة، يتم التعبير عنها في حركات ليبرالية و/ أو يسارية، وحركات تعبر عن رسولية عالمية يهودية، وكذلك عن تشكيلة مقاربات قومية صهيونية، بتعبيراتها المتنوعة، بالمعنى الديني ـ القومي، وبالمعاني القومية على اختلاف انواعها.

وكانت المواجهة بين ستيف كوهين وشموئيل هيلمان سمة المرحلة الأولى من النقاش الحالي. وعبّر كوهين عن مقاربة تتوقع طابعاً يهودياً أكثر «يهودية» لإسرائيل، بمصطلحات مقتبسة من الكينونة اليهودية ـ الأمريكية. وعلق آماله على تطوير تربية يهودية ذات خطوط محافظة (على غرار شبكة طالي)، كما عبر عن دعم ثابت لسياسة السلام التي تنتهجها الحكومة، ومع ذلك كان مستعداً لإرضاء الأوساط الأرثوذكسية في إسرائيل، من طريق المحافظة على مكانة الشريعة اليهودية في حياة الدولة، لكي يكون بالإمكان مواصلة العملية مع الفلسطينيين.

وفي المقابل، عبّر شموئيل هيلمان عن موقف أرثوذكسي أمريكي ـ توقعات لمستوى عالٍ من الحفاظ على الفرائض الدينية في حياة دولة إسرائيل، وعن الحد الأقصى في العلاقات مع الفلسطينيين. عبّر عن آرائه بتهذيب وأدب، الأمر الذي لم يحصل دائماً مع مشاركين آخرين من أصحاب المواقف القريبة منه.

وفي المرحلة الأخيرة من النقاش، ومن طريق تدخل باروخ كيمرلينغ وموشي شنير (مشاركان اسرائيليان) أمكن ظهور موقف بديل. وركز هذا الموقف على الأوجه القومية والثقافية للديانة اليهودية التي تحصل على تعبيرها الكامل في إسرائيل.

ونود أن ننوه هنا بالمساهمة التي قدمتها لوسيا رودنبرغ في تلخيص النقاش في سياق التركيز على النقاط الرئيسة على امتداد مراحله المختلفة.

والتجمعات اليهودية الرئيسة في أيامنا هذه ـ إسرائيل ويهود أمريكا، وفي ضوء ظروفها التاريخية الاجتماعية المختلفة، بلورت منظومة مفاهيم متميزة جيداً عن بعضها البعض حول ماهية الشعب اليهودي والعمليات التي تنتظره في السنوات القريبة.

وخلال الجولة الأولى من النقاش المرئي «المسموع»، وفي ضوء التفاؤل الذي ساد المرحلة الأولى من عملية السلام، كان هناك توافق قاطع أكثر بين المشاركين حول عملية تعاظم القدرات التي تنتظر إسرائيل، مع ضعف ومستقبل كئيب لمهاجر المنفى، وكذلك البحث عن بناء الجسور التي يمكن لإسرائيل بواسطتها مواصلة الإسهام في الوجود اليهودي، في إسرائيل نفسها وفي مهاجر الشتات.

أما المرحلة الثانية من النقاش، فاتسمت في معظمها بمشاركين ينهلون من مفاهيم نمت في الكينونة اليهودية ـ الأمريكية. فاليهودية تفهم هناك بالأساس بمعناها الديني وليس بالشمولية التي تميز مجتمعاً قومياً مثل إسرائيل. وأدى تدخل مشاركين اسرائيليين في نهاية النقاش إلى منح تعبير قوي لهذه الشمولية اليهودية.

ومع ذلك، فإن تدخلهم لم ينجح بأن يعيد الحوار المثمر حول الأنماط العملية للتعبير عن الارتباط المتبادل بين إسرائيل ومهاجر الشتات، كضمان لاستمرار الإبداعية اليهودية في السنوات الثلاثين المقبلة.

الجـــداول

الجدول رقم (١)

السكان اليهود في العالم، وفي دولة اسرائيل، وفي المهجر/ الشتات، تقديرات مكررة للأعوام ١٩٤٥ ـ ١٩٩٣

السنة	أرقام مطلقة (بالآلاف)			نسب نمو سنوية(*)		
	المجموع العالم	من ذلك		المجموع العالم	من ذلك	
		اسرائيل	مهاجر الشتات		اسرائيل	مهاجر الشتات
١٩٤٥	١١,٠٠٠	٥٦٥	١٠,٤٣٥	---	---	---
١٩٥٠	١١,٣٧٣	١,٢٠٣	١٠,١٧٠	٦,٤	١٧٤,٥	٥,١-
١٩٥٥	١١,٨٠٠	١,٥٩١	١٠,٢٠٩	٧,٤	٥٧,٥	٠,٨
١٩٦٠	١٢,١٦٠	١,٩١١	١٠,٢٤٩	٦,٠	٣٧,٣	٠,٨
١٩٦٥	١٢,٥٠٠	٢,٢٩٩	١٠,٢١١	٥,٥	٣٧,٧	٠,٧-
١٩٧٠	١٢,٦٤٣	٢,٥٨٢	١٠,٠٦١	٢,٣	٢٣,٥	٣,٠-
١٩٧٥	١٢,٧٤٢	٢,٩٥٩	٩,٧٨٣	١,٦	٢٧,٦	٥,٦-
١٩٨٠	١٢,٨٤٠	٣,٢٨٣	٩,٥٥٧	١,٥	٢١,٠	٤,٧-
١٩٨٥	١٢,٨٧١	٣,٥١٧	٩,٣٥٤	٠,٥	١٣,٩	٤,٣-
١٩٩٠	١٢,٨٦٩	٣,٩٤٧	٨,٩٢٢	٠,٠٣-	٢٣,٣	٩,٤-
١٩٩٣	١٢,٩٦٣	٤,٣٣٥	٨,٦٢٨	٢,٤	٣١,٧	١١,١-

* بالنسبة إلى الفترة المنتهية في السنة المشار إليها.

المصدر: اسرائيل ـ مكتب الإحصاء المركزي؛ مهاجر الشتات ـ يرتكز على تقديرات شميلتس وديله بيرغولا التي تظهر سنوياً في مجلد *American Jewish Year Book*. وقد تم تعديل هذه التقديرات لاحقاً على أساس معلومات تجمعت بعد صدور التقديرات للمرة الأولى. والصيغة الحالية ما تزال بحاجة إلى تعديلات وتغييرات طفيفة.

الجدول رقم (٢)

تقديرات لمكونات التغيير في حجم السكان اليهود في اسرائيل وفي مهاجر الشتات ١٩٦١ ـ ١٩٩٣

السنة	أرقام مطلقة			نسب سنوية لكل ١٠٠٠ بين السكان			
	ميزان هجرة مهاجر الشتات إسرائيل	بقية التغيير/ اسرائيل(*)	بقية التغيير/ المهجر/ الشتات(*)	اسرائيل		مهاجر الشتات	
				ميزان هجرة	بقية تغيير(*)	ميزان هجرة	بقية تغيير(*)
١٩٦١-١٩٧١	٣٣٨,٠٠٠	٤١٣,٠٠٠	٩٩,٠٠٠	١٣,٨	١٧,٢	٣,٠-	٠,٩
١٩٧٢-١٩٨٢	١٧٩,٠٠٠	٥٣٢,٠٠٠	٣٣٥,٠٠٠-	٥,٤	١٦,٧	١,٧-	٣,١-
١٩٨٣-١٩٨٨	١٧,٠٠٠	٢٩٣,٠٠٠	٢٢٩,٠٠٠-	١,٢	١٣,٨	٠,٣-	٤,١-
١٩٨٩-١٩٩٣	٤٣٧,٠٠٠	٢٤٠,٠٠٠	١٦٢,٠٠٠-	٢١,٦	١١,٩	٩,٨-	٣,٦-

ملاحظة: (*) المجموع الكلي لميزان الحركة الطبيعية وميزان تغييرات الهوية الدينية ـ القومية.

المصدر: ميزان هجرة مهاجر الشتات إسرائيل: إسرائيل، مكتب الاحصاء المركزي
بقية التقديرات، (انظر الجدول رقم (١) أعلاه).

الجدول رقم (٣)
السكان اليهود في العالم وفق مناطق جغرافية رئيسية ١٩٧٠ ـ ١٩٩٣

المنطقة[١]	أرقام مطلقة (آلاف)		نسبة تغيير عامة ١٩٧٠-١٩٩٣
	١٩٧٠	١٩٩٣	
المجموع الكلي للعالم	١٢,٦٤٣	١٢,٩٦٣	+٢,٥
أوروبا	٣,٢٣٧	١,٨٧٣	-٤٢
الاتحاد الأوروبي	١,٠٧٩	٩٩٢	-٨
بقية الغرب	٤٥	٤٤	-٢
الاتحاد السوفياتي سابقاً[٢]	١,٨٩٧	٧٣١	-٦١
بقية الشرق، البلقان[٢]	٢١٦	١٠٦	-٥١
آسيا	٢,٩٣٦	٤,٤٤٤	+٥١
اسرائيل	٢,٥٨٢	٤,٣٣٥	+٦٨
الاتحاد السوفياتي سابقاً[٢]	٢٥٤	٨٥	-٦٧
الباقي[٢]	١٠٠	٢٤	-٧٦
أفريقيا	١٩٥	١١٠	-٤٤
الشمال[٣]	٧١	٩	-٨٧
الجنوب[٤]	١٢٤	١٠١	-١٩
أمريكا	٦,٢٠٥	٦,٤١٠	+٣
شمال[٥]	٥,٦٨٦	٦,٠٠٨	+٦
وسط	٤٧	٥٣	+١٣
جنوب	٤٧٢	٣٧٩	-٢٠
أوقيانيا	٧٠	٩٦	+٣٧

ملاحظات:

(١) حدود سياسية في العام ١٩٩٢.

(٢) مناطق روسيا وتركيا الكائنة في آسيا مشمولة مع أوروبا في هذا الجدول.

(٣) بما في ذلك إثيوبيا.

(٤) جنوب أفريقيا، وزيمبابوي، ودول أخرى جنوبي الصحراء.

(٥) الولايات المتحدة وكندا.

الجدول رقم (٤)
التجمعات السكانية اليهودية الأكبر
من العام ١٩٣٩ إلى العام ١٩٩٣

الرقم	١٩٩٣		١٩٧٠		١٩٣٩	
	الدولة	السكان اليهود	الدولة	السكان اليهود	الدولة	السكان اليهود
١	الولايات المتحدة	٥,٦٥٠,٠٠٠	الولايات المتحدة	٥,٤٠٠,٠٠٠	الولايات المتحدة	٤,٨٧٠,٠٠٠
٢	إسرائيل	٤,٣٣٥,٢٠٠	إسرائيل	٢,٥٨٢,٠٠٠	بولندة	٣,٢٢٥,٠٠٠
٣	فرنسا	٥٣٠,٠٠٠	روسيا	٨٠٨,٠٠٠	أوكرانيا	١,٥٨٣,٠٠٠
٤	روسيا	٤١٠,٠٠٠	أوكرانيا	٧٧٧,٠٠٠	روسيا	٩٠٣,٠٠٠
٥	كندا	٣٥٨,٠٠٠	فرنسا	٥٣٠,٠٠٠	*رومانيا*	٥٢٠,٠٠٠
٦	بريطانيا	٢٩٦,٠٠٠	بريطانيا	٣٩٠,٠٠٠	فلسطين	٤٤٥,٠٠٠
٧	أوكرانيا	٢٤٥,٠٠٠	*كندا*	٢٨٦,٠٠٠	هنغاريا	٤٠٤,٠٠٠
٨	الارجنتين	٢١٠,٠٠٠	الارجنتين	٢٨٢,٠٠٠	روسيا البيضاء	٣٧٥,٠٠٠
٩	*البرازيل*	١٠٠,٠٠٠	روسيا البيضاء	١٤٨,٠٠٠	*تشيكوسلوفاكيا*	٣٥٧,٠٠٠
١٠	جنوب *أفريقيا*	٩٨,٠٠٠	*جنوب أفريقيا*	١١٨,٠٠٠	بريطانيا	٣٤٥,٠٠٠
١١	*استراليا*	٩١,٠٠٠	*اوزبكستان*	١٠٣,٠٠٠	فرنسا	٣٢٠,٠٠٠
١٢	هنغاريا	٥٥,٠٠٠	*مولديفيا*	٩٨,٠٠٠	*الصرب*	٢٨٠,٠٠٠
١٣	*ألمانيا*	٥٢,٠٠٠	*البرازيل*	٩٠,٠٠٠	الارجنتين	٢٥٤,٠٠٠
١٤	روسيا البيضاء	٤٠,٧٠٠	*إيران*	٧٢,٠٠٠	*لتوانيا*	٢٤٠,٠٠٠
١٥	*المكسيك*	٤٠,٧٠٠	هنغاريا	٧٠,٠٠٠	*ألمانيا*	١٩٥,٠٠٠
نسبة السكان اليهود						
المجموع الكلي ١-٢		٧٧,٠		٦٣,١		٤٩,١
المجموع الكلي ١-٥		٨٧,١		٧٩,٩		٦٧,٣
المجموع الكلي ١-١٠		٩٤,٤		٨٩,٥		٧٨,٩
المجموع الكلي ١-١٥		٩٦,٥		٩٣,٠		٨٦,٨

ملاحظة: حدود الدول استناداً للحدود في العام ١٩٩٣. الدول غير المذكورة في المواعيد الزمنية الثلاثة مكتوبة بحرف مائل.

المصدر : The A. Harman Institute of Contemporary Jewry, the Hebrew University of Jerusalem.

الجدول رقم (٥)
إجمال تجزؤ السكان اليهود في العالم وفق شيوع الزواج المختلط في كل مكان في نهاية الثمانينيات

نسبة الزواج المختلط	معطيات أصلية		معطيات معدة	
	المجموع الكلي لليهود	النسبة المئوية	المجموع الكلي لليهود	النسبة المئوية
المجموع الكلي	١٢,٩٧٩,٠٠٠	١٠٠,٠	١٢,٩٧٩,٠٠٠	١٠٠,٠
٠-٢	٣,٦٥٩,٠٠٠	٢٨,٢	٣,٦٥٩,٠٠٠	٢٨,٢
٢-٩	٥٤,٠٠٠	٠,٤	٥٤,٠٠٠	٠,٤
٩-٢٣	١٦١,٠٠٠	١,٢	٧٦١,٠٠٠	٥,٩
٢٣-٣٣	٩٤٤,٠٠٠	٧,٣	٩٩٤,٠٠٠	٧,٧
٣٣-٤٥	٨١٨,٠٠٠	٦,٣	٢,٧٤٣,٠٠٠	٢١,١
٤٥-٥٥	٧,١٨٦,٠٠٠	٥٥,٤	٦٨٦,٠٠٠	٥,٣
٥٥-٧٥	١٥٦,٠٠٠	١,٢	٤,٠٨١,٠٠٠	٣١,٤
٧٥-٩٥	١,٠٠٠	٠,٠	١,٠٠٠	٠,٠

المصدر: Sergio DellaPergola, «Arthur Ruppin Revisited: The Jews of To-day, 1904-1994,» paper presented at: *International Conference on National and Cultural Variahions in Jewish Identity and Their Implications for Jewish Education* (Jerusalem: Melton Center for Jewish Education in the Diaspara, the Hebrew University, 1994).

الجدول رقم (٦)
تركيبة أعمار السكان اليهود ١٩٣٩ ـ ١٩٩٣

الدولة	السنة	٠-١٤	١٥-٢٩	٣٠-٤٤	٤٥-٦٤	٦٥+	المجموع الكلي
كل العالم	**١٩٣٩**	**٢٩,٨**	**٢٨,٧**	**١٩,٦**	**١٦,٤**	**٥,٤**	**١٠٠,٠**
رومانيا	١٩٧٩	٥,٠	١٠,٧	١٠,٠	٣٤,٢	٤٠,١	١٠٠,٠
الاتحاد السوفياتي	١٩٨٩	١١,٦	١٣,٠	٢٠,٢	٣١,٦	٢٣,٦	١٠٠,٠
ألمانيا	١٩٩٤	١٣,١	١٥,٦	٢٢,٢	٢٥,٦	٢٣,٥	١٠٠,٠
ايطاليا	١٩٨٦	١٤,٠	٢٣,٣	١٨,٢	٢٥,٨	١٨,٧	١٠٠,٠
بريطانيا	١٩٨٦	١٦,٩	١٨,٩	١٨,٧	٢١,٦	٢٣,٩	١٠٠,٠
فرنسا	١٩٩٠	١٧,٢	١٨,٦	٢٦,٠	٢٣,٠	١٥,٢	١٠٠,٠
الأرجنتين	١٩٨٨	١٧,٥	١٨,٤	١٨,٠	٢٤,٩	٢١,٢	١٠٠,٠
جنوب أفريقيا	١٩٩١	١٨,٦	٢٢,٥	٢٢,٠	٢١,٠	١٥,٨	١٠٠,٠

يتبـــع

تابـــع

الولايات المتحدة	١٩٩٠	١٨,٩	١٨,٨	٢٥,٥	١٩,٤	١٧,٤	١٠٠,٠
استراليا	١٩٨٦	١٩,٢	١٨,١	٢٣,٦	٢٠,٢	١٨,٩	١٠٠,٠
البرازيل	١٩٨٠	١٩,٨	٢٣,٥	١٩,١	٢٣,٣	١٤,٣	١٠٠,٠
سويسرا	١٩٩٠	٢٠,٢	١٦,٢	٢١,٠	٢٠,٦	٢٢,٠	١٠٠,٠
كندا	١٩٩١	٢١,٠	١٨,٨	٢٣,٨	١٩,١	١٧,٣	١٠٠,٠
المكسيك	١٩٩١	٢٤,٤	٢٦,٨	١٩,٩	٢١,٦	٧,٤	١٠٠,٠
إيران	١٩٧٦	٢٩,٦	٢٨,٥	١٩,٥	١٦,٦	٥,٨	١٠٠,٠
أثيوبيا	١٩٩١	٥٠,٧	١٩,٨	١٣,٢	١١,٥	٤,٨	١٠٠,٠
المهجر/ الشتات	١٩٩٣	١٦,٩	١٧,٧	٢٣,٦	٢٢,٣	١٩,٥	١٠٠,٠
إسرائيل	١٩٩٣	٢٧,٧	٢٣,٩	٢٠,٧	١٦,٨	١٠,٩	١٠٠,٠
كل العالم	١٩٩٣	٢٠,٥	١٩,٨	٢٢,٦	٢٠,٥	١٦,٦	١٠٠,٠

الجدول رقم (٧)
تصنيف السكان اليهود وفق أنماط التعبير الأساس عن الهوية بداية التسعينيات (تقديرات خام)

نوع التعبير عن الهوية	إسرائيل	مهاجر الشتات	المجموع الكلي	النسبة في إسرائيل
أرقام مطلقة (آلاف)				
المجموع الكلي	٤,٣٠٠	٨,٦٠٠	١٢,٩٠٠	
ديني	١,٠٠٠	١,٠٠٠	٢,٠٠٠	
إثني/ جوالي	٢,٧٠٠	٣,٢٠٠	٥,٩٠٠	
أثر ثقافي	٥٠٠	٣,٦٠٠	٤,١٠٠	
معدوم أو مختلط	١٠٠	٨٠٠	٩٠٠	
نسبة مئوية				
المجموع الكلي (بالمئة)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٣٣,٣
ديني	٢٣,٣	١١,٦	١٥,٥	٥٠,٠
إثني/ جوالي	٦٢,٨	٣٧,٢	٤٥,٧	٤٥,٨
أثر ثقافي	١١,٦	٤١,٩	٣١,٨	١٢,٢
معدوم أو مختلط	٢,٣	٩,٣	٧,٠	١١,١

المصدر: المصدر نفسه.

١٨٨٣ - ٦

الجدول رقم (٨)
فرضيات لسيناريوات تطور السكان اليهود في مهاجر الشتات وفي إسرائيل في الفترة من العام ١٩٩٣ إلى العام ٢٠٢٠

المتغير والسنة		مهاجر الشتات		إسرائيل	
		سيناريو أعلى	سيناريو أدنى	سيناريو أعلى	سيناريو أدنى
متوسط الأعمار في العمر صفر					
رجال	١٩٩٣-١٩٩٨	٧٥,٨	٧٥,٨	٧٥,٨	٧٥,٨
	٢٠١٨-٢٠٢٠	٧٧,٢	٧٧,٢	٧٧,٢	٧٧,٢
نساء	١٩٩٣-١٩٩٨	٧٩,٩	٧٩,٩	٧٩,٩	٧٩,٩
	٢٠١٨-٢٠٢٠	٨٢,١	٨٢,١	٨٢,١	٨٢,١
نسبة الخصوبة اليهودية العامة (عدد الأطفال المتوقع في الظروف القائمة)					
١٩٩٣-١٩٩٨		١,٦	١,١	٢,٦	٢,٦
٢٠١٨-٢٠٢٠		١,٦	١,١	٢,٦	٢,١
ميزان الهجرة الصافي السنوي					
١٩٩٣-١٩٩٨		صفر	-٣٢,٠٠٠	+٣٢,٠٠٠	صفر
٢٠١٨-٢٠٢٠		صفر	-٣٢,٠٠٠	+٣٢,٠٠٠	صفر

الجدول رقم (٩)
سيناريوات تطور السكان اليهود في مهاجر الشتات في الفترة من ١٩٩٣ وحتى ٢٠٢٠ (أرقام مطلقة (بالآلاف) ـ نموذج ملحق)

السنة	سيناريو (أ): اندماج مستقر مع هجرة	سيناريو (ب): اندماج شديد مع هجرة	سيناريو (ج): اندماج مستقر دون هجرة	سيناريو (د): اندماج شديد دود هجرة
١٩٩٣	٨,٦٨٢	٨,٦٨٢	٨,٦٨٢	٨,٦٨٢
٢٠٠٠	٨,٢٦٢	٨,٠٤١	٨,٤٩٦	٨,٢٧٢
٢٠١٠	٧,٦٠٥	٧,٢٠٠	٨,١٨٢	٧,٧٥٩
٢٠٢٠	٦,٩٥٨	٦,٣٤٠	٧,٨٨٧	٧,٢٢٠
٢٠٢٠ حسب العمر				
٠-١٤	٩٠٧	٥٨٣	١,٠٩٣	٧٣١
١٥-٢٩	١,٠٨٧	٧٩٣	١,٢٨٩	٩٨٤
٣٠-٤٤	١,١٧٥	١,١٧٥	١,٣٧٤	١,٣٧٤
٤٥-٦٤	٢,٠٢٩	٢,٠٢٩	٢,٢٣٠	٢,٢٣٠

يتبـــع

تابــع

+٦٥	١,٧٦٠	١,٧٦٠	١,٩٠١	١,٩٠١
٢٠٢٠ بالنسب المئوية				
٠-١٤	١٣,٠	٩,٢	١٣,٩	١٠,١
١٥-٢٩	١٥,٦	١٢,٥	١٦,٣	١٣,٦
٣٠-٤٤	١٦,٩	١٨,٥	١٧,٤	١٩,٠
٤٥-٦٤	٢٩,٢	٣٢,٠	٢٨,٣	٣٠,٩
+٦٥	٢٥,٣	٢٧,٨	٢٤,١	٢٦,٣
المجموع الكلي	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠

الجدول رقم (١٠)
سيناريوات تطور السكان اليهود في اسرائيل
في الفترة من ١٩٩٣ إلى ٢٠٢٠ أرقام مطلقة (بالآلاف)

السنة	سيناريو (أ): خصوبة مستقرة مع هجرة	سيناريو (ب): خصوبة منخفضة مع هجرة	سيناريو (ج): خصوبة مستقرة دون هجرة	سيناريو (د): خصوبة منخفضة دون هجرة
١٩٩٣	٤,٢٨٩	٤,٢٨٩	٤,٢٨٩	٤,٢٨٩
٢٠٠٠	٤,٨٨٢	٤,٨٧٠	٤,٦٤٢	٤,٦٣١
٢٠١٠	٥,٨٣٧	٥,٧٥٤	٥,٢٢٣	٥,١٤٦
٢٠٢٠	٦,٨٦٣	٦,٦٣٢	٥,٨٤٠	٥,٦٣٤
٢٠٢٠ حسب العمر				
٠-١٤	١,٧٢٦	١,٥٣٤	١,٤٦٣	١,٢٩٤
١٥-٢٩	١,٤٧٤	١,٤٣٥	١,٢٥٣	١,٢١٦
٣٠-٤٤	١,٣٦٤	١,٣٦٤	١,١٦٥	١,١٦٥
٤٥-٦٤	١,٣٩٥	١,٣٩٥	١,١٩٥	١,١٩٥
+٦٥	٩٠٤	٩٠٤	٧٦٤	٧٦٤
٢٠٢٠ بالنسب المئوية				
٠-١٤	٢٥,١	٢٣,١	٢٥,٠	٢٣,٠
١٥-٢٩	٢١,٥	٢١,٧	٢١,٥	٢١,٦
٣٠-٤٤	١٩,٩	٢٠,٦	١٩,٩	٢٠,٧
٤٥-٦٤	٢٠,٣	٢١,٠	٢٠,٥	٢١,٢
+٦٥	١٣,٢	١٣,٦	١٣,١	١٣,٥
المجموع الكلي	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠

الجدول رقم (١١)
سيناريوات تطور السكان اليهود في العالم ١٩٩٣-٢٠٢٠
أرقام مطلقة (آلاف) والنسبة المئوية في إسرائيل

سيناريوات		السنــــة		
إسرائيل	مهاجر الشتات	٢٠٠٠	٢٠١٠	٢٠٢٠
عدد				
دون هجرة				
ج	ج	١٣,١٣٨	١٣,٤٠٥	١٣,٧٢٧
د	ج	١٣,١٢٧	١٣,٣٢٨	١٣,٥٢١
ج	د	١٢,٩١٤	١٢,٩٨٢	١٣,٠٦٠
د	د	١٢,٩٠٣	١٢,٩٠٥	١٢,٨٥٤
مع هجرة				
أ	أ	١٣,١٤٤	١٣,٤٤٢	١٣,٨٢١
ب	أ	١٣,١٣٢	١٣,٣٥٩	١٣,٥٩٠
أ	ب	١٢,٩٢٣	١٣,٠٣٧	١٣,٢٠٣
ب	ب	١٢,٩١١	١٢,٩٥٤	١٢,٩٧٢
متوسط	متوسط	١٣,٠٢٤	١٣,١٧٦	١٣,٣٤٣
بالمئة في اسرائيل				
دون هجرة				
ج	ج	٣٥,٣	٣٩,٠	٤٢,٥
د	ج	٣٥,٣	٣٨,٦	٤١,٧
ج	د	٣٥,٩	٤٠,٢	٤٤,٧
د	د	٣٥,٩	٣٩,٩	٤٣,٨
مع هجرة				
أ	أ	٣٧,١	٤٣,٤	٤٩,٧
ب	أ	٣٧,١	٤٣,١	٤٨,٨
أ	ب	٣٧,٨	٤٤,٨	٥٢,٠
ب	ب	٣٧,٧	٤٤,٤	٥١,١
متوسط	متوسط	٣٦,٥	٤١,٧	٤٦,٨

١٨٨٦ - ٦

الجدول رقم (١٢)
سيناريوات تطور السكان اليهود في المهجر/ الشتات وفي إسرائيل ١٩٩٣-٢٠٢٠ ـ عنصر تغيير (بالآلاف)(*)

السنة	مكوّن	سيناريو (أ)	سيناريو (ب)	سيناريو (ج)	سيناريو (د)
مهاجر الشتات					
١٩٩٣-٢٠٠٠	ميزان هجرة	-٢٢٤	-٢٢٤	صفر	صفر
	باقي التغيير	-١٩٦	-٤١٧	-١٤٦	-٤١٠
٢٠٠٠-٢٠١٠	ميزان هجرة	-٣٢٠	-٣٢٠	صفر	صفر
	باقي التغيير	-٣٣٧	-٥٢١	-٣١٤	-٥١٣
٢٠١٠-٢٠٢٠	ميزان هجرة	-٣٢٠	-٣٢٠	صفر	صفر
	باقي التغيير	-٣٢٧	-٥٤٠	-٢٩٥	-٥٣٩
إسرائيل					
١٩٩٣-٢٠٠٠	ميزان هجرة	+٢٢٤	+٢٢٤	صفر	صفر
	باقي التغيير	+٣٦٩	+٣٥٧	+٣٥٣	+٣٤٢
٢٠٠٠-٢٠١٠	ميزان هجرة	+٣٢٠	+٣٢٠	صفر	صفر
	باقي التغيير	+٦٣٥	+٥٦٤	+٥٨١	+٥١٥
٢٠١٠-٢٠٢٠	ميزان هجرة	+٣٢٠	+٣٢٠	صفر	صفر
	باقي التغيير	+٧٠٦	+٥٥٨	+٦١٧	+٤٨٨

ملاحظة:

(*) انظر فرضيات السيناريوات المختلفة في الجداول أرقام (٨)؛ (٩)، و(١٠)، ص ٤٥٢-٤٥٣ من هذا الكتاب، باقي التغيير يشمل المجموع الكلي لميزان الحركة الطبيعية وميزان تغييرات الهوية الدينية/ القومية.

الجدول رقم (١٣)
تحويـلات من جانـب واحـد من يهـود مهاجـر الشتـات إلى إسرائيـل (صناديق جباية + مؤسسات لا تبغي الربح) بدولارات جارية وثابتة (بقيمة الدولار في العام ١٩٥٥) (بملايين الدولارات الأمريكية)

السنة	I التبرع بدولارات جارية	II تبرع بدولارات ثابتة	III مقياس تبرعات حقيقية ١٩٥٥=١٠٠	IV تغيير حقيقي بالنسب المئوية مقارنة بالسنة السابقة
١٩٥٥	٥٣	٥٣	١٠٠	-
١٩٥٦	٩٣	٩١	١٧٢	٧٢
١٩٥٧	٨٠	٧٦	١٤٣	١٦-
١٩٥٨	٧٥	٧٠	١٣٢	٨-
١٩٥٩	٦٥	٥٩	١١١	١٦-
١٩٦٠	٨٧	٧٧	١٤٥	٣١
١٩٦١	٩٢	٨٠	١٥١	٤
١٩٦٢	٨٤	٧٢	١٣٥	١٠-
١٩٦٣	٨٤	٧١	١٣٤	١-
١٩٦٤	٩٦	٧٩	١٤٩	١١
١٩٦٥	١٠٧	٨٦	١٦٢	٩
١٩٦٦	٩٧	٧٥	١٤٢	١٣
١٩٦٧	٣٢٥	٢٤٦	٤٦٤	٢٢٨
١٩٦٨	١٦٥	١١٩	٢٢٥	٥٢-
١٩٦٩	١٨١	١٢٤	٢٣٤	٤
١٩٧٠	٢٩٠	١٨٨	٣٥٥	٥٢
١٩٧١	٢٣١	١٤٢	٢٦٨	٢٤-
١٩٧٢	٣١٠	١٨١	٣٤٢	٢٧
١٩٧٣	٧٤٢	٤٠٨	٧٧٠	١٢٥
١٩٧٤	٣٧٩	١٩١	٣٦٠	٥٣-
١٩٧٥	٥١٠	٢٣٤	٤٤٢	٢٣
١٩٧٦	٥٤١	٢٣٣	٤٤٠	٤-
١٩٧٧	٤٧٥	١٨٨	٣٥٥	١٩-

يتبــع

١٨٨٨ - ٦

تابـع

١٩٧٨	٤٢٤	١٦٠	٣٠٢	١٥-
١٩٧٩	٤٥٣	١٥٧	٢٩٦	٢-
١٩٨٠	٤٥٠	١٤٣	٢٧٠	٩-
١٩٨١	٧٠٨	٢٠٥	٣٨٧	٤٣
١٩٨٢	٥٢٨	١٤٤	٢٧٢	٢٨-
١٩٨٣	٥١٤	١٣٥	٢٥٥	-٦
١٩٨٤	٥١٨	١٣٠	٢٤٥	-٤
١٩٨٥	٥٦٨	١٣٨	٢٦٠	٦
١٩٨٦	٥٩٧	١٤٢	٢٦٩	٣
١٩٨٧	٦٠٤	١٤٠	٢٦٤	-١
١٩٨٨	٦٤٧	١٤٤	٢٧٢	٣
١٩٨٩	٧٦٢	١٦٣	٣٠٨	١٣
١٩٩٠	٩٨١	٢٠١	٣٧٩	٢٣
١٩٩١	١٠٠٦	١٩٨	٣٧٤	-١
١٩٩٢	١٠٧١	٢٠٥	٣٨٧	٤
١٩٩٣	١٠٩٧	٢٠٦	٣٨٩	٠,٥

الجدول رقم (١٤)
تحويلات من جانب واحد من يهود مهاجر الشتات إلى إسرائيل وفقاً لفترات فرعية

السلسلة	I الفترة	II متوسط للسلسلة بملايين الدولارات بقيمة عام ١٩٥٥	III انحراف المقياس للسلسلة	III/II = VI انحراف المقياس/ متوسط
كل السلسلة	١٩٥٥-١٩٩٣	١٤٧,٥	٦٨	٠,٤٥٥
السلسلة (أ)	١٩٥٥-١٩٦٦	٧٤	١٠,٥	٠,١٤٢
السلسلة (ب)	١٩٦٧-١٩٧٧	٢١٤	٩٠,١	٠,٤٢١
السلسلة (ج)	١٩٧٨-١٩٩٣	١٦٣	٢٩,١	٠,١٧٨

الجدول رقم (١٥)
وزن تبرعات يهود مهاجر الشتات في مداخيل بالدولار لإسرائيل، التبرعات كنسبة في المداخيل الدولارية في الأعوام ١٩٥٥-١٩٩٤

السنة	النسبة
١٩٥٥	١٤,٨
١٩٥٦	٢٢,١
١٩٥٧	١٧,١
١٩٥٨	١٥,٠
١٩٥٩	١٢,٥
١٩٦٠	١٣,٠
١٩٦١	١١,٩
١٩٦٢	١٠,٠
١٩٦٣	٨,٨
١٩٦٤	٩,٥
١٩٦٥	٩,٨
١٩٦٦	٨,٣
١٩٦٧	٢٢,١
١٩٦٨	١٠,١
١٩٦٩	١٠,٤
١٩٧٠	١٤,٤
١٩٧١	٩,٠
١٩٧٢	٩,٧
١٩٧٣	١٥,٣
١٩٧٤	٧,٢
١٩٧٥	٩,٥
١٩٧٦	٨,٣
١٩٧٧	٦,٥
١٩٧٨	٥,٠
١٩٧٩	٤,١
١٩٨٠	٣,٤
١٩٨١	٥,٢
١٩٨٢	٤,٠
١٩٨٣	٤,٠
١٩٨٤	٣,٧
١٩٨٥	٣,٨

يتبـع

تابــع

١٩٨٦	٣,٥
١٩٨٧	٣,٢
١٩٨٨	٣,١
١٩٨٩	٣,٤
١٩٩٠	٤,٠
١٩٩١	٣,٩
١٩٩٢	٣,٨
١٩٩٣	٣,٧
١٩٩٤	٣,٥

الجدول رقم (١٦)
«مؤشر الجهود» ـ تبرعات يهود مهاجر الشتات لإسرائيل كجزء من الناتج المحلي الخام للولايات المتحدة للأعوام ١٩٥٥-١٩٩٣ بوحدات (١/ ١٠٠,٠٠٠)

السنــة	النسبـة المئويــة
١٩٥٥	١٣,٣
١٩٥٦	٢٢,٢
١٩٥٧	١٨,١
١٩٥٨	١٦,٩
١٩٥٩	١٣,٥
١٩٦٠	١٦,٩
١٩٦١	١٧,٧
١٩٦٢	١٤,٦
١٩٦٣	١٣,٨
١٩٦٤	١٤,٨
١٩٦٥	١٥,٢
١٩٦٦	١٢,٦
١٩٦٧	٣٩,٨
١٩٦٨	١٨,٥

يتبــع

تابع

١٩٦٩	١٨,٨
١٩٧٠	٢٨,٥
١٩٧١	٢٠,٩
١٩٧٢	٢٥,٦
١٩٧٣	٤٤,٧
١٩٧٤	٢٥,٧
١٩٧٥	٣١,٩
١٩٧٦	٣٠,٣
١٩٧٧	٢٣,٩
١٩٧٨	١٨,٨
١٩٧٩	١٨,١
١٩٨٠	١٦,٥
١٩٨١	٢٣,٢
١٩٨٢	١٦,٧
١٩٨٣	١٥,١
١٩٨٤	١٣,٧
١٩٨٥	١٤,٢
١٩٨٦	١٤,١
١٩٨٧	١٣,٣
١٩٨٨	١٣,٢
١٩٨٩	١٤,٥
١٩٩٠	١٧,٨
١٩٩١	١٧,٦
١٩٩٢	١٧,٨
١٩٩٣	١٧,٣

الجدول رقم (١٧)
توزع تبرعات يهود مهاجر الشتات لإسرائيل بين المؤسسات القومية والمؤسسات التي لا تبتغي الربح ١٩٦٢-١٩٩٤ (بنسب مئوية)

السنة	المؤسسات القومية	المؤسسات التي لا تبتغي الربح	المجموع الكلي
١٩٦٢	٥٦,٠	٤٤,٠	١٠٠
١٩٦٣	٥٣,٦	٤٦,٤	١٠٠
١٩٦٤	٥٨,٣	٤١,٧	١٠٠
١٩٦٥	٥٧,٩	٤٢,١	١٠٠
١٩٦٦	٥٣,٦	٤٦,٤	١٠٠
١٩٦٧	٨٥,٥	١٤,٥	١٠٠
١٩٦٨	٦٧,٣	٣٢,٧	١٠٠
١٩٦٩	٦٨,٠	٣٢,٠	١٠٠
١٩٧٠	٧٦,٩	٢٣,١	١٠٠
١٩٧١	٦٧,٥	٣٢,٥	١٠٠
١٩٧٢	٦٧,٤	٣٢,٦	١٠٠
١٩٧٣	٨١,١	١٨,١	١٠٠
١٩٧٤	٧١,٠	٢٩,٠	١٠٠
١٩٧٥	٧٨,٠	٢٢,٠	١٠٠
١٩٧٦	٧٧,٣	٢٢,٧	١٠٠
١٩٧٧	٧٢,٠	٢٨,٠	١٠٠
١٩٧٨	٧٤,٣	٢٥,٧	١٠٠
١٩٧٩	٦٩,٥	٣٠,٥	١٠٠
١٩٨٠	٧٥,٨	٢٤,٢	١٠٠
١٩٨١	٦٣,٠	٣٧,٠	١٠٠
١٩٨٢	٦٧,٢	٣٢,٨	١٠٠
١٩٨٣	٧٠,٨	٢٩,٢	١٠٠
١٩٨٤	٧٤,٧	٢٥,٣	١٠٠
١٩٨٥	٧٨,٢	٢١,٨	١٠٠
١٩٨٦	٦٨,٨	٣١,٢	١٠٠
١٩٨٧	٥٢,٠	٤٨,٠	١٠٠
١٩٨٨	٥٥,٥	٤٤,٥	١٠٠
١٩٨٩	٤٤,٥	٥٥,٥	١٠٠
١٩٩٠	٦٣,٦	٣٦,٤	١٠٠
١٩٩١	٥٩,٣	٤٠,٧	١٠٠
١٩٩٢	٥٣,١	٤٦,٩	١٠٠
١٩٩٣	٤٨,٠	٥٢,٠	١٠٠
١٩٩٤	٣٩,٥	٦٠,٥	١٠٠

الجدول رقم (١٨)
نسبة تبرعات يهود مهاجر الشتات لإسرائيل التي وجهت إلى المؤسسات القومية في الأعوام ١٩٦٣-١٩٩٣ (متوسطات متحركة لكل ثلاث سنوات)

السنة	النسبة
١٩٦٣	٥٦,٠
١٩٦٤	٥٦,٦
١٩٦٥	٥٥,٦
١٩٦٦	٦٥,٧
١٩٦٧	٦٨,٨
١٩٦٨	٧٣,٦
١٩٦٩	٧٠,٧
١٩٧٠	٧٠,٨
١٩٧١	٧٠,٦
١٩٧٢	٧٢,٢
١٩٧٣	٧٣,٤
١٩٧٤	٧٦,٩
١٩٧٥	٧٥,٤
١٩٧٦	٧٥,٨
١٩٧٧	٧٤,٥
١٩٧٨	٧١,٩
١٩٧٩	٧٣,٢
١٩٨٠	٦٩,٤
١٩٨١	٦٨,٧
١٩٨٢	٦٧,٠
١٩٨٣	٧٠,٩
١٩٨٤	٧٤,٦
١٩٨٥	٧٣,٩
١٩٨٦	٦٦,٣
١٩٨٧	٥٨,٨
١٩٨٨	٥٠,٧
١٩٨٩	٥٤,٥
١٩٩٠	٥٥,٨
١٩٩١	٥٨,٧
١٩٩٢	٥٣,٥
١٩٩٣	٤٦,٩

الجدول رقم (١٩)

عدد السائحين الوافدين إلى إسرائيل وتوزعهم حسب المناطق التي يأتون منها في الأعوام ١٩٥٥-١٩٩٣ (الأعمدة V-II بالنسب المئوية)

السنة	I المجموع الكلي للسواح الوافدين بالآلاف	II المجموعة (أ)[1]	III المجموعة (ب)[2]	VI المجموعة (ج)[3]	V المجموعة (د)[4]
١٩٥٥	٤٨,٢	٤٤,٨	٢٢,٤	١٤,٥	١٨,٣
١٩٦٠	١١٤,٠	٥٠,٧	٢٠,٢	١٥,٨	١٣,٤
١٩٧٠	٤١٩,١	٤٦,٤	٢١,٨	١٨,٠	١٣,٨
١٩٨٠	١,٠٦٥,٨	٢٨,٦	٢٥,٦	٣٥,١	١٠,٧
١٩٩٠	١,٠٦٣,٤	٢٧,٨	٢٣,٨	٣٤,٠	١٤,٤
١٩٩٣	١,٦٥٥,٦	٢٦,٤	٢١,٥	٣٧,٨	١٤,٣

ملاحظات:

(١) الولايات المتحدة، كندا، جنوب أفريقيا.

(٢) فرنسا، بريطانيا، بلجيكا.

(٣) بقية أقطار أوروبا.

(٤) بقية أنحاء العالم.

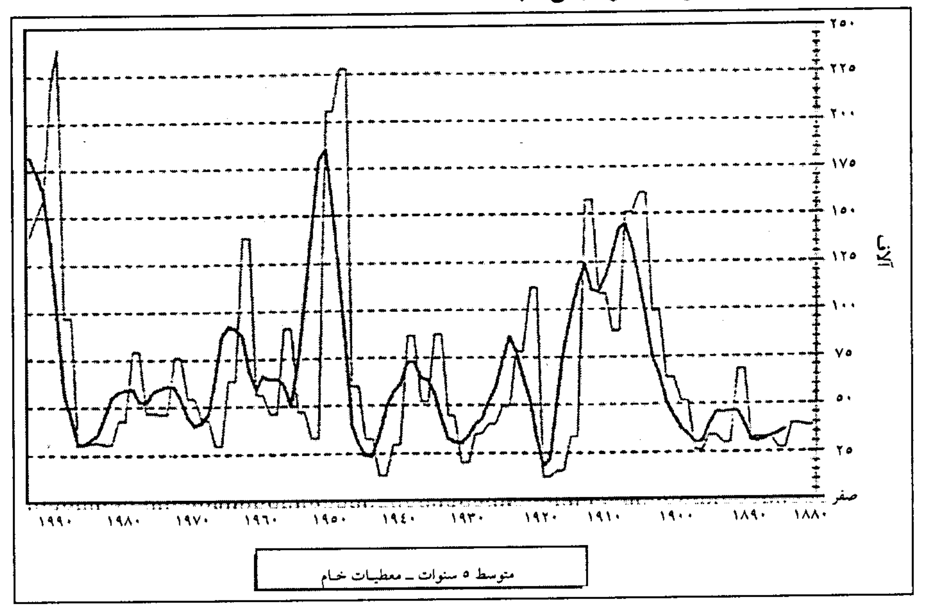
إن الصورة التي تظهر من أعمدة المجموعتين (أ) و(ب) معروضة في الرسم البياني رقم (٢٥)، ص ٤٧٩ من هذا الكتاب، حيث تمثل Data A تطور نسبة السواح من بلدان المجموعة (أ) في حين تعرض Data B التطور من المجموعة (ج).



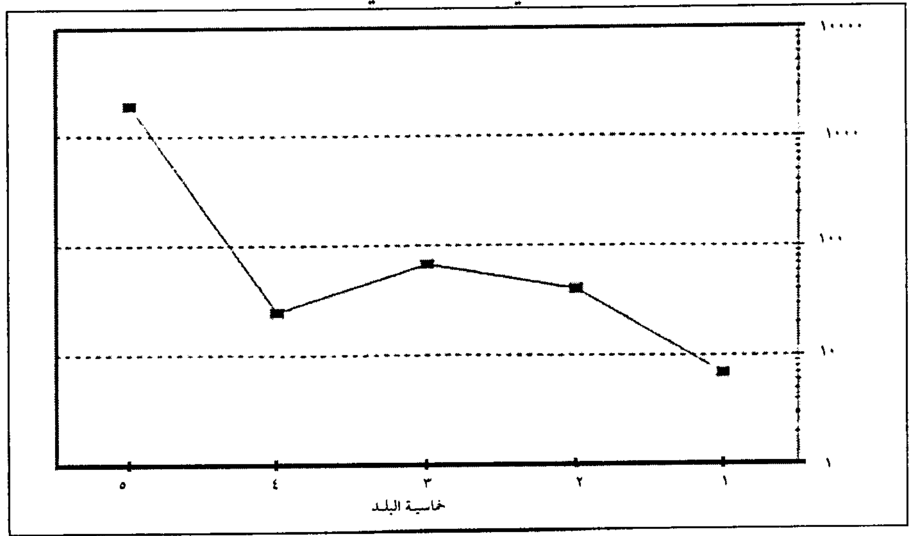
الرســـوم البيانيـــة



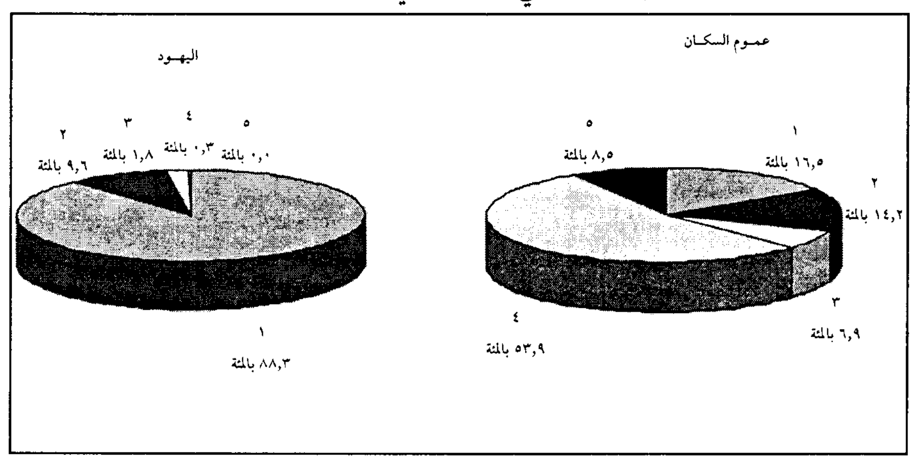
الرسم البياني رقم (١)
هجرة اليهود بين البلدان المختلفة ١٩٨٠ ـ ١٩٩٤



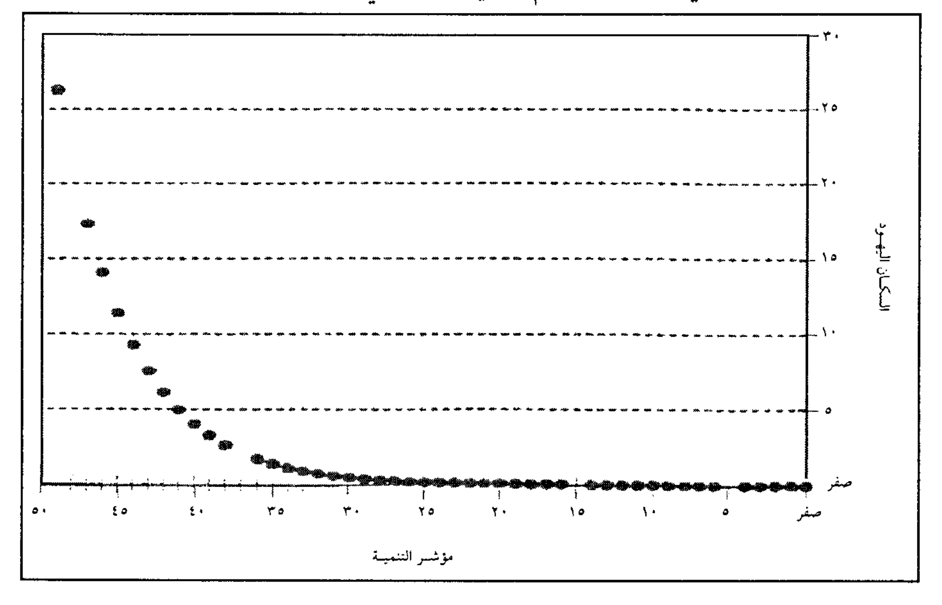
الرسم البياني رقم (٢)
النسبة بين عدد المهاجرين إلى إسرائيل وحجم السكان اليهود في أقطار المنشأ حسب درجات النمو الاجتماعي ـ الاقتصادي للدول (خماسيات) ـ ١٩٩٢



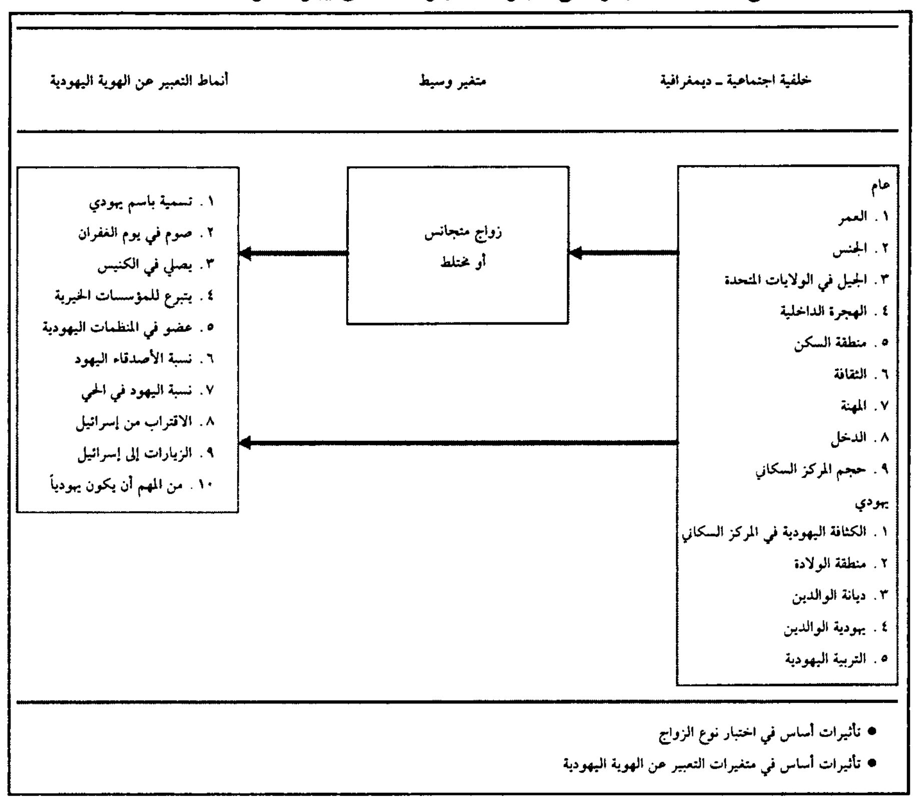
الرسم البياني رقم (٣)
انتشار عموم السكان واليهود في العالم
وفقاً لدرجات تطور اجتماعي ـ اقتصادي للدول (خماسيات) ـ ١٩٩٢



الرسم البياني رقم (٤)
تمثيل العلاقة بين حجم السكان اليهود وبين درجات التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي للدول (رسم بياني توضيحي) أواخر الثمانينيات



الرسم البياني رقم (٥)
علاقات السبب ـ النتيجة بين متغيرات اجتماعية ـ ديمغرافية، أو زواج متجانس أو مختلط ومقاييس مختلفة للتعبير عن الهوية اليهودية لدى يهود الولايات المتحدة ـ ١٩٩٠

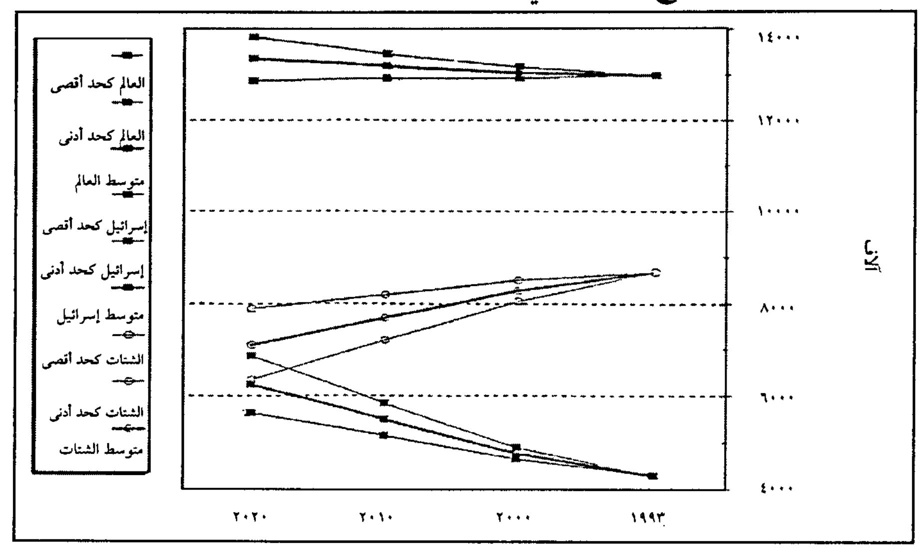


المصدر: U. Rebhun and Sergio DellaPergola, *Socio-Demographic Determinants of Intermarriage and Jewish Identification in the United States* (Jerusalem: Hebrew University, Institute of Contemporary Jewry, 1994).

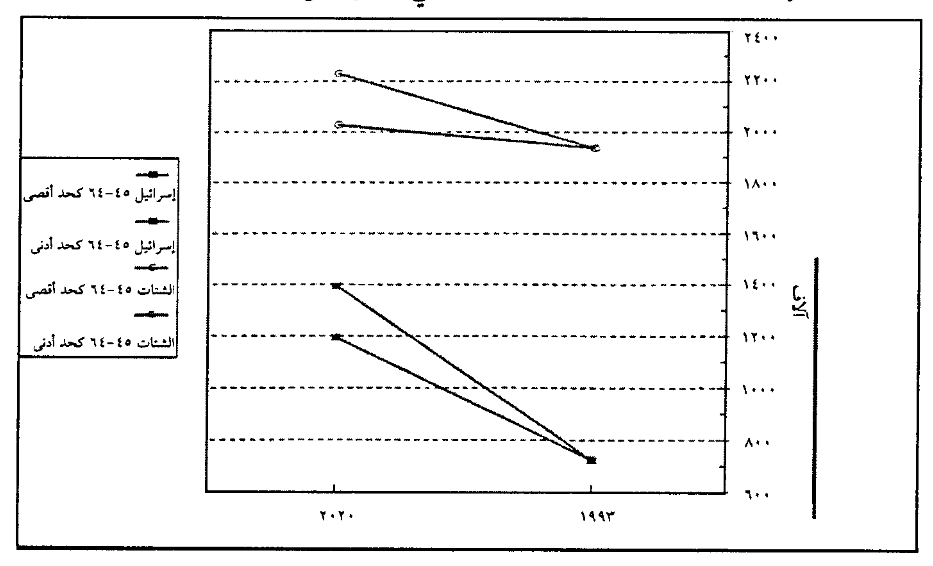
الرسم البياني رقم (٦)
تبدلات الأجيال في السكان اليهود: ولادة، وتربية، وزواج، وتضامن يهودي

١	(إذا) ولد الطفل	
٢	الطفل معروف منذ البداية باعتباره	يهودي .... غير يهودي
٣	الطفل مكشوف لأطر تربية رسمية وغير رسمية	يهودية .... غير يهودية
٤	بعد البلوغ مرحلة إنشاء العائلة	قائمة .... غير قائمة
٥	مع زوج/ زوجة	يهودي/ يهودية .... غير يهودي/ غير يهودية
٦	طفل لزوجين	وُلد .... لم يولد

الرسم البياني رقم (٧)
توقعات عدد السكان اليهود في العالـم، في مهاجـر الشتـات وفي إسرائيل : مجموع السكان في الفترة من ١٩٩٣ إلى ٢٠٢٠

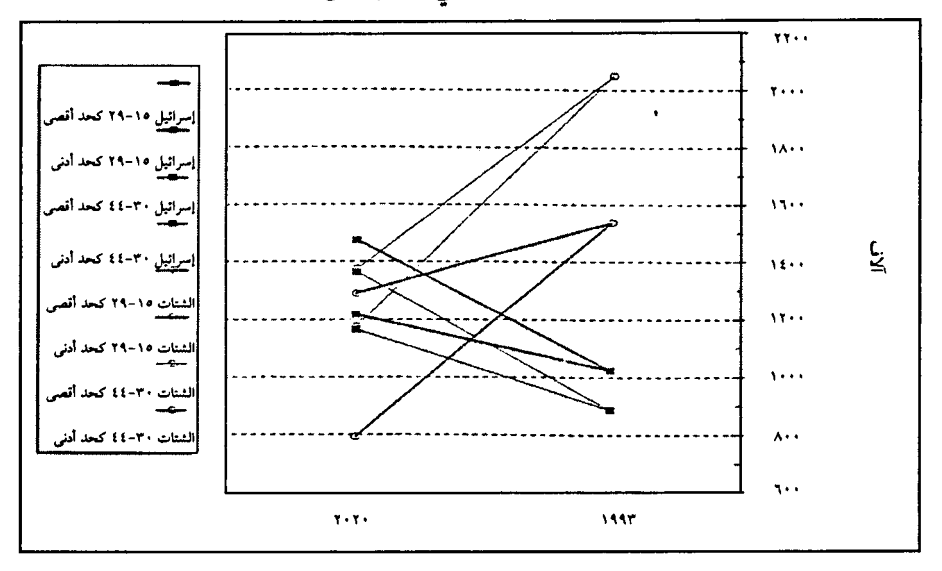


الرسم البياني رقم (٨)
توقعات عدد السكان اليهود في العالم في مهاجر الشتات وفي إسرائيل : مجموعات أعمار ١٤-١٠- +٦٥- في الفترة من ١٩٩٣ - ٢٠٢٠



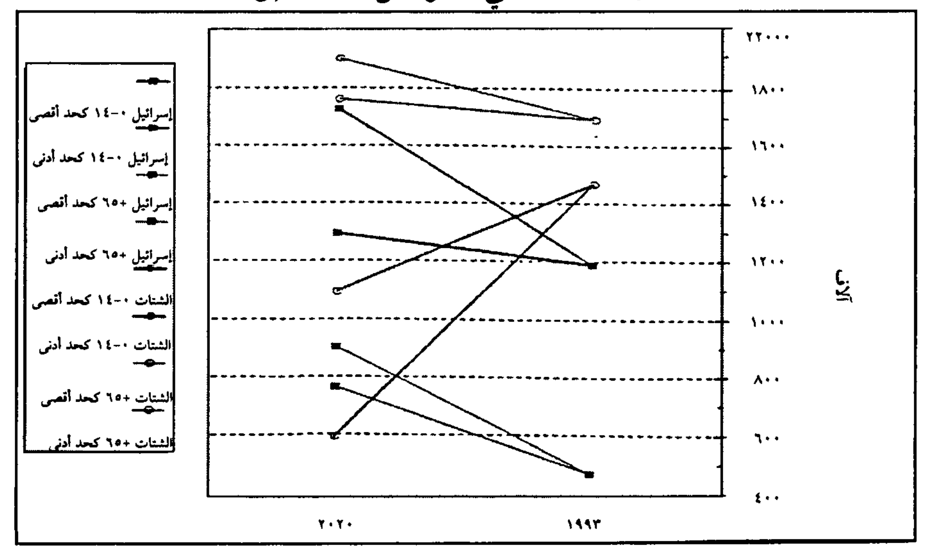
الرسم البياني رقم (٩)

توقعات عدد السكان اليهود في العالم، في مهاجر الشتات وفي إسرائيل : فئات أعمار ١٥-٢٩ و٣٠-٤٤ في الفترة من ١٩٩٣ إلى ٢٠٢٠



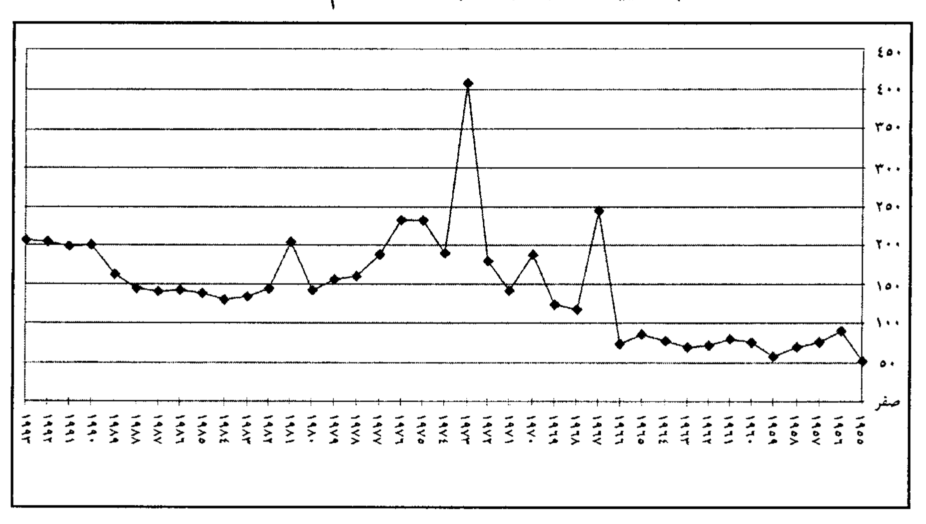
الرسم البياني رقم (١٠)

توقعات عدد السكان اليهود في العالم، في مهاجر الشتات وفي إسرائيل : فئات أعمار ٤٥- ٦٤ في الفترة من ١٩٩٣ إلى ٢٠٢٠



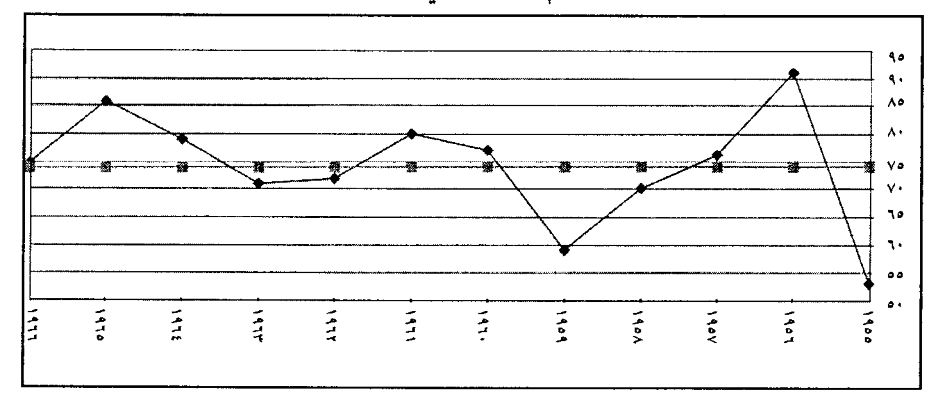
الرسم البياني رقم (١١)

تبرعات يهود مهاجر الشتات لإسرائيل في السنوات ١٩٥٥ ـ ١٩٩٣ بملايين الدولارات بأسعار العام ١٩٥٥

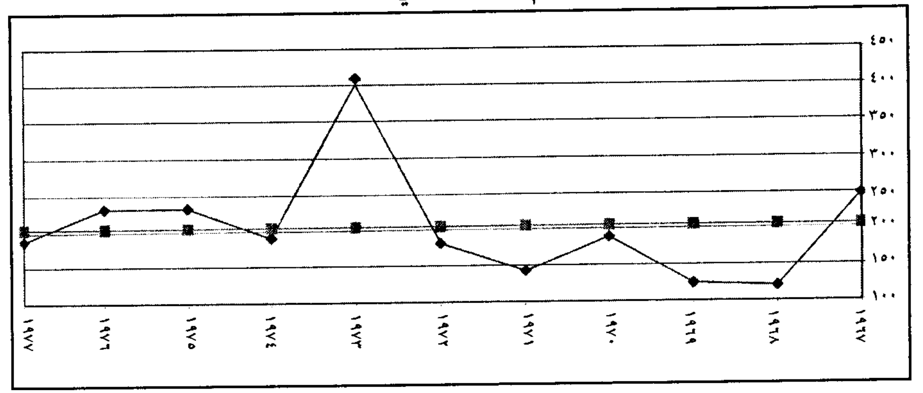


الرسم البياني رقم (١٢)

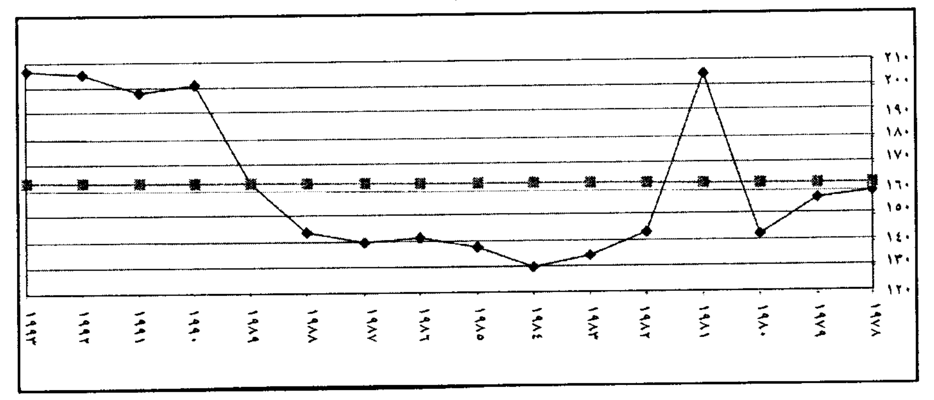
تبرعات سنوية ومتوسطة تبرع يهود مهاجر الشتات لإسرائيل بملايين الدولارات للعام ١٩٥٥ في السنوات ١٩٥٥ ـ ١٩٦٦



الرسم البياني رقم (١٣)
تبرعات سنوية ومتوسط تبرع يهود مهاجري الشتات لإسرائيل
بملايين الدولارات (للعام ١٩٥٥) في السنوات ١٩٦٧ ـ ١٩٧٧

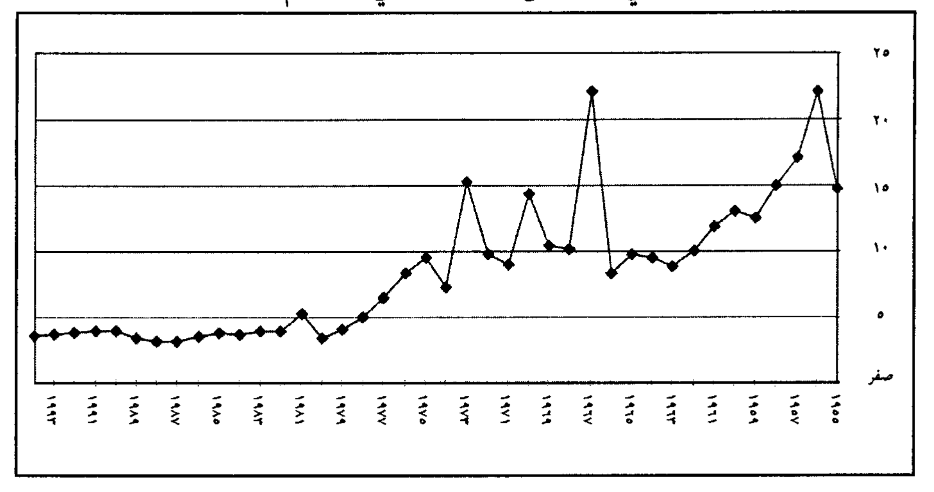


الرسم البياني رقم (١٤)
تبرعات سنوية ومتوسط تبرع يهود مهاجري الشتات لإسرائيل بملايين
الدولارات (للعام ١٩٥٥) في السنوات ١٩٧٨ ـ ١٩٩٣



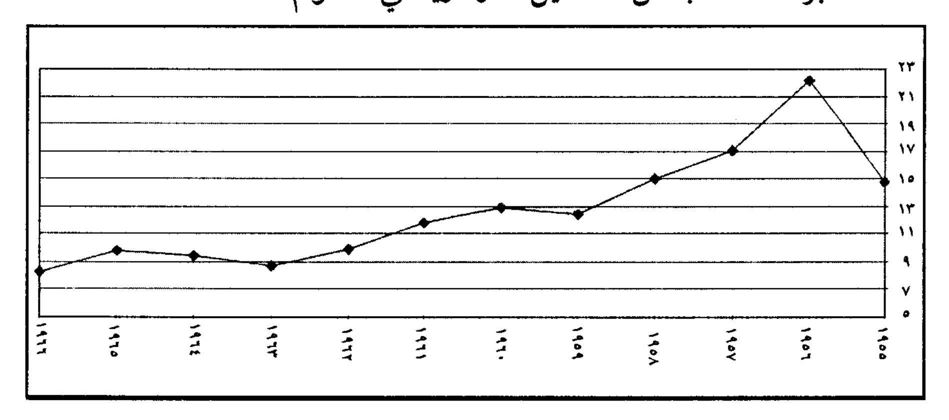
الرسم البياني رقم (١٥)

تبرعات يهود مهاجر الشتات في المداخيل بالدولار لإسرائيل، التبرعات كنسبة في المداخيل الدولارية في الأعوام ١٩٥٥ ـ ١٩٩٣

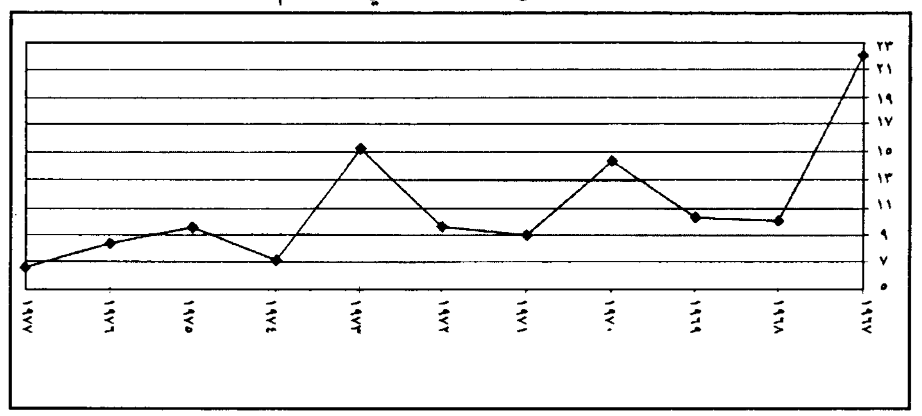


الرسم البياني رقم (١٦)

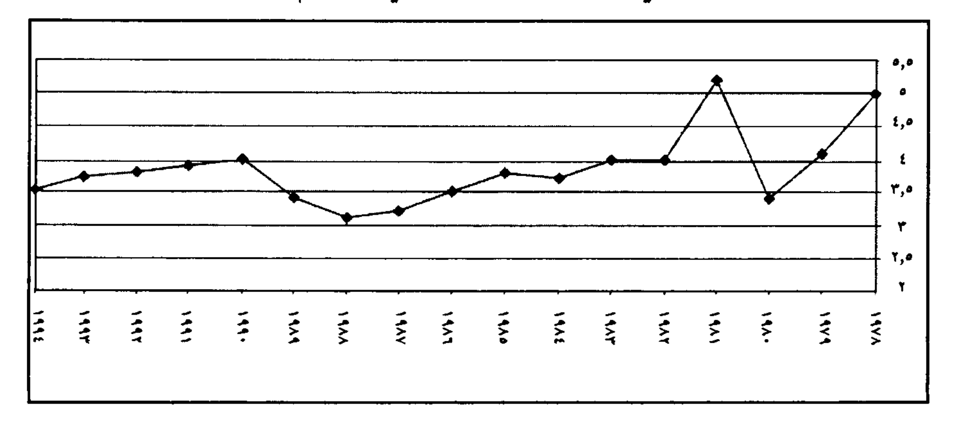
تبرعات يهود مهاجر الشتات في المداخيل بالدولار لإسرائيل، التبرعات كنسبة من المداخيل الدولارية في الأعوام ١٩٥٥ ـ ١٩٦٦



الرسم البياني رقم (١٧)
وزن تبرعات يهود مهاجر الشتات في المداخيل الدولارية لإسرائيل، التبرعات كنسبة من المداخيل الدولارية في الأعوام ١٩٦٧ ـ ١٩٧٧

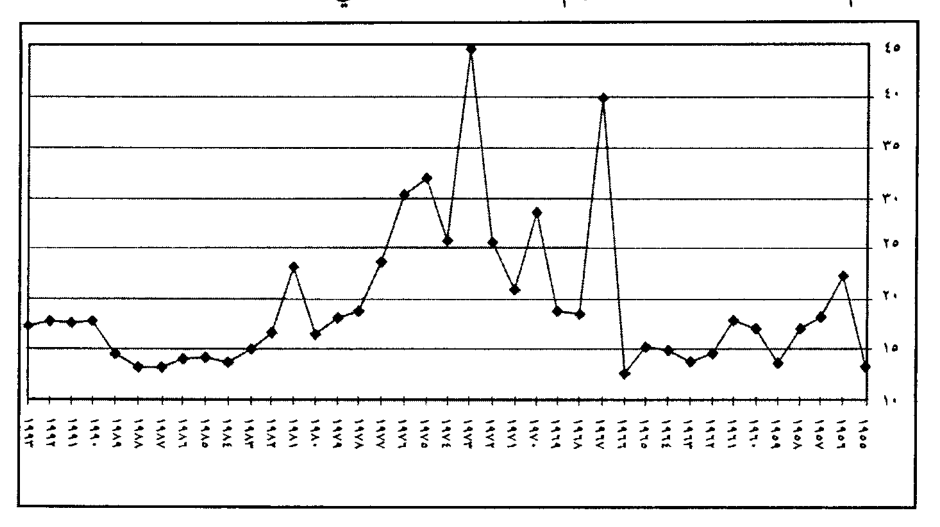


الرسم البياني رقم (١٨)
قيمة تبرعات يهود مهاجر الشتات في المداخيل الدولارية لإسرائيل، التبرعات كنسبة في المداخيل الدولارية في الأعوام ١٩٧٨ ـ ١٩٩٤



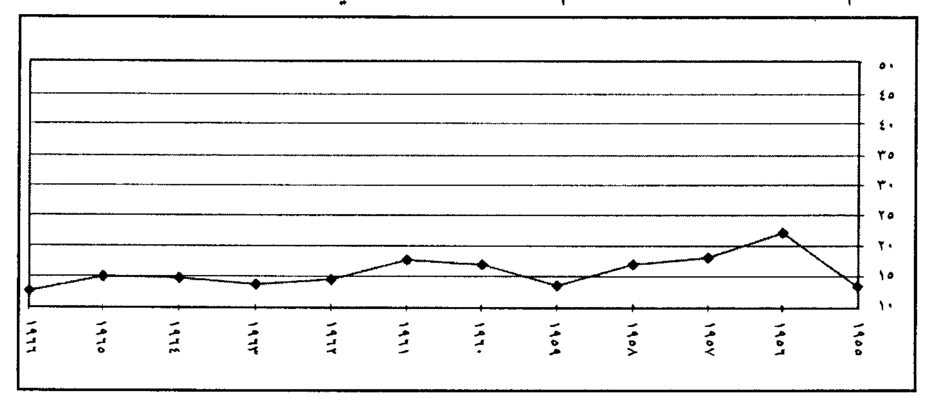
الرسم البياني رقم (١٩)

«مؤشر الجهود» ـ تبرعات يهود مهاجر الشتات لإسرائيل كجزء من الناتج المحلي الخام للولايات المتحدة للأعوام ١٩٥٥ ـ ١٩٩٣ في وحدات (١/ ١٠٠,٠٠٠)



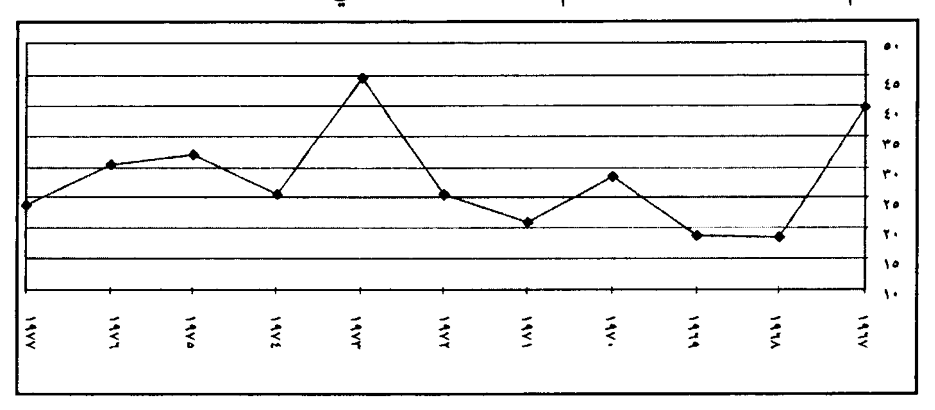
الرسم البياني رقم (٢٠)

«مؤشر الجهود» ـ تبرعات يهود مهاجر الشتات لإسرائيل كجزء من الناتج المحلي الخام للولايات المتحدة للأعوام ١٩٥٥ ـ ١٩٦٦ في وحدات (١/ ١٠٠,٠٠٠)



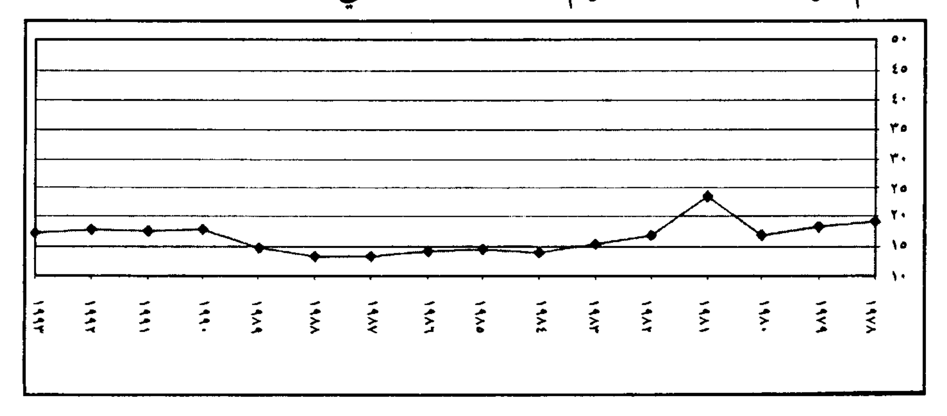
الرسم البياني رقم (٢١)

«مؤشر الجهود» ـ تبرعات يهود مهاجر الشتات لإسرائيل كجزء من الناتج المحلي الخام للولايات المتحدة للأعوام ١٩٦٧ ـ ١٩٧٧ في وحدات (١/ ١٠٠,٠٠٠)

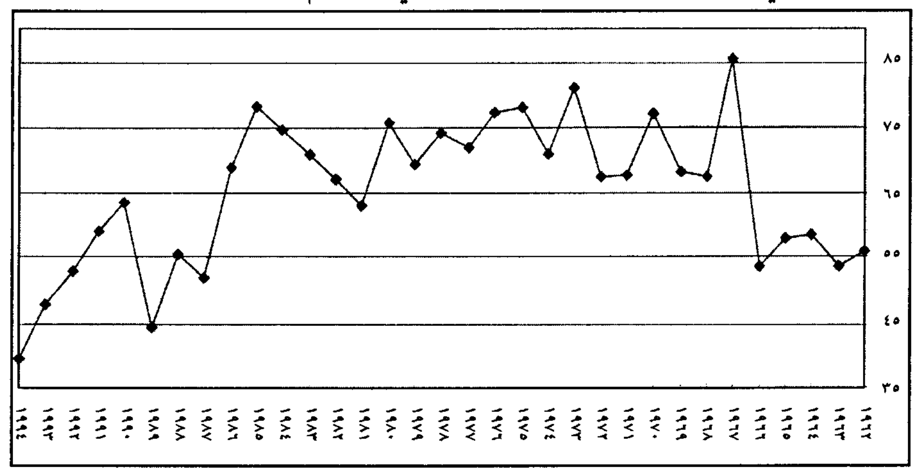


الرسم البياني رقم (٢٢)

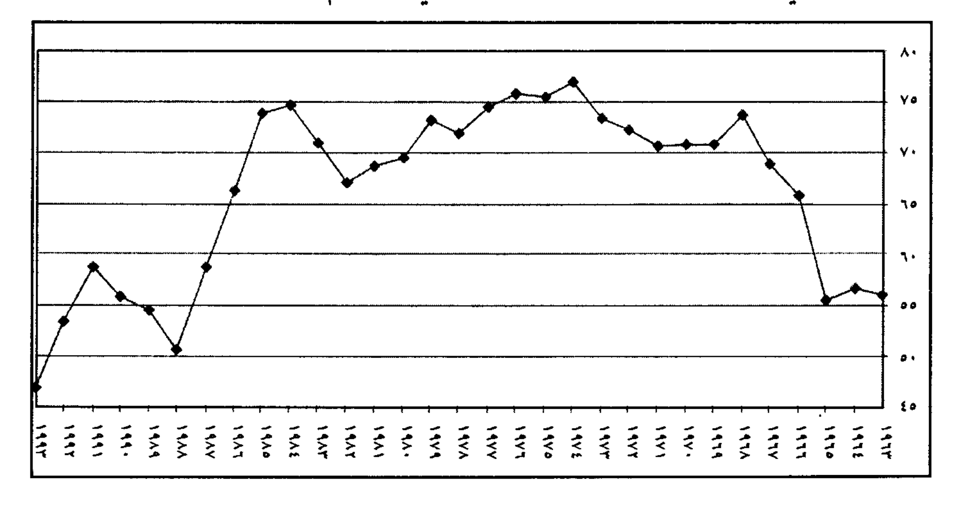
«مؤشر الجهود» ـ تبرعات يهود مهاجر الشتات لإسرائيل كجزء من الناتج المحلي الخام للولايات المتحدة للأعوام ١٩٧٨ ـ ١٩٩٣ في وحدات (١/ ١٠٠,٠٠٠)



الرسم البياني رقم (٢٣)
نسبة تبرعات يهود مهاجر الشتات لإسرائيل
التي حوّلت إلى المؤسسات القومية في الأعوام ١٩٦٢ ـ ١٩٩٤

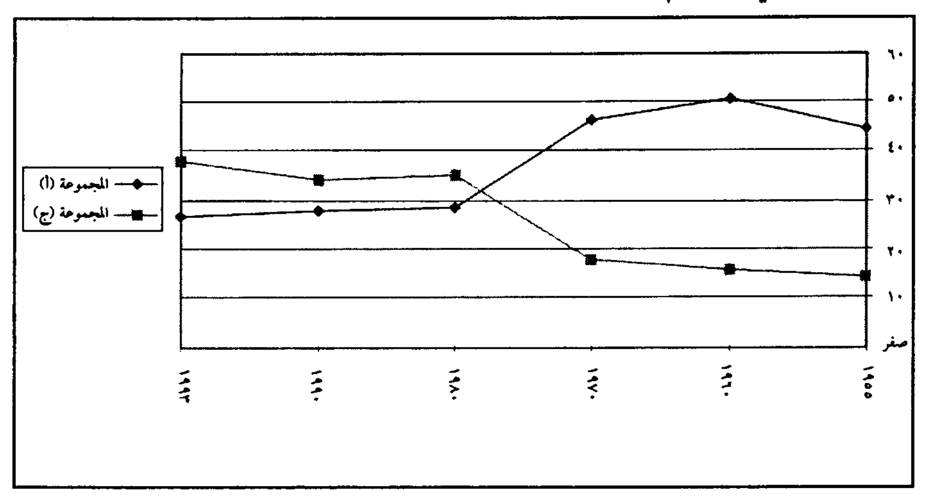


الرسم البياني رقم (٢٤)
نسبة تبرعات يهود مهاجر الشتات لإسرائيل
التي حوّلت إلى المؤسسات القومية في الأعوام ١٩٦٣ ـ ١٩٩٣



الرسم البياني رقم (٢٥)

نسبة السواح الوافدين إلى إسرائيل من أقطار المجموعة (أ) والمجموعة (ج) في الأعوام ١٩٥٥ ـ ١٩٩٣ (بنسب مئوية من ١٠٠ بالمئة)



الطاقم المعد

إعداد طاقم أبحاث وتخطيط برئاسة آدام مازور

أُعدَّ من أجل:

- ديوان رئيس الحكومة
- وزارة الداخلية
- وزارة البناء والإسكان
- إدارة أراضي إسرائيل
- الوكالة اليهودية
- وزارة المالية
- وزارة البيئة
- وزارة المواصلات
- وزارة الطاقة والبنية التحتية
- وزارة التربية والثقافة والرياضة
- وزارة الدفاع
- مفوضية المياه
- وزارة الزراعة

لجنة المتابعة:

- وزارة الداخلية
- وزارة البناء والإسكان
- إدارة أراضي إسرائيل
- الوكالة اليهودية
- وزارة المالية
- ديوان رئيس الحكومة
- وزارة البيئة
- وزارة المواصلات
- وزارة الطاقة والبنية التحتية
- وزارة المعارف والثقافة والرياضة
- وزارة الدفاع
- وزارة الزراعة
- سلطة المياه
- كلية الهندسة المعمارية وبناء المدن في معهد التخنيون
- نقابة المهندسين المعماريين ومخططي المدن



فهـــرس(*)

ـ أ ـ

(*) تم اعتماد الترقيم المتسلسل في المجلدات الستة الواقع إلى يسار الصفحة للإشارة إلى أرقام صفحات مصطلحات الفهرس في متن هذا الكتاب.

- ث -

- ج -

- ح -

- ش -

- ص -

- ط -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

ـ ك ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ

- و -

- ي -

هذا الكتاب

هذا الكتاب هو المجلد السادس من خطة لاستشراف مستقبل إسرائيل لربع قرن أعدّها ٢٥٠ خبيراً إسرائيلياً من مختلف المؤسسات الرسمية والأكاديمية في داخل إسرائيل، ومن بين الجاليات اليهودية في العالم.

وإسرائيل و«الشعب اليهودي» ـ عنوانُ هذا المجلد ـ يطرح هذا السيناريو للمرة الأولى، إذ إنه لم يظهر في المخططات السابقة لهذه الخطّة التفصيلية، وذلك لمركزية «مسألة الشعب اليهودي» ومدلولاتها بالنسبة إلى إسرائيل في سنوات الألفين ـ كما ورد في مقدّمة هذا المجلد. وهو يدرس إسرائيل على صعيد العلاقات المتبادلة بينها وبين المهجر/ الشتات، وتأثير هذه العلاقات في استعداداتها للعام ٢٠٢٠.

يتكوّن هذا السيناريو من أربعة أجزاء. **الأول** يعرض الخلفية لبناء سيناريو إسرائيل والشعب اليهودي، ويتضمّن نظرة إلى ماهية هذا السيناريو، ولعملية الدراسة التي قادت إلى بنائه. **والثاني** يعرض الفلسفات والنظريات المركزية ذات التأثير في الشعب اليهودي في القرن الحادي والعشرين، ويحلّل النطاق الديمغرافي ومقارنته بالنطاق المجالي ـ البيئي في المخطط الرئيس، ويستعرض القيم اليهودية والقدرات الاقتصادية مقدماً النماذج المتعلّقة بعلاقات إسرائيل بالمهاجر على امتداد الزمن. **والثالث** يبحث في العلاقات المتبادلة المستقبلية لإسرائيل والشعب اليهودي. أما **الرابع** فيعرض الوثائق الكاملة التي وضعها الخبراء في الموضوعات المختلفة ذات الصلة.

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور»، شارع ليون، ص. ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ ـ لبنان

تلفون: ٨٦٩١٦٤ ـ ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧

برقياً: «مرعربي» ـ بيروت

فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)

e-mail: info@caus.org.lb

Web site: http://www.caus.org.lb

الثمن: ١٤ دولاراً
أو ما يعادلها

ISBN 9953-450-83-8

